

السيرة النبوية المستخرجة من كتاب

نَهْيَاتُ الْأَرْبَابِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوِيرِيِّ

المتوفى ٧٢٣ هـ

الجزء السادس عشر

تحقيق

الأستاذ علي محمد هاشم

منشورات

مكتبة علي بن أبي طالب

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً

القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية

لَمَّا أَنْتَهَى الْغَرَضُ فِي التَّارِيخِ إِلَى الْغَايَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَالْقَصَصُ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي أوردْتُهَا، والدول والوقائع التي أُنْتُخِبَتْهَا، مما طالعته وحررتُها؛ عَمَدْتُ إِلَى ذِكْرِ الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي فَضَّلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَائِرِ الْمِلَلِ، وَرَفَعَ أَهْلَهَا بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَوَقَفَهُمْ لِمُصَالِحِ الْعَمَلِ، وَوَعَدَهُمْ بِرَحْمَتِهِ، فَهَمُّ مِنْ وَعْدِهِ فِي أَمْنٍ، وَحَذَرُهُمْ مِنْ عِقَابِهِ؛ فَهَمُّ مِنْ وَعْدِهِ عَلَى وَجَلٍ، وَبِعَثِّ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ وَعَدَلَ، وَجَعَلَهُ شَافِعاً لِدُنُوبِهِمْ فِي يَوْمٍ أَحْجَمَ فِيهِ مَنْ سِوَاهُ عَنْ الشِّفَاعَةِ وَبِنَفْسِهِ اشْتَغَلَ، وَجَعَلَهُمْ بِهِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ إِذْ جَحَدَ غَيْرَهُمْ وَنَكَلَ؛ فَهَمُّ الشُّهَدَاءِ عَلَى النَّاسِ لِأَنْبِيَائِهِمْ، وَنَاهِيكَ بِهَا رُتَبَةً تَقْدَمُ بِهَا أَوَاخِرُ الْقَوْمِ عَلَى الْأَوَّلِ. وَقُلْتُ: بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ، وَمِنْهُ الْإِعَانَةُ وَعَلَيْهِ الْمُتَكَلُّ.

الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الخامس في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ

وهي السيرة التي ظهرت آياتها، وأشتهرت معجزاتها، وأشرقت أنوارها،
وأنشرت أخبارها، وعمت فضائلها، وطابت بكرها وأصائلها، وحسنت أوصافها،
وكثر إنصافها، وجاءت في ظلمة الضلالة تتقد، وما أنكر العدو فضائلها بل شهد: [من
الكامل]

وفضائل شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء
تالله لقد عجز الواصفون عن وصفها، وأعترف المادحون بالتقصير عن بلوغ
اليسير من مدى مدحها: [من الكامل]

وإذا أزدت لك الثناء فما الذي واللّه قد أثنى عليك - أقول
ولنبداً بذكر نسبه الطاهر ﷺ، وإن كنا قدّمناه مُستوفى في باب الأنساب^(١)، فلا
غنية عن سرّده ههنا.

هو أبو القاسم محمد ﷺ بن عبد الله، بن عبد المطلب - واسم عبد المطلب:
شَيْبَةُ الحمد - بن هاشم - واسم هاشم عمرو - بن عبد مَنَاف - واسمه المَغِيرَةُ - بن
قُصَيٍّ - واسمه زَيْد - بن كِلَاب، بن مُرَّة بن كَعْب، ابن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر. وإلى
فِهْر جُمَاع قُرَيْش، ومَن كان فوق فِهْر فليس هو بقُرَشِيٍّ. وفِهْر هو أبْن مالِك بن
النُّضْر بن كِنانة، بن خُزَيْمَة، بن مُدْرِكَة - واسم مُدْرِكَة عامر^(٢) - بن إِيَّاس بن
مُضَر بن نِزَار بن مَعَد بن عدنان.

رُوي عن أبْن عباس^(٣)، رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا أنتسب لم

(١) ٢: باب الأنساب.

(٢) سيذكر المؤلف في صفحة ١٢ عن ابن السائب: أن مدركة يسمى «عمراً» أيضاً.

(٣) ابن عباس: (٣ ق. هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧ م). عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس: حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ. وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في =

يُجاوِز في نَسَبه مَعَدَّ بن عَدنان بن أَدَد، ثم يَمسك ويقول: «كَذَبَ النَّسَابُونَ». قال الله عز وجل: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨]. قال ابن عباس: لو شاء رسول الله ﷺ أن يعلمه لعلمه.

وعن هشام بن محمد^(١) قال: سمعتُ مَنْ يقول: «كَانَ مَعَدَّ عَلَى عَهْدِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ».

وقد تقدم في باب الأنساب، وهو الباب الرابع من القسم الأول من الفن الثاني من كتابنا هذا، في السفر الثاني من هذه النسخة، ما اختاره الشريف أبو البركات^(٢) محمد بن أسعد بن علي بن مَعْمَر الحُسَيْنِي الجَوَانِي النسابة في «مقدمته»^(٣) بعد مَعَدَّ: ابنَ عَدنان بن أَدَد^(٤) بن اليَسَع بن الهمَيْسَع بن سَلامان بن ثَبِت بن حَمَل بن قَيْذار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل ﷺ بن تَارَح وهو آزر بن ناحور بن سَارُوع بن أَرْغُو، بن فَالَغ بن عَابِر، وهو هود النبي عليه السلام - وهو جُمَاع قَيْس وَيَمَن ويزار وَخَنْدِف بن شَالَخ بن أَرْقُشَدَ بن سام بن نوح النبي عليه السلام بن لَمَك بن مَثُوشَلَخ بن أَخْثُوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام بن داود بن مَهلائِيل بن قَيْنان بن أنوش بن هبة الله شِيث بن أبي البشر آدم عليه السلام.

هذا ما أورده الشريف الجَوَانِي قال: وعليه أكثر أئمة الأنساب.

وسنزيد إن شاء الله تعالى، في أخبار آباء رسول الله ﷺ، زيادةً حسنة يحتاج إلى إيرادها من عَدنان فَمَنْ بَعْدَهُ، تقف عليها^(٥) قريباً، إن شاء الله تعالى، بعدَ ذِكْرنا لأمهاته ﷺ.

= آخره عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. (أعلام: ٤ - ٩٥).

(١) هشام بن محمد: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي النسابة والكوفي المتوفى سنة ٢٠٤، على خلاف. انظر وفيات الأعيان ٢: ٢٥٨ والأعلام ٨: ٨٧.

(٢) أبو البركات محمد بن أسعد بن علي بن مَعْمَر الحُسَيْنِي الجَوَانِي النسابة: عالم بالأنساب. أصله من الموصل. ومولده ووفاته بمصر. ولي نقابة الأشراف فيها مدة. وصنف «طبقات الطالبين» و«تاج الأنساب» انظر: أعلام ٦: ٣١.

(٣) سماها مرتضى الزبيدي «المقدمة الفاضلية»، لأنَّ الجَوَانِي ألفها باسم القاضي الفاضل، وجعلها مقدمة لكتابه الجوهر المكنون، في القبائل والبطون.

(٤) علماء النسب في «أد» و«أدد» فريقان: الأول أنهما شخصان ابن ووالد، وهو الذي حكاه المؤلف هنا عن الجَوَانِي... وقالت به طائفة؛ والفريق الثاني أن مسماهما شخص واحد، يقال فيه «أد» مرة، و«أدد» مرة أخرى.

(٥) في الأصل: «تقف عليه».

ذكر أمهات رسول الله ﷺ

قال أبو عبد الله محمد بن سعد^(١) رحمه الله تعالى في طبقاته^(٢) الكبرى:

«أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال:

أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وأُمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب. وأُمها أم حبيب، بنت أسد بن عبد العزى، بن قصي بن كلاب. وأُمها برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي، وأُمها قلابة بنت الحارث بن مالك بن حُباشة بن غنم بن لحيان بن عادية بن صغصعة بن كعب بن هند بن طابخة بن لحيان بن هذيل بن مذكرة بن إلياس بن مضر. وأُمها أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن عادية بن صغصعة. وأُمها دُب بنت ثعلبة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مذكرة. وأُمها عاتكة بنت غاضرة بن حطيظ بن جشم بن ثقيف بن مُنَبِّه^(٣) بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان - وأسمه إلياس بن مضر. وأُمها ليلى بنت عوف بن ثقيف^(٤). وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب قيلة. ويقال: هند بنت أبي قيلة».

وقال ابن الكلبي^(٥): «كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم، فما وجدتُ فيهنَّ سِفاحًا، ولا شيئًا مما كان من أمر الجاهلية».

وعن محمد بن علي بن الحسين^(٦) أن النبي ﷺ قال: «إنما خرجتُ من نِكَاح ولم أخرج من سِفاح^(٧) من لَدُنْ آدم؛ لم يُصْبني من سِفاح أهل الجاهلية شيء؛ لم أخرج إلا من طُهرة^(٨)». والله الفعّال.

(١) محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. أشهر كتبه «طبقات الصحابة - ط» اثنا عشر جزءًا، يعرف بطبقات ابن سعد. أعلام: ٦: ١٣٦ (١٦٨ - ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ - ٨٤٥ م).

(٢) ١: ٣٠ - ٣١ (قسم أول).

(٣) في طبقات ابن سعد ١: ٣٠ (قسم أول): «ثقيف، وهو قسي بن منبه».

(٤) في طبقات ابن سعد ١: ٣٠ (قسم أول): «عوف بن قسي، وهو ثقيف».

(٥) انظر ترجمته ص ٣.

(٦) هو أبو جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. مدني تابعي، في مولده ووفاته خلاف. انظر تهذيب التهذيب ٩: ٣٥٠.

(٧) السِفاح: الزنا والفجور.

(٨) هذه رواية ابن سعد ١: ٣٠، وهي تنفرد بزيادة «إنما» في أول الحديث، وزيادة «لم أخرج إلا من =

ذكر نبذة من أخبار آباء رسول الله ﷺ فمن بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب

قد تقدّم ذكر آباء رسول الله ﷺ في باب الأنساب، وذكرنا كل أب من آبائه وأولاده ومن أعقب منهم، وجعلنا العُمدة على سَرْد عمود النسب الشريف على ما تقف عليه هناك في السفر الثاني من كتابنا^(١) هذا من هذه النسخة، وسردنا النسب أيضًا آنفًا. وقد رأينا أن نذكر في هذا الموضع نبذة أخرى زيادة على ذلك نذكر فيها الأسماء، والكُنى، والأسماء، وبعض الوقائع والأخبار، مما لم يتقدّم ذكره، فنقول وبالله التوفيق:

أما عدنان فإليه أنقطع علم أهل الأنساب حقيقة؛ لما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك، ثم قال: «كذب النسابون». قال الله جل ثناؤه: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] وقد رُوِيَ أنه قال: «عدنان بن أد». والله أعلم.

وأما معد بن عدنان، فكُنْيته أبو قضاة، كُنْي بولده قضاة وهو بكره. ومعد (بتحريك العين وتشديد الدال)، وفي طَيء معد (بتسكين العين) بن مالك بن قميئة، وفي خثعم أيضًا معد (بتسكين العين) بن الحارث بن تميم بن كعب بن مالك بن قحافة. وأم معد بن عدنان: مهدد، بنت اللهم بن جَلْحَب الجُرْهمية. وقيل فيها: مهاده بنت لهم. وقيل: اللهم بنت جَلْحَب، وفي رواية خُلَيْد بن طَسْم بن يَلْمَع، بن عابر بن اسليخيا بن لاوذ بن سام بن نوح، حكاه الزُّبَيْر بن بَكَّار.

وذكر عبد الملك^(٢) بن حبيب أن ولد معد بن عدنان سبعة عشر رجلاً، درج منهم بلا عقب^(٣) تسعة، أو أعقب ثمانية.

= طهرة في آخره، وقد رواه الطبراني في معجمه الأوسط، وابن عساكر، وابن عدي في الكامل، وابن كثير في البداية والنهاية ٢: ٢٥٦ باختلاف في الرواية، وقال عقبه: «هذا غريب من هذا الوجه ولا يكاد يصح».

(١) ٢: ٣٥٨ - ٣٧٧.

(٢) عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي، أبو مروان (١٧٤ - ٢٣٨ هـ = ٧٩٠ - ٨٥٣ م) عالم الأندلس وفقيهها في مصر. ولد في البيرة وتوفي في قرطبة. له تصانيف كثيرة قيل تزيد على ألف... وكان ابن لبابة يقول: عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس، ويحيى بن يحيى عاقلها. أعلام: ٤: ١٥٧.

(٣) بلا عقب: بلا أولاد، بلا نسل.

وقال أبو الربيع بن سالم^(١): ذكر الزبير بن أبي بكر، أن بُخْتَنَصْرَ لَمَّا أَمَرَ بِغزو بلاد العرب، وإدخال الجنود عليهم وقتلهم لقتلهم^(٢) أنبياء الله تعالى، وردّهم رسالاتهم، أمر إزميا بن حلقيا - وكان فيما ذكر نبي بني إسرائيل في ذلك الزمان - أن أت معّد بن عدنان الذي من ولده خاتم النبيين وأحملة معك إلى الشام، وتولّ أمره.

وقال السهيلي: «أوحى الله تعالى إلى إزميا أن أحمل معّد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق^(٣)، فإني مُستخرج من صلبه نبيا اسمه محمد؛ فحمل معه معّدًا وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها مُعانة». قال أبو الربيع^(٤) بن سالم: «ويقال المحمول عدنان، والأول أكثر. قال: وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى بعث ملكين فاحتملا معّدًا، فلما رفع الله تعالى بأسه عن العرب، ردّاه إلى موضعه من تهامة، فكان بمكة ونواحيها مع أخواله من جرهم».

وقال الزبير: «حدّثني علي بن المغيرة قال: لَمَّا بلغ بنو معّد عشرين رجلاً، أغاروا على عسكر موسى عليه السلام، فدعا عليهم ثلاث مرّات فقال: يا رب، دعوتك على قوم فلم تُجبني فيهم بشيء. قال: يا موسى، دعوت على قوم فيهم خيرتي في آخر الزمان».

وفي هذه الرواية ما فيها من المنافاة لما تقدّم من أنه كان مع إرميا، ومن قال إنه كان على عهد عيسى عليه السلام^(٥). والله أعلم بالصواب وإليه المرجع.

وأما نزار بن معّد، فكنيته^(٦) أبو إياد، وقيل: أبو ربيعة. ونزار (بكسر النون). قال السهيلي^(٧): «من النَّزْر وهو القليل. وكان أبوه حين وُلِد له، ونظر إلى النور بين عينيه، وهو نور الثبوة الذي كان ينتقل في الأصلاب إلى محمد ﷺ فرح به فرحاً شديداً، ونحر وأطعم وقال: إنّ هذا كلّهُ نَزْر لحقّ هذا المولود، فسَمي نزاراً لذلك». وأمّ نزار: مُعَاية بنت جَوْشَم^(٨) بن جُلْهُمة بن عمرو بن هُلَيْيئة بن دَوْة بن جرهم. قال

(١) سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الأندلسي (٥٦٥ - ٦٣٤)، من مؤلفاته كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى.

(٢) في الأصل: «وقتلهم، لقتل». والمثبت عن الاكتفاء.

(٣) سقط من السهيلي ١ : ٩ «إلى أرض العراق». وقد تصرف المؤلف في النص.

(٤) انظر ترجمته ص ٧.

(٥) تقدم ذلك في ص ٣.

(٦) في الأصل: «وكنيته».

(٧) الروض الأنف ١ : ٨.

(٨) هكذا ورد هذا العلم في تاريخ ابن الأثير. وفي البداية والنهاية ٢ : ١٩٤ والروض الأنف «جوشن» وفي الخبر عن البشر ٣ : ١٧ قسم أول: «عنة ابنة جوشن».

السهيلى: «ويقال اسمها ناعمة».

وأما مُضَر بن نِزار فأمه^(١) أم إياد: سودة بنت عك بن الذيب، بن عدنان. وقال محمد بن الحسين في كتاب «التحفة»: إن أم مُضَر اسمها سودة بنت عك، قال: وقيل: حُبَيْة بنت عك. وقاله الزبير بن بكار. وروى أن أم مضر خاصة سودة بنت عك؛ وربيعه وأنمار وإياد أمهم شقيقة بنت عك، وإلى مضر تنتسب مضر الحمراء لسكانها قباب الأدم، ومضر السوداء سُميت بذلك لسكانها المظال.

وقال الزبير عن غير واحد من أهل العلم بالتسب: إنهم قالوا: لما حَضَرَتْ نزاراً الوفاة، أثر إياداً بولاية الكعبة، وأعطى مُضَر ناقة حمراء فسُمي مُضَر الحمراء، وأعطى ربيعة فرسه، فسُموا ربيعة الفرس، وأعطى أنماراً جارية له تسمى بجيلة فحضنت بنيه^(٢)، فسُمي بجيلة أنمار.

وقد تقدم ذكر خبر أولاد نزار في الأمثال عند قولهم: «إن العصا من العصية»^(٣)، و«إن حُشينا من أخشن»^(٤)، وقصتهم مع الأفعى الجرهمي^(٥)، وهو في الباب الأول من القسم الثاني من الفن الثاني في السفر الثالث من هذه النسخة من كتابنا هذا^(٦).

قال ابن الأثير الجزري^(٧): «ومُضَر أول من حدا، وكان سبب ذلك أنه سقط عن بعيره، فأنكسرت يده فجعل يقول: يا يده! يا يده! فأتته الإبل من المرعى، فلما صلح وركب حداً، وكان من أحسن الناس صوتاً، وقيل: بل انكسرت يد مولى له فصاح، فأجتمعت الإبل، فوضع مُضَر الحدا وزاد الناس فيه».

قال السهيلى: وفي الحديث: «لا تسبوا ربيعة ولا مُضَر فإنهما كانا مؤمنين»^(٨) وروى عبد الملك بن حبيب بسنده إلى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا مضر فإنه كان مسلماً على ملة إبراهيم»^(٩). وعن عبد الملك بن حبيب والزبير

(١) في الأصل: «وأمه».

(٢) في الأصل: «نبته» تصحيف، والتصحيح عن مقدمة الجواني (الورقة ٢٢ ب).

(٣) مجمع الأمثال: ١: ١٣.

(٤) مجمع الأمثال: ١: ١١، ومعجم البلدان ٣: ٤٤٣.

(٥) هو الأفعى بن حصين بن غنم، أحد حكام العرب. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٣٢ ومجمع الأمثال: ١: ١٠.

(٦) ٧: ٣.

(٧) في الكامل: ٢: ١١.

(٨) الروض الأنف: ١: ٨، وفي الاكتفاء (الورقة ٢ ب): «كانا مسلمين». والحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس.

(٩) رواه ابن سعد في الطبقات بلفظ: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم» انظر الجامع الصغير: ٢: ٤٤٦.

وجماعة: أن ربيعة ومُضَرَّ الصَّرِيحُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام. قال: وحدثني أبو معاوية، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «مات أدد والد عذنان، وعذنان، ومعد بن عدنان، وربيعه، ومُضَرَّ، وقيس عيلان، وتميم، وضبة، وأسد، وخزيمة على الإسلام على ملة أبيهم إبراهيم، فلا تذكرهم إلا بما يذكر به المسلمون». والله الموفق.

وأما إلياس بن مُضَرَّ، فكنيته^(١) أبو عمرو. وقال صاحب الاشتمال^(٢): قال الزبير: ولد مُضَرَّ بن نزار إلياس بن مُضَرَّ، فلما أدرك إلياس أنكر على بني إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم، وبأن فضله فيهم، ولأن جانبهم لهم، حتى جمعهم رأيه ورضوا به، فردهم إلى سنن آبائهم، حتى رجعت سنتهم تامة على أولها.

وهو أول من أهدى البُذُن^(٣) إلى البيت، وهو أول من وضع حجر الركن للناس بعد غرق البيت وأنهدمه زمن نوح، فكان إلياس أول من ظفر به، فوضعه في زاوية البيت.

وبعض الناس يقولون: إنما كان ذهب بعد إبراهيم وإسماعيل. قال: وفي هذا كله نظر. قال: وقال الزبير: ولم تزل العرب تعظم إلياس بن مُضَرَّ تعظيم أهل الحكمة، كتعظيمهما لقمان وأشباهه. قال ابن دحية^(٤): وهو وصي أبيه، وكان ذا جمال بارع ودين، تعظمه العرب قاطبة، وهو أول من مات بالسُّل. قال السهيلي^(٥): «وإنما سُمي السُّل داء يأس وداء^(٦) إلياس لأن إلياس بن مُضَرَّ مات به».

ولما مات أسفت أمراته خنِيف عليه أسفا شديداً. وكانت نذرت، إن هلك ألا تُقيم في بلد مات فيه، ولا يُظَلَّها بيت، وتَسِيح في الأرض، وحرمت الرجال والطيب بعده. فلما هلك خرجت سائحة حتى هلكت. وكانت وفاته يوم الخميس، فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس. قال السهيلي: «ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال: لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمناً». وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية

(١) في الأصل: «وكنيته».

(٢) لعل صحة الكلمة «صاحب الاكتفاء»، وقد ورد هذا النص في الاكتفاء (الورقة ٢٤).

(٣) البُذُن: البدنة من الإبل والبقر، كالأضحية من الغنم، تهدي إلى مكة، والذكر والأنثى في ذلك سواء (اللسان: بَذَن).

(٤) أبو الخطاب، عمر بن الحسن بن علي المعروف بذي النسيبين الأندلسي (٥١٤ - ٦٣٣)، وفيات الأعيان: ١: ٤٨١.

(٥) الروض الأنف: ١: ٧.

(٦) في الأصل: «دواء إلياس» تصحيف.

النبي ﷺ بالحج^(١). والله أعلم.

وأما مُذْرِكَة بن الياس فقال^(٢) ابن السائب: وأسمه عمرو. وقال ابن إسحاق والزبير: عامر، وكنيته أبو الهذيل، وقيل: أبو خزيمة. وأمه خندف، وأسمها ليلي بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. واسم أمها ضريّة بنت ربيعة بن نزار، وبها سمي «حِمى ضريّة»^(٣).

وأما خزيمة بن مُذْرِكَة فكنيته^(٤) أبو أسد، وأمه سلمى بنت أسلم بن الحاف ابن قضاعة. وقيل: سلمى بنت أسد بن ربيعة، وخزيمة هذا هو الذي نصب هُبَل على الكعبة، فكان يقال: هُبَل خزيمة، هكذا ذكره ابن الأثير^(٥). وروي عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن خزيمة مات على ملة إبراهيم عليه السلام.

أما كِنَانَة بن خزيمة، فكنيته^(٦) أبو النضر، وأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان، ويقال: بل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان. قال أبو الحسن سلام بن عبد الله بن سلام الإشبيلي: وقال أبو عمرو العدواني لابنه في وصيته: يا بني أدركت كِنَانَة ابن خزيمة - وكان شيخاً مُسِنّاً عظيمَ القدر، وكانت العرب تحج إليه لعلمه وفضله - فقال: «إنه قد آن خروج نبي بمكة يُدعى أحمد، يدعو إلى الله، وإلى البر والإحسان ومكارم الأخلاق، فأتبعوه تزدادوا شرفاً إلى شرفكم، وعزاً إلى عزكم، ولا تتعدوا ما جاء به، فهو الحق». والله الموفق.

وأما النضر بن كنانة: فكنيته أبو يخلد، كُنِيَ بابنه يخلد^(٧). وأسم النضر قيس. قال أبو ذرّ الحُشَنِيّ: النضر: الذهب الأحمر^(٨). وهو النضار؛ سُمِّي النضر بذلك لوضاءته وإشراق وجهه. وأمه برة بنت مُر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر أخت تميم بن مُر. والذي عليه أكثر أهل السير والمؤرخين أن كِنَانَة خَلَف على برة بعد أبيه خزيمة، على ما كانت الجاهلية تفعله؛ إذا مات الرجل خَلَف على زوجته بعده أكبرُ بنيه

(١) الروض الأنف: ١ : ٨.

(٢) في الأصل: «قال».

(٣) قرية بين البصرة ومكة، وهي إلى مكة أقرب. انظر معجم البلدان: ٥ : ٤٣٣ وتاج العروس (ضرى).

(٤) في الأصل: «وكنيته».

(٥) في الكامل: ٢ : ١١.

(٦) في الأصل: «وكنيته».

(٧) في الأصل: «بأبيه» تصحيف.

(٨) انظر شرح السيرة للخشني: ١ : ٣.

من غيرها^(١). ويردّ هذا ما روي عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء؛ ما ولدني إلا نكاح كنعان أهل الإسلام»، وقول ابن الكلبي: «كتبْتُ لرسول الله ﷺ خمسمائة أم، فلم أجد فيها شيئاً مما كان من أمر الجاهلية». وقد تقدّم ذكر ذلك آنفاً.

وقد اعتذر القائلون هذا القول عنه بأعذار، وأقاموا أدلة على أنه ليس بسفاح ولا من أمر الجاهلية. وفي أعذارهم وأدلتهم بعض تكلف. وقد حصل الظفر - والله الحمد والمنة - بما يُزيل هذا الإشكال، ويرفع هذا الاحتمال، ويخلص من مهاوي هذه الشبهة؛ وهو الصحيح، إن شاء الله تعالى، وسنذكره بعد ذكر أعذارهم وأدلتهم.

أما ما استدلوا به على تقدير أن يكون كنانة خلف على برة بنت مَرْ بن أد بعد أبيه، فقال السهيلي^(٢)، رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]؛ أي إلا ما قد سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام، قال: وفائدة الاستثناء ألا يُعاب نسب رسول الله ﷺ ولِيُعلم أنه لم يكن في أجداده بغية^(٣) ولا سفاح؛ ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن (إلا ما قد سلف) نحو: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ ولم يقل (إلا ما قد سلف) ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ولم يقل (إلا ما قد سلف)، ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه الآية، وفي الجمع بين الأختين؛ لأن الجمع بينهما قد كان مُباحاً في شرع من قبلنا؛ وقد جمع يعقوب عليه السلام، بين راحيل وأختها ليا؛ فقله: (إلا ما قد سلف) التفات إلى هذا المعنى وتنبه على هذا المغزى. ونقل السهيلي هذه النكتة عن القاضي أبي بكر بن العربي. وأعتذر من اعتذر عن هذه الواقعة على هذا المنوال.

وأما ما أرتفع به هذا الإشكال، فهو ما نقله أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ^(٤) - رحمه الله - في كتاب له سماه «كتاب الأصنام» قال فيه: «وخلّف كنانة ابن خزيمة على زوجة أبيه بعد وفاته، وهي برة بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر،

(١) وكان الذي يخلف أبان على زوجته يسمى الضيزن (لسان العرب: ضزن).

(٢) نقل هذا الاستدلال عن السهيلي، الدميري في حياة الحيوان: ٢: ٢١٥، والزرقاني في شرح المواهب: ١: ٩٣.

(٣) البغية: نقيض الرّشدة في الأولاد (اللسان: بغا).

(٤) عمر بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ. رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فُلج في آخر عمره وكان مشوه الخلق. له تصانيف كثيرة منها: الحيوان، والبيان والتبيين، والبخلاء. (الأعلام: ٥: ٧٤).

وهي أم أسد بن الهون؛ ولم تلد لكنانة ولدًا ذكرًا ولا أنثى، ولكن كانت ابنة أخيها، وهي برة بنت مَر بن أَد بن طابخة أخت تميم بن مرة عند كنانة بن خزيمة، فولدت له النضر بن كنانة. قال: «وإنما غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما^(١) وتقارب نسبهما». قال: «وهذا الذي عليه مشايخنا وأهل العلم بالنسب». قال: «ومعاذ الله أن يكون أصاب نسب رسول الله ﷺ مَقَّت نكاح؛ قال رسول الله ﷺ: «ما زلتُ أخرج من نكاح كنكاح الإسلام، حتى خرجتُ من أمي وأبي». قال: «ومن اعتقد غير هذا فقد كفر وشك في هذا الخبر. قال: والحمد لله الذي طهره من كل وضم وطهر به».

وأما مالك بن النضر، فكنيته أبو الحارث، وأمه عاتكة بنت عذوان، وهو الحارث بن عمرو بن قيس عيلان، ولقبها عكرشة، وقيل: عوانة بنت سعد القيسية، وقيل غير ذلك. ومالك هو أبو قريش كلها.

وأما فهر بن مالك - وهو قريش، وفهر لقب غلب عليه - فكنيته أبو غالب، وهو جُماع قريش في قول هشام بن الكلبي. وأم فهر جندلة بنت عامر بن الحارث ابن مضاض الجرهمي؛ ومن جاوز فهرًا فليس هو من قريش.

وقد اختلف في تسمية قريش قريشًا، ومن أول من تسمى به، فقال محمد بن كعب^(٢): إنما سُميت قريش قريشًا لتجمعها بعد تفرقها، وقال محمد بن سلام: لما جمع قصي قبائل النضر، وحارب بهم خزاعة، وغلب على الحرم، سُموا قريشًا لاجتماعهم. وقيل: إنما سُموا قريشًا لأنهم يتقرشون^(٣) البضاعات فيشترونها. وقيل: جاء النضر بن كنانة في ثوب له فقالوا: قد تقرش في ثوبه كأنه جمل قريش، أي شديد مجتمع. وقيل: أول من سماهم بهذا الاسم قصي بن كلاب. قاله المبرد^(٤). وقال الشعبي^(٥): النضر بن كنانة هو قريش، وإنما سُمي قريشًا لأنه كان يقرش عن حلة الناس وحاجتهم فيسد ذلك بماله، والتقرش: هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل

(١) في الأصل: «ولاتفاق اسمهما» تصحيف.

(٢) محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي مقرر. في تحديد وفاته خلاف. انظر طبقات القراء: ٢: ٢٣٣.

(٣) يتقرشون: يجمعون. (راجع سبب التسمية في اللسان مادة: قرش).

(٤) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه الكامل (الأعلام: ٧: ١٤٤).

(٥) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، الشعبي الحميري، أبو عمرو: رواية من التابعين يضرب المثل بحفظه. ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. وهو من رجال الحديث الثقات. (الأعلام: ٣: ٢٥١).

الموسم فيزودونهم بما يُبلِّغهم، فسموا بذلك من فعلهم.

وقال الزبير بن بكار قال عمي: قُرَيْش بن بَذْر بن يَخْلُد بن النَّضْر كان دليل بني كِنانة في تجارتهم، فكان يقال: «قدمت عير قريش»، وأبوه بَذْر بن يَخْلُد صاحب بَذْر الموضع الذي كانت به الوقعة المشهورة، وذكر عن عمه أن فِهْرًا هو قُرَيْش، قال: وقد اجتمع النَّسَاب من قُرَيْش وغيرهم أن قُرَيْشًا إنما تفرقت عن فِهْر. والذي عليه من أدركت من نساب قريش أن وَلَد فِهْر بن مالك قُرَيْش، ومن جاوز فِهْرًا فليس من قُرَيْش.

وروي عن هشام بن السائب: أن النَّضْر بن كِنانة هو قُرَيْش. وقيل عنه في موضع آخر: وَلَد مالك بن النَّضْر فِهْرًا وهو جُمَاع قُرَيْش. وقال أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى^(١): أَوَّل من وقع عليه اسم قُرَيْش النَّضْر بن كِنانة فولد قُرَيْش دون سائر بني كِنانة. وقل أبو عُمَر محمد بن عبد الواحد الزاهد^(٢): قُرَيْش مأخوذ من القَرْش، وهو وَقَع الإِسِنَّ بعضها على بعض^(٣)؛ لأن قُرَيْشًا أحنق الناس بالطعان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأل عمرو بن العاص^(٤): لم سميت قُرَيْش قُرَيْشًا؟ قال: بالقَرْش، دابة في البحر تأكل الدواب لشدها. وقال: المطرزي^(٥): هي مَلِكَة الدواب، وسيدة الدواب وأشدّها، فكَذلك قُرَيْش سادات الناس. وكان فِهْر رئيس الناس بمكة. والله أعلم.

وأما غالب بن فِهْر، فكُنيتُه أبو تَيْم، وأمه لَيْلَى بنت الحارث، بن تميم^(٦) بن سَعْد بن هُذَيْل بن مُذْرِكَة؛ ولغالب هذا من الولد: لُؤَي، وتيم الأدرم، وكان تيم كاهنًا، وإنما قيل له تيم الأدرم لأن أحد إخيه كان أنقص من الآخر: وفي قريش

(١) معمر بن المثنى التيمي بالولاء، البصري، أبو عبيدة النحوي: (١١٠ - ٢٠٩ هـ = ٧٢٨ - ٨٢٤ م) من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض أعلم بجميع العلوم منه. وكان إباضيًا شعويًا، من حفاظ الحديث. (الأعلام: ٧: ٢٧٢).

(٢) محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرزي البازدي المعروف بـغلام ثعلب (٢٦١ - ٣٤٥ هـ = ٨٧٥ - ٩٥٧ م). صاحب ثعلب النحوي زمانًا حتى لقب «غلام ثعلب» وتوفي ببغداد. أملى من حفظه في اللغة نحو ثلاثين ألف ورقة. (الأعلام: ٦: ٢٥٤).

(٣) انظر لسان العرب: قَرْش.

(٤) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله فاتح مصر. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. أخباره كثيرة، وهو أحد دهاة العرب. (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤ م)، (الأعلام: ٥: ٧٩).

(٥) في الأصل: «وقال الطرز»، والتصحيح عن حياة الحيوان: ٢: ٢١٥.

(٦) في الكامل لابن الأثير ٢: ١٠ «الحارث بن تميم».

تَيْمَان: تَيْم بن مُرَّة، وتَيْم الأذْرَم. قال ابن قُتَيْبَة^(١): «بنو الأذْرَم من أعراب قُرَيْش ليس بمكة منهم أحد» والله أعلم.

وأما لُؤَيّ بن غالب، فكنيته أبو كعب، وأمه عاتكة بنت يَخْلُد، بن النُّضْر بن كِنانة، وهي إحدى العواتك^(٢) اللّاتي ولدن رسول الله ﷺ؛ وقيل: بل أمه سَلَمَى بنت عمرو بن ربيعة (وهو لُحَيّ بن حارثة^(٣)) الخزاعية.

وأما كعب بن لُؤَيّ، فكنيته أبو هُصَيْنص، وأمه ماوية^(٤) بنت كعب بن القَيْن ابن جَسْر القُضَاعِيَة. قيل: إنما سُمي كعب كعباً لارتفاعه على قومه، وشرفه فيهم. وكان عظيمَ القدر عند العرب؛ فلهذا أرخوا بموته إلى عام الفيل، ثم أرخوا بالفيل؛ رَوَى أبو نُعَيْم^(٥) في «الدلائل» عن الطَّبْرَانِيّ^(٦) بسنده إلى عبد العزيز بن أبي ثابت قال: «أرخت كِنانة من موت كعب بن لُؤَيّ، وأرخت قُرَيْش بعد موتِه من عام الفيل؛ وبين موت كعب والفيل خمسمائة سنة وعشرون سنة^(٧)».

«وكعب هذا أول من سَمى الجُمعة الجُمعة، وكانت العرب تسمي يوم الجمعة العَرُوبَة»؛ قاله السهيلي. ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغني عن أهل العلم، وإنما سماه الجمعة لاجتماع قُرَيْش فيه وخطبته فيهم.

وأول من قال: «أما بعد» كعب، فكان يقول: «أما بعد، فاستمعوا وافهموا». ثم قال: «حَرَمَكُم عَظْمُوهُ وَتَمَسَّكُوا بِهِ، وسيأتي لكم نَبأ عَظِيم، وسيخرج له نبيّ كريم».

قال السُّهَيْلِيّ: «وكان يخطبهم ويذكُرهم^(٨) بِمَبْعَثِ رسول الله ﷺ، ويُعلمهم أنه من ولده، ويأمرهم بِاتِّباعه والإيمان به، وينشد ويقول: [من البسيط]

يا لَيْتَنِي شَاهِدُ فَحِوَاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تُبَغِّي الْحَقَّ خِذْلَانَا^(٩)»

(١) المعارف ص: ٣٢.

(٢) امرأة عاتكة: مُخَمَّرَة من الطيب. والعواتك من سليم ثلاث: عاتكة بنت هلال وعاتكة بنت مرة، وعاتكة بنت الأوقص. وهن جدات رسول الله ﷺ (اللسان: عتك).

(٣) في الأصل: وابن الأثير: ٢: ١٠ «وهو يحيى بن حارثة» تصحيف.

(٤) كأنها نسبت إلى الماء لصفائها. الروض الأنف: ١: ٦١.

(٥) محمود بن الربيع، الأنصاري الخزرجي، صحابي ومحدث، مات سنة تسع وتسعين (الإصابة: ٣: ٣٨٦ الرقم ٧٨١٨).

(٦) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، أصله من طبريا الشام. توفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٧) في الوافي بالوفيات: ١: ١٠ «والفيل مئة سنة».

(٨) في الأصل: «ويذكر بمبعث» والمثبت عن الروض الأنف: ١: ٦.

(٩) في الخبر عن البشر، ٣: ٤٥ (القسم الأول): حين العشيبة بتغي الحق خذلانا.

وأما مُرَّةُ بن كَعْب، فكنيته أبو يَقْظَة، وأمه مَخْشِيَة، وقيل وَخْشِيَة بنت شيبان بن مُحارب بن فَهْر. وفي مُرَّة يجتمع نَسَب رسول الله ﷺ، ونَسَب أبي بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما.

وأما كِلَابُ بن مُرَّة، فكنيته أبو زُهْرَة، وأسمه حَكِيم. وكِلَاب لَقَب غلب عليه، وسبب ذلك أنه كان مُحِبًّا للصيد مولعًا به وكان أكثر صيده بالكِلَاب، وجمع منها شيئًا كثيرًا، فكان إذا مَرَّ بقوم بكِلابه قالوا: هذه كِلَاب ابن مرة، فغلب ذلك عليه؛ وفيه يقول الشاعر: [من المتقارب]

حَكِيمُ بنُ مُرَّة سَادَ الْوَرَى يَبْذُلُ النُّوَالِ وَكَفَّ الْأَدَى

وأُمُّ كِلَاب هند بنت سُرَيْر بن ثعلبة بن الحارث بن فَهْر بن مالك بن كِنانة. ويقال: إن كِلَابًا هذا أَوَّل من جَعَلَ في الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة.

وأما قُصَيُّ بن كِلَاب فاسمه^(١) زيد، وكنيته أبو المُغِيرَة، وقُصَيُّ لَقَبه، ويلقَّب أيضًا مُجَمَّعًا. قال السُّهَيْلِي، في قُصَيِّ «تصغير قُصَيِّ: أي بعيد». وقال الرُّشَاطِي^(٢): «وإنما قيل له قُصَيُّ لأن أباه كِلَاب بن مُرَّة كان قد تزوج فاطمة بنت سَعْد بن سَيْل، وأسم سَيْل، خَيْر بن حَمَالَة بن عوف بن عثمان بن عامر (وهو^(٣) الجادر^(٤)) بن جُعْثَمَة، وهو يَشْكُر، وهم من الأزْد فولدت له زُهْرَة وزَيْدًا، ثم هلك كِلَاب وزَيْد صغير فطِيم»، وقال السُّهَيْلِي^(٥): إنه كان رَضِيْعًا «فتزوّج فاطمة أم قُصَيِّ ربيعة بن حَرَام بن ضُبَّة بن عبد بن كَبِير، بن عُدْرَة بن سَعْد بن زيد بن قضاة، فاحتملها ربيعة ومعهما زيد، فربّي زيد في حجر ربيعة، فسُمّي قُصَيًّا لُبْعده عن دار قومه».

وقال الخطّابي: سُمّي قُصَيًّا لأنه قُصِيَ قومه، أي تقصّاهم بالشام فنقلهم إلى مكة. قال الرُّشَاطِي: «ثم إن زَيْدًا وقع بينه وبين ربيعة شر، فقيل له: ألا تلحق بقومك؟ وعُيِّر بالعُربَة، وكان لا يعرف لنفسه أبا غير ربيعة، فرجع قُصَيُّ إلى أمه،

(١) في الأصل: «واسمه».

(٢) عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي، أبو محمد المعروف بالرُّشَاطِي عالم بالأنساب والحديث. توفي ٥٤٢ هـ. (الأعلام: ٤: ١٠٥).

(٣) في الأصل: «عامر بن الجادر»، وهي إحدى روايتي الإكمال، والمثبت رواية الروض الأنف: ١: ٨٤، وتوافق رواية الإكمال الثانية.

(٤) سمي الجادر لأنه أول من جدر الكعبة.

(٥) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، أندلسي، من كتبه الروض الأنف. توفي ٥٨١ هـ. (الأعلام: ٣: ٣١٣).

وشكا لها ما قيل له، فقالت له: يا بني، أنت أكرم منه نفساً وأباً، أنت ابن كلاب بن مُرّة، وقومك بمكة عند البيت الحرام. فأجمع^(١) قُصَيّ على الخروج، فقالت له أمه: أقيم حتى يدخل الشهر الحرام، فتخرج في حاج العرب، فلما دخل الشهر الحرام خرج مع حاج قُضاعة حتى قدم مكة، فحجّ وأقام بمكة.

وكان الذي يلي أمر البيت يومئذ حُلَيْل، بن حُبْشِيّة ابن سَلُول بن كعب بن عمرو الحُزَاعِي. فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِيّة ابنته حُبَيّ. فعرف حُلَيْل نسبته فزوجه، وأقام قُصَيّ معه، فولدت له حُبَيّ أولادَه، وهم: عبد مَناف، وعبد العُزَيّ، وعبد الدار، وعبد، وبرّة، وتَحْمُر (وهي بالتاء المثناة من فوق وخاء معجمة ساكنة وميم مضمومة وراء).

فلما انتشر ولده، وكثر ماله، وعظّم شرفه هلك حُلَيْل، وأوصى بولاية البيت لابنته حُبَيّ. فقالت: إني لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، فجعلت ذلك إلى سُلَيْم بن عمرو بن بُوي بن مَلْكَان، وهو أبو غُبْشَان، ويقال له المحترش، فاشتري قُصَيّ منه ولاية البيت بزق خمر وقعود^(٢)، فضربت به العرب المثل، فقالوا: «أخسر من صَفْقة أبي غُبْشَان^(٣)». فنازعته حُزاعة البيت فانترعه منهم. والله الناصر.

ذكر خبر أنتزاع قُصَيّ البيت ومكة من حُزاعة ومن ولي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن أنتزعه قُصَيّ بن كلاب

قال محمد بن إسحاق بن يَسَار^(٤): «لما توفى الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وولي البيت بعده ابنه نَابِت بن إسماعيل ما شاء الله أن يليه، ثم ولي البيت بعده مُضاض بن عَمْرُو الجُزْهُمِي، وبنو نَابِت مع جدّهم مُضاض بن عمرو وأخوالهم من جُرهَم، وجُرهَم وقُطُوراء يومئذ أهل مكة، وهما أبنا عمّ، وكانا ظعنًا^(٥) من اليمن، فأقبلا سَيّارة^(٦)، وعلى جُرهَم مُضاض بن عمرو، وعلى قُطُوراء السَمَيْدَع،

(١) في الأصل: «فاجتمع» والمثبت عن الطبري: ٢: ١٨٢.

(٢) القعود: البكر من الإبل حين يمكن ظهره من الركوب، وأدنى ذلك أن يأتي عليه ستان.

(٣) أورد الميداني المثل بصيغة: «أحمق من أبي غبشان» (١: ١٤٦). وحكى رواية التويري أيضاً، انظر تاج العروس (غبش).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام، توفي ٦٥١ هـ (الأعلام: ٦: ٢٨).

(٥) الظعن: التحول من بلد إلى بلد (اللسان: ظعن).

(٦) السيارة: القافلة.

رجل منهم . فلما نزلوا مكة رأيا بلداً ذا ماءٍ وشجر، فأعجبهما فنزلا به، فنزل مُضاض بمن معه من جُزهم أعلى مكة بَقْعَيْعَانَ^(١) فما حاز، ونزل السَّمِيدَع بِقُطُورَاءِ أسفل مكة بأَجْيَاد^(٢) فما حاز، وكان كل منهما يَغْشُر^(٣) من دخل مكة ممّا يليه، وكلّ منهما في قومه لا يدخل على صاحبه».

«ثم إن جرهما وقُطُورَاءِ بغى بعضهم على بعض، وتنافسوا الملك بها، ومع مُضاض بنو إسماعيل وبنو نابت، وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع، فسار بعضهم إلى بعض؛ فخرج مُضاض بن عمرو من قُعَيْعَانَ في كتيبته سائراً إلى السَّمِيدَع ومع كتيبته عُذَّتْهَا من الرّماح والدَّرَقِ^(٤) والسيوف والجِعباب، يُقَعِّعُ بذلك فيقال ما سُمِّيَ قُعَيْعَانَ إلا لذلك. وخرج السَّمِيدَع من أَجْيَاد ومعه الخيل والرجال، فيقال ما سُمِّيَ أَجْيَادُ أَجْيَاداً إلا لخروج الجِيَاد من الخيل^(٥) منه مع السَّمِيدَع. فالتقوا بفاضح^(٦) واقتتلوا قتالاً شديداً، فَقَتِلَ السَّمِيدَع، وَفُضِّحَت قُطُورَاءُ؛ فيقال ما سُمِّيَ فاضِحٌ فاضِحاً إلا لذلك».

ثم إن القوم تداعوا إلى الصُّلح، فساروا حتى نزلوا المَطَابِخَ: شِغْباً بأعلى مكة، فأصطلحوا به، وأسلموا الأمر إلى مُضاض، فلما اجتمع إليه أمرُ مكة، وصار مُلْكُهَا له، نَحَرَ للناس فطبخوا وأكلوا، فيقال: ما سميت المَطَابِخُ إلا لذلك». وبعض أهل العلم يزعم أنها إنما سميت المطابخ لِمَا كان تُبْعُ نَحَرَ به وأطعم وكانت منزلة. والله أعلم».

«فكان الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أَوَّلَ بغْيٍ كان بمكة. ثم نشر الله ولد إسماعيل بمكة، وأخوالهم من جُزهم وُلَاةَ البيت والحكّام بمكة، لا يَنَازِعُهُمْ ولد إسماعيل في ذلك لخنولتهم وقربتهم، وإعظاماً للحرمة أن يكون بها بغْيٌ أو قتال؛ فلما ضاقت مكة على ولد إسماعيل أنتشروا في البلاد، فلا يناوئون قوماً إلا أظهرهم الله عليهم بدينهم».

«ثم إن جرهما بغوا بمكة، وأستحلّوا خِلَالاً من الحرمة، وظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها، وأكلوا مال الكعبة الذي يُهْدَى لها، فرقَّ أمرهم، فلما رأَت بنو بكر بن عبد

(١) قعيعان: بضم القاف الأولى، وكسر الثانية، وفتح العين: جبل بمكة. معجم البلدان: ٧: ١٣٣.

(٢) أجياذ: موضع بمكة مما يلي الصفا. معجم البلدان ١: ١٢٧.

(٣) يعشر: يأخذ عشر أموالهم.

(٤) الواحدة: دَرَقَةٌ، ضرب من الترسّة تتخذ من الجلود (اللسان: درق).

(٥) أجياذ: جمع جواد؛ يقال: فرس جواد: بين الجودة والجمع أجياذ.

(٦) فاضح: موقع قرب مكة عند جبل «أبي قيس». معجم البلدان: ٦: ٣٣٢.

مناة بن كنانة، وغُبْشان من خُزاعة^(١) معوا لحربهم وإخراجهم من مكة؛ فأذنوهم بالحرب فأقتتلوا، فغلبتهم بنو بكر وغُبْشان، فنفوهم من مكة؛ وكانت مكة في الجاهلية لا تُقَر فيها ظلمًا ولا بغيًا.

قال ابن إسحاق: «فخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرْهُمِيّ بَغْزَالِي الكعبة^(١) ويَحْجَر الركن، فدفنها في زمزم؛ وانطلق هو ومن معه من جُرْهُم إلى اليمن. فحزّنوا على ما فارقوا من أمر مكة ومُلْكها حزنًا شديدًا؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض في ذلك، وليس بمُضاض الأكبر». والله المعين: [من الطويل]

وقائلة والدمع سكب مُبادر	وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأذن لم يكن بين الحجون ^(٢) إلى الصفا	أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كائما	يلجلج له بين الجناحين طائر
بلى! نحن كنا أهلها فأزالنا	صروف الليالي والجدود ^(٣) العوائر
وكنا ولاة البيت ^(٤) من بعد نابت	نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت	بعز فما يحظى لدينا المكائر
ملكنا فعزّزنا فأعظم بملكنا	فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تُنكحوا من خير شخص ^(٥) علمته	فأبناؤه منا ونحن الأصاهر
فإن تنش الدنيا علينا بحالها ^(٦)	فإن لها حالاً وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدره	كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم:	أذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجهها لا أحبها	قبائل منها حمير ويحابر ^(٧)
وصرنا أحاديثًا وكنا بغبطة	بذلك عضتنا السنون الغوابر ^(٨)

(١) هما تمثالان لغزاليين من ذهب، دفنهما عمرو بن الحارث في زمزم. انظر الروض الأنف: ١ : ٩٧، ١٠١، وشرح المواهب: ١ : ٩٢.

(٢) الحجون: بفتح الحاء جبل بأعلى مكة، معجم البلدان: ٣ : ٢٢٧.

(٣) الجد: الحظ، والعوائر: السيئة.

(٤) البيت: الكعبة الشريفة.

(٥) يريد إسماعيل عليه السلام. الخشني: ١ : ٣٨.

(٦) الحال: مذهب خير أو شر.

(٧) يحابر: يوزن (يقاتل): قبيلة من اليمن، أو قبيلة مراد. انظر تاج العروس (حبر)، الخشني: ١ : ٣٨.

(٨) الغوابر: الماضية.

وبدلنا كعبَ بها دارَ غربة بها الذئب يَغوي والعدو المكاشرُ
فَسَحَّتْ^(١) دموعُ العين تَبْكِي لبلدة بها حرم أمنٌ وفيها المشاعر^(٢)
وتَبْكِي لبیتٍ ليس يُؤدّي حَمَامُهُ يَظَلُّ به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوشٌ لا تُرام أنيسة إذا خَرَجْتَ منه فليست تُغادر
وقال أيضًا يشير إلى بَكْرِ وَغُبْشَانَ الذين خَلَفُوا مكة بعدهم: [من البسيط]
يا أيها الناسُ سِروا إنَّ قَصْرَكُمْ^(٣) أن تُصْبِحُوا ذاتَ يومٍ لا تَسِيرُونَا
حُتُّوا المِطْيَ وأرْخُوا من أَرْمَتِهَا^(٤) قبلَ المماتِ وَقَضُوا ما تُقْضُونَا
كُنَّا أَناسًا كما كُنْتُمْ فغَيَّرْنَا دَهْرًا فَأَنْتُمْ كما كُنَّا تَكُونُونَا
قال ابن هشام^(٥): «حدّثني بعض أهل العلم بالشعر؛ أن هذه الأبيات أوّل شعر قيل في العرب، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ بِالْيَمَن، ولم يَسْمَ لي قائلها».

قال ابن إسحاق: «ثم إنَّ غُبْشَانَ من خُزاعة وَلِيَتْ البيت دون بني بَكْرِ بن عبد مناة، وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحارث الغُبْشاني، وقُرَيْشٌ إذ ذاك حُلُول وصرم^(٦)، وبيوتات متفرّقون في قومهم من بني كنانة، فوليت خُزاعة البيت يتوارثون ذلك كابراً عن كابر، حتى كان آخرهم حُلَيْل بن حُبْشية ابن سَلُول بن كَعْب بن عمرو الخُزاعي. فخطب قُصَيّ بن كِلَاب إلى حُلَيْل أبنته حُبَيّ، فرغب فيه حُلَيْل فزوَّجه، فولدت له عبدَ الدار، وعبدَ مَنَاف، وعبدَ العُزَيّ وعبدًا».

«فلما انتشر وَلَدُ قُصَيّ وكثُرَ ماله، وعظُمَ شرفُه هلك حُلَيْل، فرأى قُصَيّ أنه أولى بالكعبة، وبأمر مكة من خُزاعة وبني بَكْرِ، وأنَّ قريشًا مَزَعَةً^(٧) إسماعيل بن إبراهيم وضريح ولده، فكلمَ رجالاً من قُرَيْشٍ وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بَكْرِ من مكة، فأجابوه».

(١) سحت: سالت، واشتد انصبابها (اللسان: سحج).

(٢) المشاعر: مواضع مشهورة يتعبد فيها. الخشني: ١: ٣٨.

(٣) قصركم: نهايتكم وغايتكم.

(٤) الأزمة: واحدها: زمام، وهو الحبل.

(٥) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، مؤرخ. كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر، أشهر كتبه «السيرة النبوية - ط» المعروف بسيرة ابن هشام (الأعلام: ٤: ١٦٦) .. ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م.

(٦) الحلول: جماعة البيوت المجتمعة، والصرم الجماعة ينزلون بإبلهم ناحية على الماء.

(٧) في سيرة ابن هشام: ١: ١٢٣ «قرعة» بالقاف، والقرعة بضم القاف: نخبة الشيء، وخياره، والمقصود بالقرعة هنا أن قريشاً أعلى ولد إسماعيل.

وكان ربيعة بن حرام من عُدرة بن سَعْد بن زيد مَناة قد قَدِم مكة بعد هلاك كِلاب، فتزوّج فاطمة بنت سَعْد بن سَيْل - وزُهرَةُ يومئذ رجل، وقُصَيّ فطيم - فاحتملها إلى بلاده، فحملت قُصَيًّا معها وأقام زُهرَةُ، فولدت لربيعة رِزاحًا، فلما بلغ قُصَيُّ وصار رجلًا أتى مكة فأقام بها، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رِزاح بن ربيعة، يدعوهُ إلى نُضرته والقيام معه؛ فخرج رِزاح بن ربيعة ومعه إخوته: حُن بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلْهُمة بن ربيعة، وهم لغير فاطمة، فيمن تبعهم من قُضاة في حاج العرب، وهم مُجمِعون لُنْضرة قُصَيِّ.

«وكان الغوث بن مُر بن أَد بن طابخة بن إلياس بن مُضَر يلي الإجازة للناس بالحج من عَرَفَة، وولده مِن بعده، وكان يقال له ولولده صُوفة»^(١). وإنما ولي الغوث ذلك لأنَّ أمه كانت من بني جُزهم، وكانت لا تَلِد، فنذرت لله إن هي وَلَدَت رجلًا أن تَصَدِّق به على الكعبة عبدًا لها يخدمُها، ويقوم عليها؛ فولدت الغوث، فكان يقوم على الكعبة في الدَّهر الأوَّل مع أخواله من جُزهم، فولي الإجازة بالناس من عَرَفَة لمكانه الذي كان به من الكعبة، وولده مِن بعده حتى انقرضوا».

«وكان الغوث بن مُر إذا دفع بالناس قال: [من الرجز]

لا هُمَّ إني تابع تَباعَه إن كان إثم فعلى قُضاة»^(٢)

قال ابن إسحاق: «كانت صُوفة تدفع بالناس من عَرَفَة، وتُجيز بهم إذا نفروا مِن منى، حتى إذا كان يومُ النَّفَر^(٣) أتوا لرَمي الجِمار، ورجل من صُوفة يَرْمِي للناس، لا يَرْمُون حتى يَرْمِي، فكان ذوو الحاجات المتعجِّلون يأتونه فيقولون له: قم فأرم حتى نرمي مَعَكَ فيقول: لا والله، حتى تَمِيلَ الشمس؛ فَيَظَلُّ ذوو الحاجات يرمونه بالحجارة ويقولون له: ويلك! قم فأرم، فيأبى عليهم؛ حتى إذا مالت الشمس قام فرمى، ورمى الناس معه».

«فإذا فرغوا من رمي الجِمار، وأرادوا النَّفَر من منى أخذت صُوفة بجانبَي العَقبة، فحبسوا الناس وقالوا: أجيّزي صُوفة، فلم يَجُزْ أحد من الناس حتى يَمُرُوا، فإذا نفرت صُوفة ومضت خلّي سبيل الناس فأنطلقوا بعدهم؛ فكانوا كذلك حتى أنقضوا، فورثهم

(١) في سبب تسميته صوفه أقوال ذكرها السهيلي في الروض الأنف: ١: ٨٥.

(٢) التباعة: ما يتبعه الإنسان ويقتدي به، وإنما قال: «إن كان إثم». لأنه كان في قضاة من يستحل الأشهر الحرم، فجعل إثم ذلك عليهم الخشني ١: ٤٠.

(٣) يوم النَّفَر: قال ابن الأثير: هو اليوم الثامن من أيام التشريق. ويقال: يوم النفر وليلة النفر لليوم الذي ينفر الناس فيه من منى. (اللسان: نَفَر).

في ذلك بنو سَعْدِ بن زيد مَنَاة، من تميم، وكانت من بني سَعْدِ في آل صَفْوَانَ بن الحارث بن شَيْخَبَةَ؛ فكان صَفْوَانَ هو الذي يُجِيزُ الناس بالحج من عَرَفَةَ، ثم بنوه من بعده، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كَرِب بن صَفْوَانَ؛ وفي ذلك يقول أوس ابن مَعْرَاء من قصيدة: [من البسيط]

لا يبرح الناس ما حَجُّوا مُعَرَّفَهُمْ حَتَّى يُقَالَ أَجِيزُوا آلَ صَفْوَانَا^(١)

«وكانت الإفاضة في عَدَوَان يَتَوَارِثُونَ ذلك كَابِرًا عن كابر، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أَبُو سَيَّارَةَ عُمَيْلَةَ بن الأعزل، وكان أَبُو سَيَّارَةَ يدفع بالناس على أَتَانٍ له^(٢)، وبه ضُرب المَثَلُ: «أصبر من عَيْر أَبِي سَيَّارَةَ»^(٣)؛ لَأَنَّهُ دَفَعَ بِأَهْلِ المَوْسَمِ عليه أربعين عامًا».

نعود إلى أخبار قُصَيِّ بن كِلَاب، «فلما كان ذلك العام، فَعَلَتْ صُوفَةَ كما كانت تفعل، وقد عَرَفَتْ ذلك لها العرب، وهو دينٌ في أنفسهم من عَهْدِ جُرْهُمٍ وَخُزَاعَةَ وولايَتِهِمْ، فَأَتَاهُمْ قُصَيِّ بَمَنْ مَعَهُ من قومه من قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَقُضَاعَةَ عند العَقَبَةِ فقال: لَا تَجُزْ - لَنَحْنُ أَوْلَى بِهَذَا مِنْكُمْ -، ففَاتَلَوْهُ، فَأَقْتَتَلَ الناس قتالًا شَدِيدًا، ثم انهزمت صُوفَةُ، وَغَلِبَهُمْ قُصَيِّ على ما كان بأيديهم من ذلك».

«وانحازت عند ذلك خُزَاعَةُ وبنو بَكْرٍ عن قُصَيِّ، وعرفوا أَنَّهُ سَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الكَعْبَةِ وَأَمْرِ مَكَّةَ، فلما انحازوا عنه باداهم^(٤) وأَجْمَعَ لحربهم، وخرجت إليه خُزَاعَةُ وبنو بَكْرٍ، فَالتَقُوا واقتتلوا قتالًا شَدِيدًا حتى كَثُرَتِ القَتْلَى في الفَرِيقَيْنِ، ثم تداعوا إلى الصلح وأن يُحْكَمُوا بَيْنَهُمْ رَجُلًا من العرب، فحَكَمُوا يَغْمَرُ بن عَوْفٍ بن كَعْبٍ بن عامر بن لَيْثِ بن بَكْرٍ بن عبد مَنَاة بن كِنَانَةَ، فَقَضَى أَنْ قُصَيًّا أَوْلَى بالكعبة وَأَمْرَ مَكَّةَ من خُزَاعَةَ، وَأَنْ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصَيِّ من خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ مَوْضِعٌ يَشْدُخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَأَنْ مَا أَصَابَتْ خُزَاعَةَ وَبَنُو بَكْرٍ من قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَقُضَاعَةَ فَفِيهِ الدِّيَةُ مُؤَدَّاةٌ، وَأَنْ يُخْلِيَ بَيْنَ قُصَيِّ وَبَيْنَ الكعبة وَمَكَّةَ، فَسُمِّيَ يَغْمَرُ بن عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ الشَّدَاخَ، لَمَّا شَدَخَ مِنَ الدِّمَاءِ وَوَضَعَ مِنْهَا».

قال^(٥): «فولي قُصَيِّ البيتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ من منازلهم إلى مَكَّةَ، وَتَمَلَّكَ

(١) المعروف: الموقف بعرفات. ورواية اللسان (صوف - عرف): ولا يريمون في التعريف موقفهم.

(٢) الأتان: أنثى الحمار.

(٣) رواية الميداني: ١: ٢٧٧، ولسان العرب (سير): «أصبح من عير أبي سيارة».

(٤) باداهم: كاشفهم.

(٥) قال الأزهرى: كان يعمر الشَّدَاخَ أحد حكام العرب في الجاهلية، سمي شَدَاخًا لأنه حكم بين خُزَاعَةَ وَقُصَيِّ حين حكموه فيما تنازعوا فيه من أمر الكعبة، وكثر القتل فشَدَخَ دماء خُزَاعَةَ تحت قدمه وأبطها وقضى بالبيت لقُصَيِّ. (اللسان: شَدَخ).

على قومه وأهل مكة فملكوه، إلا أنه أقر للعرب ما كانوا عليه، وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه لا ينبغي تغييره؛ فأقر آل صفوان، وعدوان^(١)، والنساء، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاء الإسلام، فهدم الله به ذلك كله.

«فكان قصي أول من أصاب ملوكاً من بني كعب بن لؤي، وكانت إليه الحجابة، والسقاية، والرفادة، والنذوة، واللواء، فحاز شرف مكة كله، وقطع مكة رباعاً بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها، وتيمنت بأمره؛ فما تنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم غيرهم إلا في داره؛ يعقده لهم بعض ولده، وما تدرع^(٢) جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره، يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها».

«فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته، كالدين المتبع لا يعمل بغيره، وأتخذ لنفسه دار النذوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة؛ ففيها كانت قريش تقضي أمورها» قال الشاعر: [من البسيط]

قصي لعمرى كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر^(٣)

قال ابن إسحاق^(٤): «فلما فرغ قصي من حربه أنصرف أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه إلى بلاده». قال: «فلم يزل قصي على ذلك، فلما كبر ورق عظمه - وكان عبد الدار بكراً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب، وعبد العزى وعبد - قال لابنه عبد الدار: أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له، ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورهم إلا في دارك، فأعطاه داره: دار النذوة التي لا تقضي قريش أمراً إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة».

«وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن

(١) النساء: جمع ناسىء. وهم قوم من كنانة كان العرب إذا صدروا عن «منى» يقولون لأحد النساء: «أنسنا شهراً»، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، وبذلك تصبح الإغارة في شهر المحرم حلالاً لهم.

(٢) دُرعت الصبية: إذا لبست الدرع، درع المرأة قميصها.

(٣) رواية اللسان (جمع): - أبوكم قصي كان يدعى مجمعا - والبيت لحذافة بن غانم العذري.

(٤) سيرة ابن هشام: ١: ١٣٣، ١٣٦.

كَلَاب، فيصنع به طعامًا للحاج، فيأكله من لم تكن له سعة ولا زاد، وقُصِيَ هو الذي فرض ذلك، فقال لهم حين أمرهم به: يا معشر قُرَيْش، إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحج، حتى يصدروا عنكم، ففعلوا. قال^(١): «فلما هلك قُصَي ابن كَلَاب أقام أمره في قومه من بعده بنوه، فاختطوا مكة رباعًا، بعد الذي كان قد قطع لقومه^(٢) بها، فكانوا يعطونها في قومهم وفي غيرهم من خلفائهم، ويبيعونها، فأقامت قُرَيْش على ذلك معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع»، إلى أن كان ما نذكره إن شاء تعالى في هاشم بن عبد مناف.

وحكى أبو عبد الله محمد بن عائذ^(٣) الدمشقي في «مغازيه» زيادة في خبر قُصَي نذكرها في هذا الموضع، وإن كان قد نقص في غيره، فقال في أثناء ما حكاه:

«إن البيت كان حوله غَيْضَةٌ^(٤) والسَّيْل يدخله، ولم يُرفَع البيت حينئذ، فإذا قدم الحاج وطئوه حتى تذهب الغَيْضَة، فإذا خرجوا نبتت». قال: «فلما قدم قُصَي قطع الغَيْضَة، وأبنتى حول البيت دارًا، ونكح حُبَي بنت حُلَيْل».

وقال أيضًا: «إن قُصَيًا قال لامرأته حُبَي: قولي لجذتك تدلُّ بنتك على الحجر، فلم تزل بها حتى قالت: إني أعقل أنهم حين خرجوا إلى اليمن سرقوه، ونزلوا منزلاً وهو معهم، فبرك الجمل الذي كان عليه الحجر، فضربوه فقام، ثم ساروا فبرك، فضربوه فقام، ثم برك الثالثة فقالوا: ما برك إلا من أجل الحجر، ودفنوه، وذلك أسفل مكة، وإني لأعرف حيث برك، فخرجوا بالحديد وخرجوا بها معهم، فأرثهم حيث برك أولاً وثانيًا وثالثًا، فقالت: أحفروا ههنا. فحفروا حتى يتسوا منه، ثم ضربوا فأصابوه وأخرجوه، فأتي به قُصَي، فوضعه في الأرض، فكانوا يتمسحون به وهو في الأرض، حتى بَنَى قُصَي البيت». قال: «ومات قُصَي ودفن بالحجون». والله أعلم بالصواب.

وأما عبد مناف بن قصي فكنيته أبو عبد شمس، وأسمه المغيرة، وعبد مناف لقبه، وسبب ذلك أن أمه حُبَي بنت حُلَيْل الخزاعية أخدمته مائة، وكان مائة صنمًا عظيمًا لهم، فسمي عبد مائة به. ثم نظر قُصَي، فرآه يوافق عبد مائة بن كنانة، فحوّله

(١) القائل: ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام: ١: ١٣٨.

(٢) في الأصل: «قد وقع لقومه».

(٣) محمد بن عائذ بن أحمد القرشي، الدمشقي: كاتب من حفاظ الحديث، كان ثقة. له كتب منها: «الصوائف»، و«السيرة»، و«المغازي». (١٥٠ - ٢٣٣ هـ = ٧٦٧ - ٨٤٧ م). (الأعلام: ٦: ١٧٩).

(٤) غيضة: المغيض، ماء يجتمع، فينبت فيه الشجر (اللسان: غيض).

عبد مناف. قاله السُّهَيْلِيُّ. [و] مَنَاف «مَفْعَل» من أَنَاف يُنِيفُ إِنْافَةً، إِذَا أَرْتَفَعَ. وقال المَفْضَلُ: الإِنْافَةُ الإِشْرَافُ والْزِيَادَةُ، وبه سُمِّيَ عَبْدُ مَنَافٍ لَطُولُهُ، ومنه تقول: مائة وَنِيفٌ، أي شيء زائد على المائة.

وكان قُصَيٌّ يقول: لي أربعة بنين سَمِيتُ أَبْنِينَ بِإِلْهِي، وهما عبد مَنَافٍ وعبد العُزَّى، وواحدًا بداري، وهو عبد الدار، وواحدًا بي، وهو عبد قُصَيٍّ. حكاه محمد بن عائذ في «مغازيه» عن أم سلمة^(١).

وقال محمد بن سعد^(٢): «أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه قال: لما هلك قُصَيٌّ بن كِلَابٍ قام عبد مَنَافٍ بن قُصَيٍّ على أمر قُصَيٍّ بعده وأمر قُرَيْشٍ إليه، وأختط بمكة رباعًا بعد الذي كان قُصَيٌّ قطع لقومه».

قال: «وولد عبد مَنَافٍ ستة نفر، وست نسوة، وهم: عبد المُطَّلِبُ بن عبد مَنَافٍ وكان أكبرهم، وهو الذي عَقَدَ الحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنَ النَّجَاشِيِّ فِي مَتَجَرِّهَا إِلَى أَرْضِهِ، وَهَاشِمٌ، وَأَسْمُهُ عَمْرُو، وهو الذي عَقَدَ الحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنْ هِرْقُلَ لِأَن تَخْتَلَفَ إِلَى الشَّامِ أَمْنَةً، وَعَبْدُ شَمْسٍ بن عبد مَنَافٍ، وَتَمَاضِيرُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَحَيَّةٌ، وَقِلَابَةٌ، وَبَرَّةٌ، وَهَالَةٌ، وَأَمَّهُمْ عَاتِكَةُ الْكُبَرَى^(٣) بِنْتُ مُرَّةَ بن هِلَالٍ بن فَالِجٍ بن ثَعْلَبَةَ بن ذُكْوَانَ بن ثَعْلَبَةَ بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ بن مَنْصُورٍ بن عِكْرَمَةَ بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ عَيْلَانَ بن مُضَرَ. وَنَوْفَلٌ بن عبد مَنَافٍ، وهو الذي عَقَدَ الحِلْفَ لِقُرَيْشٍ مِنْ كِسْرَى إِلَى الْعِرَاقِ، وَأَبُو عَمْرٍو بن عبد مَنَافٍ، واسمه^(٤) عبيد، دَرَجٌ وَلَا عَقَبَ لَهُ، وَأَمَّهُمْ وَاقِدَةُ بِنْتُ أَبِي عَدِيٍّ، وهو عامر، بن عبد نُهْمٍ بن زَيْدٍ بن مَازِنٍ بن صَعْصَعَةَ؛ وَرَيْطَةُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَلَدَتْ بَنِي هِلَالٍ بن مُعَيْطٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ بن خُزَيْمَةَ، وَأَمَّهَا الثَّقَفِيَّةُ».

وأما هَاشِمٌ بن عبد مَنَافٍ، فَكُنِيَّتُهُ أَبُو نَضْلَةَ، وَقِيلَ: أَبُو يَزِيدٍ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يُكْنَى بِأَبْنَةِ أَسَدٍ، وَأَسْمُهُ عَمْرُو، وَهَاشِمٌ لَقَبٌ لُقِّبَ بِهِ. رُوي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ أَسْمُ هَاشِمٍ عَمْرًا، وَكَانَ صَاحِبَ إِيْلَافٍ قُرَيْشٍ، وَإِيْلَافٍ قُرَيْشٍ:

(١) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية الأوسية، ثم الأشهلية، من أخطب نساء العرب ومن ذوات الشجاعة والإقدام. وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه. (... نحو ٣٠ هـ = نحو ٦٥٠ م). (الأعلام: ١: ٣٠٦).

(٢) الطبقات: ١: ٤٢ (قسم أول).

(٣) هي إحدى النسوة اللواتي كنَّ يشترطن لشرفهن إذا تزوجن، أن يكون أمرهن بيدهن في المقام والرواح. انظر المعبر لابن حبيب ص ٣٩٩.

(٤) في الأصل: «ابن عبد مناف، وأبا عبيد» تصحيف.

(٥) في الأصل: «ابن عثمان» تصحيف.

دأب قُرَيْش، وهو أول من سَنَّ الرحلتين لقُرَيْش، تَرَحَّل إحداهما في الشتاء إلى اليمَن وإلى الحبشة إلى النجاشي، فيُكرمه ويحبوه، ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غَزَّة وربما بلغ أنقرة، فيدخل على قِنْصَر فيُكرمه ويحبوه؛ فأصابَت قُرَيْشًا سنواتٌ ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام، فأَمَرَ بِخُبْز كثير فخبز له، وحمله في الغرائر^(١) على الإبل حتى وافى مكة، فهشم ذلك الخبز، يعني كسره وثرده^(٢) ونحر تلك الإبل، ثم أمر بطبخها، ثم كفأ القدور على الجفان، فأشبع أهل مكة؛ فكان ذلك أول الحيا بعد السنة التي أصابتهم؛ فسُمي بذلك هاشمًا، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزُّبَيْري^(٣):
[من الكامل]

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنِتون عجاف^(٤)

قال: «فحسده أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان ذا مال، فتكلف أن يصنع صنيع هاشم فعجز عنه، فشمت به ناس من قُرَيْش، فغضب ونال من هاشم، ودعاه إلى المنافرة، فكره هاشم ذلك لسنه وقدره، فلم تدعه قُرَيْش وأحفظوه^(٥)» قال: «فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحَدَق تنحرها ببطن مكة، والجلاء عن مكة عشر سنين، فرضي أُمَيَّة بذلك، وجعلا بينهما الكاهن الخُزَاعِي، فنفر^(٦) هاشمًا عليه، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره، وخرج أُمَيَّة إلى الشام، فأقام بها عشر سنين؛ فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأُمَيَّة ثم ولي. هاشم الرِّفَادَة والسَّقَاية».

ذكر ولاية هاشم الرِّفَادَة والسَّقَاية

قال: «إن هاشمًا، وعبد شمس، والمُطَلَب، ونُوفَلًا: بني عبد مناف أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قُصَيِّ مما كان قُصَيِّ جعل إلى عبد الدار من

(١) الغرائر: الجوالق، أي الأوعية (اللسان: غرر، جلق).

(٢) ثرد: كسر.

(٣) عبد الله بن الزُّبَيْري بن قيس السهمي القرشي أبو سعد (... نحو ١٥ هـ = نحو ٦٣٦ م). شاعر قريش في الجاهلية. كان شديدًا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه «حسان» أبياتًا، فلما بلغته عاد إلى مكة، فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة (الأعلام: ٨٧: ٤).

(٤) رواية ابن هشام في السيرة: ١: ١٤٤، والروض الأنف: ١: ٩٤: «لقومه قوم بمكة مسنتين عجاف». وهي التي تتفق مع قافية الأبيات - قبلها وبعدها - المكسورة. ومسنتين: أصابتهم سنة قحط.

(٥) أحفظوه: أغضبوه.

(٦) نفر الحكم: قضى لأحد المتنافرين بالغلبة على الآخر.

الحِجَابَةِ، واللَّوَاءِ، والرِّفَادَةِ، والسَّقَايَةِ، والنَّدْوَةِ، ورأوا أنهم أحقُّ به منهم لشرفهم عليهم، وفضلهم في قومهم، وكان الذي قام بأمرهم هاشم، فأبى بنو عبد الدار أن تُسلم ذلك إليهم، وقام بأمرهم عامرُ بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ فصار مع بني عبد مناف بن قُصَيِّ بنو أسد بن عبد العزَّى بن قُصَيِّ، وبنو زُهْرَةَ أبْنِ كِلَاب، وبنو تَيْم بن مُرَّة، وبنو الحارث بن فِهْر؛ وصار مع بني عبد الدار بنو مَخْزُوم وسَهْم، وِجْمَح، وبنو عَدِي بن كعب؛ وخرجت من ذلك بنو عامر بن لُؤَيِّ، ومُحَارِب بن فِهْر؛ فلم يكونوا مع واحد من الفريقين، فعقد كلُّ قوم على أمرهم حلفًا مؤكَّدًا: ألا يتخاذلوا، ولا يُسلمَ بعضهم بعضًا، «ما بَلَّ بَخْرٌ صَوْفَةً»^(١).

فأخرجت بنو عبد مناف، ومن صار معهم، جَفَنَةً^(٢) مملوءة طيبًا، فوضعوها حول الكعبة، ثم غَمَسَ القومُ أيديهم فيها، وتعاهدوا وتعاقدوا وتحالفوا، ومسحوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسَمُّوا المَطِيِّين، وأخرجت بنو عبد الدار ومن كان معهم جَفَنَةً من دم، فغَمَسُوا أيديهم فيها، وتعاهدوا وتحالفوا: ألا يتخاذلوا ما بَلَّ بَخْرٌ صَوْفَةً؛ فسَمُّوا الأحلاف، ولَعَقَهُ الدَّمُ^(٣)، وتهيئوا للقتال، وعَبَّتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ لِقَبِيلَةٍ؛ فبينما الناس على ذلك، إذ تَدَاعَوْا إلى الصُّلْحِ على أن يُعطوا بني عبد مناف بن قُصَيِّ السَّقَايَةَ والرِّفَادَةَ، وتكونَ الحِجَابَةُ واللَّوَاءُ ودارُ النَّدْوَةِ إلى بني عبد الدار كما كانت، ففعلوا، وتحاجز الناس؛ فلم تزل دار النَّدْوَةِ في بني عبد الدار، حتى باعها عِكْرَمَةُ بن عامر، بن هاشم، بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ، من مُعَاوِيَةِ بن أَبِي سُفْيَانَ؛ فجعلها مُعَاوِيَةُ دارَ الإمارة.

قال: ووليَّ هاشم بن عبد مناف بن قُصَيِّ السَّقَايَةَ والرِّفَادَةَ، وكان رجلًا مُوسِرًا، فكان يُخرج في كل عام مالا كثيرا، وكان قوم من قُرَيْشٍ أهلُ يَسَارٍ يترافدون، فيرسل كل إنسان بمائة مثقال هِرْقَلِيَّة، وغيرهم يرسل بالشيء اليسير على قدر حالهم، فكان هاشم، إذا حضر الحج، يأمر بحياضٍ من أَدَم، فتُجعل في موضع زَمَزَم، ثم يُسْتَقَى فيها الماء من البئار التي بمكة فيشربه الحاج، وكان يُطعمهم قبل التَّروِيَةِ^(٤) بيوم بمكة، وبمَنَى، وِجْمَع^(٥)، وعَرَفَةَ؛ وكان يَثْرُدُ لهم الخبز واللحم، والخبز والسَّمَن،

(١) يقصدون بمثل هذا التعبير تأييد الحكم؛ جاء في اللسان: «ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل بحر صوفة، ويقال: ما بل البحر الصوفة».

(٢) الجفنة: أعظم ما يكون من القصاص (اللسان: جَفَنَ).

(٣) سموا بذلك لأنهم لعقوا من ذلك الدم. انظر المحبر لابن حبيب ص ١٦٦.

(٤) التروية: يوم قبل يوم عرفة، وهو الثامن من ذي الحجة سمي به، لأن الحجاج يترؤون فيه من الماء، وينهضون إلى منى ولا ماء بها. (اللسان: روي).

(٥) جمع: علم للمزدلفة، معجم البلدان: ٣: ١٣٨.

والسويق^(١) والتمر، ويحمل لهم الماء، فيستقون بمئى، والماء يومئذ قليل، في حياض الأدم، إلى أن يصدروا من مئى، ثم تنقطع الضيافة ويتفرق الناس إلى بلادهم.

قال: «وهاشم بن عبد مناف هو الذي أخذ الحلف لقريش من قيصر أن تختلف أمنة، فكتب له كتاباً، وكتب إلى النجاشي أن يدخل قريشاً أرضه وكانوا تجاراً، فخرج هاشم في غير لقريش فيها تجارات، وكان طريقهم على المدينة، فنزلوا بسوق النبط، فصادفوا سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها، فباعوا واشتروا، ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق، فرأى امرأة تأمر بما يشتري ويبيع لها، فرأى امرأة حازمة جلدة مع جمال، فسأل هاشم عنها^(٢) أأيّم هي أم ذات زوج؟ ف قيل له أيّم كانت تحت أخنحة بن الجلاح، فولدت له عمراً ومعبداً ثم فارقتها، وكانت لا تنكح الرجال، لشرفها في قومها، حتى يشرطوا لها أن أمرها بيدها، فإذا كرهت رجلاً فارقتها؛ وهي سلمى بنت عمرو، بن زيد بن لبيد بن خدّاش، بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، فخطبها هاشم، فعرفت شرفه ونسبه فزوجته نفسها، ودخل بها وصنع طعاماً، ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه، وكانوا أربعين رجلاً من قريش، ودعا من الخزرج رجالاً، وأقام بأصحابه أياماً؛ فعلفت^(٣) سلمى بعبد المطلب، وولدت وفي رأسه شنية، فسُمي شنية. وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى بلغ غزّة فمات، ودفن بغزّة^(٤) وله عشرون سنة، وقيل خمس وعشرون سنة، ورَجَعُوا بتركته إلى ولده، وأوصى هاشم إلى أخيه المطلب بن عبد مناف.

«وحكى ابن الأثير أنه لما تزوج سلمى شرط لها أبوها ألا تلد ولداً إلا في أهلها، فحملها هاشم إلى مكة فحملت منه، فلما أثقلت^(٥) ردها إلى أهلها ومضى إلى الشام؛ وقيل: إنه لما ينقلها، وإنه خرج إلى الشام هو وعبد شمس، فماتا جميعاً بغزّة في عام واحد، وبقي مألهمما إلى أن جاء الله تعالى بالإسلام؛ فلما غزا رسول الله ﷺ آخر غزوة غزاها جاءه قيس بمألهمما، فدفع رسول الله ﷺ مال هاشم إلى العباس بن عبد المطلب، ففرقه على كبراء بني هاشم، ودفع مال عبد شمس إلى سُفْيَان بن حَرْب، ففرقه على كبراء بني عبد شمس.

(١) السويق: ما يتخذ من الحنطة والشعير.

(٢) الأيّم: التي لا زوج لها.

(٣) علقت: حملت.

(٤) ولذلك تضاف إليه فيقال: غزّة هاشم. وتقع في أقصى الشام من ناحية مصر. (معجم البلدان: ٦:

٢٩).

(٥) أثقلت: شارفت على الولادة.

وقد حكى ابن الأثير^(١): أن عبد شمس مات بمكة فقير بأجساد، وذلك بعد وفاة هاشم بغزة. قال: ثم مات نوفل بسلمان^(٢) من طريق العراق، ومات المطلب برذمان^(٣) من أرض اليمن والله أعلم.

وقيل^(٤): إن هاشماً وعبد شمس توأمان، وإن أحدهما ولد قبل الآخر، قيل: إن الأول هاشم، وقيل: إنهما ولدا وأصبح أحدهما ملتصقةً بجبهة صاحبه ففُحيت، فسال دمٌ فقيل يكون بينهما دمٌ. والله تعالى أعلم.

قال ابن الكلبي: وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نقر وخمسة نسوة، وهم: شيبّة الحمد، وهو عبد المطلب، ورُقّة ماتت وهي جارية لم تبرز^(٥)، وأُمّهما سلمى بنت عمرو، وأبو صيفي وأسمه عمرو وهو أكبرهم، وأمه هند، بنت عمرو، بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وأسَد بن هاشم وأمه قيلة، وكانت تُلقب الجزور^(٦)، بنت عامر بن مالك، بن جذيمة، وهو المُصطلق بن خُزاعة، ونُضلة بن هاشم، والشفاء، وأُمّهما أُميمة بنت عدي، ابن عبد الله بن دينار بن مالك بن سلامان بن سعد بن قُضاعة. والضّعيفة بنت هاشم، وخالدة بنت هاشم، وأُمّهما أم عبد الله، وهي واقدة بنت أبي عدي، ويقال عدي، وهو عامر بن عبد نُهم بن زيد بن مازن بن صُغصعة؛ وحية بنت هاشم، وأُمها أم عدي بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جُشم بن قسي وهو ثقيف. والله عز وجل أعلم بالصواب.

ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم

قال ابن قتيبة^(٧): «وأسمه عامر». والصحيح عندهم ما ذكره محمد بن

(١) في الكامل: ٢: ٧.

وهو: علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، أبو الحسن، عز الدين ابن الأثير (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ = ١١٦٠ - ١٢٣٣ م). المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتوفي بها. من تصانيفه «الكامل - ط» وأسَد الغابة في معرفة الصحابة. (الأعلام: ٤: ٣٣١).

(٢) سلمان: ماء قديم، وهو في طريقهم - أيام الجاهلية - من العراق إلى تهامة. معجم البلدان: ٥: ١١١.

(٣) رذمان: بفتح الراء بلد باليمن. (معجم البلدان: ٤: ٢٤٥) وفي الأصل «بريمان» تصحيف.

(٤) انظر الكامل لابن الأثير: ٢: ٧، والطبري: ٢: ١٨٠.

(٥) تبرز: تبلغ مبلغ النساء.

(٦) في الأصل: «الحزور» بالحاء، تصحيف.

(٧) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م). من أئمة =

إسحاق بن يسار وغيره أن اسمه شيبة، وكنيته أبو الحارث، كُتِيَ باسم ولده الحارث، وهو أكبر ولده.

ولعبد المطلب كنية أخرى، وهي أبو البطحاء؛ ولتسميته بهذين الاسمين، وتكنيته بأبي البطحاء أسباب نذكرها قريباً إن شاء الله تعالى. وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر بن غنم بن عدّي بن التجار.

وقال ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو بن لبيد بن [حرام بن]^(١) خدّاش بن جندب بن عدّي بن التجار.

وقد تقدم آنفاً خبر زواج هاشم بها.

ذكر ما قيل في سبب تسميته وكنيته

أما سبب تسميته شيبه فقليل إن أمه ولدته وفي رأسه شيبه^(٢)، وكانت ظاهرة في ذؤابته، فسمّته شيبه، وذلك في غيبة أبيه. وقيل: إن أباه أوصاها إذا ولدت ذكراً أن تسميه شيبه، فهو شيبه الحمد.

وفي تسميته^(٣) عبد المطلب أنه لما مات هاشم أقام شيبه بالمدينة عند أمه إلى أن بلغ سبع سنين، فمّر رجل من بني الحارث^(٤) بن عبد مناف بالمدينة^(٥)، فإذا غلمان يتصلون^(٦)، فجعل شيبه إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء^(٧)، فقال له الحارثي^(٨): من أنت قال: أنا شيبه بن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب، وهو بالحجر^(٩): يا أبا الحارث، رأيت ابن أخيك هاشم يثرب، وأخبره بحاله، ولا يحسن بك أن تترك مثله، فقال المطلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي

= الأدب، ومن المصنفين الكثيرين، ولد ببغداد وسكن الكوفة، توفي ببغداد من كتبه «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار». (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(١) التكملة عن الطبري: ٢: ١٧٦.

(٢) تقدم ذلك عن ابن الأثير: ٢: ٤.

(٣) في الأصل: «وفي تسمية عبد المطلب»، ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في الخبر عن البشر: ٣: ٦٦ (قسم أول): «رجل من أهل تهامة».

(٥) في الطبري: ٢: ١٧٧: «عبد مناف يثرب».

(٦) يتصلون: يستبقون في رمي الأغراض بالسهم.

(٧) يريد بطحاء مكة وهي متسع سهل بها. انظر معجم البلدان: ١: ٢١٣.

(٨) في الأصل: «الحارث» تصحيف.

(٩) الحجر بالكسر: حجر الكعبة، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس إبراهيم عليه السلام.

وحجرت على الموضع ليعلم أنه من الكعبة. معجم البلدان: ٣: ٢٢١، تاج العروس (حجر).

به؛ فأعطاه الحارثي ناقته فركبها وقدم المدينة عشاء، فإذا غلمان يضربون كرة، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: هذا^(١) ابن هاشم؟ قالوا: نعم، فبلغ أمه أنه جاء ليأخذه فقالت: والله لو أن لك مالا^(٢) مثل أخذ ما أعطيتك إياه، فقال: لا أنصرف حتى أخرج به؛ إن ابن أخي قد بلغ، وهو غريب عن قومه. فيقال: إنها دفعته إليه فأخذه بإذنها. وقيل: إنه أخذه اختلاسا، وأعانه على أخذه رجل من خزاعة.

وقال ابن سعد في طبقاته^(٣) عن محمد بن واقد الأسلمي^(٤): إن ثابت بن المنذر ابن حرام، وهو أبو حسان بن ثابت^(٥) الشاعر، قدم مكة معتمرا، فلقي المطلب، وكان له خليلا، وكان المطلب قد ولي السقاية والرفادة بعد موت هاشم، فقال له ثابت: لو رأيت ابن أخيك شبيهة فينا لرأيت جمالا وهيبة وشرفا؛ لقد نظرت إليه، وهو يناضل^(٦) فتيانا من أخواله، فيدخل مرماتيه^(٧) جميعا في مثل راحتي هذه، ويقول كلما خسق^(٨): أنا ابن عمرو العلى! فقال المطلب: لا أنسي حتى أخرج إليه فأقدم به، فخرج فورد المدينة، فنزل في ناحية، وجعل يسأل عنه حتى وجده يرمي في فتيان من أخواله، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه، ففاضت عيناه، وضمه إليه وكساه حلة يمانية، وأنشأ يقول:

[من البسيط]

عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالتَّجَارُ قَدْ حَفَلَتْ أَبْنَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ
عَرَفْتُ أَجْلَادَهُ مَنَا وَشَيْمَتَهُ ففَاضَ مَتْنِي عَلَيْهِ وَابِلُ سَبِلُ^(٩)

- (١) في الطبري: «أهذا ابن هاشم».
- (٢) الكلمة في الأصل غير واضحة؛ ولعل ما أثبت أقرب إلى الأصل.
- (٣) في الطبقات: ١: ٤٨ (قسم أول).
- (٤) محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني أبو عبد الله الواقدي (١٣٠ - ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ - ٨٢٣ م): من أقدم المؤرخين في الإسلام ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث ولد بالمدينة انتقل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ في أيام الرشيد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه: «المغازي النبوية - ط» و«تفسير القرآن» (الأعلام: ٦: ٣١١).
- (٥) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو اليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ. وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام (... - ٥٤ هـ = ... - ٦٧٤ م) (الأعلام: ٢: ١٧٥).
- (٦) يناضل إخوانا: يباريهم في الرمي.
- (٧) المرماتان: سهمان يرمي بهما الرامي فيحرز سبقه.
- (٨) خسف الهم: أصاب الغرض.
- (٩) أجداد الإنسان: جماعة شخصه، ومن كلامهم: «ما أشبه أجداده بأجداد أبيه، أي شخصه وجسمه». أسبل الدمع: هطل.

فَأَرْسَلْتُ سَلَمَى إِلَى الْمُطَلِّبِ، فَدَعَتْهُ إِلَى التَّزْوُلِ عَلَيْهَا فَقَالَ: شَأْنِي أَخْفُ مِنْ ذَلِكَ؛ مَا أُرِيدُ أَنْ أَحُلَّ عُقْدَةً حَتَّى أَقْبِضَ ابْنَ أَخِي فَأَلْحِقَهُ بِبَلَدِهِ وَقَوْمِهِ فَقَالَتْ: لَسْتُ بِمُرْسِلَتِهِ مَعَكَ، وَغَلَّظْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي غَيْرُ مَنْصَرِفٍ حَتَّى أَخْرُجَ بِهِ مَعِي، فَإِنَّ الْمَقَامَ بِبَلَدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَقَامِ هَهُنَا، وَهُوَ ابْنُكَ حَيْثُ كَانَ؛ فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ غَيْرُ مَقْصُرٍ حَتَّى يَخْرُجَ بِهِ اسْتَنْظَرَتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَتَحَوَّلَ الْمُطَلِّبُ إِلَيْهِمْ وَنَزَلَ عِنْدَهُمْ، وَأَقَامَ ثَلَاثًا ثُمَّ أَحْتَمَلَهُ وَانْطَلَقَا جَمِيعًا، وَدَخَلَ بِهِ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ! فَقَالَ: وَيَحْكُمُ إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أَخِي شَيْبَةَ بْنِ عَمْرٍو.

وقيل: إنه لما دَخَلَ إِلَى مَكَّةَ دَخَلَهَا وَشَيْبَةُ مَعَهُ عَلَى مَا عَجَزَ نَاقَتُهُ، وَذَلِكَ ضُحَى^(١)، وَالنَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، فَقَامُوا: يُرْحَبُونَ بِقُدُومِ الْمُطَلِّبِ وَيَقُولُونَ لَهُ: مَنْ هَذَا مَعَكَ؟ مِنْ هَذَا وَرَاءَكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا عَبْدِي، وَفِي رَوَايَةٍ هَذَا عَبْدٌ أَتْبَعْتَهُ بَيْتْرِبَ، فَأَدَخَلَهُ الْمُطَلِّبُ مَنْزِلَهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتُ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ، فَقَالَتْ: مَنْ هَذَا مَعَكَ، قَالَ: عَبْدٌ لِي؛ وَأَشْتَرَى لَهُ حُلَّةً^(٢) فَلَبِسَهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ الْعَشِيُّ إِلَى مَجْلِسِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ؛ فَجَعَلَ شَيْبَةُ يَطُوفُ بِمَكَّةَ، فَإِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ قَالُوا: هَذَا عَبْدُ الْمُطَلِّبِ، فَغَلَبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

وَفِي تَكْنِيَّتِهِ بِأَبِي الْبَطْحَاءِ أَنَّهُ اسْتَسْقَى^(٣) لِأَهْلِ مَكَّةَ فَسُقُوا لَوْقَتِهِمْ، فَقَالَ لَهُ مَشَايخُ قُرَيْشٍ عِنْدَ ذَلِكَ: هَنِيئًا لَكَ أَبَا الْبَطْحَاءِ. وَسَنَذْكُرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْقِصَّةَ بِطَوْلِهَا فِي الْمُبَشِّرَاتِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَهَذِهِ أَسْبَابُ تَسْمِيَّتِهِ وَتَكْنِيَّتِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ جَسِيمًا، أَبْيَضَ، وَسِيمًا، طَوَالًا، فَصِيحًا؛ مَا رَأَاهُ أَحَدٌ قَطُّ إِلَّا أَحَبَّهُ. قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَأَقَامَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بِمَكَّةَ حَتَّى أَدْرَكَ^(٤). وَخَرَجَ الْمُطَلِّبُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ تَاجِرًا إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ، فَهَلَكَ بَرْدَمَانٌ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ، فَوَلِيَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ بَعْدَهُ الرِّفَادَةَ وَالسَّقَايَةَ؛ فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ بِيَدِهِ وَهُوَ يُطْعِمُ الْحَاجَّ وَيَسْقِيهِمْ فِي حِيَاضِ الْأَدَمِ حَتَّى حَفَرَ زَمْزَمَ، فَتَرَكَ السَّقْيَ فِي الْحِيَاضِ، وَسَقَاهُمْ مِنْ زَمْزَمَ، وَكَانَ يَحْمِلُ الْمَاءَ مِنْ زَمْزَمَ إِلَى عِرْقَةٍ فَيَسْقِيهِمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ذَكَرَ حَفَرَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ زَمْزَمَ وَمَا وَجَدَ فِيهَا

قال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله بسندٍ رفعه إلى علي بن أبي طالب

(١) كذا في طبقات ابن سعد: ١ : ٤٨ (قسم أول)، وفي كامل ابن الأثير: ٢ : ٥ : «فقدما ضحوة».

(٢) حلة: ثوبًا.

(٣) استقى: صلى الله كي تمطر السماء بعد انحباس المطر.

(٤) أدرك: بلغ مبلغ الرجولة.

رضي الله عنه قال^(١): قال عبد المطلب؛ إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آت فقال: أحفر طيبة^(٢) قال: قلت: وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني؛ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فمنت فيه، فجاءني فقال: احفر زمزم، قال: قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تدم^(٣) تسقي الحجاج الأعظم، وهي بين الفرث^(٤) والدم، عند نقرة الغراب الأعصم^(٥)، عند قرية النمل^(٦). قال^(٧): فلما بين له شأنها، ودل على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمغوله^(٨)، ومعه ابنه الحارث، وليس له يومئذ ولدٌ غيره فحفر، فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم، وأعطيتُ من بينكم، قالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سَعْدِ بن هُذَيْم، قال: نعم، وكانت بمِمْعَانَ^(٩) من أشرف الشام فركب عبد المطلب ومعه نَفَرٌ من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب^(١٠) من كل قبيلة من قريش نَفَرٌ والأرض إذ ذاك مُفَاوِزٌ^(١١)، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام، فني ماء عبد المطلب وأصحابه، فظمُّوا حتى أيقنوا

- (١) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ١٥١ - ١٥٣.
- (٢) طيبة بكسر الطاء: علم على بئر زمزم، انظر تاج العروس (طيب). لا تنزف: أي لا يفنى ماؤها على كثرة الاستقاء، وفي طبقات ابن سعد ٢ : ٤٩ (قسم أول): «لا تنزح ولا تدم». وفي ابن الأثير: ٢ : ٥ : «قال: تراث من أبيك الأعظم لا تنزف ولا تدم».
- (٣) لا تدم: لهم في معنى «لا تدم» ثلاثة أقوال، أحدها: لا تعاب، والثاني لا تلفى مذمومة، والثالث: لا يوجد ماؤها قليلاً.
- (٤) الفرث: تفتيت الكبد من الغم والأذى (اللسان: فرث).
- (٥) الأعصم: الأحمر الرجلين والمنقار، وهو الذي في أحد جناحيه، أو في إحدى رجليه ريشة بيضاء (انظر تاج العروس: عصم).
- (٦) قرية النمل: الموضع الذي يجتمع في النمل.
- (٧) القائل هو ابن إسحاق، انظر السيرة: ١ : ١٥١.
- (٨) المعول: الفأس.
- (٩) مِمْعَانَ: بفتح الميم وضمها: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز: معجم البلدان: ٣ : ٩٣، تاج العروس (معن).
- (١٠) في الأصل: «من بني أمية، وركب»، والتصويب والتكملة عن سيرة ابن هشام: ١ : ١٥٢، وطبقات ابن سعد ١ : ٩ (قسم أول). وفي ابن الأثير: ٢ : ٥ وشرح المواهب للزرقاني: ١ : ٩٣ «ومعه نفر من بني عبد مناف».
- (١١) مفاوز: البراري المقفرة.

بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم، وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم؛ فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم، وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع رأيك، فمُرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة، ثم وازوه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فيموت ضيعة^(١)، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل رجل منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً؛ ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت عجز^(٢)، ألا نضرب في الأرض، ونبتغي لأنفسنا؟ فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد. ارتحلوا! فارتحلوا حتى إذا فرغوا، ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب إلى ناقته فركبها، فلما أنبعت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش فقال: هلموا إلى الماء، فقد سقانا الله، فأشربوا واستقوا، فجاءوا فشربوا واستقوا ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فأرجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

هذا أحد ما قيل في حفر زمزم.

وفي رواية أخرى: أنه قيل له: احفر زمزم، إنك إن حفرتها لم تندم، وهي ثراث من أبيك الأعظم، لا تنزف أبداً، ولا تدم، تسقي الحجيج^(٣) الأعظم، مثل نعام جافل^(٤) لم يقسم. ينذر فيها ناذر لمنعم، تكون ميراثه وعقداً مُحكم، ليست كبعض ما قد تعلم، وهي بين الفرث والدم^(٥).

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال: فأين هي؟ قيل له: عند قرية

(١) مات ضيعة: بكسر الصاد، أي غير مفقود ولا متعهد.

(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٥٢، وابن الأثير: ٢: ٦... للموت لا يضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز.

(٣) الحجيج: جمع حاج.

(٤) جافل: شارد.

(٥) قال ابن هشام (١: ١٥٤) «وهذا الكلام، والكلام الذي قبله من حديث علي رضي الله عنه في حفر زمزم، من قوله: «لا تنزف ولا تدم» إلى قوله: «عند قرية النمل» عندنا سجع وليس شعراً.

النَّمْل، حيث يَنْقُرُ الغُرَابُ غَدًا. فغدا عبدُ المطلب ومعه ابنه الحارث، فوجد قرية النَّمْل، ووجد الغُرَابُ يَنْقُرُ عندها بين الوثنيين: إِسَافَ وَنَائِلَةَ^(١): اللَّذِينَ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْحَرُ عَنْهُمَا ذَبَائِحَهَا، فجاء بالمِغُول، وقام ليَحْفِرَ حيثُ أَمِر، فقامت إليه قُرَيْشٌ حين رَأَوْا جَدَّهُ^(٢) فقالوا: والله لا نتركك تحفِرُ بين وَثْنَيْنَا هَذَيْنِ اللَّذَيْنِ نَنْحَرُ عَنْهُمَا؛ فقال عبد المطلب لابنه الحارث: دُذِّعْنِي حَتَّى أَحْفِرَ، فوالله لَأَمْضِيَنَّ لِمَا أُمِرْتُ بِهِ، فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ غَيْرُ نَازِعٍ^(٣) خَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَفْرِ وَكَفُّوا عَنْهُ، فَلَمْ يَحْفِرْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى بَدَأَ لَهُ الطَّيُّ، فَكَبَّرَ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ صُدِّقَ، فَلَمَّا تَمَادَى بِهِ الْحَفْرُ وَجَدَ فِيهَا غَزَالَيْنِ^(٤) مِنْ ذَهَبٍ، وَهُمَا الْغَزَالَانِ اللَّذَانِ دَفَنْتَ جُزْهُمَ فِيهَا حِينَ خَرَجْتَ مِنْ مَكَّةَ، وَوَجَدَ فِيهَا سَيْوِفًا قَلْعِيَّةً^(٥) وَأَذْرَاعًا، فَقَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: لَنَا مَعَكَ فِي هَذَا شِرْكٌ^(٦) وَحَقٌّ، قَالَ: لَا. وَلَكِنْ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِ نَصَفٍ^(٧) بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ؛ نَضْرِبُ عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ^(٨)، قَالُوا: وَكَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: أَجْعَلُ لِلْكَعْبَةِ قِدْحَيْنِ، وَلِي قِدْحَيْنِ، وَلَكُمْ قِدْحَيْنِ، فَمَنْ خَرَجَ قِدْحَاهُ عَلَى شَيْءٍ كَانَ لَهُ، وَمَنْ تَخَلَّفَ قِدْحَاهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ، قَالُوا: أَنْصَفْتَ، فَجَعَلَ قِدْحَيْنِ أَصْفَرَيْنِ لِلْكَعْبَةِ، وَقِدْحَيْنِ أَسْوَدَيْنِ لَهُ، وَقِدْحَيْنِ أَبْيَضَيْنِ لِقُرَيْشٍ، ثُمَّ أَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا عِنْدَ هُبْلٍ وَهَبْلٍ صَنْمٌ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ أَعْظَمُ أَصْنَامِهِمْ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو، وَضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ، فَخَرَجَ الْأَصْفَرَانِ عَلَى الْغَزَالَيْنِ لِلْكَعْبَةِ، وَخَرَجَ الْأَسْوَدَانِ عَلَى الْأَسْيَافِ وَالْأَذْرَاعِ لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ، وَتَخَلَّفَ قِدْحًا قُرَيْشٌ، فَضَرَبَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ الْأَسْيَافَ بَابًا لِلْكَعْبَةِ، وَضَرَبَ فِي الْبَابِ الْغَزَالَيْنِ، فَكَانَ أَوَّلُ ذَهَبٍ جَلِيَّتِهِ الْكَعْبَةُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ جَعَلَ الْقُفْلَ وَالْمِفْتَاحَ مِنْ ذَهَبِ الْغَزَالَيْنِ. وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ^(٩) وَقَدْ قَالَ: كَانَتْ جُزْهُمُ حِينَ أَحْسَوْا بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ دَفَنُوا غَزَالَيْنِ وَسَبْعَةَ

- (١) إِسَافَ «بوزن كتاب، وسحاب»: صنم وضعه عمرو بن الحكي الخزاعي على الصفا، ووضع نائلة (صنم أيضًا) على المروة، وحولهما قصة تجدها في كتاب الأصنام، وفي تاج العروس: (أسف).
- (٢) جده: تصميمه وعزمه.
- (٣) فزع عن الأمر: كف عنه.
- (٤) في الأصل: «فيها عين البئر من ذهب»، تحريف.
- (٥) القلعية: نسبة إلى القلعة بفتح فسكون، والمسمى بالقلعة موضعان أحدهما بالهند، والثاني باليمن، وإليهما معًا تنسب السيوف القلعية. وفي ابن سعد: ١: ٥٠ (قسم أول): «سيوفاً قلعية وأظفاراً».
- (٦) الشركة: الحصاة والنصيب.
- (٧) النصف: أن تعطي غيرك من الحق كالذي تأخذ لنفسك؛ العدل.
- (٨) القداح: جمع قدح (بكسر فسكون)؛ وهو سهم بغير نصل كانوا يستقسمون به. انظر كتاب الميسر والقداح لابن قتيبة ص ٣٨.
- (٩) سبقت ترجمته.

أسياف قلعية، وخمسة أذراع سوابغ، فوجدها عبد المطلب.
هذا خبر حفر زمزم وما وجد فيها، وقد تقدّم ذكر سبب خبر رذمها في أثناء
أخبار قصي بن كلاب؛ فلنذكر من أخبار عبد المطلب خلاف ذلك. والله الموفق
للصواب.

ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قيس عيلان^(١) وهذيل ومن معهم

حكى الزبير بن بكار^(٢) في أنساب قريش وبني هاشم، وبني عبد المطلب قال:
روى إبراهيم بن محمد الشافعي عن أبيه، عن الوليد بن خالد المخزومي عن سعد بن
حذافة الجُمحي، عن محمد بن عطية العوفي، عن رجل من هذيل قال: قحطت بلاد
قيس، وأجدبت فلم تُصبهم سماء يعقد بها الثرى، ولا ينبت بها الكلاء^(٣)، فذاب
الشحم، وذهب اللحم، وتهافتوا ضراً^(٤) وهزلاً، فأجتمعوا للمشورة وإجالة الرأي،
وقد عزموا على الرحلة وانتجاع البلاد، فقالت فرقة منهم: أنتجعوا بلاد سعد ويطن
العُشر^(٥)، وقالت فرقة أخرى: إن تميماً عددٌ كثير لا يفضل منهم ما يكفيكم، وقالت
فرقة أخرى: لينتجع كل ولد أب منكم ولد أب من غيركم، وأعقدوا معهم حلفاً
تشركونهم به في ريعهم^(٦)؛ فقام رجل حسن الوجه، مجتمع الخلق، جيد الرأي،
فقال: يا بني عيلان^(٧)، إنكم قد أصبحتم في أمر ليس بالهزل؛ هذا أمرٌ عظيم خطرُه،
متباعد أمرُه، قد بلغنا أن عبد المطلب بن هاشم سيد البطحاء استسقى فسقى، ودعا
فأجيب، وأستجير به فأجار، فأجعلوا قصدكم إليه، ووفادتكم عليه، فإن ذلك أوكد
للسبب^(٨)، وأوجه في الطلب، قالوا: أحسن الرأي، فرحلت قيس وهذيل، ومن دنا

(١) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.

(٢) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي. عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية، ولد في
المدينة وتوفي فيها. له تصانيف منها «أخبار العرب، وأيامها» و«نسب قريش وأخبارها». (١٧٢ -
٢٥٦ هـ = ٧٨٨ - ٨٧٠ م) (الأعلام: ٣: ٤٢).

(٣) الكلاء: العشب.

(٤) الضر: سوء الحال.

(٥) العُشر: العُشر بضم ففتح: شعب لهذيل قرب مكة، أو وادٍ في ديار تميم بين البصرة ومكة.
اللسان: عشر.

(٦) الربع: المنزل. وفي الأصل: «ريعهم».

(٧) في الأصل: «غيلان» بالمعجمة، تصحيف.

(٨) للسبب: للغاية.

منهم حتى أتوا عبد المطلب، فقالوا: أفلح الوجه أبا الحارث! نحن ذؤوا أرحامك الواشجات^(١)، أصابتنا سنون مُجْدِيَّات، أهزلن السمين، وأنفذن^(٢) المَعِين، وقد بلغنا خبرك، وبان^(٣) لنا أمرُك، وكلامًا نحو هذا.

فقال: موعدكم جبل عَرَفَات، ثم خرج في بنيه وبني أُمَيَّة حتى أتى جَبَل عَرَفَات، فصعد الجبل فقال: اللَّهُمَّ رَبَّ الرِّيحِ العاصف، والرَّعدِ القاصف، والبرقِ الخاطف، مُنْشِئَ السَّحاب، ومالك الرِّقاب، ذي المَنِّ العظام، والأَيادي الجسام؛ هذه مُضَرُّ خَيْرِ البَشَر، تشكو سوء الحال، وشدة الإمحال، قد أَحْدَوْدَبَتْ ظُهُورُهَا، وَغَارَتْ عِيُونُهَا، وَشَعِثَتْ شَعُورُهَا، وَقَدْ خَلَفُوا نِسَاءَ ضُلْعًا، وَصِيبَانًا رُضْعًا، وَبِهَائِمَ رُتْعًا. فَاتَهُمُ اللَّهُمَّ رِيحًا جَرَّارَةً، وَسَحَابًا دَرَّارَةً، تُضْحِكُ أَرْضَهُمْ، وَتَكْشِفُ ضُرَّهُمْ، فَمَا فَرَّغَ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى نَشَأَتْ سَحَابَةٌ دَكْنَاءُ فِيهَا وَدَقٌّ^(٤) شَدِيدٌ، فَقَالَ: هِيَ هِيَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ مُضَرِّ، ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ، فَارْجِعُوا وَأَخْضَرَّتْ أَرْضَهُمْ، وَكَثُرَتْ مِيَاهُهُمْ.

هذا ما أورده الزُّبَيْر بن بَكَّار راوي هذه القصة، والله أعلم. [و] كانت بعد أن استسقى لُقْرِيش، وذلك بعد مَوْلِدِ رسول الله ﷺ، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى مُسْتَوْفَى فِي الْمُبَشِّرَاتِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بعد هذا. والله تعالى عز وجل أعلم.

ذَكَرَ نَذْرَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ نَحَرَ ابْنِهِ

وَخَرُوجَ الْقِدَاحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِدَائِهِ

قال محمد بن سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ الْكُبْرَى^(٥)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَاقِدٍ الْأَسْلَمِيِّ بِسَنَدٍ رَفَعَهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إِنَّ عَبْدِ الْمُطَّلَبَ بْنَ هَاشِمٍ لَمَّا رَأَى قَلَّةَ أَعْوَانِهِ فِي حَفْرِ زَمْزَمَ نَذَرَ لِنِئْنِ أَكْمَلِ اللَّهِ لَهُ عَشْرَةَ ذُكُورٍ حَتَّى يَرَاهُمْ - أَنْ يَذْبَحَ أَحَدَهُمْ، فَلَمَّا تَكَامَلُوا عَشْرَةً وَهُمْ: الْحَارِثُ، وَالزُّبَيْرُ، وَأَبُو طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَالْغَيْدَاقُ^(٦)، وَالْمَقُومُ^(٧)، وَضِرَارُ، وَالْعَبَّاسُ. هَكَذَا نَقَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ، وَعَدَّ مِنَ الْعَشْرِ حَمْزَةَ وَالْمَقُومَ؛ وَبَرَدَ^(٨) هَذَا الْعَدَدُ مَا رُوِيَ أَنَّ عَبْدِ الْمُطَّلَبَ

(١) أرحام واشجة: متصلة متأكفة.

(٢) وأنفذن: في الأصل: «وانفذننا»، تصحيف.

(٣) في الأصل: «وبار لنا» ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) الودق: المطر كله، شديده وهينه (اللسان: ودق).

(٥) ٥٣: ١ (قسم أول).

(٦) اسم الغيداق: حجل، ولقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله.

(٧) المقوم: بكسر الواو المشددة وفتحها.

(٨) أورد الزرقاني في شرح المواهب: ١: ٩٤ هذا الاعتراض وناقشه.

لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، وقد عدّ محمد بن السائب الكلبي أولاد عبد المطلب الذكور اثني عشر، فيهم المغيرة، وقثم؛ وعدّهم الزبير بن بكار ثلاثة عشر فيهم عبد الكعبة، وحمزة، والمقوم، والمغيرة؛ هؤلاء الثلاثة إخوة أشقاء، كلهم لهالة بنت وهيب، وزواج عبد المطلب هالة هذه كان بعد الفداء على ما حكاه ابن سعد أيضًا عن الواقدي، ولعل العشرة تكمل بقثم وعبد الكعبة. والله تعالى أعلم.

فلنرجع إلى سياقة خبر محمد بن سعد قال: «فلما تكاملوا عشرة جمعهم، ثم أخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله به، فما اختلف عليه منهم أحد، وقالوا: أوف بنذرك، وأفعل ما شئت، فقال: ليكتب كل رجل منكم اسمه في قدح ففعلوا، فدخل عبد المطلب في جوف الكعبة وقال للسادن^(١): اضرب بقداحهم فخرج قدح عبد الله أولها، وكان عبد المطلب يحبه، فأخذ بيده يقوده إلى المذبح ومعه المذبة، فبكى بنات عبد المطلب وكنن قيامًا، وقالت إحداهن لأبيها: أعذر فيه بأن تضرب في إبلك السوائم التي في الحرم، فقال للسادن: اضرب عليه بالقداح، وعلى عشرة من الإبل، وكانت الدية يومئذ عشرة من الإبل، فضرب فخرج القدح على عبد الله، فجعل يزيد عشرًا عشرًا، كل ذلك يخرج القدح على عبد الله حتى كملت مائة، فضرب بالقداح فخرج على الإبل فكبر عبد المطلب والناس معه، وأحتمل بنات عبد المطلب أخاهن عبد الله، وقدم عبد المطلب الإبل فنحراها بين الصفا والمروة، وخلّى بينها وبين كل من وردها من إنسي أو سبع أو طائر، لم يذب^(٢) عنها أحدًا، ولم يأكل منها هو ولا أحد من ولده شيئًا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت الدية يومئذ عشرًا من الإبل، وعبد المطلب أول من سنّ دية النفس مائة من الإبل، فجرت في قريش والعرب مائة، وأقرها رسول الله ﷺ على ما كانت عليه.

هذا ما أورده محمد بن سعد في طبقاته. وقال أبو محمد عبد الملك^(٣) بن هشام في السيرة: قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم: لئن وُلِدَ له عشرة نفر، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه^(٤)، لينحرن أحدهم لله تعالى عند الكعبة، فلما توافى بنوه عشرة، وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم

(١) السادن: خادم بيت الأصنام.

(٢) يذب: رواية ابن سعد: ١: ٥٤ (قسم أول): «أو طائر، لا يذب». ويذب: يدفع.

(٣) السيرة: ١: ١٦٠. وانظر الطبري: ٢: ١٧٣.

(٤) يمنعوه: يحمونه.

أَخْبَرَهُمْ بَنَذَرَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَفَاءِ لِلَّهِ بِذَلِكَ، فَأَطَاعُوهُ وَقَالُوا كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: لِيَأْخُذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ قِدْحًا، ثُمَّ لِيَكْتُبَ فِيهِ أَسْمَهُ، ثُمَّ أَتُونِي، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَتَوْهُ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى هُبَلٍ^(١) فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ هُبَلٌ عَلَى بَثْرِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْبَثْرُ هِيَ الَّتِي يُجْمَعُ فِيهَا مَا يُهْدَى لِلْكَعْبَةِ، وَكَانَ عِنْدَ هُبَلٍ قِدَاحٌ سَبْعَةٌ، كُلُّ قِدْحٍ مِنْهَا فِيهِ كِتَابٌ، قَدَحٌ فِيهِ «الْعَقْلُ» إِذَا اخْتَلَفُوا فِي «الْعَقْلِ»^(٢) مَنْ يَحْمِلُهُ مِنْهُمْ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ السَّبْعَةَ، فَعَلَى مَنْ خَرَجَ قَدْحُ «الْعَقْلِ» حَمَلَهُ؛ وَقَدَحٌ فِيهِ «نَعَمْ» لِلأَمْرِ إِذَا أَرَادُوهُ يَضْرِبُ بِهِ فِي الْقِدَاحِ، فَإِنْ خَرَجَ قَدْحُ «نَعَمْ» عَمِلُوا بِهِ؛ وَقَدْحٌ فِيهِ «لَا»، فَإِنْ خَرَجَ ذَلِكَ الْقَدْحُ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ الْأَمْرَ؛ وَقَدْحٌ فِيهِ «مَنْكُمْ»؛ وَقَدْحٌ فِيهِ «مُلْصَقٌ»؛ وَقَدْحٌ فِيهِ «مِنْ غَيْرِكُمْ»؛ وَقَدْحٌ فِيهِ «الْمِيَاهُ» إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْفِرُوا لِلْمَاءِ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ فِيهَا ذَلِكَ الْقَدْحُ، فَحَيْثُمَا خَرَجَ عَمِلُوا بِهِ.

وَكَانُوا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَخْتَنُوا غُلَامًا أَوْ يُنْكِحُوا مَنَكْحًا أَوْ يَدْفِنُوا مَيِّتًا، أَوْ شَكَّوْا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ، ذَهَبُوا إِلَى هُبَلٍ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَجَزُورٍ^(٣)، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يُرِيدُونَ بِهِ مَا يُرِيدُونَ، ثُمَّ قَالُوا: يَا إِلَهَنَا! هَذَا فُلَانٌ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا، فَأَخْرَجَ الْحَقُّ فِيهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ: اضْرِبْ! فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ «مَنْكُمْ» كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا^(٤)، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ «مِنْ غَيْرِكُمْ» كَانَ حَلِيفًا، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ «مُلْصَقٌ» كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ، لَا نَسَبَ لَهُ وَلَا حِلْفَ، وَإِنْ خَرَجَ^(٥) فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ «نَعَمْ» عَمِلُوا بِهِ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ «لَا» أَخْرَوْهُ عَامَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى، يَنْتَهَوْنَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ؛ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَصَاحِبَ الْقِدَاحِ: أَضْرِبْ عَلَى بَنِيِّ هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ، وَأَخْبِرْهُ بَنَذَرَهُ الَّذِي نَذَرَهُ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِدْحَهُ الَّذِي فِيهِ أَسْمُهُ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ^(٦)، وَهُوَ أَحَبُّ وَلَدِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ، ثُمَّ ضَرَبَ

(١) هبل: في الطبري: ٢: ١٧٣: «وكانت هبل أعظم أصنام قريش، وكانت على بثر في جوف». انظر الزرقاني: ١: ٩٥.

(٢) العقل: الدية.

(٣) الجزور: الناقة.

(٤) الوسيط: الخالص النسب.

(٥) في الأصل: «وخرج فيه شيء»، تصحيف، والتصويب عن الطبري: ٢: ١٧٣.

(٦) لعله يريد كان أصغر بنيه حين أراد الوفاء بنذره، ويوجب هذه التوجيه أنه قد سلف له أن عبد المطلب لم يتزوج أم حمزة إلا بعد الفداء، فيكون بذلك ولده منها أصغر من عبد الله.

صاحبُ القِدَاح فخرج القِدَح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشُّفرة، ثم أقبل إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قُرَيْش من أنديتها فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قُرَيْش وبئوه: والله لا تذبحه حتى تُعذِر^(١) فيه؛ لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاء الناس على هذا؟ وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة - وكان عبد الله ابن أخت القوم -: لا تذبحه حتى تُعذِر فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فدَيْنَاهُ، وقالت له قُرَيْش وبئوه: لا تفعل، وأنطلق به إلى الحجاز فإن به عَرَافَةً لها^(٢) تابع فسَلَّها، ثم أنت^(٣) على رأس أمرِك، إن أمرتْكَ بذبحه ذبحته، وإن أمرتْكَ بأمر لك وله فيه مخرج قَبِلته، فانطلقوا، حتى قَدِموا المدينة فوجدوها - فيما يزعمون - بخَيْرٍ فركبوا إليها حتى جاءوها فسألوها، وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه، فقالت لهم: قد جاءني الخبر كم الدية فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم وقربوا عشرًا من الإبل، ثم أضربوا عليها وعليه بالقِدَاح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربُّكم، وإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربُّكم ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قَدِموا مَكَّة، وفعلوا ذلك، والقِدَاح تقع على عبد الله، وعبد المطلب يزيد عشرًا عشرًا، وهو قائم يدعو حتى بلغت الإبل مائة، فخرج القِدَح على الإبل، فقالت قُرَيْش ومن حضر: قد أنتهى رضي ربِّك يا عبد المطلب، فقال عبد المطلب: لا والله! حتى أضرب عليه بالقِدَاح ثلاث مرات، فضربوا على عبد الله وعلى الإبل، وعبد المطلب قائم يدعو، فخرج القِدَح في كل مرة على الإبل فتجرت عند ذلك. وذكر نحو ما تقدّم.

ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب آمنه بنت وهب أم النبي ﷺ

روى محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسندٍ يرفعه، قال: كانت آمنه بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة^(٤) بن كلاب، في حجر عمها وهيب بن عبد مناف،

(١) في الأصل: «تعذر عنه»، تصحيف.

(٢) اسمها قطبة في قول، وسجاح في قول آخر. انظر السهيلي ١: ١٠٣، والبداية: ٢: ٢٤٨.

(٣) في الأصل: «ثم آيت»، والمثبت عن ابن هشام: ١: ١٦٢، والطبري: ٢: ١٧٤، والبداية: ٢: ٢٤٨.

(٤) زهرة: بضم الزاي وسكون الهاء، وفي صحاح الجوهري «زهر» أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة. قال السهيلي: ١: ٧٩: «وهذا منكر غير معروف، وإنما زهرة جدّهم كما قال ابن إسحاق»، وقال: اسم زهرة المغيرة. وانظر الزرقاني ١: ١٠٣، وتاج العروس (زهر).

فمشى إليه عبد المطلب بابنه عبد الله أبي النبي ﷺ، فخطب عليه آمنة فزوجهما عبد الله، وخطب إليه عبد المطلب بن هاشم في مجلسه ذلك أبنته هالة بنت وهيب على نفسه، فزوجه إياها، فكان تزوجهما في مجلس واحد، فولدت هالة لعبد المطلب حمزة، وكان حمزة عم رسول الله ﷺ في النسب، وأخاه من الرضاعة.

ونقل أبو عمر^(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر^(٢) رحمه الله: أن عبد الله بن عبد المطلب تزوج آمنة وهو ابن ثلاثين سنة. قال: وقيل: بل كان يومئذ ابن خمس وعشرين سنة.

وعن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه، وعن أبي الفياض الخثعمي^(٣) قال: لما تزوج عبد الله آمنة أقام عندها ثلاثاً، وكانت تلك السنة عندهم.

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام^(٤) عن محمد بن إسحاق: إن عبد المطلب لما قذى ابنه عبد الله أخذ بيده، وخرج به حتى أتى وهب بن عبد مناف بن زهرة، وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً، فزوجه أبنته آمنة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، قال: فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها^(٥) مكانه فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ.

ذكر خبر المرأة التي عرّضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب وما أبدته من سبب ذلك

قد اختلف في هذه المرأة، فمنهم من يقول: هي قتيلة، بنت نوفل، بن أسد، بن عبد العزى بن قصي وهي أخت^(٦) ورقة بن نوفل. قال السهيلي: اسمها رقيقة^(٧) بنت

(١) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ - ١٠٧١ م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاث يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة. من كتبه «الدرر في اختصار المغازي والسير - ط». و«الاستيعاب» مجلدان. (الأعلام: ٨: ٢٤٠).

(٢) الاستيعاب: ١: ١٦.

(٣) العباس بن سفيان الخثعمي (... نحو ١٥٠ هـ = ... نحو ٧٦٧ م) (الأعلام: ٣: ٢٦١).

(٤) السيرة: ١: ١٦٤.

(٥) أملكها: أملك المرأة بالبناء للمجهول: تزوجهما.

(٦) وفي الأصل: «قصي بن أخت ورقة»، تصحيف والمثبت عن الطبري: ٢: ١٧٣، وانظر السهيلي: ١٠٢: ١.

(٧) في الأصل: «رقيقة»، تصحيف. انظر الزرقاني: ١: ١٢٣ (بولاقي).

نُوفَل تُكْنَى أُم قَتَال، وهي أختُ وَرَقَةَ بن نُوفَل. ومنهم من يقول: هي فاطمة بنتُ مَرِّ الخَثْعَمِيَّة، وقيل غيرها، ونحن نذكر ما قالوه في ذلك.

فأما عبد الملك بن هشام فقال^(١): لما انصرف عبد المطلب يوم الفداء آخذًا بيد أبنه عبد الله، فمرَّ به على امرأة من بني أسد، وهي أختُ وَرَقَةَ بن نُوفَل، وهي عند الكعبة، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: مع أبي، قالت: لك مثلُ الإبل التي تُحَرَّتْ عنك وَقَع عليَّ الآن. قال: أنا مع أبي، ولا أستطيع خِلافَه ولا فِرَاقَه، فخرج به عبد المطلب حتى أتى وَهْبَ بنَ عبد مناف. وذكر خبر زواجه بآمنة وأنه وَقَعَ عليها كما ذكرناه آنفًا.

قال: ثم خرج من عندها، فأَتَى المرأة التي عَرَضَتْ عليه ما عَرَضَتْ، فقال لها: ما لك لا تَعْرِضِينَ عليَّ اليوم ما كنتِ عَرَضْتِ عليَّ بالأمس؟ قالت له: فارقك الثور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة.

وقال الواقدي: هي قُتَيْلَةُ بنتُ نُوفَل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها امرأة من بني أسد، وهي أختُ وَرَقَةَ.

قال الواقدي: كانت تنظرُ وتَغْتَابُ^(٢)، فمرَّ بها عبدُ الله فدعته يستَبْضِعُ^(٣) منها، ولزمت طَرَفَ ثوبه فأبى وقال: حتى آتيك، وخرَجَ مُسِرِّعًا حتى دَخَلَ على آمنة فوقع عليها، فحملت برسول الله ﷺ، ثم رَجَعَ إلى المرأة وهي تنتظره فقال: هل لك في الذي عَرَضْتِ عليَّ؟ فقالت: لا، مررت وفي وجهك نورٌ ساطع، ثم رجعت وليس فيه ذلك النور.

قال^(٤): وقال بعضهم قالت: مررت وبين عينك غُرَّة مثلُ غُرَّة الفرس، ورجعت وليس هي في وجهك.

وقال محمد بن عُمر بن واقد، عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن أبي الفياض الخَثْعَمِيِّ، قال: مرَّ عبد الله بامرأة من خَثْعَمٍ يُقال لها: فاطمة بنتُ مَرِّ^(٥)، وكانت من أجمل الناس وأشبه وأعفَ^(٦)، وكانت قد قرأت الكتب، وكان

(١) في السيرة: ١ : ١٦٤. وانظر الطبري: ٢ : ١٧٤، البداية: ٢ : ٢٤٩.

(٢) تغتاب: تصرف النظر عن الرجال.

(٣) يستبضع منها: طلب المرأة جماع الرجل لتتال منه الولد فقط (اللسان: بضع).

(٤) القائل: الواقدي.

(٥) في الطبري: ٢ : ١٧٤: «كاهنة من خثعم يقال لها فاطمة بنت مر متهودة من أهل تباله، قد قرأت

الكتب». انظر: البداية: ٢ : ٢٥٠، وابن الأثير: ٢ : ٤.

(٦) كذا في الأصل، وطبقات ابن سعد، انظر السيرة الحلبية: ١ : ٣٩.

شَبَابُ قُرَيْشٍ يتحدثون إليها، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت: يا فتى! من أنت؟ فأخبرها، قالت: هل لك أن تقع عليّ وأعطيك^(١) مائة من الإبل؟ فنظر إليها وقال: [من الرجز]

أما الحرامُ فالمماتُ دونَه والجِلُّ لا حلَّ فاستَبَيَّنَه

* فكيف بالأمر الذي تَنوِينَه^(٢) *

ثم مضى إلى أمراته آمنة، فكان معها، ثم ذكر الخُثْعَمِيَّةَ وجمالها، وما عرضت عليه، فأقبل عليها فلم يرَ منها من الإقبال عليه آخرًا كما رآه منها أولاً، فقال: هل لك فيما قلت لي؟ فقالت: «قد كان ذاك مرةً فاليوم لا»، فذهبت مثلاً، وقالت: أي شيء صنعتُ بعدي؟ قال: وقعت على زوجتي آمنة، قالت: إني والله لست بصاحبة زنية^(٣)، ولكنني رأيتُ نور النبوة في وجهك، فأردت أن يكون ذلك في، وأبى الله إلا يجعله حيث جعله.

وبلغ شبابُ قُرَيْشٍ ما عرضت على عبد الله وتأبَّيه عليها، فذكروا ذلك لها، فأنشأت تقول: [من الكامل]

إني رأيتُ مُخيلةً^(٤) عرضت فتلاأت يحناتم^(٥) القطر
فلمأتها^(٦) نورًا يضيء له ما حوله كإضاءةِ الفجر
ورأيتَه شرفاً أبوء به ما كلُّ قاذح زنده يُوري
له ما زُهريةٌ سَلَبْتُ ثوبيك ما استَلَبْتُ وما تَذري

وقالت أيضًا: [من الطويل]

بني هاشمٍ قد غادَرْتُ من أخيكُم أمينة إذ للباه يعتلجان^(٧)
كما غادرَ المصباحَ بعد خُبُوهِ فتائلٌ قد ميثت^(٨) له بدهان

(١) في دلائل النبوة لأبي نعيم: ١ : ٣٩، والبداية: ٢ : ٢٥٠ «تقع على الآن».

(٢) في الطبري: ٢ : ١٧٤، وابن الأثير: ٢ : ٤ : «رية».

(٣) المخيلة بالضم: السحابة التي إذا رأيتها حسبتها ماطرة. والمخيلة بالفتح: السحابة.

(٤) الحناتم: السحاب الممطر.

(٥) لمأ: أبصر، لمح.

(٦) في الأصل: «وقال» تصحيف.

(٧) رواية الطبري، وابن الأثير، وابن كثير: «الباه يعتركان».

(٨) ميثت: بللت.

وما كل ما يحوي الفتى من تلاده^(١) بحزم ولا ما فاته لتوان
فأجمل إذا طالبت أمراً فإنه سيكفيكه جذان يصطرعان
ستكفيكه أما يد مقفلة^(٢) وإما يد مبسوطة ببيان
ولما قضت منه أمانة ما قضت نبا بصري عنه وكل لساني^(٣)
وعن أبي يزيد المدني^(٤) قال: بُنْتُ أن عبد الله أبا رسول الله ﷺ أتى على امرأة
من خثعم فرأت بين عينيه نوراً ساطعاً إلى السماء فقالت: هل لك في؟ قال: نعم حتى
أرمني الجمرة، فأنطلق فرمى الجمرة، ثم أتى امرأته أمانة بنت وهب، ثم ذكر الخثعمية
فأتاها فقالت: هل أتيت امرأة بعدي؟ قال: نعم، امرأتي أمانة بنت وهب، قالت: فلا
حاجة لي فيك، إنك مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء، فلما وقعت عليها
ذهبت؛ فأخبرها أنها قد حملت بخير أهل الأرض.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني أبي إسحاق بن يسار، أنه حدث أن عبد الله
إنما دخل على امرأة كانت له مع أمانة بنت وهب، وقد عمل في طين له، وبه آثار من
الطين، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت عليه من آثار الطين، فخرج من عندها
فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين، ثم خرج عامداً إلى أمانة فمر بها، فدعته فأبى
عليها، وعمد إلى أمانة فدخل عليها؛ فأصابها فحملت بمحمد رسول الله ﷺ، ثم مر
بأمراته تلك فقال لها: هل لك؟ قالت: لا، مررت بي وبين عينيك غرة، فدعوتك
فأبيت، ودخلت على أمانة فذهبت بها.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن أمراته تلك كانت تُحدث: أنه مر بها وبين عينيه مثل غرة
الفرس، قالت: فدعوته رجاء أن تكون تلك بي، فأبى علي، ودخل على أمانة فأصابها،
فحملت برسول الله ﷺ، أوسط^(٥) قومه نسباً، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه، وأمه.
والله الفعال.

ذكر حمل أمانة برسول الله ﷺ وما رآته وما قيل لها

حملت به ﷺ أيام التشريق^(٦) في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى، رواه

(١) رواية الميداني: ٢: ٣٥: «وما كل ما نال الفتى من نصيبه».

(٢) مقفلة: متقبضة، متشنجة.

(٣) رواية ابن الأثير، والطبري: «حوت منه فخراً ما لذلك ثاني».

(٤) في الأصل: «المديني»، والمثبت عن طبقات ابن سعد: ١: ٦٠ (قسم أول).

(٥) أوسط: من خيارهم.

(٦) أيام التشريق: ثلاثة أيام بعد يوم النحر، لأن لحم الأضاحي يشرق فيها للشمس (اللسان - شرق).

أبو عمر بن عبد البر^(١) عن الزبير بن بكار، وحكاه غيره أيضًا.

وقيل: حملت به في دار وهيب^(٢) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

وروى محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال: حدثني علي بن يزيد، بن عبد الله بن وهب بن زمعة عن أبيه، عن عمته، قالت: كنا نسمع أن رسول الله ﷺ لما حملت به آمنه بنت وهب كانت تقول: ما شعرت أني حملت به، ولا وجدت له ثقلة^(٣) كما تجد النساء، إلا أني قد أنكرت رفع حيضتي، فربما كانت تزفني وتعود؛ وأتاني آت، وأنا بين النائم واليقظان فقال: هل شعرت أنك حملت؟ فكأنني أقول ما أدري، فقال: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونيها، وذلك يوم الاثنين، قالت: فكان ذلك مما يقن عندي الحمل، ثم أمهلني، حتى إذا دنت ولادتي أتاني ذلك الآتي فقال: قولي: «أعيذه بالواحد الصمد، من شر كل حاسد». قالت: فكنت أقول ذلك.

وفي رواية محمد بن إسحاق^(٤) أنه قيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقول: «أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد ثم سميه محمدًا».

وفي رواية أخرى: أمرت أمه وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد. قالت أمه: فذكرت ذلك لنسائي، فقلن لي: تعلقي حديدًا في عضدك وفي عنقك، قالت: ففعلت، فلم يكن يترك علي إلا أيامًا، فأجده قد قطع، فكنت لا أتعلقه.

وعن الزهري قال: قالت آمنه: لقد علق^(٥) به، فما وجدت له مشقة حتى وضعته.

قال ابن إسحاق^(٦): ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام. قد تواترت الأخبار الصحيحة بذلك.

وحكى الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي في^(٧) كتاب «الأعلام»

(١) الاستيعاب: ١: ١٦.

(٢) في الأصل: «وهب بن عبد مناف» تصحيف والتصويب عن الاستيعاب: ١: ١٦.

(٣) الثقلة: بفتح المثلثة والقاف: الثقل.

(٤) نقله ابن هشام: ١: ١٦٦.

(٥) علق به: حملت.

(٦) سيرة ابن هشام: ١: ١٦٦.

(٧) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي (.... - ٦٧١ هـ = ١٢٧٣ م) من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة.

رحل إلى الشرق، واستقر بمنية ابن خصيب، بمصر وتوفي فيها (الأعلام: ٥: ٣٢٢).

له عن ابن عباس رضي الله عنهما^(١) أنه قال: وكان من دلائل حَمَلِ آمنةَ برسول الله ﷺ أن كُلَّ دَابَّةٍ كانت لِقُرَيْشٍ نطقت تلك الليلة وقالت: حُمِلَ بمحمد وربَّ الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها؛ ولم تَبَقْ كاهنةٌ في قُرَيْشٍ ولا في قبيلة من قبائل العرب، إلا حُجبت عن صاحبها؛ وانتزع عِلْمُ الكَهنة منهم ولم يَبَقْ سريرٌ لِمَلِكٍ من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً^(٢).

قال: وقال كعبُ الأحبار^(٣): وأصبحت يومئذ أصنامُ الدنيا كلها منكوسةً مضغوطة فيها شياطينها، وأصبح عرشُ إبليسَ عدوَّ الله منكوساً.

قال: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: وأصبح كلُّ مَلِكٍ أخرس لا ينطق يومه ذلك، وفرت^(٤) وحوش المشرق إلى وحوش^(٥) المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار صار يبشِّر بعضهم بعضاً؛ وله في كلِّ شهر من شهوره نداءٌ في الأرض، ونداءٌ في السماء: إن أبشروا، فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً. والله الموفق الفعّال.

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

روى أبو عبد الله محمد بن سعد، بسندٍ يرفعه إلى محمد بن كعب، وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صَعَصَعَة، قالوا: خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غَزَة في غير من عِيرَات قُرَيْشٍ يَحْمِلُونَ تِجَارَاتٍ، ففَرَّغُوا من تجارتهم ثم أنصرفوا فمروا بالمدينة وعبدُ الله يومئذٍ مريضٌ فقال: أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة، فسألهم عبدُ المطلب عن عبد الله، فقالوا: خلفناه عند أخواله وهو مريض، فبعث إليه عبد المطلب ولده الحارث^(٦)، فوجده قد توفّي ودُفِن في دار النابغة^(٧)، وهو رجل من بني عدي بن

(٢) منكوساً: مقلوباً.

(١) انظر الزرقاني: ١ : ١٠٨.

(٣) كعب الأحبار: كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، أبو إسحاق: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن وأسلم في زمن أبي بكر وقدم المدينة في دولة عمر. فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة. وخرج إلى الشام، فسكن حمص، وتوفي فيها عن مئة وأربع سنين (الأعلام: ٥ : ٢٢٨).

(٤) فرت: أسرع.

(٥) في الأصل: «وحش» تصحيف.

(٦) في ابن الأثير: ٢ : ٣ أن المبعوث كان الزبير لا الحارث.

(٧) هذه إحدى روايتي الطبري؛ وفي ابن الأثير: ٢ : ٤ «النابغة الجعدي»؛ ورواية الطبري الأخرى وعليها اقتصر الزرقاني: ١ : ٢١٠: «التابعة»... والتابعة رجل من بني عدي بن النجار.

التجار، فرجع إلى أبيه فأخبره، فوجد عليه عبدُ المطلب وإخواته وأخواته وجدًا شديدًا، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ حَمْلٌ.

ولعبد الله يوم تُوفي خمس وعشرون سنة.

قال الواقدي: هذا هو أثبتُ الأقاويل. والرواية في وفاة عبد الله وسنَّه عندنا.

وعن هشام بن السائب الكلبي عن أبيه، وعن عَوانة بن الحَكَم^(١) قال: توفي عبدُ الله بن عبد المطلب بعدما أتى على رسول الله ﷺ ثمانية وعشرون شهرًا، ويقال سبعة أشهر، وقيل: شهران.

قال محمد بن سَعْد: والأول أثبت. وقال السُّهَيْلي^(٢): «وأكثر العلماء على أنه كان في المهد»، قال: «ذكره الدَّولابي^(٣) وغيره». والله تعالى أعلم.

قال الواقدي: وترك عبدُ الله بن عبد المطلب أُمَ أَيْمَن، وأسمُها بَرَكَة، وخَمْسَة أجمالٍ أوارِك يعني تأكل الأراك، وقطعة غنم؛ فورث ذلك رسول الله ﷺ. والله خير الوارثين.

ذكر مَوْلِد رسول الله ﷺ

وُلِد رسول الله ﷺ بمكة شرفها الله تعالى؛ قال الزُّبَيْر بن بَكَار^(٤): ولد ﷺ في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحَجَّاج. قال القُرطبي رحمه الله في كتاب «الأعلام» له: إنَّ الدار كانت في الزُّقَاق المعروف بزُقَاق المَوْلِد^(٥) وكانت في مُهاجِر رسول الله ﷺ في يد عَقِيل بن أَبِي طالب^(٦) ثم في أيدي ولده، ثم أشتراها محمد بن

(١) عَوانة بن الحَكَم: عَوانة بن الحَكَم بن عِياض، من بني كلب، أبو الحَكَم (... - ١٤٧ هـ = ٧٦٤ م) مؤرخ من أهل الكوفة. ضرير. كان عالمًا بالأنساب والشعر، فصيحًا، واتهم بوضع الأخبار لبني أمية. قال ياقوت: وعامة أخبار المدائني عنه. له كتاب في «التاريخ» و«سيرة معاوية». (الأعلام: ٥: ٩٢).

(٢) الروض الأنف: ١: ١٠٧.

(٣) الدولابي: محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم، أبو بشر الأنصاري بالولاء الرازي الدولابي الوراق: (٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م) مؤرخ من حفاظ الحديث. من أهل الري نسبته إلى «الدولاب» من أعمالها. رحل في طلب الحديث واستوطن مصر، وتوفي في طريقه إلى الحج، بين مكة والمدينة، له تصانيف، منها «الكنى والأسماء - ط جزءان» (الأعلام: ٥: ٣٠٨).

(٤) انظر البداية والنهاية: ٢: ٢٦١، وعيون الأثر: ١: ٢٦.

(٥) في شرح الزرقاني على المواهب: ١: ١٣٦: «... بزقاق المدك» بدال مهملة.

(٦) عَقِيل بن أَبِي طالب: عَقِيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد: (... - ٦٠ هـ = ... - ٦٨٠ م). أعلم قریش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي =

يوسف الثَّقَفِيّ من ولد عَقِيل، فأدخل البيت^(١) في دار بناها وسَمّاها البيضاء، فكان البيت في الدار إلى أن حَجَّت الخَيْرُزَان أم الهادي والرّشيد، فأخرجت البيت وجعلته مسجدًا يشرع في زقاق المولد.

وكان مولده ﷺ عام الفيل بعد قُدم أصحاب الفيل بخمس وخمسين ليلة، في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول قِيل لليلتين خلتا منه، وقيل: أول اثنين منه من غير تعيين، وقيل: وُلِد في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة خلت منه^(٢)، وهو العشرون من نيسان سنة ثمانمائة واثنين للإسكندر ذي القرنين.

والمشهور أنه ولد في شهر ربيع الأول؛ فيقول القائل: كيف يمكن أن تكون حملت به في أيام التّشريق، وولد في شهر ربيع الأول، والمدة بينهما إما أربعة أشهر، أو ستة عشر شهرًا، ولم يُنقل إلينا أنه ﷺ وُلِد لأقل من تسعة أشهر ولا أكثر منها؟ فالجواب أن الحج إذ ذاك لم يكن محصورًا في ذي الحجة، بل قد ثبت أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه حج بالناس في السنة التاسعة من الهجرة، ووافق الحج في ذي القعدة، فلما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع في السنة العاشرة، خطب فقال في خطبته: «ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»^(٣)، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمُحَرَّم، ورجب مُضَر^(٤) الذي بين جُمادى وشعبان، فيمكن أن يكون الحجّ لما حملت آمنة برسول الله ﷺ وافق في جُمادى الآخرة، ولا يمتنع هذا والله أعلم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آمنة بنت وَهْب قالت: لقد عَلِقْتُ به، تعني رسول الله ﷺ، فما وجدت له مشقة حتى وضعته؛ فلما فَصَلَ مني خرج منه نورٌ

= فصيح اللسان، أخو «علي» و«جعفر» لأبيهما. برز اسمه في الجاهلية، بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسره المسلمون ففداه العباس بن عبد المطلب. فرجع إلى مكة ثم أسلم، بعد الحديبية... عمي في آخر أيامه، وتوفي في أول أيام يزيد، وقيل في خلافة معاوية (الأعلام: ٤: ٢٤٢).

(١) في شرح المواهب: ١: ١٣٦: «فادخل البيت الذي ولد فيه المصطفى في داره التي يقال لها البيضاء»، وسميت البيضاء لأنها بنيت بالجص وطلبت به. السيرة الحلبية: ١: ٦٢.

(٢) في شرح الزرقاني على المواهب: ١: ١٣٠ - ١٣٢، تفصيل لهذه الأقوال مع نسبتها لقائلها.

(٣) في الروض الأنف: ٢: ٣٥١: «والأرض»، وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا.

(٤) في لسان العرب (رجب): «إنما قيل رجب مضر إضافة إليهم، لأنهم كانوا أشد تعظيمًا له من غيرهم، فكانهم اختصوا به». وفي الروض الأنف: ٢: ٣٥١: «إنما قال رجب مضر، لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجبًا. فبين ﷺ أنه رجب مضر، لا رجب ربيعة، وأنه الذي بين جمادى وشعبان».

أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع على الأرض على يديه، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء.

وقال بعضهم: وقع جاثيًا على ركبتيه رافعًا رأسه إلى السماء، وخرج معه نورٌ أضاء له قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناق الإبل ببُضْرَى. وعن حسان ابن عطية: أن النبي الله لما وُلِدَ وقع على كَفَيْهِ وركبتيه شاخصًا بصره إلى السماء.

قالت أمه: فولدته نظيفًا والله كما يولد السُّخْلُ^(١) ما به قَدَر. وقالت فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن أبي العاصي^(٢)، وكانت شهدت ولادة رسول الله ﷺ حين وضعت أمه آمنة وذلك ليلاً، قالت: فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإنني لأنظر إلى الثُجُوم تَدْنُو حتى إني لأقول لَتَقَعَنَّ^(٣) علي.

وذكر الخطيب أبو بكر بن ثابت رحمه الله، عن آمنة قالت: لما ولدت محمدًا ﷺ ثم خرج من بطني نظرت إليه، فإذا هو ساجد لله عز وجل رافع يديه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت تنزل من السماء حتى غشيته، فغيبته عن عيني برهة، فسمعت قائلاً يقول: طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومغاربها، وأدخلوه البحار كلها ليعرف جميع الخلائق كلها باسمه وصفته، ويعرفوا بركته، إنه حبيب لي، لا يبقى شيء من الشُّرك إلا ذهب به. قالت^(٤): ثم انجلت عني في أسرع من طرفة عين، فإذا أنا به مُدْرَجٌ في ثوب أبيض أشدَّ بياضًا من اللبن، وتحت حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائلاً يقول: قد قبض محمد ﷺ مفاتيح النُّصرة، ومفاتيح الدنيا، ومفاتيح النبوة.

وذكر الخطيب أيضًا عنها في شأن المَوْلِد: قالت: رأيت سحابة أعظم من الأولى ولها نور، أسمع فيها صهيل الخيل، وخفقان الأجنحة، وكلام الرجال^(٥) حتى غشيته، قالت: وغيب عني وجهه أطول وأكثر من المرة الأولى، فسمعت مناديًا ينادي: طوفوا بمحمد جميع الأرضين، وعلى موالد النبيين، واعرضوه على كل رُوحاني من الجن، والإنس، والملائكة، والطير، والوحوش؛ وأعطوه خَلْقَ آدم، ومعرفة شيت، وشجاعة

(١) السُّخْل: مفردة سخلة، وهو ولد الشاة من المَعَز والضأن.

(٢) في الأصل: «عثمان بن العاصي»، والمثبت عن عيون الأثر: ١: ٢٧، والسيرة الحلبية: ١: ٥٨، وشرح المواهب: ١: ١١٦.

(٣) في صحة هذا الحديث كلام لهم. انظره في إنسان العيون: ١: ٥٨.

(٤) قالت: في الأصل: «وقال».

(٥) تريد الملائكة المتشككين بصفة الرجال.

نوح، وخُلَّة إبراهيم^(١)، ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبُشْرَى يعقوب، وجمال يوسف، وشِدَّة موسى، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحُبُّ دانيال، ووقار إلياس وعصمة يحيى، وزُهد عيسى، وأغمسوه في جميع أخلاق النبيين عليه وعليهم السلام. ثم انجلت عني في أسرع من طَرْفَةِ العين، فإذا به قد قَبَضَ على حَرِيرَةِ خضراء مطوَّيَّة طَيًّا شديداً، ينبع من تلك الحَرِيرَةِ ماءٌ مَعِين^(٢)، وإذا قائل يقول: بَخْ بَخْ! قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها، لم يَبْقَ خلقٌ كثيرٌ من أهلها إلا دَخَلَ في قبضته طائِعاً بإذن الله. ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أبيه، قال: ولد رسول الله ﷺ مَخْتُونًا مَسْرُورًا^(٣)، قال: وأعجب ذلك عبد المطلب، وحَظِي عنده، فقال: ليكوننَّ لابني هذا شأن.

وفي رواية: لما وَلَدَتْ أَمَنَةُ رسولَ الله ﷺ، أرسلت إلى جدِّه عبد المطلب، فجاء البشيرُ وهو جالس في الحِجْر مع وَلَدِه ورجالٍ من قومه، فأخبره أن أَمَنَةَ وَلَدَتْ غلامًا، فسُرَّ بذلك، وقام هو ومن معه، فدخل عليها، فأخبرته بكل ما رأت، وما قيل لها فيه، وما أُمِرَتْ أن تُسَمِّيَه. قال: فأخذه عبد المطلب فأدخله الكعبة، وقام عندها يدعو الله، ويشكر ما أعطاه. قال الواقدي: وأخبرت أنَّ عبد المطلب قال يومئذٍ: [من الرجز]

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأرداني^(٤)

قد ساد في المهد على الغلمانِ أعيذه بالبيت ذي الأركانِ

حتى أراه بالغ البنيانِ أعيذه من شر ذي شأنِ

* من حاسِدٍ مُضْطَرِبِ العِنانِ *

وقال القُرْطُبِيُّ: وقال أبو طالب: كنت تلك الليلة التي وُلِدَ فيها محمد في الكعبة أُمْلِحَ فيها ما تَهْدُمُ منها، فلما انتصف الليل، إذا أنا بالبيت الحرام قد مال بجوانبه الأربعة، فخرَّ ساجداً في مقام إبراهيم عليه السلام، كالرجل الساجد، ثم أَسْتَوَى قائماً، وأنا أسمع له تكبيراً عجيباً ينادي: الله أكبر! الله ربُّ محمد المصطفى! الآن طَهَّرَنِي

(١) في الأصل: «وحكمة إبراهيم» تصحيف، والتصويب عن الزرقاني: ١: ١١٣، والإشارة إلى الآية: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

(٢) الماء المعين: الماء الجاري على وجه الأرض.

(٣) مسروراً: أي مقطوع السرة.

(٤) الأردان: واحداً ردن: كم القميص.

ربي من أنجاس المشركين، وحمية الجاهلية! ونظرت إلى الأصنام كلها تنتفض كما ينتفض الثوب، ونظرت إلى الصنم الأعظم «هبل» قد انكب في الحجر، وسمعت منادياً ينادي: ألا إن آمنة قد ولدت محمداً! وقد سكبث عليها سحائب الرحمة، هذا طست الفردوس قد أنزل ليغسل فيه الثانية.

وعن حسان بن ثابت الأنصاري، قال: والله إني لغلام يَفْعَةُ^(١) ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل كل ما سمعت، إذ سمعت يهودياً يصرخ على أطمَة^(٢) يثرب: يا معشر يهود! إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: ويلك! مالك؟ قال: طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.

ذكر أسماء رسول الله ﷺ وكناه

وأسماءه ﷺ كثيرة، منها ما جاء بنص القرآن، ومنها ما نقل إلينا من الكتب السالفة والصُحف المنزلة، ومنها ما جاء في الأحاديث الصحيحة ومنها ما اشتهر على السنة الأئمة من الأمة رضوان الله عليهم.

رُوي عن جُبَيْر بن مُطْعَم^(٣)، قال: قال رسول الله ﷺ: «لي^(٤) خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي^(٥)»، وأنا العاقب». قيل: لأنه عقب غيره من الأنبياء.

ورُوي عنه عليه السلام: «لي عشرة أسماء»، فذكر الخمسة هذه، قال: «وأنا رسول الرحمة، ورسول الراحة، ورسول الملاحم، وأما المقفَى^(٦)؛ قفيت النبيين، وأما قَيِّم».

قال القاضي عياض^(٧): والقَيِّم: الجامع الكامل، قال: كذا وجدته، ولم أروه

(١) يَفْعَةُ: من يافع.

(٢) أطمَة: الحصن، أنث على معنى البقعة.

(٣) جُبَيْر بن مُطْعَم: جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي، (... - ٥٩ هـ = ٦٧٩ م). صحابي كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعده الجاحظ من كبار النسابين. له ستون حديثاً. (الأعلام: ٢: ١١٢).

(٤) هي رواية مالك في الموطأ، والبخاري عن طريقه؛ وفي رواية الأكثر: «إن لي خمسة أسماء». انظر الزرقاني: ٣: ١١٥.

(٥) روى «قدمي» بكسر الميم، وفتحها على الثانية، ومعناه على الروايتين: يحشرون بعد الزمان الذي بعث فيه، وفي رواية: يحشرون على عقبي. انظر الزرقاني: ٣: ١١٦.

(٦) المقفَى: آخر الأنبياء.

(٧) القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل: عالم =

وَأَرَى صَوَابَهُ: قُتْمٌ^(١) بِالنَّشَاءِ، وَرَوَى النِّقَاشُ^(٢) عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٣): «لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءَ: مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدٌ، وَيَسُّ وَطَهُ، وَالْمَذْثَرُ وَالْمَزْمَلُ، وَعَبْدُ اللَّهِ».

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أنه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء؛ فيقول: أنا محمد، وأحمد والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة ونبي الملحمة، ويروي المرحمة، والرحمة؛ ومعنى المقفي: معنى العاقب.

وقد جاءت من ألقابه وأسمائه ﷺ في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه، منها الثور؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، والسراج المنير، والشاهد، والمبشر، والنذير، وداعي الله؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وداعيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦، ٤٥] والبشير لقوله تعالى: ﴿وَنَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٤٧]، والمُنْذِرُ لقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْتَلِفْهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، والمذكر لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الناشية: ٢١]، والشهيد لقوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والخير لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ فَتَشَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] قال القاضي بكر ابن العلاء^(٤): المأمور بالسؤال غير النبي ﷺ، والمسؤول الخبير هو النبي ﷺ؛ والحق المبين لقوله تعالى: ﴿حَقٌّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾، وقوله: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩]، وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨]، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٥] قيل: محمد، وقيل: القرآن، والرووف الرحيم؛ لقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، والكريم، والمكين، والأمين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [٢٨] ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [٢٩] مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، والرسول، والنبي الأُمِّي؛ لقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والولي، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [المائدة: ٥٥] والفتاح؛ لقوله ﷺ في حديث الإسراء عن ربه تعالى: «وجعلتك فاتحًا

= المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. توفي بمراكش مسمومًا (٤٧٦ - ٥٤٤ هـ = ١٠٨٣ - ١١٤٩ م) (الأعلام: ٥: ٩٩).

(١) قُتْمٌ: فسر الزرقاني: ٣: ١٢٠ نقلًا عن القاضي عياض بأنه الجامع للخير، أو الجواد.
(٢) النِقَاشُ: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي المتوفى سنة ٣٥١. متروك الحديث. انظر الزرقاني: ٣: ١١٨.

(٣) عن شرح المواهب، حيث يروي هذا الحديث: ٣: ١١٨.
(٤) القاضي بكر بن العلاء: هو بكر بن محمد بن العلاء بن زياد القشيري أبو الفضل البصري ثم المصري المتوفى سنة ١٣٤٤ انظر شرح المواهب: ٣: ١٦٧.

وخَاتِمًا»، وفيه من قول النبي ﷺ فَاتِحًا وَخَاتِمًا، وقدم الصدق؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]؛ قال قتادة والحسن وزيد بن أسلم: قَدَمُ صِدْقٍ هو محمد ﷺ؛ والعزوة الوثقى قيل: محمد، وقيل: القرآن، والهادي، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ذكر ما جاء في تسميته ﷺ محمد وأحمد ومن تسمى بمحمد قبله ﷺ من العرب، وأشتقاق ذلك

أما اشتقاق هذه التسمية، فمحمد أَسَمَ عَلَمٌ، وهو منقول من صفة من قولهم: رجلٌ مَحْمَدٌ؛ وهو الكثير الخصال المحمود؛ والمحمَّد في لغة العرب: هو الذي يُحَمَّدُ حمداً بعدَ حمدٍ مرةً بعد مرة. قال السهيلي^(١): «لم يكن محمد حتى كان أحمد حمد ربّه فنبأه، وشرّفه؛ فلذلك تقدّم أسم أحمد على [الاسم الذي هو]^(٢) محمد فذكره عيسى عليه السلام باسمه أحمد».

وهو ﷺ أولٌ من سُمِّيَ بأحمد، ولم يُسَمَّ به أحد قبله من سائر الناس؛ وفي هذا حكمة عظيمة باهرة؛ لأن عيسى عليه السلام قال: ﴿وَمُبَشِّرًا رُسُلِي يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فَمَنَعَ اللَّهُ تعالى بحكمته أن يُسَمَّى أحدٌ به ولا يُدعى به مَدْعُو قَبْلَهُ، حتى لا يَدْخُلَ لَبَسٌ على ضعيف القلب.

وأما محمد^(٣)، فإن الله تعالى حَمَى أن يُسَمَّى به أحدٌ من العرب، ولا من غيرهم إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده ﷺ: أن نَبِيًّا يُبْعَثُ أَسْمُهُ محمد قد قُرِبَ إِبَانُ مولده، فَسَمَّى قوم من العرب أبناءهم.

قال أبو جعفر محمد بن حبيب^(٤): وهم ستة لا سابع لهم: محمد بن سُفْيَان بن مُجَاشِع جَدُّ الْفَرَزْدَقِ الشاعِر^(٥)، وهو أول^(٦) من سُمِّيَ محمداً، ومحمد بن أُخَيْحَةَ^(٧)

(١) الروض الأنف: ١: ١٠٦.

(٢) عن السهيلي: ١: ١٠٦.

(٣) هذا قول للقاضي عياض، نقله عنه البغدادي في الخزانة ٢: ٢٤.

(٤) ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (.... - ٢٤٥ هـ = ٨٦٠ م) من موالي بني العباس، مولده ببغداد ووفاته بسامراء... كتبه صحيحة منها: «كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء - ط» (الأعلام: ٦: ٧٨).

(٥) الفرزدق: همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق (.... - ١١٠ هـ = ٧٢٨ م) شاعر من أهل البصرة، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر. كان يكنى في شبابه بأبي مكية، وهي ابنة له. ولقب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه. وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المائة (الأعلام: ٨: ٩٣).

ابن الجَلَّاح الأوسِي، ومحمد بن حَسَّان الجُعْفِي، ومحمد بن مَسْلَمَة الأنصاري^(١)، ومحمد بن براء البَكْرِي، ومحمد بن خُزَاعِي السُّلَمِي، وذكر فيهم أيضًا محمد بن اليَحْمَدِي من الأزْد، واليَمْنُ تقول: إنه أول من تَسَمَّى بمحمد. وذكر أبو الخطاب بن دحية فيهم: محمد بن عَثْوارة اللَّيْثِي الكِنَانِي، ومحمد بن حَرْمَاز بن مالك التَّمِيمِي^(٢) المَعْمَرِي، وقال أبو بكر بن فورك: «لا يُعْرَف في العرب من تَسَمَّى قبله بمحمد سوى محمد بن سُفْيَان، ومحمد بن أُحَيْحَة، ومحمد بن حُمْرَان^(٣)، وإن آباء هؤلاء الثلاثة وَقَدُوا على بعض الملوك، وكان عنده علم من الكتاب الأول، فأخبرهم بِمَبْعَث النبي ﷺ وباسمه، وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملًا، فطَمِع في ذلك فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ولد ذكر أن يُسَمِّيَه محمدًا».

وذكر ابن سعد فيهم: محمد الجُشَمِي. وقال ابن الأثير: محمد بن عَدِي بن ربيعة بن سعد بن سَواد بن جُشَم بن سعد؛ عداؤه في أهل المدينة. وروى عبد الملك ابن أبي سُوَيْد المِنَقَرِي عن جد أبيه خليفة، قال: سألت محمد بن عَدِي كيف سَمَّاكَ أبوك محمدًا؟ فضحك، ثم قال: أخبرني أبي عَدِي بن ربيعة، قال: خرجت أنا وسفیان بن مُجَاشِع، ويزيد بن ربيعة^(٤) بن كِنَانَة، بن حُرْقُوص بن مازن، وأسامَة بن مالك بن العَنْبَر^(٥) نريد ابن جَفَنَة، فلما قربنا منه نزلنا إلى شجرات وغدير، فأشرف علينا ديراني^(٦) فقال: إني لأسمع لغة ليست لغة أهل هذه البلاد فقلنا: نعم! نحن من مُضَر، قال: أي المُضَرِّين؟ قلنا: خِنْدِف، فقال: إنه يُبْعَث وَشِيكًا نبي منكم، فخذوا نصيبكم منه تَسْعَدُوا، قلنا ما اسمه؟ قال: محمد فأتينا ابن جَفَنَة، فلما انصرفنا وُلِد منا ابن فسَمَّاه محمدًا.

(٦) في خزانة الأدب للبغداد: ٢: ٢٤: «وذكر عبدان المروزي أن محمد بن أحичة بن الجلاح أول من سمي محمدًا في الجاهلية».

(٧) ذكر البلاذري منهم: محمد بن عقبة بن أحичة، وهو محمد بن أحичة، ينسب إلى أبيه مرة، وإلى جده مرة أخرى. انظر الخزانة: ٢: ٢٤، والمحرر ص ١٣٠.

(١) يقول ابن حجر: إن محمد بن مسلمة ولد بعد ميلاد النبي ﷺ؛ فعده من بين هؤلاء خطأ، وقال زين الدين العراقي العد صحيح من حيث إن النبوة لم تكن ظهرت بعد. انظر خزانة الأدب: ٢: ٢٤.

(٢) في الأصل: «التمي»؛ والتصويب من نص المحبر ص ١٣٠.

(٣) في الخزانة: ٢: ٢٤: «محمد بن حمران بن أبي حمران؛ واسمه ربيعة بن مالك الجعفي».

(٤) في خزانة الأدب: ٢: ٢٤: «ويزيد بن عمرو بن ربيعة».

(٥) في الخزانة أيضًا: «ابن مالك بن حبيب بن العنبر».

(٦) الديراني: صاحب الدير.

وقال محمد بن سعد: «أخبرنا محمد بن علي، عن مسلمة، عن علقمة، عن قتادة بن السكّن، قال: كان في بني تميم محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد الجشمي في بني سواد، ومحمد الأسدي^(١)، ومحمد الفقيمي؛ سموهم طمعا في النبوة، ثم حمى الله تعالى كل من تسمى بمحمد أن يدعي النبوة، أو يدعيها أحد له، أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره، حتى تحقق ذلك لرسول الله ﷺ، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع».

ومن أسمائه في الكتب المنزلة ﷺ

«العظيم»، وقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل: وسيلد عظيما لأمة عظيمة^(٢).

و«الجبار»، سمي بذلك في كتاب داود عليه السلام، فقال: تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك. قالوا^(٣): ومعناه في حق النبي ﷺ: إما لإصلاحه الأمة بالهداية والتعليم، أو لِقهره أعداءه، أو لعلو منزلته على البشر، وعظيم خطره، ونفى الله عز وجل عنه جبرية التكبر في القرآن فقال: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥].

ومن أسمائه فيها^(٤): «المتوكل»، و«المختار»، و«مقيم السّنة»، و«المقدس»، و«روح الحق»، وهو معنى البارقليط^(٥) في الإنجيل، وقال ثعلب: البارقليط: الذي يفرق بين الحق والباطل.

ومنها ماذ ماذ^(٦)؛ ومعناه طيب طيب، وحنطايا^(٧)، والخاتم والخاتم؛ حكاه كعب الأحبار، قال: فقلت فالخاتم الذي ختم به الأنبياء، والخاتم أحسن الأنبياء خلقا

(١) في شرح المواهب: ٣: ١٦٠: «محمد بن الأسدي»، قال: «وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وكسر التحتية الثقيلة».

(٢) انظر شرح المواهب: ٣: ١٦٧ و١٦٨.

(٣) نسب هذا القول في شرح المواهب ٣: ١٢٥ إلى القاضي عياض، وابن دحية وعنهما نقله.

(٤) أي التوراة.

(٥) البارقليط: وقع في إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق. وفي النهاية لابن الأثير أن اسمه في الكتب السالفة بارقليطا. انظر الزرقاني: ٣: ١٣٢، ١٧٨.

(٦) بميم مفتوحة، فألف غير مهموزة، فذال معجمة منونة، ثم ميم فألف فذال معجمة، انظر الزرقاني: ٣: ١٤٠ و١٦٩ و١٩٠.

(٧) حنطايا: قال الهروي: معناه حامي الحرم.

وخلُقًا، وَيُسَمَّى بالسريانية مُشَفَّج^(١)، والمُنَحْمِنًا^(٢)، واسمه أيضًا في التوراة: أَحِيد^(٣)، ورُوي ذلك عن ابن سيرين رحمه الله.

ومن أسمائه ونعوته عليه السلام التي جرت على ألسنة أئمة الأمة.

المصطفى، والمجتبى، والحبیب، ورسول رب العالمين، والشفیع المشفع والمتقي، والمُصلِح، والطاهر، والمُهَيِّمِن، والصادق، والضَّحُوك، والقَتَّال^(٤)، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين^(٥)، وحبیب الله وخليل الرحمن، وصاحب الحوض المورود، واللواء المعقود والشفاعة والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفیعة، وصاحب التاج والمعراج والقضيب، وراكب البراق والناقة والنَّجِيب^(٦)، وصاحب الحجة والسلطان، والخاتم والعلامة والبرهان، وصاحب الهراوة والتعلين ﷺ.

قالوا: ومعنى صاحب القضيب: السيف، وقع ذلك مفسرًا في الإنجيل؛ قال: معه قضيب من حديد يقاتل به، وأُمته كذلك^(٧)؛ وأما الهراوة التي وصف بها، فهي في اللغة العصا، ولعلها القضيب الممشوق الذي انتقل إلى الخلفاء؛ وأما صاحب التاج، فالمراد به العِمامة، ولم تكن حيثئذ إلا للعرب.

وكانت كُنيتة المشهورة أبا القاسم، وعن أنسٍ أنه لما ولد له إبراهيم، جاءه جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم^(٨).

ذكر مراضع رسول الله ﷺ وإخوته من الرضاعة،

وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه وحال طفولته ﷺ

قال محمد بن عمر بن واقد الأسلمي: أول من أَرْضَعَ رسولَ الله ﷺ ثُؤَيْبَةُ^(٩)،

- (١) مُشَفَّج: يروى بالقاف بدل الفاء مفتوحة ومكسورة. انظر الزرقاني: ٣: ١٨٨ و ١٨٩.
- (٢) المُنَحْمِنًا: ومعناه كما في الزرقاني: ٣: ١٨٨ روح القدس.
- (٣) أَحِيد: في تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ١: ٢٢: «أن النبي ﷺ قال: وإنما سميت أحيد لأنني أحيد عن أمتي نار جهنم». انظر الزرقاني: ٣: ١٨٨.
- (٤) القَتَّال: قال ابن فارس: سمي به لحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القتال. انظر الزرقاني: ٣: ١٤٠.
- (٥) الغر المحجلين: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام.
- (٦) النجيب: الفاضل من كل حيوان.
- (٧) انظر شرح المواهب للزرقاني: ٣: ١٨٤.
- (٨) للرسول ﷺ كنى آخر. انظرها في شرح المواهب: ٣: ١٥١.
- (٩) توفيت سنة سبع من الهجرة، وفي إسلامها خلاف مذكور في شرح المواهب: ١: ١٣٧.

وهي جارية أبي لهب، أرَضَعته بلبن ابنها مسروح أياماً قبل أن تقدّم حلّيمة السّعدية^(١)، وكانت قد أرَضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب، وأرَضَعَتْ بعده أبا سلّمة بن عبد الله بن عبد الأسد المخزومي؛ وكان رسول الله ﷺ يصلها^(٢) وهو بمكة، وكانت خديجة تُكرمها، وهي يومئذ مملوكة، وطَلَبَتْ إلى أبي لهب أن تبتاعها منه لتُعْتِقَهَا فأبى أبو لهب، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبو لهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلّة وكسوة، حتى جاء خبرها أنها قد ماتت سنة سبع عند مرجعه من خيبر، فقال: ما فعل ابنها مسروح؟ فقليل: مات قبلها ولم يبقَ من قرابتها أحد.

ثم أرَضَعته حلّيمة بنت أبي ذؤيب، وأبو ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنة، ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن فصّية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مَضَر؛ واسم أبيه الذي أرَضَعه: الحارث بن عبد العزّي بن رفاعة بن ملّان بن ناصرة؛ يقال: هلال بن ناصرة بن فصّية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن.

وإخوته من الرضاعة منها: عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة بنت الحارث، وهي الشّيماء، وكانت الشّيماء تحضن رسول الله ﷺ مع أمها.

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق^(٣) كانت حلّيمة بنت أبي ذؤيب تُحدّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها تُرَضّعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء^(٤). قال الواقدي: إنهن كنّ عشراً، قالت: في سنة شهباء^(٥) لم تُبقِ شيئاً، فخرجتُ على أتان لي قمراء^(٦) معنا شارف^(٧) لنا، والله ما تُبْضُ^(٨) بقطرة، وما تنام لنا ليلتنا أجمع مع صبيّتنا الذي معي من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغنيه، وما في

(١) حلّيمة السّعدية: حلّيمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنة بن جابر السّعدي البكري الهوازني (.... - بعد ٨ هـ = - بعد ٦٣٠ م) من أمهات النبي ﷺ في الرضاع قدمت حلّيمة على مكة بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بخديجة، وشكت إليه الجذب، فكلم خديجة بشأنها فأعطتها أربعين شاة. وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلمها. (الأعلام: ٢: ٢٧١).

(٢) يصلها: يساعدها.

(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ١٧١.

(٤) الرضعاء: واحدها رضيع. وهو الطفل الصغير الذي ما يزال يرضع.

(٥) شهباء: ذات جذب وقحط.

(٦) قمراء: لونها بياض فيه كدرة.

(٧) الشارف: الناقة المسنة.

(٨) تبض: ترشح.

شارفنا ما يَغْذِيهِ، ولكننا نرجو^(١) الغيث والفرج، فخرجتُ على أتاني تلك، فلقد أَدَمْتُ^(٢) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجْفاً^(٣) حتى قَدِمْنَا مكة، فما مَنَّا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصَّبِيِّ؛ فكنا نقول: يتيم، ما عسى أن تصنع أمه وجدّه؟ فما بقيت امرأة قَدِمْتُ معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: والله إنني لأكره أن أرجع من بين صواحيبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلي ذلك اليتيم فلاخذه؛ قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قال: فَذَهَبْتُ إليه فَأَخَذْتُهُ، وما حملني على أخذه إلا أنني لم أجد غيره؛ فلما أخذه رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري، أقبل عليه ثدياي بما شاء الله من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا بها حافل^(٤)، فحلب منها ما شرب وشربتُ حتى أنتهينا رِيّاً وشبعا، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تَعَلَّمِي والله يا حليلة لقد أخذتِ نسمةً مباركة، قالت: قلت والله إنني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا فركبتُ أتاني وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء^(٥) من حُمُرهم حتى إن صواحيبي ليقلن لي: ويحك يا بنت أبي ذؤيب، ويحك! اربعي علينا. أليست هذه أتانك^(٦) التي كنت خرجتِ عليها؟ فأقول لهن: بلى والله! إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأناً، قالت: ثم قَدِمْنَا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّاً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن وما يجدها في ضرع حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرُعيانهم: ويلكم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، قالت: فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخيرة حتى مضت سنتاه وفصلته^(٧)، وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً^(٨)، قالت: فقَدِمْنَا به على أمه ونحن أحرص شيء

(١) رواية ابن هشام: «ولكننا كنا نرجو»، ٢: ١٧١.

(٢) أَدَمْتُ: أي جاءت بما تُدَم عليه.

(٣) العجف: الهزال.

(٤) حافل: غزيرة الحليب.

(٥) في الأصل: «ما لا يقدر علي شيء»، والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ١٧٣.

(٦) الأتان: أنثى الحمار.

(٧) فصل: بمعنى فطم.

(٨) الجفر: الشديد الغليظ.

على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته، فكلّمنا أمّه. وقلت لها: لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يغلظ، فإنني أخشى عليه وباء^(١) مكة، قالت: فلم^(٢) تزل به حتى ردّته معنا فرجعنا به فوالله إنه بعد مقدّمنا بأشهر مع أخيه لفي بهم^(٣) لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد^(٤)، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعه^(٥) فشقا بطنه، فهما يسوطانه^(٦)، قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائما منتقعا^(٧) وجهه، فالتزمته وألترمّه أبوه، فقلنا: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاني فشقا بطني، فالتمسا فيه شيئا لا أدري ما هو؟ قالت: فرجعنا إلى خبائنا، فقال لي أبوه: يا حلّيمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به، قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمّه، فقالت: ما أقدمك يا ظئر^(٨) وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ فقلت: قد بلغ الله بابني، وقضيت الذي عليّ، وتخوّفت الأحداث عليه، فأديته عليك^(٩) كما تحيين، قالت: ما هذا شأنك فأصدّقيني خبرك! فلم تدعني حتى أخبرتها؛ قالت: أفتخوّفت عليه الشيطان؟ قلت: نعم. قالت: كلاً والله! ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبنيّ لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟ قلت: بلى! قالت: رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى^(١٠) من أرض الشام، ثم حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض ورافع رأسه إلى السماء؛ دعيه عنك وأنطلقني راشدة. هكذا نقل ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد في كتابه المترجم بالطبقات عن الواقدي: كان عمره يوم شقّ بطنه أربع سنين، وإن حلّيمة أتت به أمّه آمنة بنت وهب وأخبرتها خبره وقالت: إنا لا نردّه إلّا على جذع^(١١) أنفنا، ثم رجعت به أيضاً، فكان عندها سنة أو نحوها، لا

(١) الوباء: المرض الخطير.

(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٧٣: «قالت: فلم تزل بها».

(٣) البهم: الصغار من أولاد الضأن.

(٤) يشتد: يسرع.

(٥) فأضجعه: جعلاً جنبه إلى الأرض.

(٦) يسوطانه: يدخلان يديهما في بطنه.

(٧) انتقع لونه: تغيرت جلدة وجهه من خوف أو مرض.

(٨) الظئر: المرضعة.

(٩) في سيرة ابن هشام: ١: ١٧٤: «فأديته إليك».

(١٠) في الأصل: «أضاء له قصرى وبصرى من أرض الشام». والمثبت عن شرح الموهب: ١: ١٥٠؛

وفي سيرة ابن هشام: ١: ١٧٤: «أضاء لي قصور بصرى».

(١١) جذع أنفنا: مرغمين.

تَدْعُهُ يَذْهَبُ مَكَانًا بَعِيدًا، ثُمَّ رَأَتْ غِمَامَةً تُظِلُّهُ، إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ، وَإِذَا سَارَ سَارَتْ فَأَفْرَعَهَا ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَدِمَتْ بِهِ إِلَى أُمِّهِ لَتَرَدَّهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ، فَأَضْلَاهَا^(١) فِي النَّاسِ، فَالْتَمَسَتْهُ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَأَتَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ فَأَخْبَرَتْهُ، فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَقَامَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فَقَالَ: [مَنْ الرِّجْزُ]

لَا هُمْ رُذْ رَاكِبِي مُحَمَّدًا أُرْذُذُهُ رَبِّي وَأَصْطَنِعَ^(٢) عِنْدِي يَدَا
أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عَضُدًا^(٣) لَا يَبْعَدُ الدَّهْرُ بِهِ فَيَبْعَدَا

* أَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَهُ مُحَمَّدًا *

قال ابن إسحاق: يزعمون أنه وجدته وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ^(٤) بن أسد ورجل آخر من قُرَيْشٍ، فَأَتِيَا بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا: هَذَا أَبْنُكَ وَجَدْنَاهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فَجَعَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ يَعُوذُهُ^(٥) ويدعو له، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ أَمْنَةَ. وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلَاعِيِّ^(٦): أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، قَالَ: نَعَمْ. أَنَا دَعَوْتُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشِّرِي عِيسَى وَرَأْتُ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ الشَّامِ، وَأَسْتَرْضَعْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا مَعَ أَخٍ لِي خَلْفَ بَيْوتِنَا نَرَعَى بَهْمَا^(٧) لَنَا، إِذْ أَتَانِي رَجُلَانِ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بَيْضٌ بَطِشَتْ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ ثُلُجًا، فَأَخَذَانِي فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فَشَقَّاهُ، فَاسْتَخْرَجَا مِنْهُ عِلْقَةً سَوْدَاءَ، فَطَرَحَاهَا، ثُمَّ غَسَلَا بَطْنِي وَقَلْبِي بِذَلِكَ الثَّلْجِ حَتَّى أَنْقِيَاهُ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: زِنْهُ بِعَشْرَةِ مِنْ أَمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِائَةِ مِنْ أَمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ مِنْ أَمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ فَوَزَنَتْهُمْ، فَقَالَ: دَعِهِ عَنْكَ، فَلَوْ وَزَنْتَهُ بِأَمَّتِهِ لَوَزَنَهَا.

(١) أضلها: ضاع منها.

(٢) اصطناع اليد: الجميل والمعروف.

(٣) عضداً: معيئاً، مساعداً.

(٤) وَرَقَّةُ بْنُ نَوْفَلٍ بن أسد بن عبد العزى، (... نحو ١٢ ق. هـ = ... نحو ٦١١ م) من قريش: حكيم جاهلي، اعتزل الأوثان قبل الإسلام. وتنصر، وقرأ كتب الأديان. وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين. ولورقة شعر سلك فيه مسلك الحكماء، وفي وفاته روايتان. وعن أسماء بنت أبي بكر أن النبي ﷺ سئل عن ورقة، فقال: يبعث يوم القيامة أمة وحده (الأعلام: ٨: ١١٤).

(٥) لاذا: اعتصم ولجأ.

(٦) خالد الكلاعي: خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي أبو عبد الله: تابعي، ثقة، ممن اشتهروا بالعبادة. أصله من اليمن وإقامته في حمص (بالشام). قال ابن عساكر في ترجمته: كان إذا أمر الناس بالغزو وكان فسطاطه أول فسطاط يضرب. (الأعلام: ٢: ٢٩٩).

(٧) البهيم: صغار الضأن.

قال محمد بن إسحاق^(١): وحَدَّثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السَّعدية على رده إلى أمه، مع ما ذكرتُ لأمه مما أخبرتها عنه، أن نفرًا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه، فنظروا إليه وسألوها عنه وقلَّبوه ثم قالوا لها: لناخذن هذا الغلام فلنذهبن به إلى مَلِكنا وبلدنا، فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره، فلم تكذب تنفَلت به منهم.

ونقل محمد بن سعد^(٢): أن أمانة أم النبي ﷺ لما دفعته لحليمة السعدية قالت لها: احفظي أبنِي، وأخبرتها بما رأت، فمرَّ بها اليهود فقالت: ألا تحدِّثوني عن أبنِي هذا؟ فإنِّي حملته كذا، ورأيتُ كذا، كما وصفت أمانة^(٣)، فقال بعضهم لبعض: أقتلوه! ثم قالوا: أيتيم هو؟ فقالت: لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا: لو كان يتيمًا لقتلناه^(٤) قالت: فذهبت به.

وحَضَنته ﷺ أم أيمن بركة الحبشية حتى كَبُرَ، فأعتقها وزوجها زيد بن حارثة^(٥)، فولدت له أسامة بن زيد^(٦)؛ وكان رسول الله ﷺ ورثها من أبيه. والله أعلم.

ذكر وفاة أمانة بنت وهب أم رسول الله ﷺ

قال الواقدي وغيره من أهل العلم: كان رسول الله ﷺ مع أمه أمانة بنت وهب، فلما بلغت سنَّ ستِّ سنين خرجت به إلى أخواله بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحضُّه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة^(٧)، فأقامت به

(١) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ١٧٧.

(٢) الطبقات: ١ : ٧١ (قسم أول) انظر السيرة الحلبية: ١ : ٩٠.

(٣) في السيرة الحلبية: ١ : ٩٥: «لها أمه».

(٤) في السيرة الحلبية: ١ : ٩٥: «يتيمًا قتلناه».

(٥) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة. زارت سعدى أم زيد بن حارثة قومها، وزيد معها. فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن فاحتملوا زيدًا وهو غلام يفعة فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. (الإصابة في تمييز الصحابة - رقم ٢٨٩٠).

(٦) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة. يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون عامًا، وكان أمره على جيش عظيم. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين. (الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة رقم ٨٩).

(٧) في الأصل وطبقات ابن سعد: «النابغة» بالنون وفي شرح المواهب للزرقاني: ١ : ١٦٣: «التابعة»... رجل من بني عدي.

عندهم شهراً، فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك لما نظر إلى أطم بني عدي بن النجار عرفه وقال: كنت ألاعب أنيسة جارية من الأنصار على هذا الأطم^(١)، وكنت مع غلمان من أخوالي؛ ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أُمِّي، وفي هذه الدار قبر أبي عبد الله، وأحسن العوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون^(٢) ينظرون^(٣) إليه، فقالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هذا نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامه؛ ثم رجعت به إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء^(٤) [توفيت آمنه بنت وهب فقبرها هناك، فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدما عليهما، إلى مكة، وكانت تحضنه مع أمه، ثم بعد أن ماتت فلما مر رسول الله ﷺ]^(٥) في عمرة الحديبية قال: «إن الله أذن لمحمد في زيارة قبر أمه»، فأتاه ﷺ فأصلحه وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكائه، فقبل له^(٦): فقال: أدركتني رحمتها فبكيث. والله الرحمن.

ذكر كفالة عبد المطلب رسول الله ﷺ

قال: ولما توفيت أمه قبضه إليه جدّه عبد المطلب وضّمه إليه ورقّ عليه رقة لم يرقّها على ولده، وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام، ويجلس على فراشه؛ وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتي وهو غلام حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا أبنِي، فوالله إن له لساناً، ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

وقال قوم من بني مُذَلِّج^(٧) لعبد المطلب: احتفظ به، فإننا لم نر قدماً أشبهه بالقدم التي في المقام منه؛ فقال عبد المطلب لأبي طالب^(٨): إسمع ما يقول هؤلاء.

(١) الأطم: بيت أو حصن من الحجارة (اللسان: أطم).

(٢) يختلفون: يترددون.

(٣) في الزرقاني: ١: ١٤٦: «ينظرون إليّ، قالت أم».

(٤) الأبواء: موضع بين مكة والمدينة، وهو إلى المدينة أقرب، معجم البلدان: ١: ٩٢.

(٥) ما بين المربعين عن الزرقاني: ١: ١٦٤. وطبقات ابن سعد: ١: ٧٣ (قسم أول).

(٦) في السيرة الحلبية: ١: ١٠٥: «فقبل له في ذلك».

(٧) بنو مُذَلِّج: قبيلة من بني كنانة، وهم القافة العارفون بالآثار والعلامات، انظر السيرة الحلبية: ١: ١٠٩.

(٨) أبو طالب: عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب (٨٥ ق هـ - ٣ هـ - ٥٤٠ =

وسنذكر إن شاء الله خبر سيف بن ذي يزن^(١) مع المطلب، وما بشره من أمر النبي ﷺ.

قالوا: وكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال: عليّ بابني فيؤتى به إليه فلما بلغ رسول الله ﷺ ثمانين سنين، هلك عبد المطلب بن هاشم؛ ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه أبا طالب بحفظه وكفالاته؛ [وكانت]^(٢) وفاة عبد المطلب بن هاشم لثمان مضيّن من عمر رسول الله ﷺ بالحجون^(٣)، وهو يومئذ ابن اثنتين وثمانين سنة، وقيل ابن مائة وعشر سنين^(٤) حكاه السهيلي^(٥)؛ قال: «وهو أول من خضب^(٦) بالسّواد من العرب»^(٧).

قال ابن قتيبة: إنّه كبر وعمي، وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال، ويقال له الفيّاض لجوده، ومطعم طير السماء. قال ابن الأثير^(٨): «وهو أول من تحنّ بحراء»^(٩)، فكان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين. وسئل رسول الله ﷺ: أتذكر موت عبد المطلب؟ قال: نعم. أنا يومئذ ابن ثمانين سنين، قالت أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يومئذ يبكي خلف سرير عبد المطلب.

قال: ولما هلك عبد المطلب وليّ زمزم والسقاية عليها بعده ابنه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ من أحدث إخوته سناً، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده،

= (٦٢٠ م) والد علي (رضي الله عنه) وعم النبي ﷺ. وكافله ومربيّه وناصره كان من أبطال بني هاشم ورؤسائهم. في الحديث: ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب. مولده ووفاته بمكة. (الأعلام: ٤: ١٦٦).

(١) سيف بن ذي يزن: سيف بن ذي يزن بن أبي أصح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو الحميري: (نحو ١١٠ - ٥٠ ق هـ = نحو ٥١٦ - ٥٧٤ م) من ملوك العرب اليمانيّين ودعاتهم. ولد ونشأ بصنعاء. وفدت عليه أمراء العرب. مكث في الملك نحو خمس وعشرين سنة. واثمر به بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء. وهو آخر ملك من ملوك اليمن من قحطان. (الأعلام: ٣: ١٤٩).

(٢) سقطت من الأطل.

(٣) الحجون: موضع بمكة من ناحية البيت.

(٤) في عمر عبد المطلب أقوال أخرى تجدها في السيرة الحلبية: ١: ١١٢، وشرح المواهب: ١: ١٨٩.

(٥) الذي حكاه السهيلي: ١: ٥، ونقله منه الزرقاني: ١: ١٨٩: أنه عاش مائة وأربعين سنة. فلعل هذا القول سقط من نص النويري.

(٦) خضب: صبغ.

(٧) في المعارف ص: ٣٣.

(٨) الكامل: ٢: ٦.

(٩) حراء: جبل بمكة معروف، فيه غار. تحنّ: تعبد.

فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى .

وعن عبد الله بن عباس وغيره، قالوا: لما تُوفي عبد المطلب قبض رسول الله ﷺ عمه أبو طالب، قيل بوصية من عبد المطلب، فأحبّه حبًّا شديدًا، وكان لا يفارقه، وكان يَخُصّه بالطعام، وكان إذا أكل عيالُ أبي طالب جميعًا أو فرادى لم يَشَبَعوا^(١)، وإذا أكل معهم النبي ﷺ شَبَعوا؛ فكان إذا أراد أن يغذّيهم قال: كما أنتم حتى يَخضر أبنِي؛ فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم، فيفضّلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يَشَبَعوا، فيقول أبو طالب: إنك لمبارك؛ وكان الصبيان يُصَبِّحون رُمَصًا شُغْنًا، ويُصبح عليه السلام دَهِينًا كَحِيلًا^(٢).

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، وخبير بَحِيرَا الراهب

قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ أثنى عشرة سنة وعشرة أيام، خرج أبو طالب في رَكْبٍ تاجرًا إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل تعلّق به رسول الله ﷺ؛ فرق له أبو طالب وقال: والله لأُخرجنّ به، ولا يفارقني ولا أفارقه أبدًا، فخرج به معه، فلما نزل الركب بُضِرَى من أرض الشام، وبها راهبٌ يقال له بَحِيرَا^(٣) في صَوْمَعَةٍ^(٤) له، وكان إليه عِلْمُ أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصَوْمَعَةِ راهبٌ إليه يصير علمهم عن كتاب فيها يتوارثونه كابراً عن كابرٍ، فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَا وكانوا كثيرًا ما يمرون به قبل ذلك، وهو لا يكلمهم، فصنع^(٥) لهم طعامًا كثيرًا، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ، وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامةٌ تظله من بين القوم، فلما نزلوا في ظل شجرة قريبًا منه، نظر إلى العُمامة، وقد أظلت الشجرة، وتهصّرت^(٦) أغصانها على رسول الله ﷺ حتى استظلّ تحتها^(٧)، فلما رأى بَحِيرَا ذلك نزل من صَوْمَعَتِهِ، وقد أمر

(١) ذلك لأن أبا طالب كان مقلًا من المال.

(٢) في النهاية لابن الأثير: ٣: ١٧١: «يصبحون غمَصًا رمَصًا، ويصبح رسول الله ﷺ صَقِيلًا، دَهِينًا كَحِيلًا» انظر الزرقاني: ١: ١٨٩.

(٣) بَحِيرَا الراهب: أحد الثمانية الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب (الإصابة في تمييز الصحابة - رقم الترجمة ٥٩٨).

(٤) الصومعة: منار الراهب.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ١١٨: «حتى كان ذلك العام صنع لهم».

(٦) تهصّرت: تدلت، تهدلت.

(٧) في السيرة الحلبية: ١: ١١٨: «وكان ﷺ وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه».

بذلك الطعام فُصنع، ثم أرسل إلى القوم فقال: إني قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلَّكم؛ صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحُرَّكم؛ فقال له رجل منهم: يا بحيرا إنَّ لك لسانًا اليوم: قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول فاجتمعوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحدائثة سنَّه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصِّفة التي يعرف، فقال: يا معشر قريش لا يتخلَّف منكم أحد عن طعامي، قالوا: ما تخلَّف عنك أحد ينبغي أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سنًا تخلَّف في رحالهم، قال: لا تفعلوا أذعوه فليخضر، فقال رجل من قريش: واللَّات والعزَّى إن كان للؤمًا بنا أن يتخلَّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظًا شديدًا، وينظرُ إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرَّقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام، أسألك بحق اللَّات والعزَّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال: لا تسألني بهما! فوالله ما أبغضت شيئًا قط بغضهما، فقال له: فباللَّهِ إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه! فقال: سلني عما بدا لك، فجعل يسأل عن أشياء من حاله في نومه^(١)، وهيئته، وأموره، ورسول الله ﷺ يُخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، ثم نظر إلى خاتم النبوة بين كتفيه، وكان مثل أثر المِخْجَم^(٢)، فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني؟ قال له بحيرا: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيًّا؛ قال: فإنه ابن أخي، قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات وأمه حُبلى به، قال: صدقت أرجع بابن أخيك إلى بلده فاحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت، ليبغته^(٣) شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرغ به إلى بلاده، فخرج أبو طالب سريعًا حتَّى أقدمه مكَّة حين فرغ من تجارته بالشام.

وروي أنَّ زُرَيْرًا وثَمَامًا ودَرِيسًا، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثل ما رأى بحيرا في ذلك السَّفر الذي كان فيه مع عمه أبو طالب، فأرادوه، فردَّهم^(٤) عنه بحيرا، وذكرهم اللّهُ ما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لا يخلُصوا إليه، فعرفهم ما قال لهم فتركوه وأنصرفوا عنه، قال: فشبَّ رسولُ الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه لما يريد به من كرامته

(١) في شرح المواهب: ١: ١٩٦: «عن أشياء عن حاله ونومه».

(٢) المحجم: مشرط الحجام (اللسان: حجم).

(٣) ينبغي: يضر له.

(٤) كذا في عيون الأثر: ١: ٤٢. وفي السيرة الحلبية: ١: ١١٩: «وأرادوا به سوءًا فردَّهم عنه بحيرا».

وأصطفائه إنه خيرُ الحافظين . والله المُعين .

ذِكْرُ رَعِيَّتِهِ ﷺ الْغَنَمِ

عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبي إلا قد رَعَى الغنم ، قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » . وعن أبي هريرة رضي ^(١) الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا راعي غَنَم » ، قال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا ، رعيْتُها لأهل مكة بالقراريط ^(٢) .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرُّوا على النبي ﷺ بِثَمَرِ الْأَرَاكِ ^(٣) فقال : عليكم بما اسودَّ منه ، فإنِّي كنتُ أجتنيه إذ أنا راعي الغنم ، قالوا : يا رسول الله ، رعيْتُها ، قال : نعم . وما من نبي إلا قد رعاها .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه .

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام ^(٤) : ولما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة ، وقيل : ابن عشرين ، هاجت حرب الفجار ^(٥) ، فشَهِدَهَا ﷺ ، وكان يُنْبَل على أعمامه ، أي يردُّ عليهم التُّبَل .

وقد تقدم ذِكْرُ حَرْبِ الْفِجَارِ في وقائع العَرَب ، وذلك في الباب الخامس من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا ، وهو في السفر الثالث عشر من هذه النسخة والله الموفق للصواب وإليه المَرْجِع .

ذِكْرُ حَضُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِلْفِ الْفُضُولِ

قال محمد بنُ عَمَرَ بنِ واقد بسند يرفعه إلى حَكِيم بنِ حِزَام ^(٦) : كان حِلْفُ

(١) أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، الملقب بأبي هريرة (٢١ ق هـ - ٥٩ هـ = ٦٠٢ - ٦٧٩ م) صحابي . كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث . أسلم سنة ٧ هـ . ولي إمرة المدينة مدة . وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها . (الأعلام : ٣ : ٣٠٨) .

(٢) في معنى «القراريط» في هذا الحديث خلاف : انظر السيرة الحلبية : ١ : ١٢٦ .

(٣) الأراك : نبات صحراوي .

(٤) السيرة : ١ : ١٩٥ .

(٥) حرب الفجار : قال ابن هشام : ١ : ١٩٨ ، نقلاً عن ابن إسحاق : « وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان ، كنانة وقيس عيلان ، فيه من المحارم » .

(٦) حَكِيم بن حِزَام : حَكِيم بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، أبو خالد (. . . - ٥٤ هـ = . . . - ٦٧٤ م) صحابي ، قرشي . وهو ابن أخي خديجة أم المؤمنين ، مولده بمكة في (الكعبة) شهد =

الفضول مُنْصَرَفُ قُرَيْشٍ من حِزْبِ الْفِجَارِ، ورسولُ الله ﷺ يومئذٍ ابن عشرين سنة، وكان الْفِجَارُ في شِوَالٍ، وهذا الْحِلْفُ في ذِي الْقَعْدَةِ، وكان أَشْرَفُ حِلْفٍ كان قَطًّا، وأوَّلُ من دعا إليه الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب، فَاجْتَمَعَتْ بنو هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ، وبنو أَسَدٍ بن عبد العُزَّى، وبنو تَيْمٍ في دار عبد الله بن جُدْعَانَ^(١)، فصنَعَ لهم طعامًا، فَتَعَاقدوا وَتَعَاهَدوا بالله لِيَكُونَنَّ مع المظلوم حتى يُوَدَّى إليه حَقُّهُ «ما بَلَّ بحرُ صُوفَةٍ»، فَسَمَّتْ قُرَيْشُ ذلك الْحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ.

وقال ابن^(٢) هشام: تَعَاقدوا وَتَعَاهَدوه على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها، وغيرهم ممن دَخَلَهَا من سائر الناس إِلَّا قاموا معه؛ وكانوا على مَنْ ظَلَمَهُ حتى تُرَدَّ عليه مَظْلَمَتُهُ.

وعن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: ما أَحَبُّ أَنْ لي بِحِلْفِ خَضِرْتِهِ في دارِ ابْنِ جُدْعَانَ حُمَرَ النَّعَمِ، وَأَنْتِي أَغْدِرُ^(٣) به، هَاشِمٌ وَزُهْرَةُ وَتَيْمٌ تَحَالَفُوا أَنْ يَكُونُوا مع المظلوم «ما بَلَّ بحرُ صُوفَةٍ»، ولو دُعِيََتْ به لَأَجَبْتُ^(٤)، وهو حِلْفُ الْفُضُولِ.

قال الواقدي: ولا نعلم أَحَدًا سَبَقَ بني هَاشِمٍ بهذا الْحِلْفِ. وحكى أبو الفرج الْأَصْبَهَانِيُّ^(٥) في سبب تسمية هذا الْحِلْفِ حِلْفَ الْفُضُولِ: أَنَّ قَوْمًا من قُرَيْشٍ قالوا في هذا الحلف. هذا والله فضل من الْحِلْفِ. فَسَمِيَ حِلْفَ الْفُضُولِ، قال: وقال آخرون: تَحَالَفُوا مِثْلَ حِلْفٍ تَحَالَفَ عَلَيْهِ قوم من جُرْهُمِ^(٦) في هذا الأمر لا يَقْرُونَ ظُلْمًا بِيْطَنِ مَكَّةَ إِلَّا غَيَّرُوهُ؛ وَأَسْمَاؤُهُم: الْفَضْلُ بن شِرَاعَةَ، وَالْفَضْلُ بن قِضَاعَةَ، وَالْفَضْلُ بن سَمَاعَةَ.

= حرب الفجار، وكان صديقًا للنبي ﷺ قبل البعثة وبعدها. وكان من سادات قريش في الجاهلية والإسلام، وعالمًا بالنسب، أسلم يوم الفتح. توفي بالمدينة (الأعلام: ٢: ٢٦٩).

(١) عبد الله بن جدعان: عبد الله بن جدعان التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي ﷺ قبل النبوة. وسماه يعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية (الأعلام: ٤: ٧٦).

(٢) السيرة: ١: ١٤١.

(٣) أي أنني لا أحب الغدر به وإن أعطيت حمر النعم في ذلك.

(٤) يعني لو قال قاتل من المظلومين في الإسلام: بآل حلف الفضول لأجبت.

(٥) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي. ولد بأصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه الأغاني. لم يعمل في بابيه مثله جمعه في خمسين سنة. (الأعلام: ٤: ٢٧٨).

(٦) في السيرة الحلبية: ١: ١٣١: «هم ثلاثة من جرهم كل واحد منهم يقال له الفضل، وهم الفضل بن أبي فضالة، والفضل بن وداعة، والفضل بن الحارث» (راجع اللسان: فضل).

وروي أيضًا بسنده^(١) إلى أبي إسحاق بن الفضل قال: إنما سَمَّتْ قريش هذا الحِلْفَ حِلْفَ الْفُضُولِ لأنَّ نَفَرًا من جُزْهم يقال لهم الفضل والفضال والفضيل تحالفوا على مثل ما تحالفت عليه قريش، قال: وقال الواقدي^(٢): والصحيح أن قومًا من جُزْهم يقال لهم فضل وفضالة وفضال ومفضل تحالفوا على مثل هذا فلما تحالفت قريش بهذا الحِلْفِ سَمَّوه بذلك. والله الموفق للصواب.

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام المرة الثانية في التجارة وحديث نسطور

قال: ولمَّا بلغ رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين سنة قال له عمُّه أبو طالب: أنا رجل لا مال لي، وقد اشتدَّ الزمان علينا. وهذه عِيرُ قومك قد حضرَ خروجُها إلى الشام، وخديجة بنت خُوَيْلِدٍ^(٣) تبعثُ رجالًا من قومك في عِيرَاتِها^(٤)، فلو جئتها فعرضتَ نفسك عليها لأسرعتْ إليك؛ وبلغ خديجة ذلك، فأرسلت إليه تقول: أنا أعطيك ضِعْفَ ما أعطي رجلًا من قومك، فقال أبو طالب: هذا رزق ساقه الله إليك، فخرج رسولُ الله ﷺ ومعه مَيْسِرَةُ غلام خديجة، وجعل عُمومته يُوصُونَ به أهلَ العير، فساروا حتى قَدِمُوا بُضْرَى^(٥)، فنزلوا في ظلِّ شجرة، فقال نَسْطُورُ الرَاهِب: ما نزل تحت هذه الشجرة قطَّ إلا نبي. ثم سأل مَيْسِرَةَ عن رسول الله ﷺ فقال: أفي عينيه حُمْرَةٌ^(٦)؟ قال: نعم لا تفارقه؛ قال: هو نبي، وهو آخر الأنبياء، ثم باع رسولُ الله ﷺ سلعةً فوقَ بينه وبين رجل تلاح^(٧)، فقال له: احلفْ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما حلفتُ بهما قطَّ، وأني لأُمُرُّ فأعرضُ عنهما»، فقال الرجل القول قولك، ثم قال لميسرة: هذا والله نبي تجده أحبارنا^(٨) منعوتًا في كتبهم؛ وكان مَيْسِرَةُ إذا كانت

(١) الأغاني: ١٦ : ٦٧.

(٢) الأغاني: ١٦ : ٧٠.

(٣) خديجة بنت خويلد: خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى (٦٨ - ٣ ق هـ = ٥٥٦ - ٦٢٠ م) من قريش: زوجة رسول الله ﷺ الأولى. ولدت بمكة. تزوجها رسول الله ﷺ قبل النبوة فولدت له القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة. وكانت أول من أسلم من الرجال والنساء. كانت تكنى بأم هند (وهند من زوجها الأول). (الأعلام: ٢ : ٣٠٢).

(٤) جمع الجمع لعير.

(٥) مدينة حوران، فتحت صلحًا سنة ١٣ هـ، وهي أول مدينة فتحت بالشام.

(٦) كانت هذه الحمرة في بياض عينه، وهي الشكلة، وجاء في وصفه أنه كان أشكل العينين.

(٧) تلاح: خلاف، تلاس.

(٨) الحبر: هو العالم من أهل الكتاب، ذميًا كان أم مسلمًا.

الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يضلان رسول الله ﷺ من الشمس، فوعى ذلك كله، وباعوا تجارتهم، وربحوا ضعف ما كانوا يربحون؛ فلما رجعوا وكانوا بمر الظهران^(١) قال ميسرة: يا محمد! انطلق إلى خديجة فأخبرها بما صنع الله على وجهك، فإنها تعرف لك ذلك، فتقدم رسول الله ﷺ حتى دخل مكة في ساعة الظهرية وخديجة في غلية^(٢) لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره، ومكان يظللان عليه، فأرته نساءها، فعجبين لذلك، ودخل رسول الله ﷺ فخبّرها^(٣) بما ربحوا في وجههم ذلك، فسرت به، فلما دخل ميسرة عليها أخبرته بما رأت، فقال: قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام، وأخبرها بما قال نسطورا، وبما قال الآخر الذي حالفه^(٤) في البيع، وقدم رسول الله ﷺ بتجارتها، فربحت ضعف ما كانت تربح، وأضعفت له ما سمّت له. والله المعين.

ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد

قال الواقدي بسند يرفعه إلى نفيسة بنت منية^(٥)؛ قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة حازمة جلدة شريفة لبيبة؛ وهي يومئذ أوسط^(٦) قريش نسبا، وأعظمهم شرفا، وأكثرهم مالا، وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلوا^(٧) لها الأموال؛ فأرسلني دسيسا^(٨) إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام، فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كُفيت ذلك، ودُعيت إلى الجمال والمال، والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: علي، فأنا أفعل، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه: أن أنت لساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها. وقيل: إنها أرسلت إلى رسول الله ﷺ

(١) مر الظهران: واد بين مكة وعسفان، وهو الذي تسميه العامة بطن مرو، وهو المعروف الآن بوادي فاطمة، السيرة الحلبية: ١: ١٣٥.

(٢) الغلية: الغرفة.

(٣) في الأصل: «يخبرها» والمثبت عن ابن سعد، والسيرة الحلبية: ١: ١٣٥، وفي شرح المواهب: ١: ١٩٩: «فأخبرها».

(٤) حالفه: استحلفه.

(٥) في الأصل: «بنت منبه»، تصحيف.

(٦) أوسط: أشرف.

(٧) في السيرة الحلبية: ١: ١٣٧: «وذكروا لها الأموال فلم تقبل».

(٨) الدسيس: من تدسه ليأتيك بالأخبار.

تقول: يا بن العم! إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وسيطتك^(١) وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك؛ ثم عرضت نفسها عليه، فذكر رسول الله ﷺ ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن خويلد بن أسد، وقيل: بل عمرو بن أمية عمها، وكان شيخاً كبيراً وهو الصحيح، فخطبها إليه. وقيل: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

«الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضئ^(٢) معد، وعنصر مضر، وجعلنا حصنة بيته، وسؤاس حرمة، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكماء على الناس؛ ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله، لا يوزن به رجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل^(٣) فإن المال ظل زائل، وأمر حائل^(٤)، ومحمد من^(٥) قد عرفتم قرابته؛ وقد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصداق^(٦) ما أجله وعاجله من مالي كذا، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم، وخطب جليل»، فتزوجها ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وخديجة يومئذ بنت ثمان وعشرين سنة، وقيل: بنت أربعين سنة، وأصدقها ﷺ ثنتي عشرة أوقية ونشاً ذهباً، الأوقية أربعون، والنش عشرون، فذلك خمسمائة درهم. وروى ابن هشام^(٧): أنه أصدقها ﷺ عشرين بكرة.

ذكر حضور رسول الله ﷺ هدم الكعبة وبنائها

قالوا: ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة شهد هدم الكعبة وبنائها، وتراضت قريش بحكمه فيها؛ وكان سبب هدم الكعبة وبنائها ما روي عن ابن عباس، ومحمد بن جبير بن مطعم، قالوا: كانت الجروف^(٨) مطلّة على مكة، وكان السيل يدخل من أعلاها حتى يدخل البيت فانصدع، فخافوا أن يهدم، وسرق منه حليّه وغزال

(١) السطة: الشرف.

(٢) ضئضئ: أصل، وكذلك عنصر: أصل.

(٣) قل: من قليل: شح.

(٤) حائل: متغير - متقلب.

(٥) في شرح المواهب: ١: ٢٠١: «ومحمد ممن قد عرفتم».

(٦) الصداق: المهر.

(٧) السيرة: ١: ٢٠١.

(٨) في الأصل وطبقات ابن سعد: ١: ٩٣ (قسم أول): «الجرف مطلة».

من ذهب كان عليه دُرٌّ وجوهر.

قال محمد بن إسحاق: وكان كنز الكعبة في بئر في جوفها، فوجد عند دُؤَيْك مولى لبني مُلَيْح بن عمرو من خُزاعة. قال ابن هشام: فقطعت قريش يده، وزعمت قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دُؤَيْك.

وكانت الكعبة فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وكانوا يهتمون بذلك ويهابون هدمها، فلما سُرِق الكنز حملهم ذلك على هدمها وبنائها؛ قال^(١): وكان البحر قد رَمَى بسفينة إلى جُدة لرجل من تجار الروم فتحطمت. قال الواقدي: كان رأس أصحاب السفينة رجلاً رومياً اسمع باقُوم^(٢)، فحجَّتها^(٣) الريح إلى الشَّعْبِيَّة، وكانت مرفأ السفن قبل جُدة فتحطمت؛ فخرج الوليد بن المغيرة^(٤) في نفر من قريش فابتاعوا خشبها، وقدم معهم باقُوم الرومي.

قال ابن إسحاق^(٥): فأعدوا الخشب لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار، فتهيا لهم في أنفسهم بعض ما يُصلحها؛ وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كان يُطرح فيها ما يُهدى لها، فتشرق^(٦) كل يوم على جدار الكعبة، ولا يدنو منها أحد إلا أحرألت^(٧) أي رفعت رأسها وكشَّت^(٨) وفتحت فاهها، فكانوا يهابونها؛ فبينما هي يوم تشرق بعث الله طائراً فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا؛ عندنا عاملٌ رفيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله عز وجل الحية.

فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو خال أبي رسول الله ﷺ، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا

(١) القائل ابن إسحاق، وانظر سيرة ابن هشام ١: ٢٠٥.

(٢) باقوم: ويقال: باقول باللام، وهو نجار قبطي، وقيل: رومي انظر الزرقاني: ١: ٢٠٣.

(٣) حجَّتها: أي دفعتها.

(٤) الوليد بن المغيرة: الوليد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس (٩٥ ق هـ - ١ هـ = ٥٣٠ - ٦٢٢ م) من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش ومن زنادقتها. أدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته. هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (الأعلام: ٨: ١٢٢).

(٥) سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٥.

(٦) تشرق: تبرز للشمس.

(٧) أحرألت: رفعت ذنبها.

(٨) كشَّت: صوتت باحتكاك بعض جلدها ببعض.

طيبًا، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربًا، ولا مظلمة أحد من الناس. ويقال: إن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم هو الذي قال هذا القول.

قال الواقدي: فأمرُوا بجمع الحجارة، وبيضاء الكعبة منها، فبينما رسول الله ﷺ ينقل معهم، وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة، ففعل ذلك رسول الله ﷺ فلبط به: أي سقط من قيام، ونودي: عورتك! فكان ذلك أول ما نودي، فقال له أبو طالب: يا بن أخي اجعل إزارك على رأسك، فقال: ما أصابني [ما أصابني]^(١) إلا من التعري؛ فما رؤيت لرسول الله ﷺ عورة بعد ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إن قريشًا جزأت^(٢) الكعبة، فكان شق^(٣) الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جُمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار ابن قصي وبني أسد بن عبد العزى، وبني عدي بن كعب، وهو الحطيم^(٤).

وقال الواقدي: وقع لبني عبد مناف وزهرة وجه البيت، وهو ما بين الركن الأسود إلى ركن الحجر، ووقع لبني أسد بن عبد العزى وبني عبد الدار ما بين ركن الحجر إلى ركن الحجر الآخر، ووقع لتيث ومخزوم ما بين ركن الحجر إلى الركن اليماني، ووقع لسهم وجُمح وعدي وعامر بن لؤي ما بين الركن إلى الركن الأسود.

قال ابن إسحاق: ثم إن الناس هابوا هدمها، وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدأكم في هدمها، فأخذ المغول؛ ثم قام عليها هو يقول: اللهم لم ترع^(٥) ويقال: لم ترع^(٦)، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين، فتربص الناس به تلك الليلة، وقالوا: ننظر، فإن أصيب لم نهدم منها شيئًا، ورددناها كما كانت، وإن لم يُصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا فنهدم، فأصبح الوليد من ليلته غاديًا على عمله، فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم عليه السلام، فأفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة^(٧) أخذ بعضها بعضًا، فأدخل رجل من

(١) في الأصل: «ما أصابني إلا في تعري»، والتكلمة والتصويب عن الزرقاني: ١: ٢٠٦، والسيرة الحلبية ١: ١٤٣.

(٢) في الأصل، والطبري: ٢: ٢٠٠: «تجزأت» والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٧.

(٣) الشق: الناحية.

(٤) الحطيم: سمي حطيمًا لأن الناس يزدحمون فيه حتى يحطم بعضهم بعضًا.

(٥) ترع: ترع: تفرع.

(٦) لم ترع: لم نمل عن دينك.

(٧) الأسنة: جمع سنان، شبهها بأسنة الرماح في الخضرة.

قريش عتلة^(١) بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما، فلما تحرك الحجر تنقّضت^(٢) مكة بأسرها، فانتهوا على ذلك الأساس.

قال: ثم^(٣) إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، وبنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن^(٤). والله المستعان.

ذكر اختلاف قريش في رفع الركن وتراضيههم بالنبي ﷺ وخبر النجدي

قال ابن إسحاق^(٥): ولما بلغ البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوزوا^(٦) وتخالفوا واعتدوا للقتال، فقرّبت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم، فسُموا لعقة الدم؛ فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً، ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا، فقال أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان إذ ذاك أسن قريش كلها: يا معشر قريش! اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول داخل يدخل^(٧)؛ فدخل رسول الله ﷺ، فلما رآوه قالوا: هذا الأمين، هذا محمد، رضينا به؛ فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال ﷺ: هلم إلي ثوباً فأتي به، وقيل: بل بسط رداءه في الأرض، وأخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال: ليأت^(٨) من كل ربع من أرباع قريش رجل، فكان من ربع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة، وفي الربع الثاني أبو زمعة، والربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة، والربع الرابع قيس بن عدي.

هكذا نقل الواقدي، ثم قال رسول الله ﷺ: ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب ثم أرفعوه جميعاً ففعلوا، ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده في موضعه، فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجراً يُشدُّ به الركن، فقال العباس بن عبد

(١) عتلة: عمود بن حديد تهدم به الحيطان.

(٢) تنقّضت: اهترت.

(٣) القائل ابن إسحاق.

(٤) يريد الحجر الأسود لأنه مبین بالركن فسمي ركناً.

(٥) سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٩.

(٦) تحاوزوا: انحاز كل فريق إلى فريقه.

(٧) في سيرة ابن هشام: ١: ٢٠٩: «... فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا، فكان أول داخل». انظر الطبري: ٢: ٢٠١.

(٨) في الأصل وطبقات ابن سعد: ١: ٩٤ (قسم أول): «ليأتي» تصحيف.

المطلب: لا. ونَحَاه، وناول العباس رسول الله حجراً، فشَدَّ به الركن، فغضب النجدي حين نُحِيَ، فقال النبي ﷺ: إه ليس يَبْنِي معنا في البيت إلا مِنَّا؛ فقال النجدي: يا عَجَباً لقوم أهل شَرَف، وعقول، وسِن، وأموال، عمدوا إلى أصغرهم سِنًا، وأقلهم مالاً، فرأسوه عليهم في مَكْرُمَتِهِمْ وجُودِهِمْ كأنهم خَدَم له، أما والله ليُفَرِّقَنَّهُمْ شِيْعاً^(١)، وليَقْسِمَنَّ بينهم حظوظاً وجدوداً^(٢). ويقال إن النجدي إبليسُ عنه الله. فقال أبو طالب: [من الرجز]

إِن لَنَا أَوْلَاهُ وَآخِرَهُ فِي الْحُكْمِ وَالْعَدْلِ الَّذِي لَا نُنْكِرُهُ
وَقَدْ جَهَدْنَا جِهْدَهُ لِنَعْمُرَهُ وَقَدْ عَمَرْنَا خَيْرَهُ وَأَكْثَرَهُ^(٣)
* فَإِنْ يَكُنْ حَقًّا فَفِينَا أَوْفَرَهُ *

قال: ثم بنوا حتى انتهوا إلى موضع الخشب، وكان خمسة عشر جائزاً^(٤) سَقَفُوا البيت عليه، وبنوه على ستة أعمدة؛ وأخرجوا الحجر من البيت، قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: إن قومك استقصروا^(٥) في بنیان الكعبة، ولولا حَدَاثَةُ عهدهم بالشُّرك أعدتُ فيه ما تركوا منه، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه، فهلُمَّ أريك ما تركوا منه، فأراها قريباً من سبعة أذرع في الحجر، وقال ﷺ: ولجعلت لها بابَين شَرْقِيًّا وغَرْبِيًّا، أتدرين لم كان قومك رفعوا بابها؟ قالت: فقلت: لا أدري. قال: تعزُّزاً أن لا يدخلها إلا من أرادوا.

قال ابن هشام^(٦): وكانت الكعبة على عهد النبي ﷺ ثمانِي عشرة ذراعاً، وكانت تُكْسَى القَبَاطِي^(٧) ثم كسيت البرود^(٨)، وأوَّل من كساها الديباج الحجاج بن يوسف. وحيث انتهينا إلى هذه الغاية من أخبار رسول الله ﷺ، فلنذكر من بشر به.

ذكر المبشرات برسول الله ﷺ قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك

جاءت البشائر برسول الله ﷺ في كتب الله تعالى المنزل على أنبيائه صلوات الله

(١) شِيْعاً: فرقاً.

(٢) جدوداً: واحدها جد وهو الحظ.

(٣) في طبقات ابن سعد: «وأكبره».

(٤) الجائز: هو الخشبة التي توضع عليها أطراف العوارض في سقف البيت. وفي الأصل: «حاجراً» تصحيف.

(٥) في الأصل: «استقصروا من». انظر صحيح البخاري: ٢: ١٤٦.

(٦) السيرة: ١: ٢١١.

(٧) القباطي: ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(٨) البرود: ثياب يمنية.

عليهم، وفيما^(١) نُقِلَ إلينا من كلامهم، وُجِدَ بخطهم، وبُشِّرَ به أحبارُ يهود، وعلماء النصراني، عما انتهى إليهم من العلوم التي تلقوها عن الأنبياء صلوات الله عليهم، ونقلوها من صُحفهم، ومُخبَّئات كتبهم، وذخائر أسرارهم، حتى اعترف قوم بنبوته ﷺ قبل مولده وظهوره بما شاء الله من السنين، وأوصوا به من بعدهم؛ ﴿فَتَنَّهُمْ مِّنْ ءَمَنٍ بِهِ وَهُمْ مِّنْ صَدِّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥]؛ وبُشِّرَ به أيضًا قبل مبعثه كهان^(٢) العرب، عما كان يأتيهم من أخبار السماء على لسان شياطينهم الذين كانوا يسترقون السَّمْعَ ومُنِعُوا بالشُّبُه، كما أخبرنا الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمِعَ أَلاَّنْ يَحْدِلْ لَوْ شِئْنَا بِرَصَدًا﴾ [الجن: ٩] ونطق الجان من أجواف الأصنام^(٣) بالبيارة به، فكان ذلك سببًا لإسلام من سمع أصواتها ممن سبقت له من الله الحُسنى، وهداه وأرشدته إلى اتباع الحق، والإيمان برسول الله ﷺ، وبما جاء به من عند الله، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في مواضعه.

فأما ما جاءت به الكتب المنزلة من الله تعالى مما يدل على نبوة سيدنا رسول الله ﷺ فقد جاء ذلك في القرآن العزيز، وفي التوراة والإنجيل وزبور داود، وكتب الأنبياء: شُعيا، وشَمْعُون وحزقيل عليهم السلام.

فأما ما جاء في القرآن العزيز فقد قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]. قال أهل التفسير: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيًا إلا ذكر له محمدًا ونعته، وأخذ عليه^(٤) ميثاقه: إن أدركه ليؤمنن به؛ وقيل: أن يُبَيِّنَه لقومه، ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم؛ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد ﷺ.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: لم يبعث الله نبيًا من آدم فَمَن بعده، إلا أخذ عليهم العهود في محمد ﷺ: لئن بُعث وهو حيّ ليؤمنن به ولننصرنّه،

(١) في الأصل: «وما نقل».

(٢) كهان: واحدها كاهن، وهو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار (اللسان: لكن).

(٣) الصنم: ما ينحت من خشب، ويصاغ من فضة ونحاس (اللسان: صنم).

(٤) في الأصل: «عليهم». انظر شرح المواهب ٦: ١٦٣.

ويأخذ العهد بذلك على قومه، ونحوه عن السُّدي وقَتادة^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ٧﴾ [الأحزاب: ٧]. وروي عن قتادة: أن النبي ﷺ قال: كنتُ أولَ الأنبياء في الخلق، وآخرهم في البعث. قال القاضي عياض: فلذلك وقع ذكره مقدمًا هنا قبل نوح وغيره، صلى الله عليهم أجمعين.

قال رسول الله ﷺ: «أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشر بي عيسى»، الحديث. يشير بدعوة إبراهيم عليه السلام إلى قوله تعالى إخبارًا عنه: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة: ١٢٩].

وأما ما جاء في كتب الله السالفة، فقد علمنا قطعًا أن أهل الكتاب بدّلوا في كتب الله تعالى المنزلة على أنبيائهم، وحرّفوا كَلِمَها عن مواضعه، وحذفوا منها أشياء فيها صريح ذكر رسول الله ﷺ بغيًا منهم وحسدًا وجحودًا ونكالا^(٢) وافتراء على الله تعالى. هذا لا مِرَّة^(٣) عندنا فيه ولا خلاف، وقد اتفقوا على أشياء في كتبهم وترجموا عنها بالعربية، تدل على نبوة سيدنا محمد رسول الله ﷺ، ونحن نذكرها إن شاء الله، وكنتموها فيها ما أخبر به من أسلم من أحبار يهود وغيرهم، وعرض ذلك على من استمر على كفره، فلم يسعه إنكاره بل أقر به، على ما نذكر إن شاء الله تعالى في مواضعه.

فأما ما اتفقوا عليه مما جاء في التوراة وترجموه بالعربية ورَضُوا ترجمته فمن ذلك قوله: «جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران». وفي ترجمة^(٤) أخرى كذلك: «تجلى الله من طور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران». قال العلماء: وفي هذا تصريح بنبوة محمد ﷺ، لأنَّ الطور^(٥) هو الجبل الذي اصطفى الله تعالى موسى عليه بتكليمه، وساعير: جبل بالشام منه ظهرت نبوة عيسى ابن مريم، وبالقرب منه قرية الناصرة التي ولد فيها، وفاران: هي مكة شرفها الله تعالى.

(١) قتادة: قتادة بن دعامة بن قَتادة بن عُزَيز، أبو الخطاب السدوسي البصري (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ -

٧٣٦ م) مفسر حافظ ضريّر أكمه. (الأعلام: ٥: ١٨٨).

(٢) نكالا: عقوبة.

(٣) مرية: شك.

(٤) معجم البلدان: ٦: ٣٢٣ - وفاران: جبال بمكة.

(٥) في الأصل: «الطور وهو». وانظر «خير البشر» لابن ظفر ص ٩.

قال الشيخ حجة الدين أبو هاشم^(١) محمد بن ظفر في كتابه المترجم بخير البشر^(٢): لا يخالف في هذا أحد من أهل الكتاب. قال: «وأما قوله: جاء الله من طور سيناء فإن مجيء الله هو مجيء كتابه وأمره كما قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا إِلَهُكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي أتاهم أمره. وقوله: «وأشرق لنا من ساعير» كناية عن ظهور أمره^(٣) وكلامه، قال: وكذلك قوله: «واستعلن من جبال فاران»، أي ظهر أمره، وكتابه، وتوحيده، وحمده، وما شرعه رسوله من ذكره بالأذان والتلبية وغير ذلك؛ قال ابن ظفر^(٤): «وقرأت في ترجمة للتوراة خطاباً لموسى عليه السلام، والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه فأخذتهم الرجفة خصوصاً ثم سائر بني إسرائيل عموماً: والله ربك يقيم نبياً من إخوانك، فاستمع له كالذي سمعت ربك في حوربت يوم الاجتماع حين قلت: لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت، فقال الله لي: نِعَمَ ما قالوا، وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوانهم، وأجعل كلامي في فمه، فيقول لهم كل شيء أمره به، وأيما رجل لم يُطع من تكلم باسمي فإنني أنتقم منه».

وفي هذا^(٥) أدلة على نبوة نبينا ﷺ، منها قوله: «من إخوانهم»، وموسى وقومه من بني إسحاق، وإخوانهم بنو إسماعيل، ولو كان الموعود^(٦) من بني إسحاق، لكان من أنفسهم، لا من إخوانهم، كما قال تعالى إخباراً عن إبراهيم في دعوته: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ ومنها قوله: «نبياً مثلك»، وقد قال في التوراة: «لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثلاً موسى»، وفي ترجمة أخرى: «مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً»؛ ومنها قوله: «أجعل كلامي في فمه»، فهو واضح أن المقصود به محمد ﷺ، لأن معناه: أوجي إليه بكلامي فينطق به؛ وقوله: «أيما رجل لم يُطع من تكلم باسمي فإنني أنتقم منه» دليل على كذب اليهود في قولهم: إن الله أمرنا بمعصية كل نبي دعا إلى دين سُمي نسخاً لبعض ما شرعه موسى ﷺ. والله تعالى أعلم.

وأما ما اتفقوا عليه، ورضوا ترجمته مما في الإنجيل فمن ذلك ما ترجموه في

(١) محمد بن ظفر: محمد بن عبد الله أبي محمد بن محمد بن ظفر الصقلي المكي، أبو عبد الله حجة الدين (٤٩٧ - ٥٦٥ هـ = ١١٠٤ - ١١٧٠ م) أديب رحالة مفسر ولد في صقلية، ونشأ بمكة تنقل في البلاد. وعاد إلى الشام فاستوطن «حماء» وتوفي بها. (الأعلام: ٦: ٢٣٠).

(٢) خير البشر ص ٩.

(٣) في الأصل: «ظهور أنوار كلامه»، والمثبت عن ابن ظفر.

(٤) خير البشر ص ١٠.

(٥) خير البشر (ق ه ب): «وفي هذا الكلام أدلة».

(٦) في خير البشر (ق ه ب): «ولو كان هذا النبي الموعود».

الإنجيل: أن عيسى عليه السلام قال: «إن أحببتموني فأحفظوا وصيتي، وأنا أطلب إلى أبي فيعطيكُم بَارْقَلِيْطُ آخر يكون معكم الدهر كله»، فهذا تصريح بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه، وينوب عنه في تبليغ رسالات ربه، وسياسة خلقه منابه، وتكون شريعته باقية مخلدة أبداً، ولم يأت بذلك بعد عيسى إلا محمد ﷺ.

ومنه ما ترجموه: «إن هذا الكلام الذي سمعتموه ليس هو لي، بل للأب الذي أرسلني، كلّمكم بهذا وأنا معكم، فأما البَارْقَلِيْطُ: روح القدس الذي يُرسل أبي باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويُذكركم جميع ما أقول لكم».

قال ابن ظَفَر: قولهم: «أبي»: فهذه اللفظة عندنا مبدلة محرّفة، وليست مُنكرة الاستعمال عند أهل الكتابين إشارة إلى الرب سبحانه، لأنها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلّم مُعلّمه الذي يستمد العلم منه؛ قال: ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالآباء الروحانية؛ قال: وأما قوله: «يرسله أبي باسمي» فهو إشارة إلى شهادة رسول الله ﷺ له بالصدق والرسالة، وما تضمّنه القرآن من مدحه وتنزيهه عما افتراه اليهود في أمره.

ومما ترجموه ورَضُوا ترجمته قولهم: إنه قال: «إذ قال البَارْقَلِيْطُ الذي أرسل إليكم من عند أبي، روح الحق الذي يخرج من الأب، فهو يشهد لي، وأنتم تشهدون لي أيضاً لكيكونتكم معي من أول أمري».

قال: قوله: «روح الحق الذي يخرج من الأب» كناية عن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

وقوله: «يشهد لي» تصريح بنبوة محمد ﷺ، إذ لم يشهد للمسيح عليه السلام بالنبوة، والنزاهة عما افترى عليه، وبأنه روح الله وكلمته وصفه ورسوله، كتاب سوى القرآن، ولم تزل الأمم تكذب المتّبعين للمسيح، واليهود يفترون العظام من البهتان^(١)، حتى بعث الله محمداً ﷺ فشهد للمسيح بما شهد به حوارِيُّوه الذين كانوا معه من أول أمره، والمهتدون من أمته.

قال: ومما رَضُوهُ من الترجمة أيضاً عن الإنجيل قوله فيه: «إن انطلاقي خير لكم، لأنني إن لم أنطلق لم يأتكم البَارْقَلِيْطُ؛ فإذا انطلقتُ أرسلتُ به إليكم، فإذا جاء فنَد أهل العلم». قال: فهذا ظاهر، وقوله: «أرسلت به إليكم» إن كان سالماً من التحريف، فمعناه مثل معنى قوله: «إن لم أنطلق لم يأتكم»، وقوله: «فنَد» وصف صريح للنبي ﷺ، فهو الذي فنَد علماء اليهود والنصارى فيما أطبقوا عليه من أن

المسيح قُتِلَ وصُلِبَ بعد أن عُدِبَ، وما انفرد به علماء اليهود من بُهتانهم في الطعن على المسيح، وما انفرد به علماء النَّصارى من الدعوة إلى ألوهية المسيح، فرسول الله ﷺ فَنَدَ جميعهم. والتَّفنيدُ: التَّخْطِئَةُ وتَقْبِيحُ القول والرأي.

قال ابن ظَفَرٍ: وقرأت في ترجمة أخرى للإنجيل: أنه قال: «الْبَارَقْلِيْطُ لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبَيَّخَ العالم على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكنه ما يَسْمَعُ يكلمهم به، وَيَسْوُسُهُم بالحق، ويخبرهم بالحوادث والغيوب». ورسول الله ﷺ هو الذي وبَّخَ العلماء من أهل الكتاب على كتمان الحق، وتَحْرِيفِ الكَلِمِ عن مواضعه، وبيع الدين بالثَّمَنِ الْبَخْسِ من عَرَضٍ^(١) الدنيا، وهو الذي أخبر بالحوادث والغيوب.

وقال ابن ظفر: والذي صحَّ عندي في معنى الْبَارَقْلِيْطِ: أنه الحكيم الذي يَعْرِفُ السِّرَّ؛ وقد تقدم ما يدلُّ على أنه الرسول.

وأما ما جاء في زبور داود عليه السلام ممَّا ترجمه أهل الكتاب، فمن ذلك قوله: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ جاعِلَ السُّنَّةِ يحيًا، يَعْلَمُ النَّاسُ أنه بشر»؛ ويفهم من هذا: أن داود عليه السلام أطلعه الله تعالى على ما سيقوله النَّصارى في المسيح إذا أرسله، من أنه إلهٌ معبود، فدعا الله سبحانه بأن يبعث محمدًا ﷺ فيعلمهم أن المسيح بشر.

وفيه أيضًا ممَّا ترجموه: «أنه فاضت الرحمة على شفّيتك، من أجل ذلك أبارك عليك، إلى الأبد، فتقلَّد السَّيفَ، فإن بهاءك وحمدك الغالب، واركب كلمة الحق، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بهيئة يمينك، والأمم يخرون تحتك»؛ قال: فالذي قرنت شريعته بهيئة يمينه، وخزت الأمم تحته، هو رسول الله ﷺ.

ومنها، وذكر رجلاً فقال: «فإذا قام جاز من البحر إلى البحر، ومن عند الأنهار إلى مُنْقَطَعِ الْبَرِّ، وخزَّ أهل الجزائر قدَّامه على وجوههم ورُكَبَهم، ولحس أعداؤه التراب لهيئته، وجاءته الملوك بالقرايين^(٢)، ودانت له الأمم بالطاعة؛ لأنه يخلص الضعيف المغلوب البائس ممن هو أقوى منه، ويقوِّي الضعيف الذي لا ناصر له، ويرحم المساكين، ويصلِّي ويبارك عليه في كلِّ وقت، ويدوم ذكره إلى الأبد».

فهذا في غاية الظهور أن المراد به رسول الله ﷺ.

وأما ما ترجموه من كتاب شعيا^(٣) عليه السلام ورَضُوا ترجمته فقوله^(٤): «عبدني

(١) عَرَضَ: في الأصل: «مواضعه، وسطه بغض»، انظر الزرقاني: ٦: ٢٠٢. والعَرَضُ: المغريات الزائفة.

(٢) القرايين: واحدها القريان (بالضم) وهو ما قرب إلى الله عز وجل.

(٣) شعيا: ويقال أيضًا «سعيا»، و«اشعيا». انظر السيرة الحلبية: ١: ٢١٣، ٢١٨، وتاج العروس:

١٠: ١٨٨.

(٤) في الأصل: «قوله».

الذي سُرَّت به نفسي أنزل عليه وحبي، فيُظهِر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك، ولا يُسمع صوته في الأسواق^(١)؛ يفتح العيون العُور، والآذان الصُم، ويحيي القلوب الغُلف^(٢)؛ وما أعطيه لا أُعطي أحدًا، مُشَقَّح^(٣) يَحْمَد الله حمداً جديداً، يأتي من أقصى الأرض. تَفْرَح البرية وسكانها يَهْلَلون الله على كل شَرَف، ويكررونه على كل رابية، ولا يضعُف ولا يُغَلَب، ولا يميل إلى الهوى ولا يُذِل الصالحين الذين هم كالقَصَبَة الضعيفة، بل يقوِّي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفأ، أثّر سلطانه على كَتِفِيهِ.

قال ابن ظَفَر: هذه ترجمة السريانيين، وعبر العبرانيين عنه بأن قالوا: «على كتفيه علامة النبوة»، فهذا كله صريح في البشارة به ﷺ، مع ما فيه من ذكر قيام دولة العرب بقوله: «تَفْرَح البرية وسكانها»؛ وأما قوله: مُشَقَّح^(٤) فهو محمد، لأن الشَّقْح بلغتهم الحمد.

ومما ترجموه منه أن شعياً عليه السلام قال^(٥): «قم نَظَّاراً فانظر ما ترى، فأخبر به، فقلت: أرى ركبَيْن مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جَمَل؛ يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامُها» فهذه بشارة صريحة بمحمد ﷺ؛ لأنه راكب الجَمَل لا محالة، ولأن مُلْك بابل إنما ذهب بنبوته ﷺ وعلى يد أصحابه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال^(٦): وقد كان على باب من أبواب الإسكندرية صورة جَمَل من نحاس، عليه راكب من نحاس، في هيئة العرب مؤتزر مُرتِد، عليه عمامة، وفي رجله نعلان، كل ذلك من نحاس؛ وكانوا إذا تظالموا يقول المظلوم للظالم: أعطني حَقِّي قبل أن يخرج هذا فيأخذ لي بحَقِّي منك، شئت أو أبيت، ولم يزل الصنم على ذلك حتى أفتتح عمرو ابن العاص أرض مصر، فغيَّبوا الصنم.

ومنه: «أَيْتُهَا العاقر^(٧)! افرحي وأهتزي وانطلقِي بالتسبيح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي». قال: فالعاقر مكة، لأنها بوادٍ غير ذي زَرْع، أو لأن الله لم يبعث بها

(١) في السيرة الحلبية: ١ : ٢١٩: «... ولا يسمع صوته في الأصوات لأن ضحكه كان التسم». .

(٢) الغُلف: المغطاة - المغطاة.

(٣) مُشَقَّح: زاهي.

(٤) في الأصل: «وأما قوله فهو محمد» والتكملة عن خير البشر لابن ظفر.

(٥) ورد هذا الخبر في السيرة الحلبية: ١ : ٢١٨ بصورة تختلف عما هنا.

(٦) القائل: ابن ظفر في خير البشر ص ١٧.

(٧) العاقر: التي لا تنجب.

نبياً في ذلك الزمن دون غيرها، فهي عاقر، وقوله: «انطلقني بالتسبيح» إشارة إلى عمارتها بأهل ذكر الله، وقوله: «يكون أهلك أكثر من أهلي»، قال: إن سليم من التحريف وسوء العبارة «فمن» زائدة، والمعنى أن المسلمين يكونون أكثر أهل طاعة الله وتوحيده^(١)، وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته أكثر أهل الجنة. والآل والأهل يكتنن بهما عن الجماعة الخاصة^(٢)، قال عبد المطلب بن هاشم: [من الرمل]

نحن آل الله في بلدتنا لم نزل آلا^(٣) على عهد إرم

ولما روجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه في استخلافه عمر بن الخطاب وقيل له: ما تقول لربك وقد استخلفت علينا فظاً غليظاً؟ فقال أقول: تركت على أهلك خير أهلك. والله الفعّال.

ومن كتاب شمعون عليه السلام مما ترجموه ورَضُوا ترجمته قوله: «جاء الله بالبينات»^(٤) من جبال فاران، وامتلاّت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته. وقد تقدم أن جبال فاران هي جبال مكة شرفها الله، ومجيئ الله هو مجيء كتابه.

ومن كتاب حزقيل عليه السلام مما ترجموه من قصة ذكر فيها ظهور اليهود وعزّتهم، وكفرانهم للنعم، فشبههم فيها بالكزّمة حيث قال: «لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعت»^(٥) بالسخطة^(٦)، ورُمي بها على الأرض، فأحرقت السمائم أثرها، فعند ذلك غرس غرس في البدو، وفي الأرض المهملة العَطَشَى، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب.

قال: فلا شك أن أرض البدو المهملة العَطَشَى هي أرض العرب، وغرس الله الذي غرسه فيها هو محمد ﷺ، وقد أخزى الله به اليهود والله أعلم.

ومما نقل من كلام خَيْفُوق، وهو الذي زعمت اليهود أنه ادّعى النبوة في عهد بُخْتَنْصَر، وحكوا عنه أنه قال: «إذا جاءت الأمة الآخرة يسبح بهم صاحبُ الجَمَل - أو قال: راکبُ الجَمَل - تسبيحاً جديداً في الكنائس الجُدُد، فافرحوا، وسيروا إلى صَهيون بقلوب آمنة، وأصوات عالية، بالتسبيحة الجديدة التي أعطاكم الله في الأيام الآخرة، أمة جديدة بأيديهم سيوف ذوات شُفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع

(١) في خير البشر: «يكونون أكثر طاعة لله وتوحيداً له».

(٢) في الأصل: «بهما عن الخاصة»، والتكملة عن خير البشر.

(٣) في الأصل: وخير البشر ص ٩. «إلا».

(٤) لا يزال المؤلف ينقل عن ابن ظفر، والرواية عنده «جاء الله بالبيان».

(٥) في خير البشر: «أن قطعت».

(٦) السخطة: الكراهية.

الأقطار». ولا شك أن رَاكِبَ الْجَمَلِ أو صاحب الْجَمَلِ من الأنبياء هو محمد ﷺ، والأمة الجديدة هي العرب، والكنائس الجدد هي المساجد، وصهفيون: مكة، والتسيحة الجديدة: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ».

ونقل أيضًا عن خَيْفُوقِ هَذَا أَنَّهُ قَالَ: «جاء الله من اليمَن، وظهر القدس على جبال فاران، وامتلاَّت الأرض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأضاءت الأرض لنوره، وحُمِلَتْ خيلُه في البحر». والله أعلم.

ومما وجد بخط موسى بن عمران عليه السلام ما رَوَى مَعْمَرُ عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَشْخَصَنِي هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(١) إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كُنْتُ بِالْبَلْقَاءِ^(٢) وَجَدْتُ حَجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ بِالْخَطِ الْعِبْرَانِيِّ، فَطَلَبْتُ مَنْ يَقْرُؤُهُ، فَأُرْشِدْتُ إِلَى شَيْخٍ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى الْحَجَرِ، فَقَرَأَهُ وَضَحَكَ، فَقُلْتُ: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: أَمْرٌ عَجِيبٌ، مَكْتُوبٌ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَكَتَبَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بِخَطِّ يَدِهِ.

وإنما ألحقنا هذا الخبر بما قبله لأن موسى ﷺ إنما يكتب بخطه ما تلقاه عن الله تعالى، أو عن كُتِبِهِ الْمُنْزَلَةِ؛ وهذا الذي أوردناه مما جاء في كتب الله السالفة هو الذي أبداه أهل الكتاب وأثبتوه، وترجموه ورضوا ترجمته في تحريفهم وتبديلهم.

وأما ما كَتَمَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ مِمَّا فِيهِ صَرِيحُ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَدَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَأَخْبَرْنَا بِهِ مِنْ أَسْلَمِ^(٣) مِنْهُمْ مِمَّنْ جَازَ لَنَا أَنْ نُرْوِيَ عَنْهُ وَنَقْبَلَ رَوَايَتَهُ؛ مِثْلَ وَهْبٍ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ، وَأَبِي ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ.

فأما ما جاء عن وَهْبِ بْنِ مَنبَةَ. فإنه رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنْزَلَةِ عَلَى نَبِيِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: «أَنْ قُمْ فِي قَوْمِكَ، فَقُلْ: يَا سَمَاءُ أَسْمَعِي، وَيَا أَرْضُ أَنْصَتِي؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَرِيدُ أَنْ يَقْصَرَ شَأْنُ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنِّي رَبِّيتُهُمْ بِنِعْمَتِي، وَأَثَرْتُهُمْ بِكَرَامَتِي، وَاخْتَرْتُهُمْ لِنَفْسِي، وَأَنِّي وَجَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَالْعَنَمِ الشَّارِدَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا، فَزِدْتُ شَارِدَهَا، وَجَمَعْتُ ضَالَّتَهَا»^(٤)، وَدَاوَيْتُ مَرِيضَهَا، وَجَبَرْتُ كَسِيرَهَا،

(١) هشام بن عبد الملك: هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١-١٢٥ هـ = ٦٩٠-٧٤٣ م) من ملوك الدولة الأموية في الشام، ولد في دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥ هـ). واجتمع في خزائنه ما لم يجتمع في خزانة أحد من ملوك بني أمية في الشام (الأعلام: ٨: ٨٦).

(٢) البلقاء: أرض بالشام، وقيل: مدينة.

(٣) في الأصل: «به ابن أسلم» تصحيف.

(٤) ضالتها: الضال، الضائع، التائه.

وحفظت سمينها؛ فلما فعلت بها ذلك بَطَرْتُ^(١)، فتناطحت كباشها، فقتل بعضها بعضاً. فويل لهذه الأمة الخاطئة، ويل لهؤلاء القوم الظالمين؛ إني قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء حتمًا، وجعلت له أجلاً مؤجلاً لا بد منه، فإن كانوا يعلمون الغيب فليخبروك متى حتفه، وفي أي زمان يكون ذلك، فإني مظهره على الدين كله، فليخبروك متى يكون هذا ومن القيم به. ومن أعوانه وأنصاره، إن كانوا يعلمون الغيب فإني باعث بذلك رسولا من الأميين ليس بفظ^(٢) ولا غليظ، ولا صحاب^(٣) في الأسواق، ولا قوال بالهجر والخنى^(٤)، أسدده بكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة على لسانه، والتقوى ضميره، والحكمة منطقته، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته، والعدل سيرته، والإسلام ملته، أرفع به من الوضيعة، وأغني به من العيلة، وأهدي به من الضلالة، وأؤلف به بين قلوب متفرقة، وأهواء مختلفة، وأجعل أمته خير الأمم إيمانا بي وتوحيدا^(٥) لي، وإخلاصا بما جاء به رسولي، ألهمهم التسييح والتحميد والتمجيد لي في صلواتهم^(٦) ومساجدهم ومقلبهم^(٧) ومثواهم، يخرجون من ديارهم وأموالهم أبتغاء مرضاتي يقاتلون في سبيلي صفوفًا، ويصلون^(٨) لي قيامًا وركوعًا وسجودًا، يكبرونني على كل شرف، رهبان بالليل، أسد بالنهار؛ ذلك فضلي أوتيته من أشياء، وأنا ذو الفضل العظيم.

ومنه ما روي عنه أنه قال: قرأت في بعض الكتب القديمة: «قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب نورًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، ولأخرجن من ولد إسماعيل نبيًا عربيًا أميًا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الأرض، كلهم يؤمن بي ربًا، وبه رسولا، ويكفرون بملل آبائهم، ويفرون منها. قال موسى: سبحانك وتقدس أَسْمَاؤُكَ! لقد كَرَّمْتَ هذا النبي وشرفته، قال الله عز وجل: يا موسى إني أنتقم من عدوه في الدنيا والآخرة، وأظهر دعوته على كل دعوة، وسلطانه ومن معه^(٩) على البر والبحر، وأخرج لهم من كنوز الأرض، وأذل من خالف شريعته؛ يا

(١) بطرت: أشرت.

(٢) الفض: القاسي - الخشن الكلام.

(٣) صحاب: شديد الصخب.

(٤) الخنا: السيء البذيء.

(٥) في خير البشر لابن ظفر: «... وتوحيدًا بي، وإخلاصًا لما جاء به».

(٦) في الأصل: «والتمجيد في صلواتهم». والمثبت عن خير البشر.

(٧) متقلبهم: مصيرهم.

(٨) في الأصل: «ويصلون قيامًا». والتكملة عن ابن ظفر.

(٩) في خير البشر: «ومن اتبعه».

موسى: بالعدل ربّيته، وبالقسط أخرجته؛ وعزّتي لأستنقذن به أمّا من النار، فتحت الدنيا بإبراهيم، وختمتها بمحمد، مثل كتابه الذي يجيء به، فأعقلوه يا بني إسرائيل مثل السقاء^(١) المملوء لبنًا يُمَخَضُ فيخرج زُبْدًا، بكتابه أختِم الكتب، وبشريعته أختِم الشرائع، فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء، أجعل أمته يبنون في مشارق الأرض ومغاربها مساجد، إذا ذكر أَسْمِي فيها ذكر أَسْم ذلك النبيّ معي، لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول.

وأما ما جاء عن كعب الأحبار رحمه الله، فمن ذلك ما روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا كعب، أدركت النبي ﷺ، وقد علمت أن موسى بن عمران تمثي أن يكون في أيامه فلم تسلم على يده، ثم أدركت أبا بكر وهو خير مني فلم تسلم على يده، ثم أسلمت في أيامي، فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، فإنني كنت أثبت حتى أنظر كيف الأمر؟ فوجدته كالذي هو في التوراة. قال عمر: كيف هو فيها؟ قال: رأيت في التوراة أن سيد الخلق، والصفوة من ولد آدم، يظهر من جبال فاران من منابت القرظ من الوادي المقدس، فيظهر التوحيد والحق، ثم ينتقل إلى طيبة، فتكون حروبه وأيامه بها، ثم يقبض فيها، ويدفن بها، قال عمر: ثم ماذا يا كعب؟ قال كعب: ثم يلي بعده الشيخ الصالح. قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يموت متبعًا. قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي بعده القرن الحديد - وفي لفظ: مدرع من حديد - قال عمر: واذفراه^(٢) ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يقتل شهيدًا؛ قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب الجباء^(٣) والكرم، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يقتل مظلومًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يلي صاحب المحجة البيضاء، والعدل والسوء، صاحب الشرف التام، والعلم الجام^(٤)، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم يموت شهيدًا سعيدًا، قال عمر: ثم ماذا؟ قال كعب: ثم ينتقل الأمر إلى الشام؛ قال عمر: حسبك يا كعب.

ومما جاء عنه ما روي عن عبد الله بن عمر^(٥) رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء

(١) السقاء: القربة.

(٢) الدفر: الدفر: التتن، وقصد عمر التواضع: فذكر رائحة الحديد وأعرض عن صفاته الحسنة من القوة والقطع.

(٣) الجباء: ما يحبو به الرجل صاحبه، بكرمه به.

(٤) كذا في خير البشر ص ٢٧. والمعروف: «الجم».

(٥) عبد الله بن عمر: عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م) صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة =

إلى كعب الأحبار من بلاد اليمَن فقال له: إن فلانًا الحبر اليهودي أرسلني إليك برسالة، قال كعب: هاتها! فقال: إنه يقول لك: ألم تكن فينا سيدًا شريفًا مطاعًا؟ فما الذي أخرجك من دينك إلى أمة محمد؟ فقال له كعب: أترك راجعًا؟ قال: نعم، قال: فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك وقل له: يقول لك كعب: أسألك بالذي رد موسى إلى أمه، وأسألك بالذي فلق البحر لموسى، وأسألك بالذي ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شيء، ألسنت تجد في كتاب الله أن أمة محمد ثلاثة أثلاث، فثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يدخلون الجنة برحمة الله، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة؛ فإنه سيقول لك: نعم، فقل له: يقول لك كعب: اجعلني في أي هذه الثلاثة شئت.

ومنه ما رواه عطاء بن يسار وأبو صالح عنه^(١) أنه قال: أجد في التوراة: أحمد عبدي المختار، لا قَظ، ولا غليظ، ولا صحاب في الأسواق، ولا مُجَز بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح ويغفر، أمته الحمادون؛ يحمدون الله على كل حال، ويسبحونه في كل منزلة، ويكبرونه على كل شرف، يأتزون على أوساطهم، ويصونون أطرافهم^(٢)، وهم رعاة الشمس، ومؤذنه ينادي في جو السماء، وصفهم في الصلاة سواء؛ رهبان بالليل، أسد بالنهار، لهم بالليل دوي كدوي النحل، يصلون الصلاة حيثما أدركتهم من الأرض؛ مولده مكة، مهاجره طابة، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الأمة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح الله به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا.

ومنه ما روي أن معاوية بن أبي سفيان قال لكعب: دُلني على أعلم الناس بما أنزل الله على موسى لأسمع كلامك معه، فذكر له رجلًا من اليهود باليمن، فأشخصه إليه، فجمع معاوية بينهما، فقال له كعب: أسألك بالذي فرق البحر لموسى أنجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب إني أجد أمة مرحومة، وهي خير أمة أخرجت للناس، يأمرهم بالمعروف، وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول^(٣)،

= مع أبيه، وشهد فتح مكة ومولده ووفاته فيها. كف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة (الأعلام: ٤: ١٠٨) في خير البشر: «فرق البحر لموسى» ص ٢٥.

(١) في خير البشر ص ٢٨: «أبو صالح عن كعب الأحبار».

(٢) في شرح المواهب: ١: ٣٦١: «يشدون أوساطهم، ويطهرون أطرافهم»، وشد الوسط عبارة عن الاجتهاد في العبادة، وتطهير الأطراف كناية عن الوضوء.

(٣) قيل: الكتاب الأول هو التوراة، وقيل: المراد جنس الكتب السابقة. انظر السيرة الحلبية: ١:

ويؤمنون بالكتاب الآخر^(١)، ويقاتلون أهل الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فأجعلهم يا رب أمّتي، قال: هم أمة أحمد؟ قال الحبر: نعم أجد ذلك، ثم قال كعب للحبر: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف^(٢) كبر، وإذا هبط وادياً حمد الله، والصعيد لهم طهور، يتطهرون به من الجنابة^(٣) كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، حيث كانوا فلهم مسجد، غرّ محجلون^(٤) من الوضوء، فأجعلهم أمّتي. قال: هم أمة أحمد؟ فقال الحبر: نعم أجد ذلك؛ قال: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: رب إني أجد أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها، وإذا عملها أضعفت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإذا همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها، فأجعلهم أمّتي، قال: هم أمة أحمد؟ قال الحبر: نعم، أجد ذلك؛ قال كعب: أنشدك الله الذي فرق البحر لموسى، أتجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال: يا رب إني أجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم، إنهم يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كان غيرهم من الأمم يفعل؟ وجاء في حديث آخر غير هذا ممّا هو منسوب إلى كتب الله السالفة: «يأكلون قرايبهم»^(٥) في بطونهم». والمراد الضحايا.

ومنه ما روي عنه أنه قال: كان لأبي سفير من التوراة يجعله في تابوت ويختم عليه، فلما مات أبي فتحته، فإذا فيه: إن نبياً يخرج في آخر الزمان هو خير الأنبياء^(٦)، وأمته خير الأمم، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، يكبرون الله على كل شرف، ويصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال، قلوبهم مصاحفهم، يأتون يوم القيامة غرّاً محجلين، اسمه أحمد، وأمته الحمّادون، يحمدون الله على كل شدة ورخاء، مولده مكة، ودار هجرته طابة، لا يلقون عدواً إلا وبين أيديهم ملائكة معهم رماح، تحنّ الله عليهم كتحنّ^(٧) الطير على فراخها، يدخلون الجنة؛ يأتي ثلث منهم يدخلون الجنة

(١) هو القرآن: السيرة الحلبية: ١: ٢١٧.

(٢) شرف: مكان عالٍ.

(٣) الجنابة: المنى.

(٤) الغر المحجلون: بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجه والأقدام.

(٥) في خير البشر: «قرباتهم».

(٦) في الأصل: «آخر الأنبياء».

(٧) في الأصل: «كحنين».

بغير حساب، ثم يأتي ثلث منهم بذنوب وخطايا؛ فيُغفر لهم، ويأتي ثلث بذنوب وخطايا عظام، فيقول الله: اذهبوا بهم فزنوهم وانظروا إلى أعمالهم، فيزنونهم^(١) ويقولون: ربنا! وجدناهم قد أسرفوا على أنفسهم، ووجدنا أعمالهم من الذنوب أمثال الجبال، غير أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله فيقول الله: وعزتي لا أجعل من أخلص لي الشهادة كمن كفر بي، قال كعب: فأنا أرجو أن أكون من هذه الثلاثة إن شاء الله تعالى.

ومنه ما روي أن رجلين جلسا يتحدثان وكعبُ الأخبار قريبٌ منهما، فقال أحدهما: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس حُشروا، فرأيت النبيين كلهم لهم نوران نوران، ورأيت لأشياهم^(٢) نورًا نورًا، ورأيت محمدًا ﷺ وما من شعرة في رأسه ولا جسده إلا وفيها نور، ورأيت أتباعه ولهم نوران نوران، فقال له كعب: اتق الله تعالى يا عبد الله! وانظر ما تتحدث به، فقال الرجل: إنما هي رؤيا منام أخبرت بها على ما أريتها، فقال كعب: والذي بعث محمدًا بالحق ﷺ، وأنزل التوراة على موسى بن عمران، إن هذا لفي كتاب الله المنزل على موسى بن عمران كما ذكرت.

وأما^(٣) ما جاء عن أبي ثعلبة وهو أبو مالك، وكان من أخبار يهود، فقد روى الواقدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له: يا أبا مالك! أخبرني بصفة النبي ﷺ في التوراة، فقال: إن صفته في توراة بني إسرائيل التي لم تبدل ولم تُغيّر أحمد، من ولد إسماعيل بن إبراهيم، وهو آخر الأنبياء، وهو النبي العربي، يأتي بدين إبراهيم الحنيف، يأتزر على وسطه، ويغسل أطرافه، في عينيه حُمْرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، ليس بالقصير ولا بالطويل، يلبس الشملة^(٤)، ويجتريء بالبلغة^(٥) ويركب الحمار^(٦)، ويمشي في الأسواق، سيفه على عاتقه، ولا يبالي من لقي من الناس، معه صلاة لو كانت في قوم نوح ما أهلكوا بالطوفان، ولو كانت في قوم عاد ما أهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أهلكوا بالصيحة^(٧)، مولده مكة، ومنشؤه وبدء نبوته بها، ودار هجرته يثرب بين لابتى حرّة ونخل وسبخة، وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ

(١) في الأصل: «فيزنوهم» تصحيف.

(٢) في خير البشر: «لأتباعهم».

(٣) انظر خير البشر لابن ظفر ص ١٠.

(٤) الشملة: نوع من الكساء.

(٥) البلغة: ما يُبلغ به من العيش.

(٦) في خير البشر: «ويحارب على البلغة، ويركب الجمل».

(٧) الصيحة: العذاب.

المكتوب، وهو الحمّاد يحمّد الله على كلّ شدة ورخاء، سلطانه بالشام، وصاحبه من الملائكة جبريل، يلقي من قومه أذى شديداً، ثم يدال^(١) عليهم فيحصدهم خضداً، تكون له وقعات بيثرب، منها له ومنها عليه، ثم له العاقبة^(٢)، معه قوم هم إلى الموت أسرع من الماء من رأس الجبل إلى أسفله، صدورهم أناجيلهم، وقربائهم دماؤهم، ليوث النهار رهبان الليل، يرعب عدوه منه مسيرة شهر، يياشر القتال بنفسه حتى يخرج ويكلم، لا شرطة معه ولا حرس، الله يحرسه.

وكان من هؤلاء أيضاً عبد الله بن سلام^(٣) ومخيريق^(٤)؛ وسنذكر أخبارهما إن شاء الله تعالى عند ذكر إسلامهما بعد الهجرة على ما تقف عليه هناك.

هذه رواية من أسلم من أهل الكتاب.

وأما من بشر به ﷺ من أهل الكتابين ممن لم يسلم ظاهراً، ولا علم لهم إسلام، ومن أقرّ بنبوته ﷺ ولم يدّر له مكان.

فمن^(٥) هؤلاء من بشر به وأخبر بنبوته قبل مولده، ومنهم من ذكر ذلك حال مولده لقرائن كان يرقب وقوعها تدلّ على مولده فوقعت؛ ومنهم من بشر به في حال طفولته، ومنهم من بشر به قبل مبعثه، ومنهم من ذكر صفته بعد مبعثه ورؤيته له، وذكر قومه بها وحقّق عندهم أنه هو، ودليل كل منهم ما كان يجده عنده من أخباره في الكتب السالفة التي تلقّاها على أسلافه، ومنهم من أظهر صُحفاً كانت عنده فيها صريح ذكره وصفته، ومنهم من أظهر تمثال صورته، وصوّر بعض أصحابه وهيئتهم، وكان ذلك مصوراً في بيوت في بيعهم^(٦)، على ما نذكر ذلك مُسهباً^(٧) إن شاء الله.

فأما من بشر به وأخبر بنبوته وصفته ﷺ قبل مولده؛ فمن ذلك ما حكاه ابن

(١) يدال عليهم: دال: دار.

(٢) العاقبة: النتيجة الحسنة.

(٣) عبد الله بن سلام: بتخفيف اللام كما في الروض الأنف: ٢: ٢٥. وهو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف (.... هـ - ٤٣ هـ = - ٦٦٣ م) صحابي. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وكان اسمه «الحصين» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية، اتخذ سيفاً من خشب، واعتزلها وأقام في المدينة إلى أن مات. (الأعلام: ٤: ٩٠).

(٤) مخيريق: مخيريق النضري (.... هـ - ٣ هـ = - ٦٢ م) صحابي كان من علماء اليهود. أسلم وأوصى بأمواله للنبي ﷺ. استشهد بأحد (الأعلام: ٧: ١٩٤).

(٥) في الأصل: «من».

(٦) البيعة: كنيسة النصارى، وقيل كنيسة اليهود.

(٧) في الأصل: «سبياً».

إسحاق في خبر تُبَعِّ الأول، قال: وكان من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا بأسرها، وكان له وزراء، واختار منهم واحداً، وأخرجه معه، وكان يسمّى عماريشا^(١)، وأخذها لينظر في مملكته، وخرج معه مائة ألف من الفرسان، وثلاثة وثلاثون ألفاً، ومائة ألف وثلاثة عشر ألفاً من الرّجال، وكان إذا أتى بلدة يختار منها عشرة رجال من حكمائها، حتى جاء إلى مكة، فكان معه مائة ألف رجل من العلماء والحكماء الذين اختارهم من البلدان، فلم يَهَبْه أهل مكة ولم يعظموه، فغضب لذلك، ثم دعا وزيره عماريشا وقال: كيف شأن أهل هذه البلدة؟ فإنهم لم يهابوني، ولم يخافوا عسكري، فقال: أيها الملك إنهم قوم عرب^(٢) جاهلون لا يعرفون شيئاً، وإن لهم بيتاً يقال له كعبة، وهم مُعْجَبُونَ بهذا البيت، وهم قوم يعبدون الطّواغيت^(٣)، ويسجدون للأصنام، فقال الملك: وهم مُعْجَبُونَ بهذا البيت؟ قال: نعم، فنزل بعسكره ببطحاء مكّة، وفكر في نفسه دون الوزير، وعزم على هدم الكعبة، وتسميتها خربة، وأن يقتل رجالهم، ويسبي نساءهم، فأخذ الله بالصّداع، وتفجّر من عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ وَمُنْخَرَيْهِ وفمه ماء مُنْتِن، فلم يَصْبِرْ عنه أحد طرفة عين من نتن الريح، فاستيقظ لذلك وقال لوزيره: إجمع العلماء والحكماء والأطباء وشاورهم في أمري، فاجتمع عنده الأطباء والعلماء والحكماء، فلم يقدروا على المقام عنده، ولم يمكنهم مداواته، فقال: إني جمعت الأطباء والعلماء والحكماء من جميع البلدان، وقد وقعت في هذه الحادثة ولم يقدروا على مُداواتي، فقالوا بأجمعهم: إنا نقدر على مُداواة ما يعرض من أمور الأرض، وهذا شيء من السماء لا نستطيع ردّ أمر السماء، ثم اشتدّ أمره، وتفرّق الناس عنه، ولم يزل أمره في شدّة حتى أقبل الليل، فجاء أحد العلماء إلى الوزير وقال: إن بيني وبينك سرّاً، وهو إن كان الملك يصدّقني في حديثه عالجته، فاستبشر الوزير بذلك وأخذ بيده، وحمله إلى الملك، وأخبره بما قال الحكيم، وما التمسّه من صدق الملك، حتى يعالج علته، فاستبشر الملك بذلك، وأذن له في الدّخول، فلما دخل قال: أريد الخلوة، فأخلي له المكان، فقال: نويت لهذا البيت سوءاً؟ قال: نعم؛ إني نويت خرابه، وقتل رجالهم، وسبي ذراريهم^(٤)، فقال له: إنّ وجعك وما بُليت به من هذا. اعلم أن صاحب هذا البيت قوِّيّ يعلم الأسرار، فبادر وأخرج من قلبك ما هممت به من أذى هذا البيت ولك خير الدنيا والآخرة، قال الملك: أفعل، قد أخرجت من قلبي جميع المكروهات،

(١) في ثمرات الأوراق هنا وفيما يأتي: «عماريا».

(٢) في الأصل: «عرييون»، والتصويب عن ثمرات الأوراق.

(٣) الطاغوت: كل معبود من دون الله... (اللسان: طغي).

(٤) ذراريهم: أولادهم ونسلهم.

ونويت جميع الخيرات، فلم يخرج العالم من عنده حتى برىء من علته، وعافاه الله بقدرته، فأمن بالله من ساعته، وخرج من منزله صحيحاً على دين إبراهيم عليه السلام، وخلع على الكعبة سبعة أثواب، وهو أول من كسا الكعبة، ودعا أهل مكة، وأمرهم بحفظ الكعبة، وخرج إلى يثرب، وهي يومئذ بقعة فيها عين ماء ليس فيها بيت مبني ولا بناء، فنزل على رأس العين هو وعسكره وجميع العلماء الذين كانوا معه، ومعهم رئيسهم عماريشا الذي كان يرى برأيه.

ثم إن العلماء والحكماء اجتمعوا، وكانوا أربعة آلاف، فأخرجوا من بينهم أربعمئة هم أعلمهم، وبايع كل واحد منهم صاحبه أن لا يخرجوا من ذلك المقام وإن ضربهم الملك أو قتلهم، فلما علم الملك ما قد عزموا عليه، قال للوزير: ما شأنهم يمتنعون عن الخروج معي، وأنا محتاج إليهم؟ وأي حكمة في نزولهم في هذا المكان، واختيارهم إياه على سائر النواحي، فلما آتاهم الوزير وسألهم عما عزموا عليه، واختيارهم المقام بهذه البقعة، قالوا له: أيها الوزير! إن شرف ذلك البيت، وشرف هذه البقعة التي نحن فيها بشرف رجل يبعث في آخر الزمان، يقال له محمد ووصفوه، ثم قالوا: طوبى لمن أدركه وآمن به، وقد كنا على رجاء أن ندركه أو يدركه أولادنا، فلما سمع الوزير مقالتهم هم بالمقام معهم، فلما جاء وقت الرحيل أمرهم الملك أن يرتحلوا، فقالوا: لا نفعل، وقد أعلمنا الوزير بحكمة مقامنا، فدعا الوزير فأخبره بما سمع منهم، فتفكر الملك وهم أن يقيم معهم سنة رجاء أن يدرك محمداً ﷺ، فأقام وأمر الناس أن يبنوا أربعمئة دار، لكل رجل من العلماء دار، واشترى لكل واحد منهم جارية وأعتقها وزوجها برجل منهم، وأعطى كل واحد منهم عطاءً جزيلاً، وأمرهم أن يقيموا في ذلك الموضع إلى أن يجيء زمان النبي ﷺ، ثم كتب كتاباً وختمه بخاتم من ذهب، ودفعه إلى العالم الكبير، وأمره أن يدفع الكتاب إلى محمد ﷺ إن أدركه، وإلا أوصى به أولاده بمثل ما أوصاه به، وكذلك أولاده حتى ينتهي أمره إلى محمد ﷺ. وكان في الكتاب: أما بعد فإني آمنت بك وكتابك الذي أنزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين؛ وتابعيك^(١) قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام. ثم ختم الكتاب ونقش عليه: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] وكتب على عنوانه إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله، وخاتم النبيين،

(١) في ثمرات الأوراق: «وقد بايعتك».

ورسول رب العالمين ﷺ، من تُبِعَ الأول جَمِير بن جَمِير بن وردع^(١) أمانةً لله في يد من وقع إليه إلى أن يوصله إلى صاحبه، ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبرأه من علة. وصار تُبِع من يثرب حتى مات بقلسان^(٢) من بلاد الهند.

وكان في اليوم الذي مات فيه تُبِع إلى اليوم الذي بُعِث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا تزيد ولا تنقص، وكان الأنصار الذين نصرُوا النبي ﷺ من أولاد أولئك العلماء والحكماء، فلما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى؛ فكانوا يتعلّقون بناقته، وهو يقول: خَلُوا الناقة فإنها مأمورة، حتى جاءت إلى دار أبي أيوب، وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تُبِعاً برأيه.

قال ابن إسحاق: واستشار الأنصار عبد الرحمن بن عوف^(٣) في إيصال الكتاب إلى النبي ﷺ لَمَّا ظهر خبره قبل هجرته، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه إلى رجل ثقة، فاختاروا رجلاً يقال له أبو لَيْلَى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه، فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة، فوجد النبي ﷺ في قبيلة من بني سليم، فعرفه رسول الله ﷺ، فدعاه وقال: أنت أبو لَيْلَى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تُبِع الأول؟ قال: نعم، فبقي الرجل متفكراً، وقال في نفسه: إن هذا من العجائب، ثم قال له أبو لَيْلَى: مَنْ أنت، فإني لست أعرفك؟ إن في وجهك أثر السحر، وتوهم أنه ساحر، فقال له: بل أنا محمد رسول الله، هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ، فأخذه النبي ﷺ ودفعه إلى عليّ كرم الله وجهه، فقرأه عليه، فلما سمع النبي ﷺ كلام تُبِع قال: مرحباً بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبا لَيْلَى بالرجوع إلى المدينة، فرجع وبشّر القوم بقدوم النبي ﷺ.

ومن ذلك ما روي أن أبا كَرِب تَبان بن أسعد ملك اليمن^(٤) أحد التبابعة لما قصد بلاد الشرق، جعل طريقه على يثرب، فلم يهيج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقتل غيلةً، فقدمها وهو مُجمع لإخراجها، واستئصال أهلها وقطع نخيلها، فجمع له أهل المدينة ورؤسئهم يومئذ عمرو بن طَلَّة أحد بني النجار؛ وهو عمرو بن معاوية بن

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) عبد الرحمن بن عوف: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد، الزهري القرشي (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) صحابي من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة؛ وأحد الستة أصحاب الشورى... ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم، وشهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها. (الأعلام: ٣: ٣٢٠).

(٤) انظر الكامل لابن الأثير في «ذكر حوادث العرب أيام قباذ».

عمرو بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن النُّجَار، وطلَّة أمه؛ وهي بنت عامر بن زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة^(١).

قال محمد^(٢) بن إسحاق:

وكان رجل من بني عَدِيّ بن النُّجَار ويقال له أحمر، عدا على رجل من أصحاب تُبَّع حين نزل بهم فقتله، وذلك أنه وجدَه في عَذْقٍ له يَجْدُه^(٣)، فضربه بمنجَله فقتله، وقال: إنما التَّمَر لمن أْبَره، فزاد ذلك تُبَّعًا حَنَقًا عليهم فاقتتلوا، فكان أهل المدينة، وهم هذا الحي من الأنصارِ يقاتلونَه بالنهار، وَيَقْرُونَه بالليل، فَيُعْجِبُه ذلك منهم ويقول: والله إن قَوْمنا لَكِرَام. وفي ذلك يقول حسان بن ثابت من قصيدة لم يذكر فيه قومه: [من الطويل]

فَرَوْا تُبَّعًا بِيضَ المواضِي ضَحَاةً وكُومَ عِشَارٍ بالعِشِيَّاتِ نَهَضَ

قال: فبينما تُبَّع على ذلك من حربهم إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قُرَيْظَةَ عالمان راسخان، حين سمعا بما يُريد من إهلاك يَثْرِب وأهلها، فقالا له: أيها الملك، لا تفعل، فإنك إن أبيتَ إلا ما تريد حِيلَ بَيْنَكَ وبينها، ولم نأمنَ عليك عاجِلَ العقوبة، فقال لهما: ولم ذلك؟ قالَا: هي مُهاجِرُ نبيٍّ يخرج من هذا الحَرَم من قُرَيْشٍ آخرَ الزمان، تكون داره وقاراه، فرأى تُبَّع أن لهما علْمًا، فأنصرف عن المدينة وأتبعهما على دينهما.

ومن ذلك خبر سلمان الفارسي وقصته في سبب إسلامه^(٤) وهجرته إلى المدينة. رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال: حدثني سلمان الفارسي من فيه، قال: كنتُ رجلًا فارسيًا من أهل أَصْبَهان، من أهل قرية يقال لها جَحِي، وكان أبي دَهْقَان^(٥) قريته، وكنتُ أَحَبُّ خلق الله إليه، ثم لم يزل به حُبُّه إياي حتى حَبَسَنِي في بيته كما تُحَبَسُ الجارية، واجتهدتُ في المجوسية حتى كنتُ قَطَنَ النار^(٦) الذي يوقدُها

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١ : ٢٠.

(٢) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ٢١، وانظر الخميس للديار بكري: ١ : ٢٧.

(٣) يجد العذق: يقطع النخل (العذق: النخل، يجده: يقطعه).

(٤) سلمان الفارسي: سلمان الفارسي (.... - ٣٦ هـ = ٦٥٦ - م) صحابي: من مقدميهم. عاش عمرًا طويلاً. قالوا: نشأ في قرية جيان ورحل إلى الشام. وقصد بلاد العرب. علم سلمان بخبر الإسلام فقصد النبي ﷺ بقباء... فأظهر إسلامه... وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق... (الأعلام: ٣ : ١١٢).

(٥) الدهقان: رئيس الإقليم، أو مقدم القرية (التاج - دهقان).

(٦) قطن النار: خادمها.

لا يتركها تخبؤ ساعة؛ قال: وكان لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوماً، فقال: يا بني: إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب إليها، فأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال: ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري؛ فقال: فخرجت أريد ضيعة التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتيا، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام، فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بُني! أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قلت: يا أبت! مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيته من دينهم، فوالله ما زلت من عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بُني! ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، قلت له: كلا والله! إنه لخير من ديننا، قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب^(١) من الشام تجاراً فأخبروني بهم، قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذّنوني بهم، فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماً؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئته فقلت: إني رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك وأخدمك وكنيستك، وأتعلّم منك، وأصلي معك، قال: أدخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزه لنفسه ولم يعط المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق^(٢)، قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات واجتمعت له النصارى ليدفنوه فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جثّموه بها أكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً، فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، فأريتهم موضعه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبداً، فصلّبوه ورجّموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب

ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أحبه شيئاً قبله، فأقمتُ معه زماناً، ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان إني قد كنتُ معك وأحببتُك حباً لم أحبه شيئاً قبلك، وقد حضرَك ما ترى من أمر الله فإلى مَنْ تُوصي بي وبِمِ تأمرُني؟ قال: أي بُني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلاً بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنتُ عليه، فالحق به. قال: فلما مات وغُيبَ لحقْتُ بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحقَ بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقيم عندي، فأقمتُ عنده فوجدته خير رجل على أثر^(١) صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرَك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي وبِمِ تأمرني؟ قال: يا بُني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنّا عليه إلا رجلاً بنصيبين وهو فلان، فالحق به، فلما مات وغُيبَ لحقْتُ بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، فقال: أقيم عندي، فأقمتُ عنده فوجدته على أمر صاحبه، فأقمتُ مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر^(٢) قلت له: يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي وبِمِ تأمرني؟ قال: يا بُني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا^(٣)، فلما مات وغُيبَ لحقْتُ بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقيم عندي، فأقمتُ عند خير رجل على هذي أصحابه وأمرهم، قال: واكتسبتُ حتى كانت لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمرُ الله، فلما حضر قلت له: يا فلان إني كنتُ مع فلان فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي وبِمِ تأمرني؟ قال: يا بُني واللّه ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما كنّا عليه من الناس أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلّ زمانُ نبيّ هو مبعوثُ بدين إبراهيم عليه السلام، يخرج بأرض العرب، مهاجرةً إلى أرض بين حرتين^(٤) بينهما نخل، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، قال: ثم مات وغُيبَ، ومكثتُ بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مرّ بي نفر من كلب تجار فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب، وأعطيكُم بقراتي هذه، وغنيمتي هذه، قالوا: نعم، وأعطيتُهموها وحملوني معهم،

(١) في السيرة لابن هشام: ١ : ٢٣١: «على أمر».

(٢) حضر: شارف على الموت.

(٣) أمرنا: مذهبنا.

(٤) الحرة: الأرض الصلبة الشديدة.

حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل؛ ورجوت أن يكون البلد الذي وُصف لي صاحبي، ولم يحق في نفسي؛ فبينما أنا عنده، إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فحملني إلى المدينة، فوالله ما هو إلا أن رأيته فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبُعث رسول الله ﷺ، فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إنني لفي رأس عذق^(١) لسيدي أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة^(٢)، إنهم والله الآن لمجتمعون بقباء^(٣)، على رجل قديم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي، قال: فلما سمعته أخذتني العرواء^(٤) حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة، ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك، فقلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال: قال سلمان: وكان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، قال: فقربته إليه، فقال لأصحابه: كلوا! وأمسك يده فلم يأكل. قال: قلت في نفسي: هذه واحدة، ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به، فقلت: إنني قد رأيته لا تأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها، قال: فأكل منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: قلت في نفسي: هاتان ثنتان. قال: ثم جئت رسول الله ﷺ، وهو ببقيع الغرقد^(٥) قد تبع جنازة رجل من أصحابه، عليّ شملتان لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدبرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وُصف لي، فلما رأيته رسول الله ﷺ استدبرته، عرف أنني استثبت من شيء وُصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكبت عليه أقبله وأبكي، فقال رسول الله ﷺ: تحول! فتحولت فجلست بين يديه، فقَصَصت عليه حديثي كما حدثتك يا بن عباس، فأعجب

(١) العذق: النخل.

(٢) بني قيلة: يريد الأوس والخزرج، لأن قيلة بنت كامل أم الأوس والخزرج. انظر سيرة ابن هشام: ٢٢٣: ١.

(٣) قباء: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.

(٤) العرواء: الرعدة والانتفاض من الحمى والبرد.

(٥) بقيق الغرقد: بقيق الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه.

ثم شغل سلمان الرُّق^(١) حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدرٌ وأُخذ. قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثُمِائَةِ نَخْلَةٍ أُخِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، يَعْنِي الْآبَارَ الصُّغَارَ، وَأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: أَعِينُوا أَخَاكُمْ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ؛ الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً^(٢) وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِخَمْسٍ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ؛ يُعِينُ الرَّجُلُ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُمِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ^(٣) لَهَا، فَإِذَا فَرِغْتَ فَأَتْنِي، أَكُنْ أَنَا أَضْعُهَا بِيَدِي». قَالَ: فَفَقَّرْتُ وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي حَتَّى إِذَا فَرِغْتُ جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعِيَ إِلَيْهَا، فَجَعَلْنَا نَقْرَبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّةَ، وَيَضْعُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ حَتَّى إِذَا فَرِغْنَا، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ مَا مَاتَ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَذَيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْنِضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَعَادِنِ، فَقَالَ: مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمَكَاتِبُ؟ قَالَ: فَذُعِيتُ، فَقَالَ: خُذْ هَذِهِ فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ، قَالَ: وَقُلْتُ وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ فَقَالَ: خُذْهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَلَّبَهَا عَلَى لِسَانِهِ ثُمَّ قَالَ: خُذْهَا فَأَوْفِهِمْ مِنْهَا. قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا - وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ - أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ مِنْهَا، وَعَتَّقْتُ سَلْمَانَ. فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْخَنْدَقَ^(٤) حُرًّا، ثُمَّ لَمْ يَقْتَنِ مَعَهُ مَشْهَدٌ.

قال محمد بن إسحاق^(٥) بسند رفعه إلى عمر بن عبد العزيز^(٦)، أنه قال: حَدَّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَخْبَرَهُ: إِنْ صَاحِبَ عَمُورِيَّةٍ قَالَ لَهُ: أَتَيْتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَإِنْ بِهَا رَجُلًا بَيْنَ غَيْضَتَيْنِ^(٧) يَخْرُجُ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ هَذِهِ الْغَيْضَةِ

(١) الرُّق: لأنه كان عبداً مملوكاً.

(٢) الودي: صغار النخل، واحداً منها ودية.

(٣) فقر لها: احفر لها.

(٤) معركة الخندق.

(٥) نقله ابن هشام: ١: ٢٣٦.

(٦) عمر بن عبد العزيز: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. أبو حفص (٦١) -

١٠١ هـ = ٦٨١ - ٧٢٠ م). وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً لهم. ولد ونشأ

بالمدينة. ولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ. فمُنِعَ سَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. توفي بدير

سمعان من أرض المعرة ومدة خلافته ستان ونصف (الأعلام: ٥: ٥٠).

(٧) الغيضة: الشجر الملتف.

يعترضه ذوو الأسقام^(١)، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شُفي، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي، فهو يُخبرك عنه، قال سلمان: فخرجتُ حتى جئتُ حيثُ وصف لي، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعوا بمرضاهم هناك، حتى يخرج لهم تلك الليلة مُستجيزاً^(٢) من إحدى الغيظتين إلى الأخرى، فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شُفي، وغلبوني عليه، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلى منكبه^(٣) قال: فتناولته، فقال: من هذا؟ والتفت إليّ، قلت: يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم، قال: إنك لتسألني عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم، وقد أظُل زمانُ نبيٍّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم، فأتته، فهو يحملك عليه، ثم دخل. قال: فقال رسول الله ﷺ إن كنت صدقتني يا سلمان، لقد لقيت عيسى ابن مريم^(٤).

وقد روي حديثُ إسلام سلمان على غير هذا الوجه، إلا أنه غير مُنافٍ له فيما هو مختصُّ برسول الله ﷺ. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع. وأما من بشر به عند مولده ﷺ للقرائن التي كان يتوقع وقوعها تدل على مولده، فوقعت.

فمن ذلك ما روي أن يهودياً قال لعبد المطلب جدُّ رسول الله ﷺ: يا سيد البطحاء إن المولود الذي كنتُ حدثتكم عنه قد وُلد البارحة، فقال عبدُ المطلب: لقد وُلد لي البارحة غلام، قال اليهودي: ما سميتَه؟ قال: سميتُه محمداً، قال اليهودي: هذه ثلاثٌ يشهدن عليّ بنبوته؛ إحداهن: أن نجمه طلع البارحة، والثانية: أن اسمه محمد، والثالثة: أنه يُولد في صُبابة قومه، وأنت با عبدُ المطلب صبابتهم^(٥).

ومنه ما روي أن حسان بن ثابت قال: والله إني لعلّى أطمي^(٦) فارع في السحر إذ سمعت صوتاً لم أسمع قط صوتاً أنفذ^(٧) منه، وإذا^(٨) هو صوت يهودي على أطم من أطام اليهود معه شُعلة نار، فاجتمع الناس إليه وأنكروا صُراخه فقالوا: ما لك ويلك!

(١) ذوو الأسقام: المرضى.

(٢) مستجيزاً: منتقلاً.

(٣) رواية ابن هشام: ١: ٢٣٦، والبداية: ٢: ٢١٤: «إلا منكبه».

(٤) لهم في هذا الحديث كلام تجده في البداية لابن كثير: ٢: ٣١٤.

(٥) في الأصل: «صبابتهم» مع صباية القوم: خالصتهم وخيارهم: وهي حاشية أدخلت في المتن على ما يبدو.

(٦) الأطم: حصن مبني بحجارة، أو كل بيت مربع مسطح.

(٧) في خير البشر ص ٥٥: «أنفذ منه».

(٨) في الأصل: «وإذا صوت يهودي»، والمثبت عن ابن ظفر ص ٥٥.

قال حسان: فسمعتُه يقول: هذا كوكبٌ أحمر قد طلع، وهو كوكب لا يطلع إلا بالنبوة، ولم يبق من الأنبياء إلا أحمد، قال حسان: فجعل الناس يضحكون منه ويعجبون لما أتى به، قال: وكان أبو قيس أحد بني عدي بن النجار قد ترهب ولبس المُسوح^(١)، ف قيل له يا أبا قيس! أنظر ما قال هذا اليهودي! قال: صدق وإن انتظار أحمد هو الذي صنع به ما صنع، ولعلي أن أدركه فأومن به، فلما بلغه ظهور النبي ﷺ بمكة آمن به، وقدم النبي ﷺ المدينة وقد نالت السن من أبي قيس.

وقد أشرنا إلى خبر حسان هذا عند ذكرنا لمولد رسول الله ﷺ. والأخبار في هذا الباب كثيرة، فلا نطوّل بسردها.

وأما من بشر به ﷺ بعد مولده في حال طفوليته وحادثة سنه.

فمن ذلك خبر سيف بن ذي يزن، وقصته مع عبد المطلب؛ وكان من خبره ما رواه الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٢) رحمه الله في كتابه المترجم بدلائل النبوة قال: أخبرنا أبو سهل محمد بن نصر بن أحمد المروزي بنيسابور، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح المَعافري، قال: حدثنا أبو يزن الحميري إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن عفير بن زُرعة بن سيف بن ذي يزن، قال: حدثني عمي أحمد بن حبيش بن عبد العزيز، قال: حدثني أبي عفير، قال: حدثني أبي زُرعة بن سيف بن ذي يزن، قال: لما ظهر سيف بن ذي يزن على الحبشة، وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بستين أتنه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، وأتاه وفد قريش، منهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله بن جُدعان، وأسد بن عبد العزى، ووهب بن عبد مناف، وقُصي بن عبد الدار، فدخل عليه آذنه، وهو في قصر يقال له عُمدان، والملك مُضَمخ^(٣) بالعَبير، وعليه بُردان أخضران، مُرتدّ بأحدهما متزراً بالآخر، سيفه بين يديه، وعن يمينه وشماله الملوك، فأخبر بمكانهم فأذن لهم، فدخلوا عليه، فدنا منه عبد المطلب، فاستأذنه في الكلام، فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، فقال: إن الله عز وجل أحلك أيها الملك محلاً رفيعاً شامخاً

(١) المسوح: واحدها مسح: الكساء من الشعر.

(٢) أحمد بن الحسين البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤-٤٥٨ هـ = ٩٩٤-١٠٦٦ م) من أئمة الحديث، ولد في خسرو جرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. (الأعلام: ١: ١١٦).

(٣) مضمخ: مدهون.

منيعاً، وأنبتك نباتاً طابت أرومته، وعظمت جُرومته، وثبت أصله، وبسق^(١) فرعه، في أطيب موضع وأكرم معدن؛ وأنت - أبيت اللعن - ملك العرب الذي عليه الاعتماد، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا منهم خير خلف، فلن يهلك ذكر^(٢) من أنت خلفه، ولن يخمل ذكر من أنت سلفه، نحن أهل حرم الله وسدنة بيت الله، أشخصنا^(٣) إليك الذي أبهجننا من كشفك الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنئة، ولا وفد المرزئة^(٤).

قال له الملك: من أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنا عبد المطلب بن هاشم، قال: ابن أخينا؟ قال: نعم، قال: أدنه، ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً [وأرسلها مثلاً]^(٥)، وكان أول من تكلم بها، وناقاة ورحلاً، ومُستناخاً سهلاً، ومليكاً ربحلاً^(٦)، يُعطي عطاءً جزلاً، قد سمع الملك مقالتك، وعرف قرابتكم، وقيل وسيلتكم، فإنكم أهل الليل والنهار، ولكم الكرامة، ما أقمت، والحباء^(٧) إذا ظعتهم، ثم أنهضوا إلى دار الضيافة والوفود، وأجريت عليهم الأنزال^(٨)، فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه، ولا يؤذن لهم في الانصراف، ثم انتبه لهم انتباهة فأرسل إلى عبد المطلب، فأدناه ثم قال له: يا عبد المطلب، إني مفض^(٩) إليك من سر علمي أمراً لو غيرك يكون لم أبح به، ولكنني رأيتك معدنه، فأطلعتك عليه، فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه؛ إني أجد في الكتاب المكنون، والعلم المخزون الذي أذخرناه لأنفسنا، واحتجناه^(١٠) دون غيرنا، خبراً عظيماً وخطراً جسيماً، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك^(١١) كافة، ولك خاصة، فقال له عبد المطلب: مثلك أيها الملك سر وبر، فما هذا فذاك أهل البر زمرًا بعد زمر؟ قال: إذا ولد بتهامة، غلام بين كتفيه شامة^(١٢)، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة، إلى يوم القيامة.

(١) بسق: سما وعلا.

(٢) في دلائل النبوة للبيهقي (ق ٩٥ د): «ولن يخمل من».

(٣) أشخصنا إليك: قادنا إليك - حملنا إليك.

(٤) الرزئة: الذي ألت به مصيبة.

(٥) عن دلائل النبوة للبيهقي.

(٦) الرichel: الكثير العطاء.

(٧) الحباء: الأفضلية.

(٨) الإنزال: جمع نزل، وهو قري الضيف وإكرامه.

(٩) مفض: أفضى: أطلع.

(١٠) في الأصل: «واحتجناه»، والمثبت عن البداية: ١: ٣٢٩.

(١١) في الأصل: «وإن يطل» تصحيف.

(١٢) في البداية: ١: ٣٢٩: «وغلام به علامة، بين كتفيه».

قال عبد المطلب: أيها الملك، لقد أبْتُ^(١) بخبر ما آب بمثله وإفد قوم، ولولا هيبَةُ الملك وإجلالُه وإعظامُه، لسألته من بشارته^(٢) إياي ما أزداد به سرورًا. قال له الملك: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد وُلِدَ؛ اسمه محمد يموت أبوه وأمه، ويكفله جدّه وعمه، قد ولدناه مرارًا، والله باعته جِهَارًا، وجاعلٌ له منا أنصاراً يُعزُّ بهم أوليائه، ويُذل بهم أعداءه، ويضرب بهم الناس عن عَرْض^(٣)، ويستفتح^(٤) بهم كرائم الأرض، يَعْبُد الرحمن، وَيَذْخُس أو يدحر الشيطان، وتخدم النيران وتكسر الأوثان، قوله فَضْل، وحكمه عَدْل، يأمر بالمعروف، ويفعله، وينهى عن المنكر ويُبطله. قال له عبد المطلب: عز جدك، ودام مُلكك، وعَلا كعبك، فهل الملك سارني^(٥) بإفصاح؟ فقد أوضح لي بعض الإيضاح، قال له سيف بن ذي يزن: والبيت ذي الحُجُب، والعلامات على النُصْب، إنك لجدّه يا عبد المطلب غير كذب، قال: فخر عبد المطلب ساجدًا، فقال له سيف ارفع رأسك، ثلجَ صدرك، وعَلا كعبك^(٦)، فهل أحسست بشيء مما ذكرت؟ قال: نعم أيها الملك، إنه كان لي ابن وكنت به مُعجَبًا، وعليه رفيقًا، وإني زوّجته كريمةً من كرائم قومي آمنة بنت وَهَب بن عبد مناف، فجاءت بغلام وسميته محمدًا، مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمّه. قال له ابن ذي يزن: إن الذي قلت لك كما قلتُ، فاحتفظ بابنك^(٧) واحذر عليه اليهود، فإنهم أعداء، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإني لست آمن أن تُدخلهم النَّفَاسَةَ^(٨)، من أن تكون لكم الرياسة، فينصبون له الحبائل، ويبيغون له الغوائل^(٩)، وهم فاعلون ذلك أو أبناؤهم من غير شك^(١٠)، ولولا أنني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مَبْعِثِهِ، لسرت بخيلي ورَجُلِي حتى أجيء يثرب دارَ مُلكه^(١١)، فإني أجد في الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثرب استحكام أمره، وأهل نُصْرته، وموضع قبره، ولولا أنني أقيه الآفات^(١٢)، وأحذر عليه العاهات، لأعليت على - حدّاته

(١) آب: عاد. (٢) في الأصل: «من سازه».

(٣) العَرْض: الجيش الضخم.

(٤) في البداية ٢: ٣٢٩: «يستبيح بهم».

(٥) سارني: أفصح لي عن سره.

(٦) في البداية ١: ٣٣٠: «وعلا أمرك».

(٧) في الأصل: «فاحتفظ من ابنك».

(٨) النفاسة: الرغبة، الطمع.

(٩) الغوائل: مفردا غائلة، النكبة، المصيبة.

(١٠) في الأصل: «وأبناؤهم عن شك».

(١١) في دلائل النبوة للبيهقي: «حتى أصير يثرب دار ملكي». وفي الأصل: «حتى حي ثرب».

(١٢) الآفات: مفردا آفة: مصيبة.

سنّه - أمره، ولأوطأت على أسنان العرب كعبه^(١)، ولكن سأصرف ذلك إليك من غير تقصير بمن معك، ثم دعا بالقوم، وأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد سود، وعشر إماء^(٢) سود، وحلتين^(٣) من حلل البرود، وخمسة أرتال ذهب، وعشرة أرتال فضة، ومائة من الإبل، وكرش^(٤) مملوء عنبراً، ولعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك، وقال [له]^(٥): إذا حال الحول^(٦) فأتني بخبره، قال: فمات سيف بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول، وكان عبد المطلب كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك، وإن كثر، فإنه إلى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبى ذكره وفخره، فإذا قيل: وما هو؟ قال: سيعلم ما أقول ولو بعد حين.

قال البيهقي وقد روي هذا الحديث أيضاً عن الكلبي أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومن ذلك رؤيا رقيقة بنت أبي صيفي وقصة استسقاء عبد المطلب بن هاشم وكان من خبرها ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٧) رحمه الله بسند عن مخزومة بن نوفل عن أمه رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، وكانت لدة عبد المطلب، قالت: تابعت على قريش سنون أقحلت الضرع، وأزقت العظيم، قالت: فبينما أنا نائمة اللهم أو مهُومة^(٨) إذا هاتف يصرخ بصوت صجل^(٩) صيت يقول: معشر قريش، إن هذا النبي المبعوث منكم قد أظلكم أيامه، وهذا إيان نجومه، وفي رواية عنها: مبعوث منكم، وهذا إيان مخرجه فحيهلاً بالخير والخصب، وفي رواية بالحياة والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً عظماً جسماً أبيض بضاً^(١٠)، أوطف^(١١) الأهداب، سهل الخدين، أشم العرنين^(١٢)، له فخر يكظم عليه، وسنة تهدي إليه، ألا فليخلص هو

(١) في البداية: ١ : ٣٣٠: «ولأوطأت أسنان العرب عقبه».

(٢) الأمة: العبد.

(٣) الحلة: الثوب الجيد.

(٤) الكرش: وعاء الطيب.

(٥) عن البداية: ١ : ٣٣٠.

(٦) الحول: العام - السنة.

(٧) دلائل النبوة (ورقة ٩٧ و).

(٨) الهوام: النوم الخفيف.

(٩) صجل: صحل الصوت: بُح. وصيت: قوي.

(١٠) البض: كثير اللحم.

(١١) أوطف الأهداب: كثير شعر الأهداب.

(١٢) العرنين: الأنف.

وولده وليهبط إليه من كل بطن رجل فليشئوا^(١) من الماء، وليمسوا من الطيب، ثم ليستلموا الركن. وفي رواية وليطوفوا بالبيت سبعة، ثم ليرتقوا أبا قبيس^(٢) فليستسقوا الرجل، وليؤمن القوم [ألا وفيهم الطاهر والطيب لذاته، ألا بعثتم إذا شئتم وعشتم]^(٣)، قالت: فأصبحث - علم الله - مدعورة قد اقشعر جلدتي، ووليه عقلي، واقتصصت رؤياي، فوالحُرمة والحرم ما بقي أبطحي إلا قال: هذا شئبة الحمد، هذا شئبة، وتنامت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل، فشئوا وطيبوا، واستلموا وطافوا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطفقوا جنابيه ما يبلغ سعيهم مهلة، حتى إذا استوى بذروة الجبل، قال عبد المطلب ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع أو كرب^(٤)، فقال عبد المطلب: اللهم ساد الحلة، وكاشف الكربة، أنت معلم وفي رواية عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك عذرات حرمك يشكون إليك سنتهم أذهبت الخف والظلف، اللهم فأمطرن غيثا مغدقا مريعا^(٥) فوالكعبة ما راموا حتى تفجرت السماء بمائها، واكتض الوادي بتجيجه، فسمعت شيخان^(٦) قريش وجلتها: عبد الله بن جذعان، وحزب بن أمية، وهشام بن المغيرة، يقولون لعبد المطلب: هنيئا لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء، وفي ذلك تقول رقيقة: [من البسيط]

بشئبة الحمد أسقى الله بلدتنا لما فقدنا^(٧) الحيا واجلود المطر^(٨)
فجاد بالماء جوني له سيل دان فعاشت به الأنعام والشجر^(٩)
منا من الله بالميمون طائرته وخير من بشرت يوما به مضر^(١٠)
مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر

وأما من بشر به ﷺ قبيل مبعثه، فمن ذلك خبر اليهودي الذي هو من بني عبد الأشهل، وكان من خبره ما رواه أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن سلمة بن

(١) الشن: الصب المتقطع. وفي رواية البيهقي أيضا: «فليشربوا من الماء».

(٢) أبو قبيس: جبل مشرف على مكة.

(٣) عن دلائل النبوة للبيهقي (ورقة ٩٦ ظ).

(٤) أيفع وكرب: أصبح يافعا، وكرب: كاد.

(٥) المريع: كثير الخصب.

(٦) في الأصل: «شيخان من» والمثبت عن البيهقي (ورقة ٩٦ ظ).

(٧) رواية البيهقي (ق ٩٧ و): «وقد فقدنا».

(٨) اجلود: انحس وانقطع.

(٩) رواية البيهقي: «به الأمصار». والأنعام: الحيوانات.

(١٠) رواية البيهقي: «سيل من».

سلامة بن وقش، قال: كان بين أبياتنا يهودي، فخرج على نادي قومه بني عبد الأشهل ذات غداة، فذكر البعث والقيامة والجنة والنار والحساب والميزان، فقال ذلك لأصحاب وثني لا يرون أن بعثًا كائن بعد الموت، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فقالوا: ويحك يا فلان، وهذا كائن؟ إن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار، يُجزون من أعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، لوددت أن حظي من تلك النار أن تُوقدوا أعظم تنور في داركم فتحمونه، ثم تقذفوني فيه، ثم تطبقوا عليّ، وأنى أنجو من النار غداً فقيل له يا فلان، فما علامة ذلك؟ قال: نبي يُبعث من ناحية هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن. قالوا: فمتى تراه؟ فرمى بطرفه، فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي، وأنا أحدث القوم فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه. فما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ، وإنه لحى بين أظهرهم فآمنا به وصدقناه، وكفر به بغيا وحسداً، فقلنا له: يا فلان، ألسنت الذي قلت ما قلت وأخبرتنا؟ فقال: بلى. ولكن لا أومن به.

ومنه خبر إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وراشد بن عبيد.

روى البيهقي^(١) رحمه الله عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن شيخ من بني قريظة، قال: هل تدرون عم كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية، وأسد^(٢) بن عبيد، نقر من بني هذل لم يكونوا من بني قريظة، ولا النصير، كانوا فوق ذلك؟ فقلت: لا، قال: فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له^(٣) ابن الهيثبان وكنيته أبو عمير، كذا ذكره الواقدي، فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلاً قط لا يُصلي الخمس خيراً منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ﷺ بسنتين، فكنا أفرحنا وقلل علينا المطر نقول: يا ابن الهيثبان، أخرج فاستسق لنا، فيقول: لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة؛ فنقول: كم؟ فيقول: صاع من تمر أو مُدّين^(٤) من شعير فنخرجه ثم يخرج إلى ظاهر حرّتنا ونحن معه، فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى يمر السحاب؛ قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين، ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة، واجتمعنا إليه، فقال: يا معشر يهود، ما تروونه أخرجني، من أرض الخمر^(٥) والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟ قالوا: أنت أعلم، قال: إنه إنما أخرجني [أنى]^(٦) أتوقع خروج نبي قد أظلل زمانه،

(١) روى حديث إسلامهما ابن هشام في السيرة: ١: ٢٢٦ بالسند نفسه.

(٢) في الأصل: «وراشد بن عبيد» تصحيف. والتصويب عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٦.

(٣) يبدو أنها ساقطة من الكلام، ولا يستقيم المعنى إلا بها.

(٤) المد: من المكايل.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ١٨٥: «من أهل الخمر» بالتحريك وبإسكان الميم، وهو الشجر الملتف.

(٦) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٢٧.

هذه البلاد مهاجرة، وكنت أرجو أن يبعث فاتبعه، وقد أظلمكم زمانه، فلا تُسبِقَنَّ إليه إذا خرج يا معشر يهود، فإنه يُبعث بسفك الدماء، وسبني الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه، ثم مات؛ فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة قال أولئك الثلاثة الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: يا معشر يهود: والله إنه للنبى الذي ذكر لكم ابن الهيبان، فقالوا: ما هو به، قالوا: بلى والله! إنها لصفته، ثم نزلوا فأسلموا، وخلّوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم؛ فلما فتح رسول الله ﷺ الحصن ردّ ذلك عليهم.

ومنه ما روي أن عبد الله بن مسعود كان يحدث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، قال: خرجت إلى اليمن في تجارة قبل أن يُبعث النبي ﷺ، فنزلت على شيخ من الأزد عالم، قد قرأ الكتب وحوى علماً كثيراً، وأتى عليه من السن ثلاثمائة وتسعون^(١) سنة، فلما تأملني قال: أحسبك تيمياً^(٢) فقلت: نعم، أنا من تيم بن مرة، أنا عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، قال: بقيت لي فيك واحدة، قلت: ما هي؟ قال: اكشف لي عن بطنك، قلت: لا أفعل أو تخبرني لم ذلك، فقال: إني لأجد في العلم الصحيح الصادق أن نبياً يُبعث بالحرَم يُعاونه على أمره فتى وكهل، فأما الفتى فخواض غمرات، وكشاف مُعضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، ولا عليك أن تُريني ما خفي عليّ؛ قال أبو بكر رضي الله عنه: فكشفت له عن بطني، فرأى شامة سوداء فوق سُرّتي، فقال: هو أنت وربّ الكعبة، إني مُتقدّم إليك في أمر فاحذره، قلت: وما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريقة المثلّى، وخَفِ الله عزّ وجلّ فيما أعطاك وخوّلَكَ.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فقضيتُ باليمن أربي^(٣)، ثم أتيتُ الشيخ لأودّعه، فقال: أحاملُ أنت مِنّي أنباءً إلى ذلك النّبي؟ قلت: نعم، فأنشأ يقول: [من الطويل]

ألم ترَ أنّي قد سئمت معاشرى ونفسي وقد أصبحت في الحيّ راها^(٤)

حييتُ وفي الأيام للمرء عبرةً ثلاث مئين ثم تسعين آمنا^(٥)

(١) ابن ظفر: «من السن ثلاثة وتسعون».

(٢) في خير البشر لابن ظفر: «أحسبك حرمياً، فقال أبو بكر: فقلت»، وفي السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥: «أحسبك حرمياً، أحسبك قرشياً، أحسبك تيمياً».

(٣) أربي: غاييتي، حاجتي.

(٤) الراهن: المقيم الثابت.

(٥) رواية ابن ظفر: «ثلاث سنين ثم تسعين».

وصاحبت أخباراً أناروا بعلمهم
وكم راهب فوق عنشبيل^(٢) قائم
وكلهم لما تعطشت قال لي
بمكة والأوثان فيها عزيزة
فما زلت أدعو الله في كل حاضر
وقد خمدت مني شرارة قوتي
وأنت ورب البيت تلقى محمداً
فحي رسول الله عني فإنني
فيا ليتني أدركته في شبيبتي
عليه سلام الله ما ذرَّ شارق
غياهب جهل ما ترى فيه طابنا^(١)
لقيت وما غادرت في البحث كاهنا
بأن نبياً سوف تلقاه دائنا
فيركسها حتى تراها كواміна^(٣)
حللت به سراً وجهراً معالنا
وألفيت شيخاً لا أطيق الشواجن^(٤)
بعامك هذا قد أقام البراهنا
على دينه أحياً وإن كنت واهنا^(٥)
فكنت له عبداً وإلا العجاهنا^(٦)
تألق هئافاً من النور هافنا^(٧)

قال أبو بكر رضي الله عنه: فحفظت وصيته وشعره وقدمت مكة، فجاءني شيبه ابن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأبو البخترى، وعقبة بن أبي معيط، ورجال قریش مسلمين عليّ، فقلت: هل حدث أمر؟ فقالوا: حدث أمر عظيم؛ هذا محمد بن عبد الله يزعم أنه نبي أرسله الله إلى الناس، ولولا أنت ما انتظرنا به، فإذا جئت فأنت البغية والثنية^(٨)، قال: فأظهرت لهم تعجباً وصرفتهم على أحسن شيء^(٩)، وذهبت أسأل عن رسول الله ﷺ، فقبل لي: هو في منزل خديجة، فقرعت الباب عليه فخرج إليّ فقلت: يا محمد، فقدت من نادي قومك، فاتهموك بالغبية، وتركت دين آبائك، فقال: أيا أبا بكر، إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله، فقلت: وما آيتك؟ قال: الشيخ الذي لقيته باليمن، قلت: وكم من شيخ قد لقيت، وبعث منه واشتريت، وأخذت وأعطيت! قال: الشيخ الذي أخبرك عني، وأفادك الأبيات، قلت: من أخبرك بهذا يا

(١) الطابن: العارف بالشيء.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) ركس: قلب - حطم.

(٤) الشواجن: الطرق المتداخلة المخالفة، أي لا أطيق السير في هذه الأرض، عن ابن ظفر.

(٥) الواهن: الضعيف.

(٦) العجاهن: الخادم.

(٧) هافنا: الهفنى: المطر الشديد ولعله قصد النور المتدفق كالمطر؟!

(٨) في السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥: «فأنت الغاية والكفاية».

(٩) في الأصل: «فصرفتهم في حس مس»، والمثبت عن السيرة الحلبية: ١: ٢٧٥.

حبيبي؟ قال: الملك العظيم الذي كان يأتي الأنبياء قبلي، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. قال أبو بكر رضي الله عنه: فانصرفت وما أحد أشد سرورًا من رسول الله ﷺ بإسلامي.

وأما من ذكر صفة رسول الله ﷺ بعد مبعثه ورؤيته له، وذكر قومه بها، وحقق عندهم أنه هو، لما كان يجد عنده من العلم بصفته ﷺ.

فمن ذلك ما روي^(١) أن صفية بنت حُيَي بن أخطب قالت: كنت أحب الناس إلى أبي، وكان عمي أشد حُبًا لي، فأتيا النبي ﷺ بقباء^(٢)، ثم رجعا من عنده ثقلين لا يلتفتان نحوي، ولا ينظرن إليّ، فسمعتُ عمي يقول لأبي: هل تعرفه؟ قال: نعم، قال: فماذا عندك فيه؟ قال: عداوته إلى آخر الدهر، قال عمي لأبي: أنشدك الله أن تطيعني يا أخي في هذا، ثم اعصني فيما سواه، هلم نتبعه، فقال أبي: لا، والله لا أراك له عدوًا، فقال عمي: إنك تهلكنا، وتهلك نفسك، إن هذا نبيّ السيف، وجعل عمي يكلمه وهو يأبى إلا كلامه الأول، قالت صفية: فلما كان الليل، وجدت نسوة من بني النضير جالسات يقلن: والله ما أحسن حُيَي بن أخطب بخلاف أخيه، إنا لنعلم أن هذا نبيّ مذكور في الكتب، وقالت عجوز منهن: سمعتُ أبي يقول لإخوتي: إن نبيًا من العرب يقال له أحمد، مولده بمكة ودار هجرته يثرب، وهو خير الأنبياء، فإن خرج وأنتم أحياء، فاتبعوه؛ قالت صفية: وإذا هن كلهن يزرين^(٣) على أبي، ويتعتبن عليه فعله.

ومنه ما قاله كعب بن عمرو لبني قريظة عند حصارهم. وسنذكر ذلك إن شاء الله في الغزوات، وقد تقدّم خبر بحيرا، ونسطور، فلا فائدة في إعادته هنا.

وأما من أظهر صُحُفًا كانت عنده فيها صريح ذكره ﷺ، فمن ذلك ما روي أن رجلاً أتى النبي ﷺ بورقة ورثها عن أبيه عن جدّه، وذكر أن سلفه كانوا يتوارثونها على وجه الدهر؛ فإذا فيها: «اسمُ الله وقوله الحق، وقول الظالمين في تبار، هذا ذكرٌ لأمةٍ تأتي في آخر الزمان، يأتزون على أوساطهم، ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحر إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما هلكوا في الطوفان؛ أو في ثمود ما أهلكوا بالصيحة»، قال: فقرأت الورقة على الناس، وأمر رسول الله ﷺ بحفظها.

ومنه ما روي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نزل بالبليح^(٤) إلى جانب دير،

(١) روى ابن هشام هذا الخبر بمعناه مختصرًا في السيرة: ٢: ١٦٥.

(٢) قباء: موضع بالمدينة.

(٣) يزرين: يأخذن عليه، يعبن.

(٤) معجم البلدان: ٢: ٢٨٢.

فأتاه قيّم الدير فقال يا أمير المؤمنين: إني ورثت عن آبائي كتابًا قديمًا كتبه أصحاب المسيح عليه السلام؛ فإذا شئت قرأته عليك؛ قال: نعم، هات كتابك؛ فجاء بكتاب فإذا فيه: الحمد لله الذي قضى ما قضى، وسطر ما سطر، إته باعث في الأميين رسولاً يعلمهم الكتاب والحكمة، ويدلهم على سبيل الجنة، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون لله في كل هبوط ونشر^(١) وضعود، تذلل ألسنتهم بالتكبير والتهليل، ينصر دينهم على كل من ناواه.

ومنه ما روي أن أبا ذؤيب الزاهد قال: دخلت في سياحتي ديرًا فقلت للراهب القيّم عليه: أعندك فائدة؟ قال: نعم. لك يا عربيّ، قلت: هاتها! قال: فأخرج لي ورقة فيها أربعة أسطر، فذكر أنها من الكتب المنزلة؛ ففي السطر الأول منها: يقول الجبار تبارك وتعالى: أنا الله لا إله إلا أنا وخدي لا شريك لي؛ والسطر الثاني: محمد المختار عبدي ورسولي؛ والسطر الثالث: أمته الحمادون، أمته الحمادون، أمته الحمادون والسطر الرابع: رعاة الشمس، رعاة الشمس، رعاة الشمس.

وأما من أظهر تمثال صورته ﷺ وضور بعض أصحابه رضي الله عنهم، وذلك مصور عندهم في بيوت في بيعهم.

فمن ذلك ما روي عن دحية بن خليفة الكلبي^(٢) رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر أنه قال: لقيت قيصر بكتاب رسول الله ﷺ وهو بدمشق، فأدخلت عليه خاليًا، فناولته الكتاب فقبل خاتمته وقضه وقرأه، ثم وضعه على وسادة أمامه، ثم دعا بطارقه^(٣) وزعماء دينه فقام فيهم على وسائد بُنيت له، ثم خطبهم فقال: هذا كتاب النبي الذي بشر به عيسى المسيح، وأخبر أنه من ولد إسماعيل، قال: فنخروا^(٤) نخرة عظيمة، وحاصوا^(٥) فأومى إليهم بيده أن اسكتوا، ثم قال: إنما جرّيتكم لأرى غضبكم لدينكم، ونصركم له، وصرفهم، ثم استدعاني من الغد فأخLANي، وأتسني بحديثه، وأدخلني بيتًا عظيمًا فيه ثلاثمائة وثلاثة عشر صورة، فإذا هي صورة الأنبياء المرسلين ﷺ فقال:

(١) النشر: الانبعاث.

(٢) دحية بن خليفة الكلبي: دحية بن فروة بن فضالة الكلبي (... نحو ٤٥ هـ = ... نحو ٦٦٥ م) صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى «قيصر» يدعوه للإسلام. كان يضرب به المثل في حسن الصورة. عاش إلى خلافة معاوية. (الأعلام: ٢: ٣٣٧).

(٣) البطريق: القائد.

(٤) نخر: مدّ بصوته من أنفه.

(٥) حاص: ضاقت عينه.

انظر من صاحبك من هؤلاء، فنظرت فإذا صورة النبي ﷺ كأنما ينطق، فقلت: هو هذا، فقال: صدقت، ثم أراني صورة عن يمينه فقال: من هذا؟ قلت: هذه صورة رجل من قومه أسمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأشار إلى صورة أخرى عن يساره، فقلت: هذه صورة رجل من قومه يقال له عمر رضي الله عنه، فقال: إنا نجد في الكتاب أن بصاحبيه هذين يُتَمُّ الله أمره. قال دحية: فلما قدمتُ على النبي أخبرته، قال: صدق، بأبي بكر وعمر يُتَمُّ الله هذا الأمر بعدي. والله الموفق.

ومنه ما روي عن حكيم^(١) بن حزام قال: دخلت الشام للتجارة قبل أن أسلم، ورسول الله ﷺ بمكة، فأرسل قيصر إلينا فجنناهُ ومعنا أمية بن أبي الصلت الثقفي^(٢)، فقال: من أي العرب أنتم؟ وما قرابتكم من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال حكيم: فقلت أنا ابن عمه، يجمعني وإياه الأب الخامس، فقال: هل أنتم صادق فيما أريكُموه وأسألكم عنه؟ قلنا: نعم، نصدقك أيها الملك، فقال: أنتم ممن أتبعه أو ممن ردّ عليه؟ قلنا: ممن ردّ عليه ما جاء به وعاداه، ولكننا نصدقك مع هذا، قال: أحلفوا لي بالهتكم لتصدقنني في جميع ما أسألكم عنه وأعرضه عليكم، فحلفنا له وأعطيناه من الموائيق ما أرضاه، فسألنا عن أشياء مما جاء به رسول الله ﷺ فأخبرناه بها، ثم نهض واستنهضنا معه، فأتى كنيسة في قصره، فأمر بفتحها ودخل ونحن معه، وجاء إلى ستر وأمر بكشفه فإذا صورة رجل، قال: أتعرفون من هذه صورته؟ قلنا: لا. قال: هذه صورة آدم، ثم تتبّع أبواباً يفتحها ويكشف عن صور الأنبياء واحداً بعد واحد، ويقول: هذا صاحبكم؟ فنقول: لا، حتى فتح باباً وكشف لنا سترًا عن صورة محمد ﷺ، فقال: أتعرفون هذا؟ قلنا: نعم، هذه صورة صاحبنا، فقال: أتدرون منذ كم صوّرت؟ قلنا: لا، قال: منذ أكثر من ألف سنة، فإن صاحبكم نبي مرسل فاتبعوه، ولوددت أني عنده فأشرب ما يغسل^(٣) من قدميه.

وقد ورد في الصحيحين^(٤) خبر قيصر مع أبي سفيان لما سأله عن رسول

(١) حديث حزام هذا روي في السيرة الحلبية: ١ : ١٨٦.

(٢) أمية بن أبي الصلت: أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: (.... ٥ هـ = ٦٢٦ م) شاعر جاهلي حكيم قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلقاً على الكتب القديمة، وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر، ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، رحل إلى البحرين. وعاد إلى الطائف فسأل عن خبر محمد بن عبد الله ﷺ. وخرج إلى الشام وهاجر رسول الله إلى المدينة وحدثت وقعة بدر، وعاد أمية من الشام، يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر وفيهم ابنا خال له، فامتنع، وأقام في الطائف إلى أن مات. (الأعلام: ٢ : ٢٣).

(٣) في الأصل: «قدميه».

(٤) صحيح البخاري: ١ : ٨، ٤ : ٤٥.

الله ﷺ. وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ومنه ما روي عن جُبَيْر بن مُطْعِم^(١) أنه قال: لما بعث الله النبي ﷺ: خرجتُ تاجرًا إلى الشام، فأرسل إليَّ عَظِيمُ الأساقفة، فأتيته فقال: هل تعرف هذا الرجل الذي ظهر بمكة، يزعم أنه نبي؟ قال: فقلت هو ابن عمي، فأخذ بيدي وأدخلني بيتًا فيه تماثيل وقال: انظر ترى صورته ههنا؟ فنظرتُ فلم أر شيئًا فأخرجني من ذلك البيت، وأدخلني بيتًا أكبر منه فيه مثلها، وقال: انظر هل تراه ههنا، فنظرتُ فإذا صورة النبي ﷺ، وإذا صورة أبي بكر وهو أخذ بعقب النبي ﷺ، وإذا صورة عُمر وهو أخذ بعقب أبي بكر، فقال: هل رأيته؟ فقلت: نعم هوذا، قال: أتعرف الذي أخذ بعقبه؟ قلت: نعم، هو ابن أبي قُحَافَة^(٢)، قال: وهل تعرف الذي هو أخذ بعقبه؟ قلت: نعم، هذا عمر بن الخطاب ابن عَمَّنَا، فقال: أشهد أنه رسول الله، وأن هذا هو الخليفة من بعده، وأن هذا هو الخليفة من بعد هذا.

وهذا باب متسع لو استقصيناه لطال، ولو سطرنا ما وقفنا عليه منه لانبسطت هذه السيرة، وخرجت عن حد الاختصار، وفيما أوردناه كفاية.

فلنذكر بشائر كُهَّان العرب والله أعلم.

وأما من بَشَّر به ﷺ من كُهَّان العرب فقد قدمناه في الباب الثالث من القسم الثاني من الفن الثاني من كتابنا هذا أخبار الكهنة، وذكرنا طَرَفًا من إخبارهم برسول الله ﷺ، مما نُسْنِئِه في هذا الموضع، ونذكر ما عداه، ولا يُشترط الاستيعاب لتعذرهِ، ولا إثبات جميع ما وقفنا عليه أيضًا من ذلك لأنه يُوجب البسط والإطالة، بل نذكر من ذلك ما نقف إن شاء الله تعالى عليه مما فيه الكفاية، وإن كانت نبوة نبينا ﷺ أظهر وأشهر وأقطع من أن يُحتاج فيها إلى ذكر ما ذكرناه، وما نذكره، وإنما نُورد ما أوردناه ليقف عليه من لم يتتبع أحواله ﷺ، ولا طالع سيره، وليعلم أن أمره ﷺ لم يَفْجَأْ الناس، بل جاءهم على بينة واستبصار، وآثار وأخبار، ومعجزات ظهرت، نذكرها بعد إن شاء الله تعالى.

فمن بَشَائِر الكُهَّان رؤيا ربيعة بن نصر وتأويل سَطِيح وشِق لها.

قال محمد بن إسحاق بن يسار المَظْلَبِي^(٣): كان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التَّابِعة، فرأى رؤيا هالته [وَقَطَعَ بها]^(٤)، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا

(١) نقله في السيرة الحلبية مختصرًا: ١ : ١٨٦.

(٢) المقصود: أبو بكر.

(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ١٥، وانظر دلائل أبي نعيم ص ٨٦.

(٤) زيادة عن ابن هشام: ١٠ : ١٥. وقطع بالأمر: اشتد عليه.

عائفاً ولا مُنْجِماً من أهل مملكته إلا جمعه إليه، فقال لهم: إني قد رأيت رؤيا هالتي، وفطعتُ بها، فأخبروني بها وتأويلها، قالوا له: اقضصها علينا نخبرك بتأويلها، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها، فقال له رجل منهم: فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق، فإنه ليس أحد أعلم منهما^(١)، فإنهما يُخبرانه بما سأل عنه.

قال ابن هشام: واسم سطيح: ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن بن غسان. وشق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرَك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار.

قال ابن إسحاق:

فبعث إليهما، فقدم عليه سطيح قبل شق، فقال له: إني رأيت رؤيا هالتي وفطعت بها فأخبرني بها، فإنك إن قضيتها أصبت^(٢) تأويلها، قال: أفعل، رأيت حُممة^(٣)، خرجت من ظُلْمَة، فوقعت بأرض تَهْمَة^(٤)، فأكلت منها كل ذات جُمُجْمَة^(٥)؛ فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟ قال: أخلف بما بين الحرّتين من حَشْش^(٦)، لتَهْبِطُنَّ أرضكم الحَبَش^(٧)، فليَمْلِكُنَّ ما بين أْبَيْنَ^(٨) إلى جَرْش^(٩)، فقال الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لَعَائِظٌ مُوجِعٌ، فمتى هو كائن، أفي زَماني، أو بعده؟ قال: لا. بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين، قال: أفيدوم ذلك من ملكهم أم يَنْقَطِعُ؟ قال: لا، بل ينقطع لبضع وسبعين^(١٠) من السنين، ثم يُقْتَلُونَ ويُخْرَجُونَ منها هارِبِينَ، قال: ومن يلي ذلك من قَتْلِهِمْ وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذي يَزَن، يخرج عليهم من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً

(١) يذكر عن وهب بن منبه أنه قال لسطيح: أنى لك هذا العلم، فقال: لي صاحب من الجن استمع إلى أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى، فهو يؤدي إليّ من ذلك ما يؤديه. انظر الروض الأنف: ١: ١٨.

(٢) في سيرة ابن هشام: ١: ١٦: «فإنك إن أصبتها أصبت».

(٣) الحمة: قطعة من نار، وفي الأصل: «جمجمة» تصحيف.

(٤) التهمة: الأرض المنخفضة.

(٥) الجمجمة: الرأس.

(٦) الحرة: أرض فيها حجارة سود.

(٧) المقصود أهل الحبشة.

(٨) أبين: بلد باليمن.

(٩) جَرْش: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وقيل: مدينة باليمن.

(١٠) في دلائل أبي نعيم ص ٨٧: «ولبضع وستين».

باليمن، قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع، قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قبل العليّ، قال: وممن هذا النبيّ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون، قال: أحقّ ما تُخبرني؟ قال: نعم، والشفق، والغسق، والفلق إذا اتسق؛ إن ما أنبأتك به لحق.

ثم قدم عليه شقّ فقال له كقوله لسطيح، وكتّمه ما قال سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان؟ فقال^(١): نعم، رأيت حُمّة، خرجت من ظُلّة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نسمة^(٢).

فلما قال ذلك عرف أنهما قد اتفقا، وأن قولهما واحد، فقال له الملك: ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلفُ بما بين الحرّتين من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة^(٣) البتان، وليملكن ما بين أبيّن إلى نجران، فقال له الملك: وأبيك يا شقّ، إن هذا لنا لغائظ موجه، فمتى هو كائن أفي زمني أم بعده؟ قال: لا، بل بعده بزمان، ثم يستنقذك منهم عظيم ذو شأن، ويذيقهم أشدّ الهوان، قال: ومن هذا العظيم الشأن؟ قال: غلام ليس بدنيّ^(٤) ولا مدنّ^(٥) يخرج عليهم من بيت ذي يزّن، قال: أفيدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرسل، يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفضل، قال: وما يوم الفضل؟ قال: يوم تُجزى فيه الولاة، يدعى فيه من السماء بدعوات، يُسمع فيها الأحياء والأموات، ويجمع فيها الناس للميقات، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات، قال: أحقّ ما تقول؟ قال: إيّ ربّ السماء والأرض، وما بينهما من رَفَعٍ وحَفْضٍ، إنّ ما أنبأتك به لحق ما فيه أمّض^(٦)، قال: فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالوا، فجهّز بينه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم، وكتب إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور، فأسكنهم في الحيرة، فمن بقية ولد ربيعة بن نصر الثعمان بن المنذر.

(١) في الأصل: «قال».

(٢) ذات نسمة: ذات روح.

(٣) الطفلة: الناعمة، الرخصة.

(٤) الدني: المقصر في الأمور.

(٥) المدني: الذي جمع الضعف مع الدناءة.

(٦) الأمض: الشك أو الباطل.

ومن ذلك ما روي أن مرثد بن عبد كلال قفل من غزاة غزاها بغنائم عظيمة، فوَقَد عليه زعماء العرب وشعراؤها وخطباؤها يهتُونه؛ فرفع الحجاب عن الوافدين، فأوسَعهم عطاءً، واشتد سروره بتقريظ الخطباء والشعراء، فبينما هو على ذلك أري في المنام رؤيا أخافته وذعرته وهالته في حال منامه، فلما انتبه أنسيها حتى ما تذكر منها شيئاً، وثبت ارتياغه في نفسه لها، فانقلب سروره حزناً، فاحتجب عن الوفود حتى أساءوا الظن به، ثم حشد الكُهان، فجعل يخلو بكاهن كاهن ثم يقول: أخبرني عما أريد أن أسألك، فيجيبه الكاهن بأن لا علم عندي، حتى لم يدع كاهناً علمه، فتضاعف قلقه، فقالت له أمه، وكانت قد تكهنت: أبيت اللعن! إن الكواهن أهدي إلى ما تسأل عنه، لأن أتباع الكواهن من الجن الطّف من أتباع الكُهان، فأمر بحشر الكواهن إليه، وسألهم كما سأل الكُهان فلم يجد عند واحدة منهم علم ما أراد علمه، فلما يش من طلبته سلا عنها؛ ثم إنه بعد ذلك ذهب يتصيد فأوغل في الصيد، وانفرد عن أصحابه، فرُفعت^(١) له أبيات في دُرَى جبل وقد لَفحه الهجير^(٢)، فعدل إلى الأبيات، وقصد بيتاً منها كان مُنفرداً عنها، فبرزت إليه منه عجوزٌ فقالت: انزل بالرحب والسعة، والأمن والدعة، والجفنة المدغدة، والعلبة المترعة، فنزل عن جواده ودخل البيت، فلما احتجب عن الشمس وخفقت عليه الأرواح نام فلم يستيقظ حتى تصرّم الهجير، فجلس يمسح عينيه فإذا بين يديه فتاة لم ير مثلها جمالاً وقواماً، فقالت له: أبيت اللعن أيها الملك الهمام! هل لك في الطعام؟ فاشتد إشفاقه، وخاف على نفسه لما رأى أنها قد عرفتّه، وتَصامم^(٣) عن كلمتها، فقالت له: لا حذر، فذاك البشر، فجدك^(٤) الأكبر، وحظنا بك الأوفر، ثم قرّبت إليه ثريداً وقديداً وحيساً^(٥)، وقامت تذب عنه حتى انتهى أكله ثم سقته لبناً صريفاً وضريباً^(٦) فشرب ما شاء، وجعل يتأملها مقبلة ومدبرة فملأت عينيه حسناً، وقلبه هوى، ثم قال لها: ما اسمك يا جارية؟ قالت: اسمي عُفراء، قال لها: من الذي دعوته الملك الهمام؟ قالت: مرثد العظيم الشأن، الحاشر الكواهن والكُهان، لمعضله يُعل بها الجان، قال: يا عُفراء: أتعلمين ما تلك المعضلة؟ قالت: أجل أيها الملك الهمام، إنها رؤيا منان، ليست بأضغاث أحلام، قال: أصبت يا

(١) رفعت: بدت، ظهرت، لاحت.

(٢) الهجير: حرّ الظهيرة.

(٣) تصامم: تظاهر بالصمم وعدم السماع.

(٤) الجد: الحظ.

(٥) الحيس: ضرب من الطعام.

(٦) الضريب: الشهد.

عُفَيْراء، فما تلك الرؤيا؟ قالت: رأيت أعاصير زوابع، بعضها لبعض تابع، فيها لهب لاعم، ولها دُخان ساطع، يقفوها نهر مُتدافع، وسمعت فيما أنت سامع، دعاء ذي جرس صاعد^(١): هَلَمُوا إِلَى الْمَشَارِعِ^(٢)، هَلَمُوا إِلَى الْمَشَارِعِ، رَوِيَّ جَارِع^(٣)، وَغَرَقَ كَارِع^(٤). قال الملك: أجل هذه رؤياي! فما تأويلها يا عُفَيْراء؟ قالت: الأعاصير الزوابع، ملوكُ تَبَاعٍ، والنهر علم واسع، والداعي نبي شافع، والجارع ولي له تابع، والكارع عدو له منازع، قال: يا عُفَيْراء أَسَلِمَ هذا النبي أم حرب؟ قالت: أَقَسِمُ بِرَافِعِ السَّمَاءِ، وَمُنْزَلِ الْمَاءِ^(٥) مِنَ الْعَمَاءِ، إِنَّهُ لَمُبْطِلُ الدَّمَاءِ، وَمُنْطَقُ الْعُقَاتِلِ نَطَقُ الْإِمَاءِ. قال الملك: إلام يدعو يا عُفَيْراء؟ قالت: إِلَى صَلَاةٍ وَصِيَامٍ؛ وَصَلَةِ أَرْحَامٍ، وَكُسْرِ أَصْنَامٍ، وَتَعْطِيلِ أَزْلَامٍ^(٦)، وَاجْتِنَابِ آثَامٍ، قال الملك: يا عُفَيْراء، مَنْ قَوْمُهُ؟ قالت: مَضْرِبُ بْنُ نِزَارٍ، وَلَهُمْ مِنْهُ وَلَهُمْ مِنْهُ نَقْعٌ^(٧) مِثَارٍ، يَتَجَلَّى عَنْ دَبْحٍ وَإِسَارٍ، قال: يا عُفَيْراء: إِذَا دَبَحَ قَوْمُهُ فَمِنْ أَعْضَادِهِ؟ قالت: أَعْضَادُهُ غَطَارِيفُ يَمَانُونَ، طَائِرُهُمْ بِهِ مَيِّمُونَ يَعْزُ بِهِمْ فَيَعْزُونَ، وَيُدْمُثُ بِهِمُ الْحَزُونَ^(٨)، فَإِلَى نَصْرِهِ يَعْتَزُونَ، فَأَطْرَقَ الْمَلِكُ يُوَامِرُ نَفْسَهُ فِي خُطْبَتِهَا، فَقَالَتْ: أَبَيْتَ اللَّعْنَ! إِنْ تَابَعِي غَيُورٌ، وَلَأْمَرِي صَبُورٌ، وَنَاكِحِي مَقْبُورٌ، وَالْكَفُّ بِي ثُبُورٌ^(٩). فَتَهَضَّ الْمَلِكُ مُبَادِرًا، فَجَالَ فِي صَهْوَةِ جَوَادِهِ، وَانْطَلَقَ فَبِعَثَ إِلَيْهَا بِمَائَةِ نَاقَةٍ كَوْمَاءٍ^(١٠).

ويشبه ما ذكرناه رؤيا الموبدان وقد تقدّمت في أخبار الكهان.

ومن ذلك ما روي عن لهيب بن مالك اللّهيبي^(١١) أنه قال: حضرت عند رسول الله ﷺ، فذكرت الكهانة فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند القذف بالنجوم، وذلك

(١) صاعد: مسموع الكلمة.

(٢) المشارع: منابع المياه.

(٣) جارع: من جرع.

(٤) الكارع: الذي يخوض الماء، شرب أم لم يشرب (اللسان: كرع).

(٥) في الأصل «ومنزل العماء»، والذي أثبت عن تاريخ الخميس: ١: ٢٩.

(٦) الأزلام: السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها.

(٧) نقع مثار: الغبار المتطاير.

(٨) الحزون: المكان الصعب الخشن.

(٩) الثبور: الويل.

(١٠) ناقة كوماء: عزيمة السنام طويلته (اللسان: كوم).

(١١) لهيب بن مالك: اللّهيبي، ويقال لهب: روى خبراً عجباً في الكهانة. وأعلام النبوة، وفيه قال رسول الله ﷺ. وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. (راجع الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣: ٣٣٠).

أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له خَطَر بن مالك، وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائة سنة وثمانون سنة، وكان أعلم كُهاننا، فقلنا له: يا خطر، هل عندك علم من هذه النجوم التي يُرمى بها، فإننا قد فزعنا لها، وقد خفنا سوء عاقبتها، فقال: اثنوني بسحر^(١) أخبركم الخبر، بخير أم ضرر، وأمن أم حذر؟ قال: فانصرفنا عنه يومنا، فلما كان من غدٍ في وجه السَّحَرِ أتينا، فإذا هو قائم على قدميه شاخص إلى السماء بعينه. فنادينا يا خطر، فأومأ إلينا أن أمسِكوا فأمسكنا، فانقضَّ نجم من السماء عظيم؛ فصرخ الكاهن: أصابه إصابة^(٢)، خامره عقابه، عاجله عذابه، أحرقه شهابه، زائله جوابه، يا ويله ما حاله، بَلْبَلَه بَلْبَالَه^(٣) عاوده خَبَالَه^(٤)، تقطعت جباله، وغيرت أحواله؛ ثم أمسك طويلاً، ثم قال: يا معشر بني قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسمت بالكعبة ذات الأركان، والبلد المؤمن السكان^(٥). قد منع السمع عتاة الجان، بثاقب بكف ذي سلطان، من أجل مبعوث عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهُدَى وفاضل الفرقان، تبطل به عبادة الأوثان. قال: قلنا يا خطر، إنك لتذكر أمراً عجيباً، فماذا ترى لقومك؟ فقال: [من الرجز]

أرى لقومي ما أرى لنفسي أن يتبعوا خير بني الإنس

برهانه مثل شعاع الشمس يبعث من مكة دار الخمس^(٦)

* بمحكم التنزيل غير اللبس^(٧) *

قلنا: يا خطر، ومم هو؟ فقال: والحياة والعيش، إنه لمن قريش. ما في حكمه طيش، ولا في خُلُقِه هيش^(٨)، يكون في جيش وأي جيش، من آل قحطان وآل رَيْش^(٩)، قال: قلنا بين لنا من أي قريش هو؟ قال: والبيت ذي الدعائم، والركن والأحائم^(١٠)،

(١) في السيرة الحلبية: ١ : ٢٠٨ : «اثنوني قبيل الفجر».

(٢) إصابة: جمع وصب، كجمل، وجمال، فالهمزة بدل من الواو. عن السيرة الحلبية: ١ : ٢٠٨. والمعروف أن جمع وصب أوصاب. وهو التعب.

(٣) البلبال: الغم.

(٤) الخبال: الوهم.

(٥) في السيرة الحلبية: ١ : ٢٠٨ : «السدان»، والسدان: الخدم.

(٦) الخمس: هم قريش.

(٧) اللبس: الغامض.

(٨) أي ليس في طبيعته وسجيته قول قبيح، السيرة الحلبية: ١ : ٢٠٩.

(٩) آل رَيْش: قبيلة من الجن، السيرة الحلبية: ١ : ٢٠٩.

(١٠) الأحائم: جمع الجمع لـ «حوم»، ويريد بها بئر زمزم.

إنه لمن نَجَل هاشم، من معشرٍ أكارم، يُبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم؛ ثم قال: هذا هو البيان، أخبرني بي رئيس الجأ، ثم قال: الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر، ثم سكت فأغمى عليه، فما أفاق إلا بعد ثلاث فقال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «لقد نطق عن مثل نبوة، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده»، والله أعلم.

ومنه ما روي أن سفيان بن مُجاشع بن دارم احتمل دياتِ دماءٍ كانت من قومه، فخرج يستعين فيها، فدفع إلى حَيٍّ من تميم، فإذا هم مجتمعون إلى كاهنة تقول: «العزيرُ من والاه، والدليل من خالاه، والموفور من ماله، والموثور من عاداه»؛ قال سفيان: من تذكّر الله أبوك؟ فقالت: «صاحب حلٍ وحرم، وهدي وعلم وبطشٍ وجلم، وحرب وسلّم، رأس رؤوس، ورائض يموس^(١)، وماحي بوس، وماهد وعُوس»، و«ناعشٍ منعوس»، قال سفيان: من هو الله أبوك؟ قالت: «نبيّ مؤيد، قد آن حين يوجد، ودنا أوان يولد، يبعث إلى الأحمر والأسود، بكتاب لا يفتد، اسمه محمد»؛ قال سفيان: لله أبوك أعربيّ هو أم أعجميّ؟ قالت: «أما والسماء ذات العنان، والشجر ذات الأفنان، إنه لمن معدّ بن عدنان، فقدك يا سفيان»؛ فأمسك سفيان عن سؤالها، ثم إن سفيان وُلِد له غلام فسماه محمداً لما رجاء من أن يكون النبيّ الموصوف.

ومنه ما روي أن عمرو بن معد يكرب^(٢) عوتب على ارتداده عن الإسلام فقال: واللّه ما هو إلا الشقاء، ولقد علمت أن محمداً رسولُ الله قبل أن يوحي إليه، قيل: وكيف كان ذلك يا أبا ثور؟ قال: حدث بين بني زُبَيْد تناجُش^(٣) وتظالم، ونما إلى أن سفك بعضهم دماء بعض، ففرع^(٤) حلماؤهم إلى كاهنٍ لهم رجوا أن يكون عنده المخرج مما نزل بهم، فقال الكاهن: «أقسم بالسماء ذات الأبراج، والأرض ذات الأدراج، والريح ذات العجاج^(٥)، والبحار ذات الأمواج، والجبال ذات الفجاج^(٦)، إن

(١) كذا، ولعله «يسوس».

(٢) عمر بن معد يكرب: بن عبد الله بن عمر بن عاصم. الزبيدي، الشاعر الفارس المشهور، يكنى أبا ثور. قدم على رسول الله ﷺ في وفد زبيد فأسلم. ولما مات النبي ﷺ ارتد عمرو، ثم عاود الإسلام، وشهد فتوح الشام وفتوح العراق.. (الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة ٥٩٧٠).

(٣) تناجُش: تنافس.

(٤) فرع: لجأ.

(٥) العجاج: الغبار.

(٦) الفجاج: الأودية.

هذا الإمراج والارتجاج، لِّلَقَاحِ ذُو نَتَاجٍ؛ قالوا: وما نَتَاجُهُ؟ قالت: «ظهور نبيٍّ صادق، بكتاب ناطق، وحسام والِق»، قالوا: أين يظهر؟ وإِلَآمَ يدعو؟ قال: «يظهر بصَلاح؛ ويدعو إلى الفَلاح، ويُعطِلُ القَدَاح، وينهَى عن الرِّاح»^(١) والسُّفَاح، وعن كل أمر قُبَاح؛ قالوا: ممن هو؟ قال: «من وَلَدَ الشَّيْخِ الْأَكْرَم، حَافِرِ زَمَزَم، ومُطْعَمِ الطَّيْرِ الحُوم، والسَّبَاعِ الصُّوم»؛ قالوا: وما أَسْمُهُ؟ قال: «أَسْمُهُ مُحَمَّد، وعِزُّهُ سَرْمَد»^(٢)، وخَصْمُهُ مُكَمَد.

فهذه جملة كافية من أخبار الكُتَّان. فلنذكر ما نطق به الجان من أجواف الأصنام، وما سُمِع من الهواتف، والله المستعان.

وأما مَنْ بشر به عليه الصلاة والسلام من الجان الذين نطقوا من أجواف الأصنام وما سمع من العتائر^(٣).

فمن ذلك ما رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في سبب إسلام عمر، وأنه كان قد ضمن لقريش قتل النبي ﷺ، وخرج لذلك، فمرّ بقوم من خُزاعة وقد اعتمدوا صنمًا لهم يريدون أن يتحاكموا إليه، فقالوا لعمر: أدخل لتشهد الحكم، فدخل معهم، فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول: [من الرجز]

يا أيها الناس ذوو الأجسام	ما أنتم وطائش الأحلام ^(٤)
ومُسند الحكم إلى الأصنام	أصبحتم كراتع الأنعام ^(٥)
أما ترون ما أرى أمامي	من ساطع يجلو دُجى الظلام
قد لآخ للناظر من تهام	وقد بدا للناظر الشامي
محمد ذو البر والإكرام	أكرمته الرحمن من إمام
قد جاء بعد الشرك بالإسلام	يأمر بالصلاة والصيام
والبرّ والصلوات للأرحام	ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقًا إل الإسلام	بلا فتورٍ وبلا إحجام

قال: فتفرّق القوم عن الصنم ولم يحضره يومئذٍ أحدٌ إلّا أسلم؛ ثم ذكر ابن

(١) الراح والسفاح: الراح الخمر، والسفاح: سفك الدم.

(٢) سرمد: دائم، أبدي.

(٣) العتائر: واحدها: عتيرة، وهي الشاة التي تنذر وتذبح (اللسان: عتر).

(٤) رواية الأبيات بهذه الصورة في شرح المواهب: ١: ٢٧٦، وفي السيرة الحلبية: ١: ٢٠٣. تختلف

روايتها عما هنا زيادة ونقصًا، انظر دلائل أبي نعيم ص ٧٨.

(٥) أي كالبهائم.

عباس انطلقَ عمر إلى منزلِ أخته على ما نذكر ذلك أو نحوَه عند ذكرنا إسلامَ عمر رضي الله عنه .

قال: ثم خرج لقصدِ النبي ﷺ، فلقيه رجال من بني سليم^(١) قد تنافروا إلى صَنَم لهم ليحكم بينهم اسمه الضُّمار، فدعوا عمر إلى الدخول معهم إليه ففعل، فلما وقفوا بين يدي الصَّنَم سمِعوا هاتفاً من جوفه يقول: [من الكامل]

أودى الضُّمار وكان يُعبد مرّةً قبلَ الكتاب وقبلَ بعث محمد^(٢)
إن الذي ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضُّمار ومثله ليت الضُّمار ومثله لم يُعبد
أبشر أبا حفصٍ بدينٍ صادقٍ تهدي إليه بالكتاب المرشد
واصبر أبا حفصٍ قليلاً إنه يأتيك عن فرّق أعزُّ بني عدي^(٣)
لا تعجلنْ فأنت ناصرُ دينه حقاً يقيناً باللسان وباليَدِ

قال: فعجِب القوم منه ونكسه عمر، وغيرَ الله ما في صدره من عدواة رسول الله ﷺ.

ومنه ما روي أو وائل بن حُجر وكان ملكاً مُطاعاً، وكان له صَنَم من العقيق الأحمر يعبدُه ويحبُّه حبّاً شديداً، ولم يكن يُكلِّم منه، إلا أنه كان يرجو ذلك، فيكثر له السجود، ويغتر له العتائر، فبينما هو نائم في الظهيرة أيقظه صوت مُنكر من المخدع الذي فيه الصَّنَم، فقام من مضجعه وأتاه فسجد أمامه، فإذا قائل يقول: [من الرجز]

يا عجباً لوائل بن حُجرٍ يُخالُ يدري وهو ليس يدري
ما يرجى من نَحيت صخرٍ ليس بذِي عُزْفٍ ولا ذي نكرٍ^(٤)
ولا بذِي نفعٍ ولا ذي ضرٍّ لو كان ذا حُجرٍ أطاع أمري^(٥)

قال وائل: فرفعت رأسي واستويْتُ جالساً، ثم قلت: قد أسمعتَ أيها الناصح، فماذا تأمرني؟ فقال: [من الرجز]

(١) في السيرة الحلبية: ١: ٢٠٠: «... عباس بن مرداس قال: كان لمرداس السلمي وثن يعبدُه يقال له خمار».

(٢) أودى: لم تعد ترجى عودته.

(٣) الفرّق: الخوف.

(٤) أي لا يفقه ولا يعي.

(٥) الحجر: العقل.

ارحل إلى يثرب ذات النخل وسر إليها سير مُمشمعل
تدين بدين^(١) الصائم المصلي محمد المرسل خير الرسل
قال وائل: ثم خرّ الصنم بوجهه فانكسر أنفه، واندقت عنقه، فقامت إليه فجعلته
رُفاتًا، ثم سرت مسرعًا حتى أتيت المدينة؛ وذكر إسلامه بين يدي النبي ﷺ. والله
المعين.

ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه

رواه البيهقي في دلائل النبوة بسندٍ قال: كان مازن الطائي بأرض عمان بقرية
تدعى سمايل^(٢)، وكان يسدن الأصنام لأهله، وكان له صنم يقال له باجر، قال مازن:
فعترت ذات يوم عتيرة، والعتيرة: الذبيحة، فسمعتُ صوتًا من الصنم يقول: يا مازن:
أقبل إليّ أقبل، تسمع ما لا يجهل، هذا نبي مرسل، جاء بحق منزل، فأمن به كي
تعدل، عن حرّ نار تُشعل، وقودها بالجنديل^(٣).

قال مازن: فقلت والله إن هذا لعجب، ثم عتريت بعد عشرة أيام عتيرة أخرى،
فسمعت صوتًا آخر أبين من الأوّل وهو يقول: يا مازن أسمع تسرّ، ظَهَر خير وبطن
شرّ، بعث نبيّ من مضر، بدين الله الكبر، فدع نحيّا من حجر، تسلم من حرّ سقر^(٤)؛
قال مازن: فقلت: إن هذا والله لعجب، إنه لخير يُراد بي؛ وقدم علينا رجل من أهل
الحجاز فقلنا: ما الخبر وراءك؟ قال: خرج رجل بتهامة يقول لمن أتاه: أجيئوا داعي
الله عز وجلّ، يقال له أحمد، قال: فقلت: هذا والله نأ ما سمعت، فثرت إلى الصنم
فكسرتُه أجذاذاً^(٥)، وشددت راحلتي ورحلت، حتى أتيت رسول الله ﷺ، فشرح إليّ
الإسلام فأسلمت، وأنشأت أقول: [من البسيط]

كسرتُ باجر أجذاذاً وكان لنا ربّا نطيف به ضلّا بتضلال
فالهاشمي هدانا من ضلالتنا ولم يكن دينه مئي على بال
يا راكباً بلغن عمراً وإخوته أني لما قال ربّي باجرُ قالي^(٦)

(١) في السيرة الحلبية: «تدين دين». ١: ٢٠٦.

(٢) سحائل: اسم قرية، ويقال بالشين، وهي من أرض عمان.

(٣) الجنديل: صخرة مثل رأس الإنسان، وقيل: الشديد من كل شيء. (اللسان: جنديل).

(٤) سقر: من أسماء جهنم.

(٥) أجذاذاً: قطعاً.

(٦) في دلائل أبي نعيم ص ٧٧. والسيرة الحلبية ١: ٢٠١. عمرا وأخوتها، ويعني بعمرو وأخوتها بني

الصامت وبني خطامة، وهي بطن من طيء.

قال: مازن: فقلت: «يا رسول الله، إني امرؤ مولع بالطرب وشرب الخمر، وبالهلاك^(١) من النساء، وألحت علينا السنون^(٢) فأذهبن الأموال، وأهزان الذراري والرجال، وليس لي ولد، فاذعُ الله أن يذهب عني ما أجد، ويأتيني بالحيا، ويهب لي ولداً، فقال النبي ﷺ: «اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن، وبالحرام الحلال، وبالخمر ريثاً لا إثم فيه، وبالعُهر عفة الفرج^(٣) واثته بالحيا، وهب له ولداً». قال مازن: فأذهب الله عني كل ما أجد، وأخصبت عمان، وتزوجت أربع حرائر، ووهب لي حيان بن مازن، وأنشأت أقول: [من الطويل]

إليك رسول الله خبت مطيتي	تجوب القيافي من عمان إلى العرج ^(٤)
لتشفع لي يا خير من وطىء الحصا	فيغفر لي ربي فارجع بالفلج ^(٥)
إلى معشر خالفت في الله دينهم	فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي ^(٦)
وكنت امرأ بالعُهر والخمر مولعا	شبابي حتى آذن الجسم بالنهج ^(٧)
فبدلني بالخمر خوفاً وخشبة	وبالعُهر إحصاناً وحصن لي فرجي ^(٨)
فأصبحت همّي في جهادٍ ونيّتي	فلله ما صومي والله ما حجي

قال مازن: فلما رجعت إلى قومي أتبوني وشتمونني، وأمروا شاعرهم فهجاني، فقلت إن هجوتهم فإنما أهجو نفسي، فتركتهم، قال: ثم إن القوم ندموا وكنت القيم بأمورهم، فقالوا: ما عسى أن نصنع به، فجاءني منهم أزفة^(٩) عظيمة فقالوا: يا بن عم، عينا عليك أمراً فنهيناك عنه، فإذا أبيت فنحن تاركوك، ارجع معنا، فرجعت معهم، فأسلموا بعد كلهم.

ومازن هذا هو الذي أقطعه رسول الله ﷺ أرض عمان.

ومنه ما روي عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوساً عند صنم لنا، فإذا

(١) ألحت علينا السنون: دامت علينا أيام القحط.

(٢) الهلوك: الهلاك من النساء الفاجرة.

(٣) عن عيون الأثر: ١: ٧٦، والسيرة الحلبية ١: ٢٠١.

(٤) العرج: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) الفلج: الفوز والظفر.

(٦) الشرج: الشكل والطريق.

(٧) النهج: البلى.

(٨) الإحصان: العفة.

(٩) الأزفة: الجماعة من الناس.

صائح يصيح من جوفه: اسمعوا إلى العَجَب، وتوقعوا حادثاً قد اقترب، استراق السمع ذهب، وتُرْمَى الجنُّ بالشُّهب، لنبيٍّ من العرب، هاشميَّ النسب؛ مولده بمكة، ومهاجره يثرب؛ قال: وهذا قبل أن يظهر أمر رسول الله ﷺ.

ومنه ما روي عن عبد الله بن ساعدة الهذلي أنه قال: كنا نعبد صنماً يقال له سُواع، وكانت لي غَنَم، فجربت، فسقَّتها إليه وأدنيتهَا منه أرجو بركته، فسمعت منادياً من جوف الصَّنم يقول: العجب كل العجب، سُدِلت الحجب، ورميت الجن بالشُّهب، وسقطت الثُّصْب^(١)، ونزل خير الكتب، على خير العرب؛ قال: فسقت غنمي وعدتُ إلى أهلي، وقد بُغِضْتُ إليَّ الأوثان، فجعلت أنقُب عن الحوادث حتى بلغني ظهور رسول الله ﷺ، فأتيته فأسلمت.

وسنذكر إن شاء الله تعالى في خبر إسلام الجن ما هتفوا به فأسلم بسببه من أسلم لما سمعوا - ما تقف عليه هناك.

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من المبشرات، فلنذكر مبعثه ﷺ.

ذكر مَبْعَث رسول الله ﷺ وما بدىء به من النبوة

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة، لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في نوم إلا جاءت كَفَلَق الصُّبح^(٢)، وحجب الله إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

وروى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي عن عبد الملك بن عبيد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن حارثة الثقفي، وكان واعية^(٣)، عن بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة؛ كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسر عنه البيوت^(٤)، ويُفْضِي إلى شعاب^(٥) مكة ويطون أوديتها، فلا يمرَّ بحَجَرٍ ولا شجرٍ إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فيلتفتُ حوله عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة؛ فمكث ﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بجرا في شهر رمضان.

(١) النصب: صنم أو حجر.

(٢) فلق الصبح: ضياؤه.

(٣) الواعية: الحافظ الفقيه.

(٤) تحسر عنه: تبعد عنه.

(٥) الشعاب: المواضع الخفية بين الجبال.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث الله محمداً ﷺ وله يومئذ أربعون سنة ويوم، فأتاه جبريل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في حراء، وهو أول موضع نزل فيه القرآن.

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن محمداً بن موسى الخوارزمي قال: بُعث نبينا ﷺ يوم الاثنين لثمان خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل. فكان من مولده إلى أن بعثه الله عز وجل أربعون سنة ويوم.

وعن عبد الله بن الزبير وغيره: كان رسول الله ﷺ يجاور في حراء [شهرًا] ^(١) من كل سنة، يطعم مَنْ جاءه من المساكين، فإذا قضى ﷺ جواره من شهره ذلك، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه من كرامته ما أراد، من السنة التي بعثه فيها، وذلك في شهر رمضان، خرج ﷺ إلى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته، ورحم العباد بها، جاءه جبريل بأمر الله؛ قال رسول الله ﷺ: «جاءني وأنا نائم بنمط» ^(٢) من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ؛ قال ^(٣): قلت: ما أقرأ؟ قال: فغثنى ^(٤) به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ؟ قال فغثنى به حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: اقرأ؛ قلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع، فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١- ٥]. قال: فقرأتها ثم انتهت فانصرف عني، وهببت من نومي، فكأنما كتب في قلبي كتابا؛ قال: فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال: فرفعت رأسي أنظر [إلى السماء] ^(٥)؛ فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول: يا محمد، أنت رسول الله، وأنا جبريل، [قال] ^(٦): فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي [عنه] ^(٧) في آفاق السماء، فما أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما

(١) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٠. وحراء جبل على ثلاثة أميال من مكة. (معجم البلدان: ٣: ٢٣٩).

(٢) نمط من ديباج: ضرب من الثياب المصبغة.

(٣) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢.

(٤) فغثنى: وفي رواية فغطني، أي عصرتني عصرا شديدا.

(٥) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٣.

(٦) و(٧) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

أتقدم أمامي، وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رُسَلَهَا في طلبي، فبلغوا [أعلى] ^(١) مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف في مكاني ذلك؛ ثم انصرف عني.

وانصرفت راجعاً إلى أهلي حتى أتيت خديجة، فجلست إلى فخذها [مضيفاً إليها] ^(٢) فقالت: يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا [أعلى] ^(٣) مكة ورجعوا إليّ، فحدثتها بالذي رأيت، فقالت: أبشر يا بن عمّ واثبت، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبيّ هذه الأمة.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى وَرَقَةَ بن نَوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عمها، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع، فقال ورقة: قُدُوس قُدُوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبيّ هذه الأمة، فقول لي له فليثبت. فرجعت خديجة إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نَوفل، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع؛ بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نَوفل وهو يطوف بالكعبة فقال: بأبن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله ﷺ؛ فقال له ورقة: والذي نفسي بيده إنك لنبيّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتكذبنّه، ولتؤذبنّه، ولتخرجنّه، ولتقاتلنّه ^(٤)، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم، لأنصُرَنَّ الله نصرًا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله.

وذكر الإمام العدل سليمان التيمي في سيره أن النبي ﷺ حين أخبر خديجة عن جبريل، ولم تكن سمعت باسمه قط، ركب ^(٥) إلى بحيرا الراهب إلى الشام، قال الزهري: هو خبر من يهود تيماء، فسألته عن جبريل، فقال لها: قُدُوس قُدُوس، يا سيدة نساء قُرَيْش، أتى لك بهذا الاسم؟ فقالت: بغلي ابن عمي أخبرني أنه يأتيه، فقال: قُدُوس قُدُوس ما علم به إلا نبيّ، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشياطين لا تجترى أن تتمثل به ولا تتسمّى به.

وكان غلام لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس اسمه عدّاس من أهل نينوى ^(٦) مدينة

(١) و(٢) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٢، ٢٥٣.

(٤) الهاء المتصلة بهذه الأفعال للسكت.

(٥) في السيرة الحلبية: ١: ٢٤٤: «كتب إلى بحيرا».

(٦) معجم البلدان: ٨: ٣٦٨.

يونس عليه السلام، عنده علم من الكتاب أرسلت تسأله عن جبريل فقال: قدوس [قدوس]^(١) أنى لهذه البلاد بذكر جبريل يا سيدة قُريش؟ فأخبرته بقول النبي ﷺ، فقال عداس مثل قول الراهب.

وروى البخاري - رحمه الله - في صحيحه^(٢) بإسناد عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة^(٣) الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم^(٤) عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد^(٥) عرقاً.

وبسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار^(٦) حراء، فيتحنّث فيه، وهو التعبّد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزوّد لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها، حتى جاء الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ [العلق: ١ - ٤] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال: زمّلوني زمّلوني^(٧)، فرمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله، ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرّحم، وتحمل الكل^(٨)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى

(١) عن السيرة الحلبية: ١ : ٢٤٣.

(٢) صحيح البخاري: ١ : ٦.

(٣) الصلصلة: صوت الحديد.

(٤) يفصم عني: يقطع.

(٥) يتفصد: يسيل عرقاً.

(٦) غار حراء: غار في جبل حراء.

(٧) زمّلوني: لفوني بالثوب.

(٨) الكل: الإعياء والتعب.

أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان أمراً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً^(١)، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِيْهِمْ؟» قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب^(٢) ورقة أن توفي، وفتر^(٣) الوحي.

قال ابن شهاب^(٤): وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ﴿١﴾ قَدْ أَفْضَرْنَا ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَذَّبْنَا ﴿٣﴾ وَتَبَاكَ فَطَعْنَا ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْنَا ﴿٥﴾﴾ [المدر: ١-٥] فحمي الوحي وتتابع.

قال محمد بن إسحاق:

وحديثي إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة أنها قالت لرسول الله ﷺ: أي ابن عم، أستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول الله ﷺ: يا خديجة، هذا جبريل قد جاءني قالت: قم يا بن عم فاجلس على فخذي اليسرى، فقام فجلس عليها، قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فأقعد على فخذي اليمنى، قال: فتحول فقعده على فخذي اليمنى، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول فجلس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: نعم، قال: فَحَسَرْتُ^(٥) وألقت خمارها ورسولُ الله ﷺ جالس في

(١) جذعاً: حدثاً - صغيراً.

(٢) لم ينشب: لم يلبث.

(٣) فتر: سكن، انقطع.

(٤) ابن شهاب: الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبري، أبو علي (٣٣٥ - ٤٢٨ هـ

= ٩٤٦ - ١٠٣٧ م) .. من أهل عكبرا مولداً ووفاة، له مصنفات في «الفقه» و«الفرائض» و«النحو»،

وله شعر جيد (الأعلام: ٢: ١٩٣).

(٥) فحسرت: كشفت.

حجرها ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا بن عم: أثبت وأبشّر، فوالله إنه لملك، ما هذا بشيطان.

وكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء به. وحكى أبو عمر بن عبد البر أن رسول الله ﷺ أسرّ أمره ثلاث سنين ثم أمره الله تعالى بإظهار دينه والدعاء إليه، فأظهره بعد ثلاث سنين من مبعثه. قال: وقال الشعبي: أخبرت أن إسرائيل تراءى له ثلاث سنين. وروى ابن عبد البر بسنده إلى الشعبي قال: بعث رسول الله ﷺ لأربعين، ووكل به إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين، ثم وُكِّل به جبريل عليه السلام. وفي رواية عنه: ثم بعث إليه جبريل بالرسالة. وعنه أيضاً قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين، فقرن نبوته إسرائيل عليه السلام ثلاث سنين، وكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن نبوته جبريل عليه السلام، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة.

ذكر فترة الوحي عن النبي ﷺ وما أنزل بعد فترته

قال^(١): وفتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة حتى شق ذلك عليه وأحزنه. واختلف في مدة فترة الوحي، فقال ابن جريج^(٢): احتبس عنه الوحي اثني عشر يوماً، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خمسة عشر يوماً، وقيل: خمسة وعشرين، وقال مقاتل: أربعين يوماً، والله أعلم.

روى البخاري^(٣) - رحمه الله - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وساق الحديث بنحو ما تقدّم، قال: وفترة الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردّى من رؤوس شواهق الجبال، فكلّما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدّى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه،

(١) القائل: ابن إسحاق. وانظر سيرة ابن هشام: ١: ٣٥٧.

(٢) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد (٨٠ - ١٥٠ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧ م) فقيه الحرم المكي. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من موالي قريش، مكي المولد والوفاة. (الأعلام: ٤: ١٦٠).

(٣) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ = ٨١٠ - ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب «الجامع الصحيح» المعروف: بصحيح البخاري. ولد في بخارى، ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة سنة ٢١٠ م في طلب الحديث. مات في سمرقند، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها (الأعلام: ٦: ٣٤).

وتقرّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل وقال له مثل ذلك. قال: وتكلم المشركون عنده فترة الوحي بكلام، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١-٣] السورة بكمالها؛ وقيل في سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان ترك قيام الليل ليلتين أو ثلاثاً لشكوى^(١) أصابته، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله تعالى السورة.

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى): تضمّنت هذه السورة من كرامة الله تعالى لنبيه وتنبؤ به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول - القسم له عما أخبر به من حاله بقوله: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ أي وربّ الضحى، وهذا لمن عظم درجات المبرة.

الثاني - بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ أي ما تركك وما أبغضك، وقيل: ما أهملك بعد أن أصطفاك.

الثالث - قوله: ﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝﴾ [الضحى: ٤].

قال ابن إسحاق: أي ما لك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك الله من كرامة الدنيا. وقال سهل: أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع - قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝﴾ [الضحى: ٥]، وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة.

قال ابن إسحاق: يُرضيه بالفلج^(٢) في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل: يُعطيه الحوض والشفاعة، وروى عن بعض آل النبي ﷺ^(٣) أنه قال: «ليس في القرآن آية أرجى منها، ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار».

الخامس - ما عدّه الله تعالى عليه من نعمه، وقرّره من آلائه قبله في بقية السورة، من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال

(١) الشكوى: المرض.

(٢) الفلج: الظفر والفوز.

(٣) هو علي بن أبي طالب، أو الحسن بن محمد ابن الحنفية. انظر نسيم الرياض: ١ : ٢٠٧.

له فأغناه بما آتاه، أو بما جعله في قلبه من القناعة والغنى، ویتیمًا فحذب عليه عمه وآواه إليه، وقيل: آواه إلى الله، وقيل: یتیمًا لا مثال لك فأواك إليه، وقيل: المعنى ألم يجذك فهدى بك ضالاً، وأغنى بك عائلاً، وآوى بك یتیمًا، ذكره بهذه المنن، وأنه - على المعلوم من التفسير - لم يهمله في حال صغره وغيلته، ويثمه، وقبل معرفته به ولا ودعه ولا قلأه، فكيف بعد اختصاصه واصطفائه. والله أعلم.

السادس - أمره بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به بنشره وإشادة ذكره بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، فإن من شكر النعمة التحدث بها، وهذا خاص له، عام لأمته.

وقال ابن إسحاق^(١): أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة، فحدث بها أي أذكرها وأدع إليها، قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سراً^(٢) إلى من يطمئن إليه من أهله. قال: ثم فرضت الصلاة عليه ﷺ. والله الموفق لطاعته.

ذكر فرض الصلاة على رسول الله ﷺ

روى عن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أنها قالت: افترضت الصلاة على رسول الله ﷺ أول ما افترضت ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضرة أربعاً، وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين.

قال محمد ابن إسحاق:

وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة، فهمز^(٣) له بعقبه في ناحية الوادي، فأنفجرت منه عين فتوضاً جبريل ورسول الله ﷺ ينظر [إليه]^(٤) ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلّى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل، فجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة فتوضأ لها ليريه كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ [لها]^(٥) رسول الله ﷺ، ثم صلى

(١) سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٩.

(٢) في الأصل: «النبوة بسري» والتصويب عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٥٩.

(٣) همز: ضغط.

(٤) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٠.

(٥) عن السيرة الحلبية: ١: ٢٦٤.

بها كما صلى به جبريل، فصلت بصلاته^(١).

وعن عبد الله بن عباس^(٢) رضي الله عنهما قال: «لما فرضت الصلاة على رسول الله ﷺ أتاه جبريل فصلّى به الظهر حين مالت الشمس، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثله، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق، ثم صلّى به الصبح حين طلع الفجر، ثم جاء فصلّى به الظهر من غدٍ حين كان ظلّه مثله، ثم صلّى به العصر حين كان ظلّه مثليه، ثم صلّى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس، ثم صلّى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول، ثم صلّى به الصبح مُسْفِرًا غير مشرقٍ، ثم قال: يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس»^(٣).

ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله

ﷺ وصدق بما جاء به من عند الله

قد تقدّم أنّ أول من آمن خديجة رضي الله عنها، وذهب محمد بن إسحاق^(٤) إلى أن أول من آمن برسول الله ﷺ وصلّى وصدق بما جاء به من الله تعالى عليّ بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنهم. وسنذكر إن شاء الله إسلام كل واحد منهم.

أما إسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه فالذي عليه الأكثر أنه أول من أسلم من الذكور، وقد روى أبو الفرج بن الجوزي^(٥) رحمه الله في كتابه المترجم (بصفة الصفوة)^(٦) عن ابن عباس، وحسان بن ثابت، وأسماء بنت أبي بكر، وإبراهيم التخعي، قالوا كلهم: أول من أسلم أبو بكر، قال: وقال يوسف بن يعقوب بن الماجشون: أدركت أبي ومشيختنا محمد بن المنكدر، وربيع بن أبي عبد الرحمن،

(١) للسهيلي في الروض الأنف: ١: ١٦٢، كلام في هذا الحديث وسنده يحسن الوقوف عليه. انظر السيرة الحلبية: ١: ٢٦٤.

(٢) رواه ابن هشام: ١: ٢٦١.

(٣) ناقش السهيلي في الروض الأنف: ١: ١٦٣ إيراد هذا الحديث هنا، لأن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء، وذلك بعد ما نبأ النبي ﷺ، بخمسة أعوام. ثم ذكر كلامهم في ذلك.

(٤) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٦٢.

(٥) ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ = ١١٤ - ١٢٠١ م) علامة عصره في التاريخ الحديث. مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى «مشرة الجوز» من محالها. له نحو ثلاث مئة مصنف. (الأعلام: ٣: ٣١٦).

(٦) ٨٩: ١.

وصالح بن كيسان، وسعد بن إبراهيم، وعثمان بن محمد الأخنسي، وهم لا يشكون أن أول القوم [إسلامًا] ^(١) أبو بكر.

وروى أبو الفرج ^(٢) بسنده عن ابن عباس أنه قال: «أول من صلى أبو بكر رضي الله عنه»، ثم تمثل بأبيات حسن بن ثابت: [من البسيط]

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقةً فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلاً
خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي، وأولاها بما حملاً
الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس حقاً صدق الرسلاً
والله يهدي من يشاء.

وأما إسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه - فقد اختلف في سنه حال إسلامه؛ فقليل: أسلم وهو ابن عشر سنين ^(٣)، وقيل: تسع سنين، وقيل: اثنتي عشرة سنة، وقيل: أكثر من ذلك إلى عشرين سنة، وهو بعيد، لأنه آمن في ابتداء الأمر وظهور النبوة. والله أعلم.

وكان من حديث إسلامه ما رواه محمد بن إسحاق ^(٤) عن عبد الله بن أبي نجيح عن مُجاهد بن جبر بن أبي الحجاج، قال: كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراد به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله ﷺ لعمة العباس، وكان من أيسر بني هاشم: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف ^(٥) عنه من عياله؛ أخذ من بني رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً فنكفلهما ^(٦) عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى لقيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد ^(٧) أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب ^(٨): إذا تركتُمَا لي عَقِيلاً، فاصنعا ما شئتما؛ ويقال قال: عَقِيلاً وطالِباً؛ فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمه

(١) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٦.

(٢) صفة الصفوة: ١: ٨٩.

(٣) نقل ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٢٧١ هذا القول عن ابن إسحاق، ثم ذكر بقية الأقوال يوم أسلم.

(٤) ابن هشام، السيرة: ١: ٢٦٢.

(٥) «فلنخفف من عياله»، والذي أثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٦) في الأصل: «وتأخذ رجلاً»، والمثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٧) في الأصل: «فقالا إنا نريد»، والمثبت عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٨) في الأصل: «فقال لهما إذا» والمثبت عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

إليه، وأخذ العباس جعفرًا [فضّمه إليه]^(١)، فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا فاتّبعه عليّ وآمن به وصدّقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم.

قال ابن إسحاق:

وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه عليّ بن أبي طالب مُستخفياً من عمه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا؛ فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله ﷺ: يا بن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمّ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد، وأنت أي عمّ أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه، وأعانني عليه، أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني والله لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص^(٢) إليك شيء تكرهه ما بقيت.

وذكروا أنه قال لابنه عليّ: أي بُنيّ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت برسول الله ﷺ وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتّبعته، فزعموا أنه قال له: أمّا إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه.

وأما إسلام زيد بن حارثة رضي الله عنه - فقال محمد بن إسحاق: ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله ﷺ، وقد نسبته ابن الكلبي فقال: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن يزيد^(٣) بن امرئ القيس بن عامر بن الثعمان بن عبد ودّ بن امرئ القيس بن نعمان بن عمران بن عبد عوف بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن عمر بن مرة بن مالك بن حميم بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال أبو عمر: وربما اختلفوا في الأسماء وتقديم بعضها على بعض وزيادة شيء فيها. قال^(٤): ولم يتابع ابن إسحاق على قوله: «شرحبيل» وإنما «شراحيل».

(١) في الأصل: «جعفرًا فلم يزل»، والتكلمة عن ابن هشام: ١: ٢٦٣.

(٢) يخلص إليك: يصيبك.

(٣) هذه رواية ابن عبد البر في الاستيعاب، وفي سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٤: «العزى بن امرئ القيس».

(٤) القائل ابن عبد البر.

وقال ابن الكلبي: وأم زيد سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر بن أفلت، من بني معن من طيء^(١).

قال ابن إسحاق^(٢): وصلى زيد بعد علي بن أبي طالب. قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وكان حكيم بن حزام بن خويلد قديم من الشام برقيق منه زيد بن حارثة، وصيف، فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد، وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها: اختاري يا عمّة، أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك، فاختارت زيداً، فرآه رسول الله ﷺ عندها، فاستوهبه منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه، وذلك قبل أن يوحى إليه، وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعاً شديداً وبكى عليه حين فقده، ثم قديم عليه وهو عند رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «إن شئت فأقيم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك»؛ قال: بل أقيم عندك؛ فلم يزل عند رسول الله ﷺ حتى بعثه الله، فصدّقه وأسلم وصلى معه، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال: أنا زيد بن حارثة، وقد روى أبو عمر وغيره أن حارثة لما فقد ابنه زيداً قال: [من الطويل]

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل	أحيي يرجي أم أتى دونه الأجل ^(٣)
فوالله ما أدري وإن كنت سائلاً	أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل ^(٤)
فيا ليت شعري هل لك الدهر رجعة	فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل ^(٥)
تذكرني الشمس عند طلوعها	وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل ^(٦)
وإن هبت الأرواح هيّجن ذكره	فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهاً	ولا أسام التطواف أو تسأم الإبل ^(٧)
حياتي أو تأتي علي منيئي	وكل امرئ فان وإن غره الأمل
سأوصي به قيساً وعمراً كليهما	وأوصي يزيداً ثم من بعده جبل ^(٨)

(١) في الأصل: «معن بن طيء»، والذي أثبت عن أسد الغابة: ٢: ٢٢٤.

(٢) نقله ابن هشام: ١: ٢٦٤.

(٣) كذا في الاستيعاب ص ١٩٢، وفي سيرة ابن هشام: ١: ٢٦٥: «أنى فيرجي».

(٤) غالك: قتلك.

(٥) بجل: بمعنى حسب. وفي أسد الغابة: ٢: ١٩٥: «لي علل».

(٦) الطفل: الغروب.

(٧) العيس: الجمال.

(٨) هذا البيت لم يورده ابن هشام. ويعني بجل: جبلة بن حارثة أخا زيد.

يعني جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل.

قال: فحج ناس من كلب فرأوا زيذاً فعرفهم وعرفوه، وقال لهم: أبلغوا أهلي هذه الأبيات، فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ فقال: [من الطويل]

أجئ إلى قومي وإن كنت نائياً فإني قعيد البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر^(١)

فإني بحمد الله في خير أسرة كرام معد كابرًا بعد كابر

فأنطلق الكلبيون فأعلموا أباه، فقال: ابني ورب الكعبة، فوصفوا له موضعه وعند من هو، فخرج حارثة وكعب ابنا شراحيل لفدائه وقديما مكة، فسألا عن النبي ﷺ، ف قيل: هو في المسجد، فدخلا عليه فقالا: يا بن عبد المطلب، يا بن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه، تفكون العاني^(٢)، وتطعمون الأسير، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه؛ قال: ومن هو؟ قال: زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «فهلّا غير ذلك؟» قالوا: وما هو؟ قال: «ادعوه فأخيره»^(٣)، فإن أختاركم فهو لكم، وإن أختارني فهو لي، فوالله ما أنا بالذي أختار على من أختارني أحداً. قالوا: قد زدتنا على النصف^(٤) وأحسن إلينا، فدعاه فقال: «هل تعرف هؤلاء؟» قال: نعم، قال: «من هذا؟» قال: أبي، وهذا عمي، قال: «فأنا من قد علمت، وقد رأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما»، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد! أختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم، قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً. فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال: «يا معشر من حضر، اشهدوا أن زيذاً ابني يرثني وأرثه»، فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت نفوسهما وانصرفا.

ودُعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فنزلت: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، فدُعي يومئذ زيد بن حارثة، ودُعي الأدياء^(٥) إلى آبائهم. والله أعلم.

(١) الأباعر: واحدها بعير وهو الجمل.

(٢) العاني: المقهور.

(٣) في الأصل: «فأخبروه».

(٤) النصف: العدل.

(٥) الأدياء: من كان لهم أباء معروفون.

ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق - رضوان الله عليهم -

قال محمد بن إسحاق^(١):

لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وكان أبو بكر رجلاً مألُفاً^(٢) لقومه محبباً سهلاً، وكان أنسب^(٣) قريش لقريش، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته.

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يَغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه رضي الله عنه، عثمان بن عفان، والزبير بن العوام^(٤)، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص^(٥) وطلحة بن عبيد الله، فجاء^(٦) بهم إلى رسول الله ﷺ حتى استجابوا له، فأسلموا وصلوا، فكان رسول الله ﷺ يقول: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كَبُوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكَم^(٧) عنه حين ذكرته له وما تردد فيه».

قال ابن إسحاق: فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا بالإسلام الناس فصلوا وصدقوا بما جاء من الله.

ثم أسلم أبو عبيدة، وأسمه عامر بن عبد الله بن الجراح^(٨)، وأبو سلمة، وأسمه عبد الله بن عبد الأسد^(٩)، والأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم عبد مناف بن

(١) ابن هشام: ١ : ٢٦٥.

(٢) مألُفاً: المؤلف: الموضع الذي يألفه الناس، ووصف أبي بكر به على نوع من التجوز.

(٣) أنسب قريش: أكثر أهلها علماً بالنسب.

(٤) الزبير بن العوام: ابن عمه رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل.

(٥) سعد بن أبي وقاص: آخر العشرة المبشرين موتاً، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ على خلاف.

(٦) طلحة بن عبيد الله: أحد العشرة أيضاً، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير. مات يوم الجمل سنة ٣٦.

(٧) ما عكَم: ما تلبث.

(٨) أبو عبيدة: أحد العشرة توفي سنة ١٨ في طاعون عمواس (الاستيعاب ٤٦٠).

(٩) أبو سلمة: ابن عمه النبي ﷺ برة بنت عبد المطلب، وأخوه من الرضاعة. توفي بعد مرجعه من بدر (الاستيعاب ٣٧٩).

أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم^(١)، وعثمان بن مظعون^(٢)، وأخواه قدامة^(٣)، وعبد الله^(٤) ابنا مظعون، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي^(٥)، وسعيد بن زيد^(٦)، وامراته فاطمة^(٧) بنت الخطاب أخت عمر، وأسماء^(٨)، وعائشة^(٩) بنتا أبي بكر، وكانت عائشة صغيرة، وخباب بن الأرت^(١٠) حليف بني زهرة، وعمير بن أبي وقاص^(١١) أخو سعد، وعبد الله بن مسعود^(١٢)، ومسعود بن القاري^(١٣)، وهو مسعود بن ربيعة، أو الربيع، وسليط بن عمرو بن عبد شمس^(١٤)، وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة^(١٥)، وامراته أسماء بنت سلامة ابن مخربة التميمية^(١٦)، وخنيس بن حذافة بن قيس^(١٧)، وعامر بن ربيعة

- (١) الأرقم بن أبي الأرقم: هو سابع من أسلم، وهو من البدرين، توفي سنة ٥٥ على خلاف. انظر الاستيعاب ٥٠، والإصابة: ١: ٢٨.
- (٢) عثمان بن مظعون: أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة، وتوفي في السنة الثانية من الهجرة (الإصابة: ٢: ٤٦٤، الاستيعاب ٤٩٤).
- (٣) قدامة بن مظعون: يكنى أبا عمرو، هاجر الهجرتين، وشهد بدرًا: مات في خلافة علي، واختلفوا في تحديد سنة وفاته. (الإصابة: ٣: ٢٢٩).
- (٤) عبد الله بن مظعون: أبو محمد، هاجر إلى الحبشة، انظر (الإصابة: ٢: ٤٦٤، ٢: ٣٧١).
- (٥) عبيدة بن الحارث: كان رأس بني عبد مناف، هاجر، وشهد بدرًا، واستشهد بها. (الإصابة: ٢: ٤٤٩، الاستيعاب: ٤٢٢).
- (٦) سعيد بن زيد: المتوفى بالعقيق سنة ٥١ هـ، وهو أحد العشرة. الاستيعاب: ٥٥٢.
- (٧) فاطمة بنت الخطاب: تكنى أم جميل، ولها أثر في إسلام الخليفة عمر. (الإصابة: ٤: ٣٨١، والاستيعاب: ٧٧٤).
- (٨) أسماء بنت أبي بكر: كانت تسمى ذات النطاقين. توفيت بمكة سنة ٧٣ عن سن عالية.
- (٩) عائشة بنت أبي بكر: زوج النبي ﷺ، روي عنها كثير من الأحاديث، توفيت سنة ٥٧ هـ (الاستيعاب: ٧٦٤).
- (١٠) خباب بن الأرت: أبو عبد الله التميمي، عذب في سبيل الله، ومات بالكوفة سنة ٣٧.
- (١١) عمير بن أبي وقاص: قتل يوم بدر شهيدًا، وله من العمر ١٦ سنة (الاستيعاب: ٤٣٦).
- (١٢) عبد الله بن مسعود: أبو عبد الرحمن، من زهاد الصحابة، توفي بالمدينة سنة ٣٢.
- (١٣) مسعود بن القاري: يكنى أبا عمير، وهو من القارة، وهم الهون بن خزيمه بن مدركة. مات سنة ٣٠ (الاستيعاب: ٢٨١).
- (١٤) سليط بن عمرو: بن عبد شمس، من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وسافر عن النبي ﷺ إلى اليمامة، وقتل سنة ١٤ (الاستيعاب: ٥٩٦).
- (١٥) عياش بن أبي ربيعة: بن المغيرة، في الأصل: «وعباد» والتصويب عن ابن هشام ١: ٢٧٣، والاستيعاب: ٢: ٥٠٨.
- (١٦) أسماء بنت سلامة: في الأصل: «ابن حجر»، والتصويب عن ابن هشام ١: ٢٧٣. انظر الإصابة: ٨: ٧.
- (١٧) خنيس بن حذافة بن قيس: من المهاجرين الأولين، مات بأحد (الاستيعاب: ١٦٩).

حليف آل الخطاب^(١)، وعبد الله بن جحش^(٢) وأخوه أبو أحمد بن جحش^(٣) حليفا بني أمية، وجعفر بن أبي طالب^(٤)، وامراته أسماء بنت عُمَيْس^(٥)، وحاطب بن الحارث بن مَعْمَر، وامراته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله^(٦)، وأخوه خطّاب بن الحارث، وامراته فُكَيْهَة بنت يسار^(٧)، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر^(٨)، والسائب بن عثمان بن مظعون^(٩)، والمطلب بن أزهَر بن عبد عوف^(١٠)، وامراته رَمْلَة بنت أبي عوف بن صَبْرَة، والتحام واسمه نُعَيْم بن عبد الله^(١١) وعامر بن فُهَيْرَة^(١٢) مولى أبي بكر الصديق، وخالد بن سعيد بن العاص ابن أُمَيَّة^(١٣)، وقد رُوي أن خالد بن سعيد كان خامس من أسلم، وأن إسلامه كان بعد سعد بن أبي وقاص، حكاه أبو عمر^(١٤)،

- (١) عامر بن ربيعة: كان حليف عمر بن الخطاب حسبما قال أبو عبيدة. شهد بدرًا وسائر المشاهد. توفي سنة ٣٣ هـ على خلاف. انظر (الاستيعاب: ٤٦١). وفي الأصل: «حليف الخطاب».
- (٢) عبد الله بن جحش: حليف لبني عبد شمس، أو لحرب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين. مات يوم أحد، ومثّل به. ودفن مع حمزة في قبر واحد. (الاستيعاب: ٣٥٢).
- (٣) أبو أحمد بن جحش: في اسمه، عبد جحش، وكان شاعرًا. (الاستيعاب: ٦٤١).
- (٤) جعفر بن أبي طالب: مات يوم مؤتة، وله من العمر ٤١ سنة (الاستيعاب: ٨١).
- (٥) أسماء بنت عُمَيْس: هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها، انظر أخبارها في الاستيعاب: ٧٢٥. وسيرة ابن هشام: ٢: ٢٧٥.
- (٦) الاستيعاب: ١٣٣، وفي ترجمته ذكرت امراته فاطمة وذكر إسلامها، انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٥.
- (٧) الاستيعاب ١٤٩، وقد ذكرت معه أيضًا امراته وذكر إسلامها، انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٥.
- (٨) مَعْمَر بن الحارث: هو ابن أخت عثمان بن مظعون، أخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن عفراء، وتوفي في خلافة عمر (الاستيعاب: ٢٧٨).
- (٩) السائب بن عثمان بن مظعون: هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا، انظر (الاستيعاب: ٥٨٨، وسيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).
- (١٠) المطلب بن أزهَر بن عبد عوف: مات بالحبشة مهاجرًا (الاستيعاب: ٢٦٨، الإصابة: ٨: ٨٦، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).
- (١١) النحام: أسلم قبل عمر، وكان يكتم إسلامه، واختلف في وفاته فقيل بأجنادين، وقيل باليرموك. (الاستيعاب: ٣١١، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٦).
- (١٢) عامر بن فُهَيْرَة: كان مملوكًا للطفيل بن عبد الله، فأسلم وهو مملوك، فاشتراه أبو بكر وأعتقه، ورافق النبي وأبا بكر في هجرتهم. انظر الاستيعاب: ٤٦٢، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧.
- (١٣) خالد بن سعيد بن العاص: أسلم مع أبي بكر، وهاجر إلى الحبشة، واستعمله النبي ﷺ على صدقات مذحج، وعلى صنعاء اليمن. وفي مكان وفاته خلاف. (الاستيعاب: ١٥٤، سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧).
- (١٤) في الاستيعاب: ١٥٤، وانظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٧.

وامراته أمينة^(١) بنت خَلَف بن أسعد، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس^(٢)، وأبو حذيفة واسمه مهشم^(٣) بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف؛ ويقال في اسمه هشيم؛ ويقال هاشم، وواقد^(٤) بن عبد الله بن عبد مناف ابن عرين بن ثعلبة، وخالد^(٥)، وعامر^(٦)، وعاقل^(٧) وإياس^(٨) بنو البكير بن عبد ياليل وعمار^(٩) بن ياسر حليف بني مخزوم، وصُهَيْب^(١٠) بن سنان.
قال ابن إسحاق^(١١):

ثم دخل الناس [في الإسلام]^(١٢) أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام [بمكة وتحدث به]^(١٣).
ولنذكر من كانت له سابقة في الإسلام غير من ذكرنا والله الموفق للصواب.

ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام من العرب من غير قريش

كانت لجماعة سابقة إسلام، وهم من غير قريش، فرأينا أن نذكرهم في هذا الموضع لسابقتهم في الإسلام.

- (١) الاستيعاب: ٧٢٦، واسم امرأته عند ابن عبد البر: «أميمة». انظر أسد الغابة: ٥ : ٤٠٢.
- (٢) حاطب بن عبد شمس: هاجر إلى الحبشة، وشهد بدرًا، (الاستيعاب: ١٣٣).
- (٣) مهشم بن عتبة: نقله ابن عبد البر في (الاستيعاب: ٦٥٣) في ترجمة أبي حذيفة هذا. انظر الروض الأنف: ١ : ١٦٧.
- (٤) واقد بن عبد الله: (الاستيعاب: ٦٢٣).
- (٥) خالد بن البكير: حالف في الجاهلية نفيل بن عبد العزى، جد عمر بن الخطاب، فهو وولده حلفاء بني عدي، قتل سنة أربع من الهجرة (الاستيعاب: ١٥٦).
- (٦) عامر بن البكير: يقال فيه أيضًا: ابن أبي البكير. انظر (الاستيعاب: ٤٦١).
- (٧) عاقل بن البكير: كان اسمه غافلًا، فسماه النبي عاقلاً، قتل ببدر وسنه ٣٤ سنة (الاستيعاب: ٥٢٤).
- (٨) إياس بن البكير: يقال فيه أيضًا: إياس بن أبي البكير، اسلم في دار الأرقم، له ترجمة في (الاستيعاب: ٤٧).
- (٩) عمار بن ياسر: هو عنسي النسب وحالف بني مخزوم، عذب في الله، وشهد المشاهد كلها، وفيه ورد الأثر: «تقتل عمارًا الفتنه الباغية». انظر (الاستيعاب: ٤٣٤).
- (١٠) صُهَيْب بن سنان: يقال فيه ابن سنان الرومي، لأنه تعلم لسان الروم، حيث سيوه وهو صغير، وهو من الثمر بن قاسط، وكان أبوه عاملاً لكسرى على الأبله. (الاستيعاب: ٣٢٥).
- (١١) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ٢٨٠.
- (١٢)، (١٣) عن ابن هشام: ١ : ٢٨٠.

منهم: أبو ذر^(١) جُنْدُب بن جُنَادَةَ الْغِفَارِيّ، واختُلف في اسمه اختلافاً كثيراً، والمشهور ما ذكرناه، واختُلف أيضاً فيما بعد جُنَادَةَ، فقليل: جُنَادَةُ بن قيس بن عمرو ابن صُعَيْر بن حرام بن غِفَار، وقيل: جُنَادَةُ بن صُعَيْر بن عُبَيْد بن حرام بن غِفَار، ويقال: جُنَادَةُ بن سُفْيَان بن عُبَيْد بن [صُعَيْر]^(٢) بن حرام بن غِفَار؛ أسلم أبو ذر بعد ثلاثة، وقيل: بعد أربعة؛ فكان خامساً، وله في سبب إسلامه حديث حسن، نذكره إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لأخبار وفود العرب على رسول الله ﷺ في وفد غِفَار على ما تُقف عليه، وهو في السفر السادس عشر من كتابنا هذا. وأسلم بسبب إسلامه أخوه أُتَيْس^(٣) بن جُنَادَةَ وأُمُّهُمَا رَمْلَةُ بنت الوقيعة الْغِفَارِيَّة.

ومنهم: عمرو بن عَبْسَةَ بن عامر بن خالد بن غاضرة بن عَتَاب بن امرئ القيس ابن بُهْثَةَ بن سليم، يكنى أبا نجيح، ويقال أبو شعيب. قال أبو عمرو بن عبد البر: روينا عنه من وجوه أنه قال: أُلقي في روعي أن عبادة الأوثان باطل، فسمعتني رجل وأنا أتكلم بذلك، فقال: يا عمرو، إن بمكة رجلاً يقول كما تقول، قال: فأقبلت إلى مكة أول ما بُعث النبي ﷺ وهو مُسْتَخْفٍ^(٤)، فقليل لي: إنك لا تقدر عليه إلا بالليل حين يطوف، فقممت بين يدي الكعبة فما شعرت إلا بصوته يهلل، فخرجت إليه فقلت من أنت؟ قال: أنا نبي الله، فقلت: وما نبي الله؟ قال: رسول الله، قلت: وبم أرسلك؟ قال: بأن يُعبد الله وحده لا يُشرك به شيء، وتُكسر الأوثان وتُحقن الدماء، [وتُوصل الأرحام]^(٥)، قلت: ومن معك على هذا؟ قال: حرٌّ وعبد، يعني أبا بكر وبِلَالاً، فقلت: أبسط يدك أبايغك، فبايعته على الإسلام، قال: فلقد رأيتني وأنا رُبِع الإسلام، قال: قلت: أقيم معك يا رسول الله؟ قال: «لا. ولكن ألحق بقومك فإذا سمعت أني قد خرجت فأتبعني»، قال: فلحقْتُ بقومي، فمكثت دهرًا منتظرًا خبره حتى أتت رفقة من يثرب فسألتهم الخبر، فقالوا: خرج محمد من مكة إلى المدينة، قال: فارتحلت فأتيته فقلت: أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الرجل الذي أتيتنا بمكة».

(١) أبو ذر الْغِفَارِي: جُنْدُب بن جُنَادَةَ بن سُفْيَان بن عُبَيْد، من بني غِفَار. أبو ذر (...) ٣٢ هـ = ... (٦٥٢ م) صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وكان خامساً. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على مشاركة الأغنياء في أموالهم، شكاه معاوية إلى الخليفة، فاستقدمه عثمان إلى المدينة. فأمره بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. ولعله أول اشتراكي طارده الحكومات (الأعلام: ٢: ١٤٠).

(٢) عن تاج العروس: «صعر».

(٣) أُتَيْس بن جُنَادَةَ: كان أكبر من أخيه أبي ذر، انظر (الإصابة: ١: ٨٨).

(٤) هكذا في (الاستيعاب: ٤٤٣)، وفي أسد الغابة: ٤: ١٢٠: «مخفف».

(٥) عن أسد الغابة: ٤: ٨٢٠.

وَرَوَى أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا بِسَنَدِهِ إِلَى أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ^(١) قَالَ: «رَغِبْتُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَرَأَيْتُ أَنَّهَا آلِهَةٌ بَاطِلَةٌ؛ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ، وَهِيَ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، قَالَ: فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَفْضَلِ الدِّينِ، فَقَالَ: يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ مَكَّةَ يَرْغَبُ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَيَدْعُو إِلَى غَيْرِهَا، وَهُوَ يَأْتِي بِأَفْضَلِ الدِّينِ، فَإِذَا سَمِعَتْ بِهِ فَاتَّبَعَهُ، فَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا مَكَّةَ أَسْأَلُ هَلْ حَدَّثَ فِيهَا حَدَّثٌ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَأَنْصَرِفُ إِلَى أَهْلِي، وَأَهْلِي مِنَ الطَّرِيقِ غَيْرُ بَعِيدٍ، فَأَعْتَرِضُ الرِّكْبَانَ خَارِجِينَ مِنْ مَكَّةَ فَأَسْأَلُهُمْ هَلْ حَدَّثَ فِيهَا حَدَّثٌ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَإِنِّي لِقَاعِدٌ عَلَى الطَّرِيقِ يَوْمًا إِذْ مَرَّ بِي رَاكِبٌ فَقُلْتُ: مَنْ أَيْنَ أَنْتَ^(٢)؟ قَالَ: مِنْ مَكَّةَ، قُلْتُ: هَلْ فِيهَا مِنْ خَبَرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، رَجُلٌ رَغِبَ عَنْ آلِهَةِ قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى غَيْرِهَا، قُلْتُ: صَاحِبِي الَّذِي أُرِيدُ فَشَدَّدْتَ رَاكِبِي، وَجِئْتَ مَكَّةَ، وَنَزَلْتَ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ أَنْزَلُ فِيهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَوَجَدْتُهُ مُسْتَخْفِيًا، وَوَجَدْتُ قَرِيشًا إِبْلَا^(٣) عَلَيْهِ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَبِيُّ اللَّهِ»، قُلْتُ: وَمَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللَّهِ»، قُلْتُ: مَنْ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ»، قُلْتُ: بِمِ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَنْ تُوَصِّلَ الْأَرْحَامَ، وَتَحَقِّقَ الدِّمَاءَ وَتُؤْمِنَ السَّبِيلَ، وَتَكْسِرَ الْأَوْثَانَ، وَيُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ». فَقُلْتُ: نَعَمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ؛ أَشْهَدُكَ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ بِكَ وَصَدَّقْتُكَ، أَمْكُثْ مَعَكَ أَمْ مَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ كِرَاهَةَ النَّاسِ لِمَا جِئْتُ بِهِ، فَاْمْكُثْ فِي أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ أَنِّي خَرَجْتُ مَخْرَجًا فَاتَّبِعْنِي». فَلَمَّا سَمِعْتَ بِهِ خَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِرًّا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ هَلْ تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ السُّلَمِيُّ الَّذِي جِئْتَنِي بِمَكَّةَ فَقُلْتَ لِي كَذَا، وَقُلْتُ لَكَ كَذَا».

ومنههم: عتبة بن غزوان بن جابر، ويقال عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَابِرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ نَسِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَازَنِ بْنِ مَنصُورِ بْنِ عِكْرَمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارِ الْمَازَنِِيِّ حَلِيفِ لِبْنِي نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، يَكْنَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ أَبُو غَزْوَانَ، كَانَ إِسْلَامُهُ بَعْدَ سِتَّةِ رِجَالٍ، فَهُوَ سَابِعُ سَبْعَةٍ فِي إِسْلَامِهِ، وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ فِي خُطْبَتِهِ بِالْبَصْرَةِ: «لَقَدْ رَأَيْتَنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآلِهِ سَابِعُ سَبْعَةٍ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ^(٤) أَشْدَاقُنَا». رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) في الأصل: «عبسة»، انظر (الاستيعاب: ٤٤٤).

(٢) في الأصل: «من أين قال».

(٣) إلبا: ضده.

(٤) قرحت: اهترأت وتشققت.

ذكر دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام

قال محمد بن إسحاق^(١):

وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلّوا ذهبوا في الشّعب، فاستخفوا بصلّاتهم من قومهم، فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعب من شِعب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون، فناكروهم^(٢)، وعابوا عليهم ما يَصْنَعُونَ حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بِلُحْي^(٣) بعير، فشجّه^(٤)، فكان أول دم هُرِيق في الإسلام.

ثم أمر^(٥) الله تعالى رسوله ﷺ أن يَصْدَعَ^(٦) بما جاء به من عند الله وأن ينادي الناس بأمره، وأن يَدْعُوهم إلى الله تعالى، فكان^(٧) يدعو ثلاث سنين مستخفياً، إلى أن أمر الله بإظهار الدعاء.

قال محمد بن سعد: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] هو رسول الله ﷺ.

وقال أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٨): لما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلم الناس نزول الوحي عليه، ويدعوهم إلى الإيمان به، كبر ذلك عليه، فنزل قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يُحَرِّسُ حتى نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القُبّة، فقال [لهم]^(٩): «أيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله»؛ قيل: يعصمك من قتلهم أن يقتلوك، فبلغ عند ذلك الرسالة.

وعن الزهري: قال: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سرّاً وجهراً، فاستجاب الله

(١) نقله ابن هشام: ١ : ٢٨١.

(٢) ناكروهم: أنكروا عليهم صلاتهم.

(٣) اللحي: العظم الذي على الخد.

(٤) شجّه: جرحه في وجهه ورأسه.

(٥) انظر طبقات ابن سعد: ١ : ١٣٢ (قسم أول).

(٦) يصدع: يظهر - يكشف.

(٧) رواية ابن سعد في الطبقات: ١ : ١٣٢ (قسم أول).

(٨) في دلائل النبوة: ١٤١.

(٩) عن دلائل النبوة للبيهقي.

تعالى مَنْ شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كَثُرَ من آمن بالله؛ وكفار قريش غير منكرين لما يقول، فكان إذا مرَّ عليهم في مجالسهم يشيرون إليه: إِنَّ غلامَ بني عبد المطلب ليُكلِّم من السماء، فكان ذلك حتى عاب الله آلهم التي يعبدونها دونَه، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر، فعند ذلك عادوا رسول الله ﷺ وناكروه؛ وأجمعوا علاقة^(١).

قال ابن عباس^(٢) رضي الله عنه: لما أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صعد رسول الله ﷺ على الصفا^(٣) فقال: «يا معشر قريش»، فقالت قريش: محمد على الصفا يهتف، فأقبلوا واجتمعوا، فقالوا: ما لك يا محمد؟ فقال: «أرأيتمكم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني؟» قالوا: نعم، أنت عندنا غير متهم، وما جرَّبنا عليك كذباً قط، قال: «فإني نذير لكن بين يدي عذاب شديد يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة»، حتى عدَّ الأفخاذ من قريش «إِنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله» قال: فقال أبو لهب: تباً^(٤) لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] السورة كلها. قال الواقدي: لما أظهر رسول الله ﷺ الإسلام ومن معه، وفشا أمره بمكة، ودعا بعضهم بعضاً، فكان أبو بكر يدعو ناحية سراً، وكان سعيد بن زيد مثله، وعثمان مثل ذلك، وكان عمر يدعو علانية وحمزة بن عبد المطلب، وأبو عبيدة بن الجراح، فغضبت قريش من ذلك، وظهر منهم لرسول الله ﷺ الحسد والبغي، وأشخص^(٥) به منهم رجال فبادوه، وتستر آخرون وهم على ذلك الرأي، إلا أنهم يُنزّهون أنفسهم عن القيام والإشخاص برسول الله ﷺ.

ذكر أعداء رسول الله ﷺ الذين جاهرُوا بالعداوة

قالوا: كان^(٦) أهل العداوة والمباداة لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين يطلبون

(١) العلاقة: الخصومة.

(٢) نقله ابن سعد في الطبقات: ١ : ١٣٣ (قسم أول)، وابن كثير في البداية: ٣ : ٣٨، على خلاف في الرواية.

(٣) الصفا: جبل بين بطحاء مكة والمسجد.

(٤) تباً: الثب: الخسران والهلاك (اللسان: ثب).

(٥) أشخص: اشخصوا به: اقلقوه.

(٦) انظر طبقات ابن سعد: ١ : ١٣٣، (قسم أول).

الجدل والخصومة: أبو جهل بن هشام، وأبو لهب بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس بن عدي، والوليد بن المغيرة [وأمية وأبي أبنا خلف، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة]^(١)، والعاص بن وائل، والنضر بن الحارث، ومُنْبَه بن الحجاج، وزهير بن أبي أمية، والسائب بن صيفي [ابن عابد]^(٢)، والأسود بن عبد الأسد، والعاص بن سعيد بن العاص، والعاص بن هشام، وعقبة بن أبي معيط، وأبو الأضدى، وهو الذي نطحته الأروى^(٣)، والحكم بن أبي العاص، وعدي بن الحمراء؛ وذلك أنهم كانوا جيرانه؛ والذين^(٤) كانت تنتهي عداوة رسول الله ﷺ إليهم: أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة بن أبي معيط؛ وكان عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب أهل عداوة، ولكنهم لم يُشخصوا بالنبي ﷺ؛ كانوا كنعو قريش، ولم يسلم من هؤلاء إلا أبو سفيان والحكم بن أبي العاص.

ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ وما كان بينهم من المحاورات

قال محمد بن إسحاق^(٥):

لما رأَتْ قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتَبِهُم^(٦) من شيء أنكروه عليه، ورأوا أن عمّه أبا طالب قد حذب عليه، وقام دونه فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، وهم: عقبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو سفيان صخر بن حرب، وأبو البخترى العاص بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وأبو جهل عمرو بن هشام، ونبیه ومُنْبَه ابنا الحجاج ابن عامر، والعاص بن وائل، فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلَهمنا وعاب ديننا وسفّه أحلامنا وضللّ آبائنا، فإما أن تكفّه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على سبيل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك، فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً، فأنصرفوا عنه.

ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يُظهِر دين الله ويدعو إليه ثم شَرَى^(٧)

(١) عن ابن سعد: ١: ١٣٣ (قسم أول).

(٢) عن ابن سعد أيضاً.

(٣) الأروى: واحدها: الأروية، وهي أنثى الوعل.

(٤) في الأصل: «والذي» تصحيف.

(٥) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٨٢، وانظر عيون الأثر: ١: ٩٩.

(٦) لا يعْتَبِهُم: لا يرضيهم، يقال استعْتَبَنِي فأعْتَبْتَهُ، أي أرضيته وأزلت العتاب عنه.

(٧) شَرَى: اشتد واستفحل، وفي الأصل: «سرى» تصحيف.

الأمرُ بينه وبينهم حتى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ وتَضَاغَنُوا^(١)، وأكثرَ قريشُ ذِكرَ رسولِ الله ﷺ بينها، فتذامروا^(٢) فيه، وحضَّ بعضهم بعضًا عليه، ثم مشوا إلى أبي طالب مرّةً أخرى فقالوا: يا أبا طالب، إن لك سنًا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله، وإياك في ذلك حتى يهلك أحدُ الفريقين؛ ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراقُ قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسًا بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه. فبعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبقي عليّ وعلى نفسك ولا تُحمِلني من الأمر ما لا أطيق؛ قال: فظنَّ رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه^(٣) فيه، وأنه خاذله ومسلّمه، وأنه قد ضعف عن نُصْرته والقيام معه، فقال له: «يا عمّ، والله لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظْهره الله أو أهلك فيه ما تركته»؛ ثم استعبر^(٤) رسول الله ﷺ وقام، فلما ولّى ناداه أبو طالب فقال: أقبل يا بن أخي، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً.

قال: ثم إن قريشًا لما عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ وإسلامه، وإجماعه لفراقهم في ذلك وعداوتهم، مشوا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة، فقالوا له: يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد^(٥) فتى في قريش وأجمله، فخذ به فلك عقله ونصره، واتّخذه ولدًا فهو لك خير، وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرّق جماعة قومك، وسفّه أحلامهم فنقتله، فإنما هو رجلٌ برجل، قال: والله لبئس ما تسوموني، أعطوني^(٦) ابنكم أغذوه^(٧) لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً، فقال له المطعم^(٨) بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف بن قصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلّص مما

(١) الضغينة: الحقد، الكره.

(٢) تذامروا: تلاوموا على فوات الفرصة.

(٣) في الأصل: «قد بذل».

(٤) استعبر: جرى دمه.

(٥) أنهد: أشد وأقوى.

(٦) في الأصل: «أعطوني».

(٧) أغذوه: أربيّه.

(٨) في الأصل: «فقال له المعظم» تصحيف. انظر (الطبري: ٢: ٢٢٠).

تكره، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً؛ فقال له أبو طالب: واللّه ما أنصفوني، ولكنك أجمعت خذلاني ومظاهرة^(١) القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك، فحقّب^(٢) الأمر، وحميت الحرب، وتناذب^(٣) القوم، وبادى^(٤) بعضهم بعضاً.

قال الواقدي:

لما أجابهم أبو طالب بما قدّمناه من أنهم ما أنصفوه قالوا له: فأرسل إليه فلنخطه التّصف، فأرسل إليه أبو طالب، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: يا ابن أخي، هؤلاء عمومتك، وأشراف قومك وقد أرادوا ينصفونك، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا أسمع» قالوا: تدعنا وآلهتنا، وندعك وآلهك، قال أبو طالب: قد أنصفك القوم فاقبل منهم، فقال رسول الله ﷺ: «أرايتكم إن أعطيتكم هذه هل أنتم مُعطيّ كلمة إن أنتم تكلمتم بها، ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم»؟ فقال أبو جهل: إنّ هذه لكلمة مربحة، نعم، وأبيك لنقولنها وعشر أمثالها، قال: «قولوا لا إله إلا الله»، فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا، وقاموا وهم يقولون: «وَأَصِيرُوا عَلَى الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ» [ص: ٦]، ويقال: إن الذي تكلم بها عقبة بن أبي معيط، وقالوا: لا نعود إليه أبداً، وما خير من أن نعتال محمداً، فلما كان من تلك الليلة، قعد رسول الله ﷺ، وجاء أبو طالب وعمومته إلى منزله فلم يجدوه، فجمع فتية من بني هاشم وبني المطلب، ثم قال: ليأخذ كل واحد حديدة صارمة، ثم ليتبعني إذا دخلت المسجد فليجلس كل فتى منكم إلى عظيم من عظمائهم، فيهم ابن الحنظلية، يعني أبا جهل، فإنه لم يغيب عن شرّ إن كان محمد قد قُتل، فقال الفتيان: نفعل، فجاء زيد بن حارثة، فوجد أبا طالب على تلك الحال، فقال: يا زيد، أحسست، ابن أخي؟ قال: نعم، كنت معه آنفاً، فقال أبو طالب: لا أدخل بيتي أبداً حتى أراه، فخرج زيد مسرعاً حتى أتى رسول الله ﷺ وهو في بيت عند الصفا، ومعه أصحابه يتحدثون، فأخبره الخبر، فجاء رسول الله ﷺ إلى أبي طالب، فقال: يا ابن أخي، أين كنت؟ أكنت في خير؟ قال: نعم، قال: ادخل بيتك، فدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح أبو طالب غدا على النبي ﷺ فأخذ بيده فوقف على أندية قريش ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون، فقال: يا معشر قريش، هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فأخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عما في أيديكم، فكشفوا فإذا كل رجل معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت

(١) مظاهرة: مساعدة، مؤازرة.

(٢) حقّب الأمر: زاد، واشتد.

(٣) تناذب: تفرق.

(٤) بادى: قاتل.

منكم أحدًا حتى نتفانى نحن وأنتم، فانكسر القوم، وكان أشدهم انكسارًا أبو جهل.

ذكر تحزب قريش على رسول الله ﷺ وأذاهم له ولأصحابه

قال ابن إسحاق^(١):

لما أيسر قريش من أبي طالب، وأنه لا يخذل رسول الله ﷺ ولا يسلمه أبدًا، تأمروا بينهم على من في القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ [الذين أسلموا معه]^(٢)، فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يُعَذِّبونهم ويفتنونهم عن دينهم، فقام أبو طالب حين رأى قريشًا يصنعون ذلك في بني هاشم وبني المطلب، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه، إلا ما كان من أبي لهب فإنه تماذى على غيّه وكفره.

قال: ثم اجتمع نفر من قريش إلى الوليد بن المغيرة، وكان ذا سنّ فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش؛ إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستفد عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا ويردّ قولكم بعضه بعضًا؛ قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع؛ قالوا: نقول كاهن؛ قال: لا، والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمنة^(٣) الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته؛ قالوا: فنقول شاعر؛ قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه، وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر؛ قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده؛ قالوا: فما تقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق^(٤)، وإن فرعه لجناة^(٥)، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرِف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يُفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء [وأخيه وبين المرء]^(٦) وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبيل

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٨٧.

(٢) عن سيرة ابن هشام: ١: ٢٨٧، وانظر الزرقاني: ١: ٢٤٨.

(٣) الزمنة: الصوت البعيد تسمع له دويًا.

(٤) يروى أيضًا: «لغدق» بغين معجمة وكسر الدال، وفي الأصل: «لغدقه» انظر (شرح المواهب: ١: ٢٥١).

(٥) جناه: كل ما يجتنى.

(٦) عن ابن هشام في السيرة: ١: ٢٨٩، وعيون الأثر: ١: ١٠١.

الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا له أمره، فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْيِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ﴾ ١٥ ﴿كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينًا ۖ﴾ ١٦ ﴿أَي خَصِيمًا مُخَالِفًا ۖ سَاهِقًا مَصْعُودًا ۖ﴾ ١٧ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ﴾ ١٨ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ﴾ ١٩ ﴿قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَرَّ أَي كَرِهَ وَجْهَهُ، ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَشْتَكَبَرَ ۖ﴾ ٢٠ ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ﴾ ٢١ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾ ٢٢ [المدرثر: ١١ - ٢٥].

قال ابن إسحاق^(١):

وأنزل الله في الثّفر الذين كانوا معه يصنّفون القول في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من عند الله: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ﴾ [الحجر: ٩١] أي أصنافًا ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَشْكُنَهُ أَجْمَعِينَ ۖ﴾ ٩٢ ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ﴾ ٩٣ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

قال ابن إسحاق^(٢):

وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها، قال^(٣): ثم ابتدأت قريش في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأغروا به ﷺ سفهاءهم، فكذبوه وآذوه، ورسول الله ﷺ مُظْهَرٌ لأمر الله لا يستخفي به، مُبَاهٍ لَهُمْ^(٤) بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إياهم على كفرهم.

قال محمد بن إسحاق:

حدثني يحيى بن عروة عن الزبير عن أبيه عن عبد الله^(٥) بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قلت له ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابوا من رسول الله ﷺ فيما كانوا يُظْهِرون من عداوته؟ قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحَجْر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثلما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط؛ سفّه أعلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسب آلَهِنا؛ لقد صَبَرْنَا منه على

(١) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٢٩٠.

(٢) نقله ابن هشام: ١: ٢٩١، انظر عيون الأثر: ١: ١٠١.

(٣) نقله ابن هشام: ١: ٣٠٨.

(٤) لعلها: مُبَاهٍ لَهُمْ.

(٥) يحيى بن عروة: يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عمرو (... نحو ١١٤ هـ =

... نحو ٧٣٢) ناسب عالم من أعيان المدينة. وهو ابن أخي عبد الله بن الزبير. قال الجاحظ،

بعد ثنائه على يحيى: «ضربه إبراهيم بن هشام المخزومي والي المدينة، حتى مات، لبعض القول».

(الأعلام: ٨: ١٥٦).

أمر عظيم، أو كما قالوا؛ فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فغمزوه ببعض القول، قال: فعرفت ذلك في وجهه ﷺ، ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجهه، ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف ثم قال: «أستمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح^(١)». قال: فأخذت كلمته القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة^(٢) قبل ذلك ليرفؤه^(٣) بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله ﷺ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا دنا منكم وبأداكم بما تكرهون وتركتموه، فبينما هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم، فيقول: «نعم، أنا الذي أقول ذلك». قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع رداءه، فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط.

قالت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق^(٤) رأسه مما جَبَذُوهُ^(٥) بِلِخِيته، وكان رجلاً كثير الشعر.

وخرّج الترمذي الحكيم في «نَوَادِر الْأَصُول»، من حديث جعفر بن محمد عن أبيه^(٦) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يَجْأهُ^(٧) وهذا يُتَلْتِلُهُ، فاستغاث النبي ﷺ فلم يغثه أحد إلا أبو بكر وله ضفيران، فأقبل يَجْأُ ذَا وَيُتَلْتِلُ ذَا، ويقول بأعلى صوته:

(١) في الأصل: «بالريح» والمثبت عن ابن هشام: ١: ٣٠٩.

(٢) الوصاة: الوصية.

(٣) يرفأ: يهدى.

(٤) فرق: ما بين الحاجبين إلى الدائرة (اللسان: فرق).

(٥) جَبَذُوهُ: جذبوه.

(٦) جعفر بن محمد: جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الهاشمي، القرشي، أبو عبد الله، الملقب بالصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ = ٦٩٩ - ٧٦٥ م) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم أخذ عنه جماعة منهم الإمامان: أبو حنيفة ومالك. ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط. له أخبار مع الخلفاء من بني العباس. وكان جريئاً عليهم صداعاً بالحق. مولده ووفاته بالمدينة. (الأعلام: ٢: ١٢٦).

(٧) يَجْأُهُ: يضربه.

ويلكم، ﴿أَنْفَقْتُمْ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، واللّه إنه لرسول الله، ففُطِعت إحدى ضفيري أبي بكر يومئذٍ، فقال عليّ: واللّه ليوم أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه في كتابه، وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل.

قال ابن هشام^(١):

حدثني بعض أهل العلم: أن أشد ما لقي رسول الله ﷺ من قريش: أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه [لا]^(٢) حرّ ولا عبد، فرجع ﷺ إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١-٢].

ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق^(٣):

حدثني رجلٌ من أسلم كان واعيةً: أن أبا جهل بن هشام مر برسول الله ﷺ عند الصفا فأذاه وشمته، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جدعان تسمع ذلك، ثم انصرف أبو جهل عنه عامداً إلى نادي قريش عند الكعبة، فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص^(٤) له، وكان حمزة أعز فتى في قريش وأشدّه شكيمة^(٥)، فلما مرّ بمولاة ابن جدعان قالت له: يا أبا عُمارة: لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً من أبي جهل بن هشام؛ وجده ههنا جالساً فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد، فغضب حمزة، فخرج يسعى حتى دخل المسجد فنظر إلى أبي جهل جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها، فشجّه شجّة منكّرة، ثم قال: أتشتمه؟ فأنا على دينه أقول ما يقول، فردّد ذلك عليّ إن استطعت، فقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصّروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة، فإني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتمّ حمزة

(١) في السيرة: ١ : ٣٨٠.

(٢) في الأصل: «وآذاه حر ولا».

(٣) نقله ابن هشام في السيرة: ١ : ٣١١. انظر شرح المواهب: ١ : ٢٥٥.

(٤) القنص: الصيد.

(٥) الشكيمة: الأنفة - الإباء.

على إسلامه، وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ من قوله؛ فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وأَمْتَنَ، وأن حمزة سيمنعه، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه قبل، قال: وكان إسلام حمزة قبل إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - بثلاثة أيام^(١).

ذَكَرُ مشي عُتْبَةَ بن ربيعة، والوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ،
وسمَاعَهُمَا القرآن، واعترافَهُمَا أنه لا يشبه شيئاً من كلامهم،
وما أشار به عُتْبَةُ على أَشْرَاف قريش في أمر رسول الله ﷺ
قال محمد بن إسحاق^(٢):

حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قريش، والنبِيُّ ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمدٍ فأكلّمه وأعرض عليه أموراً، لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرُونَ، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلّمه، فقام إليه عُتْبَةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا بن أخي، إنك متأ حيث قد علمت من السُّطَّة^(٣) في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمرٍ عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّيت به أحلامهم، وعيّت^(٤) به ألّهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال: يا بن أخي، إن كنت إنما تريد ممّا جئت به من هذا الأمر مالاّ جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاّ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك^(٥) علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملّكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رزقاً^(٦) تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطّب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبرِّئك

(١) في شرح المواهب: ١: ٢٥٦: «سنة ست من النبوة وقيل في السنة الثانية»، انظر أسد الغابة: ٢: ٤٦ - ٥٠.

(٢) نقله ابن هشام في السيرة: ١: ٣١٣، وابن سيد الناس في عيون الأثر: ١: ١٠٥.

(٣) أي توسط العشيرة.

(٤) في الأصل: «عييت»، والمثبت رواية ابن هشام.

(٥) سودناك: جعلناك سيداً.

(٦) الرئي: التابع من الجن، وقيل: التابع المحبوب من الجن. انظر النهاية (رأى)، وشرح المواهب: ١: ٢٥٨.

منه، فإنه ربّما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم، قال: «فاستمع مني»، قال: أفعل، قال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَمْدُكَ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿١﴾ كَتَبْتُ فَصَلْتُ ءَايَتَكُمْ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ١-٤]. ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما^(١) يستمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورأيتني سمعت قولاً واللّه ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة^(٢)، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فأعزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ [عظيم]^(٣)، فإن تصبّه العرب فقد كفّيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به؛ فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

وروى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي^(٤) بسنده إلى جابر بن عبد الله، قال: قال أبو جهل والملا من قريش: لقد انتشر علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلّمه، ثم أتانا ببيان أمره؟ فقال عتبة: لقد سمعت بقول السحرة والكهانة والشعر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليّ إن كان كذلك، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فلم يجبه رسول الله ﷺ، قال: فيم تشتم آلّهتنا، وتضلّل آبائنا؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقّدتنا ألويتنا لك، فكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباه^(٥) زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك من بعدك، ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلّم؛ فلما فرغ من

(١) في الأصل: «معتمدا عليها» والمثبت رواية ابن هشام.

(٢) الكهانة: تعاطي الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان (اللسان: كهن).

(٣) في الأصل، وعبارة الأثر: ١: ١٠٦: «نبأ فإن»، والرواية المثبتة عن ابن هشام: ١: ٣١٤.

(٤) دلائل النبوة، ورقة: ١٤٦.

(٥) الباه: النكاح.

حديثه قال رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كَتَبْتُ فَصِلْتُ ۝ آيَتُهُمْ﴾ [فصلت: ١-٣] حتى بلغ قوله تعالى: ﴿صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَثُمَّ دَعَا﴾ [فصلت: ١٣]، فأمسك عتبة على في النبي ﷺ، وناشده الرحم^(١) أن يكف، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم؛ فقال أبو جهل: يا عتبة، ما حسبنا إلا أنك صَبَوْتَ^(٢) إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدًا أبدًا، وقال: لقد علمتم أنني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيت، وقص عليهم القصة، قال: فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة، قرأ عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حَمْدٌ ۝﴾ إلى قوله: ﴿مَثَلُ صَالِحَةٍ عَادٍ وَثُمَّ دَعَا﴾ فأمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئاً لم يكذب فيه، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

وأما الوليد بن المغيرة فقد روى أبو بكر أحمد بن الحسين البیهقي^(٣) بسنده عن عكرمة^(٤) عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً، قال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكِرٌ له، وأنت كاره له، فقال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن؛ والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، [و]^(٥) والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مُغْدِقُ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه ليعظم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: هذا سحر يُؤثر، يآثره عن غيره، فنزل قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ۝ الآيات.

وعن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليّ فقرأ

(١) ناشده الرحم: بحق القرابة.

(٢) صبوت: أي اعتنقت الإسلام.

(٣) دلائل النبوة ورقة: ١٤٥.

(٤) عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله (٢٥ - ١٠٥ هـ = ٦٤٥ - ٧٢٣ م) مولى عبد الله بن عباس: تابعي. كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي... خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي «الصفريّة» وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة... (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٥) تكملة من دلائل النبوة.

عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، قال: أعد علي، فأعاد عليه النبي ﷺ فقال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر.

ذكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله ﷺ

وما عرضوا عليه وما طلبوا منه أن يُريهم ويُخبرهم به من القصص، وأخبار من سلف وغير ذلك من غيهم، وما أنزل عليه في ذلك مما سنذكره إن شاء الله تعالى، ويُترجم على بعض ما انطوت عليه هذه الترجمة من القصص بما يدل عليها، وبينها من التراجم وإن كانت داخلة فيها.

قال محمد بن إسحاق^(١):

ثم إن الإسلام جعل يفسو بمكة في قبائل قريش، في الرجال والنساء، وقريش تحبس من قَدَرَتْ على حبسه، وتفتر من استطاعت فتنته من المسلمين، ثم اجتمعت أشراف قريش من كل قبيلة، كما روي عن سعيد بن جبير وابن عباس، قالوا: اجتمع عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث بن كلفة، وأبو البختري بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومُنبه ابنا الحجاج السهميان، وأميه بن خلف، أو من اجتمع منهم، فاجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: إيعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصّموه حتى تُعذروا^(٢) فيه، فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك، فأتهم؛ فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلّمهم فيه بدء^(٣)، وكان حريضاً عليهم، يحبّ رُشدَهم، حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلّمك، وإنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قوميه ما أدخلت [على قومك]^(٤)، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين وسببت الآلهة، وسفّهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئت فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك، وكلّموه بنحو ما كلّمه به عتبة بن

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١: ٣١٥.

(٢) تعذروا فيه: أي لا تلامون.

(٣) بدء: أمر سيء.

(٤) تكملة عن ابن هشام: ١: ٣١٥.

رَبِيعَةَ عَلَى مَا قَدَمْنَاهُ آفَاءً. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بِي [مَا]»^(١) تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ أَطْلُبُ بِهِ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَلَبَّغْتُ لَكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَدَّ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أَوْ كَمَا قَالَ - ﷺ - . [قَالُوا يَا مُحَمَّد] ^(٢): «إِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا شَيْئًا مِمَّا عَرَضْنَاهُ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقُ بِلَدَا، وَلَا أَقْلُ مَاءٍ وَلَا أَشَدُّ عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ لَنَا رَبُّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِهِ فَلْيَسِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا، وَلْيَبْسُطْ لَنَا بِلَادَنَا، وَلْيَخْرِقْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِي مَنْ يُبْعَثْ لَنَا مِنْهُمْ قِصِيٌّ بَنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخَ صَدَقٍ، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ: أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، فَإِنْ صَدَقُوا وَصَنَعَتْ لَنَا مَا سَأَلْنَاكَ عَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولًا كَمَا تَقُولُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بِهِذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَدَّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». قَالُوا لَهُ: فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا فَخِذْ لِنَفْسِكَ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يَصْدَقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَيَرَاجِعُنَا عَنْكَ، وَسَلَّهُ فَلْيَجْعَلَ لَكَ جَنَانًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يَغْنِيكَ بِهَا عَمَّا نَرَاكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ كَمَا نَقُومُ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا نَلْتَمِسُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ؛ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهَذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا»، - أَوْ كَمَا قَالَ -: «إِنْ تَقَبَّلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَدَّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». قَالُوا: فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسْفًا ^(٣) كَمَا زَعَمْتَ أَنْ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَّ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ، فَقَالَ ﷺ: «ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ يَفْعَلُهُ بِكُمْ فَعَلَّ» قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ وَنَطْلُبُ، فَيَتَقَدَّمُ إِلَيْكَ فَيُعَلِّمُكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ، وَيُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا، إِذَا لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ؟ إِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يَعْلَمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْإِمَامَةِ ^(٤) يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا

(١) تكملة عن ابن هشام.

(٢) تكملة عن ابن هشام يقتضيها سياق الكلام.

(٣) كسفا: قطعاً.

(٤) الإمامة: الصقع المعروف شرقي الحجاز (اللسان: يم).

محمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا نُهْلِكَكَ أو تُهْلِكَنَا. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة، وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً؛ فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة - وهو ابن عمته - فقال له: يا محمد، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول: ويتصدقوك ويتبعوك فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به من فضلك عليهم، ومنزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل - أو كما قال له - فوالله لا أومن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك^(١)، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك؛ ثم أنصرف عن رسول الله ﷺ وأنصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً أسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دَعَوْه^(٢).

ذكر قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله ﷺ، وما شاهده من حماية الله تعالى لنبيه، وكفايته إياه ورجوعه إلى قومه وإخبارهم بما شاهد

قال ابن إسحاق: ولما قام عنهم رسول الله ﷺ قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمداً قد أبى إلّا ما تروون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب ألهتنا؛ وإنني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد فضخْتُ^(٣) به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو أمنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم؛ قالوا: والله لا نُسَلِّمَكَ لشيء أبداً، فأمض لما تريد، فلما أصبح أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس ينتظره، وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو، وكان رسول الله ﷺ يصلي إلى بيت المقدس: وكان إذا صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود: وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وقام يصلي وقريش في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ﷺ أحتمل أبو جهل الحجر ثم أتى نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقياً لونه، مرعوباً قد يبست يده على حجره حتى قذف الحجر من

(١) بصك: بدليل.

(٢) في الأصل: «عن دعوة» والتصويب عن ابن هشام ج ١، ص ٣١٩.

(٣) فضخ: كسر.

يده، وقامت إليه رجال قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحَكَم؟ فقال: قمتُ إليه لأفعل [به] ^(١) ما قلتُ لكم البارحة، فلما دنوتُ منه عَرَضَ لي دونه فحل ^(٢) من الإبل؛ واللّه ما رأيت مثل هامته ولا قَصْرته ^(٣) ولا أنيابه لفحلٍ قط، فهم أن يأكلني، قال رسول الله ﷺ: «ذاك جبريل لو دنا لأخذه».

ومثل هذه القصة أيضًا، ما رواه ابن إسحاق قال: قدم رجل من إراش - ويقال إراشة ^(٤) - بإبل له مَكّة فابتاعها منه أبو جهل، فمَطَلَهُ ^(٥) بأثمانها، فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من أندية قريش، ورسول الله ﷺ في ناحية المسجد جالس، فقال الإراشي: يا معشر قريش، مَنْ رجل يُؤدّيني ^(٦) على أبي الحَكَم بن هشام، فإني رجلٌ غريبٌ أبْنُ سبيل، وقد غلبني على حقّي؛ فقال له القوم: أترى ذلك الرجل الجالس؟ - يريدون رسول الله ﷺ وهم يهزءون به - اذهب إليه فهو مُؤدّيك عليه؛ فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله، إن أبا الحَكَم قد غلبني على حقّي لي قبله ^(٧)، وأنا غريبٌ وأبْنُ سبيل، ولقد سألتُ هؤلاء القوم عن رجل يُؤدّيني عليه فأشاروا لي إليك، فخذ لي حقّي منه يرحمك الله، قال: «أنطلق إليه»، وقام معه ﷺ فلما رأوه قام معه قالوا للرجل ممّن معهم: إتبعه فانظر ماذا يصنع؟ قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه فَضْرَبَ عليه بابه، فقال: ممّن هذا؟ قال: «محمّدٌ فأخرج إليّ» فخرج وما في وجهه رائحة ^(٨) (أي دم) قد أنتقع ^(٩) لونه فقال: أعطِ هذا الرجل حقّه قال: نعم، لا يبرح حتى أعطيّه [الذي له] ^(١٠)، ودخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه، ثم أنصرف رسول الله ﷺ وقال للإراشي: إلحقُ بشأنك؛ فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس، فقال: جزاه الله خيرًا، فقد والله أخذ لي حقّي، وجاء الرجل الذي بعثوه معه فأخبرهم الخبر، قال: ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء، فقالوا له: ويلك! والله ما رأينا مثل ما صنعتَ قط! قال: وَيَحْكُم! واللّه ما هو إلا أن ضَرَبَ عليّ

(١) تكلمة عن ابن هشام.

(٢) الفحل: الذكر من كل حيوان (اللسان: فحل).

(٣) القَصْرَة: أصل العنق.

(٤) إراشة: بطن من خثعم.

(٥) مطل: راوغ - تباطأ.

(٦) يؤدّيني: يساعديني على أخذ حقّي منه.

(٧) قبله: عنده.

(٨) أي أنه مصفر من الخوف.

(٩) انتقع: تغير لما أصابه.

(١٠) تكلمة عن ابن هشام: ١ : ٢٣٨.

بابي، وسمعتُ صوته، فمِلْتُ رُغْبًا، ثم خرجتُ إليه وإنَّ فوق رأسه لَفَحْلًا من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ولا قَصْرته، ولا أنيابه لِفَحْل قط، والله لو أبيتُ لأكلني.

ذكرُ خبرِ النَّضرِ بنِ الحارث، وما قال لقريش، وإرسالهم إياه إلى يثرب إلى أخبار يهود وعقبة بن أبي معيط وما عاداه

قال: ولما رجع أبو جهل إلى قريش، وألقى الحَجَرَ من يده وقصَّ عليهم ما شاهد قال النَّضرُ بنُ الحارث بنِ كَلْدَةَ فقال: يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتُم له بحيلة بعدُ، قد كان محمدٌ فيكم غلامًا حدثًا، أزضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغِيهِ الشَّيْبَ - وقد جاءكم بما جاءكم به - قُلتُم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السَّحْرَةَ، نَفَثُهم وعقدَهم وقُلتُم: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكَهَنَةَ؛ تَخَالَجُهم، وسمعنا سَجْعَهم. وقُلتُم: شاعر، والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافَه كُلَّها؛ هَزَجَه ورَجَزَه. وقُلتُم مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، ما هو بخنْقه، ولا وَسْوَستِهِ، ولا تخْلِيْطه^(١)، يا معشر قريش، فأنظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

قال ابنُ إسحاق: وكان النَّضرُ بنُ الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له العداوة، وكان قد قَدِمَ الحِيرة وتعلَّم بها أحاديثَ ملوكِ الفُرس ورستم وإسفنديار، فكان إذا جلس رسولُ الله ﷺ مجلسًا فذَكَرَ فيه بالله وحذَّرَ قومه ما أصاب مَنْ قَبْلَهم من الأمم من نِقْمَةِ الله، خَلَفَه في مجلسه إذا أقام، ثم قال: والله يا معشر قريش أنا أحسنُ حديثًا منه، فهلَمْ فأنا أحدثُكم أحسنَ من حديثه، ثم يحدثُهم عن ملوكِ فارس ورستم، وإسفنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني!

قيل: والنضر هذا هو الذي قال فيما بلغني: ﴿سَأُزِلْ مِثْلَ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال ابنُ عباس: نزل فيه ثمانُ آياتٍ من القرآن: قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، وكلُّ ما ذُكر فيه الأساطيرُ من القرآن. قال: فلما قال لهم النَّضر بنُ الحارث ما قال بعثوه، وبعثوا معه عقبة بنَ أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصِفَا لهم صِفَتَه وأخبراهم بقوله: فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علمٌ حسن - ليس عندنا - من علم الأنبياء؛ فخرجوا حتى

قَدِمَا الْمَدِينَةَ فَسَأَلَ أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ بَعْضَ قَوْلِهِ، وَقَالَا لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا، فَقَالَ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثِ نَأْمُرْكُمْ بِهِنَّ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مَقْتُولٌ^(١)، فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ، سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ، مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؟ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجِيبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا؛ مَا كَانَ نَبُوءَةً؟ وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ رَجُلٌ مَقْتُولٌ فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ. فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنَا عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ؛ وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا؛ وَأَخْبِرْنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْبَرَكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا»، وَلَمْ يَسْتَنْ بِالْمَشِيئَةِ، فَانصَرَفُوا عَنْهُ، فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَزْعُمُونَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ حَتَّى أَرْجَفَ^(٢) أَهْلُ مَكَّةَ وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا^(٣) بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُكْثُ^(٤) الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ بِسُورَةِ الْكَهْفِ فِيهَا خَبَرٌ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ ﷺ قَالَ لَجِبْرِيلَ حِينَ جَاءَهُ: لَقَدْ أَحْتَبَسْتُ عَنِّي حَتَّى سَوْتُ ظَنًّا، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَمَّا بَكَنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ذكر ما أشتملت عليه سورة الكهف مما سألوه عنه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله تعالى: افتتح الله عز وجل السورة بحمده، وذكر نبوة رسوله ﷺ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعني محمداً. قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا﴾ أي معتدلاً لا اختلاف فيه. قوله: ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾ أي عاجل عقوبته في الدنيا وعذاباً أليماً في الآخرة. قوله: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [٣] أي دار الخلد لا يموتون فيها، الَّذِينَ صَدَقُوا بِمَا جِئَتْ بِهِ مِمَّا كَذَبَكَ بِهِ غَيْرُهُمْ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرْتَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ. قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [٤] يعني قريشاً في قولهم:

(١) متقول: مدع.

(٢) أرجف: يقال: أرجف القوم، إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن.

(٣) كذا في ابن هشام، وهو الصواب. والذي في الأصل: «ولا تخبروا»؛ وهو تحريف.

(٤) مكث: انحباس.

إنا نعبد الملائكة وهي بنات الله. قوله: ﴿مَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ الذين اعظموا فراقهم. قوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ أي قولهم: إن الملائكة بنات الله. قوله: ﴿فَلَمَّا كَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَيَّ مَا نَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ أي مهلك نفسك لحزنه ﷺ عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم، أي لا تفعل. قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي أيهم أتبع لأمرى، وأعمل لطاعتي. قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا﴾ [الكهف: ١-٨] أي الأرض، وإن ما عليها لفانٍ وزائل، ولكن المرجع إليّ فأجزى كلاً بفعله، فلا تأس، ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها، ثم استقبل القصة فيما سألوه عنه من شأن الفتية.

فقال تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حجّتي ما هو أعجب من ذلك. قال ابن هشام: والرقيم الكتاب الذي يرقم فيه بخبرهم، وجمعه رُقْم. ثم قال: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي لم يشركوا بي كما أشركتم [بي] (١) ما ليس لكم به علم. قال: والشطط، الغلو (٢) ومجاوزة الحق. قوله: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾، أي بحجة بالغة. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾. قال ابن هشام: تراور، تميل، وهي من الزور، ﴿تَقْرُؤُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، أي تجاوزهم وتتركهم عن شمالها. والفجوة: السعة، وجمعها الفجاء. قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم. قوله: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ إلى قوله: ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ٩-١٨] الوصيد: الباب. قال عبيد بن وهب العبسي منشداً: [من الطويل]

بأرض فلاة لا يُسَدُّ وَصِيدُهَا عليّ ومعروفي بها غير مُنْكَرٍ

والوصيد أيضاً الفناء، وجمعه وصائد ووُضِدَ ووُضِدَ ووُضِدَانِ قوله: ﴿لَوْ أَطْلَقْتَ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ أهل الملك ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يعني أخبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم، فإنهم لا علم لهم بهم. قوله: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي

(١) تكملة عن ابن هشام، والجامع لأحكام القرآن: ١٠: ٣٤٩.

(٢) في الأصل: «الغلو»، والتصويب عن ابن هشام.

فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إلى قوله: ﴿رَشَدًا﴾ أي لا تقولن لشيء سألوكم عنه كما قلت في هذا: إني مخبركم غدا وأستثنى بمشيئة الله ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لَخَيْرِ مِمَّا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ رَشَدًا﴾. فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك. قوله: ﴿وَلِيُثْبِتْ فِي كَهْفِهِمْ تِلْكَ مِائَتَةَ سِنِينَ وَازْدَادُوا قِسْعًا﴾ ﴿٢٥﴾ أي سيقولون ذلك. ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثْبِتْ لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ أي لم يخف عليه شيء مما سألوها عنه، وقال الله عز وجل، فيما سألوها عنه من أمر الطّواف، وهو ذو القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الذِّقْرِينِ﴾ [الكهف: ١٨-٨٣] الآيات، إلى آخر خبره، وقد ذكرنا قصة ذي القرنين في الباب الأول من القسم الرابع من الفن الخامس من كتابنا هذا، وهي في الجزء الثاني^(١) عشر من هذه النسخة، ولا فائدة في إعادتها.

وقال تعالى فيما سألوها عنه من [أمر]^(٢) الروح^(٣): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال أhabار يهود: يا محمد، أرايت قولك: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] إيانا تريد أم قومك؟ قال: كلا. قالوا: فإنك تتلو فيما جاءك إنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: «إنها في علم الله قليل، وعندكم في ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه» فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوها عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال، وتقطع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى، وما سألوها لنفسه، وما قالوه له بعد ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ فيما سأله قومه لأنفسهم فيما قدّمنا ذكره؛ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَتْ بِهِ الْغُيُوبُ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]، أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت، وأنزل عليه في قولهم:

(١) من تجزئة المؤلف.

(٢) تكملة عن ابن هشام ص ١٩٦.

(٣) في تفسير معنى الروح أقوال كثيرة أوردها القرطبي في جامعه: ١٠: ٣٢٣.

خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧﴾ أو يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَشِيعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٨﴾ [الفرقان: ٧-٨]. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ [الفرقان: ١٠]، أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش ﴿جَنَّتِ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الطلاق: ١١]. وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝٢٠﴾ [الفرقان: ٢٠]، أي جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رُسلي ولا يخالفوا لفعلت. وأنزل عليه فيما قال عبد الله بن أمية: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩١﴾ أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩٢﴾ أو تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٣﴾ أو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣]، وأنزل عليه في قولهم: إنا قد بلغنا [أنك] ^(١) إنما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن، ولن نؤمن به أبدًا؛ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: ٣٠]. وأنزل عليه فيما قال أبو جهل وما همز به قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٦﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۝١٧﴾ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۝١٨﴾ [العلق: ٩-١٢] إلى آخر السورة. قال ابن هشام: لنسفعن: لنجذبن ولناخذن. والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم، وجمعه أنديّة: يقول: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧﴾ [العلق: ١٧] أي أهل ناديه، كما قال تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهل القرية، وأنزل عليه فيما عرضه عليه من أموالهم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ [سبا: ٤٧].

ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم ^(٢)

قال: فلمّا جاءهم رسول الله ﷺ بما عرفوا من الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوه عتّوا ^(٣)

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١ : ٣٢٢.

(٢) عقودهم: عهودهم، من قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي بالعهود.

(٣) عتّوا: استكبروا.

على الله واستمروا في طغيانهم وعلى كفرهم، فقال قائلهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فإنكم إن ناظرتموه وخاصتموه غلبكم. فقال أبو جهل يوماً - وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق -: يا معشر قريش، يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً [وكثرة] ^(١)، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصّة. قال: ولما قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو في صلاته يتفرقون عنه، ويأبون أن يسمعوا له، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق ^(٢) السمع دونهم فرقا ^(٣) منهم، فإن رأى أنهم قد عرفوا به أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم أن يستمع؛ وإن خفض ﷺ صوته ظنّ الذي يستمع أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته؛ وسمع هو شيئاً دونهم أصاخ له يستمع منه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] يقول: لا تجهر بصلاتك فيفروا عنك، ولا تخافت بها، فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترقها دونهم لعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فيتفتح به.

ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ

روى عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود. قال: اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط من رجل يسمعهموه. فقال عبد الله بن مسعود: أنا؛ قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: دعوني، إن الله سيمنعني؛ قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في وقت الضحى وقريش في أنديتها، ثم قال رافعاً صوته: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢﴾ [الرحمن: ١-٢] ثم استقبلها يقرأها، وتأمّلوه فجعلوا يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد؛ فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وهو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم أنصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٣٥.

(٢) استرق السمع: تنصت خفية.

(٣) فرقا: خوفاً.

أهونَ عليّ منهم الآن، وإن شئتم لأغاديئهم بمثلها غداً؛ قالوا: لا، حسبك، قد أسمعهم ما يكرهون. والله الموفق.

ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ

من أذى قريش وعذابهم ليفتنوهم عن دينهم

قال محمد بن إسحاق: ثم إنهم عدّوا على من أسلم وأتبع رسول الله ﷺ من أصحابه، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء^(١) مكة إذا اشتد الحر؛ من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن^(٢) من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يعصمه الله، فكان بلال بن رباح^(٣) مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لبعض بني جُمَح مولداً^(٤) من مولديهم، وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، فكان أمية بن خلف^(٥) يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد الآلات والعزى؛ فيقول - وهو في ذلك البلاء - أحد أحد، فكان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول: أحد أحد، فيقول: أحد أحد والله يا بلال؛ ثم يقبل على أمية بن خلف وهو يصنع به ذلك فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذه لأتخذنه حناناً^(٦)؛ حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً وهم يصنعون به ذلك، فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين، حتى متى! فقال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى. قال: أفعل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، وهو على دينك، أعطيك به. قال: قد قبلت؛ قال: هو لك. فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك، وأخذه فأعتقه، ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة سيّ رقاب؛ وهم عامر بن فهيرة، شهد بدرًا وأحداً^(٧)، وأم غميس وزئيرة - وكانت رومية لبني عبد الدار - فأصيب

(١) الحجارة الحارة.

(٢) في الأصل: «فمن يفتن» وما أثبت عن ابن هشام: ١: ٢٠٥.

(٣) في الأصل: ما يفيد أن بلالاً كان من موالي رسول الله ﷺ، وليس كذلك، فإن بلالاً هذا كان من خدم رسول الله ﷺ لا من مواليه. انظر: المعارف ص ٨٨، وابن كثير ج ٣ ص ٥٧.

(٤) مولداً: المولد: من كان عربياً غير محض، لكنه عربي المنشأ.

(٥) أمية بن خلف: أمية بن خلف بن وهب. (.... - ٢ هـ = ٦٢٤ م)، من بني لؤي: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالاً الحبشي في بداءة ظهور الإسلام، أسره عبد الله بن عوف يوم بدر. الأعلام: ٢: ٢٢.

(٦) لأتخذنه حناناً: لأجعلن قبره موضع حنان، فأزوره وأتبرك به.

(٧) زاد في ابن هشام ٢٠٣ «وقتل يوم بئر معونة شهيداً».

بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، وما ينفعان. فردّ الله إليها بصرها؛ وأعتق النهديّة وابنتها، وكانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمّر بهما وقد بعثتهما سيّدتهما بطحين لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً؛ فقال أبو بكر: حلّ^(١) يا أم فلان؛ فقالت: حلّ أنت؛ أفسدتهما، فأعتقتهما، قال فيكم هما؟ قالت: بكذا وكذا؛ قال: أخذتهما وهم حرّتان، إرجعا إليها طحينها؛ قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نردّه إليها؛ قال: وذاك إن شئتما. ومّر بجارية من بني مؤمل (حيّ من بني عديّ ابن كعب) - وكانت مسلمة - وكان عمرُ يعذبها لترك الإسلام، وعمرُ يومئذٍ مشرك، وهو يضربها حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، لم أتركك إلا ملالة^(٢)، فيقول: كذا يفعل الله بك. فأبتاعها فأعتقها، فقال أبو قحافة لأبي بكر: يا بني، أراك تُعتق رقاباً ضِعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجلاً جُلداً يَمنعونك، ويقومون دونك؛ فقال أبو بكر: يا أبتِ إني إنما أريد الله عزّ وجلّ ما أريد؛ فيقال: إنّ هذه الآيات أنزلت فيه رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٦﴾﴾ [الليل: ٥، ٦-٢١].

قال محمد بن إسحاق: وكان بنو مخزوم يخرجون بعمّار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيتٍ إسلام - إذا حَميت الظّهيرة يعذبونهم برَمضاء مَكّة، فيمرّ بهم رسول الله ﷺ، فيقول: «صبراً آل ياسر موعدكم الجنة»، فأما أمّه فقتلها وهي تأبى إلا الإسلام. قال أبو عمر: وهي سُميّة، كانت أمةً لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فزوّجها من حليفه ياسر بن عامر بن مالك العبسي، فولدت له عمّاراً، فأعتقه أبو حذيفة. وسُميّة هذه أول شهيدة في الإسلام. وجاءها أبو جهل بحربة في قُبيلها^(٣) فقتلها، فقال عمّار: يا رسول الله، بُلغ منا - أو بُلغ منها كلّ مبلغ - فقال رسول الله ﷺ: «صبراً يا أبا اليقظان، اللهم لا تُعذب أحداً من آل ياسر بالنار».

قال ابن إسحاق: وكان أبو جهل هو الذي يُغري بهم في رجال قريش إذا سمع برجل قد أسلم، فإن كان له شرف ومنعة أثبه وخزاه^(٤): فيقول: تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك ولنُفيلن^(٥) رأيك، ولنضعن شرفك؛ وإن كان تاجراً، قال:

(١) أي تحللي من يمينك.

(٢) ملالة: سأمًا.

(٣) القبل: خرج المرأة.

(٤) خزاه: أذله وحقّره.

(٥) لنفيلن: فيل رأيه: خطاه.

والله لَنُكْسِدَنَّ^(١) تجارتك، ولنهلكن مالك؛ وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به. وروي عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يُعذرون به في ترك دينهم؟ قال: نعم، والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويُجيعونه ويُعطشونه؛ حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهان من دون الله، فيقول: نعم، حتى إن الجعل^(٢) ليمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم، افتدأ منهم مما يبلغون من جهده. والله المعين.

ذكر هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وهي الهجرة الأولى

قال محمد بن إسحاق: لما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء والعذاب، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد - وهي أرض صدق - حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك من خرج منهم مخافة الفتنة، وفاراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

قال الواقدي: خرجوا متسللين سرّاً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشَّعْبِيَّةِ^(٣) منهم الراكب والماشي، ووفق الله لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجارة حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في نصف رجب من السنة الخامسة من حين تنبأ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم.

قال ابن إسحاق: كان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ، ومن بني عبد شمس: أبو حذيفة ابن عتبة، معه امرأته سهلة ابنة سهيل، ولدت بأرض الحبشة محمد بن أبي^(٤) حذيفة. ومن بني أسد بن عبد العزى: الزبير بن العوام. ومن بني عبد الدار: مصعب بن عمير بن هاشم. ومن بني زهرة بن كلاب: عبد الرحمن بن عوف. ومن بني مخزوم:

(١) في الأصل: «ولنكسرن». تصحيف. والتصويب عن ابن هشام: ١ : ٣٤٢، وابن كثير: ٣ : ٥٧.

(٢) الجعل: دابة سوداء من دواب الأرض (اللسان: جعل).

(٣) الشعبية، كجھينة: مرسى السفن من ساحل بحر الحجاز، كان مرسى سفن مكة قبل جدة.

(٤) ساقطة من الأصل: والتكملة عن ابن هشام: ١ : ٣٤٤.

أبو سلمة بن عبد الأسد، معه أمراته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، ومن بني جُمَح: عثمان بن مظعون بن حبيب. ومن بني عدي بن كعب: عامر بن ربيعة أمراته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم؛ ومن بني عامر بن لؤي: أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى^(١)؛ ومن بني الحارث بن فهر: سهيل بن يضاء، وهو سهيل بن وهب بن ربيعة. قال: هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة، وكان عليهم عثمان بن مظعون. وزاد الواقدي: حاطب بن عمرو بن عبد شمس، فجعلهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة. قال: فقدمنا أرض الحبشة، فجاوَزنا بها خير جارٍ، أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نُؤذَى، ولا نُسمع شيئاً نكرهه. والله أعلم.

ذكر رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة، وما قيل في سبب رجوعهم

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه: لما رأى رسول الله ﷺ من قومه كفاً عنه، جلس خالياً^(٢) فتمنى فقال: ليت لا ينزل علي شيء ينفرهم عني، وقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) قومه ودنا منهم ودنوا منه، فجلس يوماً مجلساً في ناد من تلك الأندية حول الكعبة، فقرأ عليهم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾^(٤) حتى بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ﴾^(٥) وَمَنَوَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ^(٦) [النجم: ١ - ٢٠]. ألقى الشيطان على لسانه كلمتين: «تلك الغرائق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى» ولما بلغ «الغرائيق العلا»، وفي أخرى: «والغرائقة»^(٧) العلا، تلك الشفاعة تُرتجى». قال الواقدي: فتكلم رسول الله ﷺ بهما^(٨)، ثم مضى فقرأ السورة كلها، وسجد وسجد القوم جميعاً، ورفع المغيرة بن الوليد تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود. ويقال: إن أبا أحيحة سعيد بن العاص أخذ تراباً فسجد عليه، ورفعاه إلى جبهته - وكان شيخاً كبيراً - فرفضوا بما تكلم به رسول الله ﷺ، وقالوا: قد

(١) ذكر ابن كثير عن ابن إسحاق أن أبا سبرة كانت معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو (٣: ٦٧).

وابن هشام (١: ٣٥٢).

(٢) خالياً: منفرداً مرتاحاً.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) كذا في الكشف للزمخشري: ٢: ٥٨. بولاق.

(٥) قال صاحب الجامع لأحكام القرآن: ١٢: ٨١، إن هذا الحديث الذي فيه الغرائيق العلا وقع في

كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم، ولا ذكر في عمله، مصنف مشهور وذكر القاضي عياض أن رسول الله ﷺ معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصداً ولا سهواً ولا غلطاً... الخ.

عرفنا أن الله يُحيي ويُميت ويخلق ويرزق، ولكنَّ آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فأما إذا جعلتَ لها نصيباً عندك فنحن معك، فكبرُ ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم حتى جلس في البيت فلما أمسى أتاه جبريلُ فعرض عليه السورة، فقال جبريل: ما جئتكَ بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله ﷺ: «قلتُ على الله ما لم يقل» فأوحى الله إليه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ (٧٣)، إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٥].

وقال: ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت أرض الحبشة، فبلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن أهل مكة قد سجدوا فأسلموا، حتى إن الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة قد سجدَا خلف النبي ﷺ، فقال القوم: فمن بقي بمكة إذا أسلم هؤلاء! قالوا: عشائرتنا أحب إلينا؛ فخرجوا راجعين، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً من كنانة، فسألوهم عن قريش وعن حالهم، فقال الركب: ذكر محمد آلهتهم بخير، فتابعه الملاء، ثم ارتد عنهم، فعاد يشتم آلهتهم، وعادوا له بالشر، فتركناهم على ذلك، فأتى القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة، ثم قالوا: قد بلغنا، ندخل فننظر ما فيه قريش، ويحدث عهداً من أراد بأهله، ثم نرجع. قال: فدخلوا مكة، ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار، إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيراً، ثم رجع إلى أرض الحبشة. قال الواقدي: فكان خروجهم في شهر رجب سنة خمس (يريد من النبوة^(١))؛ فأقاموا شعبان ورمضان وقدموا في شوال من السنة.

وحيث ذكرنا هذا الحديث فلنذكر ما جاء في توهينه.

ذكر ما ورد في توهين هذا الحديث والكلام عليه في التوهين والتسليم

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض رحمه الله، في كتابه المترجم (بالشفا بتعريف حقوق المصطفى) ﷺ:

اعلم أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين: أحدهما في توهين أصله، والثاني [على]^(٢) تسليمه.

أما المأخذ الأول فيكيفيك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته، وأضطراب رواياته وانقطاع إسناده،

(١) هذه من قول المؤلف. انظر الذخائر والأعلاق لابن سلام الباهلي ص ٢٠٤ (الطبعة الوهية).

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل، والمثبت عن الشفاء للقاضي عياض: ٢: ٢٨.

وأختلاف كلماته، فقائل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول: قالها وقد أصابته سنة^(١)؛ وآخر يقول: بل حدث نفسها فسها؛ وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأئك؛ وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها؛ فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال: «والله ما هكذا أنزلت» إلى غير ذلك من أختلاف الرواة، ومن حُكِيت عنه هذه الحكاية من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم، ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية^(٢)، والمرفوع فيه حديث شعبة^(٣) عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير^(٤)، عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب - الشك في الحديث أن النبي ﷺ كان بمكة - وذكر القصة. قال أبو بكر البزار^(٥): هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير، وإنما يعرف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا، وفيه من الضعف ما نُبِه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه.

وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره، لقوة ضعفه وكذبه كما أشار البزار إليه، قال: والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَالنَّجْوَى﴾ وهو بمكة، فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. هذا توهينه من طريق النقل، والله أعلم بالصواب.

(١) السنة: السهو.

(٢) كذا في الشفاء للقاضي عياض: ٢: ١١٨ والذي في الأصل: «فاتنة».

(٣) شعبة: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، مولا هم، الواسطي ثم البصري، أبو بسطام (٨٢ - ١٦٠ هـ = ٧٠١ - ٧٧٦ م): من أئمة رجال الحديث. . ولد ونشأ بواسط، وسكن البصرة إلى أن توفي. وهو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين. وجانب الضعفاء والمتروكين. (الأعلام: ٣: ١٦٤).

(٤) سعيد بن جبير: سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤) تابعي، كان أعلمهم عن الإطلاق، وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس. . . ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة. فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط. (الأعلام: ٣: ٩٢).

(٥) أبو بكر البزار: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار: (٢٩٢ - ٣٠٠ هـ = ٩٠٥ - ٩٠٠ م): حافظ من العلماء بالحديث من أهل البصرة. . توفي في الرملة. (الأعلام: ١: ١٨٩).

وأما من جهة المعنى: فقد قامت الحجة، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة. أما من تَمَنِيهِ أن يُنزل عليه مثل هذا من مدح آله غير الله وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه، ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه، حتى يُنَبِّه جبريل عليهما السلام، وذلك كله ممتنع في حقه ﷺ، أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً - وذلك كفر - أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله، وقد تقرر بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه المَلَك مما يلقي الشيطان، أو يكون للشيطان عليه سبيل، أو يتقول على الله؛ لا عمداً ولا سهواً، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] الآية، وقال: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] الآية.

ووجه ثانٍ، وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام^(١)، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم؛ ولما كان النبي ﷺ، ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك - وهذا لا يخفى على أدنى متأمل - فكيف بمن رَجَحَ حلمه، واتَّسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه؟!

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادة المنافقين، ومعاندي المشركين، وضَعْفُ القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة، وتخليط العدو على النبي ﷺ لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين، وارتداد مَنْ في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأقل شبهة، ولم يَحْك أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قریش بها على المسلمين الصَّولة^(٢)، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة، كما فعلوا في قصة الإسراء وقصة القضية^(٣)، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وُجِدَتْ، ولا تَشْغِيب^(٤) للمعادي حينئذٍ أشدَّ من هذه الحادثة لو أمكنت؛ فما روي عن معاند فيها كلمة، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة؛ فدل على بُطْلها، واجتثاث أصلها.

قال القاضي عياض: ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين، ليلبس به على ضعفاء المسلمين.

(١) في الأصل: «ألا ليثام» تصحيف.

(٢) الصولة: مُسْتَمْسَكًا - حجة.

(٣) راجع شرح الشفاء: ٤: ١١٢ في قصة القضية.

(٤) تشغيب: أي ولا تهيب للفتنة والشر.

ووجه رابع، ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] الآيتين، وهاتان الآيتان ترددان الخبر الذي رَوَّاهُ، لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى، وأنه لولا أن ثبت له لكان يركن إليهم، فمضمونه هذا.

ومفهومه أن الله عصمه من أن يفترى، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً! وهم يزوون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم، وأنه قال عليه السلام: «افتريت على الله وقلت ما لم يقل»؛ وهذا ضد مفهوم الآية، وهي تضعف الحديث لو صح، فكيف ولا صحة له! وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون، قال الله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [النور: ٤٣]، ولم يذهب. قال القاضي القشيري^(١): ولقد طالبه قريش وثقيف إذا مرَّ بالهتيم أن يقبل بوجهه إليها، ووعدوه الإيمان به إن فعل، فما فعل ولا كان ليفعل ﷺ.

وأما المأخذ الثاني - وهو مبني على تسليم الحديث لو صح، وقد أعادنا الله من صحته - فقد أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة ذكرها القاضي عياض^(٢) وضعف بعضها، وأستحسن بعضها، نذكر منها ما أستحسنه وجوزّه إن شاء الله.

منها: ما ذكره القاضي أبو بكر في أجوبته عن هذا الحديث، قال: لعل النبي ﷺ قال ذلك أثناء تلاوته؛ على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار، لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] على أحد التأويلات، يريد: أهذا ربِّي؟! ولقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين، ثم رجع إلى تلاوته، وهذا ممكن مع بيان الفصل وقريئة تدل على المراد، وأنه ليس من المتلو^(٣). قال القاضي عياض: ولا يُعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة، فقد كان الكلام فيها قبل [غير]^(٤) ممنوع، قال: والذي يظهر ويترجح في تأويله عند القاضي أبي بكر، وعند غيره من المحققين على تسليمه، أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته، كما رواه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما أخلقه من تلك الكلمات محاكاةً نغمة النبي ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى، وتحققهم من

(١) في الأصل: «القشيري» وهو تصحيف صوابه كما في القاضي عياض ص ١٢١.

(٢) الشفاء: ٢: ١١٦ - ١٢٣.

(٣) المتلو: المقروء.

(٤) ساقطة من الأصل، والتكلمة عن الشفاء: ٢: ١٢٢.

حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبيها ما عرف منه . وقد حكى موسى بن عقبة^(١) في مغازيه نحو هذا، وقال: إن المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم .

قال القاضي عياض: ويكون ما روي من حزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّيَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] الآية، فمعنى ﴿تَمَنَّيَ﴾ تلا، قال الله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] أي تلاوة، وقوله: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: ٥٢] أي يذهبه ويزيل اللبس به، ويحكم آياته، قال: ومما يظهر في تأويله أيضاً أن مجاهدًا روى هذه القصة: «والغرائقة العلا». فإن سلمنا القصة قلنا: لا يبعد أن هذا كان قرآنًا، والمراد بالغرائقة العلا، وأن شفاعتهم لترتجى: الملائكة على هذه الرواية، وبهذا فسر الكلبي الغرائقة أنها الملائكة، وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله، كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله: ﴿الَّذِينَ أَلْزَمُوا لَهُ الْآتِثَ﴾ [النجم: ٢١]، فأنكر الله كل هذا من قولهم؛ ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح، فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم، ولبس عليهم الشيطان ذلك، وزينه في قلوبهم، وألقاه إليهم؛ نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته، ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما للتلبيس سبيلاً، كما نسخ كثيراً من القرآن ورفعت تلاوته. قال: وكان في إنزال الله تعالى لذلك حكمة، وفي نسخه حكمة، ليضل به من يشاء، ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين، و﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [٥٣] وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٣-٥٤].

وقيل: إن النبي ﷺ لما قرأ هذه السورة، [وبلغ إلى ذكر اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها، فسبقوا إلى^(٢) مدحها بتلك الكلمتين؛ ليخلطوا تلاوة النبي ﷺ ويشغبوا عليه على عادتهم، وقولهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلُونَ﴾ [فصلت: ٣٦]، ونُسب هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه، وأن النبي ﷺ حزن لذلك من كذبهم وافتراءهم

(١) موسى بن عقبة: موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير (....) -

١٤١ هـ = ٧٥٨ م) عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث، من أهل المدينة مولده

وفاته فيها. له كتاب «المغازي». (الأعلام: ٧: ٣٢٥).

(٢) ساقطة من الأصل، والتكملة عن الشفاء: ٢: ١٢٤.

عليه، فسلاّه الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النحل: ٤٣] الآية، وبين للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته، ودفع ما لبس به العدو؛ كما ضمنه الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الآية، هذا ما ورد في الجواب عن هذا الحديث. فلنرجع إلى تنمة أخباره وسيره ﷺ تسليمًا كثيرًا.

ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها من أصحاب رسول الله ﷺ

قال الواقدي: لما قدم أصحاب النبي ﷺ من الهجرة الأولى اشتد عليهم قومهم، ونيطت^(١) بهم عشائريهم، ولقوا منهم أذى شديدًا، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فقال عثمان بن عفان: يا رسول الله؛ فهجرتنا الأولى، وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معنا، فقال ﷺ: أنتم مهاجرون إلى الله وإليكم لكم هاتان الهجرتان جميعًا، قال عثمان: فحسبنا يا رسول الله.

قال ابن سعد: وكان عدّة من خرج من هذه الهجرتين الرجال ثلاثة وثمانون ومن النساء إحدى عشر امرأة قرشية، وسبع غرائب. وقد عدّهم أبو محمد عبد الملك بن هشام حسبما رواه عن محمد بن إسحاق بن يسار - رحمهم الله تعالى - فلم يزد على ذلك. وأورد أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري^(٢) رحمه الله في كتاب (الاستيعاب)؛ في تراجم جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، أنهم ممن هاجروا إلى أرض الحبشة ممن لم يذكرهم ابن هشام، نحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ونُنبّه عليهم.

قال ابن هشام: كان منهم من بني هاشم بن عبد مناف، جعفر بن أبي طالب معه امرأته أسماء بنت عميس^(٣) ولدت بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر، ومن بني أمية بن عبد شمس عثمان بن عفان رضي الله عنه، معه امرأته رُقِيّة بنت رسول الله ﷺ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، معه امرأته فاطمة بنت صفوان، وأخوه خالد بن سعيد، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد الخزاعية، ويقال فيها هُمينة، ولدت بأرض الحبشة سعد^(٤) بن خالد، وآمنة بنت خالد. ومن حلفائهم من بني أسد بن

(١) نيّطت: كادت تميّتهم.

(٢) المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

(٣) في الأصل: «عيس».

(٤) رواية ابن هشام: «سعيد بن خالد».

خزيمة عبد الله بن جحش بن رثاب؛ وأخوه عبيد الله بن جحش، معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب. وذكر أبو عمر في ترجمة عبد الله بن جحش أنه هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه أبي أحمد وعبد الله، فعلى هذا يكون أبو أحمد ممن هاجر إلى الحبشة؛ واسمه عبد بن جحش، وكان أعمى، وعدّ أيضًا محمد بن عبد الله بن جحش أنه هاجر مع أبيه وكان صغيرًا.

قال ابن هشام: وقيس بن عبد الله رجل من بني أسد بن خزيمة، معه امرأته بركة بنت يسار [مولاة] ^(١) أبي سفيان بن حرب، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة؛ [وهؤلاء] ^(٢) آل سعيد بن العاص.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. قال أبو عمر: معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، ولدت له هناك محمد بن أبي حذيفة. قال ابن هشام: وأبو موسى الأشعري وأسمه عبد الله بن قيس: قال أبو عمر في ترجمة عبد الله بن قيس: الصحيح ^(٣) أن أبا موسى رجع بعد قدومه مكة، ومخالفته من حالف من بني عبد شمس إلى بلاد قومه، فأقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو خمسين رجلًا في سفينة، فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة فوافقوا خروج جعفر وأصحابه منها، فأتوا معهم، وقدمت السفينتان معًا: سفينة الأشعريين، وسفينة جعفر وأصحابه. والله تعالى أعلم بالصواب.

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن غزوان حليف لهم من بني مازن؛ ومن بني زُمعة بن ربيعة ^(٤) وعمرو بن أمية بن الحارث مات بالحبشة.

قال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة خالد بن حزام بن خويلد بن أسد: إنه هاجر إلى أرض الحبشة في المرة الثانية. فنهشته حية، فمات في الطريق قبل وصوله. والله المستعان وإليه المرد.

ومن بني عبد [الدار] ^(٥) بن قُصَي مُصعب بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وسُوَيْبِط ^(٦) بن سعد بن حُرَيْملة بن مالك بن عُمَيْلَة بن السباق بن عبد

(١) ساقطة من الأصل، والتكملة عن ابن هشام.

(٢) ساقطة من الأصل، والتكملة عن ابن هشام. وفي ابن كثير: ٣: ٦٧ «وهو من موالي سعيد بن العاص».

(٣) (الاستيعاب: ١: ٣٩٢).

(٤) لعل «الواو» زائدة.

(٥) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٤٧.

(٦) في الأصل: «سوسط» تصحيف.

الدار، وَجَهْم بن قيس بن عبد بن شرحبيل بن هاشم بن عبد الدار معه امرأته [أم] ^(١) حرملة بنت عبد بن الأسود الخزاعية - ويقال: حُرَيْمِلَة وابناه عمرو بن جهم، وَخُزَيْمَة بن جهم؛ وأبو الروم بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَي أخو مصعب، وفِراس بن النضر بن الحارث بن علقمة بن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار. وقال أبو عمر في ترجمة أبي بكر ^(٢): مولى لبني عبد الدار؛ قال يقال: إنه من الأزْد كان ممن عذب في الله فلم يزل كذلك حتى كانت الهجرة الثانية مع أصحاب رسول الله ﷺ.

ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف، وعامر بن أبي وقاص، وأبو وقاص مالك بن وهيب، والمطلب بن أزهري بن عبد عوف، معه امرأته رملة بنت أبي عوف، ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب. قال أبو عمر بن عبد البر: وطليب بن أزهري بن عبد عوف وأخوه المطلب، هاجر مع أخيه إلى أرض الحبشة وبها ماتا جميعاً.

قال ابن هشام: ومن حلفائهم من هذيل: عبد الله بن مسعود، وأخوه عتبة بن مسعود.

ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة، وكان يقال له: المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة، ذلك أنه كان تبناه في الجاهلية وحالفه. حكاه ابن إسحاق.

ومن بني تميم بن مرة الحارث بن خالد بن صخر، معه امرأته رَيْطَة بنت الحارث بن جبيلة، ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحارث، وزينب بنت الحارث، وفاطمة بنت الحارث ^(٣)، وعمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة.

ومن بني مخزوم أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال، معه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة، ولدت له بأرض الحبشة زينب، وشماساً واسمع عثمان بن عثمان بن الشريد، وهَبَّار بن سفيان بن عبد الأسد، وأخوه عبد الله بن سفيان، وهشام بن أبي خديفة بن المغيرة، وسَلْمَة بن هشام بن المغيرة وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة. ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر - وهو الذي يقال له

(١) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٤٧، والاستيعاب، وابن كثير.

(٢) كذا بالأصل، ولم يعثر على هذا القول لابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب» في ترجمة أبي بكر.

(٣) زاد ابن هشام: «عائشة بنت الحارث».

عِيَهَامَة - ونسبه أبو عمر فقال: معتب بن عوف بن عمر بن الفضل بن عَفِيف بن كُليب ابن حبشية. قال ابن هشام، ويقال: حُبْشِيَّة ابن سلول، وهو الذي يقال له: معتب بن حمراء، وعَمَّار بن ياسر. ذكره أبو عمر، وشك فيه ابن هشام.

ومن بني جُمَح عثمان بن مَظْعُون، وابنه السائب بن عثمان، وأخوه قُدَامَة وعبد الله ابنا مظعون. قال أبو عمر: والسائب بن مظعون ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وهو أخو عثمان لأبويه، حكاه عن العدوي، قال ابن هشام: وحاطب بن الحرث بن مَعْمَر، معه امرأته فاطمة بنت المجلّل بن عبد الله، وابناه محمد والحارث، وقيل ولدا هناك، وأخوه حطاب^(١) بن الحارث معه امرأته فكيهة بنت يسار، وقيل: ولدت له ابنة محمداً هناك؛ وسفيان بن مَعْمَر بن حبيب معه ابناه: جابر وجنادة، ومعه امرأته أمهما حَسَنَة، وابنها شُرْحَبِيل ابن حسنة، وهو شُرْحَبِيل بن عبد الله أحد بني العَوْث بن مُرّ، وقال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: هو شرحبيل بن عبد الله من بني جُمَح، وعثمان بن ربيعة بن أَهْبَان بن وهب بن حذافة بن جمح. قال الواقدي: ونبيه بن عثمان بن ربيعة. والله أعلم.

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص: خُنيس بن حذافة، وعبد الله بن الحارث، وهشام بن العاص بن وائل، وقيس بن حذافة، وأبو قيس بن الحارث بن قيس، وعبد الله بن حذافة بن قيس، والحارث بن الحارث بن قيس، ومعمّر بن الحارث بن قيس، وبشر بن الحارث بن قيس، وأخ له من أمّه من بني تميم، يقال له: سَعِيد بن عمرو، وسعيد بن الحارث بن قيس، والسائب بن الحارث بن قيس. وقال أبو عمر: وتميم بن الحارث بن قيس، والحارث بن قيس بن عَدِيّ، وهو والد بشر والحارث، وعُمَيْر بن رثاب بن حذيفة، ومحمية بن جزء^(٢) حليف لهم من زُبَيْد.

ومن بني عديّ بن كعب معمّر بن عبد الله بن نُضْلَة، وعُروَة بن عبد العزّي، وعدي بن نُضْلَة وابنه النعمان، فمات عديّ بالحبشة، فورثه ابنه النعمان، وهو أول وارث في الإسلام، وعامر بن ربيعة حليف لآل الخطاب، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة.

ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رُهم بن عبد العزّي معه امرأته أم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو، وعبد الله بن مَخْرَمَة بن عبد العزّي، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس، وسَلِيط بن عمرو بن عبد شمس، وأخوه السكران بن عمرو،

(١) في الأصل: «خطاب» ويوافقه ابن كثير - والصواب عن ابن هشام والاستيعاب، وأسد الغابة.

(٢) في الأصل: «الحارث»، والتصويب عن ابن عبد البر.

معه امرأته سودة بنت زمعة، ومالك بن ربيعة بن قيس معه امرأته عمرة بنت السعدي، وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وسعد بن خولة حليف لهم من اليمن.

ومن بني الحارث بن فهر أبو عُبَيْدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وسُهَيْل بن وهب وهو ابن بَيْضَاء، وعمرو بن أبي سَرَح بن ربيعة، وعِيَاض بن زهير بن أبي شداد، وعمرو بن الحارث بن زُهير، وعثمان بن عبد غَنَم بن زهير، وسعد بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر، والحارث بن عبد قيس بن لَقِيط. وقال أبو عمر بن عبد البر: إن عبد الله بن عُرفطة بن عدي بن أمية بن خدادة بن عوف بن النجار بن الخزرج الأنصاري هاجر إلى أرض الحبشة مع جعفر بن أبي طالب، وهو حليف لبني الحارث بن الخزرج، وذكره ابن مَنْدَه^(١) أيضًا فجميع من هاجر على هذا الحكم بما فيه من زيادات ابن عبد البر؛ خلا أبناءهم الذين خرجوا معهم صغارًا، ومن ولد هناك أثنان وتسعون رجلًا، وثمانية عشرة امرأة، والأبناء الصغار سبعة. والله أعلم.

ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة، وطلبهم منه وإسلامه

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلْنَا أرض الحبشة جاوزنا بها خيرَ جار، النجاشي [أَمِنًا]^(٢) على ديننا، وعبدنا الله لا نُؤْذِي، ولا نَسْمَعُ شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا أئتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جُلْدَيْنِ^(٣)، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُسْتَطَرَفُ من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقه بطريقًا^(٤) إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، فلم يبق من بطارقه بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلمنا النجاشي، وقالوا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى^(٥) إلى بلد الملك مَنَّا غلمان سُفهاء فارقوا دين قومهم،

(١) ابن مَنْدَه: أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب ابن مندَه الأصفهاني، ولد سنة ٤٣٤، ومات سنة ٥١٢ بأصفهان. ابن خلكان (٥: ٢١٧).

(٢) الزيادة عن ابن هشام: ١: ٣٥٨.

(٣) الجُلْد: القوة والصبر.

(٤) البطريق: القائد.

(٥) ضوى: لجأ.

ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم لنردّهم إليهم، فإذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فقالوا: نعم، ثم إنهما قدّما هداياهما إلى النجاشي فقبلها، ثم كلّماه فقالا: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، جاءوا بدين أبدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائيرهم لتردّهم عليهم؛ فهم أعلى بهم عيّنًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله وعمره من أن يسمع إلى كلامهم النجاشي، فقالت بطارقتة: صدّقًا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عيّنًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، فأسلمنهم لهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم، قالت^(١): فغضب النجاشي وقال: لاها والله إذا لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي؛ حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهم، وأحسن جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب النبي ﷺ فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا أجبتموه، قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا نبينا؛ كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله؛ سألهم فقال: ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني؛ ولا في دين أحد من هذه الملل؟ فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب فقال: أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقتطع الأرحام، ونسوي الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة [و]^(٢) الأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرّحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة^(٣)، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام. قالت: فعّدّد عليه أمور الإسلام، فصدقناه، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله،

(١) في الأصل: «قال». والصواب عن (ابن هشام: ١: ٣٥٩).

(٢) ساقطة من الأصل.

(٣) المحصنة: المتزوجة.

فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا [ما]^(١) حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجبنا في جوارك ورَجّونا ألا نُظلم عندك أيها الملك، فقال النجاشي، هل معكم مما جاء به عن الله من شيء، قال: نعم، قال: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من ﴿كَهَيَّعَ﴾ [مريم: ١]، قال: فبكى والله النجاشي حتى اخضلت^(٢) لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إنطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون^(٣).

قالت: فلما خرجنا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لآتيته غداً عنهم بما أستأصل به خضراءهم^(٤)، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة: لا تفعل فإن لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرته أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ. قالت: ثم غدا عليه [من] الغد فقال: يا أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، فأرسل إليهم فسالهم عنه. قالت أم سلمة: لم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله كما قال الله، وما جاءنا به نبينا؛ كائناً في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا، نقول هو عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول^(٥)، قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، ثم أخذ منها عوداً، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ممّا قلت هذا العود، فناخرت^(٦) بطارقه من حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم، والله أنتم شيوم بأرضي - والشُيوم: الآمنون - من سبكم غريم، من سبكم غريم، من سبكم غريم! وما أحب أن لي دبّراً من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم - والدبّر بلسان الحبشة الجبل - ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد

(١) في الأصل: «مما» والصواب عن ابن هشام.

(٢) اخضلت: تبللت.

(٣) يكادون: يقهرون.

(٤) خضراءهم: حياتهم.

(٥) البتول: المنقطة عن الرجال، لا أرب لها فيهم (اللسان: بتل).

(٦) فناخرت: تكلمت بلغتهم.

عليّ ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت: فخرجنا من عنده مقبوحين^(١) مردودًا عليهما ما جاء به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار، حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة.

قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث^(٢) أم سلمة قال: هل تدري ما قوله: «ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه»؟ قلت: لا، قال: فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حدثتني أن أباه كان ملك قومه، ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلاً، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي، وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه من صلبه اثني عشر رجلاً يتوارثون^(٣) ملكه من بعده، فغدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينًا، ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما، فغلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه، قالت: والله لقد غلب^(٤) هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا قتلنا أجمعين، لقد عرف أننا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإننا قد خفناه على أنفسنا، قال: ويلكم! قتلتم أباه بالأمس وأقتله اليوم! بل أخرجته من دياركم، فخرجوا به إلى السوق؛ فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه في سفينته وانطلق به حتى إذا كان العشاء من ذلك اليوم؛ هاجت سحابة من سحاب الخريف، فخرج عمه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففرغ الحبشة إلى ولده، فإذا هو محقق ليس في ولده خير، فمرج^(٥) على الحبشة أمرهم، فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلّموا واللّه أن ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بعتم غدوة، فإن كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه، قال: فخرجوا في طلبه، فأخذوه من الرجل الذي باعوه له، ثم جاءوا به فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك وملكوه، فجاءهم التاجر الذي باعوه منه، فقال: إما أن تعطوني مالي، وإما أن أكلمه في ذلك، قالوا: لا نعطيك شيئا، قال: فإذا والله أكلمه، قالوا: فدونك. فجاء فجلس بين يديه، فقال: أيها الملك، ابتعت غلاما من قوم في السوق

(١) مقبوحين: محقرين.

(٢) في الأصل: «حدثت»، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل: «يتوارثوا» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «علمت»، والصواب عن (ابن هشام: ١: ٢٢٢).

(٥) حرج: التبس واختلط.

بستمائة درهم، فأسلموا إليّ غلامي، وأخذوا دراهمي، حتى إذا سرت بغلامي، أدركوني فأخذوه مني، ومنعوني دراهمي، فقال لهم النجاشي: لتعطته دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده؛ فليذهبن به حيث شاء، قالوا: بل نعطيه دراهمه. قالت: فلذلك يقول: «ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ ملكي، فأخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيع الناس فيه». قال: وكان ذلك أول ما خُبر من صلابته في دينه، وعدله في حكمه.

قال ابن إسحاق، وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه، قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزِمْتُ فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفِرْتُ فائتوا، ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعلها^(١) في قبائه^(٢) عند المنكب الأيمن^(٣)، وخرج إلى الحبشة وصدقوا له، فقال: يا معشر الحبشة، ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى؛ قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد، قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم، لم يزد على هذا شيئاً، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وأنصرفوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما مات النجاشي صلى عليه، وأستغفر له. وسنذكر إن شاء الله تعالى خبر إسلامه.

ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعز الإسلام بأحبّ الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو أبي جهل بن هشام»^(٤). وعن سعيد بن

(١) كذا في الأصل والذي في ابن هشام «جعل» وهو أظهر.

(٢) القباء: الثوب، وهو يشبه القمباز أو الزبون.

(٣) في الأصل: «اللاتي» وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (.... - ٢ هـ = - ٦٢٤ م) أشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، واحد من سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه. فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم» فدعاه المسلمون «أبا جهل». استمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشدها مع المشركين فكان من قتلها. (الأعلام: ٥: ٨٧).

المسيب^(١) قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب أو أبا جهل بن هشام قال: «اللهم أشدد دينك بأحبهما إليك» فشدد دينه بعمر، وعنه ﷺ: «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب».

قال ابن إسحاق ومحمد بن سعد في طبقاته: ليس بينهما تنافٍ إلا في مغايرة^(٢) بعض الألفاظ، أو زيادة أوردها أحدهما دون الآخر، ونحن نورد ما يتعين إirاده منها.

قالا: خرج عمر بن الخطاب متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطاً من أصحابه، قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عند الصفا، وهم قريب أربعين من بين رجالٍ ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وأبو بكر بن أبي قحافة، وعلي بن أبي طالب في رجالٍ من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبد الله النخام، وهو رجل من قومه من بني عدي بن كعب كان قد أسلم وهو يخفي إسلامه عن عمر، فقال: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمداً، هذا^(٣) الذي فرق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسب ألقتها فأقتله. فقال له نعيم: لقد غرّتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه؛ قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إن خنتك^(٤) وأختك قد صبّوا وتركوا دينك الذي أنت عليه.

قال ابن إسحاق: فقال له نعيم: أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأيّ أهل بيتي؟ قال: خنتك وأبن عمك سعيد بن زيد بن عمرو. وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه، فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامداً إلى أخته وخنته، وعندهما خباب بن الارت^(٥)، معه صحيفة فيها: ﴿طه﴾ يقرئهما إياها، فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب في مخدع لهم - أو في بعض البيت - وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، فلما دخل عمر قال: ما هذه

(١) سعيد بن المسيب: سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي (١٣ - ٩٤ هـ = ٦٣٤ - ٧١٣ م)، أبو محمد، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. توفي بالمدينة. (الأعلام: ٣: ١٠٢).

(٢) مغايرة: اختلاف.

(٣) رواية ابن هشام: «هذا الصابي الذي فرق أمر قريش».

(٤) الختن: الصهر.

(٥) خباب بن الارت: خباب بن جندلة بن سعد التميمي أبو يحيى أبو عبد الله: (.... - ٣٧ هـ = - ١٥٧ م). صحابي من السابقين، قيل أسلم سادس ستة، وهو أول من أظهر إسلامه.. شهد المشاهد كلها، ونزل الكوفة فمات فيها وهو ابن ٧٣ سنة. (الأعلام: ٢: ٣٠١).

الهيئمة^(١) التي سمعت؟ قالا: ما سمعت شيئاً، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما أتبعتما محمداً على دينه، فقال له ختته: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك! فوثب عمر على ختته فبطش به ووطئه وطمأ شديداً، فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجها^(٢)، فلما فعل ذلك قالا: نعم قد أسلمنا وآمنّا بالله ورسوله، فأصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فازعوى^(٣)، وقال [لأخته]^(٤): أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتمكم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به محمد - وكان عمر كاتباً - فقالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها، فطمعت في إسلامه وقالت له: يا أخي إنك نجس على شريكك، وإنه لا يمسه إلا الطاهر، فقام عمر فأغتسل، فأعطته الصحيفة وفيها طه^(٥)، فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب بن الارت خرج إليه، فقال له: يا عمر، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس يقول: «اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب»، فآله الله يا عمر! فقال له عمر: فدلّني على محمد حتى آتيه فأسلم؛ فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خلل الباب، فرآه وهو فزع، فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف، فقال حمزة: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: «إذن له» فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بخجزته - أو بمجمع رداءه - ثم جبهه جبذة شديدة، وقال: «ما جاء بك يا بن الخطاب؟»، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة^(٥)، قال أنس بن مالك^(٦) في روايته: «حتى ينزل الله بك من الخزي ما أنزل بالوليد بن المغيرة». فقال عمر: يا

(١) الهيئمة: الكلام الخفي الذي لا يفهم.

(٢) شج: شق.

(٣) ارعوى: كف.

(٤) التكملة عن ابن هشام (١: ٣٦٩).

(٥) قارعة: داهية.

(٦) أنس بن مالك: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي، الأنصاري، أبو ثمامة أو

أبو حمزة (١٠ ق هـ ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢ م) صاحب رسول الله ﷺ وخادمه.. مولده بالمدينة

وأسلم صغيراً وخدم النبي ﷺ إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها،

وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام: ٢: ٢٤).

رسول الله، جئتكم لأؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله، فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف بها أهل البيت أن عمر قد أسلم.

قال محمد بن سعد بن منيع في طبقاته: أسلم عمر بن الخطاب بعد أن دخل رسول الله ﷺ دار ابن الأرقم^(١) بعد أربعين أو نيف وأربعين من رجال ونساء قد أسلموا قبله.

وقال ابن المسيب: أسلم عمر بعد أربعين رجلاً وعشر نسوة.

وعن عبد الله بن ثعلبة قال: أسلم بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشر امرأة. ويرد هذه الأقوال أن إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة؛ وقد تضافرت الروايات أن أهل الهجرة كانوا أكثر من ثمانين رجلاً، ولعل إسلامه وقع وفي مكة ممن أسلم هذه العدة التي ذكرت؛ خلاف من هاجر إلى أرض الحبشة. والله أعلم.

قال ابن إسحاق: حدثني نافع^(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما أسلم عمر بن الخطاب قال: أي قريش أنقل للحديث؟ قيل: جميل بن مغمر الجُمحي^(٣) قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عمر: وغدوت معه أتبع أثره وأنظر ماذا يفعل وأنا غلام أعقل^(٤) كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال: أعلمت يا جميل أنني أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرّ رداءه، وأتبعه عمر وأتبعته أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صبا^(٥)، فيقول عمر من خلفه: كذبت، ولكني

(١) ابن الأرقم: في الأعلام: ١: ٢٨٨، أن الرسول دخل دار الأرقم وهو: الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي، أبو عبد الله صحابي رفيع الشأن، لم يسبقه إلى الإسلام غير ستة من الصحابة. كانت داره بمكة عند الصفا. تسمى «دار الإسلام» وفيها كان رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، وممن أسلم فيها عمر بن الخطاب. وشهد الأرقم المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ... توفي بالمدينة.

(٢) نافع: نافع المدني، أبو عبد الله (.... - ١١٧ هـ = ٧٣٥ م) من أئمة التابعين بالمدينة. وهو ديلمى الأصل، مجهول النسب، أصابه عبد الله بن عمر صغيراً في بعض مغازيه، ونشأ في المدينة. (الأعلام: ٨: ٥).

(٣) جميل بن معمر: جميل بن معمر هذا هو الذي يقال له: «ذو القلبين»، وفيه نزلت: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

وكيف تراني بالمدينة بعدما قضى وطراً منها جميل بن معمر

(٤) في الأصول: «أغيل» وهو تصحيف، والمثبت عن ابن هشام وابن كثير (٣: ٨١)، والمواهب (١: ٣٣٢).

(٥) صبا: خرج من دين إلى دين. وكانت تستعمل نعتاً للذين يعتنقون الإسلام.

أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلّح - يعني أعياناً - وقاموا على رأسه وهو يقول: إفعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله لو قد كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة جبرة^(١) وقميص موشى، حتى وقف عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، قال: فمّة! رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عديّ بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا! خلّوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط^(٢) عنه. قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبة، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك، جزاه الله خيراً؟ قال: ذاك العاص بن وائل السهمي^(٣)، لا جزاه الله خيراً.

قال عبد الله بن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً عند الكعبة وصلينا معه، وقال: إن إسلام عمر كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة.

وعن ضبيب بن سنان قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام، ودُعِيَ إلى الله علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت، وانتصفنا^(٤) ممن غلظ علينا ورددنا عليه بعض ما يأتي به.

وكان إسلام عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو أبن ست وعشرين سنة.

ذكر تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب

وانحياز بني هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب ودخولهم في شعبه

قال محمد بن إسحاق وغيره من أهل السير: لما رأت قريش أن أصحاب رسول

(١) الحبرة: ضرب من برود اليمن.

(٢) كشط: سقط.

(٣) العاص: العاصي (العاصي) بن وائل بن هاشم السهمي، من قريش أحد الحكام في الجاهلية. أدرك الإسلام وظل على الشرك. وكان على رأس بني سهم في حرب الفجار - ٣٣ ق هـ، ٥٥١ م. وهو الذي منع عمر بن الخطاب من قريش حين أظهر عمر الإسلام. وهلاك العاص حوالي سنة ٦٢٠ م وكان ذلك في الأبواء بين مكة والمدينة. وهو والد عمر بن العاص (الأعلام: ٣: ٢٤٧).

(٤) انتصفنا: أخذنا حقنا.

الله ﷺ قد نزلوا بلدًا أصابوا فيه أُمْنًا وقرارًا، وأن النجاشي قد أكرمهم، ومنع من [لجأ إليه] ^(١) منهم، وأن عمر قد أسلم قبله حمزة بن عبد المطلب، وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا وأثتمروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب؛ على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ^(٢)، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفة، ثم تعاهدوا وتعاقدوا وتوافقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة ^(٣) منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي؛ ويقال: عمه بغيض ابن عامر، قاله الزبير وابن الكلبي؛ - ويقال: النضر بن الحارث - فشلت يده.

قال محمد بن عمر بن واقد: وحصروا بني هاشم في شعب ^(٤) أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من نبوة رسول الله ﷺ، وأنحاز بنو المطلب إلى أبي طالب في شعبه مع بني هاشم، وخرج أبو لهب إلى قريش، وظاهرهم ^(٥) على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم الميرة ^(٦) والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم، حتى بلغهم الجهد، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، فمن قريش من سره ذلك، ومنهم من ساءه، وقال: انظروا ما أصاب كاتب الصحيفة! فأقاموا في الشعب ثلاث سنين، ثم أطلع الله نبيه ﷺ على أمر صحيفةهم، وأن الأرضة ^(٧) قد أكلت ما فيها من جور وظلم، وبقي ما كان فيها من ذكر الله.

قال: فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبي طالب، فذكر ذلك أبو طالب لإخوته، وخرجوا إلى المسجد، فقال أبو طالب لكفار قريش: إن ابن أخي قد أخبرني - ولم يكذبني قط - أن الله سلط على صحيفةكم الأرضة فلحست ما كان فيها من جور أو ظلم أو قطيعة رحم، وبقي فيها ما ذكر به الله، فإن كان ابن أخي صادقًا نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذبًا دفعته إليكم فقتلتموه أو أستحييتُموه. قالوا: قد أنصفتنا،

(١) الزيادة عن ابن هشام.

(٢) ينكحوهم: يزوجهم.

(٣) أكثر المصادر على أن كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة. وفي المواهب: أنه هشام بن عمرو بن الحارث، وقيل: طلحة بن أبي طلحة، وقيل: منصور بن شرحبيل. راجع ابن هشام (١: ٣٧٥)، والسيرة الحلبية (١: ٣٦٦)، وعيون الأثر: (١: ١٢٦)، والديار بكرى (١: ٢٩٧)، والبداية (٣: ٩٦)، والمواهب: (١: ٣٣٥).

(٤) ويعرف بشعب أبي يوسف، انظر معجم البلدان.

(٥) ظاهرهم: ساعدتهم.

(٦) الميرة: الطعام.

(٧) الأرضة: دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع (اللسان: أرض).

فأرسلوا إلى الصحيفة ففتحوها. فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فسُقِطَ في أيديهم، ونُكِسوا على رؤوسهم، فقال أبو طالب: علام نُخبس ونُحصر وقد بان الأمر؟! ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة والكعبة، فقال: اللهم أنصرنا على مَنْ ظلمنا، وقطع أرحامنا، وأستحل ما يحرم عليه منا. ثم أنصرفوا إلى الشعب. وتلاوم رجال من قريش على ما صنعوا ببني هاشم: فيهم مُطْعِم بن عديّ، وعدي بن قيس، وزمعة بن الأسود، وأبو البختريّ بن هشام، وزهير بن أبي أمية، ولبسوا السلاح؛ ثم خرجوا إلى بني هاشم وبني المطلب، فأمرهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا، وكان خروجهم من الشعب في السنة العاشرة من النبوة، وقيل: كان مُكث رسول الله ﷺ وأصحابه في الشعب سنتين.

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام، عن أبي عبد الله محمد بن إسحاق - رحمه الله - في سبب نقض الصحيفة غير ما قدّمناه مما حكاه محمد بن سعد عن الواقدي.

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر من شدة ما لاقاه أصحاب رسول الله ﷺ في الشعب من الضائقة ما ذكر: ثم إنه قام في نقض الصحيفة - التي تكاثبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب - نفّر من قريش، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو^(١) بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي، وذلك أنه كان ابن أخي نُضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه، وكان هشام لبني هاشم واصلًا، وكان ذا شرف في قومه، فكان يأتي بالبعير وبني هاشم وبني المطلب في الشعب ليلاً، وقد أوقره^(٢) طعامًا، حت إذا أقبله فَم الشعب خلع خطامه^(٣) من رأسه، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم، ويأتي به قد أوقره بُرًا^(٤)، فيفعل به مثل ذلك.

قال: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي - وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال: يا زهير، وقد رضيت أنا نأكل الطعام ونلبس الثياب، وننكح النساء، وأحوالك حيث قد علمت لا يبتاعون ولا يُبتاع منهم، ولا يَنكِحُون ولا يُنكح إليهم، أما إنني أحلف بالله أن لو كانوا أحوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى

(١) في الأصل: «عمر» والصواب عن ابن هشام، والمواهب، وعيون الأثر، والاستيعاب.

(٢) أوقره: حمّله.

(٣) الخطام: المقود.

(٤) البر: القمح.

مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدًا، قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمّت في نقضها حتى أنقضها^(١)؛ قال: قد وجدت رجلًا، قال: من هو؟ قال: أنا؛ قال له زهير، إينما ثالثًا، فذهب إلى المطعم ابن عديّ فقال له: يا مطعم أقدر رضىت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما والله لئن أمكتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سرعًا؛ قال: ويحك، فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيًا، قال: من هو؟ قال: أنا، قال: إينما ثالثًا، قال: قد فعلت، قال: من هو؟ قال: زهير، قال: إينما رابعًا، قال: فذهب إلى أبي البختريّ بن هشام فقال له نحوًا مما قال لمطعم، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم، قال: فمن هو؟ قال زهير والمطعم وأنا معك، قال: إينما خامسًا، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقّهم، فقال: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمّى له القوم، فأتعدوا خطم الحجون^(٢) ليلاً بأعلى مكة، فاجتمعوا هناك وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها.

وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أوّل من يتكلم. فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعا، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أناكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلّكي لا يبتاعون ولا يبتاع منهم! والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. فقال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد -: كذبت، والله لا تُشقّ! قال^(٣) زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت، قال أبو البختريّ: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرّ به، قال المطعم: صدقتما وكذب من قال غير ذلك؛ نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها!

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وتشوّر فيه بغير هذا المكان^(٤) - وأبو طالب جالس في ناحية المسجد - وقام المطعم إلى الصحيفة ليشقّها فوجد الأرضة قد أكلتها، إلا «باسمك اللهم».

ثم حكى ابن هشام نحوًا ممّا ذكره الواقدي من خبرها على ما قدّمناه، وأن

(١) أنقضها: ارتد عنها.

(٢) هكذا في الأصل. وخطم الحجون: أنفه النادر منه؛ والذي في ابن هشام والبداية بالمهملة. والحطم: الموقع الذي حطم منه، أي ثلم فبقي منقطعًا.

(٣) في الأصل: «على» وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «تشوّر فيه»؛ وهو تحريف.

أولئك الرهط الذين ذكرناهم صنعوا ما صنعوا مما ذكرناه بعد كلام أبي طالب . والله تعالى أعلم .

ذكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها ، وكيف دخلوا مكة

قال ابن إسحاق رحمهما الله : وبلغ أصحاب رسول الله ﷺ الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلامهم كان باطلاً ، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوارٍ أو مُستخفياً . فكان من قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد بَدْرًا وأحداً ، ومن حبس عنه حتى فاته ذلك .

ومن مات منهم بمكة من بني عبد شمس : عثمان بن عفان معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، معه امرأته سهلة بنت سهيل .

ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رثاب .

ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم .

ومن بني أسد بن عبد العزى الزبير بن العوام .

ومن بني عبد الدار مُضْعَب بن عمير ، وسُوَيْبِط بن سعد .

ومن بني عبد [بن] قصي طَلَيْب بن عمير .

ومن بني زُهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف ، والمقداد بن عمرو ؛ حليف لهم ، وعبد الله بن مسعود ؛ حليف لهم .

ومن بني مَخْزُوم أبو سَلَمَةَ بن عبد الأسد ؛ ومعه امرأته أم سَلَمَةَ ، وشَمَّاس بن عثمان ، وسَلَمَةُ بن هشام ، حبسه عمه بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق ، وعَيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة ، ومن حلفائهم عَمَّار بن ياسر^(١) ، ومُعْتَب بن عوف من خزاعة .

ومن بني جُمَح عُثْمَان بن مظعون وأبنة السائب بن عثمان ، وقُدَّامَة وعبد الله أبنا مظعون .

ومن بني سَهْم حُنَيْس بن حُذَافَة ، وهشام بن العاص بن وائل ؛ حبس بمكة فلم يهاجر إلا بعد الخندق .

ومن بني عَدِيّ بن كعب عامر بن ربيعة حليف لهم ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمَة .

(١) في ابن هشام ما نصه : «إن عماراً يشك فيه ، أكان خرج إلى الحبشة أم لا» .

ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن مخرمة، وعبد الله بن سهيل بن عمرو. حبس بعد الهجرة، فلما كان يوم بدر أنحاز من المشركين إلى رسول الله ﷺ، وأبو سبرة بن أبي رهم، معه امرأته أم كلثوم، والسكران بن عمرو معه امرأته سودة بنت زمعة؛ مات بمكة قبل الهجرة، ومن حلفائهم سعد بن خولة.

ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زهير، وسهيل بن بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال.

فجميع من قدم مكة ثلاثة وثلاثون رجلاً، فكان من دخل منهم بجوار عثمان ابن مظعون دخل بجوار من الوليد بن المغيرة، فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد، قال: والله إن غدوي ورواحي آمنًا بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفث ذمتك، وقد رددت إليك جوارك؛ فقال له: يا بن أخي، لعله أذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره. قال: فأنطلق إلى المسجد فردّ عليّ جوارى علانية، كما أجرتك علانية، فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرّد عليّ جوارى، قال: صدق، وجدته كريماً وفيّ الجوار، ولكنني أحببت ألا أستجير بغير الله، فقد رددت جواره، ثم انصرف عثمان.

وأبو سلمة بن عبد الأسد دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب، فمشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا: يا أبا طالب، منعت منا ابن أخيك محمداً؛ فما لك ولصاحبنا تمنعه منا! قال: إنه استجار بي؛ وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخى، فقام أبو لهب فقال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ، ما تزالون تؤثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهّن عنه أو لتقومنّ معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد، فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة. قال: وأقام بقيتهم بأرض الحبشة إلى سنة سبع من الهجرة، فقدموا بعد فتح خيبر، وقد رأينا أن نذكرهم في هذا الموضع؛ لتكون أخبارهم متوالية.

ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله ﷺ وهو بخيبر،

ومن قدم بعد ذلك ومن هلك منهم هناك

قال ابن إسحاق: كان من قدم منهم إلى خيبر في سنة سبع من الهجرة مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في السفينتين ستة عشر رجلاً، وهم من بني هاشم بن عبد مناف: جعفر بن أبي طالب، معه امرأته أسماء بنت عميس، وابنه عبد الله؛ ولد بأرض الحبشة.

ومن بني عبد شمس خالد بن سعيد بن العاص، معه امرأته أمينة بنت خلف، وابناه سعيد بن خالد، وأمة بنت خالد؛ ولدتهما بأرض الحبشة، وأخوه عمرو بن سعيد، ومعقيب^(١) بن أبي فاطمة، وأبو موسى الأشعري؛ واسمه عبد الله بن قيس.

ومن بني أسد الأسود بن نوفل بن خويلد.

ومن بني عبد الدار [بن]^(٢) قُصَي جَهم بن قيس، معه ابنه عمرو بن جَهم وخزيمة بنت جَهم، وكانت معه امرأته أم حَزْملة بنت عبد الأسود؛ هلكت بأرض الحبشة.

ومن بني زهرة بن كلاب عامر بن أبي وقاص، وعُتْبة بن مسعود حليف لهم من هذيل.

ومن بني تيم بن مُرة الحارث بن خالد بن صخر، هلكت امرأته رَيْطَة بالحبشة.

ومن بني جُمح عثمان بن ربيعة بن أهبان.

ومن بني سَهم مَحْمِية بن الجَزء حليف لهم من بني زُبيد.

ومن بني عَدِي بن كعب مَعْمَر بن عبد الله بن نُضلة.

ومن بني عامر بن لؤي أبو حاطب بن عمرو، ومالك بن ربيعة: معه امرأته عَمرة بنت السعدي.

ومن بني الحارث بن فُهر الحارث بن [عبد]^(٣) قيس بن لقيط، وحمل معهم نساء من نساء من هلك هناك.

هؤلاء الذين قدِموا مع جعفر في السفينتين. وقدم بعد ذلك ستة وعشرون رجلاً، وهم:

من بني أمية قيس بن عبد الله الأسدي، أسد خزيمة، حليف لهم.

ومن بني أسد يزيد بن زَمعة بن الأسود، قتل يوم حُنين شهيداً.

ومن بني عبد الدار: أبو الروم بن عُمير، وفِراس بن النضر بن الحارث بن كَلدة.

ومن بني تيم بن مرة عمرو بن عثمان بن عمرو.

ومن بني مخزوم هَبَار بن سفيان، وأخوه عبد الله، وهشام بن أبي حذيفة بن

المغيرة.

(١) في الأصل: «معشيب» والمثبت عن ابن هشام (٤: ٤).

(٢) ساقطة من الأصل: وما أثبتناه عن ابن هشام.

(٣) الزيادة عن ابن هشام.

ومن بني جُمح سفيان بن مَعمر، وأبناه جُنادة وجابر، وأُمهما حَسنة، وأخوهما لأبيهما شَرخيل ابن حَسنة.

ومن بني سهم قيس بن حذافة بن قيس، وأبو قيس بن الحارث بن قيس، وبشر بن الحارث بن قيس، وأخ له من أمه من بني تميم يقال له: سعيد بن عمرو. وسعيد بن الحارث بن قيس، والسائب بن الحارث بن قيس، وعُمير بن رثاب بن حذيفة.

ومن بني عامر بن لؤي سَلِيط بن عمرو.

ومن بني الحارث بن فهر عثمان بن عبد غنم، وسعيد^(١) بن عبد قيس بن لقيط، وعياض بن زهير بن أبي شَداد.

وهلك بأرض الحبشة ممن هاجر إليها ثمانية، وهم:

من بني عبد شمس، من حلفائهم عبيد الله بن جحش بن رثاب، تنصّر ومات بأرض الحبشة نصرانيًا، وكانت معه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فخلف عليها رسول الله ﷺ.

ومن بني أسد عمرو بن أمية بن الحارث.

ومن بني زهرة بن كلاب المطلب بن أزهر بن عوف، ومعه امرأته رملة بنت أبي عوف، فولدت له هناك عبد الله بن المطلب.

ومن بني جُمح حاطب بن الحارث بن مَعمر، وكانت معه امرأته فاطمة بنت المحلل^(٢) بن عبد الله، وابناه محمد والحارث، فقدمت امرأته وابناه مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في أحد^(٣) السفينتين، وأخوه حطاب بن الحارث، وكان معه امرأته فُكيهة بنت يسار قدمن مع جعفر أيضًا.

ومن بني سهم عبد الله بن الحارث بن قيس.

ومن بني عديّ بن كعب عُروة بن عبد العزّي بن حُرثان، وكان مع عديّ ابنه النعمان، فقدم مع من قدم من المسلمين.

فهؤلاء الذين ذكرناهم هم الذين ذكرهم ابن إسحاق، وعدّهم أنهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة، وحصر عدّتهم كما تقدّم. وأمّا من ذكرنا ممن ذكر أبو عمر

(١) ويقال فيه: «سعد» كما في ابن هشام والاستيعاب.

(٢) في بعض نسخ ابن هشام وأسد الغابة «المجلل» بالجيم.

(٣) إحدى.

يوسف بن عبد البر في كتابه أنهم ممن هاجر إلى أرض الحبشة فلم نقف على تاريخ عودهم فنذكره.

ذكر من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزل فيهم

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: ولما حمى الله تعالى رسوله ﷺ من قريش ومنعه منها، وقام عمه أبو طالب وقومه من بني هاشم وبني عبد المطلب دونه، وحالوا بينهم وبين ما أرادوا من البطش به، جعلت قريش يهزونه ويستهزئون به ويخاصمونه، والقرآن ينزل فيهم، منهم من سماه الله تعالى، ومنهم من نزل فيه في عامة من ذكر الله من الكفار.

فكان من سمي ممن نزل فيه القرآن أبو لهب بن عبد المطلب، وأمراته أم جميل بنت حرب بن أمية، حمالة الحطب، فأنزل الله فيهما قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝﴾ [المسد: ١-٥]، قال: وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ.

[قال ابن إسحاق: فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب، حين سمعت ما أنزل فيها، وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ] ^(١) وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وفي يدها فهر ^(٢) من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إنني لشاعرة: [من الرجز]

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا

* وَدِينَهُ قَلَيْنَا ^(٣) *

ثم أنصرفت.

قال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأيتك؟ قال: ما رأيتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

(١) الزيادة عن ابن هشام: (١ : ٣٨١).

(٢) الفهر: الحجر.

(٣) قلينا: تنكرنا له.

وأمية بن خلف بن وهب الجُمَحِيّ؛ كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ، فأنزل الله تعالى فيه قوله: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ هَمْزٍ لَمْرَفَةً ۝﴾ [الهمزة: ١٠٤]، السورة كلها.

قال ابن هشام: الهمزة: الذي يَشْتُم الرجل علانية، ويكسِر عينه عليه ويغْمِز به. واللمزة: الذي يعيب الناس سرًّا ويؤذيهم.

والعاص بن وائل السهمي؛ كان إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتَر لا عقب له، لو قد مات أنقطع ذكره واسترحم منه، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر: ١-٣].

والكوثر: ماء هو خير من الدنيا وما فيها؛ وقيل: الكوثر: العظيم، وقيل: الخير الكثير.

وسئل رسول الله ﷺ: ما الكوثر الذي أعطاك الله؟ فقال: نهر في الجنة كما بين صنعاء إلى أيلة^(١)، آنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً، وأنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۝﴾، إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۝﴾ [مريم: ٧٧-٨٠]، وكان سبب ذلك أن خَبَاب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ كان نشأ بمكة يعمل السيوف، وكان قد باع من العاص بن وائل السهمي سيوفاً عملها له؛ حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال: يا خَبَاب، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما أبتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم! قال خباب: بلى، قال: فأنظرني إلى يوم القيامة حتى أرجع من تلك الدار؛ فأفضيك هناك حقك، فوالله لا تكون أنت وأصحابك أثر عند الله مني، ولا أعظم حظاً في ذلك، فأنزل الله ذلك فيه.

وأبو جهل بن هشام؛ لقي رسول الله ﷺ فقال له: والله يا محمد لتتركن سب آلِهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۝﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فكف رسول الله ﷺ عن سب آلِهتهم، وجعل يدعوهم إلى الله.

ولما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفاً لهم قال أبو جهل: يا معشر قريش، هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد؟ قالوا: لا، قال: عَجْوَة^(٢) يثرب

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: من أول الحجاز وآخر الشام؛ سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام (معجم البلدان).

(٢) العجوة: الغذاء.

بالزُّيد، والله لئن استمكننا منها لنزقمنها، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ۖ طَعَامُ الْأَثِيرِ ۚ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۖ﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، أي ليس كما يقول.

والنضر بن الحارث بن كَلْدَة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ؛ كان إذا جلس رسول الله ﷺ مجلساً فدعا فيه إلى الله، وتلا فيه القرآن وحذر فيه قريشاً ما أصاب الأمم الخالية، خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم وملوك الفرس وإسفينديار، ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين أكتبها كما أكتبتها، فأنزل الله فيه: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّكُمْ كَانَتْ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ﴾ [الفرقان: ٥-٦]. وأنزل فيه: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۖ﴾ [القلم: ١٥]. ونزل فيه: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٍ ۖ﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةً بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۖ﴾ [الجاثية: ٧-٨]، والأفَّاك: الكذاب.

قال: وجلس رسول الله ﷺ يوماً مع الوليد بن المغيرة في المسجد، فجاء النضر ابن الحارث حتى جلس معهما، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ؛ فعرض له النضر فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ۚ﴾ لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ۖ﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ۖ﴾ [الأنبياء: ٩٨-١٠٠]، ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد الله بن الزُّبَيْرِ السهمي حتى جلس، فقال له الوليد بن المغيرة: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم! فقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ: أما والله لو وجدته لخصمته، فسألوا محمداً: أكل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيْرًا، والنصارى تعبد عيسى ابن مريم، فعجب الوليد ومن كان حضر معه في المجلس من قول عبد الله، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع مَنْ عبده، إنهم إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرتهم بعبادته»، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۖ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ۖ﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٢]، أي عيسى ابن مريم، وعُزَيْر ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله.

ونزل فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة، وأنها بنات الله قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا

أَتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾، إلى قوله: ﴿وَإِنْ يَنْزِلُ إِلَهُكَ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

ونزل فيما ذكر من أمر عيسى عليه السلام أنه يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعَجَبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ حَضَرَ مِنْ حَجَّتِهِ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]، أي يصدّون عن أمرك، ثم ذكر عيسى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩] وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُمْ لَعَالَمٌ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُكَ بِهَا [الزخرف: ٥٩ - ٦١]، أي ما وضعت على يديه من الآيات من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، فكفى به دليلاً على علم الساعة، يقول: ﴿فَلَا تَمْتَرُكَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، حليف بني زهرة، وكان من أشرف القوم، وممن يستمع منه، فكان يُصِيبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ويردّ عليه، فأنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [الأنعام: ١٠] إلى قوله: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ [القلم: ١٠ - ٣١]، والزَّيْمُ: العديد^(١) للقوم.

والوليد بن المغيرة قال: أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأُتْرِكَ! وأنا لبيب قريش وسيدها! ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ونحن عظيمي القريتين! فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٠] أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الأنعام: ١٠] إلى قوله: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمَح، وعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ - وكانا متصافيين حسناً ما بينهما - فجلس عُقْبَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وسمع منه، فبلغ ذلك أَيْبًا، فَأَتَى عُقْبَةُ فَقَالَ: أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ جَالِسَتْ مُحَمَّدًا وَسَمِعْتَ مِنْهُ! ثُمَّ قَالَ: وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ أَكَلِمَكَ - وَأَسْتَغْلِظُ مِنَ الْيَمِينِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ، أَوْ لَمْ تَأْتِهِ فَتَتَفَلَّ^(٢) فِي وَجْهِهِ. ففعل عدوّ الله عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فأنزل الله فيهما: ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنُنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سِيلًا﴾ [الأنعام: ٢٧] يَوَلَّتْنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]. ومشى أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ بعظم بالٍ قد أَرَفَتْ^(٣)؛

(١) العديد: الرجل يدخل نفسه في قبيلة ليعد منها، وليس له فيها عشيرة.

(٢) تفل: بصق.

(٣) أرفط: تكسر وتفتت.

فقال: يا محمد، أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعدما أرى؟ ثم فته بيده ونفخه في الريح نحو النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك النار»، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۖ (٧٨) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ۖ﴾ [يس: ٧٨ - ٨٠].

وأعترض رسول الله ﷺ وهو يطوف بالكعبة الأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة، وأممية بن خلف، والعاص بن وائل - وكانوا ذوي أسنان^(١) في قومهم - فقالوا: يا محمد؛ هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد؛ فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَكْفُرُونَ ۖ لَا آعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ [الكافرون: ١، ٢]... السورة.

ودعا رسول الله ﷺ قومه إلى الإسلام، وكلمهم فأبلغ، فقال له زُمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث والأسود بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس؛ ويرى معك! فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۚ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ۚ﴾ [الأنعام: ٨، ٩]. والله المستعان.

ذكر خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة وعوده، وجواره وردّه الجوار

قال: وكان أبو بكر رضي الله عنه كما روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها ما أصابه من الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فأذن له، فخرج أبو بكر مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغمة^(٢)، ويقال فيه: الدغينة - أخو بني الحارث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبني المضطلق بن خزاعة، تحالفوا جميعاً فسَمَوْا الأحابيش^(٣)

(١) أسنان: مقام - مكانة.

(٢) هو مالك بن الدغنة سيد الأحابيش.

(٣) يقال: إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشي، فاشتق لهم منه هذا الاسم. راجع الروض الأنف: ١.

للجلف - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي وآذوني وضيقوا عليّ، قال: ولم؟ فوالله إنك لتزبن العشيرة، وتعين على النوائب، وتفعل المعروف، وتكسب المعدوم، ارجع وأنت في جوارى، فرجع معه حتى إذا دخل مكة، قام ابن الدغنة فقال: يا معشر قريش، إني قد أجرت بن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير؛ فكفوا عنه.

قال: وكان لأبي بكر مسجد على باب داره في بني جُمَح، فكان يصلي فيه، وكان رجلاً رقيقاً؛ إذا قرأ القرآن أستبكى، فتقف عليه الصبيان والعبيد والنساء فيعجبون لما يرون من هيئته، فمشى من قريش إلى ابن الدغنة رجال فقالوا: إنك لم تُجر هذا الرجل ليؤذينا، إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق، ونحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا^(١) أن يفتنهم، فأتته فمُرّه أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء.

قالت: فمشى ابن الدغنة إليه فقال: يا أبا بكر، إني لم أجرك لتؤذي قومك إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به، وتأذوا بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت. قال: أو أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟ قال: فاردد عليّ جوارى، قال: قد رددته عليك، فقام ابن الدغنة، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أبي قحافة قد رد عليّ جوارى فشأنكم بصاحبكم.

ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ومشي أشرف قريش إليه في مرضه، وما قالوه وأنزل فيهم

كانت وفاة أبي طالب بعد نقض الصحيفة، وخروج بني هاشم وبني المطلب من الشَّعْب بثمانية أشهرٍ وأحدٍ وعشرين يوماً، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام. حكاه الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي^(٢) رحمه الله في مختصر السيرة النبوية.

وقال محمد بن سعد: كان بينهما شهر وخمسة أيام^(٣).

قال^(٤) محمد بن إسحاق: لما أشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله، فمشى إليه أشرف قريش وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وأمّية بن

(١) ضعفتنا: بسطائنا.

(٢) عبد المؤمن بن خلف: عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي أبو محمد، شرف الدين: (٦١٣ - ٧٠٥ هـ = ١٢١٧ - ١٣٠٦ م) حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. (الأعلام: ١٦٩).

(٣) ابن سعد: ١: ١٤١.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢: ٥٨.

خَلَفَ، وأبو سفيان بن حرب^(١) في رجالٍ من أشرفهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك مِنَّا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فأدعه فخذ له مِنَّا، وخذ لنا منه، ليكف عنا ونكف عنه، وليدعنا وديننا، وندعه ودينه.

فبعث إليه فجاءه فقال له: يا بن أخي هؤلاء أشرف قومك قد اجتمعوا لك، ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: «كلمة^(٢) واحدة يملكون بها العرب، وتدين لهم بها العجم» فقال أبو جهل: نعم وأبيك وعشر كلمات، فقال: «تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه»، قال: فصفقوا بأيديهم، وقالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن أمرك لعجب! ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئاً مما تريدون، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه، ثم تفرقوا. فقال أبو طالب: والله ما رأيتك سألتهم شططاً.

قال: فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله ﷺ فيه^(٣)، فجعل يقول له: «يا عم فأنت فقلها؛ استحل بها لك الشفاعة يوم القيامة»، قال: يا بن أخي لولا مخافة السُّبَّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أنني قتلها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

قال ابن عباس: فلما تقارب من أبي طالب الموت، نظر العباس إليه يحرك شفّتيه، فأصغى إليه بأذنه، فقال: يا بن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها، فقال رسول الله ﷺ: «لم أسمع» ثم هلك أبو طالب. والذي ورد في الصحيح: أن آخر ما سمع من أبي طالب؛ هو على دين عبد المطلب.

قال ابن إسحاق: وأنزل الله في الرهط الذين اجتمعوا إلى أبي طالب وقالوا ما قالوا، قوله تعالى: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ① بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّ وَشِقَاقٍ ② كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَجِئْ مِنْهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَجَرٌ

(١) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٧ ق هـ - ٣١ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٢ م) صحابي، من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). توفي بالمدينة، وقيل: بالشام. (الأعلام: ٣: ٢٠١).

(٢) في ابن هشام: ٢: ٥٩، «نعم، كلمة واحدة تعطونيها؛ تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم».

(٣) في ابن هشام: ٢: ٥٩: «في إسلامه».

كَذَّابٌ ﴿١﴾ أَحْمَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٢﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٣﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْلَاقٌ ﴿٤﴾ [ص: ١-٧]. قال: يريدون بالملة الآخرة النصارى؛ لقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

ذكر وفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها

كانت وفاة خديجة رضي الله عنها بعد وفاة أبي طالب كما تقدم، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على ما صححه الشيخ شرف الدين الدمياطي رحمه الله في مختصر السيرة النبوية، قال:

وبقيت عند رسول الله ﷺ قبل الوحي خمس عشرة سنة، وبعده تسع سنين وثمانية أشهر، وهي أول من أسلم من النساء بلا خلاف، ولعلها أول من أسلم من الناس، وكانت لرسول الله ﷺ وزير صدق. روي أن آدم عليه السلام قال: «إني لسيد البشر يوم القيامة إلا رجل من ذريتي فضل عليّ باثنين؛ كانت زوجته عوناً له، وكانت زوجتي عوناً عليّ، وأعانه الله على شيطانه فأسلم، وكفر شيطاني». وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»، قالوا: والقصب ها هنا: اللؤلؤ. ودفنت خديجة بالحجون، ولم تكن شرعت الصلاة على الميت بعد. والله أعلم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف، وعوده إلى مكة

قال: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تناله في حياته عمه.

قال محمد بن سعد^(١): فبلغ ذلك أبا لهب، فجاءه فقال: يا محمد، إمض لما أردت وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنعه، لا واللات، لا يوصل إليك حتى أموت. قال: وسبّ ابن الغيطلة النبي ﷺ، فأقبل عليه أبو لهب فنال منه، فولّى وهو يصيح: يا معشر قريش، صَبِّأُ أَبُو عُتْبَةَ، فأقبلت قريش حتى وقفوا على أبي لهب فقال: ما فارقْتُ دين عبد المطلب، ولكنني أُمْنَعُ ابْنَ أَخِي أَنْ يُضَامَ، حتى يمضي لما يريد، قالوا: قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم، فلبث رسول الله ﷺ كذلك أياماً يذهب ويأتي، ولا يعترض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عُتْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ،

وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب فقالا: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقالا^(١) له: يا محمد أين مدخل عبد المطلب؟ قال: «مع قومه»، فخرج أبو لهب إليهما فقال: قد سألته فقال: «مع قومه»، فقالا: يزعم أنه في النار، فقالا: يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال «نعم، ومن مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب دخل النار». فقال أبو لهب: والله لا برحت لك عدوًا أبدًا، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار، فاشتد عليه هو وسائر قريش، فخرج رسول الله ﷺ إلى الطائف^(٢).

قال محمد بن سعد: خرج ومعه زيد بن حارثة، وذلك في ليال بقين من شوال سنة عشر من حين النبوة، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحدًا من أشrafهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه، وخافوا على أحداثهم^(٣)، فقالوا: يا محمد، أخرج من بلدنا والحق بمجانبك^(٤) من الأرض. وأغروا به سفهائهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله ﷺ لتدميان، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه. حتى لقد شج في رأسه شجًا^(٥)، فانصرف رسول الله ﷺ من الطائف راجعًا إلى مكة وهو محزون، لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة.

وقال ابن إسحاق^(٦): لما أغروا به سفهاءهم، لجأ رسول الله ﷺ إلى حائط^(٧) لعُتبة وشيبة ابني ربيعة، فجلس في ظل حَبْلَة^(٨)، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، فتحركت له رحمتهم، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له عَدَّاس، فقالا له: خذ قِطْفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عَدَّاس، ثم أقبل حتى وضعه بين يديه ﷺ، وقال له: كُلْ فقال رسول الله ﷺ: «بسم الله» فأكل، فنظر عَدَّاس إليه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عَدَّاس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نِيْنَوَى^(٩)»، فقال له: «أمن قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى؟ فقال عَدَّاس: وما يدريك ما يونس؟ قال: «ذاك أخي، كان نبيا

(١) في الأصل: «فقال» والمثبت عن ابن سعد: ١: ١٤٢.

(٢) اسم مدينة، وهي بلاد ثقيف.

(٣) الحدث: الطفل الذي لم يبلغ.

(٤) في السيرة الحلبية: ١: ٣٨٥: «بمنجاتك».

(٥) شجًا: جروح.

(٦) ابن هشام: ٢: ٦١.

(٧) الحائط: البستان إذا كان عليه جدار.

(٨) الحَبْلَة: شجرة العنب.

(٩) نينوى: من قرى الموصل.

وأنا نبي»، فأقبل عَدَّاس على رسول الله ﷺ يُقَبِّلُ رأسه وقدميه ويديه، فقال أحد أبنِي ربيعة لصاحبه: أَمَا غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عَدَّاس قالَا له: ويلك! ما لك تُقَبِّلُ رأس هذا الرجل ويديه وقدميه! قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا العبد، لقد أخبرني بأمرٍ ما يعلمه إلا نبي، قالَا: ويحك يا عَدَّاس! لا يصرفتك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

قال: ثم أنصرف رسول الله ﷺ راجعًا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بَنَخْلَةَ^(١) أتاه جنّ نصيبين^(٢)، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار الوفود على رسول الله ﷺ على ما تقف عليه هناك، وهو في آخر وفادات العرب.

قال: وأقام رسول الله ﷺ بَنَخْلَةَ أيامًا، فقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم أخرجوك؟ فقال: «يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فَرَجًا ومخرجًا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه»، ثم أنتهى إلى جرّاء، فأرسل رجلًا من خُزاعة إلى مُطْعِم بن عديّ يقول: «أدخل في جوارك؟» فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال: تَلَبَّسُوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت؛ فإني قد أجرت محمدًا، فدخل رسول الله ﷺ، ومعه زيد بن حارثة حتى أنتهى إلى المسجد الحرام، فقام مُطْعِم بن عديّ على راحلته فنادى: يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا؛ فلا يَهْجُوه أحد منكم، فأنتهى ﷺ إلى الركن فأسلمه، وصلى ركعتين، وأنصرف إلى بيته، ومُطْعِم وولده مُطِيفُونَ به، فلذلك قال حسان بن ثابت الأنصاري في رثائه لمُطْعِم من قصيدته: [من الطويل]

فلو كان مجدُّ يُخْلِدُ الدهرَ واحدًا من الناس، أبقى مَجْدُهُ اليومَ مُطْعِمًا^(٣)

أَجَرَتْ رسولَ اللَّهِ مِنْهُمْ فأصبحوا عبيدَكَ ما لَبَّى مُهْلٌ وأخرَمَا

وحكى محمد بن إسحاق: أن رسول الله ﷺ بعث إلى الأخنس بن شريق^(٤) ليُجِيرَهُ، فقال: أنا حليف، والحليف لا يُجِير؛ فبعث إلى سهيل بن عمرو^(٥) فقال: إن

(١) نخلة: محلة ما بين مكة والطائف.

(٢) نصيبين: قاعدة ديار ربيعة.

(٣) رواية الديوان بشرح البرقوقي: ٣٩٨.

ولو أن مجدًا أخلد الدهر واحدًا من الناس أبقى مجده الدهر مطعمًا

(٤) الأخنس بن شريق: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب. بن شقيق الثقفي أبو ثعلبة حليف بني زهرة. أسلم فكان من المؤلفة وشهد حنينًا ومات في أول خلافة عمر. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٥: ١، ورقم الترجمة ٦١).

(٥) سهيل بن عمرو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي العامري من لؤي (.... - ١٨ هـ = ... - ٦٣٩ م) خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر. أسلم وسكن مكة ثم =

بني عامر^(١) لا تُجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه.

ذكر خبر الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وخبر المعراج به ﷺ إلى السموات العلا، وإلى سِدرة المنتهى، وما شاهد في ذلك من الكرامة والاصطفاء والمناجاة، وفرض الصلاة، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى ﷺ

وخبر الإسراء برسول الله ﷺ صحيح متفق على صحته بنص الكتاب والأحاديث الصحيحة. أما الكتاب العزيز، فقد قال الله عز وجل: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْآيَاتِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]. وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۚ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۖ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۖ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۖ إِذْ يَفَشَى الْمِسْدَرَةَ مَا يَقَشَىٰ ۚ مَا يَكُنْ مِنَ الْبَصَرِ وَمَا ظَنَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١-١٨].

وأما الأحاديث الواردة في ذلك فسنذكرها إن شاء الله تعالى.

وكان الإسراء برسول الله ﷺ ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، وقد أتت عليه إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر.

وقال ابن سعد في طبقاته عن عائشة أم المؤمنين وأم هانئ و ابن عباس قالوا: أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِسَنَةِ مِنْ شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ [إلى بيت المقدس]^(٢). والله أعلم.

والأحاديث الصحيحة بصحة الإسراء قد جاءت من طرق كثيرة، وقد رأينا أن نبداً منها بأكملها وأجمعها، وهو حديث ثابت البُنَّانِي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ثم نذكر زيادات عن غيره يتعين ذكرها.

= سكن المدينة. وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية. مات بالطاعون في الشام. (الأعلام: ٣: ١٤٤).

(١) في الأصل: «أنى من بني عمر» وهو تحريف، والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢٠، والسيرة الحلبية: ١: ٣٩١.

(٢) التكملة عن ابن سعد: القسم الأول من الجزء الأول ص ١٤٣.

أما حديث ثابت البناني^(١) فهو مما روينا بإسناد متصل عن مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا شيبان بن فروخ، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه». قال: «فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن، فأخذت اللبن، فقال جبريل: أخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا بآدم ﷺ، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم، فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، وذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عرج بي إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سِدرة المنتهى، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالللال. قال: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك علي أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: أرجع إلى ربك فأسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت^(٢) بني إسرائيل». قال: «فرجعت إلى ربي فقلت: يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمسا»، قال^(٣): إن أمتك لا يطيقون ذلك، فأرجع إلى ربك فأسأله التخفيف. قال: «فلم أزل أراجع بين ربي تعالى، وبين موسى حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات، كل يوم وليلة

(١) الحديث في الشفاء: ١ : ١٤١ وما بعدها.

(٢) بلوت: امتحنت.

(٣) في الأصل: «فقلت» وهو تحريف.

بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة». قال: «فنزلت»^(١) حتى أنهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى أستحييت منه».

وروى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرج سقف بيني، فنزل جبريل ففرج صدري، ثم غسله من ماء زمزم، ثم جاء بطنيت من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا فأفرغها في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء». فذكر القصة.

وروى قتادة عن أنس عن مالك بن صغصة الحديث بمثله، وفيه تقديم وتأخير، وزيادة ونقص، وخلاف في ترتيب الأنبياء والسموات؛ وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود. وهذان الحديثان يدلان على أن رسول الله ﷺ شقَّ جوفه عند الإسراء، وقد تقدم الخبر أنه شقَّ جوفه وهو عند ظئره^(٢) في حال طفوليته، فيكون على هذا شقَّ جوفه مرتين، والله أعلم بالصواب.

ونقل عن الشيخ عبد القادر محمد بن أبي الحسن الصعبي في مختصر السيرة له قال: روى أبو داود الطيالسي^(٣) ومسنده، قال: حدثنا حماد بن سلمة^(٤) قال: أخبرني أبو عمران الجوني عن رجل عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ اعتكف هو وخديجة شهرًا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول الله ﷺ، وسمع: السلام عليكم، قالت: فظننت أنه فجئه الحق^(٥)، فقال: «انشروا فإن السلام خير»، ثم رأى يومًا آخر جبريل عليه السلام على الشمس جناح له بالمشرق، وجناح له بالمغرب، قال: فبهت منه، قالت^(٦): فانطلق يريد أهله، فإذا هو بجبريل عليه السلام بينه وبين الباب، قال:

(١) في الأصل: «فتركت» والمثبت عن الشفاء: ١: ١٤٣، وعيون الأثر: ١: ١٤٥.

(٢) الظئر: المرضعة.

(٣) الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش، أبو داود الطيالسي (١٣٣ - ٢٠٤ هـ = ٧٥٠ - ٨١٩ م) من كبار حفاظ الحديث. فارسي الأصل. سكن البصرة وتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ١٢٥).

(٤) حماد بن سلمة: حماد بن سلمة بن دينار البصري الرُّبَعي، أبو سلمة (.... - ١٦٧ هـ = - ٧٨٤ م) مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث، ومن النحاة، كان حافظًا، ثقة، مأمونًا. إلا أنه لما كبر ساء حفظه. (الأعلام: ٢: ٢٧٢).

(٥) في مسند الطيالسي «فجأه الجن»، والحق هنا: الموت.

(٦) في الأصل: «قال» والمثبت عن مسند الطيالسي: ٣١٥.

«فكلمني حتى أنست به ثم وعدني موعداً، فجئت لموعده، واحتبس عليّ جبريل، فلما أراد أن يرجع إذا هو وميكائيل عليهما السلام، فهبط جبريل عليه السلام إلى الأرض، وبقي ميكائيل بين السماء والأرض»، قال: «فأخذني فسلقني لحلاوة القفا^(١)، وشقّ عن بطني، فأخرج منه ما شاء الله، ثم غسله في طست من ذهب ثم أعاده، ثم كفاني كما يكفأ الإناء، ثم ختم في ظهري حتى وجدت مسّ الخاتم، ثم قال لي: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ ولم أقرأ كتاباً قط، فأخذ بحلقي حتى أجهشت بالبكاء، ثم قال: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾^(٢) إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١- ٥]». قال: «فما نسيت بعد، فوزنني برجل فوزنته، ثم وزنني بآخر فوزنته، ثم وزنني بمائة، فقال ميكائيل: تبعته أمته وربّ الكعبة». قال: «ثم جئت إلى منزلي، فما يلقاني حجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، حتى دخلت على خديجة فقالت: السلام عليك يا رسول الله».

فیدل هذا الحديث على أنه شقّ جوفه أيضاً عند الوحي، فيكون شقّ جوفه ثلاث مرات؛ مرة وهو عند ظئره، ومرة عند الوحي في أول النبوة، كما يقتضي هذا الحديث، ومرة ثالثة عند الإسراء؛ كما روي عن أبي ذر، ومالك بن صغصعة. والله أعلم.

وإنما أوردنا حديث الطيالسي في هذا الموضع على سبيل الاستطراد، لأن موضعه يصلح أن يكون عند ذكر حديث المبعث، وقد أثبتنا هناك الأحاديث الصحيحة؛ فلنرجع إلى ما نحن فيه من حديث الإسراء.

وأما ما ورد في الأحاديث الأخر من الروايات التي يتعين ذكرها:

فمنها حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبّي: «مرحباً بالنبّي الصالح، والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح».

وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: «ثم عُرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف^(٢) الأقدام».

وعن أنس: «ثم أنطلق بي حتى أتيت سِدْرَةَ المنتهى، فغشيها ألوان لم أدر ما هي»، قال: «ثم أُدخلت الجنة».

وفي حديث مالك بن صغصعة: «فلما جاوزته - يعني موسى - بكى، فنودي: ما يبكيك؟ قال: ربّ هذا غلام بعثه بعدي، يدخل من أمتة الجنة أكثر مما يدخل من أمتي».

(١) سلقني لحلاوة القفا: أي ألقاني على ظهري.

(٢) الصريف: صوت القلم عند الكتابة.

وفي حديث أبي هريرة: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل: يا محمد، هذا مالك خازن النار فَسَلَّمْ عليه، فالتفت فبدأني بالسلام».

وفي حديث أبي هريرة: «ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة وصلى مع الملائكة، فلما قضيت الصلاة، قالوا: يا جبريل من هذا معك؟، قال: هذا محمد رسول الله خاتم النبيين، قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه من أخ وخليفة! فنعم الأخ ونعم الخليفة! ثم لَقُوا أرواح الأنبياء فأتبوا على ربهم». وذكر كلام كل واحد منهم؛ وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، ثم ذكر كلام النبي ﷺ، فقال: وإن محمداً ﷺ أثنى على ربه، فقال: «كلكم أثنى على ربه، وأنا أثنى على ربي؛ الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً، وأنزل عليّ الفرقان^(١) فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي أمة وَسَطًا^(٢)، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحاً وخاتماً». فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد، ثم ذكر أنه عُرِج به إلى السماء الدنيا، ومن سماء إلى سماء؛ نحو ما تقدم.

وفي حديث ابن مسعود: «وانتهى بي إلى سِدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة؛ إليها ينتهي ما يُعْرَج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط^(٣) من فوقها فيقبض [منها]». قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]، قال: فَرَأَسَ من ذهب.

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه، من طريق الربيع بن أنس: «ف قيل لي: هذه سِدرة المنتهى، ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلاً على سبيلك». وهي السِدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن^(٤)، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعة عواماً، وإن ورقة منها مظلة الخلق. فغشيها نور، وغشيتها الملائكة.

قال: فهو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦]؛ فقال تبارك وتعالى له:

(١) الفرقان: القرآن.

(٢) وسطاً: خيرة.

(٣) في الأصل: «يقبض» والمثبت عن صحيح مسلم ١: ١٠٩.

(٤) الآسن: الفاسد.

«سل»، فقال: «إنك أتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيتَه مُلكاً عظيماً، وكَلِّمتَ موسى تكليماً، وأعطيتَ داود ملكاً عظيماً، وأَلَنْتَ له الحديد، وسَخَّرْتَ له الجبال، وأعطيتَ سليمان مُلكاً عظيماً؛ سَخَّرْتَ له الجنَّ والإنسَ والشیاطينَ والرياح، وأعطيتَه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعَلِّمتَ عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه^(١) والأبرص^(٢)، وأَعَذَّتْهُ وأُمَّه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل».

فقال له ربّه: «قد آتخذتك حبيباً» فهو مكتوب في التوراة: «محمد حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك [هم]^(٣) الأولون وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خُطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً، وآخرهم بَعْثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني ولم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنزٍ تحت عرشي، لم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً وخاتماً».

وفي الرواية^(٤) الأخرى، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أُمَّته المقحّمات^(٥).

وقال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]؛ الآيتين. قيل: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح. وفي حديث شريك: «أنه رأى موسى في السابعة» قال: بتفضيل كلام الله، قال: «ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلم إلا الله، فقال موسى: لم أظن أن يُرفع عليّ أحد».

وقد روي عن أنس أنه ﷺ صَلَّى بالأنبياء ببيت المقدس. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل عليّ جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي، فقامت إلى شجرة فيها مثل وَكْرِي الطائر، فقع في واحدة، وقعدت في الأخرى فَنَمَتْ حتى سَدَّت الخافقين، ولو شئتُ لمسستُ السماء، وأنا أقلبُ طَرْفي، ونظرتُ جبريل كأنه جالس لاطيء^(٦)، فعرفتُ فضلَ علمه بالله عليّ؛ وفُتِحَ لي باب السماء، ورأيت

(١) الأكمه: الذي يولد أعمى.

(٢) الأبرص: الذي فيه بقع بيضاء في جسده.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) عن ابن مسعود؛ انظر صحيح مسلم: ١: ١٠٩.

(٥) المقحّمات: الكبائر من الذنوب.

(٦) جلس لاطيء: كساء رقيق يوضع تحت القتب أو البرذعة، ولاطيء: لاصق بالأرض، والمراد أن جبريل لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض وكتب في الأصل: «لاطئاً»؛ وهو تحريف.

النور الأعظم، وإذا دوني الحجاب وفُرجه الدرّ والياقوت، ثم أوحى الله إليّ ما شاء أن يوحى".

وذكر البزار عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق، فذهب يركبها، فأستصعبت عليه فقال لها جبريل: أسكني، فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ؛ فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى، فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، من هذا؟». قال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً، وإنّ هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه، فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: «صدق عبدي، أنا لا إله إلا أنا»، وذكر مثل هذه في بقية الأذان، إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، وقال: ثم أخذ الملك بيد محمد فقدّمه، فأّم أهل السماء فيهم آدم ونوح^(١).

قال القاضي عياض بن موسى رحمه الله: ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق؛ فهم المحجوبون، والباري جل أسمه منزّه عما يحجبه؛ إذ الحُجب إنما تُحيط بمقدّر محسوس^(٢)، ولكن حُجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، كقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّخُجُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. قال: فقوله في هذا الحديث: «الحجاب» يجب أن يقال: إنه حجاب حُجب به مَنْ وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته، وعجائب ملكوته وجبروته. ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه: إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه، فدلّ [على]^(٣) أن هذا الحجاب لم يختص بالذات.

ويدل عليه قول كعب في تفسيره: سِدْرَةُ الْمُنتَهَى، قال: إليها ينتهي علم الملائكة، وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم.

قال: وأما قوله: «الذي يلي الرحمن»، فيحمل على حذف المضاف أي الذي يلي عرش الرحمن، أو أمراً ما من عظيم آياته، أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم

(١) زاد في هامش الشفاء ج ١ ص ١٤٩: «إبراهيم».

(٢) في الأصل: «محسوس».

(٣) ساقطة من الأصل.

به، كما قال تعالى: ﴿وَسْئَلُ الْقَرْيَةِ﴾ [يوسف: ٨٢] أي أهلها.

وقوله: «ف قيل من وراء الحجاب، صدق عبدي، أنا أكبر»، فظاهره أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] [أي^(١)] وهو لا يراه؛ حجب بصره عن رؤيته، فإن صَحَّ القول بأن محمداً ﷺ رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رُفِعَ الحجاب عن بصره حتى رآه. والله أعلم بالصواب.

ذكر من قال: إن الإسراء كان بالجسد وفي اليقظة

قد اختلف العلماء على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، وأنه رؤيًا منام. وذهبت طائفة إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، والذي عليه الأكثرون - قال به معظم السلف - أنه إسراء بالجسد، وفي اليقظة.

قال القاضي عياض بن موسى بن عياض: وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبو هريرة، ومالك بن صغصعة، وأبي حبة البدرى، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن المسيب، وابن شهاب، وابن زيد، والحسن، وإبراهيم، ومسروق، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريج؛ وهو قول الطبري، وابن حنبل، وغيرهما، وقد أبطلوا حُجَجَ من قال خلاف ذلك بأدلة يطول علينا شرحها.

قال القاضي عياض: والحق [من هذا] والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه تدل الآية، وصحيح الأخبار والاعتبار - ولا يُعَدَّلُ عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل [إلا]^(٢) عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده، ولم يقل: ﴿يَعْبُدُهُ﴾ - وقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]. ولو كان منامًا لَمَا كانت فيه آية ولا معجزة، ولمَّا استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا أرتدَّ به ضعفاء من أسلم وأفتتنوا به، إذ مثل هذا من المنامات لا يُنكر، بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه، وحال يقظته إلى ما ذُكِرَ في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس، أو في السماء على ما روى غيره، وذكر مجيء جبريل له بالبراق، وخبر المعراج

(١) الزيادة عن الشفاء: ١: ١٥٠.

(٢) ساقطة من الأصل.

وَأَسْتَفْتَح السَّمَاءَ، فيقال^(١): وَمَنْ مَعَكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ، وَلِقَائِهِ الْأَنْبِيَاءُ فِيهَا، وَخَبَرَهُمْ مَعَهُ، وَتَرْحِيْبُهُمْ بِهِ، وَشَأْنُهُ فِي فَرْضِ الصَّلَاةِ وَمَرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى فِي ذَلِكَ، وَفِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ: «فَأَخَذَ - يَعْنِي جَبْرِيلُ - بِيَدِي؛ فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ» إِلَى قَوْلِهِ: «ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَوْتُ^(٢) الْأَقْلَامِ؛ وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي رؤيا عينٍ رآها النبي ﷺ لا رؤيا منام، والآي في ذلك كثيرة، والأدلة واضحة، فلا نطوّل بسردها، وفيما أوردناه منها فيما قدّمنا ذكره كفاية. والله أعلم.

ذكر ما ورد في رؤية رسول الله ﷺ ربّه تبارك وتعالى، ومناجاته له، وكلامه ودنوّه وقربه من ربّه عزّ وجلّ، ومن جوّز ذلك ومن منعه، وما قيل في مشكل حديث الدنوّ والقرب

أما الرؤية فقد اختلف السلف في رؤيته ﷺ لربّه عزّ وجلّ، فأنكرته عائشة. روي عن مسروق^(٣) أنه قال لعائشة رضي الله عنها: يا أمّ المؤمنين، هل رأى محمد ربّه؟ فقالت: لقد قَفَّ^(٤) شعري مما قلت؛ ثلاث من حدّثك بهنّ فقد كذب، [من حدّثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب]^(٥)، ثم قرأت ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الآية [ثم ذكر الحديث]^(٦). وقالت جماعة بقول عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود.

ومثله عن أبي هريرة: إنما رأى جبريل، واختلف عنه. وقال بإنكار هذا وأمتناع رؤيته في الدنيا [جماعة]^(٧) من المحدثين والفقهاء والمتكلّمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بعينه. وروي عطاء عنه: رآه بقلبه، وعن أبي العالية [عنه]^(٨) رآه بفؤاده مرتين.

(١) في الأصل: «فيقول».

(٢) في الشفاء: «صريف» وهو يوافق ما في عيون الأثر وصحيح مسلم.

(٣) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة (.... - ٦٣ هـ = - ٦٨٣ م) تابعي ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. (الأعلام: ٧: ٢١٥).

(٤) قَفَّ الشعر: وقف من الفزع.

(٥) الزيادة عن الشفاء: ١: ١٥٨.

(٦)(٧)(٨) الزيادة في الشفاء: ١: ١٥٨.

وذكر ابن اسحاق: أن ابن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، والأشهر [عنه] ^(١) أنه رأى ربه بعينه. وقال: إن الله اختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلة، ومحمدًا بالرؤية. وحجته قوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ^(١١) أَفَتَمُنُّونَ عَلَى مَا يَرَى ^(١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ^(١٣) ﴿[النجم: ١١-١٣].

وقال الماوردي ^(٢): قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين.

وحكى أبو الفتح الرازي ^(٣)، وأبو الليث السمرقندي ^(٤) ذكرها ^(٥) عن كعب، وروى عبد الله بن الحارث ^(٦)، قال: أجمع ابن عباس وكعب، فقال ابن عباس: أما نحن بني هاشم فنقول: إن محمدًا قد رأى ربه مرتين، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال، وقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد، فكلمه موسى، ورآه محمد بقلبه.

وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي، وربيع بن أنس: أن النبي ﷺ قال: «رأيت ربي» - وذكر كلمة - فقال: «يا محمد فيم يختصم الملاء الأعلى». الحديث.

وحكى عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر الطلمنكي ^(٧) عن عكرمة، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود،

(١) الزيادة في الشفا: ١: ١٥٨.

(٢) الماوردي: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي (٣٦٤ - ٤٥ هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨ م): أفضى قضاء عصره. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال. نسبته إلى بيع ماء الورد ووفاته ببغداد. (الأعلام: ٤: ٣٢٧).

(٣) أبو الفتح الرازي: سليم بن أيوب بن سليم الرازي (٣٦٥ - ٤٤٧ هـ = ٩٧٥ - ١٠٥٥ م) فقيه أصله من الري. تفقه ببغداد. غرق في البحر عند ساحل جدة. (الأعلام: ٣: ١١٦).

(٤) أبو الليث السمرقندي: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث الملقب بإمام الهدى (... - ٣٧٣ هـ = ... - ٩٨٣ م) علامة، من أئمة الحنفية، من الزهاد المتصوفين. (الأعلام: ٨: ٢٧).

(٥) أي الحكاية التي ذكرها الماوردي.

(٦) عبد الله بن الحارث: عبد الله بن الحارث بن نوفل الهاشمي القرشي (٩ - ٨٤ هـ = ٦٣٠ - ٧٠٣ م): وال، من أشرف قريش. من أهل المدينة. لما قامت فتنة ابن الأشعث، خرج إلى عمان هاربًا من الحجاج فتوفي فيها (الأعلام: ٤: ٧٧).

(٧) الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي، أبو عمر (٣٤٠ - ٤٢٩ هـ = ٩٥١ - ١٠٣٨ م) أول من أدخل علم القراءات إلى الأندلس وكان عالمًا بالتفسير والحديث. أصله من طلمنكة. سكن قرطبة، ورحل إلى المشرق. (الأعلام: ١: ٢١٢).

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم.
وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل^(١) أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس، بعينه
رآه رآه، حتى أنقطع نفس أحمد.

وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود،
فحكى عن ابن مسعود، وعكرمة: رآه بقلبه.

وعن الحسن وابن مسعود: رأى جبريل، وعن ابن عطاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِي
نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الانشراح: ١]، قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى
للكلام.

وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وجماعة من أصحابه: إنه رأى الله
ببصره وعيني^(٢) رأسه وقال: كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها
نبيًا، وخص من بينهم بتفضيل الرؤية.

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى رحمه الله: والحق الذي لا أمترأ^(٣) فيه
أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً، وليس في العقل ما يحيلها، والدليل على جوازها
في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى
وما لا يجوز عليه، بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل، ولكنه وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذي لا يعلمه إلا من علمه الله، فقال له الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]
أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي، ثم ضرب له مثلاً بما هو أقوى من نبيه موسى وأثبت
وهو الجبل. قال: وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا، بل فيه جوازها على
الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها، إذ كل موجود فرؤيته
جائزة غير مستحيلة.

قال: ولا حجة لمن يستدل على منعها بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام:
١٠٣] لاختلاف التأويلات في الآية، وقد أستدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز
الرؤية، وعدم استحالتها على الجملة. وقد قيل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾، أي لا
تُحيط به، وهو قول ابن عباس، وقد قيل: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾. وإنما يدركه

(١) أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني الوائلي (١٦٤ - ٢٤١ هـ = ٧٨٠ -

٨٥٥ م) إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو. ولد ببغداد سافر أسفاراً كبيرة.

توفي وهو على تقدمه عند المتوكل. (الأعلام: ١: ٢٠٣).

(٢) في الأصل: «وعين رأسه».

(٣) الامترأ: الشك.

المبصرون. قال وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها، وحيث تنطرق التأويلات وتتسلط الاحتمالات، فليس للقطع سبيل، وكذلك وجوب الرؤية لنبينا ﷺ، والقول بأنه رآه بعينه. فليس فيه قاطع أيضاً ولا نص، إذ المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما ماثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك. والله تعالى أعلم بالصواب.

وأما المناجاة والكلام والقرب والدنو وما جاء من الكلام على مشكل هذا الحديث؛ فقد اختلف في الوحي إلى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء بقوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، وهل كان ذلك الوحي بواسطة أو بغير واسطة؟ فأكثر المفسرين على أن الموحى الله إلى جبريل، وجبريل إلى رسول الله ﷺ. [فذكر عن] جعفر بن محمد الصادق، قال: أوحى الله إليه بلا واسطة. ونحوه عن الواسطي، وإليه ذهب بعض المتكلمين وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس، وأنكره آخرون. وحكى النقاش عن ابن عباس عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]، قال: «فارقني جبريل، وأنقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي، وهو يقول: ليهدأ روعك يا محمد، أذن أدن». وقد تقدم ذكر حديث الأذان، وقول الملك: الله أكبر الله أكبر، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي، أنا أكبر، أنا أكبر.

وقد احتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، فقالوا: هي ثلاثة أقسام؛ من وراء حجاب كتكليم موسى، وإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء، وأكثر أحوال نبينا ﷺ، الثالث قوله: ﴿وَحْيًا﴾. قالوا: ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة، وقد قيل: الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي ﷺ دون واسطة، وكلام الله تعالى لمحمد ﷺ ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع.

وأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٨، ٩] فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام، أو مختص بأحدهما من الآخر، أو من سيرة المنتهى. وقال ابن عباس: هو محمد دنا فتدلى من ربه، وقيل: معنى دنا قرب، وتدلى: زاد في القرب، وقيل: هما بمعنى واحد، أي قرب. وحكى مكّي والماوردي عن ابن عباس، هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه، أي أمره وحكمه. وحكى النقاش عن الحسن، قال: دنا من عبده محمد ﷺ، فقرب منه فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته. قال: وقال ابن عباس: هو مقدم ومؤخر، تدلى الرفرف^(١) لمحمد ﷺ ليلة المعراج، فجلس عليه، ثم رفع

(١) الرفرف: البساط الأخضر.

فدنا من ربه. وفي الصحيح عن أنس بن مالك: «عرج بي جبريل إلى سِدْرَةِ المنتهى، ودنا الجبار ربّ العزّة فتدلّى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه بما شاء، وأوحى إليه خمسين صلاة». الحديث. وعن محمد بن كعب: هو محمد دنا من ربه، فكان قاب قوسين. وقال جعفر بن محمد: أدناه ربه منه، حتى كان منه كقاب قوسين، قال جعفر: والدنو من الله لا حدّ له، ومن العباد بالحدود. وقال أيضًا: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حَجَبَ جبريل عن دنوّه، ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلّى بسكون قلبه إلى ما أدناه، وزال عن قلبه الشك والارتباب!

وقد تكلموا على مشكل هذا الحديث، فقال القاضي عياض رحمه الله: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله وإلى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى، بل كما ذكرنا^(١) عن جعفر الصادق ليس بدنو حدّ، وإنما دنو النبي ﷺ من ربه، وقربه منه إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته، ومن الله تعالى له مسرة وتأنيس، وبسط وإكرام، ويتأول فيه ما يتأول في قوله: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» على أحد الوجوه، نزول إفضال وإجمال، وقبول وإحسان. وقال الواسطي: من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثمّ مسافة، بل كل ما دنا بنفسه من الحق تدلّى بعدًا، يعني عن درك حقيقته، إذ لا دنو للحق ولا بعد.

وقوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، فمن جعل الضمير عائداً إلى الله لا إلى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحلّ، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار^(٢) التحفّي، وإنافة^(٣) المنزلة والمرتبة من الله له، ويتأول [فيه] ما يتأول في قوله: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»، قرب بالإجابة والقبول، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول.

وقد أخذ الكلام في هذا المعنى حقّه، فلنذكر ما كان بعد الإسراء [من]^(٤) الأخبار.

(١) في الأصل: «بل كان ذكر». والمثبت عن الشفاء: ١: ١٦٧.

(٢) التحفّي: الإكرام.

(٣) إنافة المنزلة: الحصول على المرتبة العالية.

(٤) زيادة يقتضيها المقام.

ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك وما أخبرهم رسول الله ﷺ، من وصفه لهم البيت المقدس، وإخباره لهم بخبر عيرهم، وارتداد من ارتد

روى الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي بسنده عن شداد بن أوس^(١) رضي الله عنه، قال: قلنا: يا رسول الله كيف أسري بك؟ فذكر نحو ما تقدم من خبر الإسراء، وفيه زيادة ونقص، قال: وفيه أن جبريل عليه السلام أنزله فصلى بيثرب، ثم صلى بمدين عند شجرة موسى عليه السلام، ثم صلى ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم صلى في المسجد الأقصى، وأنه ﷺ مر بعير لقريش بمكان كذا وكذا، وقد أضلوا بعيرًا قد جمعه فلان، قال: «فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد». قال: «ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبو بكر فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك^(٢)» فقلت: علمت أنني أتيت بيت المقدس الليلة؟ فقال: يا رسول الله، مسيرة شهر! فصفه لي، قال: «فتتح لي صراط^(٣) كأنني أنظر إليه، لا يسألني عن شيء إلا أنبأته عنه»، فقال: أشهد أنك رسول الله حقًا، فقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة^(٤) يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، فقال: «إن من آية ما أقول لكم أنني مررت بعير لكم بمكان كذا وكذا، ينزلون بكذا وكذا، ويأتونكم يوم كذا وكذا، يقدمهم جمل آدم^(٥) عليه مسح^(٦) أسود، وغرارتان^(٧) سوداوان»، وإنهم أشرفوا ينظرون. فأقبلت العير نصف النهار على ما وصف لهم ﷺ.

وفي رواية يونس بن بكير^(٨) في زيادة المغازي: أنه ﷺ لما أخبر قومه بالرفقة

(١) شداد بن أوس: شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى (.... - ٥٨ هـ = - ٦٧٧ م) صحابي من الأمراء، ولده عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة. كان فصيحًا حليماً، حكيماً. توفي في القدس عن ٧٥ سنة. (الأعلام: ٣: ١٥٨).

(٢) مظانك: أماكن تواجدك.

(٣) الصراط: الطريق.

(٤) يقصدون الرسول ﷺ.

(٥) جمل آدم: أبيض مع سواد المقلتين.

(٦) المسح: الكساء من الشعر.

(٧) الغرارة: نوع من النوق.

(٨) يونس بن بكير: يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر (.... - ١٩٩ هـ = - ٨١٥ م)

مؤرخ، من حفاظ الحديث، من أهل الكوفة. (الأعلام: ٨: ٢٦٠).

والعلامة التي في العير، قالوا: متى يجيء؟ قال: «يوم الأربعاء». فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ، فزید له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسرّاي، فسألوني عن أشياء من بيت المقدس، لم أثبتها»^(١) فكربت كرباً ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح الناس يتحدثون بذلك، فارتد ناس ممن آمنوا به وصدّقوه، وسعوا إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل الصبح! قال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه بخبر السماء في غداة أو راحة، فلذلك سمي أبو بكر رضي الله عنه الصديق.

ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم

قال محمد بن عمر بن واقد بسند يرفعه إلى غير واحد، قالوا: أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته يدعو مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين؛ يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومَجَنَّة، وذِي المجاز^(٢) يدعوهم؛ حتى بلغ رسالة ربه تعالى، وأبو لهب يمشي وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابىء، كاذب، فيقولون: أَسْرُتْكَ وعشيرتُك أعلم بك حيث لم يتبعوك، فيقول: «اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا»، قال الواقدي فكان من سُمِّي لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خَصَفَة^(٣)، وفزارة، وغَسَّان^(٤)، ومرة، وحنيفة، وسُلَيْم، وعبس، وبنو نصر، وبنو البكاء، وكندة، وكلب^(٥)، والحارث بن كعب، وعُدرة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد.

قال محمد بن إسحاق: حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال:

- (١) لم أثبتها: لم أحفظها، لاشتغالي بأهم منها، والكرب: الغم.
- (٢) عكاظ ومجنة وذو المجاز: أسماء أسواق كانت للعرب في الجاهلية.
- (٣) في الأصل: «خفصة»، وهو تصحيف.
- (٤) في الأصل: «حسان»، وهو تصحيف.
- (٥) في شرح المواهب: «كعب».

سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي قال: إني لَغلام شاب مع أبي بِمَنَى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب، فيقول: «يا بني فلان، إني رسول الله إليكم بأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما يُعْبَدُ من دونه من هذه الأنداد^(١)، وأن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به»، قال: وخلفه رجل أحول وضيء له غدirtان^(٢)، عليه حلة عَدَنِيَّة، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش^(٣)؛ إلى ما جاء به من البدعة والضلالة، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه، قال: فقلت لأبي: يا أبت من هذا الرجل [الذي] يتبعه ويردّ عليه ما يقول؟ قال: هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب، أبو لهب.

قال ابن إسحاق: حدّثني الزهري أنه ﷺ أتى بني عامر بن صعصعة، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم نفسه، فقال رجل منهم يقال له ببحرة بن فِراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على مَنْ خالفك أكون لنا الأمر بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء. فقال له: أفنهدف^(٤) نحورنا [للعرب دونك]؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه، فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم، قد كانت أدركته السن، حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم، فكانوا إذا رجعوا إليه حدّثوه بما يكون في ذلك الموسم، فلما قدموا عليه في ذلك العام، سألهم عما كان في موسمهم، فقالوا: جاءنا فتى من قريش؛ ثم أحد بني عبد المطلب، يزعم أنه نبيّ يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه، ونخرج به إلى بلادنا، قال: فوضع الشيخ يده على رأسه، ثم قال: يا بني عامر، هل لها من تلافٍ! هل لذئابها من مطلب^(٥)! والذي نفس فلان بيده، ما تقولها إسماعيل قط، وإنما لحق، فأين رأيكم كان عنكم.

قال: وحدّثني عاصم بن عمر^(٦)، عن قتادة الأنصاري عن أشياخ من قومه قالوا:

- (١) الند: الضد والشبه.
- (٢) غدirtان: جدiltان.
- (٣) إلى هذا الحي تنسب الإبل الأقيشية.
- (٤) أي نجعلها هدفاً لسهامهم.
- (٥) هذا مثل مشهور يضرب لما فات. وأصله من ذنابي الطائر إذا أفلت من الحيلة فطلبت الأخذ به.
- (٦) عاصم بن عمر: في الأصل، وعيون الأثر: ١٠٤، «عمرو» والمثبت عن ابن هشام. وشذرات الذهب: ٥: ٥٣. وهو عاصم بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي (٦ - ٧٠ هـ = ٦٢٧ - ٦٩٠ م): شاعر. كان من أحسن الناس خلقاً. وكان طويلاً جسيماً. وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه. مات بالربذة. (الأعلام: ٣: ٢٤٨).

قدم سويد بن الصامت أخو بني عمرو بن عوف [مكة] حاجاً أو معتمراً؛ وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم: الكامل لجلده^(١) وشرفه ونسبه وشعره، فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله ﷺ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة^(٢) لقمان (يعني حكمة لقمان) فقال له رسول الله ﷺ: إعرضها عليّ؛ فعرضها عليه، فقال: «إن هذا لكلام حسن، لكن الذي معي أفضل من هذا؛ قرآن أنزله الله عليّ هو هدى ونور». فتلا رسول الله ﷺ القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه، وقال: إن هذا لقول حسن؛ ثم انصرف عنه، فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج، قال: فإن كان رجال من قومه ليقولون: إنا لنراه قد قتل وهو مسلم، وكان قتله قبل بُعث^(٣).

قال ابن إسحاق أيضاً: وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد، قال: لما قدم أبو الحنيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل، فيهم إياس بن معاذ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من بني الخزرج، سمع بهم رسول الله ﷺ، وأتاهم فجلس إليهم فقال: «هل لكم في خير مما جئتم له؟» فقالوا: وما ذلك؟ قال: «أنا رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأنزل عليّ الكتاب». قال: ثم ذكر لهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فقال لهم إياس بن معاذ - وكان غلاماً حدثاً -: أي قوم، هذا والله خير مما جئتم له، فأخذ أبو الحنيسر حَفْنَةً من [تراب]^(٤) البطحاء، فضرب بها وجه إياس بن معاذ؛ وقال: دغنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، قال: فصمت إياس، وقام رسول الله ﷺ، وانصرفوا إلى المدينة، فكان وقعة بعث بين الأوس والخزرج، ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك. قال محمود بن لبيد: فأخبرني مَنْ حضره من قومه عند موته أنهم لم يزالوا يسمعون يهلل الله ويكبره، ويحمده ويسبحه حتى مات، فما كانوا يشكّون أنه قد مات مسلماً، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله ما سمع. والله أعلم.

(١) الجلد: الشدة والصبر.

(٢) المجلة: الصحيفة.

(٣) قبل بعث: أي قبل يوم بعث.

(٤) تكملة عن ابن هشام: ٢: ٦٩.

ذكر خبر مفروق بن عمرو^(١) وأصحابه وما أجابوا به رسول الله ﷺ عند دعائه قبائل العرب

روى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي بسنده عن عبد الله بن عباس، قال: حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم من فيه، قال: لما أمر الله تبارك وتعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر رضي الله عنه، فدفعنا إلى مجلس من مجالس العرب، فتقدم أبو بكر، وكان مقدماً في كل خير، وكان رجلاً نساباً^(٢)، فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أنتم؟ من هامها^(٣) أم من لهازمها؟ قالوا: بل من الهامة العظمى، فقال أبو بكر: وأي هامة العظمى أنتم؟ قالوا: من دهل الأكبر، قال: منكم عوف الذي يقال^(٤) [له]: «لا حُرّ بوادي عوف»؟ قالوا: لا، قال: فممنكم جساس بن مرة، حامي الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فممنكم بسطام بن قيس، أبو اللواء، ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: فممنكم الحوفزان^(٥) قاتل الملوك، وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فممنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة، قالوا: لا؛ قال: فممنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا. قال: فممنكم أصهار الملوك من لخم؟ قالوا: لا. قال أبو بكر: فلستم من دهل الأكبر، أنتم من دهل الأصغر. قال: فقام إليه غلام من بني شيان يقال له دَغْفَل حين بَقَلَ^(٦) وجهه، فقال: [من الرجز]

إِنْ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالْعَبَاءُ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ نَحْمِلُهُ

يا هذا، إنك قد سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئاً، فممن الرجل؟ قال أبو بكر: أنا من قریش، فقال الفتى: بَخْ بَخْ! أهل الشرف والرياسة، فمن أي القرشيين أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة. فقال الفتى: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة،

(١) مفروق بن عمرو: مفروق بن عمرو (الأصم) بن قيس بن مسعود الشيباني (... - نحو ٨ هـ = ... نحو ٦٣٠ م): فارس شاعر جاهلي. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ مع جماعة من بني شيان. قال أبو نعيم: ولم أعرف له إسلاماً. (الأعلام: ٧: ٢٧٨).

(٢) النساب: العالم بالأنساب.

(٣) في الأصل: «من أهلها» وهو تصحيف. واللاهزم: جمع لهزم: وهو في أصل اللغة: العظم الناتيء تحت الأذن.

(٤) في الأصل: «يقول» والمثبت عن دلائل النبوة؛ انظر مجمع الأمثال: ٢: ١٥٧.

(٥) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك الشيباني.

(٦) بقل وجهه: أي أول ما نبتت لحيته.

أمنكم قصي الذي جمع القبائل من فُهر؟ فكان يدعى في قريش مُجمَعًا؟ قال: لا، قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه، ورجال مكة مستنون عجاف^(١)؟ قال: لا، قال: فمنكم شيبه الحمد عبد المطلب، مطعم طير السماء، الذي كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الداجية؟ قال: لا، قال: فمن أهل الإفاضة^(٢) بالناس أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الحجابة^(٣) أنت، قال: لا، قال: فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الرُفادة^(٤) أنت؟ قال: لا، واجتذب أبو بكر زمام ناقته راجعًا إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام: [من الرجز]

صَادَفَ دَرُ السَّيْلِ دَرًا^(٥) يَذْفَعُهُ يَهِيضُهُ حِينًا وَحِينًا يَصْرَعُهُ

أما والله لو شئت لأخبرتكَ من قريش، فتبسم رسول الله ﷺ، قال عليّ: فقلت: يا أبا بكر، لقد وقعت من الأعراب على باقة^(٦)، قال: أجل يا أبا الحسن، «ما من طامة إلا وفوقها طامة»، و«البلاء موكل بالمنطق».

قال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار، فتقدّم أبو بكر فسلم وقال: ممن القوم؟ قالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر^(٧) الناس! وفيهم مفروق بن عمرو، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنعمان بن شريك، وكان مفروق قد غلبهم جمالاً ولساناً، وكانت له غديرتان تسقطان على تربيته^(٨)، وكان أدنى القوم مجلساً، فقال أبو بكر: كيف العددُ فيكم؟ فقال مفروق: إنا لنزيد على ألف، ولن تغلب الألف من قلة، فقال أبو بكر: فكيف المنعة فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكل قوم جدّ، فقال أبو بكر: فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق: إنا لأشدُّ ما نكون غضباً حين نلقى، وإنا لأشدُّ ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد،

(١) يشير إلى قول ابن الزبيري (من الكامل)

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف (اللسان: سنت).

(٢) الإفاضة: طواف الإفاضة، يوم النحر، يفيض من منى إلى مكة ثم يرجع (اللسان: فيض).

(٣) أهل الحجابة: الذي بأيديهم مفاتيح الكعبة.

(٤) أهل الرُفادة: الذي يدفعون المال لمساعدة الحجاج (اللسان: رُفد).

(٥) في الأصل: «صادف در تسيل درة» وهو تصحيف.

(٦) الباقعة: الرجل الذكي العارف لا يفوته شيء.

(٧) غرر: خيرة.

(٨) التربة: أعلى صدر الإنسان.

والسلاح على اللقاح^(١)، والنصر من عند الله، يُدِيلُنَا^(٢) مرة، ويُدِيل علينا أخرى، لعلك أخو قريش؟ فقال أبو بكر: قد بلغكم أنه رسول الله ﷺ، ألا هو ذا، قال مفروق: بلغنا أنه يذكر ذلك، وإلام تدعو يا أخا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فجلس، وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه، فقال رسول الله ﷺ: «أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وإلى أن تأووني وتنصروني، فإن قريشًا قد ظاهرت^(٣) على أمر الله، وكذبت رسله، وأستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد». فقال مفروق بن عمرو: وإلام تدعون يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامًا أحسن من هذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَكَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَنِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، فقال مفروق: وإلام تدعون يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، قال: فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال مفروق: دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ولقد أفك^(٤) قوم كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة فقال: وهذا هانيء شيخنا وصاحب ديننا. قال هانيء: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، وإنني أرى إن تركنا وأتبعناك على دينك بمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر، إنه زلل^(٥) في الرأي، وقلة نظر في العاقبة^(٦)، وإنما تكون الزلة مع العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدًا، ولكن ترجع ونرجع، وتنظر وننظر في العاقبة، وكأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى: قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانيء بن قبيصة في تركنا ديننا، ومشايعتك على دينك، وإنا إنما نزلنا بين صيرين^(٧): اليمامة والسمامة، فقال رسول الله ﷺ: «ما هذان الصيران؟» فقال: أنهار كسرى ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى؛ فذنب صاحبه غير مغفور، وعذره غير مقبول، وأما ما كان مما يلي مياه العرب، فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وإنا إنما نزلنا

(١) اللقاح: الإبل، واحدته: لقوح: بالفتح.

(٢) يدِيلُنَا: ينصرنا.

(٣) ظاهرت: ساعدت، أعانت ضد أمر الله.

(٤) الإفك: الكذب.

(٥) الزلل: الخطل.

(٦) العاقبة: النتيجة.

(٧) الصير: الصير بالكسر: الماء يحضره الإنسان.

على عهد أخذه علينا؛ إنا لا نحدث حَدَثًا^(١)، ولا نأوي محدثًا، فإني أرى أن هذا الأمر الذي تدعوننا إليه يا أخا قريش مما يكره الملوك، فإن أحببت أن نأويك وننصرَكَ مما يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا مَنْ حاطه من جميع جوانبه، رأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتستبحون الله وتقدسونه؟» فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك، قال: فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، ثم نهض قابضاً على يد أبي بكر وهو يقول: «يا أبا بكر، آية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها! بها يدفع الله عز وجل بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون^(٢) فيما بينهم»، قال: فدفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج، فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله ﷺ، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ قد سرَّ بما كان من أبي بكر، ومعرفته بأنسابهم.

ذكر بيعة العقبة الأولى

قال محمد بن إسحاق: فلما أراد الله تعالى إظهار دينه، وإعزاز نبيه، وإنجاز مواعده له خرج رسول الله ﷺ [في]^(٣) الموسم الذي لقي فيه الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب كما يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، فقال لهم: «من أنتم»، قالوا: نفر من الخزرج، قال: «أمن موالي يهود؟» قالوا: نعم، قال^(٤): «أفلا تجلسون أكلمكم؟» قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن، قال: وكان يهود معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأوثان، وكانوا قد غزوهم ببلادهم؛ فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن قد أظلم زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله أنه للنبى الذي توعد به يهود، فلا تسبقنكم إليه، فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض [عليهم] من الإسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى

(١) الحدث: الفعل السيئة - الشنيعة.

(٢) يتحاجزون: المحاجزة: المسالمة (اللسان: حجز).

(٣) ابن هشام: ٢: ٧٠.

(٤) في الأصل: «قالوا» وهو تحريف.

أن يجمعهم الله بك، فتقدم عليهم فتدعوهم إلى أمرك، وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ، راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى^(١): فاختلف علينا في أول من أسلم من الأنصار وأجاب. فذكروا الرجل بعينه، وذكروا الرجلين، وذكروا أنه لم يكن أحد أول من الستة، وذكرهم.

وقال محمد بن عمر بن واقد: هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم، وهو المجمع عليه، وهم من بني النجار: أسعد بن زُرارة بن عُدَس، وعوف بن الحارث [وهو]^(٢) ابن عفراء. ومن بني زريق: رافع بن مالك. ومن بني سلمة بن سعد: قطبة بن عامر بن حديدة. ومن بني حرام بن كعب: عقبة بن عامر بن نابي. ومن بني عبيد بن عدي بن ساعدة: جابر بن عبد الله؛ ولم يذكر ابن إسحاق وغيرهم.

قال: ثم قدموا المدينة فدعوا قومهم إلى الإسلام، فأسلم من أسلم ولم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ.

قال الواقدي: وأول مسجد قرئ به القرآن بالمدينة مسجد بني زريق. والله أعلم.

ذكر بيعة العقبة الثانية

(وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى)

قال: فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً.

قال محمد بن سعد: ليس فيهم عندنا خلاف، فلقوه بالعقبة، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء، وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب، وكان من هؤلاء خمسة ممن حضر البيعة الأولى من الستة المجمع عليهم، وهم: أسعد بن زُرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وعقبة بن عامر، وقُطبة بن عامر بن حديدة، ومنهم من وقع الاختلاف فيه: هل شهد البيعة الأولى أو لم يشهدها؟ وهم ستة نفر: معاذ بن الحارث [وهو]^(٣) ابن عفراء، أخو عوف، وذكوان بن عبد [قيس] بن خلدة، وعبادة بن الصامت بن قيس، وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة، وأبو

(١) الطبقات: ١: ١٤٦.

(٢) تكملة عن ابن هشام؛ وعفراء هي أمه (انظر: أسد الغابة ٤: ١١٥).

(٣) عن ابن هشام: ٢: ٧١.

الهيثم بن التيهان، واسمه مالك، وعويم بن ساعدة، وهما من الأوس.

وممن لم يشهد البيعة الأولى بلا خلاف: العباس بن عباد بن نضلة.

روى محمد بن إسحاق عن عباد بن الصامت قال: كنت ممن حضر العقبة الأولى، وكنا اثني عشر رجلاً، فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء - وذلك قبل أن تفرض الحرب - على ألا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا ننزي، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفترية بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله؛ إن شاء عذب، وإن شاء غفر. قال: فلما أنصرف عنه القوم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف^(١)، وأمره أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة، وكان منزله على أسعد بن زرارة.

قال محمد بن سعد: ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله الإسلام، وكان أسعد ابن زرارة يُجَمِّع^(٢) بالمدينة بمن أسلم، وروى أن مصعب كان يُجَمِّع بهم. والله أعلم.

ذكر بيعة العقبة الثالثة

وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى، عن محمد بن عمر بن واقد، بإسناد إلى عباد بن الصامت، وسفيان بن أبي العوجاء، وقتادة، ويزيد بن رومان، قال الواقدي: دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما حضر الحج مشى أصحاب النبي ﷺ الذين أسلموا بعضهم إلى بعض يتواعدون المسير إلى الحج، وموافاة رسول الله ﷺ، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة، فخرجوا وهم سبعون يزيدون رجلاً أو رجلين في خمر^(٣) الأوس والخزرج، وهم خمسمائة حتى قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، فسلموا عليه، ثم وعدهم منى، وسط أيام التشريق ليلة النفر الأول؛ إذا هدأت الرجل أن^(٤) يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى بأسفل العقبة، وأمرهم ألا ينهوا

(١) مصعب بن عمير: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي من بني عبد الدار (... - ٣ هـ = ... - ٦٢٥ م) شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة، وهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة وهاجر إلى المدينة. شهد بدرًا، وحمل اللواء يوم أحد. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٢) يُجَمِّع: يؤمهم في صلاة الجمعة.

(٣) الخمر: جماعة الناس وكثرتهم.

(٤) الزيادة عن ابن سعد ج ١ ق ١: ١٤٩.

نائماً، ولا ينتظروا غائباً. قال: فخرج القوم بعد هدة يتسلّلون، الرجل والرجلان، وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى الموضع، معه العباس بن عبد المطلب، ليس معه غيره.

وقال محمد بن إسحاق: إنهم سبقوه إلى الشعب وانتظروه، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان: نسيبة بنت كعب، وأسماء بنت عمرو بن عدي، حتى أقبل ومعه عمه العباس.

قال ابن سعد: فكان أول من طلع على رسول الله ﷺ: رافع بن مالك الزرقى، ثم توافى السبعون، ومعهم أمرأتان، فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب، فقال: يا معشر الخزرج، إنكم قد دعوتُم محمداً إلى ما دعوتموه إليه، ومحمد من أعز الناس في عشيرته، يمنعه والله منا من كان على قوله، ومن لم يكن منا على قوله منعه للحسب والشرف، وقد أبى محمد الناس كلهم غيركم، فإن كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب؛ واستقلال بعداوة العرب قاطبة، ترميكم عن قوس واحدة، فارتثوا رأيكم، ولا تفرّقوا إلا عن ملأ منكم واجتماع، فإن أحسن الحديث أصدقه.

وقال ابن إسحاق^(١): إن العباس قال: يا معشر الخزرج، إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللّٰحق بكم؛ فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، وما نعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

قال ابن سعد فقال البراء بن معرور: قد سمعنا ما قلت، وإنا والله لو كان في أنفسنا غير ما ننتق به لقلناه، ولكننا نريد الوفاء والصدق، وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق - فيما رواه بسنده عن كعب بن مالك: فقلنا له: سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله ﷺ، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام ثم قال: «أبايعكم على أن تمنعوني فيما تمنعون نساءكم وأبناءكم». قال: فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أُرنا^(٢) - يعني نساءنا - فبايعنا يا رسول الله، فنحن

(١) انظر ابن هشام: ٢: ٨٤، إمتاع الأسماع: ٣٥.

(٢) الأزور: جمع إزار، وهو الثوب، وكثيراً ما يكونون عن المرأة بالإزار، كما يكونون عنها بالثياب، والفراس.

والله أهل الحروب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر.

قال ابن سعد: ويقال: إن أبا الهيثم بن التيهان كان أول من تكلم فأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقالوا: نقبله على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ قال: ولَعَطُوا^(١)، فقال العباس وهو آخذ بيد رسول الله ﷺ: أخفوا جرسكم^(٢) فإن علينا عيوناً، وقدموا ذوي أسنانكم هم الذين يلون كلامنا منكم، فإننا نخاف قومكم عليكم، ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم. فتكلم البراء بن معرور، فأجاب العباس، ثم قال ابسط يدك يا رسول الله، وكان أول مَنْ ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور - ويقال: أبو الهيثم بن التيهان، ويقال: أسعد بن زرارة - ثم ضرب السبعون كلهم على يده، وبايعوه، فقال رسول الله ﷺ: «إن موسى أخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً فلا يجدن منكم أحد في نفسه أن يؤخذ غيره، فإنما يختار لي جبريل». ثم قال للنقباء: «أنتم كفلاء على غيركم، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي»، قالوا: نعم، قال: فلما بايعوا وكمّلوا، صاح الشيطان على العقبة بأبعد صوت سمع: يا أهل الأخاشب^(٣)، هل لكم في محمد والصّبأة^(٤) معه قد اجتمعوا على حربكم، فقال رسول الله ﷺ: «انفضّوا إلى رحالكم»، فقال العباس بن عبادة بن نضلة: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيفنا، وما أحدٌ عليه سيف تلك الليلة غيره، فقال رسول الله ﷺ: «إنا لم نؤمر بذلك فانفضّوا إلى رحالكم»، فتفرقوا إلى رحالهم فلما أصبح القوم غدت عليهم جلة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنا بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا البارحة، وواعدتموه أن تبأيعوه على حربنا، وأيم الله ما حي من العرب أبغض إلينا إن شئت بيننا وبينه الحرب منكم، قال: فانبعث مَنْ كان هناك من الخزرج من المشركين يحلفون لهم بالله ما كان هذا وما علمنا، وجعل ابن أبي يقول: هذا باطل، وما كان هذا، وما كان قومي ليفتاتوا^(٥) عليّ بمثل هذا، لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومي حتى يؤامروني، فلما رجعت قريش من عندهم رحل البراء بن معرور؛ فتقدّم إلى بطن يأجج^(٦)، وتلاحق أصحابه من المسلمين، وجعلت قريش تطلبهم في كل وجه، ولا

(١) لَعَطُوا: اللغظ: الأصوات المبهمة المختلطة.

(٢) الجرس: الصوت الخفي.

(٣) الأخاشب: جبال الصّمان، في محلة بني تيم.

(٤) الصّبأة: الذين اعتنقوا الإسلام.

(٥) ليفتاتوا: الافتئات: الكذب والافتراء.

(٦) يأجج: اسم مكان على ثمانية أميال من مكة.

تَعَدُّوا طريق المدينة، وحزبوا عليهم، فأدركوا سعد بن عبادَةَ، فجعلوا يده إلى عنقه بنسعة^(١)، وجعلوا بضربونه ويجزّون شعره، وكان ذا جُمّة^(٢) حتى دخلوا مكة، فجاءه مطعم بن عديّ، والحرث بن أمية بن عبد شمس فخلصاه من أيديهم، واثمّرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادَةَ أن يكرّوا إليه، فإذا سعد قد طلع عليهم، فرحل القوم جميعًا إلى المدينة.

ذكر تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، فكان من شهدها من الأوس أحد عشر رجلاً، وهم أسيد بن الحُضير، وأبو الهيثم بن التَّيهان، وسلمة بن سلامة بن وقش، وظهير بن رافع بن عديّ، وأبو بردة هانيء بن نيار، ونهير بن الهيثم بن نابي، وسعد بن خيثمة بن الحرث، ورفاعة بن عبد المنذر، وعبد الله بن جبير بن النعمان، ومعن بن عديّ بن الجد بن عجلان، وعُويم بن ساعدة. وشهداها من الخزرج أحد وستون رجلاً: مهم من بني التجار أحد عشر رجلاً، وهم أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، ومعاذ بن الحرث بن رفاعَة، وأخوه عوف بن الحرث، وأخوه معوذ بن الحرث، وعُمارَة بن حزم بن زيد، وأسعد بن زُرارة بن عُدَس، وسهل بن عتيك بن العمان، وأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود، وقيس بن أبي صعصعة، وعمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة.

ومن بني الحرث بن الخزرج سبعة نفر، وهم: سعد بن الربيع بن عمرو، وخارجة بن زيد بن أبي زهير، وعبد الله بن رواحة، وبشير بن سعد بن ثعلبة، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، وخَلَاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، وعُقبَة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة.

ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيْق ثلاثة نفر، وهم: زياد بن لبيد بن ثعلبة ابن سنان، وفروة بن عمرو بن ودَقَة، وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان.

ومن بني زريق بن عامر بن زريق ثلاثة نفر: رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو، ودُكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مخلد بن عامر بن زريق - وكان خرج إلى رسول الله ﷺ فكان معه بمكة فهاجر، فكان يقال له: مهاجري أنصاري - وعباد بن قيس بن عامر بن خالد.

(١) النسعة: سير مضفور يجعل زمامًا للبعير وغيره.

(٢) الجمّة: الجمّة من شعر الرأس، ما سقط على المنكبين، وهي أكثر من الوفرة.

ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد أحد عشر رجلاً: البراء بن معرور بن صخر، وابنه بشر بن البراء، وسنان بن صيفي بن صخر، والطفيل بن النعمان بن خنساء، ومعل بن المنذر بن سرح، ويزيد بن المنذر بن سرح، ومسعود بن يزيد بن سبيع، والضحاك بن حارثة بن زيد، ويزيد بن حرام بن سبيع، وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء، والطفيل بن مالك بن خنساء.

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة: كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد، وهو الشاعر.

ومن بني غنم بن سواد بن غنم خمسة نفر، وهم: سليم بن حديدة، ويزيد بن عامر بن حديدة، وهو أبو المنذر^(١)، وأبو اليسر، واسمه كعب بن عمرو، وصيفي بن سواد بن عباد، وقُطبة بن عامر بن حديدة، أخو يزيد.

ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم خمسة نفر: ثعلبة بن غنمة بن عدي ابن نابي، وعمرو بن غنمة بن عدي، وعبس بن عامر بن عدي، وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاة، وخالد بن عمرو بن عدي.

ومن بني حرام بن كعب سبعة^(٢) نفر، وهم: عبد الله بن عمرو بن حرام، وابنه جابر بن عبد الله، ومعاذ بن عمرو بن الجموح، وثابت بن الجذع - والجذع ثعلبة بن زيد -، وعمير بن الحارث بن ثعلبة، وخديج بن سلامة بن أوس، ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، مات بعُمّواس^(٣) عام الطاعون.

ومن بني عوف بن الخزرج أربعة نفر، وهم: عبادة بن الصامت بن قيس، والعباس بن عبادة بن نضلة - وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة فأقام فكان يقال له: مهاجري أنصاري، قتل يوم أحد - وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة حليف لهم من بني عَصِيّة من بلي، وعمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو.

ومن بني سالم بن غنم بن عوف - وهم بنو الحُبلي - رجلاً: رفاعه بن عمرو بن ثعلبة بن مالك، وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد حليف لهم، وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ مهاجراً إلى مكة، فكان يقال له مهاجري أنصاري.

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلاً: سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس، وامرأتان، وهما: نسيبة ابنة كعب بن عمرو،

(١) كذا في ابن هشام، والذي في الأصل: «ابن».

(٢) في الأصل: «خمسة» والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٠٧.

(٣) عمّواس: اسم مكان في الشام.

وهي أم عمارة، وأم منيع، واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، ولم يضافهن رسول الله ﷺ، فإنه كان لا يضافح النساء، وإنما كان يأخذ عليهن، فإذا أقررن قال: أذهبن، وكان النقباء من هؤلاء اثني عشر رجلاً، وهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع بن عمرو، وعبد الله بن رواحة بن أمراء القيس، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت بن قيس، وسعد بن عبادة بن دليم، والمنذر بن عمرو بن حنيس^(١) ويقال: ابن حنيس، هؤلاء من الخزرج.

ومن الأوس ثلاثة نفر: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة بن الحارث، ورفاعة بن عبد المنذر.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وأهل العلم يعدّون أبا الهيثم بن التيهان، ولا يعدّون رفاعة. والله أعلم بالصواب.

ذكر أول آية أنزلت في القتال

قال محمد بن إسحاق: كان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقبة الأولى لم يؤذن له في الحرب، ولم تُحلل له الدماء، وإنما أمر بالدعاء إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل، وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه حتى فتنوهم عن دينهم، وأخرجوهم من بلادهم، فلما عتت قريش على الله؛ أذن الله تعالى لرسوله ﷺ في القتال، فكانت أول آية أنزلت في إذنه تعالى له في الحرب، قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السُّلُوكُ وَمَسْجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١). ثم أنزل الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ؛ أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه، ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، أي حتى يعبد الله لا يعبد غيره.

ذكر أول من هاجر من مكة إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: لما أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الحرب، وبايعه الأنصار على الإسلام، والنصرة له وللمن أتبعه وأوى إليهم من المسلمين، أمر النبي ﷺ

(١) كذا في الأصل، والذي في ابن هشام «خنس».

أصحابه من المهاجرين من قومه، ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها، واللُّحوق بإخوانهم من الأنصار؛ وقال: «إن الله قد جعل لكم إخواناً، وداراً تأمنون بها»، فخرجوا أرسالاً، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإذن من الله في الهجرة إلى المدينة، فكان أول من هاجر من المهاجرين من قريش: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله المخزومي، وكانت هجرته قبل بيعة العقبة بسنة، وكان قد قدم من أرض الحبشة، فلما أذنه قريش، وبلغه إسلام مَنْ أسلم من الأنصار هاجر إلى المدينة، فنزل بقرية بني عمرو بن عوف بقباء على أحمد بن مبشر ابن عبد المنذر، ثم كان أول من قدمها بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب، معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم، ثم عبد الله بن جحش بن رثاب، حليف بني أمية بن عبد شمس، احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش، وهو أبو أحمد، وكان رجلاً ضرير البصر، وكان يطوف مكة بغير قائد، وكانت عنده الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب، نزل هؤلاء كلهم بقباء على أحمد بن مبشر أيضاً، ثم قدم المهاجرون أرسالاً، ثم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعياش بن أبي ربيعة في عشرين من المسلمين، منهم: زيد بن الخطاب أخو عمر، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُقَيْل، وخُنَيْس بن حذافة السهمي، وواقد بن عبد الله التميمي حليف بني عدي، وعبد الله وعمرو ابنا سراقبة بن المعتمر - ويقال: عمر بدل عمرو - وخولي بن أبي خولي، حليف الخطاب، وأخوه مالك - ويقال: هلال بن أبي خولي بدل مالك - وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وخالد، وعامر. ويقال: وكان مع عمر ابنه عبد الله بن عمر.

قال ابن إسحاق: فنزل عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة في بني عمرو ابن عوف بقباء، فجاء أبو جهل والحارث ابنا هشام إلى عياش إلى المدينة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، فكلماه في الرجوع، وقالوا: إن أمك قد نذرت أن لا يُمشط رأسها مُشط، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرق لها. قال عمر بن الخطاب: فقلت له: يا عياش، إنه والله إن يريدك القوم [ليفتنوك]^(١) عن دينك فاحذرهم، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت، ولو اشتد عليها حر مكة لاستظلت. فقال: أبر قَسَم أُمي، وليس هناك مال فأخذه. قال عمر: فقلت له: يا عياش، والله إنك لتعلم أنني من أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما. قال: فأبى إلا أن يخرج معهما، فقلت: أما إذ فعلت فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجبية ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من

(١) الزيادة عن ابن هشام ٢: ١١٨.

القوم ريب، فأنج عليها، فخرج عليها معهما حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظتُ بعيري هذا، أفلا تُعقبني^(١) على ناقتك؟ قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما أستووا بالأرض أوثقاه^(٢) رباطاً، ثم دخلا به [مكة]^(٣)، وفتناه فأفتتن. رواه ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر.

قال ابن إسحاق: ودخلا به مكة نهراً موثقاً، وقالوا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهاثكم كما فعلنا بسفيهننا هذا. قال ابن عمر في حديثه فكنا نقول: ما الله بقابل ممن أفتتن صَرْفًا^(٤) ولا عدلاً ولا توبة، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم، وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَرْفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥]، قال عمر: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشام بن العاص، فلما قرأها لحق برسول الله ﷺ بالمدينة.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثني مَنْ أثق به أن رسول الله ﷺ قال وهو بالمدينة: «مَنْ لي بعباش بن أبي ربيعة، وهشام بن أبي العاص؟» فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة: أنا لك يا رسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفياً، فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها: أين تريدان يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين - تعنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا قد حُبسوا في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسوّر عليهما^(٥)، ثم أخذ مروة^(٦) فوضعتها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، ثم حملهما على بعيره وسار بهما، فعثر فدميت إصبعه فقال: [من الرجز]

هل أنت إلا إصبعٌ دَمِيت وفي سبيل الله ما لقيت

نعود إلى تتمة أخبار عمر في هجرته - قال ابن إسحاق: ونزل عمر بن الخطاب

(١) تعقبني على ناقتك: أي أن نركب مداورة.

(٢) في ابن هشام: ٢: ١١٩ «عدوا عليه فأوثقاه وربطاه».

(٣) الزيادة عن ابن هشام.

(٤) الصرف: بمعنى، الدية.

(٥) تسوّر: تسلق السور.

(٦) المروة: المروة، واحدة المرو، وهي حجارة بيض رقيقة توري النار.

حين نزل المدينة ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبد الله أبنا سُراقة بن المعتمر، وخُنيس بن حُذافة السهمي - وكان صهره على أبنته حفصة خلف عليها رسول الله ﷺ بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وواقد بن عبد الله التميمي، حليف لهم، وخولي بن خولي، ومالك بن خولي، حليفان لهم، وبنو البكير الأربعة: إياس، وعافل، وعامر، وخالد، حلفاؤهم، وهم من بني سعد بن ليث، على رفاعه بن المنذر بقباء^(١)، ثم تتابع المهاجرون^(٢)، فنزل طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف^(٣) أخي بلحارث بن الخزرج، ويقال: بل نزل طلحة على أسعد بن زرارة، ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو مرثد كَنَاز بن حصين، وأبنة مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب، وأُتْسَة وأبو كبشة موليا رسول الله ﷺ على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء - ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة، ويقال: بل نزل حمزة على أسعد بن زُرارة - ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطفيل والحُصين، ومِسْطَح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَة، أخو بني عبد الدار، وطُليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي، وخبّاب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله بن سلمة أخي بلعجلان بقباء، ونزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث، ونزل الزبير بن العوام، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعُصْبَة^(٤) دار بني جَحْجَبَى^(٥)، ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بني عبد الدار على سعد بن مُعَاذ بن النعمان في دار بني عبد الأشهل. ونزل أبو حذيفة بن عُثْبَة بن ربيعة، وسالم مولى أبي حذيفة، وعُثْبَة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخي بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل. ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار. وكان يقال: نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة، وذلك أنه كان عَزَبًا.

(١) على فرسخ من المدينة.

(٢) في الأصل: «المهاجرين»؛ وهو خطأ من الناسخ.

(٣) ويقال فيه: «يساف» بياء مفتوحة: وهو ابن عتبة، ولم يكن حين نزل المهاجرون عليه مسلماً، بل آخر إسلامه حتى خرج رسول الله ﷺ إلى بدر (عن الاستيعاب ملخصاً).

(٤) كذا ضبطه ياقوت، وذكر أنه حصن بقباء.

(٥) جد أحيحة بن الجلاح الثريبي.

ذكر اجتماع قريش في دار الندوة، وتشاورهم في شأن النبي ﷺ، واتفاقهم على قتله، وحماية الله تعالى له، وخبر الشيخ النجدي، وهو إبليس، خزاه الله

قال محمد بن إسحاق، يرفعه إلى عبد الله بن عباس وغيره قالوا: لما^(١) رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد كانت له شيع وأصحاب من غيرهم من غير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم، فأجتمعوا في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، فلما أجمعوا لذلك، واتعدوا له، غدوا في يوم الموعد، وهو اليوم المسمى يوم الزحمة^(٢)، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل عليه بَت^(٣) - قال الواقدي: مشتمل^(٤) الصماء في بَت - قال: فوقف على باب الدار، فلما رأوه قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي اتعدتم له، فحضر معكم لسمع ما تقولون، وعسى ألا يُعَدِّمكم منه رأياً ونُصْحاً، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم، وقد اجتمع أشرف قريش، وهم: عُتْبَةُ، وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وطُعَيْمَةُ بن عدي، وجُبَيْر بن مطعم، والحارث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحارث بن كَلْدَةَ، وأبو البختري بن هشام، وزَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام، وأبو جهل ابن هشام، ونُبَيْه ومَنْبَةُ ابنا الحجاج، وأمِيَةُ بن خلف، وغيرهم ممن لا يعدّ من قريش، فقال بعضهم لبعض: إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، وإنا والله ما نأمنه على الثوب علينا ممن قد أتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: أحبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله: زهير^(٥) والنابغة^(٦)، ومن مضى منهم حتى

(١) ابن هشام: ٢: ١٢٤.

(٢) سمي يوم الزحمة لتزاحم أشرف القبائل القرشية في دار الندوة.

(٣) البت: في ابن هشام: «بتلة»، والبتلة والبت: الكساء الغليظ.

(٤) واشتمال الصماء هو أن يشتمل الرجل بالثوب حتى يجلل به جسده، ولا يرفع منه جانباً، فيكون فيه فرجة يخرج منها يده، وهو التلغع (اللسان: شمل).

(٥) زهير بن أبي سلمى: زهير بن أبي سلمى، ربيعة بن رباح المزني، من مضر (.... - ١٣ ق هـ =

.... - ٦٠٩ م) حكيم الشعراء في الجاهلية... ولد في بلاد «مزينة» بنواحي المدينة. وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد). (الأعلام: ٣: ٥٢).

(٦) النابغة الذبياني: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمانة (.... - نحو ١٨ =

يصيبه ما أصابهم، فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، ولأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره، فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فوالله [ما]^(١) نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به، والله لئن فعلتم ذلك ما أمتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم ليسير بهم إليكم حتى يطأكم فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد؛ دبّروا فيه رأيا غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: إن لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فتيا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه، فنستريح منه؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا [فلم يقدّر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا]^(٢)، فرضوا منا بالعقل^(٣)، فعقلناه لهم. فقال النجدي: القول ما قال الرجل؛ هذا الرأي لا أرى غيره.

وحكي أن هذا الرأي كان رأي الشيخ النجدي، وأنه لما أشار به قالوا: كلهم: صدق النجدي، صدق النجدي! والله أعلم.

فأتى جبريل إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالخبر، وقال له: لا تبث هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام، فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلّي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ثم على فراشي، وتسج^(٤) ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم».

قال: فقال أبو جهل ومن معه على الباب: إن محمدًا يزعم أنكم إذا تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنان

= ق هـ = ... - نحو ٦٠٤ م). شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. عاش عمرًا طويلًا. (الأعلام: ٣: ٥٤).

(١) عن ابن هشام. (٢) عن ابن هشام. (٣) العقل: الدية. (٤) تسجي: تغطي.

كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بُعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، قال: فخرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب في يده، ثم قال: «نعم أنا أقول ذلك، أنت أحدهم»، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس: ﴿يَس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْكَيْفِ ۝٢﴾. إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾ [يس: ١-٩].

ولم يبق منهم رجل إلا وضع على رأسه ترابًا، ثم انصرف إلى حيث أراد، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدًا، قال: خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا وقد وضع على رأسه ترابًا وأنطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا ينظرون فيه فيرون عليًا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله ﷺ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائمًا عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عن الفراش؛ فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا.

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل من القرآن في ذلك اليوم قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِمَنكُرٍ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرْكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمُنْكَرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْزِئْهُ رِبًّا رَبِّ الْمُنُونِ ۝٣١ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَصِبِينَ ۝٣٢﴾ [الطور: ٣٠، ٣١].

ذكر ابتداء هجرة رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه

قال محمد بن إسحاق: لما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى المدينة، أقام هو بمكة بعدهم ينتظر الإذن من الله تعالى في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة إلا أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن حُبس أو فُتن. وكان أبو بكر يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة كثيرًا فيقول له: «لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه.

وروي عن عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أنها قالت: كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بُكرة وإما عَشية [حتى] ^(١) إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة والخروج من مكة، أتانا رسول الله ﷺ بالهجرة في ساعة كان لا يأتي فيها. قالت: فلما رآه أبو بكر

قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حَدَث، فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء، فقال رسول الله ﷺ: «أخرج عني مَنْ عندك» قال: يا رسول الله، إنما هما أبتائي، وما ذاك فذاك أبي وأمي؟ قال: «إن الله أذن لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله! قال: «الصحبة». قالت: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، ثم قال: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان كنت أعددتكما لهذا. فاستأجرا عبد الله بن أرقط - وقيل: الأريقط - الليثي وكان مشركاً، يدلُّهما على الطريق، ودفعنا إليهما راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما. قال ابن إسحاق: ولم يعلم بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا أبو بكر وآل أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، أخبره رسول الله ﷺ بخروجه، وأمره أن يتخلف بعده، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس.

ذكر خبر الغار وما قيل فيه

قال: لما أجمع رسول الله ﷺ الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خُوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عمدا إلى غار بثور - جبل بأسفل مكة - فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر، وأمر عامر بن فهيرة موله أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما.

قال ابن هشام: حدَّثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن، قال: لما انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً دخل أبو بكر قبل رسول الله ﷺ يلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله ﷺ بنفسه.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ ثلاثاً، ومعه أبو بكر، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يرده عليهم. وكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش يسمع ما يأترون به، وما يقولون في شأن النبي ﷺ وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعاء من أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فأحتلبا وذبحا، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره الغنم حتى يعفي عليه.

وقال محمد بن سعد بسنده إلى زيد بن أرقم وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم: إن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت في وجه النبي ﷺ

فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار، وأقبل فتیان قريش من كل بطن رجل بأسيا فهم وعصيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ قَدَر أربعين ذراعاً، نظر أولهم فرأى الحمامتين فرجع فقال له أصحابه: ما لك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد. فسمع رسول الله ﷺ قوله، فعرف أن الله عز وجل درأ عنه بهما، وقال بعض من حضر في طلبه: إن عليه من العنكبوت ما هو قبل ميلاد محمد. وقال أبو بكر رضي الله عنه: فنظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»! قال: ومكثا في الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر.

قال محمد بن سعد: قالت عائشة رضي الله عنها: وجهزناهما أحب الجهاز، وصنعنا لهما سُفرة في جراب، فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فأوكأت^(١) به الجراب، وقطعة أخرى صيرتها عصاماً^(٢) لفم القربة؛ فلذلك سميت أسماء ذات النطاقين.

قال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو بكر معه احتمل ماله كله معه، - خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف - فانطلق بها معه، فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قال: فقلت: كلاً يا أبت، إنه ترك لنا خيراً كثيراً، قالت أسماء: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة^(٣) البيت حيث كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: ضع يا أبت يدك على هذا المال، فوضع يده عليه وقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم؛ فلا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك. والله أعلم.

**ذكر خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من الغار،
وتوجههما إلى المدينة، وما كان من أمر سُرّاقة بن مالك،
وأم معبد وغير ذلك إلى أن انتهيا إلى المدينة**

كان خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه من الغار ليلة الاثنين لأربعِ خَلَوْن من شهر ربيع الأول، وذلك أنه لما مضت الأيام الثلاثة، وسكنَ عنهما

(٣) الكوة: الطاقة.

(٢) عصاماً: غطاء.

(١) أوكأت: ربطت.

الناس أتاهما عبد الله بن الأريقط براحلتيهما وبعير له، فقرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين إلى رسول الله ﷺ، وقدم له أفضلهما^(١) ثم قال: اركب فذاك أبي وأمي يا رسول الله! فقال رسول الله ﷺ: «إني لا أركب بعيرًا ليس لي»، قال: فهي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي! قال: «لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتهما به؟» قال: كذا وكذا، قال: «قد أخذتها بذلك».

قال محمد بن سعد: وكان أبو بكر اشتراهما بثمانمائة درهم من نعم بني قُشير، فأخذ رسول الله ﷺ إحداهما وهي القُضواء.

قال ابن إسحاق: فركبا وأنطلقا، وأردف أبو بكر رضي الله عنه مولاه عامر بن فهيرة خلفه، ليعدهما في الطريق.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أسرنا ليلتنا ويومنا حتى إذا قام قائم الظهيرة وأنقطع الطريق، ولم يمر أحد، رُفعت لنا صخرة لها ظل لم تأت عليه الشمس. قال: فسويت للنبي ﷺ مكانًا في ظلها، وكان معي فزو ففرشته، وقلت للنبي ﷺ: نم حتى أنفض ما حولك، فخرجت فإذا أنا براع قد أقبل يريد من الصخرة مثلما أردنا، وكان يأتيها قبل ذلك فقلت: يا راعي، لمن أنت؟ قال: لرجل من أهل المدينة يعني مكة، قال: قلت: هل في شائك من لبن؟ قال: نعم، قال: فجاءني بشاة فجعلت أمسح الغبار عن ضرعها وحلبت في إداوة^(٢) معي كِثبة^(٣) من لبن، وكان معي ماء للنبي ﷺ في إداوة فصببت على اللبن من الماء لأبرده، فوافيت رسول الله ﷺ حين قام من نومه فشرب وقال: «ما آن الرحيل؟» قلت: بلى، قال: فأرسلنا حتى إذا كنا بأرض صلبة جاء سُرّاقه بن مالك بن جُعشم، فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله قد أتينا، قال: «كلا»، ودعا رسول الله ﷺ، فأرتطم فرس سُرّاقه - أي احتبس إلى بطنه - فقال: قد أعلم أن قد دعوتما عليّ فأدعوا لي، ولكما عليّ أن أردّ الناس عنكما ولا أضركما. قال: فدعا له فرجع ووفى وجعل يرّد الناس ويقول: قد كفيتما ما ها هنا. وقد روي عن سُرّاقه أنه قال لأبي جهل بن هشام: [من الطويل]

أبا حَكَمٍ والله لو كنتَ شاهدًا لأمرٍ جوادي إذ تسوخُ قوائِمُهُ^(٤)
علمتَ ولم تشككْ بأنَّ محمدًا رسولٌ ببرهان فمن ذا يقاومُهُ

(١) في الأصل: «لغسلهما» والصواب ما أثبت. كما في ابن هشام: ٢: ١٣١.

(٢) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

(٣) كِثبة: قليل.

(٤) ساخ: غاص في الأرض.

عليك بكف القوم عني فإنني أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طراً^(١) تسالمه

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقه بن مالك قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة، جعلت فيه قريش مائة ناقة لمن يرده عليهم، فبينما أنا جالس في نادي قومي أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيت ركبة^(٢) ثلاثة مروا عليّ آنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه، قال: فأومأت إليه بعيني أن أسكت، ثم قلت: إنما هم بنو فلان يتغون ضالة لهم، قال: لعله. ثم قمت فدخلت بيتي وأمرت بفرسي فقيدت إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحجي فأخرج من دُبُر^(٣) حُجْرَتِي، ثم أخذت قِداحي^(٤) التي^(٥) أستقسم بها، ثم أنطلقت فلبست لأمتي^(٦)، ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها، فخرج السهم الذي أكره: «لا يضره»، قال: وكنت أرجو أن أردّه على قريش فأخذ المائة، فركبت الفرس في أثره، فبينما فرسي يشتد بي عشر فسقطت عنه، فقلت: ما هذا؟ ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره «لا يضره»، قال: فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عشر بي فرسي فذهبت يداها في الأرض وسقطت عنه، ثم أنتزع يده من الأرض وتبعهما دُحَانُ كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع مني وأنه ظاهر، فناديته القوم: أنا سراقه بن جعشم، أنظروني أكلمكم، فوالله لا يأتينكم مني شيء تكرهونه، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «قل له وما تبتغي منا؟» فقال لي ذلك أبو بكر، قلت: تكتب لي كتاباً يكون بيني وبينك، قال: «اكتب له يا أبا بكر»، فكتب لي كتاباً في عَظْم أو في رقعة أو في خرقة ثم ألقاه إليّ فأخذته فجعلته في كنانتي^(٧)، ثم رجعت فلم أذكر شيئاً مما كان، حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ، وفرغ من حُتَيْنِ والطائف، فرحت ومعني الكتاب لألقاه فلقيته، بالجعرانة^(٨)، فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار

(١) في الأصل: «طوراً» وهو تصحيف.

(٢) ركبة: جمع راكب.

(٣) دُبُر: داخل - مؤخر.

(٤) القِداح: السهام.

(٥) في الأصل: «الذي»، والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٣٤.

(٦) اللأمة: الدرع.

(٧) الكنانة: جعبة السهام.

(٨) الجعرانة: ما بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة.

فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ماذا تريد؟ قال: فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته، والله إني لأنظر إلى ساقه في غرزة^(١) كأنها جمارة، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت: يا رسول الله، هذا كتابك أنا سراقه بن جعشم فقال رسول الله ﷺ: «يوم وفاء وبر، اذنه»، قال: فدنوت منه فأسلمت. والله الهادي للصواب.

ومروا على خيمتي أم معبد الخزاعية، وأسم أم معبد عاتكة بنت خالد بن منقذ ابن ربيعة، ويقال: عاتكة بنت خالد بن خليف، وكانت بَرْزَة^(٢) جلدة تجلس بفناء القبة^(٣) تَسْقِي وتُطْعِم، فسألوها تمرًا ولحمًا يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئًا، وكان القوم مُزْمِلِينَ مُسْتَتِينَ^(٤)، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْر^(٥) الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين أن أحلبها؟» قالت: نعم، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فأحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله، ودعا لها في شاتها، فتفاجت عليه - أي فتحت ما بين رجليها - ودرت، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرِّهْط - أي يُرويه - فحلب فيه ثَجًّا^(٦) ثم سقاها حتى رَوِيَتْ، ثم سقى أصحابه حتى رَوُوا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب إناء حتى ملأه ثم غادره عندها، وباعها وأرتحلوا عنها، وأصبح صوت بمكة عالٍ يسمعون، ولا يدرون من صاحبه وهو يقول: [من الطويل]

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين قال ^(٧) خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر وأرتحلا به	فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجارى وسودد ^(٨)
ليهن بني كعب مكان فتاتهم	ومقعدها للمؤمنين بمرصد

(١) غرزه: الغرز للرحل، هو كالركاب للسر.

(٢) البرزة: التي تظهر للناس.

(٣) في الأصل: «الهنة» وهو تصحيف. والتصحيح عن السيرة الحلبية، وفي الدلائل وغيرها: «الخيمة».

(٤) مرملين مستتين: مرملين: نقد زادهم، ومستتين: مجدين.

(٥) كسر الخيمة: الشقة السفلى من الخباء.

(٦) ثجًا: لبنًا كثيرًا.

(٧) قالوا: نزلا وقت القيلولة.

(٨) زوى: صرف، لا تجارى: لا مثيل لها، سودد: مجد.

سَلُّوا أَخْتَكُمْ عَنْ شَاتِيهَا وَإِنَائِهَا فَإِنْكُمْ إِنْ تَسَالُوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ لَهُ بِصَرِيحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ مُزِيدٌ^(١)
فَغَادَرَهَا زَهْنًا لَدَيْهَا لِحَالِبٍ تَدِيرُ بِهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدٍ^(٢)

قال ابن إسحاق: ولما خرج بهما دليلهما عبد الله بن أريقط سلك بهما أسفل مكة، ثم مضى بهما على الساحل أسفل من عُسْفَانَ^(٣)، ثم سلك بهما أسفل أمج^(٤) ثم استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز قُدَيْدًا^(٥)، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخَرَارَ^(٦)، ثم سلك بهما ثنية المرأة^(٧)، ثم سلك بهما لُقْفًا^(٨). ويقال: لُقْفًا^(٩) - ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ^(١٠) لُقْفٍ، ثم أَسْتَبْطَنَ بهما مَدْلَجَةَ مَجَاجٍ^(١١)، ثم سلك بهما مَرْجَحَ مَجَاجٍ، ثم ثَبَطَنَ بهما [مَرْجَحَ]^(١٢) من ذي الْعَصَوَيْنِ^(١٣)، ويقال: الْعَصَوَيْنِ، ثم بَطَنَ ذِي كَشْرٍ^(١٤)، ثم أخذ بهما على الْجَدَاجِدِ^(١٥)، ثم على الْأَجْرَدِ^(١٦)، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ^(١٧) من بطن أَعْدَاءِ مَدْلَجَةِ تَعْنٍ^(١٨)، ثم على

- (١) الصريح: اللبن الخالص. الضرة: أصل الضرع.
- (٢) في مصدر ثم مورد: أي يحلبها مرة ثم أخرى، والمعنى: ترك الشاة عندها ذات لبن.
- (٣) عسفان: موضع بين مكة والمدينة.
- (٤) أمج: موضع بين مكة والمدينة فيه مزارع.
- (٥) قديد: موضع قرب مكة.
- (٦) الخرار: موضع قرب الجحفة.
- (٧) ثنية المرأة: تخفيف المرأة، وهو اسم موضع.
- (٨) لُقْفًا: موضع كثير الماء لا زرع فيه.
- (٩) لفت: وادٍ في طريق المدينة، وقد وقع الخلاف في لقف ولف في حديث الهجرة، وكلاهما صحيح، وهذا موضع، وذلك آخر.
- (١٠) المدلجة: الحوض الذي يفرغ فيه الساقى دلوه.
- (١١) مجاج: موضع، وفيه خلاف. راجع ياقوت.
- (١٢) ساقطة من الأصل. والمثبت عن ابن هشام: ٢: ١٣٦.
- (١٣) ذو الغصوين: ثنية الغضا.
- (١٤) ذي كشر: في الأصل: «كشد» وهو تحريف. وكشر: موضع بين مكة والمدينة.
- (١٥) الجداجد: جمع جدجد، بضم الجيمين، وهي البئر القديمة. ياقوت.
- (١٦) الأجرد: أحد جبلي جُهينة، بين المدينة والشام.
- (١٧) ذو سلم: وادٍ من أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة.
- (١٨) تعن: عين ماء، على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة والأعداء: النواحي.

العَبَّائِد، ويقال: العَبَّابِب. ويقال: العِثْيَانَة - ثم أجاز بهما الفاجّة^(١)، ويقال: القاحّة، ثم هبط بهما العَرْج^(٢)، وقد أبطأ عليهم بعضُ ظهرهم، فحمل رسول الله ﷺ رجلُ يقال له: أوس بن حجر على جمل له إلى المدينة، بعث معه غلامًا له يقال له: مسعود بن هُنَيْدَة، ثم خرج بهما دليلهما من العرج، فسلك ثنية العائر عن يمين رَكُوبَة^(٣) - ويقال الغاير - حتى هبط بهما [بطن] رِثْم، ثم قدم بهما قُبَاء على بني عمرو بن عوف. قال الشيخ شرف الدين الدمياطي: وكان عبد الله بن الأريقط على كفره، ولم يعلم له إسلامٌ.

ذكر قدوم رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: كان مقدم رسول الله ﷺ قُبَاء يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحَا، وكادت الشمس تعتدل، وهو ﷺ ابن ثلاث وخمسين سنة، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة. وقال الخوارزمي: قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجرًا يوم الاثنين، وهو اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، ويوم عشرين من أيلول، فكان من مبعثه إلى يوم هاجر ودخل المدينة ثلاث عشرة سنة كاملة. قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله ﷺ لما سمعوا بخروجه من مكة وتَوَكَّفُوا^(٤) قدومه، يخرجون إذ صلوا الصبح إلى ظاهر الحرّة ينتظرونه، فلا يبرحون حتى تغلبهم الشمس على الظلال فيدخلون، وذلك في أيام حارة، حتى إذا كان اليوم الذي قَدِم فيه رسول الله ﷺ جلسوا على عادتهم، حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم، فقدم رسول الله ﷺ حين دخلوا البيوت، فكان أول من رآه رجل من يهود، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قَيْلَة^(٥) هذا جدكم قد جاء، قال: فخرجوا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة، ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سِنِّه، وأكثر الأنصار لم يكن يعرف رسول الله ﷺ قبل ذلك، فأقبل الناس وما يعرفونه من أبي بكر، حتى إذا زال الظل عن رسول الله ﷺ قام أبو بكر فأظله بردائه، فعرفوه عند ذلك، قال: فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن هذم أخي بني عمرو بن عوف، وهو الأصح، وكان إذا خرج من منزل كلثوم جلس للناس

(١) الفاجّة: الفاجّة والقاحّة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا، بنحو ميل.

(٢) العَرْج: مكان بين مكة والمدينة على جادة الحاج، تذكر مع السقيا.

(٣) ركوبة: ثنية بين مكة والمدينة عند العرج.

(٤) توكفوا: استشعروا قدومه، وانتظروه.

(٥) بنو قيلة: هم الأنصار، وقيلة: اسم جدة كانت لهم.

في بيت سعد بن خَيْثَمَة، وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهل له، وكان منزل العُزَاب من المهاجرين، ونزل أبو بكر الصديق رضي الله عنه على خُبَيْب بن إِسَاف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح. وقيل: بل نزل على خارجة بن زيد. وأقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال، حتى أَدَّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، ثم لحِقَ برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هِدم، فأقام رسول الله ﷺ بَقَاء من يوم الاثنين إلى آخر يوم الخميس أربعة أيام.

ذكر خروج رسول الله ﷺ من قباء وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد

قال محمد بن إِسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة من منزل كلثوم فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانونا^(١)، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. قال محمد بن سعد: صلاها بمن كان معه من المسلمين وهم مائة. قال ابن إِسحاق: فأثاه عَثْبَان بن مالك، وعباس بن عباد بن نضلة، في رجال من بني سالم بن عوف، فقالوا: يا رسول الله، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة، قال: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» فخلوا سبيلها، فأنطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة، اعترضه سعد بن عباد، والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة، فقالوا مثل ذلك، وقال مثل ما قال لأولئك، فخلوا سبيلها، فأنطلقت، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع، وخارجة بن زيد، وعبد الله بن رواحة في رجال من بلحارث من الخزرج، فقالوا مثل ذلك، وقال مثل ما قال، فخلوا سبيلها فأنطلقت، حتى إذا مرت بدار بني عدي بن النجار وهم أخواله اعترضه سليط بن قيس، وأبو سليط أسيرة بن أبي خارجة^(٢) في رجال من بني عدي بن النجار، فقالوا: يا رسول الله هَلُم إلى أخوالك، إلى العدد والعدة والمنعة، فقال كما قال لأولئك، فخلوا سبيلها فأنطلقت، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجد رسول الله ﷺ، وهو يومئذ مَرَبِدٌ^(٣) لغلّامين يتيمين من بني النجار، في حجر معاذ بن عَفْرَاء وهم سهل وسهيل أبنا عمرو، فلما بركت ثبت رسول الله ﷺ ولم ينزل، فسارت غير بعيد، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه، ثم تَحَلَّحَلَتْ^(٤) ورَزَمَتْ ووضعت جِرائنها، فنزل عنها رسول الله ﷺ،

(١) رانونا: بين قباء والمدينة يلتقي مع بطحان في دار بني زريق.

(٢) الذي في أسد الغابة: «أسيرة بن عمر بن قيس بن مالك».

(٣) المربد: الموضع الذي يجمع فيه الزرع والثمر للتجفيف.

(٤) في الأصل: «تجلجلت» وما أثبتناه عن ابن هشام؛ وقال السهيلي: إن ابن قتيبة فسره بتلحلت - =

وأحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته، ونزل عليه رسول الله ﷺ. قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: لما بركت الناقة جعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فحط رحله فأدخله منزله، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع رحله»، وجاء أسعد بن زُرارة، فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده، قال زيد بن ثابت فأول هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها إناء قَصْعَة مَثْرُود فيها خبز وسمن ولبن، فقلت: أرسلت بهذه القصعة أمي، فقال: «بارك الله فيك»، ودعا أصحابه فأكلوا، فلم أرم^(١) الباب حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة؛ ثريد وعُراق^(٢)، وما كان من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام، يتناوبون ذلك حتى تحول رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب، وكان مقامه فيه سبعة أشهر.

وقال ابن إسحاق: أقام رسول الله ﷺ من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة، حتى بني له فيها مسجده ومساكنه. والله أعلم.

وبعث رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم، فقدموا إلى مكة لفاطمة وأم كلثوم عليهما السلام أبتني رسول الله ﷺ، وسودة بنت زَمْعَة زوجته، وأسامة بن زيد، وحمل زيد بن حارثة أمرأته أم أيمن مع أبنها أسامة بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان، وكانت رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ بالحبيشة مع زوجها عثمان بن عفان، قال ابن إسحاق بسنده إلى أبي أيوب قال: لما نزل رسول الله ﷺ في بيتي نزل في السُّفْل، وأنا وأم أيوب في العُلُو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، إني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فظهر أنت وكن في العُلُو، وننزل نحن ونكون في السُّفْل، فقال: «يا أبا أيوب، إن أُرْفِق بنا ومن يغشانا أن نكون في سُفْل البيت»، قال: فلقد أنكسر حُب^(٣) لنا فيه ماء، فقامت أنا وأم أيوب بقطيفة^(٤) لنا ما لنا لحاف غيرها، ننشِف بها الماء؛ تخوفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ فيؤذيه، قال: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رد علينا فضلة

= بتقديم اللام - لزمت مكانها، وكذا فسر في النهاية: تلحلت: أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح ضد تحلل. ورزمت الناقة: إذا أقامت من الكلال، وجرانها: عنقها.

- (١) لم أرم: لم أبرح.
- (٢) عراق: جمع عرق، وهو جمع نادر، والعرق (بالسكون): العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم.
- (٣) الحب: جرة كبيرة.
- (٤) القطيفة: الغطاء المخمل.

تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ فَأَكَلْنَا مِنْهُ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةَ بَعَثَانِهِ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثَوْمًا، قَالَ: فَرَدَّهُ وَلَمْ أَرْ لَيْدَهُ فِيهِ أَثَرًا، فَجِئْتُهُ فَرِغًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، رَدَدْتَ عِشَاءَكَ وَلَمْ أَرْ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ؟ فَكُنْتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ لِلْبَرَكَةِ، قَالَ: «فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَأَنَا رَجُلٌ أَنَاجِي»^(١) فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ، فَأَكَلْنَاهُ وَلَمْ نَصْنَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

ذكر بناء مسجد رسول الله ﷺ وبيوته بالمدينة

قال محمد بن سعد عن محمد بن عمر بن واقد قال: حَدَّثَنِي مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ، قَالَ: بَرَكْتَ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْضِعِ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ يَصْلِي فِيهِ رِجَالُ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِزْبَدًا لِسَهْلٍ وَسَهِيلٍ غَلَامِينَ يَتِيمِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَا فِي حِجْرِ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْغَلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِزْبَدِ لِيَتَّخِذَهُمَا مَسْجِدًا فَقَالَا: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى ﷺ حَتَّى أَتْبَاعَهُ مِنْهُمَا. قَالَ أَبُو سَعْدٍ: وَقَالَ غَيْرُ مَعْمَرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ: فَأَتْبَاعَهُ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرٍ، وَأَمْرُ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يُعْطِيَهُمَا ذَلِكَ، فَكَانَ جِدَارًا مَجْدَرًا لَيْسَ عَلَيْهِ سَقْفٌ، وَقَبْلَتُهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ بَنَاهُ، فَكَانَ يَصْلِي بِأَصْحَابِهِ فِيهِ، وَيَجْمَعُ بِهِمْ فِيهِ الْجُمُعَةَ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّخْلِ الَّذِي بِالْحَدِيقَةِ، وَبِالْغَرْقَدِ الَّذِي فِيهِ أَنْ تَقْطَعَ، وَأَمَرَ بِاللِّبْنِ فَضْرَبَ، وَكَانَ فِي الْمِزْبَدِ قُبُورُ جَاهِلِيَّةٍ فَأَمَرَ بِهَا فُنِشَتْ، وَبِالْعِظَامِ أَنْ تُغَيَّبَ، وَكَانَ فِي الْمِزْبَدِ مَاءٌ مُسْتَنْجَلٌ^(٢) فَسَيَّرُوهُ حَتَّى ذَهَبَ. فَأَسَّسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ وَأَسَّسُوا مَعَهُ، فَجَعَلُوا طَوْلَهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخَّرِهِ، مِائَةَ ذِرَاعٍ، وَفِي هَذَيْنِ الْجَانِبَيْنِ مِثْلُ ذَلِكَ فَهُوَ مُرَبَّعٌ، وَيُقَالُ: كَانَ أَقْلُ مِنَ الْمِائَةِ، وَجَعَلُوا الْأَسَاسَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثَةِ أَذْرَعٍ عَلَى الْأَرْضِ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ بَنَوْهُ بِاللِّبْنِ، وَبَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، وَجَعَلَ يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَهُمْ بِنَفْسِهِ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ فَاعْفُ رَحْمَةً لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ» قَالَ: وَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَرْتَجِزُ:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ
قال ودخل عمار بن ياسر وقد أثقلوه باللبن فقال: يا رسول الله، قتلوني؛

(١) أناجي: من المناجاة: وهي أن يحدث الإنسان غيره.

(٢) مستنجل: مستنقع، والنجل: الماء الذي يخرج من الأرض نژا.

يحملون عليّ ما لا يحملون، قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته^(١) بيده، وكان رجلاً جَعْدًا، ويقول: «ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك إنما تقتلك الفئة الباغية»، قال ابن سعد: وجعل رسول الله ﷺ قِبْلَةَ المسجد إلى بيت المقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: بابًا في مؤخره، وبابًا يقال له: باب الرحمة، وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله ﷺ، وجعل طول الجدار بسطة، وعمده الجذوع، وسقفه جريدًا^(٢)، ف قيل له: ألا تسقفه؟ فقال: «عريش»^(٣) كعريش موسى خشيبات وتُمام^(٤) الشأن أعجل من ذلك» قال: وبنى بيوتًا إلى جنبه باللين، وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء، بنى لعائشة رضي الله عنها [في البيت الذي يليه شارع إلى المسجد]^(٥) على ما ذكره إن شاء الله تعالى. وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أرسل رسول الله ﷺ بالنخل فقطّعه، وبقيور المشركين فنيّشت، وبالجرب فسويت، قال: فصفوا النخل قبله، وجعلوا عضادته^(٦) حجارة.

ذكر بناء المسجد الذي أسس على التقوى وهو مسجد قباء

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده إلى سهل بن سعد وأبي غزيرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال: لما صُرِفَت القبلة أتى رسول الله ﷺ مسجد قباء فقدم جدار المسجد إلى موضعه اليوم وأسسّه، وقال: «جبريل يؤمّ بي البيت»، ونقل رسول الله ﷺ وأصحابه الحجارة لبنائه. وكان رسول الله ﷺ يأتيه كل سبت ماشيًا، وقال ﷺ: «من توضأ فأصبغ الوضوء، ثم جاء مسجد قباء فصلّى فيه كان له أجر عمرة»، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس، وقال: لو كان بطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل. قال: وكان أبو أيوب يقول: هذا المسجد الذي أسس على التقوى. وكان أبيّ بن كعب وغيره يقولون: بل هو مسجد رسول الله ﷺ.

(١) أي وفرة عمار؛ والوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

(٢) الجريد: قضبان النخل.

(٣) العريش: كل ما يستظل به. سئل الحسن عن معنى «عريش موسى» فقال: إذا رفع يده بلغ العريش، أي السقف.

(٤) التمام: نبت ضعيف يسد به خصاص البيوت.

(٥) الزيادة عن ابن سعد، وفي الأصل: «بنى بعائشة» وهو خطأ. (راجع ابن سعد ج ١ ق ٢: ٢).

(٦) العضادة: جانب العتبة من الباب، والضمير للمسجد.

ذكر ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة، ودعاء رسول الله ﷺ لهم

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة قدمها وهي أوبأ^(١) أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ. قالت: فكان أبو بكر رضي الله عنه، وعامر بن فهيرة وبلال، موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فأصابتهما الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا [الحجاب]^(٢) وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوباء، فدنوت من أبي بكر فقلت: كيف تجدك يا أبت؟ فقال: [من الرجز]

كل أمرئ مَصْبَح في أهله والموت أذن من شركك نغله
قالت: فقلت والله ما يدري أبي ما يقول، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حثفه من فوقه^(٣)
كل أمرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمي جلده بروقه^(٤)
فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول؛ قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى أضطجع بفناء البيت، ثم يرفع عقيرته^(٥)، فيقول: [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفج وخولي إذخر وجليل^(٦)
وهل أردن يوماً مياة مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل^(٧)
قالت عائشة: فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم، فقلت: إنهم ليهزون، وما يعقلون من شدة الحمى، فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة، كما حببت إلينا مكة وأشد، وبارك لنا في مدها وصاعها^(٨)، وأنفل وباءها إلى مهية»؛ وهي الجحفة.

(١) أوبأ: الأكثر وباء. والوباء: المرض المعدي.

(٢) الزيادة عن الديار بكري: ١: ٣٥٠، ودلائل النبوة.

(٣) الحثف: الهلاك. (٤) الروق: القرن.

(٥) العقيرة: الصوت.

(٦) فج: موضع خارج مكة فيه ماء اغتسل فيه رسول الله ﷺ وهو محرم: الأدخر: من نبات مكة طيب الرائحة الجليل: الشام، وهو نبت ضعيف.

(٧) مجنة: موضع أسفل مكة على أميال، كانت تقام فيها سوق للعرب. شامة وطفيل: قيل: هما جبلان بنواحي مكة، وقيل: هما عينان.

(٨) المد والصاع: من المكايل.

ذكر مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار

كان ذلك بعد مَقْدَم رسول الله ﷺ؛ روى محمد بن سعد عن الزهري وغيره قال: لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة آخى بين المهاجرين بعضهم لبعض، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخى بينهم على الحق والمواصلة، يتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً؛ خمسة وأربعون من المهاجرين، وخمسة وأربعون من الأنصار، قال ويقال: مائة؛ خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار، فلما كانت وقعة بدر وأنزل الله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥] فنسخت هذه الآية ما كان قبلها، وأنقطعت المؤاخاة في الميراث.

ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار، وموادعة يهود، وإقرارهم على دينهم، وما أشرطه فيه عليهم ولهم

كان مضمون الكتاب على ما أورده ابن هشام عن ابن عباس عن ابن إسحاق: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي [صلى الله عليه وسلم] بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم^(١) يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ^(٢) بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم^(٣) الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون بينهم معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة

(١) رِبْعَة: حالة حسنة، أو أمرهم الذي كانوا عليه، وفي النهاية: «أنهم أمة واحدة على رباعتهم، يقال: القوم على رباعتهم ورباعهم أي على استقامتهم، يريد أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه». وقوله: «يتعاقلون»: العقل: الدية التي تجب على العاقلة، وهي دية الخطأ، والعاقلة: عصابة القاتل.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) معاقلهم الأولى: أي يكونون على ما كانوا عليه من أخذ الديات وإعطائها، والمعاقل: الديات.

تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين [وبنو النُبُيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين]^(١) وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا^(٢) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وإنه لا يُحَالِف^(٣) مؤمنٌ مؤلى مؤمنٌ دونه، وإن المؤمنين المتقين على من بَغَى منهم، أو أَبْتغى دسيعة^(٤) ظلم، أو إثم، أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين؛ وإن أيديهم عليه جميعًا ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمنٌ مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن، وإن ذمة الله واحدة يُجِير عليهم أديانهم، وإن المؤمنين بعضهم مَوَالِي بعض دون الناس، وإنه مَنْ [تَبَعْنَا مِنْ]^(٥) يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإن^(٦) سِلْم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمنٌ دون مؤمن في قتال في سبيل الله عز وجل إلا على سَوَاء وعدل بينهم، وإن كل غَازِيَةٍ غَزَتْ معنا يُعْقِب بعضها بعضًا، وإن المؤمنين يُبَىء^(٧) بعضهم عن بعض؛ بما نال دماءهم في سبيل الله عز وجل، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه، وإنه لا يُجِير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفسًا ولا يحول دونه على مؤمن، وإن من أَعْتَبَطَ^(٨) مؤمنًا قتلًا عن بينة فإنه قَوْدٌ به، إلا أن يرضى وليُّ المقتول، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم [إلا] القيام عليه، وأنه لا يحل لمؤمنٍ أقر بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُخَدِّثًا ولا يؤويه، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ، وإنكم مهما أختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله تعالى وإلى محمد ﷺ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم؛ إلا من ظَلَم وأثم فإنه لا يُوْتِغ^(٩) إلا نفسه وأهل بيته، وإن لليهود بني النجار مثل ما

(١) الزيادة عن ابن هشام: ٢: ١٤٨.

(٢) المفرح: المثقل بالدين، والكثير العيال.

(٣) المحالفة: المؤاخاة، والمعاقدة.

(٤) الدسيعة: العطية، أي طلب أن يدفعوا له عطية على سبيل الظلم.

(٥) الزيادة عن ابن هشام، وفي الأصل: «وأنه من تهود فإن له النصر». وهذا خطأ.

(٦) السلم: بالكسر والفتح. الصلح: يذكر ويؤنث.

(٧) يبىء: هو من البواء: أي المساواة.

(٨) اعتبط: قتل بلا جناية، ولا جريرة توجب القتل، القود: القصاص. وفي الأصل: «قوديد» وهو تصحيف.

(٩) يوتغ: يهلك.

ليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جُشَم مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ثعلبة مثل ما لليهود بني عوف، إلا من ظَلَم وأثم، فإنه لا يُوتَغ إلا نفسه وأهل بيته، وإن جَفَنَة بطن من بني ثعلبة [كأنفسهم] وإن لبني الشُّطَنَة مثل ما لليهود بني عوف، وإن البرّ دون الإثم، وإن مَوالي ثعلبة كأنفسهم، وإن بطانة^(١) يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وإنه لا يَنْحَجِر على ثأر جُرح، وإنه مَنْ قَتَلَ فبنفسه [قَتَلَ، وأهل بيته]، إلا من ظلم، وإن الله على أبرّ هذا^(٢)، وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، [وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وإنه لم يأثم أمرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وإن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة]، وإن الجار كالنفس غير مُضَار ولا آثم، وإنه لا تُجار حُرمة إلا بإذن أهلها، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يشرب، وإذا دعوا إلى صلح يصلحون ويلبسونه، فإنهم يصلحون ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس^(٣) حصّتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البرّ المخض من أهل هذه الصحيفة - ويقال مع البرّ المحسن - وإن البرّ دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم، وإنه من خرج آمين، ومن قعد آمين بالمدينة إلا من ظلم وأثم، وإن الله جازّ لمن برّ وأتقى ومحمد رسول الله.

ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أنزل فيهم من القرآن

وقد رأيت أن أجمع ما فرقه أهل السير من أخبار المنافقين، وأضم بعضه إلى بعض، وأورده جملة واحدة، فإن ذلك لم يكن في وقت واحد ولا في سنة بعينها، بل أورده أهل السير بحسب ما وقع، وفرقوه في الغزوات وغيرها، فأثرت جمعه في هذا

(١) البطانة: باطنة الرجل: خاصته وأهل بيته.

(٢) أبر هذا: أي على الرضا به.

(٣) في الأصل: «أسنان» والمثبت عن ابن هشام.

الموضع، وما كان قد وقع في غزاة أو حادثة نبهت عليه في موضعه على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى.

قال محمد بن إسحاق رحمه الله: كان رجال من الأوس والخزرج ممن أسلم وهو على جاهليته، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعثة، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره، وأجتمع قومهم عليه، فظهروا بالإسلام، وأتخذوه جنة^(١) من القتل، وناقضوا في السر، وكان هواهم مع يهود؛ لتكذيبهم وجحودهم الإسلام، فكان منهم من الأوس من بني عمرو بن عوف، ثم من بني لؤذان بن عمرو بن عوف: زوي بن الحارث، ومن بني حبيب بن عمرو: جلاس بن سويد بن صامت؛ وأخوه الحارث بن سويد، قال: وجلاس هو الذي قال عند تخلفه عن غزوة تبوك: لئن كان هذا الرجل صادقاً لنحن شر من الحمير، فرفع ذلك من قوله إلى رسول الله ﷺ عمير بن سعد، وكان في حجر جلاس خلف على أمه بعد أبيه، فلما تكلم جلاس بهذا قال له عمير: والله يا جلاس، إنك لأحب الناس إلي، وأحسنهم عندي يداً، وأعزهم علي أن يصيبه شيء يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحتك، ولئن صممت عليها ليهلكن ديني، وإلحداهما أيسر علي من الأخرى، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال، فحلف جلاس لرسول الله ﷺ لقد كذب علي عمير، وما قلت ما قال، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا بِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]، قال ابن إسحاق: فزعموا أنه تاب فحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. والله أعلم بالصواب.

وأما أخوه الحارث بن سويد فإنه قتل المجذر بن ذياد البلوي في يوم أحد ولحق بقريش، وكان المجذر قتل سويد بن صامت في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، فلما كان يوم أحد قتله بأبيه، قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقتله إن هو ظفر به ففاته، وكان بمكة ثم بعث إلى أخيه جلاس يطلب التوبة ليرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه - فيما حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٦] إلى آخر القصة. وكان من المنافقين من بني ضبيعة بن يزيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بجاد بن

(١) جنة: ملاذاً، منجاة.

عثمان بن عامر ونبتل بن الحارث، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ فيما حكى: «من أحب أن ينظر إلى الشيطان فليُنظر إلى نبتل بن الحارث»، وكان رجلاً جسيماً أدلم^(١)، نائر شعر الرأس، أحمر العينين، أسفع^(٢) الخدين، وكان يأتي رسول الله ﷺ ويتحدث إليه ويسمع منه، ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، وهو الذي قال: إنما محمد أذن^(٣)، من حديثه شيئاً صدقه. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنُ قُلْ أذنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وأخبر جبريل رسول الله ﷺ به وبصفته فيما حكاها ابن إسحاق، وأبو حبيبة بن الأزعر، وكان ممن بنى مسجد الضرار. وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وهما اللذان عاهدا الله ﴿لَيْتَ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومعتب هو الذي قال يوم أحد: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلناها هنا، فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] إلى آخر القصة. وهو الذي قال يوم الأحزاب: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، فأنزل الله فيه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. والحارث بن حاطب - وقال ابن هشام: ثعلبة والحارث ابنا حاطب، هما من بني أمية بن زيد من أهل بدر، وليسا من المنافقين - والله أعلم. ومنهم عباد بن حنيفة أخو سهل، وبخزج؛ وهو ممن بنى مسجد الضرار، وعمرو بن خذام، وعبد الله بن نبتل، وجارية بن عامر بن العطف وأبناه زيد ومجمع؛ وهم ممن بنى مسجد الضرار. وكان مجمع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره، فكان يصلي بهم فيه، فلما كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كُلم عمر في مجمع ليصلي ببني عمرو بن عوف في مسجدهم، فقال عمر: لا، أو ليس بإمام المنافقين في مسجد الضرار! فقال: يا أمير المؤمنين والله الذي لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم إلا على أحسن ما ذكروا؛ فزعموا أن عمر تركه يصلي بقومه. ومن بني أمية بن زيد بن مالك وديعة بن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار، وهو الذي قال: إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيه وفيمن قال بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥] إلى آخر القصة.

ومن بني عبيد بن زيد بن مالك خذام بن خالد، وهو الذي أخرج مسجد الضرار

(١) الأدلم: الأسود، الطويل.

(٢) السفع: اسوداد مشرب بحمرة.

(٣) أذن: يأخذ بما يقال له.

من داره، وبشر ورافع ابنا زيد، ومن بني النبيت مزبع بن قَيْظِي وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين أجاز^(١) حائطه، ورسول الله ﷺ عامدٌ إلى أحد: لا أجل لك يا محمد إن كنت نبياً أن تمرّ بحائطي، وأخذ في يده حفنة من تراب ثم قال: والله لو أعلم أنني لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به؛ فابتدره القوم ليقتلوه، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصيرة»، وضربه سعد بن زيد بالقوس فشجّه، وأخوه أوس بن قَيْظِي، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ يوم الخندق: إن بيوتنا عورة، فأذن لنا أن نرجع إليها، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٣]. ومن بني ظَفَر - وأسم ظفر كعب - حاطب بن أمية بن رافع، وبشير بن أبيرق، وهو أبو طُعْمَة سارق الدُرْعَيْن الذي أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]. وقُرْمان حليف لهم. قال ابن إسحاق بسنده: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «إنه لمن أهل النار»، فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً حتى قتل تسعة من المشركين، وأثبتته الجراحة، فحمل إلى دار بني ظَفَر، فقال له رجل من المسلمين: أبشريا قُرْمان، فقد أبليت اليوم، وقد أصابك ما ترى في الله، قال: بماذا أبشّر، والله ما قاتلت إلا حمية عن قومي، فلما أشدّت به جراحه أخذ سهماً من كنانته، ففقط به رواهش^(٢) يده فقتل نفسه. قال ابن إسحاق: ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة إلا أن الضحاك بن ثابت أحد بني كعب رهط سعد بن زيد قد كان يُتهم بالنفاق وحُبّ يهود. قال ابن إسحاق: وكان جُلّاس بن سُويّد قبل توبته، ومعتب بن قُشَيْر، ورافع بن زيد، وبشّر هم الذين دعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ، فدعاهم إلى حُكّام الجاهلية فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ. وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] إلى آخر القصة. فهؤلاء الذين ذكرناهم من الأوس.

ومن الخزرج من بني النجار رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو، وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهل. ومن بني جُشم بن الخزرج الجدّ بن قيس، وهو الذي يقول: يا محمد ائذن لي ولا تفتني، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]؛

(١) أجاز: مرّ، والحائط: البستان.

(٢) رواهش: عروق.

وكان رسول الله ﷺ قد قال له وهو في جهازه إلى تبوك: «يا جَدَّ، هل لك العام في جَلاد^(١) بني الأصفر؟» قال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تَفْتِنِي؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشدَّ عجبًا بالنساء مني، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر. فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «أذنت لك»، فأنزل الله تعالى فيه ما أنزل. ومن بني عوف بن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان رأس المنافقين وكانوا يجتمعون إليه. قال محمد بن إسحاق: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وسيد أهلها عبد الله بن أبي ابن سلول^(٢)، لا يختلف عليه في شرفه من قومه أثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين - حتى جاء الإسلام - غيره؛ قال: ومعه رجل من الأوس هو في قومه شريف مطاع، وهو أبو عامر عبد الله بن عمرو بن صَيْفِي بن النعمان، أحد بني ضُبَيْعَة بن زيد، وهو أخو حنظلة الغَسِيل^(٣) وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المُسُوح، وكان يقال له: الراهب، فشقيا بشرفهما. فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن^(٤)، ورأى أن رسول الله ﷺ قد أستلبه مُلْكًا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مُصِرًّا على نفاق. وقد روي عن أسامة بن زيد بن حارثة قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عُبادة يعوده من شكوى أصابته، على حمار عليه إكَاف^(٥) فوقه قُطَيْفَة فَذَكِيَّة مختطمة بحبل من ليف، وأردفني ﷺ خلفه، قال: فمر بعبد الله بن أبي ابن سلول، وهو في ظلِّ مُزاحم^(٦) أُطْمِه، وحوله رجال من قومه، فلما رآه رسول الله ﷺ تَذَمَّن^(٧) من أن يجاوزه حتى ينزل، فنزل فسَلَّم ثم جلس فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل، وذكَّرَ بالله وحذَّرَ وبشَّرَ وأنذَرَ، قال: وهو زام^(٨) لا يتكلم،

(١) جَلاد: قتال.

(٢) عبد الله بن أبي ابن سلول: عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي، أبو الحُبَاب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه من خزاعة (.... - ٩ هـ = ٦٣٠ - ٦٣١ م) رأس المنافقين في الإسلام، من أهل المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقية، ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، انخزل ابن أبي وكان معه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم إلى المدينة، وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. (الأعلام: ٤: ٦٥).

(٣) سمي الغسيل لأن الملائكة غسلته؛ وذلك أنه خرج جنبًا حين سمع الصيحة يوم أحد فمات وهو يقاتل في سبيل الله.

(٤) ضغن: حقد. (٥) إكَاف: جلال.

(٦) مزاحم: اسم الأطم، والأطم: الحصن.

(٧) تذمم: استنكف. (٨) زام: رافع رأسه لا يقبل عليه كبرًا.

حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته، قال: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقًا، فأجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تَغْشُه به، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه. فقال عبد الله بن رَوَاحَة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى فأغشنا به وأتينا في مجالسنا ودورنا وبيوتنا، فهو والله ما نحب، وما أكرمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله حين رأى من خلاف قومه ما رأى: [من الطويل]

متى ما يَكُنْ مولاك خَضَمك لم تَزَلْ تَذِلْ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ

وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَنَاحِه وإنْ جُدَّ يومًا ريشُه فهو واقعٌ^(١)

قال: فقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد بن عبادة وفي وجهه ما قال عدو الله، فقال سعد: والله يا رسول الله، إني لأرى في وجهك شيئًا؛ لكأنك سمعت شيئًا تكرهه. قال: «أجل»، ثم أخبره بما قال ابن أبي، فقال: يا رسول الله أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإنا لننظم له الخرزَ لتتَوَّجَه، فإنه ليرى أنك قد سلبته ملكًا. وكانت مقالة عبد الله بن أبي هذه قبل تلفظه بالإسلام، وسنورد إن شاء الله تعالى من أخباره في الغزوات، وأنحيازه عن المسلمين بثُلث الناس يوم أُحُد، وما قاله في غزوة المريسيع^(٢) وغيرها ما تقف عليه في مواضعه، مما تستدل به على صحة نفاقه، وإصراره في الباطن على كفره، وأما أبو عامر فإنه أبى إلا الإصرار على كفره، وفارق قومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج إلى مكة ببضعة عشر رجلًا، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، وهو أول من أنشب الحرب يوم أُحُد على ما ذكره إن شاء الله تعالى. قال: وكان أبو عامر قد أتى النبي ﷺ حين قدم المدينة فقال: ما هذا الذي جئت به؟ قال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، قال: فأنا عليها، قال له رسول الله ﷺ: «إنك لست عليها»، قال: بلى، إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها، قال: «ما فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية»، قال: الكاذب أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا - يُعْرَضُ برسول الله ﷺ: أي إنك ما جئت بها كذلك! فقال رسول الله ﷺ: «أجل»، فمن كذب يفعل الله به ذلك»، فكان هو ذاك؛ خرج إلى مكة، فلما أفتتحها رسول الله ﷺ خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام، فمات به طريدًا غريبًا وحيدًا.

ومن المنافقين من أخبار يهود

ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق: سعد بن

(١) جُدَّ: تنف.

(٢) غزوة المريسيع: إحدى غزوات الرسول ﷺ.

حَنِيف، وزيد بن اللُّصَيْت، ونُعْمان بن أَوْفَى، وعثمان بن أبي أوفى. وزيد بن اللُّصَيْت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب بسوق بني قَيْنُقَاع، وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ في غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، ولا يدري أين ناقتة! فقال رسول الله ﷺ - وجاءه الخبر بما قاله ودَّله الله عليها -: «إن فلانًا قال: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقتة، وإنني والله لا آتيكم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الشَّعْب، قد حبستها شجرة بزمامها»، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكما وصف. ومنهم رافع بن خُرَيْمَة وهو الذي قال رسول الله ﷺ حين مات: «قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين». ورفاعة [بن زيد] بن التابوت، وهو الذي قال رسول الله ﷺ حين هبت ريح وهو قافل من غزوة بني المصطلق وأشدَّت، حتى أشفق منها المسلمون: «لا تخافوا، فإنها هبت لموت عظيم من عظماء الكفار»، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد رفاعة بن زيد مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح، وسلسلة بن بزْهَام، وكِنَانَة بن صُورِيَا.

وكان هؤلاء يحضرون المسجد يسمعون أحاديث المسلمين، ويسخرون منهم، ويستهزئون بدينهم. قال ابن إسحاق: فأجتمع يومًا منهم في المسجد ناس، فرأهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم بأقصى أصواتهم^(١) قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا؛ فقام أبو أيوب خالد بن زيد إلى عمرو بن قيس أحد بني النجار - وكان صاحب ألْهَتهم في الجاهلية - فأخذ برجله يسحبه حتى أخرجه من المسجد، وهو يقول: أخرجني يا أبا أيوب من مزبد بني ثعلبة! ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن ودِيعَة أحد بني النجار فلبَّبه بردائه، ثم نثره^(٢) نثرًا شديدًا، ولطم وجهه وأخرجه، وهو يقول: أف لك منافقًا خبيثًا! أدراجك^(٣) يا منافق من مسجد رسول الله ﷺ. وقام عُمارة بن حَزْم إلى زيد بن عمرو - وكان رجلًا طويل اللحية - فأخذ بلحيته فقاده بها قودًا عنيفًا حتى أخرجه، ثم جمع عُمارة يديه فلذمه^(٤) بها في صدره لدمة خَرَّ منها، فقال: خدشتني يا عُمارة، قال: أبعدك الله يا منافق، فما أعد الله لك من العذاب أشدَّ من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ. وقام أبو محمد مسعود بن أوس من بني النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غلامًا

(١) في ابن هشام: «خافضي أصواتهم».

(٢) نثر: جذب.

(٣) أدراجك: أي ارجع من الطريق التي جئت منها.

(٤) اللدْم: الضرب بيطن الكف.

شاباً ولا يُعلم في المنافقين شاب غيره، فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه. وقام عبد الله بن الحارث من بَلْخُذْرَةَ^(١) رهط أبي سعيد الخدري إلى الحارث بن عمرو، وكان ذا جُمَّة^(٢)، فأخذ بجُمَّتِهِ فسحبه بها سحباً عنيقاً على ما مرَّ به من الأرض حتى أخرجه، فقال له: لقد أغلظت يا بن الحارث، فقال له: إنك أهل لذلك - أي عدو الله - لما أنزل فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس. وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث فأخرجه إخراجاً عنيقاً، وأقف^(٣) منه، وقال: غلب عليك الشيطان وأمره.

قال: فهؤلاء من حضر المسجد يومئذ من المنافقين؛ وفي هؤلاء من المنافقين، وفي أحبار يهود أنزل الله تعالى صدر سورة البقرة إلى المائة منها؛ والله أعلم.

فالذي منها مما يختص بالمنافقين قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] إلى قوله: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ فِي طُغْيَانِهِمْ يَقْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥]. وقوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] أي شك فزادهم الله شكاً. وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] لأنهم كانوا يقولون: إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شُيَاطِينِهِمْ﴾ أي من تهود ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أي على مثل ما أنتم عليه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] أي إنما نستهزئ بالقوم ونلعب بهم. ثم ضرب الله لهم مثلاً فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] الآية؛ أي يبصرون الحق ويقولون به، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر أطفئوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم الله في ظلمات الكفر فيهم لا يبصرون هدى، ولا يستقيمون على حق. ثم قال تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُتِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] أي عن الخير، لا يرجعون إلى هدى. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ وَّرَعْدٌ وَيَرْقُ يُجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي ٓءَاذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩] الصَّيِّبُ: المطر. قال ابن إسحاق: أي هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل، على الذي هم عليه من الخلاف والتخوف لكم، على مثل ما وُصِفَ، من الذي هو في ظلمة الصَّيِّبِ، يجعل أصابعه في أذنيه من الصواعق حذر الموت. ﴿وَاللّٰهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي منزل ذلك بهم من النعمة، وقوله: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ أي لشدة ضوء الحق ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي يعرفون الحق

(١) بَلْخُذْرَةَ: يريد بني الخدرة.

(٢) الجملة: شعر الرأس الكثيف.

(٣) أقف منه: أي قال له أف.

ويتكلمون به، فهم من قولهم على استقامة، فإذا أرتكسوا منه إلى الكفر قاموا متحيرين. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠] أي لما تركوا الحق بعد معرفته. والله تعالى أعلم بالصواب.

وحيث ذكرنا ما ذكرنا من أخبار المنافقين، فلنذكر أخبار يهود، ونجمع ما تفرق منها على نحو ما تقدم.

ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله ﷺ، وما أنزل فيهم من القرآن

قال: لما أظهر الله تعالى دينه، وأطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة، اجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار، وأستحكم أمر الإسلام، نصبت أخبار يهود العداوة لرسول الله ﷺ بغياً وحسداً، مع تحققهم نبوته، وصحة رسالته، وأنه الذي نص الله تعالى عليه في التوراة، فكانوا يسألون رسول الله ﷺ ويتعتنونه، وهم من بني النضير: حُيَيَّ بن أخطب، وأخواه أبو ياسر وحُدَيَّ، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، وكزدم بن قيس حليفه أيضاً. ومن بني ثعلبة بن الفطيمون^(١) - ويقال فيه الفطيموس - عبد الله بن صوريا الأعور، وهو أعلم أهل زمانه بالحجاز بالتوراة، وأبن صلوبا، ومخيريق، وكان خبرهم. ومن بني قينقاع: زيد بن الصلبيت - ويقال فيه اللصبيت - وسعد بن حنيف، ومحمود بن سحان، وعزير بن أبي عزير، وعبد الله بن صيف - ويقال ابن صيف - وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص، وأشيع، ونعمان بن أضا، ويحري بن عمرو، وشاس بن عدي بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دخية، ومالك بن صيف، وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد، وأزار بن أبي أزار - ويقال فيه: أزر بن أبي أزر - ورافع بن حارثة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد، وعبد الله بن سلام بن الحارث؛ وكان خبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحُصَيْن، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله.

ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن سموال، وكعب بن أسد، وشمویل بن زيد، وجبل بن عمرو، والتحام بن زيد، وقزدم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، وكزدم بن

(١) الفطيون: كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود وملكهم.

زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رُمَيْلة، وجبل بن أبي قُشَيْر، ووهب بن يهودا.
ومن يهود بني زُرَيْق لَبِيد بن أَعْصَم الساحر. ومن يهود بني الحارثة: كنانة ابن
صُورِيَا. ومن يهود بني عمرو بن عوف قَزْدَم بن عمرو. ومن يهود بني النجار:
سِلْسِلَة بن بَرْهَام؛ هؤلاء أخبار يهود، وأهل العداوة لله تعالى ولرسوله، لم يستثن منهم
إلا عبد الله بن سَلَام ومُخَيَّرِيق، فإنهما أسلما. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع.

ذكر إسلام عبد الله بن سلام^(١)، ومخيريق

أما عبد الله بن سلام فإنه كان عالماً حبراً من أخبار يهود؛ حكى محمد بن
إسحاق عن خبر إسلامه رواية عن بعض أهله عنه قال: لما سمعت برسول الله ﷺ
عرفت صفته وإسلامه وزمانه الذي كنا نَتَوَكَّف^(٢) له، فكنت مُسِيراً لذلك صامتاً عليه،
حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بَقْبَاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجلٌ
حتى أخبر بقدومه، وأنا على رأس نخلة أعمل فيها، وعمتي خلدَة^(٣) بنت الحارث
تحتي جالسة، فلما سمعتُ الخبر كَبُرْتُ؛ فقالت عمتي حين سمعت تكبيرتي: خبيك
الله! والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادماً ما زدت. قال: قلت لها: أي عمّة،
هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به؛ قالت: أي ابن أخي،
هذا النبي الذي كنا نخبر به أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قلت: نعم؛ قالت: فذاك إذا؛
قال: ثم خرجتُ إلى رسول الله ﷺ فأسلمت؛ فلما رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم
فأسلموا، وكنتم إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن
يهود قوم بُهَت^(٤)، وإني أحب أن تدخلني بعض بيوتك فتغيّيني عنهم، ثم تسألهم عني
حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني؛ قال:
فأدخلني رسول الله ﷺ بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلّموه وسألوه ثم قال لهم: «أي
رجل الحصين بن سَلَام فيكم؟» فقالوا: سيدنا وابن سيدنا وعالمنا؛ فلما فرغوا من
قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به، فوالله
إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإنني
أشهد أنه رسول الله، وأؤمن به، وأصدقّه وأعرفه؛ فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي،

(١) يلاحظ أنه لا يوجد من اسمه سلام بالتخفيف في المسلمين، سلام بالتخفيف في اليهود. راجع

الروض الأنف: ٢: ٢٥. سبقت ترجمته هو ومخيريق.

(٢) نتوكف: أي ننتظر وقوعه.

(٣) ويقال: «خالدة».

(٤) بهت: جمع بهوت، والبهوت: من البهتان وهو الكذب.

فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بُهت، أهل غدر وكذب وفجور؟ قال: وأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خلة بنت الحارث فحسن إسلامها.

وأما مُخَيَّرِيق - قال ابن إسحاق: كان حبراً عالمًا، وكان غنيًا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه ألف دينه، فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أُحُد وهو يوم السبت، قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأُحُد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قُتِلت في هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله؛ فلما أقتتل الناس قاتل حتى قُتِل، فكان رسول الله ﷺ فيما حكي يقول: «مُخَيَّرِيق خير يهود»، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها.

قال: وكان مما أنزل الله تعالى في أمر اليهود صدرًا من سورة البقرة؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] أي إنهم قد كفروا بما عندك من ذكرٍ لهم، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك، فقد كفروا بما جاءك، وبما عندهم مما جاءهم به غيرك، فكيف يستمعون منك إنذارًا أو تحذيرًا!

وقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ أي عن الهدى لن يصيبوه أبدًا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧] أي بما هم عليه من خلافك.

وقوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ اِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي اَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِي اَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَاِتَّيْتَنِي فَاَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٢] أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم.

ثم قال الله تعالى: ﴿اَتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَاَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ اَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] أي تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من التوراة، وتتركون أنفسكم، وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي، وتنقضون ميثاقي، وتجحدون ما تعلمون من كتابي. ثم عدّد عليهم أحداثهم فيما سلف، فذكر لهم العجل، وقولهم لموسى: ﴿اَرَنَا اِلٰهًا جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وصعقتهم عند ذلك، ثم إحياء الله لهم وإظلالهم بالغمام، وإنزاله عليهم المن والسلوى، وقوله لهم: ﴿وَاَدْخُلُوا اَبْنَابَكُمْ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] أي قولوا ما أمركم به أخطأ به ذنوبكم عنكم؛

وتبديلهم ذلك، إلى ما ذكره الله تعالى من أخبارهم مع موسى.

قم قال الله تعالى والخطاب لنبيه ﷺ ولمن معه من المؤمنين: ﴿أَنْظِمُوهُ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) [البقرة: ٧٥]. قال الفريق الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه؛ وهم الذين قالوا لموسى ﷺ: يا موسى، قد جيل بيننا وبين رؤية ربنا، فاسمعنا كلامه حين يكلمك، فطلب موسى ذلك من ربه لهم، فقال تعالى: مرهم فليطهروا ويطهروا ثيابهم، ويصوموا، ففعلوا، ثم خرج بهم حتى أتى الطور، فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى فوقعوا سُجُودًا وكلمه ربه، فسمعوا كلامه يأمرهم وينهاهم، حتى عقلوا ما سمعوا، ثم أنصرف بهم موسى إلى بني إسرائيل، فلما جاءهم حَرْفُ فريق ممن سمع ما أمرهم به، وقالوا حين قال موسى لبني إسرائيل: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قال ذلك الفريق: إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، فهم الذين عنى الله تعالى، ثم قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] أي بصاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة. وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧٦) [البقرة: ٧٦] أي تقرون بأنه نبي، وهو يخبرهم أنه النبي الذي كنا نتظره ونجده في كتابنا، أجدوده فلا تقروا لهم به، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرْسُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٧٨) [البقرة: ٧٧، ٧٨] أي إلا تلاوة، والأُمِّي هو الذي يقرأ ولا يكتب، معناه أنهم لا يعلمون الكتاب فلا يدرون ما فيه، فهم يجحدون نبوتك بالظن. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٠) [البقرة: ٨٠] قال ابن عباس رضي الله عنهما: قديم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله تعالى الناس في النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب؛ فأنزل الله تعالى ذلك، ثم قال: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ﴾ أي من عمل مثل أعمالكم، وكفر بمثل ما كفرتم به، حتى يحيط كفره بما له من حسنة ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]. ثم قال تعالى يذمهم: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (٨٣) [البقرة: ٨٣]

أي تركتم ذلك كله. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [البقرة: ٨٤]. قال ابن إسحاق: أقررتهم على أن هذا حق من ميثاقي عليكم، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِلَافِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [البقرة: ٨٥] أي أهل الشرك، حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم معهم، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ﴾ وقد عرفت أن ذلك عليكم في دينكم، ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أي أتفادونهم مؤمنين بذلك وتخرجونهم كفارًا بذلك ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَئِكَ أَشْرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٥، ٨٦] فأنبهم بذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسرائهم فكانوا فريقين، منهم بنو قَيْنُقَاعَ وَلَهُمْ^(١) حلفاء الخزرج، والنضير وقريظة، ولَهُمْ حلفاء الأوس، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قَيْنُقَاعَ مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس يظهر كل واحد من الفريقين حلفاءه على إخوانه حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، وبأيديهم التوراة يعرفون منها ما عليهم وما لهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان، لا يعرفون جنة ولا نارًا، ولا بعثًا ولا قيامة، ولا كتابًا، ولا حلالًا، ولا حرامًا، فإذا وضعت الحرب [أوزارها] أفتدوا أساراهم تصديقًا لما في التوراة وأخذًا به، يفتدي بنو قَيْنُقَاعَ ما كان من أسراهم في أيدي الأوس، [و] يفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في أيدي الخزرج منهم، ويطلبون^(٢) ما أصابوا من الدماء، وقتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم؛ يقول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] أي تفاديه بحكم التوراة وتقتله، وفي حكم التوراة: ألا تفعل: [تقتله]، وتخرجه من داره، وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان أبتغاء عَرْض الدنيا. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أي الآيات التي كانت له من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، والخبر بكثير من الغيوب مما يأكلون وما يذخرون في بيوتهم، ثم ذكر كفرهم بذلك كله، فقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] ثم قال: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [٨٨] وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا

(١) لَهُمْ: أي من عد فيهم.

(٢) في الأصل: «ويطلبون»؛ والصواب: ما أثبت عن ابن هشام، ويطلبون هنا: ييطلبون.

مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْهِتُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ [البقرة: ٨٨-٨٩]؛ وذلك أنهم كانوا يقولون للأَنْصار لما كانوا على جاهليتهم: إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ الْآنَ قَدْ أَظْلَمَ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ، فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِزْمَ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَتَبَعَهُ الْأَنْصَارُ وَكَفَرُوا بِهِ يَهُودُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْكَمَا أَشْرَكُوا بِهِ أَنْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَقِيًّا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ قَبَاءً وَبِعَظْبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٩٠﴾ [البقرة: ٩٠]، غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيمَا صَنَعُوا مِنْ مَخَالَفَتِهِمْ حَكَمَ التَّوْرَةَ، وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ بِكُفْرِهِمْ بِهَذَا النَّبِيِّ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَتَبَعَهُمْ بِرَفْعِ الطُّورِ، وَاتَّخَذَ الْعَجَلَ إِلَيْهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ أَيِ ادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبُ، فَأَبَوْا ذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَمَنَوْهُ فَقَالَ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] أَيِ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ وَالْكَفْرِ بِذَلِكَ، فَيَقَالُ: لَوْ تَمَنَوْهُ يَوْمَ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ، ثُمَّ ذَكَرَ رَغْبَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ فَقَالَ: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَاصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنْ أَلْعَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] أَيِ مَا هُوَ بِمُنْجِيهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يَرْجُو بَعْثًا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُوَ يَحِبُّ طَوْلَ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخِزْيِ بِمَا صَنَعَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى الْهَادِي لِلصَّوَابِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبَ.

ذِكْرُ سُؤَالِ أَحْبَارِ يَهُودِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَشْتِرَاطِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُ إِنْ أَجَابَهُمْ عَمَّا سَأَلُوهُ آمَنُوا بِهِ، وَرَجَوْعِهِمْ عَنِ الشَّرْطِ

وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودِ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا عَنْ أَرْبَعِ نَسَائِكَ عَنْهُمْ، فَإِنْ فَعَلْتَ أَتَبْعُنَاكَ وَصَدَقْنَاكَ وَآمَنَّا بِكَ؛ فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِهَذَا عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ إِنْ أَخْبَرْتَكُمْ بِذَلِكَ لِتَصَدَّقُنِي؟» قَالُوا: نَعَمْ؛ قَالَ: «فَاسْأَلُوا عَمَّا بَدَأَ لَكُمْ» قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ يُشَبِّهُ الْوَلَدَ أُمَّهُ، وَإِنَّمَا النُّطْفَةُ مِنَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَلْ تَعْرِفُونَ أَنَّ نُطْفَةَ الرَّجُلِ بِيَضَاءٍ غَلِيظَةٍ، وَنُطْفَةُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيقَةٍ، فَأَيُّهُمَا عَلَتْ صَاحِبَتُهَا كَانَ لَهَا الشَّبْهُ؟» قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا كَيْفَ نَوْمُكَ، قَالَ: «أَتَشُدُّكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَوْمَ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنِّي لَسْتُ بِهِ تَنَامُ عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ؟» قَالُوا: [اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: «فَكَذَلِكَ نَوْمِي، تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ»] قَالُوا: فَأَخْبِرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ:

«أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه أشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله تعالى، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: «أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟» قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد، لنا عدو، وهو ملك، إنما يأتي بالشدة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لا تبعنك، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١٠٢﴾ وذلك أن النبي ﷺ لما ذكر سليمان في المرسلين قال بعض أحبار يهود: ألا تعجبون من محمد! يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً، والله ما كان إلا ساحراً، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ أي باتباعهم السحر وعملهم به ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتٌ وَمُرُوتٌ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقول: الذي حرم إسرائيل على نفسه: زائدتا الكبد، والكليتان، والشحم، إلا ما على الظهر، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقربان فتأكله النار. والله أعلم بالصواب.

ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه إلى يهود خيبر

عن ابن عباس رضي الله عنهما: كتب رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه، والمصدق بما جاء به موسى، ألا إن الله قد قال لكم: يا معشر أهل التوراة - وإنكم تجدون ذلك في كتابكم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهم فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْرَهُمْ فَتَارَظَرُوا فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٩)؛ وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم^(١) المن والسلوى،

وأنشدكم بالذي أيس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتمونا هل تجدون فيما أنزل عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم؛ ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فادعوكم إلى الله وإلى نبيه.

ذكر ما قاله أخبار يهود في قوله تعالى: ﴿الْم﴾، و﴿الْمَص﴾، و﴿الر﴾، و﴿المر﴾

حكى محمد بن إسحاق أن أبا ياسر^(١) بن أخطب مر برسول الله ﷺ وهو يتلو: ﴿الْم﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ [البقرة: ١-٢]، فأتى أخاه حبي بن أخطب في رجال من يهود. فقال: تعلّموا، والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه: ﴿الْم﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ، فقالوا: أنت سمعته؟ قال: نعم، فمشى حبي في أولئك نفر إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل عليك: ﴿الْم﴾؟ فقال: «بلى»، قالوا: أجهلك بها جبريل من عند الله؟ قال: «نعم»، فقالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بين نبي منهم ما مدة ملكه، وما أكل أمته غيرك. فأقبل حبي بن أخطب على من معه، فقال لهم: الإلف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ فهذه إحدى وسبعون سنة، أفدخلون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة؟ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم»، قال: ماذا؟ قال: ﴿الْمَص﴾ [الأعراف: ١] قال: فهذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والميم أربعون؛ والصاد تسعون، فهذه إحدى وستون^(٢) ومائة، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: «نعم» ﴿الر﴾. قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة، واللام ثلاثون، والراء مائتان، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان، هل مع هذا غيره يا محمد؟ قال: «نعم» ﴿المر﴾. قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة، ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً؟ ثم قاموا عنه؛ فقال أبو ياسر لأخيه حبي ولمن معه من الأخبار: ما يدريك، لعله قد جمع هذا كله لمحمد؛ سبعمائة وأربع [وثلاثون]^(٣) سنة، قالوا: لقد تشابه علينا أمره، فيقال: إن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ

(١) في الأصل: «إياس»؛ صوابه ما أثبت، كما في ابن هشام: ٢: ١٩٤.

(٢) في الأصل: «وثلاثون» وهو خطأ صوابه ما أثبت.

(٣) في الأصل: «وأربع سنين» والتصويب عن ابن هشام.

الْكِتَابِ وَأُخِرُ مُتَشَبِّهَةٌ ﴿٧﴾ [آل عمران: ٧] نزلت فيهم، وقيل: إنما نزلت في وفد نجران، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر شيء من مقالات أخبار يهود، وما أنزل من القرآن في ذلك

كان من مقالاتهم ما قاله مالك بن الضيف حين بعث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم فيه، فقال: واللّه ما عهد إلينا في محمد عهد، وما أخذ له علينا ميثاق، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]. وقال ابن صلوبا الفطيويني^(١) لرسول الله ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك بها؛ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩].

وقال رافع بن خريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد، ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارا نتبعك، ونصدقك، فأنزل الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨] قال: وكان حبي بن أخطب [وأخوه أبو ياسر بن أخطب]^(٢) من أشد يهود للعرب حسدا؛ فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله عز وجل فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْصَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] قال: ولما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ، أتتهم أخبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال رافع بن خريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى، وكفر بالتوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]. وقال رافع لرسول الله ﷺ: يا محمد، إن كنت رسولا من الله كما تقول فقل لله يكلمنا تكليما حتى نسمع كلامه

(١) قال في الروض الأنف: «الفطيويني كلمة عبرانية، وهي عبارة عن كل من ولي أمر اليهود، وملكهم، كالنجاشي لمن ملك الحبشة».

(٢) هذه التكملة أثبتت عن ابن هشام ٢: ١٩٧.

فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (١٧٨). وقال عبد الله بن صوريا الفطيني الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصراري مثل ذلك، فأنزل الله تعالى في أقوالهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٥) إلى قوله: ﴿وَلَا تَسْعَلُونَنَا كَمَا كَانُوا يَسْعَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥-١٤١]، وتكلموا عند صرف القبلة بما نذكره إن شاء الله في حوادث السنة الثانية.

قال: وسأل معاذ بن جبل^(١)، وسعد بن معاذ^(٢)، وخارجة بن زيد^(٣)، نفرًا من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [البقرة: ١٥٩]. ودعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه، وحذرهم عذاب الله، فقال رافع بن خارجة، ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم منا، وخيرًا منا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفَاءَ عَلَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا ءَابَاءَهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

قال: ولما رجع رسول الله ﷺ من غزاة بدر جمع يهود في سوق بني قينقاع، وقال لهم: «يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشًا»، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش، كانوا أغمارًا^(٤) لا

(١) معاذ بن جبل: معاذ بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن (٢٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٦٠٣ - ٦٣٩ م) صحابي جليل... وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ أسلم وهو فتى، وأخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله ﷺ، بعد غزوة تبوك، قاضيًا، ومرشدًا، لأهل اليمن: (الأعلام: ٧: ٢٥٨).

(٢) سعد بن معاذ: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري (... - ٥ هـ = ٦٢٦ م) صحابي من الأبطال، من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحدًا، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه ودفن بالقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة. وحزن عليه النبي ﷺ. (الأعلام: ٣: ٨٨).

(٣) خارجة بن زيد: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد، (٢٩ - ٩٩ هـ = ٦٥٠ - ٧١٧ م) من بني النجار أحد الفقهاء السبعة في المدينة. تابعي، أدرك زمان عثمان وتوفي بالمدينة. (الأعلام: ٢: ٢٩٣).

(٤) الأغمار: جمع غمر. وهو الذي لم يجرب الأمور.

يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنتك لم تلق مثلنا، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَنفَسُ الْمَهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَهُمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)﴾ [آل عمران: ١٢-١٣].

قال: ودخل رسول الله ﷺ بيت^(١) المدراس على جماعة من يهود، فدعاهم إلى الله عز وجل، فقال له النعمان بن عمرو، والحارث بن زيد: وعلى أي دين [أنت] يا محمد؟ قال: «على ملة إبراهيم ودينه» قالا: فإن إبراهيم كان يهوديًا؟ فقال لهما رسول الله ﷺ: «فهلُم إلى التوراة فهي بيننا وبينكم»؛ فأنزل الله فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُهْم مَّعْرُضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّمُوا فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٤]. وقال أحبار يهود ونصارى نجران حين اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وتنازعوا، فقال الأحبار: كان إبراهيم يهوديًا، وقالت النصارى: كان نصرانيًا؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٢٥) هَٰئِنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٢٨)﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨]. وقال عبد الله بن صَيْف^(٢)، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٩) وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا بآخِرِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣٠) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ (٣١)﴾ [آل عمران: ٧١-٧٣]. وقال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ: يا محمد، تريد منا أن نعبدك كما يعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعوننا؟ أو كما قال. فقال

(١) بيت المدراس: بيت لليهود يتدارسون فيه كتابهم.

(٢) قال ابن هشام: «ويقال: ابن صيف».

رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن أعبد غير الله، أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني» فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٨٠)، والربانيون هم العلماء والفقهاء؛ ثم ذكر تعالى ما أخذ عليهم وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذا هو جاءهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى آخر القصة. والله أعلم.

ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج من الفتنة، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: مرّ شأس بن قيس، وكان شيخاً عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفرٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، قد اجتمعوا في مجلس يتحدثون، فغاظه ما هم عليه من الألفة والجماعة وصلاح ذات البين على الإسلام، بعدما كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع^(١) ملا بني قيلة^(٢) بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار؛ فأمر شاباً من يهود كان معه أن يجلس معهم^(٣)، ثم يذكر يوم بُعث^(٤) وما كان قبله، وأن ينشدهم بعض ما كانوا قالوه من الأشعار يوم بُعث، وهو يوم أقتلت فيه الأوس والخزرج، فكان الظفر فيه للأوس، وكان عليهم يومئذٍ حُضير بن سِمَاك الأشهلي، أبو أسيد بن حُضير، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي، فقتلوا جميعاً، ففعل الشاب ذلك، فتكلم القوم، وتنازعوا وتفاخروا حتى تواتب رجلان من الحيين على الركب؛ أوس بن قَيْظِي الأوسي، وجَبَّار بن صخر الخزرجي، فتقاولا، ثم قال أحدهما للآخر: إن شئتم رددناها الآن^(٥) جَذَعَةً؛ فغضب الفريقان جميعاً، وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة، وهي الحرّة، وقالوا: السلاح السلاح، وخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله! أبعدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى

(١) الملا: القوم.

(٢) قيلة: هي أم الأوس والخزرج.

(٣) في الأصل: «معه»، والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢٠٤.

(٤) يوم بُعث: من أيام العرب، معروف.

(٥) رددناها الآن جذعة: أي رددنا الآخر إلى أوله.

الإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم به أمر الجاهلية، وأستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم! فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم أنصرفوا مع رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى في شأس بن قيس: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٨) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٩) [آل عمران: ٩٨-٩٩] وأنزل في أوس بن قيطي وجبار بن صخر، ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا: ﴿يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٠) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠١) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٢) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٣) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٤) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) [آل عمران: ١٠٠-١٠٥].

ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم وما أنزل الله تعالى في ذلك

قال (١): لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سغية، وأسيد بن سغية، وأسد ابن غبيد، ومن أسلم معهم من يهود وآمنوا وصدقوا، قال أهل الكفر من أحبار يهود: ما آمن بمحمد وآتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ أَلْكِتَبِ أُمَّةٌ قَالِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَنَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (١١٣) ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١٤) [آل عمران: ١١٣-١١٤]، قال: وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٥) ﴿قُلْ يَتَاهَلْ أَلْكِتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١٦) [آل عمران: ١١٥-١١٦].

(١) هو ابن إسحاق.

فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم^(١)، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا
عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْفَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعْلَمُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ
وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٠]، قال: ودخل أبو بكر الصديق رضي الله
عنه إلى بيت المدراس^(٢) على يهود، فوجد جماعة كثيرة منهم قد اجتمعوا إلى جبر من
أخبارهم يقال له فنحاص، ومعه آخر يقال له أشيع؛ فقال أبو بكر لفنحاص: ويحك يا
فنحاص! أتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً لرسول الله، قد جاءكم بالحق من
عنده، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل، فقال لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما
بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقر، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء،
وهو هو عنا بغني، ولو كان عنا غنياً ما استقرضنا أموالنا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم
عن الربا، ويُعطينا، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر وضرب وجه
فنحاص ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت
عنقك، أي عدو الله. فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، انظر ما
صنع بي صاحبك، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «ما حملك على ما صنعت؟»
فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيماً - وذكر قوله - فلما قال ذلك غضبت
لله وضربت وجهه، فجدد^(٣) فنحاص ذلك، وقال: ما قلت [ذلك]، فأنزل الله في
ذلك تصديقاً لأبي بكر رضي الله عنه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ
أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل
عمران: ١٨١]، وأنزل الله تعالى في أبي بكر وغضبه في ذلك: ﴿وَلَنَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. قال: وكان كَرْدَم بن قيس، وأسامة بن
حبيب ونافع بن أبي نافع، وبخري بن عمرو، وحيتي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن
التأبوت، يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحوون لهم فيقولون: لا تُنفقوا أموالكم، فإننا
نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون علام يكون،
فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من التوراة التي فيها تصديق ما جاء به رسول الله ﷺ ﴿وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقاً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ

(١) التكملة عن ابن هشام: ٢: ٢٠٧.

(٢) انظر هامش رقم ١ من ص ٢٦٦.

(٣) جدد: أنكر.

الْآخِرُ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ [النساء: ٣٧-٣٩] قال: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء يهود، إذا تكلم^(١) رسول الله ﷺ لوى لسانه وقال: أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك، ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الْفَلَسَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ [النساء: ٤٤-٤٦]. قال: وكلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود، منهم عبد الله بن صوريا الأعور، وكعب بن أسد، فقال: «يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق»، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد، وأصروا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ﴿٤٧﴾ [النساء: ٤٧]. قال: وقال سكين، وعدي بن زيد: يا محمد، ما نعلم أن الله نزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَاللَّيثِيِّنَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]. ودخلت طائفة منهم على رسول الله ﷺ فقال لهم: «أما والله إنكم لتعلمون أتني [رسول إليكم من الله]؟! قالوا: ما نعلمه: وما نشهد عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ شَاهِدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء: ١٦٦]. وجاء إلى رسول الله ﷺ نعمان بن أضيأ، وبخري بن عمرو، وشأس بن عدي^(٢)، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما نخوفنا يا محمد، نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول النصراني: فأنزل الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [المائدة: ١٨]. قال: ودعا رسول

(١) كذا في الأصل، وفي ابن هشام: «كلم رسول الله».

(٢) في الأصل: «على» والتصويب عن ابن هشام: ٢: ٢١٢.

الله ﷺ يهود إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذّره عقوبة الله، فأبوا وكفروا وجحدوا، فقال لهم معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه بصفته، فقال رافع بن خريملة، ووهب بن يهود: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

ذكر قصة الرجم

روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: إن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدرّاس حين قدّم رسول الله ﷺ المدينة، وقد زنى رجل بينهم^(١) بعد إحصائه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: أبعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فأسأله كيف الحكم فيهما، وولّوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية - والتجبية: الجلد بحبل من ليف قد طلي بقر، ثم تُسوّد وجوههما، ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين - فأتبعوه فإتّما هو ملك، وصدّقه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فأحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه، فأتوه فقالوا: يا محمد هذا رجل قد زنى بعد إحصائه بامرأة قد أحصنت فأحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدرّاس فقال: «يا معشر يهود أخرجوا إليّ علماءكم»، فأخرجوا إليه عبد الله بن سوريا وأبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علمائنا، فسألهم رسول الله ﷺ، ثم قالوا: هذا عبد الله بن سوريا أعلم من بقي بالتوراة فخلاً به رسول الله ﷺ، وكان غلاماً شاباً من أحدثهم سناً، فقال له: «يا بن سوريا، أنشدك الله، وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصائه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبي مرسل، ولكنهم يحسدونك، فخرج رسول الله ﷺ فأمر برجمهما، فرجما عند باب مسجده، ثم كفر بعد ذلك ابن سوريا، وجحد نبوة رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تَوَمِّنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَتَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَتَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُخَفِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾، أي الرجم: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ

(١) في ابن هشام: «منهم».

الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَتَمُوتُ لِلْكَذِبِ أَكْثَلُونَ لِلْحَقِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤١﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٣﴾ [المائدة: ٤١-٤٤] إلى آخر القصة.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أمر رسول الله ﷺ برجمهما، فرجما بباب مسجده، فلما وجد اليهودي مس الحجارة وقام إلى صاحبه فجأ^(١) عليها يقياها مس الحجارة حتى قُتلا جميعاً.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: لما حُكِّموا رسول الله ﷺ فيهما دعاهم بالتوراة، وجلس خبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم، فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم، يا بى أن يتلوها عليك؛ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟! فقالوا: أما إنه كان فينا يُعْمَلُ به، حتى زنى رجل منا بعد إحصائه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل من بعده فأراد أن يرجمه فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلاناً، فلما قالوا ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التَّجْبِيَّةِ، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به، فقال رسول الله ﷺ: «فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به». ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: [كنت] فيمن رجمهما. قال: واجتمع كعب بن أسد وابن صلوبا، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس. وقال بعضهم لبعض: أذهبوا إلى محمد؛ لعلنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أخبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وأنا إن أتبعناك أتبعك يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى رسول الله ﷺ ذلك؛ فأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩-٥٠].

(١) جأ عليها: أي أكب عليها، ويروى: «حنأ».

قال: وأتى رسول الله ﷺ من أحبار يهود أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وعازر بن أبي عازر، وخالد بن زيد، وأزار بن أبي أزار^(١)، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فقال ﷺ: «نؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون»، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۢ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِنۢ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩]. قال: وأتاه ﷺ رافع بن حارثة، وسلام بن مشكم، ومالك بن الضيف، ورافع ابن خريملة فقالوا: يا محمد، ألسنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ قال: «بلى، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ عليكم من الميثاق وكتمت منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، فبرئت من أحداثكم». قالوا: فإننا نأخذ بما في أيدينا، فإننا على الهدى والحق، ولا نؤمن بك ولا نتبعك، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨].

قال: وأتاه ﷺ النحام بن زيد، وقزدم بن كعب، وبخري بن عمرو، فقالوا: يا محمد، أما تعلم مع الله إلها غيره؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا إله غيره، بذلك بعثت، وإلى ذلك أدعو»؛ فأنزل الله تعالى فيهم وفي قولهم: ﴿قُلْ أَىٰ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِۦ وَمَن يَلْعَ ٱبْتِكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ٱلْهُدَىٰ أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ ٱللَّهُ وَحْدٌ وَلِئَنىٰ بَرِئٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩-٢٠].

قال: وكان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث قد أظهر الإسلام ونافقا، فكان رجال من المسلمين يوادونهما، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ٱلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكَفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [٥٧] إلى قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِٱلْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٥٧-٦١]. وقال جبل بن أبي قشير^(٢)، وشمویل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا كما تقول؟ فأنزل الله تعالى:

(١) قال ابن هشام: «ويقال: آزر بن أبي آزر».

(٢) في الأصل: «جبل بن بشير»، والتصويب عن ابن هشام.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نَقَلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وقال محمود بن سنيحان ونُعْمان بن أضاء، وبخري بن عمرو، وعزير بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، وفنحاص، وعبد الله بن صوريا، وأبن صلوبا، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وأشيع، وكعب بن أسد، لرسول الله ﷺ: أحق يا محمد أن هذا الذي جئت به حق من عند الله؟ فإننا لا نراه متسقاً كما تتسق التوراة؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله، تجدونه مكتوباً عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن، على أن يأتوا به ما جاءوا به» فقالوا عند ذلك: يا محمد، أما يعلمك هذا إنس ولا جن؟ فقال: «أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله، وإني لرسول الله؛ تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة» قالوا: يا محمد، فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به. فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، والظهير: العون.

قال: وأتى رهط من يهود إلى^(١) رسول الله ﷺ، قالوا: يا محمد، هذا الله خلق الخلق فمن خلقه؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى انتقع^(٢) لونه، فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه، فقال: خفف عليك يا رسول الله، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٥]، فلما تلاها عليهم قالوا: فصف لنا كيف خلقه؟ كيف ذراعه؟ كيف عضده؟ فغضب رسول الله ﷺ أشد من غضبه الأول، فأتاه جبريل فقال له مثل ما قال له أول مرة، وجاءه من الله بجواب ما سألوه فقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، وكانت سؤالات يهود وعنتهم وبغيهم وتحريفهم وتبديلهم كثيرة؛ قد نطق بذلك كله القرآن، وجاء بالرد عليهم وبتكذيبهم وتفريقهم، ثم سلط الله عليهم المسلمين، وحكم فيهم سيوفهم فقتلوه وأجلوهم وأستأصلوا شأفتهم^(٣)، وأسروا وسبوا منهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الغزوات والسرايا، فلما

(١) في ابن هشام: «أتى رسول الله».

(٢) انتقع: تغير.

(٣) استأصلوا شأفتهم: قضوا عليهم.

أيسوا وأبلسوا^(١) عمدوا إلى تخيلات آخر من السحر والسم.

ذكر ما ورد من أن يهود سحروا رسول الله ﷺ

قالوا: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحديبية سنة ست من مهاجره، ودخل المحرم سنة سبع، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يظهر الإسلام وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم اليهودي حليف بني زريق، وكان ساحراً، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر وبالسُّموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم أنت أسحر منا، وقد سحرنا محمداً، فسحره منا الرجال والنساء فلم نصنع شيئاً، وأنت ترى أثره فينا، وخلافه ديننا، ومن قتل منا وأجلى^(٢)، ونحن نجعل لك على ذلك جُعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكؤه، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله ﷺ؛ فعمد إلى مشط وما يُمسَط من الرأس من الشعر فعقد فيه عُقداً وتفل فيه تَفْلاً، وجعله في جُفٍّ^(٣) طَلْعَةٍ ذَكَرٍ، ثم انتهى به حتى جعله تحت أَرْعُوفَةٍ^(٤) البئر، فوجد رسول الله ﷺ أمراً أنكره، حتى يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دَلَّه الله على ذلك؛ فدعا جُبَيْر بن إياس الزُرَقِيَّ وكان ممن شهد بدرًا فدله على موضع في بئر دَرْوَانٍ^(٥) تحت أَرْعُوفَةِ البئر، فخرج جُبَيْر حتى أَسْتَخْرَجَهُ، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال: «ما حملك على ما صنعت، فقد دلني الله على سحرك وأخبرني بما صنعت»؟ فقال: حُبُّ الدنانير يا أبا القاسم. قال محمد بن سعد، قال إسحاق بن عبد الله: فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا الحديث، فقال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد، وكنَّ أسْحَرَ من لبيد وأخْبَثَ، وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت أَرْعُوفَةِ البئر، قال: فلما عَقَدُوا تِلْكَ الْعَقْدَ أنكر رسول الله ﷺ تلك الساعة بصره، ودَسَ بناتُ أعصم إحداهنَّ، فدخلت على عائشة فخبَرَتْها عائشة - أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله ﷺ من بصره - ثم خرجت إلى أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم، فقالت إحداهنَّ: إن يكن نبياً فسيُخْبَرُ، وإن يك غير ذلك فسوف يَدْلُهُ^(٦) هذا السحر حتى يذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا. فدله الله عليه:

(١) أبلسوا: يشوا.

(٢) في الأصل: «راجلاً» وهو تحريف، والتصويب عن ابن سعد.

(٣) الجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. و«ذكر» صفة لجف.

(٤) الأرعوفة والراعوفة: صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت، تكون ناتئة، فإذا أرادوا تنقية البئر

جلس المنقي عليها. وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليها.

(٥) بئر ذروان: بالمدينة في بستان بني زريق من اليهود.

(٦) دَلَّه: حيره وأدهشه، وفي الأصل: «يدله» وهو تصحيف.

وفي الصحيح عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي ﷺ سحر، حتى كان يخيل إليه أنه يصنع الشيء ولم يصنعه، حتى إذا كان ذات يوم رأيته يدعو، فقال: «أشعرت^(١) أن الله قد أفتاني فما أستفتيته^(٢)، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما: ما وجع الرجل؟ فقال الآخر: مطبوب^(٣)، فقال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: فيم قال: في مُشط ومُشاطة في جُفْ طُلعة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في ذي^(٤) ذُرْوَان»، فانطلق رسول الله ﷺ، فلما رجع أخبر عائشة فقال: «كأن نخلها رؤوس الشياطين، وكأن ماءها نَقاعة الجِئاء»، قالت فقلت: يا رسول الله، فأخرجه للناس، قال: «أما والله قد شفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً»^(٥).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: مرض رسول الله ﷺ وأخذ^(٦) عن النساء وعن الطعام والشراب، فهبط عليه ملكان وهو بين النائم واليقظان فجلس أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجله؛ فقال أحدهما لصاحبه: ما شكواه؟ قال: طُب - يعني^(٧) سحر - قال: ومن فعله؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، قال: ففي أي شيء جعله؟ قال: في طُلعة، قال: فأين وضعها؟ قال: في بئر ذُرْوَان تحت صخرة، قال: فما شفاؤه؟ قال: تُنزع^(٨) البشر، وتُرفع الصخرة وتُستخرج الطُلعة. وأرتفع الملكان؛ فبعث النبي ﷺ إلى عليّ وعمار فأمرهما أن يأتيا الركي فيفعلا الذي سمع، فأتياها وماؤها كأنه قد خُصِبَ بالجِئاء فنزحها، ثم رفع الصخرة فأخرجها طُلعة، فإذا فيها إحدى عشرة عُقدة، ونزلت هاتان السورتان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، فجعل رسول الله ﷺ كلما قرأ آية أنحلت عُقدة، حتى أنحلت العُقَد وانتشر^(٩) نبي الله ﷺ للنساء والطعام والشراب.

وجاء في حديث آخر أن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخبرا رسول الله ﷺ بشأن السحر، وأنه ﷺ أخذ لبيداً، فاعترف فعفا عنه، روي عفوه عنه عن غير واحد؛

(١) أشعرت: أعلمت، والخطاب للسيدة عائشة رضي الله عنها.

(٢) المعنى: أجبني عما سألته عنه.

(٣) مطبوب: مسحور؛ عبر عن السحر بالطب، كما عبروا عن اللدغ بالسليم تفاؤلاً.

(٤) في الصحيح: «في بئر ذروان»، وهما روايتان.

(٥) قال القسطلاني: «الشر تذكر السحر وتعلمه، وهو من باب ترك المصلحة خوف المفسدة».

(٦) أخذ: حبس بالسحر.

(٧) قال في اللسان: «كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبر، كما كنوا عن اللدغ فقالوا: سليم».

(٨) تنزع البشر: أي تفرغ من مائها.

(٩) انتشر: استعاد قدرته.

قال عكرمة: ثم [كان] يراه بعد عفوهِ فيعرض عنه، وحيث ذكرنا حديث السحر فلا بأس أن نصله بالكلام على مشكله. والله أعلم بالصواب.

ذكر الكلام على مشكل حديث السحر

وقد تكلم القاضي عياض بن موسى بن عياض على هذا الحديث فقال: هذا الحديث صحيح متفق على صحته، وقد طعنت فيه الملحدة، وتذرعت به لسخف عقولها، وتلبسها على أمثالها إلى التشكيك في الشرع، وقد نزه الله الشرع والنبي ﷺ عما يُدخل في أمره لبساً، وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض، مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته، وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخله^(١) في شيء من تبليغه وشريعته، ويقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا، وإنما هذا فيما يجوز طُرُوه عليه في أمر دنياه التي يبعث بسببها، ولا فضل من أجلها، وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر، فغير بعيد أن يُخَيَّل إليه من أمورها ما لا حقيقة له، ثم يتجلى عنه كما كان.

وأيضاً فقد فسر هذا الحديث الآخر من قوله: «حتى يُخَيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهنَّ». وقد قال سفيان^(٢): وهذا أشد ما يكون من السحر، ولم يأت في خبر منها أنه نقل عنه في ذلك قول، بخلاف ما أخبر أنه فعله ولم يفعله، وإنما كانت خواطر وتخييلات، وقد قيل: إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل لشيء أنه فعله، وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد صحته، فتكون أعتقاداته كلها على السداد، وأقواله على الصحة. قال: هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة عن هذا الحديث. قال: لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعين^(٣) ذوي الأضاليل، يستفاد من نفس الحديث، وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وقال فيه عنهما: سحر يهود بني زريق رسول الله ﷺ، فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله ﷺ أن يُنكر بصره^(٤). ثم دله الله على ما صنعوا، فأستخرجه من البئر.

فقد أستبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما يُسلط على ظاهره وجوارحه، لا على قلبه وأعتقاده وعقله، وأنه إنما يأتي في بصره، وحبسه عن وطء

(١) الداخلة: النقيصة، العيب والفساد.

(٢) سفيان: هو ابن عيينة كما صرح به في سنده، في البخاري.

(٣) مطاعين: تهم.

(٤) أي ما أبصره، أو ينكر نفس رؤيته لتأثير السحر فيه. (شرح الشفاء).

نسائه، ويكون معنى قوله: «يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن»، أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة على النساء، فإذا دنا منهن أصابته أخذة^(١) بالسحر، فلم يقدر على إتيانهن، كما يغتري من أخذ وأعترض، قال: ولعله لمثل هذا أشار سفيان بقوله: وهذا أشد ما يكون من السحر. والله أعلم بالصواب.

ذكر خبر الشاة التي سُم فيها رسول الله ﷺ

كان ذلك في غزاة خيبر، بعد أن أفتتحها رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما أفتتح خيبر وحصونها وأطمأن، أهدت إليه زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي أبنه أخي مزحَب الذي بارز يوم خيبر، وقتل - على ما نذكره إن شاء الله - شاة مَضْلِيَّة^(٢)، وقد سألت: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، وأكثرت فيها السم، ثم سمّت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلآك منها مضغة فلم يسغها، وكان معه بشر بن البراء بن معرور، فأخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها.

وروى الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة أنه ﷺ أساغها، ثم قال لأصحابه: «أرفعوا أيديكم فإن كُتِفَ هذه الشاة يخبرني أنها قد بُغِيَتْ فيه»^(٣)، قال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت، فما منعني أن ألفظها إلا أنني أعظمت أن أنغصك طعامك. فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسني عن نفسك، ثم دعا بها رسول الله ﷺ فأعترفت، فقال: «ما حملك على ذلك؟» قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك، فقلت: إن كان ملكاً أسترحت منه، وإن كان نبياً فسيُخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر بن البراء. والصحيح أن رسول الله ﷺ قتلها، قيل: سلّمها لأولياء بشر بن البراء فقتلوها، والله تعالى أعلم.

وحيث ذكرنا من سيرته ﷺ ما ذكرناه، فلنذكر هنا حوادث السنين بعد الهجرة خلا الغزوات والسرايا والوفود، فإننا نورد ذلك إن شاء الله تعالى فيما بعد على ما تقف عليه.

(١) أخذة: حبة.

(٢) مَضْلِيَّة: مشوية.

(٣) الحديث في الدلائل نصه: «يخبرني أن قد بغيت فيها». بغيت: طلبت، من بغى يبغى بغاً، بالضم، إذا طلب (نهاية ابن الأثير).

ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية على حكم السنين ؛ من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما أستثنيناه، وقدمناه

حوادث السنة الأولى

فيها جعلت صلاة العصر أربع ركعات، وكانت ركعتين وذلك بعد مقدمه ﷺ شهر. وفيها صلى رسول الله ﷺ الجمعة حين أرتحل من قُباء إلى المدينة، صلاها في طريقه ببني سالم على ما تقدم، وهي أول جمعة صلاها، وأول خطبة خطبها في الإسلام، وفيها بنى ﷺ مسجده ومسакنه، ومسجد قُباء على ما تقدم. وفيها آخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر، وقد تقدم ذكر ذلك. وفيها أسلم عبد الله بن سلام. وفيها ولد عبد الله بن الزبير بالمدينة. وفيها مات أبو قيس كلثوم بن الهدهد، وهو أول من مات من المسلمين بالمدينة. ومات سعد بن زُرارة أبو أمانة. وفيها أعرس ﷺ بعائشة رضي الله عنها.

حوادث السنة الثانية

في هذه السنة توفيت رُقَيَّة بنت النبي ﷺ زوج عثمان بن عفان، ورسول الله ﷺ ببدر، وتوفي عثمان بن مظعون بعد [رجوع] ^(١) رسول الله ﷺ من غزاة بدر وشهدها عثمان، وفيها صُرفت القبلة.

ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة وما تكلم به اليهود وما أنزل تعالى في ذلك من القرآن

كان رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، كما ورد في صحيح البخاري وغيره، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، فقال: «يا جبريل وددت أن الله تعالى صرف وجهي عن قبلة يهود»، فقال جبريل: إنما أنا عبد فأدع ربك وسله. وجعل رسول الله ﷺ إذا صلى إلى

(١) زيادة يقتضيها السياق.

بيت المقدس ورفع رأسه إلى السماء، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

قال محمد بن سعد: صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يوجه إلى المسجد الحرام، فأستدار إليه، ودار معه المسلمون، قال: ويقال: بل زار رسول الله ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وحانت الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أمر أن يوجه إلى الكعبة، فأستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب فسمي المسجد مسجد القبليتين، وذلك يوم الاثنين للنصف من شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجره ﷺ.

وروى البخاري أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ إلى الكعبة صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، قال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت.

قال ابن إسحاق: ولما صُرِفَت القبلة أتى رسول الله ﷺ رفاعه بن قيس، وقزدم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فقالوا: يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟! أرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك - وإنما يريدون فتنه عن دينه - فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٦﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَنِ الْيَمِينِ إِنَّكَ إِلَهُ الْإِنْسَانِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٢-١٤٣] أي: إيمانكم بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، وأتباعكم إياه إلى القبلة الأخرى، ثم قال لنبهه ﷺ: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِفَاعِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَلَكِنْ أَتَيْنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٤٤-١٤٧]. والله أعلم.

ذكر خبر الأذان

قال محمد بن سعد بسنده إلى نافع^(١) بن جبير، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، وسعد بن المسيب، قالوا: كان الناس في عهد النبي ﷺ قبل أن يؤمر بالأذان ينادي منادي النبي ﷺ: «الصلاة جامعة»؛ فيجتمع الناس فلما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة أمر بالأذان، وكان رسول الله ﷺ قد أَمَّه أمر الأذان، وأنهم ذكروا أشياء^(٢) يجمعون بها الناس للصلاة، فقال بعضهم: البوق، وقال بعضهم: الناقوس؛ فبينما هم على ذلك إذ نام عبد الله بن زيد الخزرجي، فأري في المنام أن رجلاً مَرَّ وعليه ثوبان أخضران وفي يده ناقوس، قال فقلت: أتبيع الناقوس؟ قال: ماذا تريد به؟ فقلت: أريد أن أبتاعه لكي أضرب به للصلاة لجماعة الناس، قال: فأنا أحدثك بخير لكم من ذلك؛ تقول: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. فأتى عبد الله بن زيد رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «قم مع بلال فألق عليه ما قيل لك وليؤذن بذلك»، ففعل. وجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: لقد رأيت مثل الذي رآه، فقال رسول الله ﷺ: «فلله الحمد» فذلك أثبت. قالوا: وأُذِّنَ بالأذان وبقي ينادي في الناس: «الصلاة جامعة»؛ للأمر يحدث، فيحضرون له يُخْبِرُونَ به، مثل فَتَحَ يُقْرَأ، أو أمر يؤمرون به، فينادي: «الصلاة جامعة»، وإن كان في غير وقت الصلاة. وقد قَدَّمْنَا خبر الأذان من رواية علي بن أبي طالب في قصة الإسراء، والله أعلم.

وفي هذه السنة فُرضَ صوم رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من الهجرة، وفُرضت زكاة الفطر قبل العيد بيومين، وفيها ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أحدهما عن أمته، والآخر عن محمد وآله، وفيها وُلِدَ النعمان بن بشير، وفيها أعرس علي بن أبي طالب بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ورضي عنهما. والله أعلم.

(١) نافع بن جبير: في الأصل: «رافع بن جبير». وهو تصحيف، والتصويب عن ابن سعد، وتهذيب التهذيب. وهو: نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل من قريش (.... - ٩٩ هـ = - ٧١٧ م) من كبار الرواة للحديث. تابعي. ثقة من أهل المدينة. وكان ممن يؤخذ عنه ويفتى بفتواه. (الأعلام: ٧: ٣٥٢).

(٢) في الأصل: «شيئاً» والمثبت عن ابن سعد.

حوادث السنة الثالثة

فيها تزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. وفيها توفي عثمان بن مظعون عند بعضهم. وفيها تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه أم كلثوم بنت النبي ﷺ في جمادى الآخرة. وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما في النصف من رمضان.

حوادث السنة الرابعة

فيها حرمت الخمر في شهر ربيع الأول، وقيل: حرمت في السنة الثالثة، وفيها صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع. وفيها قصرت الصلاة. وفيها ولد الحسين بن علي رضي الله عنهما. وفيها ماتت زينب بن خزيمة الهلالية أم المؤمنين. وفيها تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة في شوال، وتزوج زينب بنت جحش في ذي القعدة على الصحيح. وفيها نزل الحجاب.

ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله ﷺ

كان سبب نزول الحجاب ما رواه البخاري عن ابن شهاب قال: أخبرني أنس بن مالك، قال: كان أول ما أنزل الحجاب في مَبْنَى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش؛ أصبح رسول الله ﷺ عروسًا، فدعا القوم فأصابوا من الطعام، ثم خرجوا، وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج فخرجت معه كي يخرجوا، فمشى ﷺ ومشيت معه، حتى جاء عتبة حُجْرَة عائشة رضي الله عنها، ثم ظن رسول الله ﷺ أنهم خرجوا، فرجع رسول الله ﷺ، ورجعت معه حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يتفرقوا، فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه حتى بلغ عتبة حُجْرَة عائشة، فظن أن قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا، فأنزل الله الحجاب، فضرب بيني وبينه سِتْرًا، وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَفْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية. وعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عمر رضوان الله عليه يقول لرسول الله ﷺ: أحجب نساءك يا رسول الله، قالت: فلم يفعل. وكان أزواج النبي ﷺ يخرجن لَيْلًا إلى لَيْل قَبْلَ الْمَنَاصِعِ^(١) فخرجت سَوْدَة بنت زَمْعَة وكانت امرأة طويلة،

(١) المناصع: (جمع منصع): صعيد واسع آخر المدينة جهة البقيع.

فراها عمر بن الخطاب وهو في المجلس، فقال: عرفتكَ يا سودة - حرصًا على أن ينزل الحجاب - فأنزل الله [الحجاب]^(١). وفي هذه السنة فرضت الزكاة في المال.

حوادث السنة الخامسة

فيها تزوج رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد التضرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية. وفيها زلزلت المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله يستعيبكم فأعيبوه»^(٢). وفيها سابق رسول الله ﷺ بين الخيل. وقد تقدم ذكر ذلك في الباب الأول من القسم الثالث من الفن الثالث في الجزء التاسع من هذه النسخة. وفيها كانت غزوة بني المصطلق بالمريسيع. وحدث في هذه الغزوة وقائع نذكرها في هذا الموضع؛ فيها ما وقع بين المهاجرين والأنصار، وحديث الإفك، وخبر التيمم.

ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار^(٣) في غزوة المريسيع وما قاله عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق

قال محمد بن إسحاق: لما كان رسول الله ﷺ على المريسيع - وهو ماء لبني المصطلق^(٤) - في نزوله عن غزوته إياهم، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه وسنان ابن وبر الجهني - حليف بني عوف بن الخزرج - على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبي، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم - غلام حدث - فقال: أو قد فعلوها! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش^(٥) هذه إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم! أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم^(٦) أموالكم، والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

(١) الزيادة من البخاري، وبالأصل بياض.

(٢) استعيب: طلب أن يعتب أي يسترضي؛ تقول: استعيبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني.

(٣) في الأصل: «والأراء» ولا معنى له.

(٤) بنو المصطلق: هم بنو جذيمة بن كعب، من خزاعة.

(٥) جلابيب قريش: لقب من كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.

(٦) في الأصل: «أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم» وما أثبتناه عن ابن هشام.

قال: فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، وعندئذ عمر بن الخطاب، فقال عمر: مَرُّ به عباد بن بشر فليقتله؛ فقال رسول الله ﷺ: «كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه! لا، ولكن أذن بالرحيل»، فأرتحل الناس في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها، وجاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ فحلف بالله: ما قلت ما قال زيد بن أرقم عني، وما تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل.

فلما استقل رسول الله ﷺ لقيه أسيد بن حضير فقال: يا نبي الله، والله لقد رُحْتُ في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها. قال: «أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» قال: أي صاحب؟ قال: «عبد الله بن أبي» قال: وما قال يا رسول الله؟ قال: «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل» قال: فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله، أَرُفُّقُ به، فوالله لقد جاء الله بك وإن قومك لينظّمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك استلبته مُلْكًا. قال: ثم مَتَنَ^(١) رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذاك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم^(٢) الشمس، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا إلا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نيامًا. قال: وإنما فعل رسول الله ﷺ ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي كان من عبد الله بن أبي.

قال: ثم هبت ريح شديدة تخوفها الناس، فقال رسول الله ﷺ: «لا تخوفوها فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار». فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنُقَاع - وكان من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين - مات ذلك اليوم.

ونزلت السورة التي ذكر الله تعالى فيها المنافقين في ابن أبي ومن قال بقوله، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد بن أرقم ثم قال: «هذا الذي أوفى لله بأذنه». وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ما كان من أمر أبيه، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «نترقق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»، وكان بعد ذلك إذا أحدث حَدَّثًا كان قومه هم

(١) متن بالناس: أي سار بهم يومه أجمع.

(٢) في الأصل: «آذته» وما أثبت عن ابن هشام.

الذين يعاتبونه ويُعَنِّفُونَهُ . فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم : «كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأزَعِدَتْ [له] أَنفٌ لو أمرْتُها اليوم [بقتله] لَقَتَلْتُهُ» ، فقال عمر : قد والله علمتُ لأمرُ رسولِ الله ﷺ أعظم بركة من أمري .

ومن الحوادث في هذه الغزوة حديث الإفك .

ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزله الله تعالى من براءة عائشة ، وفضل أبيها رضوان الله عليهما

هذا الحديث قد تداوله الرواة وأهل الأخبار والسَّيَر ، فمنهم من زاد فيه زيادات كثيرة ، وذكر تحامُلَ من تحامَلَ في أمر الإفك ، وتعصَّبَ من تعصَّبَ ، فعلمت أن إيراد ذلك من أقوالهم يقتضي أن يصير في نفس من سمعه من أهل السَّنة شيئاً ممن تكلم عليه بما تكلم ، ولعل ذلك لم يقع ، فرأيتُ أن أقتصر منه على ما ثبت في صحيح البخاري ، وأتصل لنا بالرواية الصحيحة ، وذكرُ زيادات ذكرها ابن إسحاق - رحمه الله - ويحتاج إلى إيرادها مما لا ضرر فيه ، نبهت عليها بعد مساق الحديث على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى . ولنبدأ بحديث البخاري^(١) :

حدَّثنا الشيخان المسندان المعمران ؛ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالحي الحجار ، وسِتَ الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر ابن أسعد بن المنجا التُّنُوخِيَّة الدُّمَشْقِيَّان قراءة عليهما وأنا أسمع ، بالمدرسة المنصورية التي هي بين القصرين بالقاهرة المعزِيَّة ، في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبعمائة ، قالوا : حدَّثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي ، في شَوال سنة ثلاثين وستمائة ، بدمشق بالجامع المظفرِي بسفح جبل قاسِيُون^(٢) ، قال : حدَّثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شُعيب السُّجَزِي^(٣) قراءة عليه ونحن نسمع ببغداد ، في آخر سنة اثنتين وأول سنة ثلاث وخمسين وخمسائة ، قال : حدَّثنا الشيخ أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي^(٤) في شَوال وذِي القعدة سنة خمس وستين وأربعمائة ، قال : أخبرنا أبو محمد

(١) الحديث عن صحيح البخاري : ٦ : ٥ .

(٢) قاسيون : جبل قرب دمشق .

(٣) السُّجَزِي : نسبة إلى سجستان على غير قياس ، وفي الأصل : «المنجري» وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : «الداوردي» والتصويب عن السمعاني .

عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي في صفر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر القزويني بقزوين^(١) سنة ست عشرة وثلثمائة، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري قراءة عليه بتبريز سنة ثمان وأربعين ومائتين، ومرة في سنة اثنتين وخمسين، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكلّ حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض؛ الذي حدثني عروة عن عائشة زوج النبي ﷺ؛ أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع^(٢) بين أزواجه، فأيتها خرج سهمها خرج [بها] رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة^(٣) غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أحمّل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل، ودنونا من المدينة قافلين، أذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رخلي فإذا عقد لي من جزع ظفار^(٤) قد انقطع، فالتمست عقدي وحسني ابتغاؤه^(٥)، وأقبل الرهط الذين كانوا يزحلون لي، فأحملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبته، وهم يحسبون أنني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما تأكل العُلقة^(٦) من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأملت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فممت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدّج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فأستيقظت باسترجاعه^(٧) حين عرفني، فخمّرت^(٨) وجهي بجلبابي، ووالله ما

(١) فربز: بلد قرب بخارى.

(٢) هي غزوة بني المصطلق من خزاعة.

(٣) جزع ظفار: خرز معروف في سواده بياض كالعروق. وظفار مدينة باليمن. ويروى «أظفار».

(٤) حبسني ابتغاؤه: آخر في البحث عنه.

(٥) العُلقة: القليل.

(٦) الاسترجاع: أن نقول: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

(٧) خمّرت وجهي: غطيته.

كلّمني كلمةً، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ أسترجاعه حتى أناخ راحلته، فوطيء على يدها فركبتها، فأنطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين^(١) في نحر الظهيرة، فهلك من هلك^(٢) - وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيْتُ حين قدمتُ شهرًا، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني^(٣) في وجعي، أتني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم ينصرف، فذلك الذي يريني، ولا أشعر بالشّر حتى خرجتُ بعدما نَقِهْتُ^(٤)، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع - وهو مُتبرّزنا^(٥) - وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنف^(٦) قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمرُ العرب الأول في التبرز [قبل] الغائط، فأنطلقت أنا وأم مسطح، وهي بنت أبي رُهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأبناها مسطح بن أثانة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح [في مِرْطِها]، فقالت: تعس مسطح؛ فقلتُ لها: بش ما قلت: أتسبين رجلاً قد شهد بدرًا؟ قالت: أي هَتّاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: قلتُ: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فأزددتُ مرضاً على مرضي، قالت: فلما رجعتُ إلى بيتي، ودخل عليّ رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف تيكُم»؟ فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما؛ قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأُمِّي: يا أُمّتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنَيّة، هُوَني عليك، فوالله لقلّما كانت امرأة قَطُ وضيئةً^(٧) عند رجل يحبها ولها ضرائر^(٨) إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ^(٩) لي دَمْع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد

(١) موغرين: داخلين. نحر الظهيرة: حين تبلغ الشمس متهاها من الارتفاع.

(٢) أي بسبب الإفك.

(٣) يريني: يشككني ويوهمني.

(٤) نقهت: تماثلت للشفاء.

(٥) المتبرز: المكان المخصص لقضاء الحاجة: كالمرحاض.

(٦) الكنف: المراحض، واحدها كنيف.

(٧) وضيئة: جميلة.

(٨) الضرائر: الزوجات الأخريات لزوجها، واحدها: ضرة.

(٩) يرقأ: ينقطع.

رضي الله عنهما حين أستلبت الوحي^(١) يستأمرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة ابن زيد، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ، فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: يا رسول الله، لم يُضَيِّقْ الله عليك، والنساء سواها كثير^(٢)، وإن تسأل الجارية تصدِّقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بَريرة فقال: «أي بَريرة هل رأيت من شيء يريبك؟» قالت بَريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيتُ عليها أمراً أَغْمَصُهُ^(٣) عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن^(٤) فتأكله. فقام رسول الله ﷺ فأستعذَرَ من عبدالله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يَعْذِرْنِي^(٥) من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي! فوالله ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما كان يَدْخُلُ على أهلي إلا معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرُك منه؛ إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخُزْرجِ أمرتُنا ففعلنا أمرُك. قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخُزْرجِ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية^(٦). فقال لسعد: كذبت، لعمرُ الله^(٧) لا تقتله، ولا تقدر على قتله، وقام أسيد بن حُضَيْر - وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل في المنافقين. فتناور الحيان: الأوس والخُزْرجُ حتى همُّوا أن يقتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يُخَفِّضُهُمْ^(٨) حتى سكتوا وسَكَتَ. قالت: فبكيتُ يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، قالت: وأصبح أبوأي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي، فقالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنتُ علي امرأة من الأنصار فأذنتُ لها، فجلست تبكي معي، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسَلَّمَ ثم

(١) استلبت الوحي: أي طال لبث نزوله.

(٢) في الأصل: «كثيرون تسأل... الخ» والمثبت عن البخاري.

(٣) إن رأيت: ما رأيت، أغمصه: أعيبه.

(٤) الدواجن: الشاة التي تألف البيوت، ولا تخرج إلى المرعى.

(٥) من يعذرني: من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعله، ولا يلومني، أو من ينصُرني.

(٦) احتملته الحمية: أغضبته.

(٧) لعمر الله: أي وبقاء الله.

(٨) يخفضهم: يسكنهم ويهون عليهم الأمر.

جلس، قالت: لم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا أعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص^(١) دمعي حتى ما أحي من قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيب رسول الله ﷺ، قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت؛ لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن أعترفت بأمر والله يعلم أنني بريئة منه لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف، قال: «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» [يوسف: ١٨].

قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، قالت: وأنا حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله يبرئني ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في أمر يتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رام^(٢) رسول الله ﷺ، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما يأخذه من البرحاء^(٣)، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان^(٤) من العرق - وهو في يوم شاتٍ - من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ، سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة، أما الله فقد برأك»، فقالت أمي: قومي إليه، قالت فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل، وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكَ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِنْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١١ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١١٢ لَّوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ١١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ١١٦ يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا

(١) قلص دمعي: جف.

(٢) ما رام: أي: ما فارق.

(٣) البرحاء: العرق من شدة ثقل الوحي.

(٤) الجمان: اللؤلؤ.

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ زَعُوفٌ رَجِيمٌ ﴿٢٠﴾ [النور: ١١-٢٠]، قالت عائشة: فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقربته وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة - رضي الله عنها - ما قال، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلْ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: «يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟» فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما رأيت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تُساميني^(١) من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطُفِقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك. انتهى حديث البخاري.

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى عروة بن الزبير، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة، وعبد الله بن الزبير، وعمرة بنت عبد الرحمن، كلهم يحدث عن عائشة - رضي الله عنهم - بنحو هذا الحديث، وزاد فيه من قول أسامة بن زيد؛ فأثني خيراً، وقاله؛ ثم قال: يا رسول الله، أهلك ولا نعلم إلا خيراً، وهذا هو الكذب والباطل. قال: وأما علي بن أبي طالب فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وأسأل الجارية فإنها ستصدقك. قال: فدعا رسول الله ﷺ بربيرة ليسألها، فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً، وقال: أضدقي رسول الله. وساق نحو ما تقدم. وقال في خبر الوحي: قالت فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسجني بثوبه، ووُضعت له وسادة من آدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت ما رأيت فوالله ما فزعْتُ ولا باليت؛ قد عرفت أنني منه بريئة، وأن الله غير ظالمي، وأما أبوي، فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُري عن رسول الله ﷺ حتى ظننتُ لتخرجن أنفسهما فرقاً من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. وساق الحديث بنحو ما تقدم. ثم قال: قالت: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن

(١) تساميني: أي تضاھيني، وتفاخرنني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ.

أثأثة، وحسان بن ثابت، وحنمة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم؛ فقال رجل من المسلمين في ذلك: [من الطويل]

لقد ذاق حسان الذي كان أهله وحنمة إذ قالوا هجيراً ومسطحاً^(١)
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم وسخطة ذي العرش الكريم فأثرخوا^(٢)
وآذوا رسول الله فيها فجئلوا مخازي تبقى عموها وفضخوا^(٣)
وضبت عليهم مخصدات كأنها شأيب قطر من ذرى المزن تسفح^(٤)

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة مسطح - وهو عوف بن أثأثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، وأمه سلمى بنت صخر بن عامر خالة أبو بكر الصديق. قال: وذكر الأموي عن أبيه عن ابن إسحاق قال: قال أبو بكر يذكر مسطحاً: [من البسيط]

يا عوف ويحك هلاً قلت عارفة من الكلام ولم تتبع بها طمعا
وأدركتك حمياً مغشراً أنف ولم تكن قاطعاً يا عوف من قطعاً
هلاً حربت من الأقوام إذ حسدوا فلا تقول ولو عاينته قدعاً^(٥)
لما رميت حصاناً غير مفرقة أمينة الجيب لم نعلم لها خضعاً^(٦)
فيمن رماها وكنتم مغشراً أفكاً في سيء القول من لفظ الخنا شرعاً^(٧)
فأنزل الله وخياً في براءتها وبين عوف وبين الله ما صنعاً
فإن أعش أجز عوفاً عن مقالته شر الجزاء إذا ألقينته تبعاً

ولعل هذا الشعر إن صح عن أبي بكر فيكون قاله قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٢٢] الآية. فإنه قد صح أن أبا بكر قال عند نزولها: والله إني أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً.

-
- (١) الهجير: الفحش من القول. (٢) الرجم: الظن. أترخوا: أحزنوا.
(٣) عموها وفضخوا: أي لحقت بهم وفضحتهم.
(٤) مخصدات: يعني سياطاً محكمة القتل شديداً. شأيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر.
الذري: الأعالي، وتسفح: تسيل.
(٥) القدع: الفاحش من الكلام.
(٦) الحصان: الشريفة، مفرقة: مذنبه. أمينة الجيب: شريفة.
(٧) أفكا: كاذبين، الخنا: الكلام البذيء السيء.

وقال محمد بن إسحاق: حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النُّجَارِ: أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ، قَالَتْ لَهُ أَمْرَاتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتُ يَا أُمُّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ؛ قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ. فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢]، أَي فَقَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَصَاحِبَتُهُ.

قال ابن إسحاق: وكان حسان بن ثابت قال شعراً يُعرض فيه بصفوان بن المعطل^(١)، فأعترضه صفوان فضربه بالسيف، ثم قال: [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنْكَ فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ^(٢)

فوثب ثابت بن قيس بن شماس على صفوان بن المعطل حين ضرب حسان فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم أنطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رَوَاحَةَ فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك^(٣)! ضرب حسان بالسيف والله ما أراه إلا قد قتله؛ فقال له عبد الله بن رَوَاحَةَ: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد أجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله ﷺ، فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان، فقال صفوان: يا رسول الله، آذاني وهجاني، فحملني الغضب فضربته، فقال رسول الله ﷺ: «يا حسان، أَتَشَوَّهْتَ^(٤)» على قومي أن هداهم الله للإسلام؟ ثم قال: «أَحْسِنِ يَا حَسَّانُ فِي الَّذِي قَدْ أَصَابَكَ» قال: هي لك؛ فأعطاه رسول الله ﷺ عِوَضًا عَنْهَا بَيْرَحًا - وهي قصر بني حُذَيْلَةَ - كانت مالا لأبي طلحة وتصدق بها إلى رسول الله ﷺ، فأعطاه حسان في ضربته، وأعطاه سييرين - أمة قَبْطِيَّة - فولدت له عبد الرحمن بن حسان^(٥). قال: وكانت عائشة رضي الله عنها

(١) صفوان بن المعطل: صفوان بن رخصة السلمي الذكواني أبو عمرو (.... - ١٩ هـ = - ٦٧٠ م) صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق... وهو الذي قال أهل الإفك فيه وفي عائشة ما قالوا. (الأعلام: ٣: ٢٠٦).

(٢) ذباب السيف: حد السيف.

(٣) قال السهيلي: «معناه: أما جعلك تعجب، تقول: عجبت من الشيء وأعجبني الشيء إذا كان ذلك العجب من مكروه أو محبوب».

(٤) أَتَشَوَّهْتَ: أفتحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله.

(٥) عبد الرحمن بن حسان: عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي (٦ - ١٠٤ هـ = ٦٢٧ - ٧٢٢ م) شاعر ابن شاعر، كان مقيمًا في المدينة، وتوفي فيها. اشتهر بالشعر زمن أبيه... وفي تاريخ وفاته خلاف. (الأعلام: ٣: ٣٠٣).

تقول: لقد سُئل عن ابن المعطل فوجده رجلاً حَصُوراً^(١) ما يأتي النساء، ثم قُتِلَ بعد ذلك شهيداً رضي الله عنه.

وقال حسان بن ثابت يعتذر من الذي كان منه في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: [من الطويل]

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(٢)
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بِنِ غَالِبٍ كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرَ زَائِلِ^(٣)
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ^(٤)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَا مِلِّي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيِّيتُ وَنُصْرَتِي لَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمُحَافِلِ
لَهُ رَتَّبَ عَالٍ عَلَى النَّاسِ كُلَّهُمْ تَقَاصَّرَ عَنْهَا سَوْرَةُ الْمَتَطَاوِلِ^(٥)
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ أَمْرِي بِي مَاجِلِ^(٦)

وقد روينا عن البخاري رحمه الله بالإسناد المتقدم، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أو ليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَيْبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
قالت: لكن أنت^(٧).

وعن مسروق أيضاً قال: دخل حسان على عائشة فشبَّ فقال: حَصَانُ رَزَانٌ... البيت. قالت: لست كذلك، قلت: تدعين هذا يدخل عليك وقد أنزل الله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ﴾ [النور: ١١]؟ قالت: وأي عذاب أشد من العمى! وقد كان يرُدُّ عن رسول الله ﷺ.

(١) حصوراً: لا يأتي النساء.

(٢) الحصان: العفيفة، الرزان: الملازمة موضعها، التي لا تتصرف كثيراً، ما تُزَنُّ: ما تتهم. غرنى: جائعة. الغوافل: جمع غافلة، أي لا ترتع في أعراض الناس.

(٣) العقيلة: الكريمة، المساعي: جمع مسعاة، وهو ما يسعى فيه من طلب المجد والكرم.

(٤) الخيم: الطبع الأصيل.

(٥) السورة: المنزلة والرتبة.

(٦) اللاتط: اللاحق اللازق، هكذا ورد هذا البيت في الأصل والذي في ديوان حسان: الدهر بل قول امرئ بي ماحل. الماحل: المشاء بالنميمة.

(٧) إشارة إلى أنه اغتابها في قصة الإفك.

ذكر خبر التيمم

من أهل العلم من ذهب إلى أن آية التيمم أنزلت في غزوة المُرَيْسِيع^(١)، ومنهم من ذهب إلى أنها أنزلت في غيرها. روى أبو عبد الله محمد البخاري رحمه الله بسنده عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبَيْدَاءِ - أو بذات الجيش - أنقطع عِقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حَبَسْتُ رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء! فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التَّيْمَمِ فتيَمَّمُوا، فقال أُسَيْدُ بن الحُضَيْر: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه، فأصبنا العِقدَ تحته.

حوادث السنة السادسة^(٢)

فيها كانت غزوة الحُدَيْبِيَّة، وبيعة الرُّضْوَان، وهُدنة قريش، على ما نذكر ذلك كله في الغزوات إن شاء الله تعالى، وفيها قُحِطَ^(٣) الناس، فأستسقى رسول الله ﷺ بالناس في شهر رمضان فسُقُوا، وفيها هاجرت أم كلثوم.

ذكر هجرة أم كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط، وما أنزل الله تعالى في هجرة النساء

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الحُدَيْبِيَّة، بعد أن حلت الهدنة، وتقررت القَضِيَّة، وكان فيما وقع عليه الصُّلح: أنه من جاء إلى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وليه ردّه إليهم، وردّ من ردّ من رجال المسلمين، على ما نذكر ذلك إن شاء الله

(١) المريسيع: ماء لبني خزاعة بينه وبين الفُرع مسيرة يوم، وهذه الغزوة هي غزوة بني المصطلق.

(٢) في الأصل: «الثالثة» وهو تحريف.

(٣) قُحِطَ الناس: أصابهم القحط.

في الغزوات. ثم هاجرت أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مغيط إلى رسول الله ﷺ في تلك المدة، فخرج أخوها عُمارة والوليد، أبنا عتبة، حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبين قريش، فلم يفعل ذلك؛ وذلك أن الله عز وجل أنزل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا يَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَسْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَاسْتَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَسْتَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنَ زَوْجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَانْكِحُوا أَلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا وَأَنفَقُوا أَلَّذِينَ ءَاتُوا بِهِنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠-١١]، فمنع رسول الله ﷺ النساء لذلك، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن هم ردوا على المسلمين صدقات من حبسوا عنهم من نسائهم.

قال ابن إسحاق: ولما أنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ﴾، كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، طلق امرأته قُرَيْبَةَ ابنة أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وأم كلثوم بنت جَزُول أم عبيد الله ابن عمر الخزاعية، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم، وكانوا إذ ذاك على شركهم. والله أعلم.

[حوادث السنة السابعة^(١)]

فيها تزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفيّة بنت حيّي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث الهلالية. وفيها أسلم أبو هريرة - وأسمه في الجاهلية عُمَيْر بن عامر بن عبد ذي الشرى، وفي الإسلام عبد الرحمن بن صخر الدؤسي، وأسماءه كثيرة بحسب ما ورد من اختلاف أقوال الرواة، وقد صححوا ما ذكرناه، والله أعلم - وعمران بن حصين. وفيها حُرِّمَت الحُمُر الأهلية، ومُنْعَت النساء على ما نذكر ذلك إن شاء الله في غزوة خيبر. وفيها بعث رسول الله ﷺ الرُّسُل إلى الملوك، وقدم حاطب بن أبي بلتعة^(٢) من عند الْمُقَوْقِس بمارية بنت شَمْعُون القبطية أم إبراهيم عليه السلام وأختها شيرين. وفيها قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان قد بقي من المهاجرين بأرض الحبشة، وقد تقدم ذكرهم.

(١) العنوان ساقط من الأصل.

(٢) حاطب بن أبي بلتعة: ابن عمرو بن عمير بن سلمة بن صعب بن سهل اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى. وهو صاحب قصة مكاتبة أهل مكة يخبرهم بتجهيز رسول الله ﷺ. شهد بدرًا واعتذر. فقبل عذره، مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣٠٠، رقم الترجمة ١٥٣٨).

حوادث السنة الثامنة

فيها وُلد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية. وفيها توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ. وفيها وهبت سودة زوج النبي ﷺ يومها لعائشة رضي الله عنها حين أراد طلاقها. وفيها عمل منبر رسول الله ﷺ وخطب عليه.

ذكر اتخاذ رسول الله ﷺ المنبر وخطبته عليه

روى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً، فقال: «إن القيام قد شقَّ عليَّ»، فقال له تميم الداري: ألا تعمل لك منبراً كما رأيتُ يُصنع بالشام؟ فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في ذلك، فرأوا أن يتخذوه، فقال العباس بن عبد المطلب إن لي غلاماً يقال له كلاب أعملُ الناس، فقال رسول الله ﷺ: «مُرّه أن يعملهُ»، فأرسله إلى أثلة^(١) بالغابة فقطعها، ثم عمل منها درجتين ومقعداً، ثم جاء به فوضعه في موضعه [اليوم]، فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه وقال: «منبري هذا على ترعة^(٢) من ترع الجنة، وقوائم منبري رواتب في الجنة». وعن سهل بن سعد وقد سئل عن منبر رسول الله ﷺ من أي عُود هو؟ فقال: أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة - امرأة سماها - فقال: «مُرِّي غلامك النجار يعمل لي أعواداً أكلم الناس عليها»، فعمل هذه الثلاث درجات من طُرْفاء^(٣) الغابة، فأمر رسول الله ﷺ بوضعه في هذا الموضع. وقد روي عن باقوم الرومي أنه قال: صنعت لرسول الله ﷺ منبراً من طُرْفاء، ثلاث درجات: القعدة ودرجتيه؛ رواه عنه صالح مولى التوأمة^(٤) حكاه أبو عمر في ترجمة باقوم. ولما انتقل رسول الله ﷺ إليه كان من جنين الجذع ما نذكره إن شاء الله تعالى في معجزاته ﷺ.

وفي هذه السنة أسلم عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، وعثمان بن طلحة، على ما نشرح ذلك.

ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة

كان سبب إسلامهم على ما حكاه محمد بن إسحاق بسنده يرفعه إلى عمرو بن

(١) الأثلة: نوع من الشجر منه صنع منبر الرسول ﷺ (اللسان: أثل).

(٢) الترعة: الباب (اللسان: ترع).

(٣) طُرْفاء الغابة: نوع من الشجر.

(٤) التوأمة: هي بنت أمية بن خلف الجمحي، وإنما قيل لها التوأمة لأنها كانت معها أخت لها في بطن (انظر أسد الغابة).

العاص، قال عمرو: لما أنصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعنا رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلموا والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرًا، وإني قد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي^(١) فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا لرأيي، قلت: فاجمعوا ما يهدي له، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده، فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني قد أجزأت^(٢) عنها، فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع، فقال لي: مرحبًا بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئًا؟ قلت: نعم أيها الملك، قد أهديت لك أدمًا كثيرًا، ثم قربته إليه فأعجبه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلًا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مديده ف ضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو أنشقت الأرض لدخلت فيها فرقًا^(٣) منه، ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ﷺ لتقتله! فقلت: أيها الملك، أكذلك هو؟ قال: وينحك يا عمرو، أطعني وأتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمتهم إسلامي.

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ، فلقيت خالد بن الوليد وهو مقبل من مكة، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ فقال: لقد استقام المنسم^(٤)، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم فحتى متى! قال قلت: والله ما جئت إلا لأسلم، قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فقدم خالد بن الوليد، فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول

(١) النجاشي: لقب ملك الحبشة.

(٢) أجزأت عنها: قمت مقامها.

(٣) فرقًا: خوفًا.

(٤) استقام المنسم: معناه: تبين الطريق، ووضح، وفي الأصل: «المبسم» وفي ابن هشام: «الميسم» والتصويب عن الخشني وابن الأثير.

الله، إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدّم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر، فقال: يا عمرو: بايع فإن الإسلام يَجِبُ^(١) ما كان قبله، وإن الهجرة تَجِبُ ما كان قبلها، فبايعت ثم أنصرفت.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما فأسلم حين أسلما.

حوادث السنة التاسعة

فيها آلى^(٢) رسول الله ﷺ من نسائه، وأقسم ألا يدخل عليهن شهراً. وكان سبب الإيلاء ما رواه البخاريّ بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يحبّ العسل والحلواء، وكان إذا أنصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس^(٣) أكثر ما كان يحتبس فغرت، فسألت عن ذلك فقليل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّة عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالّن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقلولي له: أكلت مغاير^(٤)، سيقول لك: لا، فقلولي له: ما هذه الريح التي أجده؟ فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقلولي له: جرست^(٥) نحله العرفط، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذلك، قالت: تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أبادئه بما أمرتني به فرقاً منك. ومن رواية مسلم قالت: تقول سودة: فوالذي لا إله إلا هو لقد كدت أبادئه بالذي قلت لي، وإنه لعلى الباب فرقاً منك. قال البخاريّ: فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغاير؟ قال: «لا»، قلت: فما هذه الريح التي أجده منك؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل» فقالت: جرست نحله العرفط، فلما دار إليّ قلت له نحو ذلك، فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلى حفصة قالت له: ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي فيه» قالت: تقول سودة والله لقد حرّمناه^(٦)، قالت لها: أسكتي^(٧). وفي

(١) يَجِبُ: يقطع ويمحو. (٢) آلى: هجر، اعتزل.

(٣) احتبس: لبث.

(٤) المغاير: نوع من الصمغ ينضجه شجر العرفط (اللسان: غفر).

(٥) جرست: أكلت: يقال للنحل: الجوارس، والعرفط: شجر الطلح، وله صمغ كربه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه.

(٦) حرّمناه: منعناه من العسل.

(٧) قلت لها: أسكتي: أي قالت السيدة عائشة لسودة، أسكتي لئلا يظهر ما دبّرت له لحفصة.

رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلاً عند زينب بنت جحش، ويمكث عندها، فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير، إني أجد منك ريح مغافير، قال: «لا»، ولكنني كنت أشرب عسلاً عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحداً، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١﴾ [التحریم: ١].

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا معشر قريش قوماً تغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساؤهم، وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي، فتغضبت يوماً على امرأتي، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل، فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين رسول الله ﷺ؟ فقالت: نعم، [فقلت: أتهجره إحداكن إلى الليل؟ قالت: نعم، فقلت:]^(١) قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ؟ فإذا هي قد هلكت، لا تراجعني رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً، وسليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، يريد عائشة.

ومن رواية البخاري قال: خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرايتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا بن الخطاب! دخلت في كل شيء حتى تبغني أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني والله أخذاً كسرثني عن بعض ما كانت أجد، فخرجت من عندها.

رجعنا إلى حديث مسلم: قال عمر: وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فيأتيني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك، وكنا نتحدث أن غسان تُنعل الخيل لغزونا^(٢)، فنزل صاحبي، ثم أتاني عشاء فضرب بابي، ثم ناداني فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم، فقلت: ماذا، أ جاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأطول، طلق النبي ﷺ نساءه، فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، وقد كنت أظن هذا كائناً، حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي، ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي، فقلت: أطلقكن رسول الله ﷺ؟

(١) الزيادة من صحيح مسلم: ٤: ١٩٣.

(٢) في مسلم: لتغزونا.

فقلت: لا أدري، ها هو ذا معتزل في هذه المَشْرَبَةِ، فأتيته غلامًا له أسود فقلت: أَسْتَأْذِنُ لِعَمْرٍ، فدخل ثم خرج إليّ فقال: قد ذكركَ له فَصَمْتُ فانطلقتُ حتى أَنتَهِيتُ إلى المِنْبَرِ، فجلستُ، فإذا عنده رَهْطٌ^(١) جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً ثم غلبني ما أجد، ثم أتيتُ الغلام فقلت: أَسْتَأْذِنُ لِعَمْرٍ، فدخل ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكركَ له فَصَمْتُ، فَوَلَّيْتُ مَدْبِرًا، فإذا الغلام يدعوني، فقال: أَدْخُلْ فقد أذن لك، فدخلتُ فسَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ، فإذا هو مُتَّكِيٌّ على رَمْلٍ^(٢) حَصِيرٍ قد أثر في جنبه فقلت: أطلقت يا رسول الله نساءك؟ فرفع رأسه إلي وقال: «لا»، فقلت: الله أكبر، لو رأيَنا يا رسول الله، وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء، فلما قَدِمْنَا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم، فأنكرتُ أن تراجعني، فقلت: ما تُنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى الليل، فقلت: قد خاب من فعل ذلك منهنَّ وخَسِرَ، أفتأمن إحداهنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ﷺ فإذا هي قد هلكت، فتبسَّم رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، قد دخلت على حَفْصَةَ فقلت: لا يَغُرَّنكِ إن كانت جارتكِ هي أَوْسَمُ مِنْكِ وأحبُّ إلى رسول الله منك، فتبسَّم أخرى.

ومن رواية البخاري - قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث، فلما بلغت حديث أم سَلَمَةَ، تبسم رسول الله ﷺ، ولم يذكر التَّبَسُّمَ فيما قبلها.

قال مسلم في حديثه: فقلت أَسْتَأْذِنُ^(٣) يا رسول الله؟ قال: «نعم» فجلستُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يَرِدُ الْبَصَرَ إِلَّا أَهْبًا^(٤) ثلاثة، فقلت: أَدْعُ الله يا رسول الله أن يُوسِّعَ على أمتك، فقد وَسَّعَ على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالسًا ثم قال: «أفي شك أنت يا بن الخطاب، أولئك قومٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طيِّباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: استغفر لي يا رسول الله، قال: وكان أقسم ألا يدخل عليهنَّ شهرًا من شدة مَوْجِدَتِهِ^(٥) عليهنَّ حتى عاتبه الله عزَّ وجل.

وعن عُرْوَةَ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل عليَّ رسول الله ﷺ - بدأ بي - فقلت: يا رسول الله، إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهرًا، وإنك دخلت من تسع وعشرين، أعدهنَّ؟ فقال: «إنَّ الشهر تسع وعشرون»، ثم

(١) رهط: جماعة.

(٢) رمل حصيد: ليس له وطاء غيره.

(٣) المراد بهذه الكلمة الاستئذان في الأنس والمحادثة، كما يستفاد من الشرح.

(٤) الأهب: الجلود.

(٥) الموجدة: الغضب.

قال: «يا عائشة، إني ذاك لك أمراً فلا عليك ألاّ تعجلي حتى تستأمري أبونك» ثم قرأ عليّ الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ﴾ حتى بلغ ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] فقالت عائشة: قد علم والله أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، فقلت: أو في هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. وفيها هدم رسول الله ﷺ مسجد الضرار.

ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن اتخذه من المنافقين

وكان هدم مسجد الضرار عند منصرف رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، وكان أصحابه الذين بنوه اثني عشر رجلاً: وهم خذام بن خالد ومن داره خرج، وثعلبة بن حاطب، ومعتب بن قشير، وأبو حبيبة بن الأزعر، وعباد ابن حنيفة، وجارية بن عامر، وأبناء مجمع وزيد، ونبتل بن الحارث، ويخرج من بني ضبيعة، وبجاد بن عثمان من بني ضبيعة، ووديعة بن ثابت، فأتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتوية، وإننا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: «إني على جناح سفر وحال شغل - أو كما قال ﷺ - ولو قد قديمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه» فلما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك نزل بذي أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار - أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومغن بن عدي، أو أخاه عاصم بن عدي، فقال: «أنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقا» فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمغن: أنظرنني حتى أخرج إليك بنار من أهلي، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَقاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم [خرجا]^(١) يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقا وهدماه وتفرّقا عنه، ونزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِصْكَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ حُجَّةً يَنْظُرُوا فِيهِ وَأَلَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ ﴿١١٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٧-١١٠].

وفيها لأَعَنَ رسولُ الله ﷺ بينَ العَجْلانيّ وبينَ أمرأته في مسجده بعد صلاة العصر في شعبان، وكان عُوَيْمِرُ قَدِمَ من تَبُوكَ فوجدَها حُبْلَى. وفي شَوّالٍ ماتَ عبدُ الله بنُ أبيّ ابنِ سَلُولٍ المنافق، وصلى عليه رسولُ الله ﷺ، ولم يَصَلِّ بعدها على منافق؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] الآية.

وفيها ماتت أُم كلثوم بنت رسول الله ﷺ. وفيها نَعَى رسولُ الله ﷺ النجاشي في اليوم الذي مات فيه بالحبشة، وقيل: في شهر رجب، وفيها أسلم كعب بن زهير. والله أعلم بالصواب.

ذكر إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى (١) وامتداحه رسول الله ﷺ

كان سبب إسلامه أن رسول الله ﷺ لما أنصرف عن الطائف كتب أخوه بُجَيْرُ بن زُهَيْرٍ (٢) إليه يخبره أن النبي ﷺ قتل رجلاً بمكة ممن كان يهجوّه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش كآبن الزُبَيْرِ، وهُبَيْرَةُ بن أبي وَهَبٍ قد هربوا في كل وَجْه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِرَ إلى رسول الله ﷺ، فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تَفْعَلْ فَأَنْجُ إلى نَجَائِكَ من الأرض، وكان كعب قد كتب إلى أخيه بُجَيْرٍ لما بلغه إسلامه: [من الطويل]

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً فهل لك فيما قُلْتُ وَنَحَكَ هل لَكَ
شَرِبْتَ مع المَأْمُونِ كَأَسَا رَوْيَةً فَأَنهَلَكَ المَأْمُونُ منها وَعَلَّكَ (٣)
وخالفت أسباب الهدى وَاتَّبَعْتَهُ على أيِّ شَيْءٍ وَيَبَ غَيْرِكَ دَلَّكَ (٤)

- (١) كعب بن زهير: كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرَّب: (.... - ٢٦ هـ = م) شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد. كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ فهدر النبي ﷺ دمه، فجاءه «كعب» مستأمنًا وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة. وهو من أغرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة، وحفيده العوام، كلهم شعراء... (الأعلام: ٥: ٢٢٦).
- (٢) بجير بن زهير بن أبي سلمى: المازني الشاعر، أخو كعب. أسلم قبل أخيه. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٣٨. رقم الترجمة ٥٩٠).
- (٣) المأْمُون: يعني النبي ﷺ وكانت قريش تسميه المأْمُون والأمين. والنهل: الشرب الأول، والعلل: الشرب الثاني.
- (٤) ويب غيرك: ويح غيرك.

على خُلِقَ لم تُلَفِ أُمَّا ولا أَبَا عليه ولم تُدرك عليه أَخَا لَكَا
ويروى:

على خُلِقَ لم تُلَفِ يَوْمًا أَبَا له عليه وما تُلَفِي عليه أَبَا لَكَا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسِفٍ ولا قائل إِمَّا عَثَرْتَ: لَعَا لَكَا^(١)

وبعث بها إليه، فلما أتت بُجَيْرًا كره أن يكتمها رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ [لما سمع قوله]: «سقاك بها المأمون»: «صَدَقَ وإنه لكذوب، [أنا المأمون]»، ولما سمع قوله: «على خُلِقَ لم تُلَفِ أُمَّا ولا أَبَا عليه» قال: «[أَجَلْ] لم يُلَفِ عليه أباه ولا أمه»، فكتب بُجَيْرٌ إلى كعب: [من الطويل]

مَنْ مُبْلَغٌ كَغَبًا فهل لك في التي تَلُومُ عليها باطلاً وهي أَخْزَمُ^(٢)
إلى الله - لا العُزَى ولا اللَّات - وَخَدَه فَتَنْجُو إذا كان النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لدى يومٍ لا يَنْجُو وليس بمُفْلِتٍ من الناس إلا طاهرُ القلب مُسْلِمُ
فَدَيْنِ زُهَيْرٍ وهو لا شيء دَيْنُهُ وَدَيْنُ أَبِي سُلَمَى عليَّ مُحَرَّمُ^(٣)

قال: فلما بلغ كَغَبًا كتاب أخيه ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه، وأزجف به من كان في حاضره^(٤) من عَدُوِّه، فقالوا: هو مقتول، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ﷺ، وذكر فيها خوفه، وإزجاف^(٥) الوُشَاة به من عَدُوِّه، وخرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جُهَيْنَةَ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلى الصبح فصلّى معه، ثم أشار الجُهَيْنِيُّ لكَعْبٍ إلى رسول الله ﷺ، فقال: هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه، فقام حتى جلس إليه، فوضع يده في يده، وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كَغَبَ بن زُهَيْرٍ قد جاء ليستأمن منك تائبًا مُسْلِمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئت بك به؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فقال: أنا يا رسول الله كعب بن زُهَيْرٍ، فوثب رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه عنك، فإنه قد جاء تائبًا نازعًا^(٦)». قال:

(١) لَعَا: كلمة تقال لمن عثر، دعاء له أن ينتعش من سقطته.

(٢) اخزم: الحق.

(٣) ابن أبي سلمى: والد زهير، ويريد معتقد الجاهليين.

(٤) حاضره: حيه.

(٥) الإزجاف: التخويف.

(٦) نازعًا: أي مائلاً إلى الإسلام.

فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لِمَا صَنَعَ به صاحبهم، وأنشد كعب قصيدته، وهي: [من البسيط]

بَانَتْ سَعَادُ فِقْلِبِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مُتَيِّمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُجْزِ مَكْبُولُ^(١)
 وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ بَرَزَتْ إِلَّا أَعْنُ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ^(٢)
 هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُذْبِرَةٌ لَا يُشْتَكَى قِصْرُ مِنْهَا وَلَا طُولُ^(٣)
 تَجَلَّوْا عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَغْلُولُ^(٤)
 شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَخْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحٍ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ^(٥)
 تَنْفِي الرِّيَّاحِ الْقَدَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبٍ غَادِيَةٍ بِيضٌ يَعَالِيلُ^(٦)
 وَنِلَ أَمُّهَا خُلَّةٌ لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ بِوَعْدِهَا أَوْ لَوْ أَنَّ النُّضْحَ مَقْبُولُ^(٧)
 لَكُنْهَا خُلَّةٌ قَدْ سَيْطَ مِنْ دِمِهَا فَجَعٌ وَوَلَعٌ وَإِخْلَافٌ وَتَبْدِيلُ^(٨)
 فَمَا تَقُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهِ كَمَا تَلَوْنَ فِي أَثْوَابِهَا الْغُولُ^(٩)
 كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلًا وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ^(١٠)

- (١) بانَتْ: فارقت: متبول: غلبه الحب وهيمه. متيم: ذلله الحب. مكبول: مقيد، يروى: لم يفد من الفداء، ولم يجز من الجزاء.
- (٢) البين: الفراق. ويروى غداة البين إذ رحلوا. والأغن: الذي في صوته غنة. غضيض الطرف: فاتر الطرف أراد التشبيه.
- (٣) الهيف: ضمير البطن ورقة الخاصرة.
- (٤) العوارض: الأسنان ما بين الثنية والضرس. الظلم: ماء الأسنان وبريقها. ومنهل: قد أنهل بالخمير. والنهل: أول شربة. والمعلول: قد سقي مرتين، والعلل: الشرب الثاني.
- (٥) شجت مزجت بالماء. الشبم: الماء البارد. المحنية: منعطف الوادي. الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى. مشمول: أصابته ريح الشمال فبردته.
- (٦) عنه: أي عن الماء الصافي. أفرطه: ملأه. الصوب: المطر، الغادية: السحابة التي تأتي بالغداة. اليعلول: الغدير. ويروى «من صوب سارية».
- (٧) يروى: «أكرم بها خلة». وفي الديوان: «يا ويحها خلة».
- (٨) سيط: خلط. الفجع: المصيبة. الولع: الكذب. يريد أنها قد خلط بدمها الفجع بالمصائب، والكذب في الأخبار وإخلاف الموعد، وتبديل خليل بآخر، وصار ذلك سجية لها.
- (٩) الغول: السعلاة. وهي أنثى الشياطين، سميت بذلك لأنها فيما زعموا تغتالهم، أو لأنها تترأى لهم في الفلوات، وتتلون بألوان شتى، وتظلمهم عن الطريق.
- (١٠) عرقوب: رجل يضرب به المثل في خلف الوعد، وكان بالمدينة.

- وما تَمَسَّكَ بالعهد التي زَعَمْتَ إلا كما يُمَسِّك الماء الغَرَابِيلُ^(١)
 أَرْجُو وَأَمَلُ أَنْ يَغْجَلَني فِي أَبَدٍ وما لَهُمْ إِخَالُ الدهرِ تعجيل^(٢)
 فلا يَغْرُوكَ ما مَنَنْتَ وما وَعَدْتَ إِنَّ الْأَمَانِيَّ وَالْأَخْلَامَ تَضْلِيلُ
 أَمَسْتُ سَعَادَ بَارِضٍ ما يُبَلِّغُها إلا الْعِتَاقُ النَّجِيبَاتِ الْمَراسِلُ^(٣)
 ولا يُبَلِّغُها إِلَّا عُذَافِرَةٌ فيها على الْأَيْنِ إِزْقَالٌ وَتَبْغِيلُ^(٤)
 من كل نَضَاحَةِ الذُّفْرَى إِذَا عَرِقَتْ عُرْضَتُها طامِسُ الْأَعْلَامِ مجهول^(٥)
 تَزِمِي النَّجَادَ بِعَيْنِي مُفْرِدٍ لَهَقِ إِذَا تَوَقَّدَتِ الْحُزَانُ وَالْمِيلُ^(٦)
 ضَخْمٌ مُقْلَدُها فَعَمَّ مُقَيِّدُها في خَلْقِها عن بَنَاتِ الْفَحْلِ تَفْضِيلُ^(٧)
 حَزَفَ أَخوها أَبوها من مِهْجَنَةٍ وَعَمَّها خالُها قوداءُ شِمْلِيلِ^(٨)

(١) يروى: «تمسك بالوصل».

(٢) أبَد: زمن. يريد أنه يتمنى الوفاء بما وعدن على عجل ولو مرة في الدهر. تعجيل: تصديق، ويروى:

أرجو وأمل أن تدعو مودتها وما إخال لدينا منك تنويل
 (٣) المراسيل: الخفاف. يقول: لا يبلغني سعاد إلا مثل هذه النوق لبعدها.
 (٤) عذافرة: شديدة غليظة. والأين: الإعياء. والأرقال: أن تعدو وتنفض رأسها، التبغيل: ضرب من
 الهملجة المختلطة بالعنق.

(٥) نضاح: فوارة، يصفها بكرم الأصل. الذفري: النقرة خلف أذن الناقة والبعير. أول ما يعرف
 منهما: عرضتها: همتها؛ أي قوية على السفر. طامس: دارس، الأعلام: العلامات، أي قوية على
 قطع الأعلام المندرسة المجهولة.

(٦) النجاد: المشرف من الأرض، ويروى: «الغيوب»: ما غاب من الأرض. المفرد: الذي خذل عن
 صواحيبه. اللهق: الشديد البياض. الحزان: جمع حزين: المكان الغليظ الصلب. الميل: جمع
 ميلاء: العقدة الضخمة من الرمل، وقيل: هو مد البصر. يقول: إنها لا تكسل ولا تفتر في
 الهاجرة.

(٧) مقلدها: رقبته. فعم: ممتلىء، ويروى: «عبل»: وهو الضخم. الرسخ: بنات الفحل:
 النوق. أي لها فضل عليهن في شرح ابن هشام بيتان بعد هذا البيت بالأصل:

غلباء وجناء علىكم مذكرة في دفعها سعة قدامها ميل
 وجلدها من أطوم لا يؤيسه طلع بضاحية المتنين مهزول

(٨) الحرف: القطعة البارزة من الجبل، أي مثله في القوة والصلابة، أو حرف الخط في الرقة
 والضمورة. أخوها أبوها: أي جمل حمل على أمه فوضعت ناقة فصار الجمل أخاها وأباها.
 المهجنة من النوق: الكريمة، والتهجين اختلاف الأبوين، وهو مدح في الإبل، وذم في بني آدم.
 عمها خالها: يعني أن عمها وخالها من جنس واحد. أي أنها كريمة الطرفين من أبيها وأمها، قوداء:
 طويلة الظهر والعنق. الشمليل: الخفيفة السريعة.

- يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهَا مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ^(١)
 عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عَرْضِ مِرْفَقِهَا عَنْ بَنَاتِ الزُّورِ مَفْتُولُ^(٢)
 قَنَوَاءٍ فِي حُرَّتَيْهَا لِلْبَصِيرِ بِهَا عِنَقٌ مُبِينٌ وَفِي الْخَدَيْنِ تَسْهِيلُ^(٣)
 كَأَنَّ مَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحُهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّخَيْنِ بِرْطِيلُ^(٤)
 يُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ فِي غَارِزٍ لَمْ تَخُونَهُ الْأَحَالِيلُ^(٥)
 تَهْوِي عَلَى يَسَرَاتٍ وَهِيَ لَاهِيَةٌ ذَوَابِلُ وَقَعُهَا الْأَرْضُ تَخْلِيلُ^(٦)
 سُمُرُ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَى زِيْمًا لَمْ يَقْهِنَّ سَوَادَ الْأَكْمِ تَنْعِيلُ^(٧)
 يَوْمًا يَظَلُّ بِهِ الْحَرْبَاءُ مُرْتَبًا كَأَنَّ ضَاحِيَهُ فِي النَّارِ مَمْلُولُ^(٨)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلَتْ بُقْعُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا^(٩)
 كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا وَقَدْ عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(١٠)

- (١) اللبان: الصدر. الأقرب: الخواصر، الزهاليل: الملس.
 (٢) عيرانة: تشبه العير في صلابتها، قُذِفَتْ بالنحض: كاملة الخلق لم ينقصها الحلب، والنحض اللحم. العرض: الجوانب، بنات الزور: الأضلع المقدمات. المفتول: المدمج المحكم.
 (٣) قنواء: في أنفها كالحدب. حرثاها: أذناها. العنق: الكرم. سهلة الخدين: سائلتهما غير مرتفعة الوجنتين.
 (٤) المذبح: المنحر: الخطم: الأنف. البرطيل: حجر أو حديد طويل صلب... تنقر به الرحي وقد يشبه به خطم النجبية، وصفها بكبر الرأس.
 (٥) عسيب النخل: جريدها. والغارز: الضرع، قد غرز وقل لبنه. لم تخونه: تنقصه. الأحاليل: مجاري اللبن، يريد: تمر ذنبها على ضرعها.
 (٦) تهوي: تسير بسرعة. ويروى: «تخذي» ومعناها واحد. اليسرات: القوائم الخفاف. ذوابل: ليست برهلة. وقعها الأرض: إشارة إلى سرعة رفعها قوائمها، وتحليل: مثل تحلة اليمين أي كما يحلف الإنسان على الشيء ليفعله، فيفعل منه السير ليتحلل من قسمه.
 (٧) سمر: في ألوانها، وهي اليسرات في البيت السابق. العجايات: عصب باطن اليدين. زيمًا: متفرقة، يقول: لا يحتجن أن يعلن لأنهن غلاظ الأخفاف.
 (٨) الحرباء: ذكر أم حبين، وهو حيوان يتلون ألوانًا بحر الشمس. مرتبًا: مرتقبًا، وذلك إذا كان فوق شرف، ويروى: «مصطغما» منتصبًا، ويروى: «مصطخذًا»: تصلى بحر الشمس الضاحي: البارز للشمس. مملول: من مللت الخبز: جعلته في الملة (بفتح الميم) وهي الحفرة المحمأة، أو الرماد الحار.
 (٩) الحادي: سائق الإبل. بقع: ذات اللون الأبقع. الجنادب: جراد صغير في أشد ما تكون الهاجرة يكون ذلك. قيلوا: من القيلولة، وهي الإبراد عند الهاجرة، وفي الديوان: «ورق الجنادب» الورق: جمع أورق، وهو الأخضر إلى سواد، أو على لون الرماد.
 (١٠) أوب: رجع، تلفع: تلحف، القور: جمع قارة: الأكمة، وقيل: جبل يرتفع طولاً ولا يرتفع عرضاً. العساquil: السراب.

- أَوْبٌ يَدَيَّ فَاقِدِ شَمْطَاءَ مُعُولَةٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا تُكَدُّ مَثَاكِيلُ^(١)
 نَوَاحِي رِخْوَةِ الضُّبُعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٢)
 تَفْرِي اللَّبَانَ بِكَفَيْهَا وَمِذْرَعُهَا مُشَقَّقٌ عَنْ تَرَاقِيهَا رَعَابِيلُ^(٣)
 تَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وَقَوْلُهُمْ إِنَّكَ يَا بَنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ^(٤)
 وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ أَمْلُهُ لَا أَلْهَيْتُكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ^(٥)
 فَقُلْتُ خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ فِكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ^(٦)
 كُلُّ أَبْنٍ أَنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءَ مَحْمُولُ^(٧)
 نُبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ^(٨)
 مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْضِيلُ^(٩)
 لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبَ وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ^(١٠)
 لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفِيلُ^(١١)
 لَظَلَّ تَرْعَدُ مِنْ وَجْدٍ بِوَادِرِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْوِيلُ^(١٢)
 حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي مَا أَنَا زَعَهَا فِي كَفِّ ذِي نَقِمَاتٍ قَوْلُهُ الْقِيلُ^(١٣)

- (١) شَمْطَاءُ: العجوز التي لا ترجو ولدًا. معولة: من العويل، إنما أراد امرأة نعي لها ولدها. نكد: جمع نكداء: التي لا يعيش لها ولد. مَثَاكِيلُ: جمع مثكال: التي فقدت أولادًا كثيرة، ويروى الشطر الأول: * شدَّ النهار ذراعًا عيطل نصف *
- (٢) رِخْوَةٌ: مسترخية، الضبع (بسكون الباء): العضد، يريد شديدة الحركة، المعقول: العقل.
- (٣) تَفْرِي: تشق، اللبان: الصدر، مدرعها: قميصها. شبه الناقة بالمرأة التي تشق الثياب عن صدرها، الرعايل: المتخرقة المتمزقة.
- (٤) تَسْعَى: من السعاية، وفي الوشاية: بجنيها: حولها، ويروى جنابها.
- (٥) لَا أَلْهَيْتُكَ: لَا أَشْغَلُكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، ويروى: «لَا أَلْفَيْتُكَ» أَي لَا أَكُونُ مَعَكَ.
- (٦) الْآلَةُ: النعش، حذباء: معوجة.
- (٧) النَّافِلَةُ: قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: النَّافِلَةُ: الْعَطِيَّةُ الْمَتَطَوِّعُ بِهَا زِيَادَةٌ عَلَى غَيْرِهَا وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مَعَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَظِيمَةِ زِيَادَةٌ عَلَى تِلْكَ الْعُلُومِ.
- (٨) لَظَلَّ تَرْعَدُ: جَوَابُ «لَوْ» الْأَوَّلَى وَهُوَ دَالٌ عَلَى جَوَابِ لَوْ الثَّانِيَةِ، الْوَجْدُ: شِدَّةُ الْحُزَنِ. الْبَوَادِرُ: اللَّحْمُ الَّذِي بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْكَتِفِ. وَالَّذِي فِي الشُّرُوحِ:
- لَظَلَّ يَرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ
- تَنْوِيلُ: مِنَ النَّائِلِ: وَهُوَ الْعَطَاءُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: الْعَفْوُ وَالْأَمَانُ فِي السَّيْرِ الْهَاشِمِيَّةِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ:
- مَا زِلْتُ أَقْتَطِعُ الْبِيدَاءَ مَدْرَعًا جَنَحَ الظَّلَامِ وَثُوبَ اللَّيْلِ سَدُولُ
- (٩) أَنَا زَعَهَا: أَي وَضَعْتُ يَمِينِي فِي يَمِينِهِ وَضَعُ طَاعَةٍ لَا أَنَا زَعَهَا، وَيُرِيدُ بِصَاحِبِ النِّقَمَاتِ: النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْتَقِمُ مِنَ الْكَفَّارِ. الْقِيلُ: الْقَوْلُ الصَّادِقُ.

- فلهو أخوف عندي إذ أَكَلَمَهُ وقيل إنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولٌ^(١)
 من ضَيْغَمٍ بُضْرَاءِ الْأَرْضِ مُخْدَرُهُ في بطن عَثْرٍ غَيْلٌ دونه غَيْلٌ^(٢)
 يَغْدُو فَيَلْحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لحم من الناس مَغْفُورٌ خَرَاذِيلُ^(٣)
 إذا يُسَاوِرُ قِرْنًا لَا يَجِلُّ لَهُ أن يَتْرِكَ الْقِرْنَ إِلَّا وَهُوَ مَفْلُولٌ^(٤)
 منه تَظَلُّ حَمِيرُ الْجَوِّ نَافِرَةٌ ولا تُمَشِّي بِوَادِيهِ الْأَرَاجِيلُ^(٥)
 ولا يَزَالُ بِوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ مُطَرِّحُ الْبَزِّ وَالذُّزْسِينَ مَأْكُولٌ^(٦)
 إنَّ الرِّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْتَدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ^(٧)
 أَغْرُ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِهِ كأن طَلَعَتْهُ فِي اللَّيْلِ قِنْدِيلٌ^(٨)
 فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ببطن مكة لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا^(٩)
 زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ عند اللَّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَاذِيلُ^(١٠)
 يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرُ يَغْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ الشُّودُ التَّنَابِيلُ^(١١)

- (١) منسوب: مسؤول عما صدر منك، ويروى: مسبور.
 (٢) الضيغم: الأسد، ضراء: جمع ضار: من ضرى بكذا ولع به، والمشهور كما في الشروح: «بضراء الأسد محدرة». عثر: موضع باليمن كثير الأسد، والغيل: الشجر الملتف. ويروى: من خادر من ليوث الأسد مسكنه.
 (٣) يلحم ضرغامين: يطعمهما لحم الناس، مغفور: ملقى في العفر وهو التراب. خراذيل: قطعاً.
 (٤) القرن: مقاومك في الشجاعة أو العلم. يساور: يواثق، مغلول: منهزم. ويروى «مجدول»: ملقى في الجدالة وهي الأرض. الجو، هنا: الوادي، والبر الواسع، ويروى: «ضامزة» ساكنة، مكان «نافرة».
 (٥) الأراجيل: جمع أرجال جمع رجل.
 (٦) البز: الثياب والسلاح، الدرسان: الثياب الخلقة، ويروى «مضرج»، ومقتول.
 (٧) الرواية المشهورة: «لسيف» وهذه الرواية أحسن؛ لأن النور هو الذي يستضاء به، مهتد: مطبوع من حديد الهند.
 (٨) أغر: أبيض الوجه بالنور، أبلج: مشرق الوجه. يستقي: يطلب الغيث من الغمام وهو السحاب. طلعت: أول ما يبدو منه. القنديل: السراج.
 (٩) يروى: «فتية» والمعنى واحد، زولوا: انتقلوا من مكة إلى المدينة، العصبية: أراد به الجماعة لا العدد الذي هو من عشرة إلى أربعين.
 (١٠) أنكاس: جمع نكس (بكسر النون): الرجل الضعيف المهين، كشف: جمع أكشف: الذي لا ترس معه، ميل: جمع أميل: الذي لا سيف معه، أو الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج. والمعازيل: جمع معزال: الذي لا سلاح معه.
 (١١) الزهر: النيص: يعصمهم: يمنعهم. عرَّد: فرّ، ونكل، وجبن. التنابيل: جمع تنبال: القصير.

شُمُ العَرَائِينَ أَبْطَالُ لَبُوسُهُمْ مِنْ نَسَجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ^(١)
 بِيضُ سَوَابِغُ قَدْ شَكَّتْ لَهَا حَلَقُ كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ^(٢)
 لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمْ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا^(٣)
 لَا يَقَعُ الطَّغْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمْ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ^(٤)
 قال ابن إسحاق: فلما قال كعب في قصيدته: «إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ»، وإنما أراد معشر الأنصار، وخصَّ المهاجرين من قريش بمدحته، غضبت الأنصار عليه، فقال بعد ذلك يمتدح الأنصار من قصيدة له: [من الكامل]

مَنْ سَرَّهُ كَرْمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ^(٥)
 وَرِثُوا الْمَكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الْخِيَارَ هُمْ بَنُو الْأَخْيَارِ^(٦)
 الْمُكَرَّهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرِعِ كَسَوَالِفِ الْهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ^(٧)
 وَالنَّاطِرِينَ بِأَغْيَنِ مُحَمَّرَةٍ كَالْجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الْإِبْصَارِ^(٨)
 وَالْبَائِعِينَ نَفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لَلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانَقِي وَكِارِ^(٩)
 يَتَطَهَّرُونَ يَرَوْنَهُ نُسْكَأَ لَهُمْ بِدَمَاءٍ مَنْ عَلِقُوا مِنَ الْكُفَّارِ^(١٠)

- (١) العرائين: الأنوف. الشم: حدة في طرف الأنف مع تشمير. لبوسهم: لباسهم. نسج داود: الدرع. الهيجا: الحرب. سرايل: جمع سربال: القميص.
- (٢) بيض: مجلوة صافية. سوابغ: جمع سابغ: الطويل التام. شكَّت: أدخلت بعض حلقاتها في بعض وسمرت. ويروى: «سكت» ضيقت. القفعاء: شجر له ورق وثمر مثل حلق الدروع، مجدول: مفتول.
- (٣) مفاريح: جمع فرح، نالت: أصابت. مجازيع: حزاني. نيلوا: أصيبوا.
- (٤) التهليل: الهروب من الحرب.
- (٥) المقنب: ألف وأقل، قاله أبو عمرو. وقال الأصمعي: هم الجماعة من الفوارس، نحو الثلاثين أكثر أو أقل، واحتج أبو عمرو يقول الجعدي: «بألف يكتب أو يقنب». يكتب: يجمع.
- (٦) رواية الديوان: «الكرام».
- (٧) السمهري: الرمح. سوافل: كذا في الأصل. وعبارة الديوان، رواية السكري: «كصوافل» وفي رواية «كسوافل». الهندي: سيف هندي.
- (٨) كليلة: منحسرة، منكفئة.
- (٩) كذا في الأصل، وابن هشام ورواية ابن سلام: «يوم الهياج وسطوة الجبار» وفي الأغاني: «عند الهياج وسطوة الجبار» وفي ابن الأثير:
- والباذلين نفوسهم ودماءهم
- (١٠) رواية الديوان: «يتطهرون كأنه نسك لهم».

دَرَبُوا كَمَا دَرَبْتَ بِبَطْنِ خَفِيَّةٍ غَلَبَ الرِّقَابِ مَنْ الْأَسُودِ ضَوَارِي^(١)
وَإِذَا حَلَلْتَ لِيَمْنَعُوكَ إِلَيْهِمْ أَصْبَحْتَ عِنْدَ مَعَايِلِ الْأَغْفَارِ^(٢)
ضَرَبُوا عَلَيَّ يَوْمَ بَذْرِ ضَرْبَةً دَانَتْ لَوْقَعَتِهَا جَمِيعُ نِزَارِ^(٣)
لَوْ يَغْلَمُ الْأَقْوَامُ عِلْمِي كُلَّهُ فِيهِمْ لَصَدَّقَنِي الَّذِينَ أُمَارِي^(٤)
قَوْمٌ إِذَا خَوَتْ النُّجُومُ فَإِنَّهُمْ لِلطَّارِقِينَ النَّازِلِينَ مَقَارِي^(٥)

قال ابن هشام: ويقال: إن رسول الله ﷺ قال له حين أنشد بانت سعد فقلبي اليوم متبول: «لولا ذكرت الأنصار بخير، فإن الأنصار لذلك أهل».

ذكر حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس وأذان علي رضي الله عنه بسورة براءة

قال: وفي ذي القعدة سنة تسع من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحاج ليقم للمسلمين حجهم، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه المسلمين، ثم نزلت سورة براءة في نقض ما بين رسول الله ﷺ وبين المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم وبينه، ألا يُصَدَّ عن البيت أحدٌ جاءه ولا يُخَافُ أحدٌ في الشهر الحرام، وكان عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر براءة، فأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته» فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العُضْبَاء حتى أدرك أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالطريق، فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال: أمير أو مأمور؟ قال: بل مأمور،

(١) خفية: موضع كثير الأسد.

(٢) في الديوان: «نزلت» والأغفار: أولاد الأروى، واحدها غُفَر (بضم فسكون)، والأروى: أنثى الوعل.

(٣) علي: قالوا: هو علي بن بكر بن وائل. ويقال: علي أخو عبد مناة بن كنانة بن خزيمة من أمه. (شرح ديوان كعب للسكري) وفي هامش الأصل: «علي هذا الذي ذكره، هو علي بن أمية بن خلف».

(٤) أماري: أكذب.

(٥) المقاري: الذين يقرون الضيف. ويروى في الديوان:

وهم إذا خوت النجوم فإنهم للطائفين السائلين مقاري

ثم مضيا، فأقام أبو بكر رضي الله عنه للناس حجهم، وذلك في ذي القعدة، حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأذن في الناس بما أمره به رسول الله ﷺ؛ فقال: «يا أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته» وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مآمنهم وبلادهم^(١)، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فهو له إلى مدته، فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ.

حوادث السنة العاشرة

فيها كانت حجة الوداع، سنذكرها إن شاء الله تعالى في حج رسول الله ﷺ. وفيها نزل في يوم الجمعة قوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وفيها نزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفَوْا الْحِلْمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ [النور: ٥٨] الآية. وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك. وفيها مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول. وفي كل سنة من هذه السنين العشر غزوات وسرايا ووقائع تُذكر إن شاء الله تعالى في مواضعها؛ والله المستعان الهادي.

تم بعون الله تعالى الجزء السادس عشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» ويليه الجزء السابع عشر، وأوله: «ذكر غزوات رسول الله ﷺ».

(١) في ابن هشام: «أو بلادهم».

فهرس المحتويات

٣	القسم الخامس من الفن الخامس في أخبار الملة الإسلامية
٤	الباب الأول
٤	من القسم الخامس من الفن الخامس في سيرة سيدنا رسول الله ﷺ
٦	ذكر أمهات رسول الله ﷺ
٧	ذكر نبذة من أخبار آباء رسول الله ﷺ فمن بعده إلى أبيه عبد الله بن عبد المطلب ..
٩١٧	ذكر خبر أنتزاع قُصَيِّ البيت ومكة من خُزاعة ومن ولي البيت بعد إسماعيل عليه السلام إلى أن أنتزعه قُصَيِّ بن كلاب
٢٦	ذكر ولاية هاشم الرِّفادة والسُّقاية
٢٩	ذكر أخبار عبد المطلب بن هاشم
٣٠	ذكر ما قيل في سبب تسميته وكُنيته
٣٢	ذكر حفر عبد المطلب زَمْزَم وما وُجد فيها
٣٦	ذكر خبر استسقاء عبد المطلب لبني قَيْس عِيلان وهذيل ومن معهم
٣٧	ذكر نذر عبد المطلب نحر ابنه وخروج القِداح على عبد الله والدر رسول الله ﷺ وفدائه
٤٠	ذكر زواج عبد الله بن عبد المطلب أَمَنَةُ بنت وَهَب أم النبي ﷺ
٤١	ذكر خبر المرأة التي عَرَضَتْ نفسها على عبد الله بن عبد المطلب وما أبدته من سبب ذلك
٤٤	ذكر حَمْل أَمَنَةَ برسول الله ﷺ وما رآته وما قيل لها
٤٦	ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب
٤٧	ذكر مَوْلِد رسول الله ﷺ
٥١	ذكر أسماء رسول الله ﷺ وكُناه
٥٣	ذكر ما جاء في تسميته ﷺ محمد وأحمد ومن تسمى بمحمد قبله ﷺ من العرب، وأشتقاق ذلك

- ومن أسمائه في الكتب المنزلة ﷺ ٥٥
- ذكر مراضع رسول الله ﷺ وإخوته من الرضاعة، وما ظهر من معجزاته في زمن رضاعه وحال طفولته ﷺ ٥٦
- ذكر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ ٦١
- ذكر كفالة عبد المطلب رسول الله ﷺ ٦٢
- ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، وخبر بحيرا الراهب ٦٤
- ذكر رعيته ﷺ الغنم ٦٦
- ذكر حضور رسول الله ﷺ حلف الفضول ٦٦
- ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الشام المرة الثانية في التجارة وحديث نسطور ٦٨
- ذكر تزويج رسول الله ﷺ خديجة بنت خويلد ٦٩
- ذكر حضور رسول الله ﷺ هدم الكعبة وبناءها ٧٠
- ذكر اختلاف قريش في رفع الركن وتراضيه بالنبى ﷺ وخبر النجدي ٧٣
- ذكر المبشرات برسول الله ﷺ قبل مولده ومبعثه وبعد ذلك ٧٤
- ومنه خبر مازن الطائي في سبب إسلامه ١١٨
- ذكر مبعث رسول الله ﷺ وما بدىء به من النبوة ١٢٠
- ذكر فترة الوحي عن النبي ﷺ وما أنزل بعد فترته ١٢٥
- ذكر فرض الصلاة على رسول الله ﷺ ١٢٧
- ذكر أول من أسلم وآمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ وصدق بما جاء به من عند الله ١٢٨
- ذكر من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق - رضوان الله عليهم - ١٣٣
- ذكر تسمية من كانت لهم سابقة في الإسلام من العرب من غير قريش ١٣٦
- ذكر دعاء رسول الله ﷺ الناس إلى الإسلام ١٣٩
- ذكر أعداء رسول الله ﷺ الذين جاهروا بالعدواة ١٤٠
- ذكر دخول قريش على أبي طالب في أمر رسول الله ﷺ وما كان بينهم من المحاورات ١٤١
- ذكر تحزب قريش على رسول الله ﷺ وأذاهم له ولأصحابه ١٤٤
- ذكر إسلام حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ١٤٧
- ذكر مشي عتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ، وسماعهما القرآن،

- واعترافهما أنه لا يشبه شيئاً من كلامهم، وما أشار به عُتبة على أشراف قُريش في
 أمر رسول الله ﷺ ١٤٨
- ذكر اجتماع أشراف قريش إلى رسول الله ﷺ ١٥١
- ذكر قصة أبي جهل في الحجر الذي قصد قتل رسول الله ﷺ، وما شاهدته من حماية
 الله تعالى لنبيه، وكفايته إياه ورجوعه إلى قومه وإخبارهم بما شاهد ١٥٣
- ذكر خبر الضر بن الحارث، وما قال لقريش، وإرسالهم إياه إلى يثرب إلى أخبار يهود
 وعُتبة بن أبي معيط وما عادا به ١٥٥
- ذكر ما أستملت عليه سورة الكهف مما سأله عنه ١٥٦
- ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال،
 وتقطع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى، وما سأله لنفسه، وما قالوه له
 بعد ذلك ١٥٨
- ذكر ما كان من عناد قريش بعد ذلك وعقودهم ١٥٩
- ذكر أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ ١٦٠
- ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ من أذى قريش وعذابهم ليفتنوهم عن دينهم ١٦١
- ذكر هجرة أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وهي الهجرة الأولى ١٦٣
- ذكر رجوع أهل هذه الهجرة إلى مكة، وما قيل في سبب رجوعهم ١٦٤
- ذكر ما ورد في توهين هذا الحديث والكلام عليه في التوهين والتسليم ١٦٥
- ذكر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة ومن هاجر إليها من أصحاب رسول الله ﷺ ١٧٠
- ذكر إرسال قريش إلى النجاشي في شأن من هاجر إلى الحبشة، وطلبهم منه وإسلامه ١٧٤
- ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٧٨
- ذكر تعاقد قريش على بني هاشم وبني المطلب وانحياز بني هاشم وبني المطلب إلى
 أبي طالب ودخولهم في شعبه ١٨٢
- ذكر من عاد من أرض الحبشة ممن هاجر إليها، وكيف دخلوا مكة ١٨٦
- ذكر من قدم من أرض الحبشة إلى رسول الله ﷺ وهو بخير، ومن قدم بعد ذلك ومن
 هلك منهم هناك ١٨٧
- ذكر من أنزل فيه القرآن من مشركي قريش وما أنزل فيهم ١٩٠
- ذكر خروج أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الهجرة وعوده، وجواره وردّه الجوار ١٩٤

- ذكر وفاة أبي طالب بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ومشي أشراف قريش إليه في مرضه، وما قالوه وأنزل فيهم ١٩٥
- ذكر وفاة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها ١٩٧
- ذكر خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف، وعوده إلى مكة ١٩٧
- ذكر خبر الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، وخبر المعراج به ﷺ إلى السموات العلا، وإلى سيدة المنتهى، وما شاهد في ذلك من الكرامة والاصطفاء والمناجاة، وفرض الصلاة، وغير ذلك مما يراه من آيات ربه الكبرى ﷺ ٢٠٠
- ذكر من قال: إن الإسراء كان بالجسد وفي اليقظة ٢٠٧
- ذكر ما ورد في رؤية رسول الله ﷺ ربه تبارك وتعالى، ومناجاة له، وكلامه ودنوه وقربه من ربه عز وجل، ومن جوز ذلك ومن منعه، وما قيل في مشكل حديث الدنوّ والقرب ٢٠٨
- ذكر ما كان بعد الإسراء من إنكار قريش لذلك وما أخبرهم رسول الله ﷺ، من وصفه لهم البيت المقدس، وإخباره لهم بخبر غيرهم، وارتداد من ارتد ٢١٣
- ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم ٢١٤
- ذكر خبر مفروق بن عمرو وأصحابه وما أجابوا به رسول الله ﷺ عند دعائه قبائل العرب ٢١٧
- ذكر بيعة العقبة الأولى ٢٢٠
- ذكر بيعة العقبة الثانية (وقد ترجم عليها بعضهم بالأولى) ٢٢١
- ذكر بيعة العقبة الثالثة وهم السبعون (وترجم عليها ابن سعد بالثانية) ٢٢٢
- ذكر تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ ٢٢٥
- ذكر أول آية أنزلت في القتال ٢٢٧
- ذكر أول من هاجر من مكة إلى المدينة ٢٢٧
- ذكر اجتماع قريش في دار الندوة، وتشاورهم في شأن النبي ﷺ، واتفاقهم على قتله، وحماية الله تعالى له، وخبر الشيخ النجدي، وهو إبليس، خزاه الله ٢٣١
- ذكر ابتداء هجرة رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه ٢٣٣
- ذكر خبر الغار وما قيل فيه ٢٣٤
- ذكر خروج رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه من الغار، وتوجههما إلى المدينة، وما كان من أمر سراقه بن مالك، وأم معبد وغير ذلك إلى أن انتهيا إلى المدينة ... ٢٣٥

- ذكر قدوم رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه إلى المدينة ٢٤٠
- ذكر خروج رسول الله ﷺ من قباء وتحوله إلى المدينة، وصلاته الجمعة، ونزوله على أبي أيوب خالد بن زيد ٢٤١
- ذكر بناء مسجد رسول الله ﷺ وبيوته بالمدينة ٢٤٣
- ذكر بناء المسجد الذي أُسّس على التقوى وهو مسجد قُباء ٢٤٤
- ذكر ما أصاب المهاجرين من حُمى المدينة، ودعاء رسول الله ﷺ لهم ٢٤٥
- ذكر مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ٢٤٦
- ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي أمر بكتبه بين المهاجرين والأنصار، وموادة يهود، وإقرارهم على دينهم، وما اشترطه فيه عليهم ولهم ٢٤٦
- ذكر أخبار المنافقين من الأوس والخزرج وما أنزل فيهم من القرآن ٢٤٨
- ومن المنافقين من أخبار يهود ٢٥٣
- ذكر شيء من أخبار يهود الذين نصبوا العداوة لرسول الله ﷺ، وما أنزل فيهم من القرآن ٢٥٦
- ذكر إسلام عبد الله بن سلام، ومخيريق ٢٥٧
- ذكر سؤال أخبار يهود رسول الله ﷺ واشتراطهم على أنفسهم أنه إن أجابهم عما سألوه آمنوا به، ورجوعهم عن الشرط ٢٦١
- ذكر كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه إلى يهود خيبر ٢٦٢
- ذكر ما قاله أخبار يهود في قوله تعالى: ﴿الْعَرَبُ﴾، و﴿الْمَصْرُ﴾، و﴿الرَّءُ﴾، و﴿الْمَرْءُ﴾ ٢٦٣
- ذكر شيء من مقالات أخبار يهود، وما أنزل من القرآن في ذلك ٢٦٤
- ذكر ما ألقاه شأس بن قيس اليهودي بين الأوس والخزرج من الفتنة، ورجوعهم إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ ٢٦٧
- ذكر ما تكلم به يهود في شأن من أسلم منهم وما أنزل الله تعالى في ذلك ٢٦٨
- ذكر قصة الرّجُم ٢٧١
- ذكر ما ورد من أن يهود سحرُوا رسول الله ﷺ ٢٧٥
- ذكر الكلام على مشكل حديث السّحر ٢٧٧
- ذكر خبر الشاة التي سُم فيها رسول الله ﷺ ٢٧٨

ذكر الحوادث بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة النبوية على حكم السنين؛	
من السنة الأولى إلى السنة العاشرة خلا ما استثنيناه، وقدّمناه	٢٧٩
حوادث السنة الأولى	٢٧٩
حوادث السنة الثانية	٢٧٩
ذكر صرف القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة وما تكلم به اليهود وما أنزل تعالى في	
ذلك من القرآن	٢٧٩
ذكر خبر الأذان	٢٨١
حوادث السنة الثالثة	٢٨٢
حوادث السنة الرابعة	٢٨٢
ذكر نزول الحجاب على أزواج رسول الله ﷺ	٢٨٢
حوادث السنة الخامسة	٢٨٣
ذكر ما وقع بين المهاجرين والأنصار في غزوة المريسيع وما قاله عبد الله بن أبي	
ابن سلول المنافق	٢٨٣
ذكر حديث الإفك وما تكلم به من تكلم من المنافقين وغيرهم فيه وما أنزل الله تعالى من	
براءة عائشة، وفضل أبيها رضوان الله عليهما	٢٨٥
ذكر خبر التيمم	٢٩٤
حوادث السنة السادسة	٢٩٤
ذكر هجرة أمّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيْط، وما أنزل الله تعالى في هجرة النساء .	٢٩٤
حوادث السنة السابعة	٢٩٥
حوادث السنة الثامنة	٢٩٦
ذكر اتخاذ رسول الله ﷺ المنبر وخطبته عليه	٢٩٦
ذكر إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة	٢٩٦
حوادث السنة التاسعة	٢٩٨
ذكر خبر مسجد الضرار وهدمه ومن أتخذه من المنافقين .	٣٠١
ذكر إسلام كَعْب بن زُهَيْر بن أَبِي سُلَمَى وامتداحه رسول الله ﷺ	٣٠٢
ذكر حجّ أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس وأذان علي رضي الله عنه بسورة براءة	٣١٠
حوادث السنة العاشرة	٣١١

نَهْائَةُ الْأَدَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأَلَّفَ مِنْ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوِيرِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٧٣٣ هـ

١٨-١٧

تَحْقِيقُ

الْأُسْتَاذُ عَبْدِ الْمَجِيدِ تَرْحُمَنِي

الْأُسْتَاذُ عَلِيُّ مُحَمَّدٌ هَاشِمٌ

مَنْشُورَاتُ

مَجْدِ رَحَالِي بِمَنْشُورَاتِ

دَارُ الْكِتَابِ الْعِلْمِيَّةِ

بِكُرُوت - بَغْدَاد

منشورات مكتبة دار الكتب العلمية بيروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signé par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (+٩٦١ ٥)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3883-9



9 782745 138835

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه التوفيق والإعانة

ذكرُ غزوات رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تُذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات

كانت غزوات رسول الله ﷺ التي حضرها بنفسه سبعا وعشرين غزاة، كلها بعد هجرته ﷺ إلى المدينة وهي:

غزوة الأبواء، وهي غزوة ودّان، ثم غزوة بُواط، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة ذي العشيرة، ثم غزوة بدر الكبرى، ثم غزوة بني قينقاع، ثم غزوة السويق، ثم غزوة قَرْقَرَة الكُدْر، وهي غزوة بني سُليم، ثم غزوة غطفان إلى نجد، وهي غزوة ذي أَمْر^(١)، ثم غزوة بني سُليم بنجران، ثم غزوة أُحُد، ثم غزوة حَمراء الأسد، ثم غزوة بني النَّضِير، ثم غزوة بدر الموعِد^(٢)، ثم غزوة ذات الرِّقَاع، ثم غزوة دُومة الجَنْدَل، ثم غزوة بني المَضْطَلِق بالمُرَيْسِيع، ثم غزوة الخَنْدَق، وهي غزوة الأحزاب، ثم غزوة بني قُرَيْظَة، ثم غزوة بني لحيان، ثم غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرْد، ثم غزوة الحُدَيْبِيَّة، ثم غزوة خَيْبَر، ثم غزوة الفَتْح، ثم غزوة حُنَيْن، ثم غزوة الطَّائِف، ثم غزوة تَبُوك؛ ومنهم من عدَّ عُمرة القُضَاء مع الغزوات، وكانت بعد خَيْبَر وقبل الفَتْح.

قاتل رسول الله ﷺ من هذه الغزوات في تسع، وهي: بدر الكبرى، وأُحُد، والخَنْدَق، وقُرَيْظَة والمَضْطَلِق، وخَيْبَر، وحُنَيْن، والطَّائِف؛ وقيل: إنه قاتل في بني النَّضِير، والغابة.

(١) ذو أمر: موضع بناحية النخيل بنجد من ديار غطفان.

(٢) غزوة بدر الموعِد: هي بدر الآخرة، وسميت بذلك للمواعدة عليها مع أبي سفيان يوم أُحُد.

وسراياه ﷺ نحو من ستين سرية^(١).

ذكر أول لواء عقده ﷺ

كان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لعمه حمزة^(٢) بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجره لواء أبيض، حملة أبو مرثد كنان بن الحُصَيْن الغنوي^(٣)، حليف حمزة، وبعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من المهاجرين يَغْتَرِضُ لِعِير قريش وقد جاءت من الشام تريد مكة، وفيها أبو جهل بن هشام^(٤) في ثلثمائة رجل، فبلغوا سيف^(٥) البحر من ناحية العيص^(٦)، فالتقوا، وصدقوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً^(٧) للفريقين جميعاً، إلى هؤلاء مرة، وإلى هؤلاء مرة، حتى حجز بينهم.

ذكر سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب^(٨) إلى بطن رابغ

بعثه رسول الله ﷺ في سؤال على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في ستين رجلاً

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يحضره، بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو، سرية وبعثاً. (راجع كتاب المغازي من كتاب المواهب اللدنية ١: ٤٦٧).

(٢) حمزة بن عبد المطلب: حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أبو عمارة، من قريش (٥٤ ق هـ - ٣ هـ = ٥٥٦ - ٦٢٥ م) عم النبي ﷺ وأحد صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكة... ولما ظهر الإسلام تردد في اعتناقه، ثم علم أن أبا جهل تعرض للنبي ﷺ... فقصدته الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عز محمد وأن حمزة سيمنعه... هاجر مع النبي ﷺ وحضر وقعة بدر وغيرها. قتل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة. (الأعلام: ٢: ٢٧٨).

(٣) كنان بن الحصين الغنوي: كنان بن الحصين بن يربوع الغنوي، أبو مرثد (١٢ - ١٠٠ هـ = ٦٣٣ - ٦٣٣ م) صحابي من السابقين إلى الإسلام، كان ترباً لحمزة بن عبد المطلب. شهد بدرًا والخندق وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. توفي بالمدينة. وهو ابن ٦٦ سنة (الأعلام: ٥: ٢٣٤).

(٤) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي (٢ - ١٠٠ هـ = ٦٢٤ - ٦٢٤ م) أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية. سودت قريش أبا جهل ولم يطر شاربه فأدخلته دار الندوة مع الكهول. أدرك الإسلام. وكان يقال له «أبو الحكم»، فدعاه المسلمون «أبا جهل»، استمر على عناده، يشير الناس على محمد رسول الله ﷺ وأصحابه حتى كانت وقعة بدر الكبرى، فشهدا مع المشركين فكان من قتلها (الأعلام: ٥: ٨٧).

(٥) سيف البحر: ساحله.

(٦) العيص: موضع بناحية ذي المروة على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام.

(٧) موادعاً: مسالماً، مهادناً.

(٨) عبيدة بن الحارث: عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أبو الحارث (٦٢ ق هـ - ٢ هـ =

من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد، وعقد له لواء أبيض، حمله منطح بن أثانة بن المطلب بن عبد مناف. حكاه محمد بن سعد. قال ابن إسحاق: أو ثمانين رجلاً من المهاجرين، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة، فلقي به جمعاً عظيماً من قريش.

قال الشيخ شرف الدين الدميّطي^(١) رحمه الله: فلقي أبا سفيان بن حرب^(٢)، وهو في مائتين على ماء يقال له أخياء، من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة، فكان بينهم الرمي ولم يسئلوا السيوف، ولم يصطفوا للقتال، وكان سعد بن أبي وقاص^(٣) أول من رمى بسهم في سبيل الله، ثم انصرف الفريقان على حاميتهم^(٤)؛ وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل. وقال أبو محمد بن هشام: كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف.

قال ابن إسحاق: وفر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهْراني حليف بني زهرة، وعُتْبة بن غزوان بن جابر المازني حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما جاءا مع القوم ليتوصلا^(٥) بهم. وقدّم ابن إسحاق هذه السرية على سرية حمزة.

ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرار^(٦)

بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من مهاجره في عشرين

= ٥٦٢ - ٦٢٤ م) من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، ولد بمكة وأسلم قبول دخول النبي ﷺ دار الأرقم وعقد له النبي ﷺ ثاني لواء عقده بعد أن قدم المدينة. شهد بدرًا وقتل فيها. (الأعلام: ٤: ١٩٨).

(١) شرف الدين الدميّطي: عبد المؤمن بن خلف الدميّطي أبو محمد، شرف الدين: (٦١٣ - ٧٠٥ هـ = ١٢١٧ - ١٣٠٦ م) حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط وتنقل في البلاد؛ وتوفي فجأة في القاهرة. (الأعلام: ٤: ١٦٩).

(٢) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (٥٧ ق هـ - ٣١ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٢ م) صحابي من سادات قريش في الجاهلية وهو والد معاوية. كان من رؤساء المشركين في حرب الإسلام عند ظهوره. أسلم يوم فتح مكة (سنة ٨ هـ). توفي بالمدينة، وقيل بالشام. (الأعلام: ٣: ٢٠١).

(٣) سعد بن أبي وقاص: آخر العشرة المبشرين بالجنة، مات بالعقيق بقصره على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٦ هـ على خلاف.

(٤) حاميتهم: وجههم.

(٥) ليتوصلا: ليتمكنا من الوصول حيث جعلنا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين.

(٦) الخرار: موضع بالحجاز.

رجلاً من المهاجرين، وعقد له لواء أبيض حملة المقداد بن عمرو البهراني، وساروا يعترضون لغير قريش، وعهد إليه رسول الله ﷺ ألا يجاوز الخزار.

قال سعد: فخرجنا على أقدامنا، فكنا نكمن النهار ونسير الليل، حتى صبحناها صبح خمس، فنجد العير قد مزت بالأمس.

ذكر غزوة الأبواء^(١) وهي غزوة ودان^(٢) وبينهما ستة أميال

وهذه الغزوة أول غزاة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وكانت في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عبادة^(٣)، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأبواء يعترض لغير قريش، فلم يلق كيداً.

وفي هذه الغزاة وادع مخشي بن عمرو الضمري، وكان سيدهم في زمانه، على ألا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً.

وكانت غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة.

ذكر غزوة بواط

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص وكان أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ^(٤). وقال ابن هشام: استعمل عليها السائب بن عثمان بن مظعون. وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لغير قريش، فيها أمية بن خلف الجُمحي ومائة رجل من

(١) الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفا مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً.

(٢) ودان: قرية جامعة من نواحي الفرع على طريق الحاج.

(٣) سعد بن عبادة: سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت (... - ١٤ هـ = ... - ٦٣٥ م) صحابي من أهل المدينة كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والإسلام. شهد العقبة مع السبعين من الأنصار وشهد أحداً والخندق وغيرهما. ولما توفي رسول الله ﷺ طمع بالخلافة ولم يبايع أبا بكر. ولم يلبث أن خرج إلى الشام مهاجراً فمات بحدوران. (الأعلام: ٣: ٨٥).

(٤) سعد بن معاذ: سعد بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري (... - ٥ هـ = ... - ٦٢٦ م) صحابي من الأبطال، من أهل المدينة. كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحداً، فكان ممن ثبت فيها. رمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، ودفن بالقيع، وعمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي ﷺ. (الأعلام: ٣: ٨٨).

قريش وألف وخمسمائة بعير، فبلغ بواطاً، وهي من جبال جُهينة من ناحية رَضَوَى، وهي قريب من ذي خُشب مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة بُرْد، فلم يَلْقَ كيداً، فرجع ﷺ.

ذكر غزوة بدر الأولى

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من مُهاجره، لطلب كرز بن جابر الفهري^(١)، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة^(٢)، وكان كرز قد أغار على سرح^(٣) المدينة فاستاقه، وكان يرعى بالجماء^(٤)، فطلبه رسول الله ﷺ حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر، وفاته كرز فلم يلحقه، فرجع إلى المدينة.

ذكر غزوة ذي العُشيرة

العُشيرة بالشين المعجمة، وقيل: بالسين المهملة، وقيل: العُشيرا بالالف. غزاها رسول الله ﷺ في جمادي الآخرة، على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجره، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، واستخلف على المدينة أبا سَلَمَةَ بن عبد الأسد المخزومي. وخرج في خمسين ومائة، ويقال في مائتين من المهاجرين ممن انتدب، ولم يُكرِه أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها^(٥)، وخرج يعترض لغير قريش حين ابتدأت إلى الشام، فبلغ ذا العُشيرة، وهي لبني مُذَلج بناحية يَنْبُع، فوجد العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام، وهي العير التي خرج أيضاً يُريدُها حين رجعت من الشام، فكانت فيها وقعة بدر الكبرى.

(١) كرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسيل، ويقال ابن حسيل بن لاحب بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب. الفهري... أسلم بعد الهجرة. وحسن إسلامه. وقتل كرز يوم الفتح وذلك سنة ثمان من الهجرة في رمضان. (الاستيعاب، هامش الإصابة في تمييز الصحابة، ٣: ٣١٠).

(٢) زيد بن حارثة: زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى بن زيد بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة. أسر وهو غلام يفعة، وأُتي به إلى سوق عكاظ، فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة. فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة ٢٨٩٠).

(٣) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.

(٤) الجماء: موضع على ثلاثة أميال من المدينة (اللسان: جمم).

(٥) يعتقبونها: يتناوبون ركوبها.

وفي هذه الغزاة وادع رسول الله ﷺ بني مُدَلَج وحلفاءهم من بني ضَمْرَة. وفيها كنى رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه أبا تراب^(١)، وقيل في غيرها.

ذكر سرية عبد الله بن جحش^(٢) الأسدي إلى نخلة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مهاجره في اثني عشر رجلاً من المهاجرين. كل اثنين يعتقبان بغيراً.

قال ابن إسحاق: وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه، ويمضي لما أمره به، ولا يستكره أحداً من أصحابه.

قال: وكان معه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وعُكاشة بن مخصن، وعُتبة بن غزوان بن جابر، وسعد بن أبي وقاص، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله التميمي، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث، وسُهَيْل بن بيضاء. هؤلاء الذين عدّهم ابن إسحاق؛ وكان معهم المقداد بن عمرو، حكاه محمد بن سعد.

قال ابن إسحاق: فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فإذا فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم». فلما نظر عبد الله في الكتاب قال: سَمِعُ وطاعة. ثم ذكر ذلك لأصحابه وقال لهم: قد نهاني رسول الله ﷺ أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ، فمضوا كلهم، وسلك على الحجاز حتى إذا كان بمغدن^(٣) فوق الفرع يقال له بخران، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتبة بن غزوان بغيرهما، فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به غير لقريش تحمل زيبياً وأدماً^(٤) وتجارة من تجارة قريش - قال ابن سعد: وخمراً - وفيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وأخوه نوفل، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة.

(١) قال السهيلي: في الروض الأنف: ٣: ٥٨، إن أصح الأقوال في تكنية علي بابي تراب ما رواه البخاري في جامعه وهو: أن رسول الله ﷺ وجده في المسجد نائماً وقد ترب جنبه، فجعل يحث التراب عن جنبه، ويقول: قم أبا تراب. وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة.

(٢) عبد الله بن جحش: حليف لبني عبد شمس، أو لحرب بن أمية، وهو من المهاجرين الأولين، مات يوم أحد، ومثل به، ودفن مع حمزة في قبر واحد. انظر سيرة ابن هشام: ١: ٢٧٤.

(٣) المغدن: المكان الذي يقيم فيه سكانه بشكل دائم، صيفاً وشتاءً (اللسان: عدن).

(٤) الأدم: الجلد.

فلما رآهم القوم هابوهم؛ وكان عكاشة حلق رأسه ليطمئن القوم^(١)، فأمنوا.

وقال^(٢) لهم عثمان: لا بأس عليكم منهم. قال: فسرحوا ركبهم، وصنعوا طعاماً. قال: فتشاور القوم فيهم، وذلك آخر يوم من شهر رجب فقالوا: والله لئن تركتموهم في هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم به، وإن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام. فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شجعوا أنفسهم وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم، فخرج واقد، بن عبد الله يقدم المسلمين، فرمى عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبد الله وأصحابه بالعرير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ.

فلما قدموا عليه قال: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام. ووقف^(٣) العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فأسقط^(٤) في يد القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعثفهم المسلمون فيما صنعوا.

وقالت قريش: قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا الرجال؛ وأكثر الناس في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهله أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم «والفتنة أكبر من القتل» أي قد كانوا يفتنون المسلمين في دينهم حتى يردوهم إلى الكفر بعد إيمانهم، فذاك أكبر عند الله من القتل.

قال: فلما نزلت الآيات قبض رسول الله ﷺ العير والأسيرين، وبعثت إليه قريش في فدائهم، فقال: لا، حتى يقدم صاحبانا، يعني سعد بن أبي وقاص، وعُتبة بن غزوان، فإننا نخشاكم عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبينكم. فقدم سعد وعُتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ.

فأما الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل

(١) انظر شرح المواهب: ١: ٤٧٩.

(٢) في طبقات ابن سعد: ٢: ٥: «وقالوا هم عمار».

(٣) وقف: لم يحتفظ.

(٤) أسقط في يد القوم: «زلوا وأخطؤوا وندموا وتحيروا».

يوم بئر معونة^(١) شهيداً، وأما عثمان فليحق بمكة، فكان بها حتى مات كافراً.

قال: فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه طمِعوا في الأجر، فقالوا: يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين؟ فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]، قال: وقسم رسول الله ﷺ الفَيءَ فجعل أربعة أخماسه لِمَن أَفَاءَهُ، وخُمسه إلى الله ورسوله.

قال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون، وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون. وفي هذه السرية سُمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وقال عبد الله بن جحش في هذه الواقعة، ويقال إنها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ والذي صححه ابن هشام أنها لعبد الله بن جحش، أبياتاً يخاطب بها قريشاً: [من الطويل]

تَعُدُّون قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدُ رَاشِدُ
صُدُّوْكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفِّرْ بِهِ وَاللَّهُ رَءٍ وَشَاهِدُ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ	لئَلَّا يَرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلِهِ	وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ ^(٢)
سَقَيْنَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا	بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدُ ^(٣)
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا	يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقِدِّ عَانِدُ ^(٤)

ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها^(٥)

كان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ سمع بإقبال أبي سفيان بن حرب من

(١) بئر معونة: المكان الذي توجهت إليه سرية المنذر بن عمر الساعدي.

(٢) أرجف: تقوّل. اختلق.

(٣) الحضرمي: المقصود: عمرو بن الحضرمي.

(٤) القد: شرك يقطع من الجلد. وفي شرح المواهب: ١: ٤٨١ «عاقِد».

(٥) وتسمى هذه الغزوة أيضاً غزوة بدر العظمى، والثانية، وبدر الفرقان. وبدر قرية بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة، وقيل: ماء مشهور أسفل وادي الصفراء، ويقال: إنه ينسب إلى بدر بن يخلد. وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه. راجع: شرح المواهب اللدنية: ١: ٤٨٩، ومعجم البلدان مادة «بدر».

الشام في العير التي لقريش، وهي التي خرج إليها في غزوة ذي العُشيرة، وكان فيها أموال قريش وتجاراتهم، وفيها منهم ثلاثون أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل، وعمرو بن العاص^(١) بن وائل، فندب رسول الله ﷺ المسلمين إليهم، وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها^(٢)، فانتدب الناس، فخفت بعضهم وثقل بعض.

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس^(٣) الأخبار، ويسأل من لقي من الركبان عن أمر رسول الله ﷺ تخوفاً على ما معه؛ فأخبره بعض الركبان: أن رسول الله ﷺ قد استنفر أصحابه لقصده، فحذر عند ذلك، واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري؛ فبعثه إلى مكة وأمره أن يستنفر قريشاً إلى أموالهم، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه؛ فأسرع ضمضم إلى مكة.

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر

قال محمد بن إسحاق رحمه الله بسنده إلى عبد الله بن عباس، وعروة بن الزبير^(٤) رضي الله عنهم.

قالا: ورأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث رؤيا أفزعتهما، فبعثت إلى أخيها العباس، فقالت له: والله لقد رأيت رؤيا أفزعثنى وتخوفت أن يدخل على قومك منها شراً أو مصيبة؟ فاکتم عني ما أحدثك به، قال: وما رأيت؟ قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح^(٥)، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا يا آل غُدر^(٦)! لمصارعكم في ثلاث، فأرى الناس اجتمعوا، ثم دخل المسجد

(١) عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله فاتح مصر. كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية كان عمرو مع معاوية. وهو أحد دهاة العرب (٥٠ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤ م) انظر: (الأعلام: ٥: ٧٩).

(٢) ينفلكموها: يمكنكم منها.

(٣) يتحسس: يتسمع بنفسه.

(٤) عروة بن الزبير: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله (٢٢ - ٩٣ هـ = ٦٤٣ - ٧١٢ م) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة كان عالماً بالدين، صالحاً كريماً، لم يدخل في شيء من الفتن. وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر، فتزوج وأقام بها سبع سنين وعاد إلى المدينة فتوفي فيها. وهو أخو عبد الله بن الزبير لأبيه وأمه. و«بئر عروة» بالمدينة منسوبة إليه. (الأعلام: ٤: ٢٢٦).

(٥) الأبطح: مسيل واسع فيه دقيق الحصى.

(٦) في اللسان: غدر معدول عن غادر للمبالغة، ويقال للذكر: غدر، والأنثى غدار، وهما مختصان بالنداء في الغالب، وقد ضبطه السهيلي بضم الغين والبدال (راجع الروض الأنف: ٢: ٦١).

والناس يتبعونه، فبينما هم حوله مثل به بغيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا آل عُذر! لمصارعكم في ثلاث، ثم مثل به بغيره على رأس أبي قُبَيْس^(١) فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها مكة فلا دارَ منها إلا دخلتها منها فُلقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرؤيا! وأنتِ فاكتميهما.

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتبة بن ربيعة^(٢)، وكان صديقاً له؛ فذكرها له واستكتمه إياها، فذكرها الوليد لأبيه عُتبة؛ ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قُعود يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رأي أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأت إلينا، فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة، فقلت: وما رأت؟ فقال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأ نساؤكم! فقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث، فسترتبص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب؛ قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أتني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأث شيئاً، قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع؛ ثم لم تكن عندك غيرة لشيء مما سمعت! قال: قلت: قد والله فعلت، ما كان مني إليه من كبير؛ وأيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأكفيته.

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد^(٣) مُغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه، فدخلت المسجد فرأيتُه، فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرض له ليعود لبعض ما قال، فأوقع به، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد^(٤)، فقلت في نفسي: ما له لعنه الله! أكل هذا فرق^(٥) مني أن أشاتم! وإذا هو قد سمع ما لم

(١) أبو قُبَيْس: جبل مشرف على مكة.

(٢) الوليد بن عتبة: الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب الأموي (.... - ٦٤ هـ = - ٦٨٤ م) أمير من رجالات بني أمية، ولي المدينة (سنة ٥٧ هـ) في أيام معاوية. عزله يزيد (سنة ٦٠ هـ)، ثم أعاده (سنة ٦١ هـ) وثورة عبد الله بن الزبير في إبانها... ثم عزله يزيد وظل الوليد في المدينة. وحج بالناس سنة ٦٢ وتوفي بالطاعون. (انظر الأعلام: ٨: ١٢١).

(٣) حديد: من الحدة: أي الغضب.

(٤) يشتد: يعدو.

(٥) الفرق: الفرع، الخوف.

أسمع؛ صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدع^(١) بعيره وحوّل رحله، وشقّ قميصه وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة^(٢) اللطيمة! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث! قال العباس: فشغلني عنه، وشغله عني ما جاء من الأمر.

فتجهّز الناس سراعاً وقالوا: أیظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي؟ كلا! والله ليعلمنّ غير ذلك، فكانوا بين رجلين: إما خارج، وإما باعث رجلاً مكانه، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد، إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، استأجره بأربعة آلاف درهم وكانت لأبي لهب عليه، فخرج عنه.

وروى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني^(٤) في كتابه المترجم بالأغاني^(٥) بسند يرفعه إلى مصعب بن عبد الله^(٦) قال: فأمر أبو لهب العاصي بن هشام في عشرة من الإبل فقمره^(٧)، ثم في عشرة فقمره، ثم في عشرة فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يُبق له شيئاً، فقال له: إني أرى القداح^(٨) قد حالفتك يا بن عبد المطلب، فهل أقامرك يا بن عبد المطلب، فأئنا غلب كان عبداً لصاحبه. قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقّه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم فقال: افتدوه مني بعشرة من الإبل، فقالوا: لا والله ولا بوبرة. فاسترقه، فكان يرعى له إبله إلى أن خرج المشركون إلى بدر. قال: وقال غير مصعب: فاسترقه واحتبسّه قيناً^(٩) يعمل الحديد.

(١) جدع: قطع أنفه أو أذنيه.

(٢) اللطيمة: الإبل التي تحمل الطيب والبر.

(٣) أوعبت قريش: يقال: أوعب القوم: إذا خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٤) أبو الفرج الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م) من أئمة الأدب والأعلام، في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد بأصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه الأغاني. لم يعمل في بابه مثله جمعه في خمسين سنة. (الأعلام: ٤؛ ٢٧٨).

(٥) راجع الأغاني: ٤: ١٧٤، طبع دار الكتب. والنص فيه يختلف عن رواية المؤلف هنا.

(٦) مصعب بن عبد الله: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله (١٥٦ - ٢٣٦ هـ = ٧٧٣ - ٨٥١ م) علامة بالأنساب غزير المعرفة بالتاريخ. كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً. وكان ثقة في الحديث شاعراً. ولد بالمدينة، وسكن بغداد وتوفي بها. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٧) قمره: غلبه في المقامرة.

(٨) القداح: سهام المقامرة.

(٩) القين: الحداد.

فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجه أبو لهب عنه لأنه كان عليلاً، على أنه إن عاد أعتقه، فقبل العاصي.

قال ابن إسحاق: وكان أمية بن خلف قد أجمع القعود^(١) وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً، فأتاه عتبة بن أبي مغيط وهو جالس في المسجد بين قومه بمِجْمَرَةٍ، فوضعها بين يديه، وقال: يا أبا علي، استجمر، فإنما أنت من النساء. فقال: قَبَحَكَ الله وقبح ما جئت به. ثم تجهز وخرج مع الناس.

قال: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسير، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا. فكادوا يثنون؛ فتبدى لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك المذليجي، وكان من أشرف كنانة، فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء مما تكرهونه فخرجوا سراعاً.

هذا ما كان من أمر قریش.

ذكر خروج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين إلى بدر

قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ﷺ من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان.

وقال محمد بن سعد: خرج يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجره، واستعمل على المدينة عمرو بن أم مكتوم، واسمه عبد الله، ليصلي بالناس، ثم ردّ أبا لُبابة من الروحاء^(٢) واستعمله على المدينة، وخرج ﷺ في ثلثمائة رجل وخمسة عشر رجلاً، كان من المهاجرين منهم أربعة وسبعون، وسائرهم من الأنصار بعد أن ردّ من أصحابه من استصغرهم، ولم يكن غزا بالأنصار قبلها.

قال محمد بن سعد: وتخلّف من أصحاب رسول الله ﷺ ثمانية لعلّة، ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهامهم وأجورهم؛ ثلاثة من المهاجرين: وهم عثمان بن عفان، خلفه رسول الله ﷺ على امرأته رُقِيّة بنت رسول الله ﷺ، وكانت مريضة، فأقام عليها حتى ماتت، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، بعثهما يتحسّسان خبر العير، وخمسة من الأنصار، وهم: أبو لُبابة بن عبد المنذر، خلفه على المدينة، وعاصم بن

(١) راجع (اللسان: قعد).

(٢) الروحاء: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

عدي، خلفه على أهل العالية، والحارث بن حاطب رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، والحارث بن الصمة، وخوات بن جبير، كسرا بالروحاء.

وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بغيراً يعتقبونها^(١)، فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون بغيراً.

قال محمد بن سعد يرفعه إلى ابن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بغير، وكان أبو لبابة، وعلي، زميلي رسول الله ﷺ، فكان إذا كانت عقبه النبي ﷺ قالوا له: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول: «ما أنتما بأقوى على المشي مني، وأما أنا أغنى عن الأجر منكما».

قال ابن إسحاق: وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كبشة، وأنسة مولى رسول الله ﷺ يعتقبون بغيراً؛ وكان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن^(٢) عوف، يعتقبون بغيراً.

قال ابن سعد: وكانت الخيل فرسين: فرس للمقداد بن عمرو^(٣)، وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي^(٤). قال ابن إسحاق: وفرس للزبير بن العوام^(٥).

قال: ودفع رسول الله ﷺ اللواء إلى مضعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أبيض، قال: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سوداوان، إحداهما مع علي بن أبي طالب، والأخرى مع الأنصار.

(١) يعتقبونها: يتناوبون على ركوبها.

(٢) عبد الرحمن بن عوف: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف، أبو محمد، الزهري القرشي (٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢ م) صحابي من أكابرهم. وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى. ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم، وشهد بدرأً وأحدًا والمشاهد كلها. (الأعلام: ٣: ٣٢٠).

(٣) المقداد بن عمرو: المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود النهرازي، وقيل: الحضرمي. وقيل كنيته أبو عمرو وقيل: أبو سعيد. أسلم قديماً، وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي ﷺ هاجر الهجرتين وشهد بدرأً وأحدًا والمشاهد بعدها. واتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان. قيل: وهو ابن سبعين سنة انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٤٥٥ رقم الترجمة ٨١٨٣).

(٤) مرثد بن أبي مرثد: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي، وكان مرثد يحمل الأسرى. استشهد في صفر سنة ثلاث في غزوة الرجيع. انظر: (الإصابة في تمييز الصحابة ٣: ٣٩٨ رقم الترجمة ٧٨٧٨).

(٥) الزبير بن العوام: ابن عمة رسول الله ﷺ، توفي سنة ٣٦ بعد وقعة الجمل.

قال ابن سعد: وكان لواء الخزرج مع الحباب بن المنذر، ولواء الأوس مع سعد بن مُعَاذ، وجعل رسول الله ﷺ على الساقة قيس بن أبي صغصعة أخا بني مازن بن النجار. قال: ولما كان رسول الله ﷺ قريباً من الصَّفراء^(١) بعث بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء الجهنيتين إلى بدر يتحسَّسان له الأخبار عن أبي سفيان وغيره.

ثم ارتحل ﷺ إلى دُفْران - وإِيسَارَ الصَّفراء - وأتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله! فنحن معك فوالله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد^(٢) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه؛ فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له.

ثم قال: أشيروا علي أيها الناس - وإنما يريد الأنصار لأنهم عدد الناس - فقال له سعد بن مُعَاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل؛ قال: فقد آمنا وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى عدونا غداً، إنا لَصُبْرُ في الحرب، صُذُق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فقال ﷺ: «سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم».

ثم ارتحل ﷺ من دُفْران^(٣) حتى نزل قريباً من بدر، فركب هو وأبو بكر الصديق حتى وقفا على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك. قال: أو ذاك بذاك؟ قال: نعم. قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي ترك به رسول الله ﷺ أصحابه - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا

(١) الصَّفراء: وإِ من ناحية المدينة، كثير النخل والزروع في طريق الحاج، وبينه وبين بدر مرحلة. وقيل: قرية فوق ينبع مما يلي المدينة.

(٢) برك الغماد: (بكسر الغين المعجمة، وقال ابن دريد: بالضم، والكسر أشهر) موضع في أقاصي أرض هجر، وقيل: موضع أقصى اليمن. وقال الهمداني: موضع بالحبشة.

(٣) دُفْران: وإِ قرب وادي الصَّفراء.

وكذا، فإذا كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - ثم قال: من أنتم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ويقال: إن الشيخ سفيان الثوري قال: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له عليه الخبر، فأصابوا راوية^(١) لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص، فأتوا بهما؛ فسألهما رسول الله ﷺ عن قريش، فقالا: هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما: كم القوم؟ قالوا: كثير؛ قال: ما عدتكم؟ قالوا: لا ندري. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالوا: تسعاً، ويوماً عشراً؛ فقال رسول الله ﷺ: القوم ما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنصر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأميمة بن خلف، وثبينة وثنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبد ود، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: هذه مكة قد ألقت أفلاذ كبدها.

قال: وبلغ أبا سفيان الخبر بمقدم رسول الله ﷺ، وقد ورد ماء بدر، فرجع إلى أصحابه سريعاً وصرف وجهه عن الطريق، فساحل بها^(٢)، وترك بدرأ يساره، وانطلق. وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجحفة^(٣)، ورأى جهنم بن الصلت مخزومة بن عبد المطلب رؤيا فقال: إني فيما يرى النائم، أو إني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبته ابن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأميمة بن خلف، وفلان وفلان، فعدد رجالاً ممن كان قتل يوم بدر من أشرف قريش، ورأيته ضرب في لبة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح^(٤) من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل بن هشام فقال: وهذا أيضاً نبي آخر من بني عبد المطلب! سيعلم غداً من المقتول إن نحن التقينا.

قال: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم

(١) الراوية: الإبل التي يستقى عليها الماء.

(٢) ساحل بها: أي أخذ بها جهة الساحل.

(٣) الجحفة: قرية على ثلاث أو أربع مراحل من مكة.

(٤) النضح: الرش.

لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله فارجعوا! فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدرأ، - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم فيه سوق في كل عام، - فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقى الخمر، وتعزف علينا القيان^(١)، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها، فامضوا.

فمضت قريش حتى نزلوا العدو^(٢) القُصوى من الوادي، والقلب^(٣) ببدر في العدو^(٤) الدنيا؛ قال: وبعث الله السماء، وكان الوادي دهباً^(٥)، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبّد لهم الأرض، ولم يمنعهم من المسير.

وقال ابن سعد: كان المسلمون يومئذ يَمِيدُونَ من النعاس ونزلوا على كَثِيب^(٦) أهيل، فمطرت السماء فصار مثل الصفا^(٧) يسعون عليه سعيًا. وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَاكُمْ^(٨) الْغُيُومُ أَمَنَةٌ مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّطَهْرِكُمْ بِهِ، وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال ابن إسحاق: وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، فخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من ماء بدر نزل به، فأتاه الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا رسول الله، هذا المنزل منزل أنزلك الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثم نَعُور^(٩) ما وراءه من القلب، ثم نبتني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي»، فنهض بالناس وسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم، نزل عليه؛ ثم أمر بالقلب فعُورَت، وبنى حوضاً على القلب الذي نزل عليه، فملىء ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

(١) القيان: الجواري المغنيات.

(٢) العدو القصوى: أي جانب الوادي القريب من مكة.

(٣) القلب: جمع قلب، وهو البئر.

(٤) العدو الدنيا: أي بالجانب الأدنى من المدينة.

(٥) الدهس: كل مكان سهل، ليس برمل ولا تراب.

(٦) كَثِيب أهيل: أي: رمل سائل.

(٧) الصفا: الحجارة الصلدة.

(٨) في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو.

(٩) نَعُور القلب: ندفنها.

فقال سعد بن معاذ: يا نبي الله، نبئتني لك عريشاً^(١) تكون فيه، وتكون عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك حُباً منهم، ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصرحونك ويجاهدون معك؛ فأثنى رسول الله ﷺ عليه خيراً، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه.

قال: وارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها^(٢) وفخرها، تُحاذك^(٣) وتكذب رسولك، اللهم فنضرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم^(٤) الغداة».

قال ابن سعد: كانت قريش تسعمائة وخمسين، وخيلهم مائة فرس، وكان لهم ثلاثة ألوية؛ لواء مع أبي عزيز بن عُمير، ولواء مع النضر بن الحارث، ولواء مع طلحة بن أبي طلحة.

قال ابن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار وغيره، عن أشياخ من الأنصار، قال: لما اطمأن القوم بعثوا عُمير بن وهب الجمحي فقالوا: احزُر^(٥) لنا أصحاب محمد، فجال بفرسه حول العسكر؛ ثم رجع إليهم، فقال: ثلثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصونه، ولكن أمهلوني حتى أنظر، ألقوم كمين أو مدد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم ير شيئاً؛ فرجع إليهم، فقال: ما رأيت شيئاً، ولكني رأيت يا معشر قريش البلاء^(٦) تحمل المئايا، نواضح^(٧) يثرب تحمل الموت الناقع^(٨)، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ترونها خُرصاً لا يتكلمون، يتلمظون^(٩) تلمظ الأفاعي؛ والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجل منكم، فإذا أصابوا منكم

(١) العريش: شبه الخيمة، يستظل به.

(٢) الخيلاء: الكبر والإعجاب.

(٣) تحاذك: تعاديك.

(٤) أحنهم: أهلكتهم.

(٥) الحزر: التقدير بالحدس والظن.

(٦) البلاء: جمع بلية، وهي الناقة، تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت. وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول: إن صاحبها يحشر عليها.

(٧) النواضح: الإبل التي يستسقى عليها.

(٨) الناقع: الثابت البالغ في الإفناء.

(٩) يتلمظون: تلمظت الحية: إذا أخرجت لسانها (اللسان: لمظ).

أعدادهم، فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فرؤا رأيكم.

فلما سمع حَكِيم بن حِزام ذلك مشى في الناس؛ فَأَتَى عُتْبَةَ بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيدُها، والمطاعُ فيها، هل لك ألا تزال تُذكرُ منها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حَكِيم؟ قال: تَرَجُّعُ بالناس وتحملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحَضْرَمِيِّ. قال: قد فعلتُ، عليَّ عَقْلُهُ^(١)؛ فَأَتِ ابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ، يعني أبا جهل بن هشام، قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: يا أبا الحكم، قد أُرْسِلُنِي إِلَيْكَ عُتْبَةُ بكذا وكذا، فقال: انتفخ واللَّهِ سَخْرُهُ^(٢) حين رأى محمداً وأصحابه، كلا والله لا نَرَجِعُ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، ثم بعثَ إلى عامر بن الحَضْرَمِيِّ فقال: هذا حليفك يريد أن يَرَجِعَ بالناس، وقد رأيتَ ثَأْرَكَ بعينِكَ، فقم فانشُدْ خُفْرَتَكَ^(٣)، ومَقْتَلَ أخيك، فقام عامر فاكتشف^(٤) ثم صرَّخ: واعْمُرَاه، واعْمُرَاه! فحميت الحزب وحَقَبَ^(٥) أمر الناس، واستوسقوا^(٦) على ما هم عليه من الشر. قال: فخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته، أو أموتن دونه، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنَّ^(٧) قدمه بنصف ساقه، وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، ثم جاء إلى الحوض يريد أن يُبْرِزَ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله. ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة، بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة، وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا بَرَزَ من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه ثلاثة من الأنصار، وهم: عَوْفٌ ومُعَوِّذُ ابنا الحارث، وعبدُ الله بن رَوَاحَةَ، فقالوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فقالوا: رَهْطٌ من الأنصار؛ قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديتهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفَاءنا من قومنا، فأخرج لهم رسولُ الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب، وعليَّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث، فلما دَنَوْا منهم قالوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ فسَمَّى كل رجل منهم نفسه، قالوا: نَعَمْ أكفَاء كِرَام؛ فبارز عبيدة - وكان أسنَّ القوم - عتبة، وبارز حمزة شَيْبَةَ، وبارز عليَّ الوليد بن عتبة، فأما حمزة وعليَّ فإنهما لم يُمهلا مُبارزتهما أن قتلاههما، واختلف عبيدة وعُتْبَةُ بينهما ضربتين كلاهما

(١) عقله: ديته.

(٢) انتفخ سحره: يقال: للجبان الذي ملأ الخوف جوفه، والسحر: الرثة.

(٣) انشد خُفْرَتَكَ: أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك، لأنه كان حليفاً لهم وجاراً.

(٤) اكتشف: تعرى من ثيابه. وفي الطبقات: «فكشف عامر وحثا على استه التراب».

(٥) حَقَبَ: اشتد.

(٦) استوسقوا: اجتمعوا.

(٧) أَطَنَّ: أطار.

أُثِّبَتْ^(١) صاحبه، وكَرَّ حمزة وعليّ بأسياهما على عتبة فذَفَفَا^(٢) عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه^(٣) إلى أصحابه.

قال محمد بن سعد: وفي غُبَيْدَةٍ وَعُتْبَةَ نزل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَصُوا فِي رَيْبِهِمَا﴾ [الحج: ١٩]. قال: ثم زَحَفَ الناس ودنا بعضهم من بعض.

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ من شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة.

وعَدَلَ رسول الله ﷺ الصَّفُوفَ، ورجع إلى العَرِيشِ، فدَخَلَهُ هو وأبو بكر الصديق ليس معه غيره فيه، وهو ﷺ يناشد ربه^(٤) ما وعدَه من النصر، ويقولُ فيما يقول: اللهم إن تَهْلِكْ هذه العصابة اليوم لا تُعْبَدُ، وأبو بكر يقول: يا نبي الله، بعضُ مناشدَتِكَ ربِّكَ، فإن الله مُنْجِزُكَ ما وعدَكَ. وخَفَقَ^(٥) رسول الله ﷺ خَفَقَةً ثم انتبه، فقال: أَبَشِّرْ يا أبا بكر، أتاكَ نصرُ الله، هذا جبريل آخِذٌ بعنان فرسه يقودُه، على ثنياه النَّقْعَ^(٦).

قال ابن إسحاق: ورُمِيَ مِهْجَعُ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل، وكان أول قتيل قُتِلَ من المسلمين، ثم رُمِيَ حارثَةُ بن سُرَاقَةَ، أحدُ بني عَدِيّ بن النَجَّارِ، وهو يشربُ في الحوض بسهم، فأصاب نَحْرَهُ، فقتل.

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس يُحَرِّضُهُمْ، وقال: «والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يقاتلُهُم اليوم رجل فيقتلُ صابراً محتسباً مُقْبِلاً غيرَ مُدْبِرٍ، إلا أدخله الله الجنة»، فقال عُمَيْرُ بن الحُمَامِ أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلُهُنَّ: بَخْ بَخْ^(٧)! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه وقاتل حتى قُتِلَ.

وقال عَوْفُ بن الحارث - وهو ابنُ عَفْرَاءَ - يا رسول الله: ما يُضْحِكُ^(٨) الربَّ من

(١) أثبت صاحبه: جرحه جراحة لم يقم معها.

(٢) ذففا عليه: أسرعا قتله.

(٣) حازاه: ساراه به في رفق.

(٤) يناشد ربه: يسأله ويرغب إليه.

(٥) خفق: نام نوماً يسيراً.

(٦) النقع: الغبار.

(٧) بخ: كلمة تقال في موضع الإعجاب.

(٨) يضحك الرب: يرضيه غاية الرضا.

عبدہ؟ قال: عَمَّسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا^(١). فنزع دِرْعًا كانت عليه، وأخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ.

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حَفْنَةً مِنَ الْحَضْبَاءِ فاستقبل بها قريشاً، ثم قال: شَاهَتْ^(٢) الوجوه، ثم نفحهم بها، وأمر أصحابه فقال: شُدُّوا؛ فكانت الهزيمة على قريش، فقتل الله من صناديد قريش مَنْ قَتَلَ، وَأَسَرَ مَنْ أَسَرَ.

قال محمد بن سعد: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، قلت: وأي جمع يهزم ومن يغلب؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول الله ﷺ يَثْبُبُ فِي الدَّرْعِ وَثْبًا وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾^(٣)، فعلمت أن الله تعالى سيهزمهم.

قال: ولما وضع القوم أيديهم يأسرون، ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش، مُتَوَشِّحُ السَّيْفِ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ، فرأى رسول الله ﷺ في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يصنع الناس فقال له: لَكَأَنِّي بِكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ الْقَوْمُ؛ قال: أَجَلْ: والله يا رسول الله، كانت أولَ وقعة أوقعها الله بأهل الشرك، فكان الإثخان^(٣) في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال.

وفي هذا اليوم أنزل الله تعالى الملائكة فقاتلوا مع المسلمين.

قال محمد بن سعد: لما صَفَّ رسول الله ﷺ أصحابه وعبأهم للحرب، جاءت ريح لم يَرِ مثُلُها شَدَّةً، ثم ذهب، فجاءت ريح أخرى ثم ذهب، فجاءت ريح أخرى، فكانت الأولى جبريل عليه السلام في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ، والثانية ميكائيل عليه السلام في ألف من الملائكة عن مِئْمَنَةِ رسول الله ﷺ، والثالثة إسرئيل في ألف من الملائكة عن مِيسَرَةِ رسول الله ﷺ، وكان سِيما^(٤) الملائكة يومئذ عمامة قد أرخوها بين أكتافهم: خُضْرُ وَصُفْرُ وَحُمْرُ مِنْ نَوْرٍ، وَالصُّوْفُ فِي نَوَاصِي خِيَلِهِمْ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّمتْ^(٥) فسوُّموا، فأعلموا بالصوف في مغافرهم^(٦) وقلائسهم.

(١) حاسراً: مكشوفاً.

(٢) شاهت: قبحت.

(٣) الإثخان: المبالغة.

(٤) سيما: علامة.

(٥) سوَّمت: حملت علامتها المميزة.

(٦) المغافر: المغفر: وهو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه.

قال: وكانت الملائكة يوم بدر على خيل بلق^(١).

وقال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني رجل من بني غفار قال:

أقبلت أنا وابن عم لي حتى أضعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدائرة؛ ننتهب مع من ينتهب، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حَمَمَةَ الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدِمُ^(٢) حَيَزُوم. قال: فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه. وأما أنا فكدت أن أهلك، ثم تَماسكت.

وروى ابن إسحاق عن أبي أسيد مالك بن ربيعة - وكان شهد بدرًا - قال - بعد أن ذهب بصره -: لو كنت اليوم ببدر ومعني بصري لأريتكم الشَّعْب^(٣) الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك ولا أتمارى^(٤).

وعن أبي داود المازني، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قتله غيري.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حُنين عمائم حمراء، وفي حديث آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد أرخوها على ظهورهم، إلا جبريل فإنه كانت عليه عمامة صفراء.

وعن ابن عباس^(٥) رضي الله عنهما، قال: لم تُقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا فيما سواه من الأيام عدداً ومَدَداً لا يَضْرِبُونَ.

قال: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ.

قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يرتجز وهو يقاتل ويقول:

(١) بلق: لونها أسود وأبيض.

(٢) أقدم: كما صوبه صاحب اللسان: كلمة تزجر بها الخيل. وحيزوم: اسم فرس جبريل عليه السلام.

(٣) الشعب: الطريق في الجبل.

(٤) أتمارى: أشك.

(٥) عبد الله بن عباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ ق هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ - ٦٨٧ م) حبر الأمة الصحابي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ. وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره فسكن الطائف، وتوفي بها. (الأعلام: ٤: ٩٥).

ما تُنْقِمُ الحرب العَوَانِ مِنِّي بِأَزَلِ عَامِينَ حَدِيثُ سَنِي^(١)

* لِمِثْلِ هَذَا وَلَدَتْنِي أُمِّي *

قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر أن يلتمس أبو جهل بن هشام في القتل، فمر به عبد الله بن مسعود، قال: فوجدته بأخر رَمَقٍ فعرفته، فوضعت رجلي على عنقه، فقال لي: لقد ارتقيت يا زُوَيْعِي^(٢) الغنم مُرْتَقِي صَعْباً، ثم قال: أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ فقلت: لِلَّهِ ولرسوله؛ ثم احتَرَزْتُ رأسه، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأس عدو الله أبي جهل؛ فقال^(٣): أَلَلَّهِ الذي لا إله غيره؟ قلت: نعم واللَّهِ الذي لا إله غيره، ثم أَلْقَيْتُ رأسه بين يدي رسول الله ﷺ.

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتل أن يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ، طَرَحُوا فِيهِ إِلَّا أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دِرْعِهِ فَمَلَأَهَا فَذَهَبُوا لِيُحَرِّكُوهُ فَتَزَايِلُ^(٤)، فَأَقْرَوهُ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ مَا غِيَّهَ مِنَ التُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ، قَالَتْ: وَلَمَّا أَلْقَوْا فِي الْقَلِيبِ، وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتَى؟ فَقَالَ لَهُمْ: «لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ مَا وَعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقٌّ». وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ: فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُنَادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا^(٥)؟ قَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ^(٦)»، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي.

قال ابن إسحاق: وكان الفتيّة الذين قُتِلُوا بِيَدِ - فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفُلُكِيَّةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَكُمَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء: ٩٧] - الحارث بن زَمْعَةَ بن الأسود، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وعلي بن أُمَيَّة بن خَلْفٍ، والعاص بن منبّه.

(١) الحرب العوان: هي التي قوتل قبلها مرة. البازل: أصله في البعير، يقال: بعير بازل، إذا استكمل السنة الثامنة، وطعن في التاسعة، والكلام هنا على التشبيه. يريد أن يقول: أنا مستجمع الشباب مستكمل القوة.

(٢) زُوَيْعِي: تصغير راع.

(٣) كانت يمين رسول الله ﷺ، راجع الروض الأنف: ٢: ٧٢.

(٤) تَزَايِلُ: تفرق.

(٥) جَيَّفُوا: صاروا جيفاً.

(٦) الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾، تجده واضحاً في الروض الأنف: ٢: ٧٤. وفي شرح المواهب اللدنية: ١: ٥٢٢.

وذلك أنهم كانوا أسلموا بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ حبسهم أبائهم وعشائريهم بمكة وقتنؤهم فافتنوا، ثم خرجوا مع قومهم إلى بدر، فأصيبوا كلهم.

قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بما في العسكر مما جمع الناس فجمع، واختلف المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يقاتلون العدو: والله لولا نحن ما أصبتموه، لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: ما أنتم بأحق منا، لقد رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله أكتافهم، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه، ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو فقمنا دونه، فما أنتم أحق به منا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، نزلت السورة بجملتها في غزوة بدر.

قال: ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين والنقل^(١)، وجعل على النقل عبد الله بن كعب المازني، فلما خرج رسول الله ﷺ من مضيق الصفراء، نزل على كئيب بين المضيق وبين النازية^(٢)، يقال له: سير، إلى سرحة^(٣) به وهو من المدينة على ثلاث ليال، فقسم هناك النقل الذي أفاء الله على المسلمين على السواء.

قال ابن سعد: وتنقل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، فكان صفيه يومئذ؛ وأخذ رسول الله ﷺ سهمه مع المسلمين، وفيه جمل أبي جهل بن هشام، وكان مهرياً^(٤)، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، وبعث عبد الله بن رباح إلى أهل العالية.

قال ابن سعد يرفعه إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ يوم بدر بثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة، كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله ﷺ حين خرجوا، فقال: «اللهم إنهم خفاة فاحملهم، اللهم إنهم غراة فاكسهم، اللهم إنهم جياغ فأشبعهم».

ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا، وما فيهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين، فاكسوا وشبعوا.

(١) النقل: الغنمة.

(٢) النازية: عين على طريق الأخذ من مكة إلى المدينة، قرب الصفراء.

(٣) السرحة: الشجرة العظيمة.

(٤) مهري: نسبته إلى قبيلة مهرة بن حيدان باليمن.

وقال يرفعه إلى عكرمة قال: قيل لرسول الله ﷺ لما فرغ من أهل بدر: عليك بالغير ليس دونها شيء، فناداه العباس: إنه لا يصلح ذلك لك، قال: لِمَ؟ قال: لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين، فقد أعطاك ما وعدك.

ذكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب^(١)

قال ابنُ إسحاق: كان أول من قدم مكة بمُصاب قريش الحَيَسُمان بن عبد الله الحُزاعي، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: قُتِلَ عُتْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأمّية بن خلف، وزَمْعَةُ بن الأسود، ونُبَيْهَة ومَنْبُهَة ابنا الحَجّاج، وأبو البَخْتَرِي، وجعل يعدّد أشراف قريش، فقال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر: والله إن يعقل هذا فاسألوه عني، قالوا: ما فعل صفوان بن أمية؟ قال: هو ذاك جالس في الحجر، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قَتِلا.

وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد داخلنا أهل البيت، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل، وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتُم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، ويبعث مكانه العاص ابن هشام بن المغيرة وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً. فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر كبته^(٢) الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوّة، وعزاً، وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أنحت الأقداح في حُجرة زمزم، فوالله إني لجالسُ فيها أنحت أقداحي وعندي أم الفضل جالسة، وقد سَرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجله بشرّ، حتى جلس على طُنب^(٣) الحجر، وكان ظهري إلى ظهره، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب. فقال أبو لهب: هلم إليّ، فعندك لعمري الخبر. قال: فجلس إليه والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي، أخبرني

(١) أبو لهب: عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم من قريش (.... هـ = ٦٢٤ م) عم رسول الله ﷺ وأحد الأشراف الشجعان في الجاهلية ومن أشد الناس عداوة للمسلمين في الإسلام. كان غنياً عتياً. كبر عليه أن يتبع ديناً جاء به ابن أخيه، فأذى أنصاره، وحرّض عليهم، وقتلهم. وفي الآية ﴿تَبَّتْ يُدَا أَيْ لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ﴿كَانَ أَحْمَرُ الْوَجْهِ﴾ مشرقاً، فلُقب في الجاهلية بأبي لهب. مات بعد وقعة بدر بأيام ولم يشهدا. (الأعلام: ٤: ١٢).

(٢) كبته: أذله.

(٣) طنب الحجر: طرفها. والطنب أيضاً: حبل طويل يشد به سرادق البيت.

كيف أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمحنناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاءوا، وبأسرونا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما لُمْتُ الناس، لقينا رجالاً بيضاً، على خيل بُلُق بين السماء والأرض، والله ما تُلَيَّقُ^(١) شيئاً ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعتُ طُئْبَ الحُجْرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة، فَثاورته^(٢) فاحتملني، فضرب بي الأرض، ثم برك على صدري، وكنتُ رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحُجْرة فأخذته فضربت به ضربة فلَقَّت رأسه شَجَّة منكراً، وقالت: أتستضعفه أن غاب عنه سيده؟ فقام مولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة^(٣) فقتلته.

وقالت قریش في قتلى بدر مرثي كثيرة ذكرها ابن هشام وغيره، تركنا إيرادها رغبة في الاختصار، ولأنه ليس تحت ذلك كبير فائدة فيما نحن بصدد، إلا أنها تشهد بقتل من قتل ممن نذكره إن شاء الله تعالى.

ذِكْرُ تسمية من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله ﷺ

كان جميع مَنْ شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين ومن ضُرب له فيها بسهمه وأجره ثلثمائة رجل وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون.

فأما من شهد بدرًا من المهاجرين، ومن ضُرب له بسهمه وأجره، فشهدا من بني هاشم بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً، وهم: سيدنا رسول الله ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وأنسُ الحبشي، وأبو كبشة الفارسي، موالي رسول الله ﷺ، وأبو مرثد كنان بن حصين، وابنه مرثد، حليفا حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب، وأخواه: الطفيل، والحصين، ومسطح، واسمُه عوف بن أثاثه بن عباد بن المطلب.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف وحلفائهم خمسة عشر رجلاً، وهم: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وسالم مولاه. ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة عبد

(١) ما تليق: ما تبقى.

(٢) ثاورته: واثبته.

(٣) العدسة: قرحة قاتلة كالطاعون. وكان العرب يتشاءمون بها، ويرون أنها شديدة العدوى.

الله بن جحش بن رثاب، وعُكَّاشَةُ بن مِخْصَن، وشُجَاع بن وهب بن ربيعة، وأخوه عُقْبَةُ، ويزيد بن رُقَيْش^(١) بن رثاب، وأبو سِنَان بن مِخْصَن بن حُزْنَان أخو عُكَّاشَةَ، وابنه سِنَان، ومُخَرِّز بن نُضْلَةَ بن عبد الله وربيعة بن أَكْثَم بن سَخْبَرَةَ بن عمرو. ومن حلفائهم من بني كبير بن غَنَم بن دُودَان بن أَسَد: ثَقْفُ بن عمرو، وأخواه مالك، ومُدْلِج، وهم من بني حَجْر آل بني سُلَيْم، وأبو مَخْشِي، حَلِيفَ لَهُمْ.

ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان، وهما: عُتْبَةُ بن غَزْوَان، وَخَبَّاب مَوْلَاهُ. ومن بني أَسَد بن عبد العُزَّى ثلاثة نفر، وهم: الزبير بن العَوَام وحاطبُ بن أبي بَلْتَعَةَ، وسعد مَوْلَاهُ.

ومن بني عبد الدار رجلان، وهما: مُضْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار، وسُوَيْبِط بن سعد بن حُرَيْمَلَةَ، ويقال: ابن حرملة بن مالك بن عُمَيْلَةَ بن السَّبَّاق بن عبد الدار.

ومن بني زُهْرَةَ بن كِلَاب وحلفائهم تسعة نفر، وهم: عبد الرحمن بن عَوْف، وسعدُ بن أبي وقاص، وأبو وقاص مالكُ بن أَهْيَب، وأخوه عُمَيْر بن أبي وقاص، ومن حلفائهم: الْمُقْدَادُ بن عمرو بن ثَعْلَبَةَ، وعبد الله بن مسعود بن الحارث، ومسعود بن ربيعة بن عمرو، وذو الشَّمالين^(٢) عُمَيْر بن عبد عمرو بن نُضْلَةَ وَخَبَّاب بن الْأَرْث.

ومن بني تَيْم بن مَرَّة ومواليهم أربعة نفر، وهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومواليه، بلال بن رِبَاح، وعامرُ بن فُهَيْرَةَ، وَصُهَيْب بن سِنَان.

ومن بني مخزوم خمسة نفر، وهم: أَبُو سَلَمَةَ عبدُ الله بن عبد الأسد وَشَمَّاس بن عثمان بن الشَّرِيد، واسم شَمَّاس عثمان، والأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم، وأبو الأَرْقَم هو عبد مناف بن أَسَد، وعَمَّار بن ياسر، ومُعْتَب بن عَوْف بن عامر حليفَ لَهُمْ.

ومن بني عدي بن كعب وحلفائهم اثنا عشر رجلاً، وهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخوه زيد، ومِهْجَع مولى عمر، وعمر بن سُرَاقَةَ بن الْمُعْتَمِر، وأخوه عبد الله، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عُرَيْن، حليفَ لَهُمْ، وعامر بن الْبَكِير، وأخواه خالد وإياس، حلفاء بني عدي، وَخَوْلِي بن أبي خَوْلِي، وأخوه مالك، حليفان لَهُمْ - ومنهم من عدَّ هلال بن أبي خَوْلِي - وعامرُ بن أبي ربيعة، حليفَ لَهُمْ.

ومن بني جُمَح خمسة نفر، وهم: عثمان بن مَظْعُون، وابنه السَّائِب وأخواه قُدَّامَةُ، وعبد الله: ابنا مَظْعُون، ومَعْمَر بن الحارث بن معمر.

(١) هذه رواية ابن هشام. وفي الاستيعاب، والإصابة، وأسد الغابة «رقيش بن رباب». وفي الأصول: «قيس بن رثاب».

(٢) قال ابن هشام: إنما قيل له: «ذو الشمالين» لأنه كان أعسر.

ومن بني سهم بن عمرو: خُنَيْس بن حُذَافَة بن قيس .

ومن بني عامر بن لؤي خمسة نفر، وهم: أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العزّي، وعبد الله بن مَخْرمة بن عبد العزّي، وعبد الله بن سُهَيْل بن عمرو - وكان قد خرج مع أبيه سُهَيْل، فلما نزل الناس بدرًا فرّ إلى رسول الله ﷺ فشهدا معه - وعُمَيْر بن عَوْف، مولى سُهَيْل بن عمرو، وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم .

ومن بني الحارث بن فهر خمسة نفر، وهم: أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر، وسُهَيْل بن ربيعة بن هلال، وأخوه صَفْوَان بن وَهَب، وهما ابنا بيضاء، وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة .

هؤلاء الذين شهدوا بدرًا من المهاجرين .

وأما من ضرب له بسهمه وأجره، فثلاثة نفر، وهم: عثمان بن عفّان - وقد تقدّم خبره - وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانا قد بعثهما رسول الله ﷺ إلى الشام يتحسّسان له خبر العير، فقدمّا بعد غزوة بدر، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهميهما، قالا: يا رسول الله، وأجرنا؛ قال: وأجركما .

وأما من شهدا من الأوس ومن غاب وضرب له فيها بسهمه وأجره، فهم أحد وستون رجلاً، شهدا منهم ستة وخمسون رجلاً، وهم: سعد بن مُعَاذ بن النعمان، وأخوه عمرو بن معاذ، والحارث بن أنس بن رافع، وسعد بن زيد بن مالك، وسلّمة بن سلامة بن وقش، وعَبَاد بن بشر بن وقش، وسلّمة بن ثابت بن وقش، ورافع بن يزيد بن كُزْز، والحارث بن خَزْمة بن عديّ، حليف لهم، ومحمد بن مسّلمة بن خالد، حليف لهم، وسلّمة بن أسلم بن حريش، حليف لهم، وأبو الهيثم بن التّيهان، وأخوه عُبيد بن التّيهان - قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التّيهان - وعبد الله بن سُهَيْل، وقَتَادَة بن النعمان بن زيد، وعُبيد بن أوس بن مالك - وعبيد هو الذي يقال له: مُقرّن، لأنه قرّن أربعة أسرى في يوم بدر، وهو الذي أسر عَقِيل بن أبي طالب يومئذ، ونصر بن الحارث بن عبد بن رِزّاح بن كعب، ومُعْتَب بن عبيد وعبد الله بن طارق حليف لهما من بليّ، ومسعود بن سعد بن عامر، ويقال فيه: مسعود بن عبد سعد، وأبو عَنَس بن جَبْر بن عمرو، وأبو بُزْدَة بن نِيّار، واسمه هانيء، حليف لهم من بليّ، وعاصم بن ثابت بن قيس، ومُعْتَب بن قُشَيْر، وأبو مُلَيْل بن الأزعر بن زيد، وعمرو بن مغبد بن الأزعر، وقيل فيه: عُمَيْر بن مغبد، وسهّل بن حُثَيْف بن واهب، ومُبَشَّر بن عبد المُنذر بن زَنْبَر^(١)، وأخوه رفاعَة، وسعد بن عُبيد بن النعمان، وعُويم بن ساعدة بن

(١) كذا في الإصابة والسيرة. وفي الأصول: «زبير»، تصحيف.

عُنْجُدة، وعبيد بن أبي عُبيد، وثعلبة بن حاطب، وأنيس بن قتادة بن ربيعة، ومَعْنُ بن عَدِيّ بن الجدّ من حلفائهم، وثابت بن ثعلبة، وعبد الله بن سلمة، وزيد بن أسلم بن ثعلبة، وربيعي بن رافع بن زيد، هؤلاء الخمسة من حلفائهم من بليّ، وعبد الله بن جُبَيْر بن النعمان، وعاصم بن قيس بن ثابت، وأبو ضِيَّاح ثابت بن النعمان وأخوه أبو حنة - ويقال: أبو حبة - وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان، والحرث بن النعمان بن أمية، ومُنذر بن محمد بن عَقبة، وأبو عَقِيل بن عبد الله بن ثعلبة من حلفائهم، وسَعْد بن خَيْثَمَة بن الحرث، ومُنذر بن قُدّامة، ومالك بن قُدّامة بن عَرْفَجة، والحرث بن عَرْفَجة، وتَمِيم مولى بني غَنَم، وجُبَر بن عَتِيك بن الحرث ومالك بن ثُمَيْلة، حليف لبني معاوية من مُزينة، والنعمان بن عَصَر^(١)، حليف لبني معاوية من بليّ. هؤلاء الذين شهدوها من الأوس.

وأما من ضُرب له بسهمه وأجره منهم فخمسة نفر، وهم: أبو لُبابة واسمه بَشِير بن عبد الله، والحرث بن حاطب، وحاطب بن عمرو بن عُبَيْد وعاصم بن عَدِيّ بن الجدّ بن العَجْلان، وخَوّات بن جُبَيْر بن النعمان.

وأما من شهدها من الخزرج ومواليهم وحلفائهم فمائة وسبعون رجلاً: خَارِجَة بن زيد بن أبي زُهَيْر، وسعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير وعبد الله بن رَوَاحَة بن امرئ القيس، وخلاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو وبَشِير بن سعد بن ثعلبة، وأخوه سِمَاك بن سعد، وسُبَيْع بن قيس بن عَيْشَة بن أمية، وأخوه عَبَاد بن قيس، وعبد الله بن عَبَس، ويزيد بن الحرث بن قيس وخُبَيْب بن إِسَاف بن عتبة، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة، وأخوه حُرَيْث بن زيد، وسفیان بن نَسْر^(٢) بن عمرو بن الحرث، وتَمِيم بن يَعَار^(٣) بن قيس، وعبد الله بن عُمير بن عَدِيّ، وزيد بن المُزَيْن^(٤) بن قيس، وعبد الله بن عَرْفَطة بن عَدِيّ، وعبد الله بن ربيع بن قيس، وعبد الله بن عبد الله بن أبي [بن]^(٥) مالك، وأوس بن خُولِي بن عبد الله بن الحرث، وزيد بن وديعة بن عمرو بن قيس بن جَزء وعَقبة بن وَهَب بن كَلْدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن غَطَفَان، ورفاعة بن عمرو بن ثعلبة، وعامر بن سلمة بن عامر، حليف لهم من اليمن، وأبو حميضة عَبَاد بن قُشَيْر بن المُقَدَّم، وعامر بن البُكَيْر، حليف لهم، وتَوَفَّل بن عبد الله بن نُضْلة، وعُبَادَة بن

(١) في الأصول: «عيسر» وهو تحريف.

(٢) في الأصول: «بشر»، تصحيف.

(٣) في الأصل: «معاذ»، وهو تصحيف.

(٤) كذا ضبطه الدارقطني بضم الميم وفتح الزاي وتسكين الياء. راجع أسد الغابة: ٢: ٢٤١.

(٥) زيادة عن جميع المراجع.

الصامت بن قيس بن أضرم، وأخوه أوس بن الصّامت والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، وهو الذي يقال له: قَوْلٌ^(١)؛ وثابت بن هزال بن عمرو بن قُريوش، ويقال: قُريوس، ومالك بن الدّخشم بن مالك، وربيع بن إياس، حليف لبني لؤذان من اليمن، والمُجذّر بن زياد بن عمرو؛ واسم المجذر، عبد الله حليف لهم من بليّ، وعُبّاد^(٢) بن الخشخاش بن عمرو، حليف، ونجاب بن ثعلبة بن خزيمة^(٣)، ويقال: بَحّاث، وعبد الله بن ثعلبة بن خزيمة، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية، حليف لهم، وهو من بني سليم، وأبو دُجانة سماك بن خرشة.

قال ابن هشام: سماك بن أوس بن خرشة، والمنذر بن عمرو بن خُثيس بن حارثة، وأبو أسيد مالك بن ربيعة، ومالك بن مسعود البديّ^(٤)، وعبد ربه بن حَقّ بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف.

ومن حلفائهم من جهينة: كعب بن جَمّاز بن ثعلبة - ويقال: حِمَار، وهو من غُبشان - وضَمرة، وبَسْبَس، وزِياد، بنو عمرو.

وعبد الله بن عامر من بليّ، وخرّاش بن الصّمة بن عمرو بن الجَمُوح، وتَميم مولى خراش بن الصّمة، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومُعَوّذ بن عمرو بن الجموح، وخَلّاد بن عمرو بن الجَمُوح، وعُقبة بن عامر بن نَابِي، وحَبِيب بن أسود، مولى لهم، وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث، وثعلبة الذي يقال له: الجِذْع، وعمير^(٥) بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث، ويشر بن البراء بن مَعْرور بن صخر، والطّْفِيل بن مالك بن النعمان، وسِنَان بن صَيْفِيّ بن صخر وعبد الله بن الجَدّ بن قيس بن صخر، وخارجة بن حُمَيْر، وعبد الله بن حمير، حليفان لهم من أشجع من بني دُهمان، وجَبّار بن صخر بن أمية بن خُثّاس، ويزيد بن المُنذر بن سَرَح، وأخوه معقل بن المُنذر، وعبد الله بن النُعمان بن بَلْدَمَة، ويقال: بُلْدَمَة وبُلْدَمَة، والضّحّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة، وسَوَاد بن زُرَيْق بن ثعلبة؛ ومَعْبِد بن قَيْس بن صخر، وأخوه

(١) قال في الاستيعاب: «إن النعمان هذا كان ذا عزة ومنعة، فكان يقال للخائف إذا جاءه: «قول حيث شئت فأنت آمن». فقل لبني غنم وبني سالم لذلك. قواقة، وفي القاموس: القول: اسم أبي بطن من الأنصار، لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو يشر به قال له: «قول في هذا الجبل وقد أمنت»، أي أرتق.

(٢) كذا في الأصول، وهو ما يوافق ما في سيرة ابن هشام وابن كثير وفي أسد الغابة: «عبادة». وفي رواية: «الحساس».

(٣) في الأصول: «خزيمة»، وهو تصحيف. والتصويب عن القاموس والإصابة.

(٤) كذا في الأصول، وفي أسد الغابة والإصابة: «البدن».

(٥) كذا في سيرة ابن هشام، والروض الأنف، والإصابة، وأسد الغابة. وفي الأصل: «عمر».

عبد الله بن قيس، وعبد الله بن عبد مناف بن النعمان، والنعمان بن يسار مولى لبني النعمان، وأبو المُنذر بن يزيد بن عامر بن حديدة، وسُلَيْم بن عمرو بن حديدة، وقُطَيْبَة بن عامر بن حديدة، وعَثْرَة^(١) مولى سليم بن عمرو وعبس بن عامر بن عدي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، وأبو اليسر وهو كعب بن عمرو بن عَبَاد بن عمرو، وسَهْل^(٢) بن قيس بن أبي كعب، وعمرو بن طلق بن زيد بن أمية، ومعاذ بن جبل بن عمرو، وحارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم، وقَيْس بن مِخْصَن بن خالد بن مُخَلَّد، ويقال: قيس بن حِصْن، وأبو خالد، وهو الحارث بن قيس بن خالد بن مُخَلَّد، وجُبَيْر بن إياس بن خالد بن مخلد وأخوه عُقْبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، وذَكْوَان [بن عبد]^(٣) قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد، ومسعود بن خلدَة بن عامر بن مخلد، وعَبَاد بن قيس بن عامر بن خالد، وأسعد بن مَزِيد بن الفاكه بن زيد بن خَلْدَة، والفاكه بن بِشر بن الفاكه بن زيد، ومُعَاذ بن مَاعِص بن قيس بن خلدَة، وأخوه عائذ بن مَاعِص، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدَة، ورِفاعَة بن رافع بن مالك بن العَجْلان، وأخوه خَلَاد بن رافع، وعُبَيْد بن زيد بن عامر، وزِيَاد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سنان، وفَزْوَ بن عمرو بن وذَفَة بن عُبَيْد، وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان، ورُجَيْلَة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة، وعَطِيَّة بن نُؤَيْرَة بن عامر بن عطية، ورافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان، وأبو أيوب خالد ابن زيد بن كُليب بن ثعلبة، وثابت بن خالد بن النُّعْمَان، وعُمَارَة بن حزم بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو، وسُرَاقَة بن كعب بن عبد العُزَّى بن عَزِيَّة، وحارثة بن النعمان بن زيد بن عُبيد، وسُلَيْم بن قيس بن فَهْد، وسُهَيْل بن رافع بن أبي عمرو بن عائذ، وعدي بن أبي الزُّعْبَاء، حليف لبني عائذ من جُهَيْنَة، ومسعود بن أَوْس بن زيد، وأبو خَزَيْمَة بن أَوْس بن زيد، ورافع بن الحارث بن سَوَاد بن زيد، وعُوف، ومُعَوَّذ، ومُعَاذ، بنو الحارث بن رفاعَة، وهم بنو عَفْرَاء بنت عُبيد بن ثعلبة، والنعمان بن عمرو بن رفاعَة بن سَوَاد، ويقال: نُعَيْمَان؛ وعامر بن مُخَلَّد بن الحارث بن سَوَاد، وعبد الله بن قَيْس بن خالد بن خَلْدَة بن الحارث بن سَوَاد، وعُصَيْمَة، حليف لبني سواد من أَشْجَع، ووديعَة بن عمرو، حليف لهم من جُهَيْنَة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سواد - قال ابن هشام: وزعموا أن أبا الحمراء مولى الحارث ابن عَفْرَاء شهد بدرًا - وثعلبة بن عمرو بن مِخْصَن بن عمرو بن عتيك، والحارث بن الصُّمَة بن عمرو بن عتيك، كُسِرَ بِالرُّوحَاء، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه، وأَبِي بن

(١) في الأصول: «عنيزة» وما ذكر هو الصواب.

(٢) في الأصول: «سهيل».

(٣) زيادة عن الإصابة، وأسد الغابة، والاستيعاب.

كعب بن قيس، وأنس بن معاذ بن أنس بن قيس، وأوس بن ثابت بن المُنذر بن حرام، وأبو شيخ أبي بن ثابت^(١) بن المنذر بن حرام.

قال ابن هشام: أبو شيخ أبي بن ثابت أخو^(٢) حسان بن ثابت، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحارثة بن سُرَاقَة بن الحارث بن عدي، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي، وسليط بن قيس بن عمرو بن عتيك بن مالك، وأبو سَليط - وهو أسيرة بن عمرو - وثابت بن خنساء بن عمرو بن مالك بن عدي، وعامر بن أمية بن زيد بن الحشاحس بن مالك، ومحرز بن عامر بن مالك بن عدي، وسواد بن غزيرة بن أهيب، حليف لبني عدي بن النجار.

وأبو زيد قيس بن سَكَن بن قيس، وأبو الأعور بن الحارث بن ظالم بن عبس ابن حرام، ويقال: أبو الأعور الحارث بن ظالم، وسليم بن ملحان، وأخوه حرام - واسم ملحان: مالك بن خالد بن زيد - وقيس بن أبي صغصعة - واسم أبي صغصعة: عمرو بن زيد بن عوف - وعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف، وعصيمة، حليف لبني مازن بن النجار من بني أسد بن خزيمة، وأبو داود عُمَيْر بن عامر بن مالك ابن خنساء، وسُرَاقَة بن عمرو بن عطية ابن خنساء، وقيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب، ومسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار، وأخواه لأمه الضحّاك، والثعمان، ابنا عبد عمرو، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن سهيل بن عبد الأشهل، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك، وبُجَيْر بن أبي بُجَيْر، حليف لبني قيس بن مالك.

هؤلاء الذين عدّهم محمد بن إسحاق.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم يذكرون في الخُزْرج ممن شهد بدرًا عَتَبان ابن مالك بن عمرو بن العَجْلان، ومُكَيْل بن وَبَرَة بن خالد بن العَجْلان، وعِصْمَة بن الحُصَيْن بن وَبَرَة بن خالد بن العَجْلان، وهلال بن المُعَلَّى بن لُؤْذَان بن حارثة.

ذِكْرُ تسمية من استشهد من المسلمين في غزاة بدر

كان من استشهد من المسلمين في غزاة بدر أربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة نفر، وهم: عُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب، قتله عُتْبَة بن ربيعة، قطع رجله فمات بالصفراء في قُفُول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وعُمَيْر^(٣) بن أبي وقاص، وهو أخو

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «أبو شيخ بن أبي ثابت». راجع الاستيعاب ص: ٧١٥.

(٢) كذا في سيرة ابن هشام، وفي الأصل: «أبو».

(٣) ذكر الواقدي أن النبي ﷺ كان ردّ عميراً هذا في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عمير، فلما رأى =

سعيد، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي، حليف لبني زهرة، وعاكل بن البكير، حليف لبني عدي بن كعب من بني سعد بن ليث، ومهجع، مولى عمر بن الخطاب، وصفوان بن بيضاء، من بني الحارث بن فهر.

ومن الأنصار ثمانية، وهم: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر بن زئبر، ويزيد بن الحارث، وعُمير بن الحمام، ورافع بن المعلّى، وحارثة بن سُرّاقة بن الحارث، وعوف، ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاع.

ذكرُ تسمية من قُتل من المشركين في غزوة بدر

كانت عدة من قتل من المشركين في غزوة بدر سبعين رجلاً

من بني عبد شمس ومواليهم وحلفائهم أربعة عشر رجلاً، وهم: عتبة بن أبي مُعيط، قُتل صبراً^(١) بعرق الظبية^(٢) عند قُفول رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال - حين أمر رسول الله ﷺ بقتله -: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار! فقتله عاصم بن ثابت بن الأقلح، وحَنظلة بن أبي سفيان بن حرب قتله زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، ويقال: اشترك فيه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، والحارث بن الحَضْرَمِي، وعامر بن الحضرمي، حليفان لهم. قتل عامراً عَمَّار بن ياسر، وقتل الحارث الثُّعْمَان بن عَصْر، حليف الأوس، وعُمير بن أبي عمير، وابنه، مَوْلِيَان لهم. قتل عُميراً سالم مولى أبي حذيفة، وعُبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أمية، قتله عاصم بن ثابت بن الأقلح، صبراً، وقيل: قتله علي بن أبي طالب، وعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، اشترك فيه عُبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب؛ وشَيْبَةُ بن ربيعة بن عبد شمس، قتله حمزة بن عبد المطلب، والوليد بن عُتْبة بن ربيعة، قتله علي بن أبي طالب، وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار، قتله علي، ووهب بن الحارث، حليف لهم من بني أنمار، وعامر بن زيد، حليف لهم من اليمن.

ومن بني نَوْفَل بن عبد مناف رجلان، وهما: الحارث بن عامر بن نوفل، قتله خُبَيْب بن إِسَاف، وطُعَيْمَةُ بن عدي بن نوفل قتله علي، ويقال: حمزة؛ وروى أبو

= النبي ﷺ بكاءه أذن له في الخروج معه، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة (راجع المغازي للواقدي والروض الأنف).

(١) يقال للرجل إذا حُبِس على القتل حتى يقتل: قتل صبراً.

(٢) عرق الظبية: بين مكة والمدينة قرب الروحاء.

عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قتل طُعَيْمَةَ بن عدي صبراً هو وعُقْبَةُ بن أبي مُعَيْطٍ والنُّضْر بن الحارث.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ سبعة نفر: زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد، قتله ثابت بن الجذع، وقيل: اشترك فيه حمزة وعلي مع ثابت، والحارث بن زَمْعَةَ قتله عمار بن ياسر، وعُقَيْل بن الأسود بن المطلب قتله حمزة وعلي، وأبو البَخْتَرِيّ - وهو العاص بن هشام - قال بن هشام: العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد، قتله المُجَدَّر البَلَوِيّ، وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن قتله، لأنه كان أكف الناس عن رسول الله ﷺ، لما كان بمكة، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة كما تقدّم، فلما لقيه المجدّر قال له: إن رسول الله ﷺ قد نهانا عن قتلك، وكان مع أبي البَخْتَرِيّ زميل له قد خرج معه من مكة، وهو جُنَادَةُ بن مُلَيْحَةَ - رجل من بني ليث - فقال أبو البَخْتَرِيّ: وزميلي، فقال المجدّر: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، ما أمرنا رسول الله ﷺ إلا بك وحدك. فقال: لا والله إذا لأموتن أنا وهو جميعاً! لا تحدّث عني نساء مكة أني تركت زميلي حرصاً على الحياة، وقال يرتجز:

لن يُسَلِّمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حتى يموت أو يرى سَبِيلَهُ

ثم اقتتلا، فقتل المجدّر أبا البختريّ، ثم أتى رسول الله ﷺ فقال: والذي بعثك بالحق، لقد جهذت عليه أن يستأسر فأتيك به، فأبى إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته. ونوفل بن خويلد بن أسد قتله علي بن أبي طالب، وعقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي أربعة نفر وهم: النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، قتله علي صبراً بالصفراء^(١)، ولما بلغ ابنته قتيلة بنت النضر خبر مقتلها كتبت إلى رسول الله ﷺ شعراً: [من الكامل]

يا راكباً إن الأثيل مَظِنَّة من صبح خامسة وأنت مُوفِق^(٢)

بلغ به ميّتاً بأن تحيَّة ما إن تزال بها النجائب تخفِق^(٣)

(١) الصفراء: واد من ناحية المدينة كثير النخل والزرع، وهو على مرحلة من بدر.

(٢) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر ووادي الصفراء. ومظنة الشي: موضعه ومألفه الذي يظن كونه فيه.

(٣) النجائب: الإبل الكريمة.

مِنِّي إِلَيْهِ وَعِبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَادَتْ لِمَائِحِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ^(١)
 هَلْ يَسْمَعَنَّ النُّضْرَ إِنْ نَادَيْتُهُ بَلْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ
 ظَلَّتْ سَيْوْفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوُشُهُ لَلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشْقُقُ^(٢)
 قَسْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا رَسَفَ الْمُقَيَّدُ وَهُوَ عَانٍ مَوْثُقُ^(٣)
 أَمَحَمَّدٌ أَوْ لَسْتُ ضَنْءَ نَجِيْبَةٍ فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلُ مُعْرَقِ
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتُ وَرَبَّمَا مَنِ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُحْنِقُ^(٤)
 النُّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَثَقَ يُعْتَقُ^(٥)
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فَدِيَةٍ فَلْيُنْفَقَنَّ بِأَعَزَّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ^(٦)

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك بكى حتى اخضلت^(٧) لحيته وقال: «لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لعفوت عنه» حكاه أبو عمر عن عبد الله بن إدريس، وحكاه الزبير بن بكار، وقال: فرق لها رسول الله ﷺ حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلت أباه» وزيد بن مليس، مولى عُمير بن هاشم، قتله بلال بن رباح، مولى أبي بكر، ويقال: قتله المقداد بن عمرو، وثبته بن زيد بن مليس، وعبيد بن سَلَيْط، حليف لهم من قيس.

ومن بني تَيْم بن مرة أربعة نفر وهم: عمير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن مالك بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب، قتله صُهَيْب بن سنان. ومالك بن عبيد الله بن عثمان، أسر فمات من الإِسَار، فعَدَّ فِي الْقَتْلَى، وعمرو بن عبد الله بن جُدْعَان.

ومن بني مخزوم بن يَقْظَةَ بن مرة أربعة وعشرون رجلاً: أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع رجله، وضرب ابنه عِكْرَمَةَ يد معاذ فطرحها، ثم ضربه معوذ بن عَفْرَاء،

(١) مسفوحة: جارية، منسابة. جادت لمائحها: تعني أباه لأنه هو الذي يستبكيها ويستنزف دمعها.

(٢) تنوشه: تتناوله. أرحام تشقق: أي: أقارب تقتل مع بعضها.

(٣) قسراً: مرغماً.

(٤) الضن: الأصل: المعرق: الكريم.

(٥) المحنق: الغاضب.

(٦) العتق: تحرير العبد وإطلاقه.

(٧) اخضلت: تبللت بالدمع.

حتى أثبتته، وتركه وبه رمق، ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه كما تقدم، والعاص بن هشام بن المغيرة، قتله عمر بن الخطاب، وكان خال عمر. ويزيد بن عبد الله، حليف لهم من بني تميم، قتله عمار بن ياسر. وأبو مسافع الأشعري، حليف لهم، قتله أبو دجانة الساعدي، وحزملة بن عمرو حليف لهم، قتله خارجة بن زيد، ويقال: بل علي بن أبي طالب ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة، قتله علي بن أبي طالب. وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ويقال: علي؛ وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، قتله علي، ويقال عمار بن ياسر، ورفاعة بن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله سعد بن الربيع، والمنذر بن أبي رفاعه بن عابد، قتله معن بن عدي، وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه، قتله علي بن أبي طالب، والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم على ما حكاه ابن إسحاق.

وقال ابن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن السائب هذا ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة^(١) من غنائم حنين، فقد وقع فيه الخلاف. والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قتله حمزة، وحاجب، ويقال: حاجز بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ، قتله علي بن أبي طالب، وعويمر بن السائب بن عويمر، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة، وعمر بن سفيان، وجابر بن سفيان، حليفان لهم من طيء، قتل عمرًا يزيد بن رقيش، وقتل جابرًا أبو بردة بن نيار، وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله سعد بن أبي وقاص، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، قتله ضبيب بن سنان، وزهير بن أبي رفاعه، قتله أبو أسيد مالك بن أبي ريعة، والسائب بن أبي رفاعه، قتله عبد الرحمن بن عوف. وعائذ بن السائب بن عويمر، أسر ثم افتدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب، وعُمير، حليف لهم من طيء، وخيار، حليف لهم من القارة^(٢).

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي سبعة نفر وهم: منبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم، قتله أبو اليسر، أخو بني سلمة وابنه العاص بن منبه، قتله علي، ونبيه بن الحجاج، قتله حمزة بن عبد المطلب، وسعد بن أبي وقاص، اشتركا فيه، وأبو العاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، قتله علي،

(١) الجعرانة: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن وهو راجع من غزوة حنين. (معجم البلدان).

(٢) القارة: قبيلة تتألف من عضل والدبش ابنا الهون بن خزيمة.

ويقال: النعمان القوقلي، ويقال: أبو دُجانة، وعاصم بن أبي عوف بن صُبيرة بن سَعِيد بن سعد بن سهم، قتله أبو اليَسَر أخو بني سلمة. والحارث بن مُنبه بن الحجاج، قتله صُهَيْب بن سنان، وعامر بن أبي عوف بن صُبيرة أخو عاصم، قتله عبد الله بن سلمة، ويقال: أبو دُجانة.

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤي أربعة نفر، وهم: أمية ابن خلف بن وهب بن خُذافة بن جُمَح، قتله رجل من الأنصار من بني مازن ويقال: قتله معاذ بن عَفراء، وخارجة بن زيد، وخُيَيب بن إساف، اشتركوا فيه. وابنه علي بن أمية بن خلف، قتله عَمَّار بن ياسر، وأوس بن مِغِير بن لُؤْذَان بن سعد بن جُمَح، قتله علي بن أبي طالب، ويقال: قتله الحُصَيْن بن الحارث بن المطلب وعثمان بن مَظْعُون، اشتركا فيه، وسَبْرَة بن مالك، حليف لهم.

ومن بني عامر بن لؤي من حلفائهم رجُلان، وهما: معاوية بن عامر حليف لهم من عبد القيس، قتله علي، ويقال: عُكَّاشَة بن مِحْصَن. ومَعْبُد بن وهب، حليف لهم من بني كلب، قتله خالد وإياس ابنا البَكِير، ويقال: أبو دُجانة.

فجميع من انضبط لنا بالأسماء ممن قُتل من المشركين يوم بدر ثمانية وستون على الشك في السائب بن أبي السائب، والذي ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين في يوم بدر أربعين ومائة؛ سبعين أسيراً، وسبعين قتيلاً.

ذكر تسمية من أسير من المشركين في غزوة بدر

كانت عِدَّة من أسير من المشركين في يوم بدر سبعين رجلاً على ما ورد في الصحيح ودلت عليه الآية في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْبِيَّةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] يعني يوم أحد، وكان قد قُتل من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، والذي انضبط لنا بالأسماء من أسرى بدر ستة وستون رجلاً.

من بني عبد المطلب بن هاشم أربعة نفر، وهم: العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أسره أبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عُبَاد بن عمرو الخزرجي، وكان رجلاً قصيراً، والعباس رجلاً طويلاً ضخماً، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وعَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، أسره عُيَيْد بن أوس بن مالك الأوسي، ونُوفَل بن الحارث بن عبد المطلب، وعُتْبَة، حليف لهم من بني فِهْر، قال: وكان العباس وعَقِيل خرجا مُكْرَهَيْن.

ومن بني عبد المطلب بن عبد مناف خمسة نفر، وهم: السائب بن عُيَيْد بن عبد

يزيد بن هاشم بن المطلب، ونُعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب، وعَقِيل بن عمرو حليف لهم، وأخوه تميم بن عمرو، وابنه عمرو بن تميم.

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر، وهم: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، والحارث بن أبي وَجْرة - ويقال: وَخْرة بن أبي عمرو - بن أمية، وأبو العاص بن نُوْفَل بن عبد شمس، وأبو العاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس، وخالد بن أُسَيْد بن أبي العيص. ومن حلفائهم: أبو ريشة بن أبي عمرو، وعمرو بن الأزرق، وعُقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي، وأبو العريض يَسَار، مولى العاص بن أمية.

ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر، وهم: عِدِيّ بن الخيار بن نوفل وعثمان بن عبد شمس حليف لهم من بني مازن بن منصور، وأبو ثُور، حليف لهم ونَبْهان، مولى لهم.

ومن بني عبد الدار بن قصي ثلاثة نفر، وهم: أبو عزيز بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، والأسود بن عامر حليف لهم، وعَقِيل، حليف لهم من اليمن.

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي أربعة نفر، وهم: السائب بن أبي حُبَيْش بن المطلب بن أسد، والحُوَيْرث بن عباد بن عثمان بن أسد. قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد، وعبد الله بن حُمَيْد بن زُهَيْر بن الحارث، وسالم بن شَمَاح، حليف لهم.

ومن بني تيم بن مُرّة رجلان وهما: مُسافِع بن عياض بن صَخْر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم.

ومن بني مخزوم بن يَقْظَة بن مرة عشرة نفر، وهم: خالد بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسره سواد بن غَزِيّة، وأمّية بن أبي حُدَيْفَة بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة، وصَيْفِيّ بن أبي رفاعَة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأبو المنذر بن أبي رفاعَة بن عابد، وأبو عطاء عبد الله بن السائب بن عابد، وقَيْس بن السائب، والمطلب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبيد بن عمر بن مخزوم، وخالد بن الأعلم، حليف لهم من خُرَاعَة، ويقال: عَقِيلِيّ. وزعموا أنه أول من فرّ منهزماً، وهو الذي يقول: [من الطويل]

ولسنا على الأدبار تَدْمَى كُلُّومُنَا ولكن على أعقابنا تقطر الدما^(١)

ومن بني سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب خمسة نفر، وهم: أبو وداعة ابن صُبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم، وهو أول أسير افتُدي من أسرى بدر، افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة، وفزوة بن قيس بن عدي بن حُذافة بن سُعيد بن سهم، وحَنْظَلَة بن قبيصة بن حُذافة بن سُعيد بن سهم، والحجّاج^(١) بن الحارث بن قيس بن عدي بن سُعيد^(٢) بن سهم، وأسلم، مولى نُبَيْه بن الحجّاج.

ومن بني جمح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب أحد عشر نفرًا وهم: عبد الله بن أبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح وأخوه عمرو بن أبي، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن حُذافة بن جمح، والفاكه، مولى أمية بن خلف ووهب بن عُمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جمح، وربيعه بن دَرّاج بن العنيس بن أهبان بن وهب بن حُذافة بن جمح، وأبو رُهم بن عبد الله حليف لهم، ومؤليان لأمية بن خلف، أحدهما: نِسْطاس، وأبو رافع غلام أمية بن خلف. قال ابن هشام: وحليف لهم ذهب عني اسمه.

ومن بني عامر بن لُؤي خمسة نفر، وهم: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نَضْر بن مالك بن حِثْل بن عامر، أسره مالك بن الدُخْشُم أخو بني سالم بن عوف، وعبد بن زَمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وعبد الرحمن بن مَشْنُو بن وَقْدان بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود، وحبيب بن جابر، والسائب بن مالك.

ومن بني الحارث بن فُهر أربعة نفر، وهم: الطُفيل بن أبي قُنَيْع، وعُتْبة بن عمرو بن جَحْدَم، وشافع وشفيع، حليفان لهم من اليمن.

= فَلَسنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدَمَّى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ

وهو للخصين بن الحمام المزي من قصيدة له أولها:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ

يقول: نحن لا نولي فنخرج في ظهورنا فتقطر دماؤنا على أعقابنا؛ ولكن نستقبل السيوف بوجوهنا؛ فإن أصابتنا جراح قطرت دماؤنا على أقدامنا. انظر لسان العرب (مادة دمي)، والحماسة للتبريزي ص ٩٣، والشعر والشعراء ص ٦٣٠.

(١) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٠٧ «وأحسب ذكر الحجّاج في هذا الموضع وهماً، فإنه من مهاجرة الحبشة، وقدم المدينة بعد أحد، فكيف يعد في أسرى المشركين يوم بدر».

(٢) لم يوافق الواقدي ولا غيره ابن إسحاق على قوله: «سعيد بن سهم». وقالوا إنما هو سعد.

ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن من عليه رسول الله ﷺ (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك

قال: لما قفل رسول الله ﷺ من غزاة بدر ومعه الأسارى سمع العباس^(١) وهو يشن ويتأوه، قد ألمه الوثاق، فقلق رسول الله ﷺ تلك الليلة لذلك، فاستأذنه أصحابه رضي الله عنهم، في أن ينقسوا عن العباس وثاقه، فقال ﷺ: «إن فعلتم ذلك بجميع الأسرى فنعم وإلا فلا»، أو كما قال: فنقسوا عن جميع الأسرى.

ولما قدم رسول الله ﷺ وفرق الأسارى بين أصحابه وقال: «استوصوا بهم خيراً». ثم جاءه جبريل عليه السلام في أمر الأسارى فقال: إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء، واستشهد قابلاً منكم سبعون. قال: فنادى رسول الله ﷺ في أصحابه، فجاءوا - أو من جاء منهم - فقال: «هذا جبريل يخيركم بين أن تقدّموهم فتقتلوهم، وبين أن تفادوهم ويستشهد قابلاً منكم بعدتهم». فقالوا: بل نفاديهم ويدخل قابلاً منا الجنة سبعون. ففادوهم. رواه محمد بن سعد.

وروى ابن قتيبة^(٢) عن ابن إسحاق^(٣) أن رسول الله ﷺ قال للعباس: «أفد نفسك وابني أخونك: عقيل بن أبي طالب^(٤)، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب^(٥)،

(١) العباس بن عبد المطلب: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل (٥١ ق هـ ٣٢ هـ = ٥٧٣ - ٦٥٣ م) من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام وجدّ الخلفاء العباسيين. عم الرسول ﷺ كان شديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه. هاجر إلى المدينة وشهد وقعة «حنين». وشهد فتح مكة، وعمي في آخر عمره. كانت وفاته في المدينة. (الأعلام: ٣: ٢٦٢).

(٢) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م) من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد، وسكن الكوفة. وتوفي ببغداد من كتبه: «أدب الكاتب» و«المعارف» و«عيون الأخبار». انظر (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) ابن إسحاق: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب من أهل المدينة، له السيرة النبوية، هذبها ابن هشام توفي سنة ٦٥١ هـ. (الأعلام: ٦: ٢٨).

(٤) عقيل بن أبي طالب: عقيل بن عبد مناف (أبي طالب) بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، وكنيته أبو يزيد (٦٠ هـ = ٦٨٠ م). أعلم قريش بأيامها ومآثرها ومثالبها وأنسابها، صحابي، فصيح اللسان. أخو «علي» و«جعفر»، لأبيهما؛ برز اسمه في الجاهلية. بقي على الشرك إلى أن كانت وقعة بدر. أسره المسلمون ففداه العباس بن عبد المطلب، فرجع إلى مكة، ثم أسلم بعد الحديبية. عمي في آخر أيامه، وتوفي في أول أيام يزيد، وقيل: في خلافة معاوية. (الأعلام: ٤: ٢٤٢).

(٥) نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، الهاشمي، القرشي: صحابي (١٥ هـ = ٦٣٦ م) =

وحليفك، فإنك ذو مال». فقال: يا رسول الله، إني كنت مسلماً ولكن القوم استكروني، فقال رسول الله ﷺ: «الله أعلم بإسلامك إن يكن ما تقول حقاً فالله يجزيك به، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا». قال: فإنه ليس لي مال، قال: «فأين المال الذي وضعته عند أم الفضل بمكة حين خرجت وليس معكما أحد؟ ثم قلت: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا، ولعبد الله كذا». قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله، ففدى نفسه بمائة أوقية، وكل واحد بأربعين أوقية، وقال: «تركتني أسأل الناس في كفي». قال: «وأسلم العباس، وأمر عقيلاً فأسلم».

وروى محمد بن سعد^(١) قال: لما أسر نوفل بن الحارث ببدر قال له رسول الله ﷺ: «أفدى نفسك». قال: ما لي شيء أفندي به. قال: «أفدى نفسك برماحك التي بجدة». فقال: والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحاً غيري بعد الله، أشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها، وكانت ألف رمح، وقيل: كان إسلام نوفل وهجرته أيام الخندق.

قال ابن إسحاق: وكانت قريش حين ورد عليهم الخبر بمصرع أصحاب بدر ناخوا على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا^(٢) بهم لا يارب^(٣) عليكم محمد وأصحابه الفداء. فقال المطلب بن أبي وداعة: صدقتم، لا تعجلوا؛ وانسل من الليل فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، وانطلق به.

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فكان أعلى ما فدي به أسير أربعة آلاف درهم فما دونها إلى ألف درهم.

وقال محمد بن سعد في طبقاته: كان فداء أسارى يوم بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك، فمن لم يجد عنده شيئاً أعطي عشرة من غلمان المدينة فعلمهم الكتابة، فإذا

= كان من أغنياء قريش. أخرجه قومه يوم «بدر» لقتال المسلمين، وهو كاره فأسر، ثم أسلم. رجع إلى مكة، ثم هاجر إلى رسول الله ﷺ أيام الخندق، وشهد فتح مكة، حضر حنيناً والطائف... عاش إلى خلافة عمر بن الخطاب (الأعلام: ٨: ٥٤).

(١) محمد بن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (١٦٨ - ٢٣٠ هـ = ٧٨٤ - ٨٤٥ م). مولا لهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. أشهر كتبه: «طبقات الصحابة - ط» اثنا عشر جزءاً، يعرف بطبقات ابن سعد. (الأعلام: ٦: ١٣٦).

(٢) تستأنوا بهم: تنتظروا بهم، أي تأخروا فداءهم.

(٣) لا يارب: لا يشتد.

حَذَقُوا فَهُوَ فِدَاؤُهُ. وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، قال: فكان زيد بن ثابت ممن عُلِّمَ.

ذكرُ خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه

قال محمد بن إسحاق: وكان عمرو بن أبي سفيان في الأسارى، فقبل لأبي سفيان: افدِ ابنك عمراً؛ فقال: أُجْمَع عليّ دمي ومالي! قتلوا حَنْظَلَةَ، وأفدي عمراً! دَعُوهُ في أيديهم يُمَسْكُوهُ ما بدا لهم. فلم يزل كذلك حتى قدم سعد بن النعمان بن أكَال، أخو بني عمرو بن عوف معتمراً، وكان شيخاً مسلماً، في عَنَمٍ له بالبقيع^(١)، وقد كانت قريش عهدوا أنهم لا يعرضون لحاج أو معتمر إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بمكة فحبسه بابنه عمرو، ثم قال أبو سفيان: [من الطويل]

أَرْهَطَ ابْنِ أَكَالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَفَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(٢)

فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لَنَاءَمَ أَذْلَةً إِذَا لَمْ يَفْكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَا^(٣)

قال: فمشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفتكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله ﷺ، فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلّى سبيل سعد بن النعمان.

ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه وإرساله زينب بنت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك، ورد زينب عليه بغير نكاح جديد

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب. أسره خراش بن الصمة، أحد بني حرام.

وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد أخت خديجة، فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب، فزوجه بها، وذلك قبل أن ينزل الوحي على رسول الله ﷺ، فكان معها وهو على شركه وهي مسلمة.

(١) البقيع: مكان مقبرة أهل المدينة.

(٢) تفاقدم: يدعو عليهم بأن يفقد بعضهم بعضاً.

(٣) الكبل: القيد.

فلما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها^(١) بها على أبي العاص، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رقَّة شديدة وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردّوا عليها مالها فافعلوا». قالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه وردّوا عليها الذي بعث به، وأخذ رسول الله ﷺ عليه أن يخلي سبيل زينب، ولم يُظهر ذلك، ثم بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: «كونا ببطن ياجج^(٢) حتى تمرّ بكما زينب، فتصحبها حتى تأتياني بها». فخرجا وذلك بعد بدر بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها بالحق بأبيها، فتجهّزت لذلك، وقدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته، وأخذ قوسه وكنانته، ثم خرج بها نهراً يقود بها، وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال قريش، فخرجوا في طلبها، حتى أدركوها بذي طوى^(٣)، فكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى الفهري، فروّعها بالرمح وهي في هودجها، وكانت حاملاً فطرحته، فنثر حموها كنانته ثم قال: والله ليدنو مني رجل إلا وضعت فيه سهماً، فتكرّر^(٤) الناس عنه، ثم جاء أبو سفيان بن حرب في جلة من قريش فقال: أيها الرجل، كُفّ عنا نبلك حتى نكلمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه فقال: إنك لم تُصِب، خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا خرجت له بينته علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا أن ذلك على ذلّ أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وأن ذلك منا ضعف ووَهْن، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة، وما لنا في ذلك من ثُورة^(٥)، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد ردّناها فسَلّها سراً وألحِقْها بأبيها. قال: ففعل.

فأقامت ليالي حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدمها بها على رسول الله ﷺ، فأقامت عنده بالمدينة وفرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام - وكان رجلاً مأموناً - بمال له وأموال رجال من قريش، فلما فرغ من تجارته وأقبل قافلاً لقينته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه وأعجزهم هارباً، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله

(١) أدخلتها بها: منحها إياها ليلة زفافها.

(٢) ياجج: موضع على ثمانية أميال من مكة.

(٣) ذو طوى: وادٍ عند مكة.

(٤) تكرّر: رجع.

(٥) الثورة: الثأر.

أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلما خرج رسول الله ﷺ لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس معه خرجت زينب من صفّة النساء وقالت: أيها الناس، إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع. فلما سلّم رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» فقالوا: نعم، قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجيرُ على المسلمين أديانهم»، ثم انصرف رسول الله ﷺ ودخل على ابنته وقال: «أي بُنَيَّة، أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك فإنك لا تُجَلِّين له».

قال: وبعث رسول الله ﷺ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: «إن هذا الرجل متا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردّوا عليه الذي له فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيّ الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به». قالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إنّ الرجل ليأتي بالدلو، ويأتي الرجل بالشنّة^(١) والإداوة^(٢)، حتى إنّ أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٣)، حتى ردّوا عليه ماله بأسره لم يفقد منه شيئاً، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً؛ قال: فإنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن يظنّوا أنني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أذاها الله إليكم وفرغتم منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله ﷺ، فردّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح^(٤) الأول، ولم يحدث شيئاً.

نرجع إلى تتمة أخبار أسارى بدر:

- (١) الشنة: السقاء البالي.
- (٢) الإداوة: إناء صغير من جلد.
- (٣) الشظاظ: خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالقين، والجمع: أشظّة.
- (٤) قال في الروض الأنف: ٢: ٨٣: «وذكر عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ ردّ زينب على أبي العاص على النكاح الأول، لم يحدث شيئاً بعد سنين. ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ ردها عليه بنكاح جديد. وهذا الحديث هو الذي عليه العمل. وإن كان حديث داود بن الحصين أصح إسناداً عند أهل الحديث. لأن الإسلام كان قد فرق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَكُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لهنَّ﴾ ومن جمع بين الحديثين قال في حديث ابن عباس: معنى ردها عليه على النكاح الأول أي على مثل النكاح الأول في الصداق والحباء، لم يحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره».

ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة

قد تقدّم أنه كان ممن أسير يوم بدر، وكان الذي أسره عبد الله بن جحش ويقال: أسره سليط بن قيس المازني الأنصاري، فقدم في فدائه أخواه: خالد وهشام، فتمنّع عبد الله بن جحش حتى افتكاه بأربعة آلاف درهم. فجعل خالد يريد ألا يبلغ ذلك، فقال هشام لخالد: إنه ليس بابن أمك، والله لو أبى فيه إلا كذا وكذا لفعلت. ويقال: إن النبي ﷺ قال لعبد الله بن جحش: لا تقبل في فدائه إلا شكة أبيه الوليد - وكانت درعاً فضفاضة وسيفاً وبئضة - فأبى ذلك خالد وأطاع هشام لأنه أخوه لأبويه، فأقيمت الشكة بمائة دينار، فطاعا بها وسلماها إلى عبد الله، فلما افتدي أسلم، ف قيل له: هلاً أسلمت قبل أن تفتدي وأنت مع المسلمين؟ قال: كرهت أن تظنوا أنني جزعت من الإِسار فحبسوه بمكة، فكان رسول الله ﷺ يدعو له فيمن دعا له من مستضعفي المؤمنين، ثم أفلت ولحق برسول الله ﷺ وشهد عمرة القضيّة^(١). حكاه ابن عبد البر^(٢).

ذكر من من عليه رسول الله ﷺ من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء

قال ابن إسحاق: وكان ممن من عليه رسول الله ﷺ بغير فداء: أبو العاص بن الربيع هذا الذي تقدم خبره. والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد المخزومي، وكان لبعض بني الحارث بن الخزرج، فترك في أيديهم حتى خلّوا سبيله، فلحق بقومه، وصيقي بن أبي رفاعة المخزومي، ترك في يد أصحابه فلم يأت أحد في فدائه، فأخذوا عليه العهد ليعثن إليهم بفدائه وخلّوا سبيله، فلم يف لهم بشيء، وأبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان بن وهب بن خذافة بن جُمَح^(٣) كان محتاجاً ذا بنات فقال:

(١) عمرة القضيّة: هي عمرة القضاء، ويقال لها عمرة القصاص؛ سميت بذلك لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها. (انظر الروض الأنف: ٢: ٢٥٤).

(٢) ابن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي المالكي، أبو عمر: (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ - ١٠٧١ م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب بحاثه يقال له: حافظ المغرب. ولد بقرطبة وتوفي بشاطبة. من كتبه: «الدرر في اختصار المغازي والسير»، و«الاستيعاب» مجلدان. (الأعلام: ٨: ٢٤٠).

(٣) عمرو بن عبد الله الجمحي: عمرو بن عبد الله بن عثمان الجمحي، (.... - ٣ هـ = - ٦٢٥ م). شاعر جاهلي، من أهل مكة، أدرك الإسلام وأصر على الشرك يوم بدر، فأتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله لقد علمت ما لي من مال، وإني لذو حاجة وعيال، فامنن علي، ولك أن لا أظاهر عليك أحداً. فامتّن عليه، فنظم قصيدة يمدحه بها، منها البيت المشهور:

فلأنك من حاربتك لمحارب شقي، ومن سالمته لسعيد

ثم خرج وسار في بني كنانة، واشترك مع عمرو بن العاص (قبل إسلامه) في استنفار القبائل، ونظم =

يا رسول الله، لقد عرفت ما لي من مال، وإنني لذو حاجة وذو عيال، فامئن علي، فمن عليه وأخذ عليه ألا يظهر عليه أحداً؛ فقال أبو عزة في ذلك: [من الطويل]

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الرِّسُولَ مُحَمَّدًا فَإِنَّكَ حَقٌّ وَالْمَلِيكَ حَمِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ تَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ الْعَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرٌ بُوِّثَتْ فِيْنَا مَبَاءَةٌ لَهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وَصُعُودُ^(١)
فَإِنَّكَ مَنْ حَارِبَتْهُ لِمَحَارَبِ شَقِيٌّ وَمَنْ سَالَمَتْهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إِذَا ذُكِّرْتُ بِدِرًا وَأَهْلَهُ تَأُوبُ مَا بِي حَسْرَةً وَقُعُودُ^(٢)
ومنهم وهب بن عمير الجمحي، ولإطلاقه سبب نذكره.

ذكرُ خبرِ عُمير بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير

قال ابن إسحاق في سبب إطلاق وهب بن عمير: إن أباه عمير بن وهب بن خلف بن خذافة بن جُمح بن عمرو بن هُصيص بن كعب جلس مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر بيسير - قال: وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، ممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة - فذكر أصحاب القليب^(٣) ومصابهم. فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، فقال عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين علي ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة^(٤) بعدي، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة؛ ابني أسير في أيديهم. فاغتنمها صفوان فقال: علي دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنهم، قال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه فشحذ^(٥) له، ثم سَمَّ، ثم انطلق حتى قَدِمَ المدينة، فبينما

= شعراً يحرض به على قتال المسلمين. ثم أسره المسلمون. فقال: يا رسول الله من علي فقال النبي ﷺ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. وأمر به عاصم بن ثابت، فضرب عنقه. (الأعلام: ٥: ٨٠).

(١) بوِّثت فينا مباءة: نزلت فينا منزلة.

(٢) تأوب: رجع.

(٣) القليب: البئر القديمة التي لا يعلم لها حافر.

(٤) الضيعة: الهلاك.

(٥) شحذ السيف: سنه.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، إذ نظر إلى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال عمر: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهذا الذي حرش^(١) بيننا وحزرننا^(٢) للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً بسيفه، قال: فأدخله عليّ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه^(٣) بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير، فدنا ثم قال: انعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة؛ قال: أما والله إن كنت يا محمد بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عمير؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه؛ قال: فما بال سيف في عنقك؟ قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت شيئاً! قال: اصدّقني، ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك؛ قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت: لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك. قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله تكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم. قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية يقول لقريش: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تُسييكم وقعة بدر، وكان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه، فحلف ألا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع.

(١) حرش: أفسد.

(٢) الحزر: تقدير العدد تخميناً.

(٣) لبيه: حزمه.

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي مَنْ خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب أو الحارث بن هشام، قد ذكر أن أحدهما الذي رأى إبليس حين نكص^(١) على عقبيه يوم بدر، كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨] وكان إبليس قد تشبه لقريش بسُرَاقَة بن مالك بن جُعْشُم وقال: أنا جارٌّ لكم من بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة، كما قدّمنا ذكر ذلك، قال: وكانوا يَرُونَهُ في كل منزل في صورة سُرَاقَة لا يُنْكِرُونَهُ. فلما التقى الجمعان يوم بدر ورأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال لهم ما قال.

وقد أخذت هذه الغزوة حقّها من البسْط والإطالة وإن كان ذلك على سبيل الاختصار، فلنذكر غيرها من الغزوات والسرايا. والله المستعان.

ذكر سرية عمير بن عدي بن خرشة الخطمي إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد^(٢)

قال محمد بن سعد: كانت سرية عمير لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، قال: وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي ﷺ وتحرض عليه، وتقول الشعر، فجاءها عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ثرضعه في صدرها، فجسّها بيده - وكان ضريب البصر - ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم صلى الصبح مع النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: قتلت بنت مروان؟ قال: نعم، فهل عليّ في ذلك شيء؟ قال: لا ينتطح فيها عنزان^(٣).

(١) نكص: رجع عما كان عليه، أحجم.

(٢) عمير بن عدي: عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة. ذكره ابن السكن في الصحابة. كان أول من أسلم من بني خطمة وهو الذي قتل عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، كانت تعيب الإسلام وأهله فقتلها عمير بن عدي ومن يومئذ عز الإسلام وأهله بالمدينة. ولما قتلها عمير قال النبي ﷺ: «لا ينتطح فيها عنزان»، فكان أول من قالها فصار بها المثل. وكان ذلك لخمس بقين من رمضان من السنة الثانية. (الإصابة ٣: ٣٣ رقم الترجمة ٦٠٤٣) نسبتها إلى بني أمية بن زيد الأنصاري؛ قيل لأنها حليفهم أو لكون زوجها منهم. انظر الزرقاني: ١: ٥٤٦.

(٣) هذا مثل مشهور، أراد أن هذا الفعل لا يكون له تغيير، ولا له نكير، أي لا يختلف فيه اثنان. انظر مجمع الأمثال: ٢: ١٤٨.

قال محمد بن إسحاق: فرجع عمير بن عديّ إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثيرٌ موجههم^(١) في شأن ابنة مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فقال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون^(٢). قال: فذلك اليوم أول ما عزّ الإسلام في دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفي بإسلامه، وعمير هو أول من أسلم من بني خطمة. قال: وأسلم يوم قتلها رجال من بني خطمة لما رأوا من عزّ الإسلام.

ذكر سرية سالم بن عمير العمرى إلى أبي عَفْك اليهودي

قال ابن سعد: كانت سرية سالم في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وكان أبو عَفْك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يحرض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير - وهو أحد البكائين^(٣) وقد شهد بدرًا -: عليّ نذرٌ أن أقتل أبا عَفْك أو أموت دونه؛ فجاء وقد نام أبو عَفْك بالفناء في ليلة صائفة، فوضع السيف على كبده، ثم اعتمد عليه حتى حشّ في الفراش، فصاح عدو الله، فثار إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه.

ذكر غزوة بني قَيْنُقَاع (وهي بضم النوم وقيل بكسرهما)

غزاها رسول الله ﷺ في يوم السبت النصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مهاجره.

قال ابن سعد: وكانوا حلفاء عبد الله بن أبيّ ابن سلول، وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغّة، فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَأِمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق في سبب غزوة بني قَيْنُقَاع: إن رسول الله ﷺ جمّعهم بسوق بني قَيْنُقَاع^(٤) ثم قال: يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش

(١) موجههم: اضطرابهم وتحيرهم.

(٢) تنظرون: تؤخرون.

(٣) البكائن: سبعة نفر أتوا رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً. فسموا البكائين. راجع القرطبي: ٨: ٢٢٨.

(٤) بنو قَيْنُقَاع: اسم لشعب من اليهود الذي كانوا بالمدينة أضيفت إليهم سوق كانت بها، فيقال: سوق بني قَيْنُقَاع.

من التَّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مَّرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ؛ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغْرُنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَنَحْنُ حَارِبُنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلَابُكُمْ وَتُخْشَرُوكُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ ۝١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأًى أَلْعَيْنَ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّكَ فِي ذَلِكَ لَوَ خِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾ [آل عمران: ١٢-١٣].

حكاه ابن إسحاق بسندٍ يرفعه إلى ابن عباس.

وقال ابن هشام في سبب هذه الغزاة: إِنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ حَلَّتْ بِجَلَبٍ^(١) لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يَرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمَدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْءُهَا، فَضَحِكُوا مِنْهَا، فَصَاحَتْ، فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتِ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَأَغْضَبَهُمْ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنَقَاعَ.

عُدْنَا إِلَى مَسَاقِ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ؛ قَالَ: فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، وَحَمَلَ لَوَاءَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ أَبْيَضُ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَنْدَرِ، ثُمَّ سَارَ إِلَيْهِمْ فَحَاصَرَهُمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى هِلَالِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ غَدَرَ مِنَ الْيَهُودِ، وَحَارَبُوا وَتَحَصَّنُوا فِي حِصْنِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ، حَتَّى قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْوَالَهُمْ، وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذَّرِّيَّةَ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَكُتِفُوا، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى كِتَابَتِهِمُ الْمَنْدَرُ بْنُ قُدَامَةَ السَّلْمِيِّ. فَكَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَلَحَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: خُذْهُمْ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ؛ وَتَرَكَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ، وَأَمَرَ بِهِمْ أَنْ يُجْلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مِنْهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ^(٢)، فَمَا كَانَ أَقْلَ بَقَاءِهِمْ فِيهَا.

وقال ابن إسحاق في خبر عبد الله ابن أبي بن سلول: إِنَّهُ قَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَكَنَهُ اللَّهُ مِنْ بَنِي قَيْنَقَاعَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيٍّ. وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَحْسِنْ فِي مَوَالِيٍّ. قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنْهُ. قَالَ: فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ دِرْعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرْسَلْنِي، وَغَضِبَ حَتَّى ظَهَرَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! أَرْسَلْنِي، قَالَ: لَا وَاللَّهِ

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع.

(٢) أذرعات: بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء.

لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمئة حاسر^(١) وثلاثمئة دارع^(٢)، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدتهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال رسول الله ﷺ: هم لك.

وحكي أيضاً قال: كان لبني قينقاع من عبادة بن الصامت من الحلف مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فمشى عبادة إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم. فأنزل الله تعالى فيه وفي عبد الله بن أبي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ٥١﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا وَإِيَّاكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ٥٥﴾ [المائدة: ٥٥] وذلك لعبادة بن الصامت.

قال محمد بن سعد: وأخذ رسول الله ﷺ من سلاحهم ثلاث قسي: الكتوم، كسرت بأحد، والرؤحاء، والبيضاء، وأخذ درعين: الصغدية، وأخرى فضة؛ وأخذ ثلاثة أسياف: سيف قلعي^(٣)، وسيف يقال له: بئار، وسيف آخر؛ وثلاثة أرماع، ووجد في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة، فأخذ ﷺ صفيه^(٤) والخمس، وفض^(٥) أربعة أخماس على أصحابه، وكان الذي تولى قبض أموالهم محمد بن مسلمة.

ذكر غزوة السويق

قال محمد بن سعد: خرج رسول الله ﷺ من المدينة لخمسة خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من مهاجره، واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر، وذلك أن أبا سفيان بن حرب لما رجع المشركون من بدر إلى مكة حرم الدهن حتى يثار من محمد وأصحابه.

قال ابن إسحاق: نذر ألا يمس رأسه ماء من جنابة^(٦) حتى يغزو محمداً ﷺ.

- (١) الحاسر: الذي لا درع له.
- (٢) الدارع: الذي عليه الدرع.
- (٣) سيف قلعي: منسوب إلى القلعة، وهي موضع بالبادية تنسب السيوف إليه.
- (٤) الصفّي: ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.
- (٥) يقال: فض الشيء على القوم أي قسمه وفرقه بينهم.
- (٦) قال السهيلي في الروض الأنف: «إن الغسل من الجنابة كان معمولاً به في الجاهلية بقية من دين إبراهيم وإسماعيل، كما بقي معهم الحج والنكاح».

قال ابن سعد: فخرج في مائتي راكب، وقيل: في أربعين راكباً، فمَرَّ بِالْعُرَيْضِ^(١)، - بينه وبين المدينة نحو من ثلاثة أميال - فقتل رجلاً من الأنصار، وأجيراً له، وحرَّقَ أبياتاً هناك وتَبَنَّا، ورأى أن يمينه قد حُلَّتْ، ثم ولَّى هارباً، وبلغ ذلك النبي ﷺ، فخرج في مائتي رجل من المهاجرين والأنصار في أثرهم، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفّفون للهرب فيلقون جُرب السويق^(٢) وهي عامّة أزوادهم، فأخذها المسلمون، فسُمِّيت غزوة السويق، ولم يلحقهم وانصرف. وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام.

قال محمد بن إسحاق: بلغ قَزْرَةَ الْكُذَرِ^(٣) ثم انصرف راجعاً، فقال المسلمون حين رجع بهم: يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم.

ذكر غزوة قَزْرَةَ الْكُذَرِ ويقال قَرَارَةُ الْكُذَرِ وهي غزوة بني سُليَم

غزاها رسول الله ﷺ لِلنَّصَفِ مِنَ الْمَحْرَمِ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ شَهْراً مِنْ مَهَاجِرِهِ، وهي ناحية معدن بني سليم، وبينه وبين المدينة ثمانية بُرْدٍ، واستخلف على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم، وحمل لواءه عليّ بن أبي طالب، وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أن بهذا الموضع جمعاً من بني سُليَم وغطفان، فسار إليهم فلم يجد في المحالّ أحداً، ووجد رعاء^(٤) منهم غلام يقال له: يسار، فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر بالنعم فانحدر به إلى المدينة، فاقسموا غنائمهم بصِرَارٍ، على ثلاثة أميال من المدينة، وكانت النعم خمسمائة بعير، فأخرج خَمْسَةَ وَقَسَمَ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فأصاب كلّ رجل منهم بعيران، وصار يسار في سهم النبي ﷺ، فأعتقه حين رآه يصلي. وكانت غيبة رسول الله ﷺ عن المدينة خمس عشرة ليلة.

ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهودي وخبر سريته

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق وأبو عبد الملك بن هشام ومحمد بن سعد - دخل حديث بعضهم في حديث بعض -: كانت سريّة قتل كعب بن الأشرف لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجرة

(١) العُرَيْض: وادي المدينة.

(٢) السويق: قمح أو شعير، يقلّى ثم يطحن.

(٣) قَزْرَةُ الْكُذَرِ: قال الواقدي: «بناحية المعدن، بينها وبين المدينة ثمانية برد». وقال غيره: «ماء لبني سليم». راجع معجم البلدان، مادة: «كدر».

(٤) رعاء: جمع راع.

رسول الله ﷺ. وذلك أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي ﷺ وأصحابه ويحرض عليهم ويؤذيه، وكان لما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين إلى من بالمدينة من المسلمين بخبر بدر، فقال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نَبهان، وكانت أمه من بني النضير^(١) -: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان؟ فهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

فلما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ وينشد الأشعار^(٢) ويبكي أصحاب القليب من قريش.

ثم رجع إلى المدينة فشَبَّ^(٣) بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت»؛ وقال: «من لي بابن الأشرف فقد آذاني؟» فقال محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله؛ قال: «فافعل إن قدرت على^(٤) ذلك». فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُمسِك رمقه؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال له: «لِمَ تركت الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله؛ قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أو لا؟ قال: «إنما عليك الجهد» قال: يا رسول الله؛ لا بد لنا من أن نقول، قال: «قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حل من ذلك». فاجتمع على قتله محمد بن مسلمة، وأبو نائلة سِلْكان بن سلامة بن وقش - وكان أخا كعب من الرضاعة - وعباد بن بشر بن وقش، والحارث بن أوس بن مُعاذ، وأبو عبس بن جبر، أخو بني حارثة، فقدموا إليه سِلْكان بن سلامة، فجاءه فتحدث معه ساعة، وتناشدا شعراً، ثم قال أبو نائلة سِلْكان: ويحك يا بن الأشرف! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فاكتم عني؛ قال: أفعل، قال: قد كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس

(١) كعب بن الأشرف: قال صاحب الأغاني: ١٩: ١٠٦. طبع بولاق: «كعب بن الأشرف مختلف في نسبه، فرعم ابن حبيب أنه من طيء، وأمّه من بني النضير، وأن أباه توفي وهو صغير، فحملته أمّه إلى أخواله، فنشأ فيهم، وساد وكبر أمره، وقيل: بل هو من بني النضير، وكان شاعراً فارساً» الخ.
(٢) راجع هذه الأشعار في سيرة ابن هشام: ٣: ٥٥ - ٥٧ طبعة الحلبي، بمصر.
(٣) يروى أنه شب بأم الفضل لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب. راجع الطبري: ٣، ٤ ص ١٣٦٩.

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف: ٢: ١٢٣: «في هذه من الفقه وجوب قتل من سب النبي ﷺ وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله، فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا».

واحدة، وقُطِعَتْ عِنا السُّبُل حتى ضاع العيال، وجُهِدَت الأنفس، وأصبحنا قد جُهدنا وجهد عيالتنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، والله لقد كنت أخبرك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلْكَان: إنا نريد التَّنْحِي منه، ومعِي رجال من قومي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيكَ بهم، فنبْتَاع منك طعاماً وتمراً، ونرهنك ما يكون لك فيه ثِقَة ووفاء؛ فقال: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب^(١) أهل يثرب وأعطَهم؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتُ أن تفضحننا وأن يُعَيَّر أبناؤنا؛ فيقال: هذا رهينة وسق^(٢)، وهذا رهينة وسقين، ولكنا نرهنك سلاحنا وقد علمت حاجتنا إلى السلاح؛ فقال: نعم إن في الحلقة^(٣) لوفاء، وإنما أراد سِلْكَان ألا يُنكَر السلام إذا جاءوا بها، ثم رجع سِلْكَان إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه عند رسول الله ﷺ، ففعلوا.

ومشى معهم رسول الله ﷺ إلى بَقِيع^(٤) الغَرَقَد، ثم وجههم وقال: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعينهم. ورجع ﷺ إلى بيته، وتوجهوا، وكانت ليلة مقمرة، حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة، وكان ابن الأشرف حديث عهد بعرس، فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيته وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة؛ قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً ما أيقظني؛ فقالت: والله لأعرف في صوته الشر، فقال لها: لو يُدعى الفتى لطعنة لأجاب.

وفي حديث البخاري^(٥) من رواية سُفيان عن عمرو عن جابر بن عبد الله قال: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم؛ فقال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة، ورَضِيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب؛ قالوا: ونزل إليهم فتحدثوا معه ساعة، ثم قالوا: هل لك يا بن الأشرف أن نتماشى إلى شعب^(٦) العجوز فتحدث به بقية ليلتنا. فقال: إن شئتم، فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم وضع أبو نائلة يده

(١) أشب: أفضلهم شباباً.

(٢) الوسق: حمل البعير.

(٣) يريد «بالحقة»: السلاح كله، وقيل: هي الدرع خاصة.

(٤) بَقِيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٥) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، البخاري، أبو عبد الله (١٩٤ - ٢٥٦ هـ =

٨١٠ - ٨٧٠ م): حبر الإسلام، والحافظ لحديث رسول الله ﷺ. صاحب «الجامع الصحيح»

المعروف: بصحيح البخاري. ولد في بخارى، ونشأ يتيماً وقام برحلة طويلة (سنة ٢١٠) في طلب

الحديث. مات في سمرقند، وكتابه في الحديث أوثق الكتب الستة المعول عليها. (الأعلام: ٦:

٣٤).

(٦) شعب العجوز: بظاهر المدينة.

في فود رأس ابن الأشرف، ثم شَمَّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طيباً أعطَرَ قَطَ من هذا! فقال: هذا عِطْرُ أُمِّ فلان، يريد امرأته، ثم مشى قليلاً وعاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفؤد رأسه وقال: اضربوا عدو الله. فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً^(١) في سيفي حين رأيت أسيافنا لم تغن، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار، فوضعت في ثُنته^(٢) ثم تحاملت عليه حتى انتهى إلى عانته^(٣). ثم حزوا رأسه وحملوه معهم؛ وأصيب الحارث بن أوس، فجرح في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسياف أصحابه قال محمد بن مسلمة: فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة ثم على بُعَاث^(٤) حتى استندنا في حرة العريض^(٥)، وقد أبطأ علينا الحارث، ونزفه^(٦) الدم فوقنا له ساعة حتى أتانا فاحتملناه وجئنا به.

قال ابن سعد: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إلى رسول الله ﷺ فقال: «أفلحت الوجوه» قالوا: وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

قال ابن إسحاق، قال محمد بن مسلمة: وتفل رسول الله ﷺ على جرح صاحبنا فبرأ، فرجعنا إلى أهلينا، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه.

وفي مقتل كعب بن الأشرف يقول عباد بن بشر^(٧): [من الوافر]

-
- (١) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه.
 - (٢) الثنة: ما بين السرة والعانة.
 - (٣) في الأصول: «غايتة»، وهو تصحيف. انظر شرح المواهب: ٢: ١٥.
 - (٤) بُعَاث: موضع في نواحي المدينة كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية. وفي رواية أخرى: «بعاث».
 - (٥) حرة العريض: الأرض الصلبة الغليظة التي البستها حجارة سود نخرة والعريض: وادي المدينة.
 - (٦) نزفه الدم: خرج منه كثيراً حتى ضعف.
 - (٧) عباد بن بشر: عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: (٣٣ ق هـ ١٢ هـ = ٥٩١ - ٦٣٣ م) صحابي من أبطالهم أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. وكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى القبائل يصدقها (يجمع الصدقات) وجعله على مقاسم حنين، واستعمله على حرسه بتبوك. استشهد يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ٢٥٧).

صرختُ به فلم يعرض لصوتي وأوفى طالعا من رأس جذر^(١)
فعدتُ له فقال من المنادي فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهناً فخذها لشهر إن وفي أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا وما عديموا الغنى من غير فقر^(٢)
فأقبل نحونا يهوي سريعاً وقال: أما لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد^(٣) مجربة بها الكفار نفري^(٤)
فعانقه ابنُ مسملة المردى به الكفار كالليث الهزبر^(٥)
وشد بسيفه صلتا عليه فقطره أبو عنس بن جبر^(٦)
فكان الله سادسنا فأبنا بأنعم نعمة وأعز نصر^(٦)
وجاء برأسه نقر كرام هم ناهيك من صدق وبر

ذكر غزوة غطفان إلى نجد

(وهي غزوة ذي أمر^(٧)؛ ناحية النخيل، وقصة دُعْثُور بن الحارث^(٨))

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول^(٩) على رأس خمسة وعشرين شهراً من مهاجره، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب بذي أمر تجمّعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ. جمعهم رجل منهم يقال له: دُعْثُور بن الحارث من بني محارب، فندب رسول الله ﷺ الناس، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمئة وخمسين رجلاً، ومعهم أفراس،

(١) الجدر: الحائط.

(٢) معاشر: أناس. سغبوا: لم يعد عندهم ما يأكلونه.

(٣) البيض الحداد: السيوف القاطعة.

(٤) أرداه: قتله، الهزير: من أسماء الأسد.

(٥) قطره: أسال دمه.

(٦) أبنا: عدنا.

(٧) سمى ابن إسحاق هذه الغزوة «غزوة ذات الرقاع». وقال في سبب هذه التسمية: «إنما قيل لها غزوة ذات الرقاع، لأنهم رقعوا فيها راياتهم؛ ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع».

(٨) في سيرة ابن هشام: «غورث بن الحارث». وفيه روايات أخرى. راجع المواهب اللدنية: ٢: ١٧.

(٩) في طبقات ابن سعد أنها كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره.

واستخلف على المدينة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فأصابوا رجلاً منهم بذي^(١) القصّة يقال له جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم وقال: لن يلاقوك، لو سمعوا بمسيرك هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك. فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم وضمّه إلى بلال، ولم يلاق ﷺ أحداً.

قال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد البيهقي^(٢)، رحمه الله: وهربت منه الأعراب فوق ذروة من الجبال، ونزل رسول الله ﷺ ذا أمر وعسكر به فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله ﷺ لحاجته، فأصابه ذلك المطر فبلّ ثوبه، وقد جعل رسول الله ﷺ وادي ذي أمر بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجفّ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون إلى كل ما يفعل رسول الله ﷺ، فقالت الأعراب لدعثور، وكان سيدها وأشجعها: قد أمكنك محمد، وقد انفرد من أصحابه حيث إن غوث^(٣) بأصحابه لم يُغث حتى تقتله؛ فاختر سيفاً من سيوفهم صارماً، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رسول الله ﷺ بالسيف مشهوراً، فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله. ودفع جبريل في صدره فوق السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقام على رأسه، فقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لا أكثر عليك جمعاً أبداً، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه ثم قال: والله لأنت خير مني. قال رسول الله ﷺ: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه، فقالوا: أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك رأيي، ولكن نظرت إلى رجل أبيض^(٤) طويل فدفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمداً رسول الله، والله لا أكثر عليه؛ وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّشْكُوتُونَ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية. ثم أقبل رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

ذكر غزوة بني سليم ببحران^(٥)

غزاها رسول الله ﷺ لست خلون من جمادي الأولى على رأس سبعة وعشرين

- (١) ذو القصّة: موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة.
- (٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٦ م) من أئمة الحديث، ولد في خسرو جرد ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات، ونقل جثمانه إلى بلده. (الأعلام: ١: ١١٦).
- (٣) غوث: قال: واغوثاه. (٤) أراد جبريل.
- (٥) بحران: موضع بناحية الفرع. وفي الأصل: «بنجران».

شهرًا من مُهاجره - وبحران من ناحية الفرع^(١)، وبين الفرع وبين المدينة ثمانية برد - وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً من بني سليم، فخرج في ثلثمائة رجل من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وأعد^(٢) السير حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياهم، فرجع ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عشر ليال.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القردة (بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء وكسر الراء المهملة)

بعثه رسول الله ﷺ لهلال جمادي الآخرة، على رأس ثمانية وعشرين شهرًا من الهجرة، وهي أول سرية خرج زيد فيها أميراً يعترض لغير قريش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وعبد الله بن أبي ربيعة، ومعه مال كثير، وكان دليلهم فراء ابن حيان العجلي، فخرج بهم على ذات عرق^(٣)، طريق العراق.

قال ابن إسحاق: وفيها أبو سفيان بن حرب، وكان من حديثها أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين وقعة بدر فكانوا يسلكون طريق العراق، فخرج منهم تجار، وفيهم أبو سفيان بن حرب معه فضة كثيرة، وهي أعظم تجارتهم.

قال ابن سعد: فبلغ النبي ﷺ ذلك، فوجه زيد بن حارثة في مائة راكب، فاعترضوا لها، فأصابوا العير وأفلت أعيان القوم، وقدموا بالغير على رسول الله ﷺ فخمسها، فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم، وقسم ما بقي بين أهل السرية، وأسير فراء بن حيان، فأسلم، فترك من القتل.

والقردة: من أرض نجد بين الربرة والعَمْزة.

ذكر غزوة أحد

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت غزوة رسول الله ﷺ أحداً يوم السبت لسبع خلون من شوال، على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من مُهاجره ﷺ.

وقال ابن إسحاق: كانت يوم السبت للنصف من شوال.

وذلك أن قريشاً لما أُصيب من أُصيب منهم يوم بدر، ورجع من نجا منهم إلى مكة، وجدوا العير التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة، فمشت

(١) الفرع: قرية من ناحية المدينة، ويقال: هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة.

(٢) أعد: أسرع.

(٣) ذات عرق: هو منزل معروف من منازل الحاج، يحرم أهل العراق بالحج منه سمي به لأنه فيه عرقاً وهو الجبل الصغير. (اللسان: عرق).

أشرف قريش إلى أبي سفيان، فقالوا: نحن طيبو أنفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمد؛ فقال أبو سفيان: وأنا أول من أجاب إلى ذلك، وبنو عبد مناف معي؛ فباعوها فكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، فسلم إلى أهل العير رؤوس أموالهم وأخرجوا أرباحهم، وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار ديناراً.

قال ابن سعد وغيره: وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] وَبَعَثَ قَرِيشُ رُسُلَهُمْ إِلَى الْعَرَبِ يَدْعُونَهُمْ^(١) إِلَى نَصْرِهِمْ فَأَوْعَبُوا^(٢) وَأَلْبُوا^(٣).

قال ابن سعد: وكتب العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ بخبر قريش، فأخبر رسول الله ﷺ سعد بن الربيع بكتاب العباس. وأزجف^(٤) المنافقون واليهود بالمدينة، وخرجت قريش من مكة بحدها^(٥) وجدّها وأحاييشها^(٦)، ومن تابعها من كنانة وأهل تهامة، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم سبعمائة دارع، ومعهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير، وخرجوا معهم بالظعن^(٧) التماس الحفيظة^(٨)، وألا يفروا، وكان معهم خمس عشرة امرأة، فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس - معهم هند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة، وخرج صفوان بن أمية بيرة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية، وهي أم عبد الله بن صفوان، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج، وهي أم عبد الله بن عمرو، وخرج طلحة بن أبي طلحة - عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - بسلافة بنت سعد بن شهيد^(٩) الأنصارية، وخرجت حنّاس بنت مالك بن المضرب^(١٠) مع ابنها أبي

(١) في الأصول: «يدعوهم».

(٢) أوعبوا: خرجوا كلهم إلى الغزو.

(٣) ألبوا: أتوا من كل جانب.

(٤) أزجف القوم: اختلقوا أخباراً كاذبة يكون معها اضطراب في الناس.

(٥) بحدها وجدّها: بغضبها وعظمتها.

(٦) أحاييش قريش: قوم من بني المصطلق والهون بن خزيمة، اجتمعوا وحالفوا قريشاً عند حبشي، وهو جبل بأسفل مكة، فسموا به.

(٧) الظعن: جمع ظعينة، وهي المرأة ما دامت في الهودج.

(٨) الحفيظة: الحمية والغضب.

(٩) كذا في السيرة، والطبري في «الأصول»: «سهيل». وفي رواية الطبري: «شهيد».

(١٠) ما ذكر رواية السيرة والطبري. وفي الأصول: «النضر».

عزير بن عمير، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة.

قال محمد بن إسحاق: ودعا جبير بن مطعم غلاماً له حبشياً، يقال له: وحشي، يقذف بحربة له قذف الحبشة، قلماً يُخطىء بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعتي طعيمة بن عدي فأنت عتيق.

فكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشي أو مر بها، قالت: ونها^(١) دُسمة؛ أشف واستشف، وكان وحشي يكنى بأبي دسمة.

قال ابن سعد: وشاع خبرهم ومسيرهم في الناس حتى نزلوا ذا الحليفة، فبعث رسول الله ﷺ أنساً ومؤنساً ابني فضالة، ليلة الخميس لخمس مضي من شوال عشرين له، فأتيا رسول الله ﷺ بخبرهم، وأنهم قد خلوا إبلهم وخيلهم في الزرع الذي بالعريض^(٢) حتى تركوه ليس به خضراء، ثم بعث الحباب بن المنذر بن الجموح فدخل فيهم فحزّهم^(٣)، وجاءه بعلمهم، ويات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة في عدة ليلة الجمعة، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ، وخرست المدينة حتى أصبحوا، ورأى رسول الله ﷺ تلك الليلة كأنه في درع حصينة، وكأن سيفه ذا الفقار قد انقصم من عند ظبته^(٤)، وكان بقراً تذبج، وكأنه مُردف كبشاً فأخبر بها أصحابه وأولها^(٥)، فقال: أما الدرع الحصينة فالمدينة، وأما انقصام سيفي فمصبية في نفسي، وأما البقر التي تذبج فقتل في أصحابي، وأما مُردف كبشاً، فكبش الكتيبة يقتله الله إن شاء الله: فكان رأي رسول الله ﷺ ألا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، فأحب أن يوافق على رأيه، فاستشار أصحابه في الخروج. فأشار عبد الله بن أبي بن سلول ألا يخرج، وكان ذلك رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: امكثوا في المدينة، واجعلوا النساء والذراري في الآطام^(٦). فقام فتیان أحداث لم يشهدوا بدرأ، فطلبوا من رسول الله ﷺ الخروج إلى عدوهم ورغبوا في الشهادة، وقالوا: اخرج بنا إلى عدونا لا يرون أننا قد جبنا عنهم وضعفنا. فغلبوا على الأمر، فصلى رسول الله ﷺ الجمعة بالناس، ووعظهم وأمرهم بالجدّ والجهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، وفرح الناس بالشخص،

(١) وبها: كلمة معناها الإغراء والتضيض. والدسمة: السواد.

(٢) العريض: وادٍ بالمدينة.

(٣) الحزر: العد بالظن والتخمين.

(٤) ظبطه: طرفه.

(٥) أولها: فسرّها.

(٦) الآطام: الحصون المبنية بالحجارة، والبيوت المربعة المسطحة.

ثم صلى بالناس العصر، وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي^(١)، ثم دخل رسول الله ﷺ بيته ومعه أبو بكر وعمر، فعمّماه وألبّساه^(٢)، وصف^(٣) الناس له ينتظرون خروجه، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيّد بن خُضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء، فرّدوا الأمر إليه. فخرج رسول الله ﷺ قد لبس لأُمته^(٤)، وأظهر الدرع وحزم وسطها بمنطقة من آدم من حمائل سيفه، واعتمّ وتقلّد السيف، وألقى الثّرس في ظهره، فندموا جميعاً على ما صنعوا، وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. فقال ﷺ: لا ينبغي لنبّي إذا لبس لأُمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، فانظروا ما أمركم به فافعلوا وامضوا على اسم الله، فلكم النصر ما صبرتم. ثم دعا بثلاثة أرماع، فعقد ثلاثة ألوية، فدفع لواء المهاجرين إلى عليّ بن أبي طالب، ويقال: إلى مصعب بن عمير^(٥)، ودفع لواء الأوس إلى أسيّد بن خُضير^(٦)، ودفع لواء الخزرج إلى الحُباب بن المنذر^(٧)، ويقال: إلى سعد بن عبادة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ركب فرسه وتنكب^(٨) القوس، وأخذ قنّاة بيده، والمسلمون عليهم السلاح قد أظهروا الدروع، فيهم مائة دارع، وخرج السعدان أمامه، يعدّوان، سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، كل منهما دارع، والناس عن يمينه وشماله، فمضى حتى إذا كان بالشّينخين - وهما أطمان، كان يهودي ويهودية يقومان عليهما يتحدّثان، فلذلك سمّيا بالشّينخين، وهما في طرف المدينة - التفت فنظر إلى كتيبة خُشناء^(٩) لها

(١) العوالي: قرى بظاهر المدينة.

(٢) في الأصول: «لبان» وهو تحريف.

(٣) صف: اصطف.

(٤) اللّامة: الدرع، أو السلاح كله.

(٥) مصعب بن عمير: مصعب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي من بني عبد الدار (.... - ٣ هـ = ٦٢٥ م) شجاع، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة. وهرب مع من هاجر إلى

الحبشة. وهاجر إلى المدينة. شهد بدرأ؛ وحمل اللّواء يوم أحد. (الأعلام: ٧: ٢٤٨).

(٦) أسيّد بن خُضير: أسيّد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأسدي، أبو يحيى: (.... - ٢٠ هـ = ...

- ٦٤١ م) صحابي، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام. يعد من عقلاء العرب وذي الرأي فيهم.

شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحداً فجرح سبع

جراحات. وشهد الخندق والمشاهد كلها. توفي في المدينة. (الأعلام: ١: ٣٣٠).

(٧) الحُباب بن المنذر: الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، الخزرجي، ثم السلمي؛ صحابي،

من الشجعان الشعراء، قال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم أحد. وكانت له في الجاهلية

آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٨) تنكب القوس: ألقاه على منكبه.

(٩) كتيبة خُشناء: كثيرة السلاح، خُشنته.

زَجَل^(١)، فقال: ما هذه؟ قالوا: حلفاء ابن أبي من يهود. فقال ﷺ: لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك. وعرض من عرض بالشيخين، فردّ من ردّ، وأجاز من أجاز.

قال محمد بن إسحاق: أجاز رسول الله ﷺ يومئذ سمرة^(٢) بن جندب الفزاري، ورافع بن خديج أحد بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردّهما، فقبل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازه، فقبل له: إن سمرة يصرع رافعاً، فأجازه. وردّ رسول الله ﷺ أسامة بن زيد^(٣)، وعبد الله بن عمر بن الخطاب^(٤)، وزيد بن ثابت^(٥)، والبراء بن عازب^(٦)، وعمرو بن حزم^(٧)، وأسيّد بن ظهير^(٨)، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة، وردّ عرابة بن أوس وهو الذي يقول فيه

(١) الزجل: الجلبة والضوضاء.

(٢) في الأصل: «تمرة» وهو تحريف.

(٣) أسامة بن زيد: أسامة بن زيد بن حارثة. يكنى أبا محمد ويقال أبو زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ. ولد في الإسلام، ومات النبي ﷺ وله عشرون عاماً. وكان أمره على جيش عظيم. اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر أنه مات سنة أربع وخمسين (الإصابة في تمييز الصحابة، ترجمة رقم: ٨٩).

(٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب: العدوي، أبو عبد الرحمن (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ = ٦١٣ - ٦٩٢ م)، صحابي من أعز بيوتات قريش في الجاهلية. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، ومولده ووفاته فيها. كف بصره في آخر حياته وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة. (الأعلام: ٤: ١٠٨).

(٥) زيد بن ثابت: زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري الخزرجي، أبو خازجة: (١١ ق هـ - ٤٥ هـ = ٦١١ - ٦٦٥ م) صحابي من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة ونشأ بمكة. وهاجر مع النبي ﷺ، وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين. وكان ابن عباس يأتيه إلى بيته للأخذ عنه. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٦) البراء بن عازب: البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة: (.... هـ - ٧١ هـ = م) قائد صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشر غزوة، أولها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة. واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(٧) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بن زيد بن لؤذان الأنصاري أبو الضحّاك (.... هـ - ٥٣ هـ = م) ٦٧٣ م) وال، من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها. واستعمله النبي ﷺ على نجران وكتب له عهداً مطولاً، فيه توجيه وتشريع. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٨) أسيّد بن ظهير: أسيّد بن ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الأنصاري الحارثي ابن عم رافع بن خديج يكنى أبا ثابت له ولأبيه صحبة. قال البخاري: مدني يمانى. مات في خلافة عبد الملك بن مروان. (الإصابة في تمييز الصحابة ج ١ رقم الترجمة ١٨٨).

الشَّمَاح^(١): [من الوافر]

إذا ما راية رفعت لمجدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ باليمن
قال ابن سعد: وبات رسول الله ﷺ بالشيخين، وكان نازلاً في بني التجار،
واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً، يُطِيفُونَ
بالعسكر، وأدلج^(٢) رسول الله ﷺ في السَّحَر، ودليله أبو خَيْثَمَة، فانتَهَى إلى أُحُد،
فحانت الصلاة، وهو يرى المشركين، فأمر بلالاً فأَذَنَ وأقام، فصلى بأصحابه الصبح
صفوفاً.

قال ابن إسحاق: ولما كان رسول الله ﷺ بالشُّوط^(٣) بين المدينة وأُحُد،
انخزل^(٤) عنه عبد الله بن أبي^(٥) بثلاث الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام
نَقُتْلُ أَنْفُسَنَا هَا هُنَا أَيُّهَا النَّاسُ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل التفاق، واتبعهم عبد
الله بن عمرو بن حَرَام، أخو بني سلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا قومكم
ونبيكم عندما حَضَرَ عدوهم؛ قالوا: لو نعلم أنكم تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ، ولكن لا نرى
أنه يكون قتال. قال: فلما اسْتَعَصَوْا عليه وأبَوْا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله
أعداء الله، فسيُغْنِي الله عنكم نبيّه ﷺ.

قال ابن سعد: انخزل عبد الله بن أبي بثلاثمائة، وبقي رسول الله ﷺ في سبعمائة
ومعه فرسه وفرس لأبي بُزْدَة بن نيار. وأقبل يصف أصحابه ويسوي الصفوف على
رجليه، وعليه دِرْعَانٌ وَمِغْفَرٌ^(٦) وَيَنْضَةُ، وجعل له مَيْمَنَةً وميسرة، وجعل أُحُدًا وراء
ظهره، واستقبل المدينة؛ وجعل عَيْنَيْنِ^(٧) - جبلاً - عن يساره، وجعل عليه خمسين من

(١) خرج الشماخ يريد المدينة فلقبه عرابة بن الأوس، فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار
لأهلي وكان معه بعيان. فأوقرهما له عرابة تمرأ وبرأ، وكساه وأكرمه، فخرج عن المدينة وامتدحه
بالقصيدة التي منها هذا البيت.

(٢) أدلج: سار ليلاً.

(٣) الشوط: قال في معجم البلدان: «اسم حائط، يعني بستاناً بالمدينة».

(٤) انخزل: ارتد.

(٥) عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد، الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول،
وسلول جدته لأبيه من خزاعة (.... - ٩ هـ = - ٦٣٠ م) رأس المنافقين في الإسلام من أهل
المدينة. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر، تقيّة. ولما تهيأ النبي ﷺ
لوقعة أُحُد، انخزل ابن أبي وعاد إلى المدينة. وفعل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. (الأعلام: ٤:
٦٥).

(٦) المغفر: زرد من الدرع يلبس تحت القلنسوة، أو حلق يتقنع بها المتسلح.

(٧) عينان: جبل بيطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة.

الزّماة، واستعمل عليهم عبد الله بن جُبَيْر، وقال: قوموا على مصافكم هذه فاحموا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، فإن رأيتُمونا قد غنمنا، فلا تَشْرِكونا، وإن رأيتُمونا نُقْتَل فلا تنصرونا.

وأقبل المشركون، وقد صفّوا صفوفهم، واستعملوا على الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ولهم مُجَنَّبَتَان^(١) مائتا فرس، وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية، ويقال: عمرو بن العاص. وعلى الزّماة عبد الله بن أبي ربيعة، وكانوا مائة رام، ودفَعوا اللّواء إلى طلحة بن أبي طلحة - واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار - فسأل رسول الله ﷺ: من يحمل لواء المشركين؟ فقل: عبد الدار، فقال: نحن أحقّ بالوفاء منهم، أين مُصْعَب بن عُمَيْر؟ قال: هأنذا؛ قال: خُذِ اللّواء؛ فأخذه مصعب، فتقدّم به بين يدي رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرْشَة^(٢) أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: تضرب به في العدو حتى ينحني؛ قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه. فأعطاه إياه. وكان أبو دُجَانة إذا اعلم بعصاة له حمراء، علم الناس أنه سيقَاتِل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ، أخرج عَصَابَتَه تلك فعَصَب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصّفين. فقال رسول الله ﷺ حين رآه: إنها لِمِشْيَةٍ يُبْغِضُهَا الله ورسوله، إلا في هذا الموطن.

قال ابن هشام^(٣): إن الزبير بن العوام قال: وَجَدْتُ^(٤) في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمَنَعَنِيهِ وأعطاه أبا دُجَانة، فقلت: والله لأنظرَن ما يصنع. فأتبعته، فأخرج عَصَابَةَ حمراء فعَصَب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانة عَصَابَةَ الموت. وجعل يقول: [من الرجز]

(١) المجنبتان: الميمنة والميسرة.

(٢) سَمَاك بن خَرْشَة: سَمَاك بن خَرْشَة الخزرجي البياضي الأنصاري، المعروف بأبي دُجَانة: (.... - ١١ هـ = ٦٣٢ م) صحابي، شهد بدرًا وثبت يوم أحد وأصيب بجراحات كثيرة. واستشهد باليمامة. وكان يقال له: «ذو المشهرة» وهي درع يلبسها في الحرب. و«ذو السيفين» لقتاله يوم أحد بسيفه وسيف رسول الله ﷺ. (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٣) ابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (.... - ٢١٣ هـ = ٨٢٨ م). مؤرخ كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كتبه: «السيرة النبوية - ط» المعروف بسيرة ابن هشام. (الأعلام: ٤: ١٦٦).

(٤) وجدت: حزنْتُ.

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألاً أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول^(١)

قال الزبير: فجعل لا يلقى أحداً إلا قتلته. وكان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحاً إلا ذفف^(٢) عليه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته^(٣)، وضربه أبو دجانة فقتله، ثم رأته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة، ثم عدله عنها، قال الزبير، فقلت: الله ورسوله أعلم.

قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمش الناس حمشاً^(٤)، فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة. وأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

قالوا: وكان أول من أنشب الحرب يوم أحد أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة بن زيد، وكان قد خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعُبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر. قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق - وكان في الجاهلية يُسمى الراهب، فسماه رسول الله ﷺ الفاسق، كما قدمنا من خبره - قال: فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شر. ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم^(٥) بالحجارة فراضخوه، حتى ولّى هو وأصحابه هارين.

قال: وكان أبو سفيان قد قال لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدار، إنكم قد وليتم لواء يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا، وإما أن تخلصوا بيننا وبينه فنكفيكموه؛ فهموا به وتواعدوه، وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نضع! وذلك أراد أبو سفيان.

قال: ولما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة

(١) الكيول: آخر الصفوف في الحرب، وهي رواية اللسان وإحدى روايتي ابن هشام. وفي الأصول:

«الكيول»: جمع كبل: وهو القيد الضخم. وقد ذكر هذين البيتين صاحب لسان العرب.

(٢) ذفف: أجهز.

(٣) الدرقة: الترس المصنوع من الجلد.

(٤) يحمش الناس: يسوقهم بغضب، أي يحرضهم على القتال ويغضبهم.

(٥) راضخهم: راماهم.

اللاتي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرّضنهم، فقالت هند فيما تقول: [من مجزوء الرجز]

وَيْهَأْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيَهَأْ حُمَاةَ الْأَذْيَارِ
* ضَرْباً بِكُلِّ بَثَّارٍ *^(١)

وقالت أيضاً:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ^(٢) نَمْشِي عَلَى الثَّمَارِ^(٣)
إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ أَوْ تُذْهِبُوا نُفَارِقْ
* فِرَاقٌ غَيْرَ وَامِقٍ *^(٤)

قال: وكان شعار المسلمين يوم أحد. أَمِت، أَمِت. ودنا القوم بعضهم من بعض، والرّماة يرشقون خيل المشركين بالنبل، فتولّي هوارب، فبرز طلحة بن أبي طلحة، صاحب لواء المشركين، وقال: مَنْ يُبَارِز؟ فبرز له علي بن أبي طالب، فالتقيا بين الصّفيّين، فبدره عليّ بضربة على رأسه حتى فلق هامته، فوقع وهو كبّش الكتبية، فسُر رسول الله ﷺ بذلك وكبر، وكبر المسلمون، وشدّوا على كتائب المشركين يضربونهم حتى نغضت^(٥) صفوفهم، ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة، وجعل يرتجز وهو أمام النسوة:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّغْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا^(٦)

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب، فضربه بالسيف على كاهله فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزّره، وبدا سخره^(٧)، ثم رجع حمزة وهو يقول: أنا ابن ساقبي

(١) البتار: القاطع.

(٢) «قولها: بنات طارق. تريد النجم؛ أي نحن، شريفات رفيفات كالنجم، وقيل: الشعر لهند بنت طارق بن بياضة الإيادية، قالت في حرب الفرس لإياد، فتمثلت به هند هذه». وقال لسان العرب: «... إن هنداً بنت عتبة هي هند بنت بياضة بن رباح بن طارق الإيادي. وذكر الأبيات برواية أخرى، وهي تخالف رواية المؤلف وروايته الطبري وابن إسحاق. راجع لسان العرب مادة (طارق)».

(٣) الثمارق: جمع نمرقة، وهي الوسادة الصغيرة والطنفسة فوق الرحل.

(٤) الوامق: المحب.

(٥) النغض: التحريك والاضطراب.

(٦) الصعدة: القناة التي تنبت مستقيمة.

(٧) السحر: الرثة.

الحجيج. فحمل اللواء أبو سعد بن أبي طلحة، فرماه سعد بن أبي وقاص فأصاب حنجرته، فأدلع^(١) لسانه ادلاع الكلب، فقتله، ثم حمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، فقتله، ثم حمله كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، فقتله الزبير بن العوام. ثم حمله الجلاس بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله. ثم حمله أزطاة بن شريحيل، فقتله علي بن أبي طالب. ثم حمله شريح بن قاسط^(٢)، فقتل، ثم حمله ضؤاب غلامهم، وهو حبشي، فقاتل يومئذ حتى قطعت يده، فاعتنق اللواء حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أعذرت، واختلف في قاتله، ف قيل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقيل: علي بن أبي طالب، وقيل: قتله قزمان على الأصح.

قال: فلما قُتل أصحاب اللواء صار مُلقى، حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فدفعته لقريش، فلاثوا^(٣) به. ثم انكشف المشركون وانهزموا لا يلوون على شيء، ونسأؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا حتى أجهضوهم^(٤) عن العسكر، ووقعوا ينهبون العسكر، ويأخذون ما فيه من الغنائم.

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى الزبير بن العوام، أنه قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خديم هند وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير.

قال ابن سعد: وتكلم الرماة الذين على الجبل واختلفوا بينهم، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير^(٥) في نفر يسير دون العشرة، وقال: لا أجاوز أمر رسول الله ﷺ، ووعظ أصحابه وذكرهم أمر رسول الله ﷺ، فقالوا: لم يُرد رسول الله هذا، قد انهزم المشركون فما مقامنا هاهنا؟ فانطلقوا يتبعون العسكر ينتهبون معهم، وتركوا الجبل. فنظر خالد بن الوليد إلى خلوة الجبل وقلة أهله، فكر بالخييل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل، فحملوا على المسلمين، واستدارت رحاهم، وحالت الريح فصارت ذبورا، وكان قبل ذلك صبا^(٦)، ونادى إبليس - لعنه الله -: إن محمداً قد قُتل. واختلف

(١) ادلع: أخرج.

(٢) كذا في الأصول. وفي سيرة ابن هشام: «القاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار».

(٣) لاثوا به: اجتمعوا حوله.

(٤) أجهضوهم: أزالوهم.

(٥) عبد الله بن جبير: عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري (.... - ٣هـ = ٦٢٥ - ٦٢٥ م) صحابي، شهد العقبة وبدر، وكان أمير الرماة يوم أحد، فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤: ٧٦).

(٦) الذبور والصبا: الصبا: ريح تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وهي تقابل الذبور: (اللسان: صبا).

المسلمون فصاروا يقتتلون على غير شعار، ويضرب بعضهم بعضاً، ما يشعرون به من العجلة والدَّهْش، وقُتل مُصعب بن عُمير، فأخذ اللواء ملك في صورة مُصعب، وحضرت الملائكة يومئذٍ ولم تقاتل، ونادى المشركون بشعارهم: يا لِلْعُزَّى يا لِهَبْل^(١). فقتل من أكرمه الله بالشهادة من المسلمين حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ، وثبت ﷺ معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وسبعة من الأنصار، ورمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى اندقت سيّتها^(٢)، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، ثم ذب بالحجارة، وكسرت يومئذٍ رباعيته^(٣)، وكلمت شفته، وشج في وجهه، وجرح في وجنته، وكسرت البيضة على رأسه، فسال الدم على وجهه، فجعل يمسحه ويقول: كيف يُفلح قوم خَضَبُوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وروى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى أبي سعيد الخدري: أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذٍ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجّه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته، فدخل حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ عليّ بن أبي طالب بيده، ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ومضّ مالك بن سنان أبو أبي سعيد الخدري، الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدردّه، فقال ﷺ: «من مسّ دمه دمي لم تمسه النار».

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى محمود بن عمرو: لما غشي القوم رسول الله ﷺ قال: من رجل يشتري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السّكن في خمسة من الأنصار، وبعضهم يقول: إنما هو عُمارة بن يزيد بن السّكن. فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عُمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. ثم قامت فئة المسلمين فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: أدنوه مني، فأذنوه منه، فوسّده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ.

قال: وقاتلت أم عُمارة نسيبة بنت كعب المازنية يومئذٍ، فحدثت وقد سئلت عن خبرها، فقالت: خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس، ومعني سقاء فيه ماء، فانتهيت

(١) العزى وهبل: صنمان لقريش.

(٢) السية: طرف القوس.

(٣) الرباعية: السن التي بين الثنية والناص.

إلى رسول الله ﷺ، والدولة والريخ للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزّت إلى رسول الله ﷺ فقلت: أبأشر القتال وأذب^(١) عنه بالسيف، حتى خلّصت الجراحة إليّ، وكان على عاتقها جرح أجوف له غُور^(٢)، فقبل لها: من أصابك بهذا؟ فقالت: ابن قميّة، أقمأه^(٣) الله، لما ولّى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلّوني على محمد، فلا نجوتُ إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات^(٤)، ولكنّ عدوّ الله كان عليه درعان.

قال ابن إسحاق: وترّس^(٥) دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه، حتى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل ويقول: إرم فذاك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ما له من نصل، فيقول: ارم به، قال: وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسنَ عينيه وأحدهما. قال: وانتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار، قد ألّقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ فقالوا: قُتل رسول الله ﷺ؛ قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قُوموا فموتوا على ما مات عليه، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل. قال أنس بن مالك: لقد وجدنا به سبعين ضربة، وأصيب عبد الرحمن بن عوف في فمه فهتَمَ^(٦)، وجرح عشرين جراحة أو أكثر، فأصابه بعضها في رجله فعرَج.

قال ابن إسحاق: وكان أوّل من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قتل رسول الله ﷺ، كعب بن مالك، قال كعب: عرفت عينيه تُزهران^(٧) تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ؛ فأشار إليّ: أن أنصت، قال: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر، وعمر، وعليّ، وطلحة بن عبيد الله^(٨)، والزبير بن العوام،

(٢) غور: عمق وفجوة.

(١) أذب: أذفع.

(٣) أقمأه: أذله.

(٤) في الأصول: «ولقد عني ذلك ضربته ضربات». وفيها تقديم وتأخير وصوابه عن الطبقات.

(٦) هُتم: سقطت ثناياه.

(٥) ترس: جعل نفسه ترساً.

(٧) تزهران: تضيئان، المغفر: الخوذة.

(٨) طلحة: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان الرسول يسميه طلحة الجود، وطلحة الخير. مات يوم

والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين، فلما أسند^(١) رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف، وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجال مثا؟ قال رسول الله ﷺ: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، قال: فلما أخذها انتفض منا انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء^(٢) عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه بها طعنة في عنقه، تدأداً^(٣) منها عن فرسه مراراً؛ وكان أبي بن خلف قبل ذلك يلقي رسول الله ﷺ فيقول: إن عندي العود - فرساً - أعلفه كل يوم فرقاً^(٤) من ذرة أقتلك عليه. فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه، خدشاً غير كبير، فاحتقن الدّم فيه، فقال: قتلني والله محمد؛ قالوا: ذهب والله فؤادك! والله إن بك بأس؛ قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك والله لو بصق عليّ لقتلني. فمات عدو الله بسرف^(٥) وهم قافلون إلى مكة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت^(٦): [من الوافر]

لقد ورث الضلالة عن أبيه أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رمّ عظم وتوعده وأنت به جهول^(٧)
وقد قتلت بنو التجار منكم أمية إذ يغوث: يا عقيـل^(٨)
وتبّ ابنا ربيعة إذا أطاعا أبا جهل، لأتهما الهبول^(٩)
وأقلت حارث لما شغلنا بأسر القوم، أسرته قليل
وقال حسان أيضاً فيه: [من الوافر]
ألا من مبلغ عني أبياً فقد أليت في سحق السعير^(١٠)

(١) أسند: صعد.

(٢) الشعراء: ذباب له لدغ.

(٣) تدأداً: تدرج.

(٤) الفرق: مكيال بالمدينة يسع ستة عشر رطلاً.

(٥) سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وقيل سبعة، وقيل غير ذلك؛ تزوج به رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث.

(٦) حسان بن ثابت: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي (.... - ٥٤ هـ = ٦٧٤ م) شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام. فضل حسان الشعراء بثلاثة: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمانيين في الإسلام. (الأعلام: ٢: ١٧٥).

(٧) الرم: البالي.

(٨) يغوث: يقول: واغوثاه.

(٩) تبّ: هلك، والهبول: الفقد.

(١٠) السحق: البعد والعمق.

تمنّي بالضلالة من بعيدٍ وتقسم أن قدزت مع النذور
 تمنّيك الأمانى من بعيد وقول الكُفر يرجع في غرور
 فقد لاقيت طغنةً ذي حفاظ كريم البيت ليس بذى فجور^(١)
 له فضلٌ على الأحياء طراً إذا نابث ملّمت الأمور^(٢)

قال: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى قم الشعب خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درّفته^(٣) من الماء، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه وغسل عن وجهه الدم.

قال: وبينما رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علّت عالية من قريش الجبل، وكان على تلك الخيل خالد بن الوليد^(٤)، فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلنونا! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل. ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بدّن^(٥) وظاهر بين درعين، فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به حتى استوى عليها.

قال ابن هشام: وصلى رسول الله ﷺ الظهر يوم أخذ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

قال ابن إسحاق: ولما أراد القوم الانصراف أشرف أبو سفيان على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت^(٦) فعّال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر. فقال رسول الله ﷺ: قم يا عمر فأجبه، فقيل: الله أعلى وأجلّ، لا سواء^(٧)، قتلانا في الجنة،

(١) الحفاظ: الذب عن المحارم. (٢) نابث ملّمت الأمور: حلت الدواهي والمصائب.

(٣) الدركة: الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب.

(٤) خالد بن الوليد: خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (.... - ٢١ هـ = ٦٤٢ م) سيف الله، الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشرف قريش في الجاهلية. أسلم قبل فتح مكة. سنة ٧ هـ. ولما ولي عمر عزله عن قيادة الجيوش بالشام. مات بحمص، وقيل: بالمدينة. انظر (الأعلام: ٢: ٣٠٠).

(٥) بدّن: ضعف. ظاهر: طابق.

(٦) أنعمت فعّال: كان الرجل من قريش إذا أراد ابتداء أمر عمد إلى سهمين، فكتب على أحدهما «نعم» وعلى الآخر «لا» ثم يتقدم إلى الصنم ويجيد سهامه، فإن خرج سهم «نعم» أقدم، وإن خرج سهم «لا»، امتنع، وكان أبو سفيان لما أراد الخروج إلى أحد استفتى «هبل» فخرج له سهم الأنعام، فذلك قوله لعمر رضي الله عنه: أنعمت فعّال، أي أجابت بنعم، فتجاف عنها، ولا تذكرها بسوء، يعني ألهتهم. هذا ما ذكره صاحب اللسان. انظر المواهب اللدنية: ٢: ٥٧.

(٧) لا سواء: لا تكافىء بيننا.

وقتلاكم في النار؛ فقال له أبو سفيان: هَلَمْ إِلَيَّ يا عمر، فقال رسول الله ﷺ لعمر: إيتني فانظر ما شأنه؛ فأتاه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قميئة وأبر - لقول ابن قميئة لهم: إني قتلت محمداً - قال: واسم ابن قميئة عبد الله.

وروى البخاري عن البراء قال: وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن أبي قحافة^(١)؟ قال: لا تجيبوه، قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عمر - رضوان الله عليه - نفسه، فقال: كذبت يا عدو الله، أبقي الله لك ما يُخزيك. قال أبو سفيان: اغْلُ هُبْل^(٢)، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، فقالوا: ما نقول: قال: قولوا: الله أعلى وأجل؛ قال أبو سفيان: لنا العزى^(٣) ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم؛ قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، وتجدون مثله^(٤) لم آمر بها ولم تُسؤني.

قال ابن سعد: ثم نادى أبو سفيان عند انصرافه: إن موعدكم بدر العام القابل. فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل له: نعم هو بيننا وبينك موعد. ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جَنَّبُوا^(٥) الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأنجزنهم^(٦). قال علي: فخرجت في آثارهم فرأيتهم قد جَنَّبُوا الخيل وامتطوا الإبل، وتوجهوا إلى مكة.

ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وما فعلته هند بنت عتبة، وما قالته من الشعر، وما أجيب به

كان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، قد قتل من ذكرنا من المشركين آنفاً،

(١) يعني أبا بكر.

(٢) هُبْل: اسم صنم كان في الكعبة.

(٣) العزى: اسم صنم كان لقريش.

(٤) يقال: «مثلت» بالقتيل، إذا جدعت أنفه وأذنه أو شيئاً من أطرافه.

(٥) جنّبوا الخيل: قادوها إلى جنوبهم.

(٦) أنجزنهم: المناجزة في القتال: المبارزة والمقاتلة، وهو أن يتبارز الفارسان حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه أو يقتل أحدهما.

ومرّ به سباع بن عبد العزى الغُبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا بن مقطعة البُصور^(١) - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمر بن وهب الثقفي، وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله. فقال وحشي غلام جبير بن مطعم^(٢): والله إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه هداً ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهدأ أريده، وأستتر منه بشجرة أو بحجر ليدنو مني، إذ تقدمني إليه سباع، فلما رآه حمزة قال له ما قال، فضربه حمزة فقتله، فهزّزت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقع في ثُنته^(٣)، حتى خرجت من بين رجله، وذهب ليَنوء^(٤) نحوي فتركته فغلب وإياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، فلم يكن لي بغيره حاجة، إنما قتلته لأعتق.

قال ابن إسحاق: ووقفت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يَجْدَعْنَ^(٥) الآذان والآنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم قلائد وخدماء^(٦)، وأعطت قلائدها وخدمها وقُرطها وحشياً، وبقرت عن كبِد حمزة فلاكتها فلم تسطع أن تُسيغها، فلفظتها، ثم علّت على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها، ثم قالت: [من الرجز]

نحن جزيّناكم بيوم بدرٍ والحرب بعد الحرب ذاتُ سُعر^(٧)
ما كان عن عُتبة لي من صبرٍ ولا أخي وعمّه وبُكُري
شَفِيتُ نفسي وقَضِيتُ وَثْري^(٨) شَفِيتُ وخشي غليل صدري
فشُكِر وخشيّ عليّ عُمري حتى تَرِمَّ أعظمي في قبري^(٩)

فأجابتها هند بنت أُنثاة بن عَبَاد بن المُطلب فقالت: [من الرجز]

-
- (١) البصور: لغة في البظر.
(٢) جبير بن مطعم: جبير بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي أبو عدي، (.... - ٥٩ هـ = ٦٧٩ م) صحابي كان من علماء قريش وسادتهم. توفي بالمدينة. وعده الجاحظ من كبار النسابين. له ستون حديثاً. (الأعلام: ٢: ١١٢).
(٣) الثنة: أسفل البطن.
(٤) ينوء: ينهض بجهد ومشقة.
(٥) يجدن: يقطعن.
(٦) الخدم: الخلاخيل.
(٧) سحر: تأجج واشتعال.
(٨) الوتر: الثأر.
(٩) ترم: تبلى.

خَزِيتَ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَدْرٍ يَا بِنْتَ وَقَاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ^(١)
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ بِالْهَاشِمِيِّينَ الطُّوَالَ الزُّهْرِ
بِكُلِّ قِطَاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيَّ صَقْرِي^(٢)
إِذْ رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَدْرِي فَخَضَّبَا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّحْرِ^(٣)
* وَنَذَرَكَ السُّوءَ فَشَرُّ نَذَرٍ *

وقالت هند غير ذلك من الشعر وأجيبته بمثله، وتركنا ذلك اختصاراً.

قال ابن إسحاق: ومَرَّ الْحُلَيْسُ بْنُ زَبَّانٍ أَخُو بَنِي الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ بِأَبِي سَفْيَانَ، وَهُوَ يَضْرِبُ فِي شَذْقِ حَمْزَةِ بَزْجِ الرَّمْحِ، وَيَقُولُ: دُقْ عُقُقٌ^(٤). فَقَالَ الْحُلَيْسُ: يَا بَنِي كِنَانَةَ، هَذَا سَيِّدُ قَرِيشٍ يَصْنَعُ بِأَبْنِ عَمِّهِ مَا تَرُونَ لِحْمًا^(٥)؛ قَالَ: وَيَحْكُ! اكْتُمُوهَا عَنِّي، فَإِنِهَا كَانَتْ زَلَّةً. قَالَ: وَلَمَّا فَرَّغَ النَّاسُ لِقَتْلِهِمْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ، فَوَجَدَهُ بَيْطُنَ الْوَادِي قَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبَدِهِ، وَجُدَعَ أَنْفُهُ وَأَذْنَاهُ. فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ: لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ وَيَكُونُ سَنَةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُكَ حَتَّى تَكُونَ فِي بَطُونِ السَّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قَرِيشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لِأَمْثَلِنَ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مَثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ١٢٦ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨] قَالَ: فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبِرَ. وَنَهَى عَنِ الْمَثَلِ^(٦).

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: لن أصاب بمثلك أبداً! ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا! ثم قال: جاءني جبريل عليه السلام فأخبر

(١) الوقاع: الذي يغتاب الناس.

(٢) يفري: يقطع.

(٣) شيب: تريد... شيبة: ضواحي النحر: ما ظهر من الصدر.

(٤) عُقُق: أي يا عاق.

(٥) لِحْمًا: أي ميتاً.

(٦) المثل: التنكيل. فإن قيل: لقد مثل رسول الله ﷺ بالعربيين، قلنا: في ذلك جوابان، أحدهما: أنه فعل ذلك قصاصاً. وثانيهما، أن ذلك كان قبل تحريم المثلة. راجع الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله. قال ابن إسحاق يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أمر رسول الله ﷺ بـحمزة فسُجِّي^(١) ببُرْد، ثم صلى عليه وكَبُرَ سُبُع تكبيرات، ثم أُتِيَ بالقتلى يُوضعون إلى حمزة، فصلَّى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة^(٢). قال: وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها حمزة، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: إلقها فارجعها لا ترى ما بأخيها. فقال لها: يا أمّاه: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مُثِّل بأخي، وذلك في الله عزّ وجلّ، فما أرضاني أنا بما كان من ذلك! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله تعالى. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك قال: خلّ سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، وصَلَّت عليه، واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن. قال: واحتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال: ادفنهم حيث صُرِعوا.

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد

قال ابن إسحاق: استشهد من المسلمين يوم أحد سبعون رجلاً، كان منهم من المهاجرين من بني هاشم: حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، وقد تقدم خبر مقتله، ومن بني أمية: عبد الله بن جحش، حليف لهم من بني أسد بن خُزَيْمة^(٣) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق. ومن بني عبد الدار بن قُصَيّ: مصعب بن عُمَيْر، وقتله عبد الله بن قمّة الليثي، ومن بني مخزوم بن يَظْظَة: شَماش بن عثمان قتله أبي بن خلف.

لم يذكر ابن إسحاق غير هؤلاء الأربعة.

وقال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: وعبد الله، وعبد الرحمن، ابنا الهيب، من بني سعد بن ليث، ووهب بن قابوس المُرَني، وابن أخيه الحارث بن عُقبة بن قابوس، وزاد الثعلبي سعداً مولى عتبة، ولم يذكر الأربعة الذين ذكرهم ابن سعد، بل عدّ المهاجرين خمسة.

(١) سُجِّي: غطي.

(٢) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين: أحدهما: ضعف إسناده هذا الحديث.

وثانيهما: أنه حديث لم يصحبه العمل، ولا يروى عن رسول الله ﷺ أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه إلا هذه الرواية. راجع: الروض الأنف: ٢: ١٤٢.

(٣) في الأصول: «خزيم» تحريف.

واستشهد من الأنصار، من بني عبد الأشهل اثنا عشر رجلاً، وهم عمرو بن مُعَاذ بن النُّعْمَان أخو سعد، والحارث بن أنس بن رافع^(١)، وعُمارَة بن زياد بن السَّكَن، وسَلْمَة بن ثابت بن وَقْش، وأخوه عمرو بن ثابت، وأبوهم ثابت، ورفاعة بن وَقْش، واليَمَان أبو حُذَيْفَة بن اليَمَان، واسمه حُسَيْل بن جابر، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، وأراد رسول الله ﷺ أن يديه^(٢)، فتصدق ابنه حُذَيْفَة بديته على المسلمين، وصيفي بن قَيْظي وخُباب بن قَيْظي، وعَبَاد بن سَهْل، والحارث بن أوس بن مُعَاذ.

ومن أهل راتج^(٣) ثلاثة نفر، وهم: إياس بن أوس بن عتيك، وعُبَيْد بن التَّيْهَان، ويقال: عتيك بن التَّيْهَان، وحبيب بن زيد بن تَيْم. ومن بني ظَفَر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع، ومن بني عمرو بن عوف، رجُلان، وهما: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن النعمان، وهو غَسِيل الملائكة، وكان قد ألتقى هو وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة رآه شَدَاد بن الأسود فقتله، فقال رسول الله ﷺ: إن صاحبكم لتغسله الملائكة، فسألوا أهله: ما شأنه؟ فسئلت صاحبه فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: لذلك غسَلته الملائكة. وقال شَدَاد بن الأسود حين قتل حنظلة: [من الرجز].

لأَحْمِيْن صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْغَنَة مِثْل شُعَاعِ الشَّمْسِ

ومن بني عبِيد بن زيد^(٤): أنيس بن قتادة. ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف رجُلان، وهما: أبو حية بن عمرو بن ثابت، وعبد الله بن جُبَيْر بن النُّعْمَان، وهو أمير الرِّمَاءَة. ومن بني السُّلَم بن امرئ القيس بن مالك: خَيْثَمَة أبو سعد بن خيثمة. ومن حلفائهم من بني العَجَلَان: عبد الله بن سلمة. ومن بني معاوية بن مالك رجُلان، وهما سُبَيْع بن حاطب بن الحارث، ويقال: سُوَيْبِق^(٥) بن الحارث. ومالك بن نُمَيْلَة، حليف لهم من مُزَيْنَة. ومن بني التَّجَار ثم من بني سواد بن مالك خمسة نفر، وهم: عمرو بن قيس بن زيد بن سواد، وابنه قيس بن عمرو، وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مَخْلَد، ومالك بن إياس. ومن بني مَبْذُول رجُلان، وهما: أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن علقمة، وعمرو بن مُطَرَف بن علقمة. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار رجُلان،

(١) في الأصل: «الربيع».

(٢) يديه: يدفع ديته.

(٣) راتج: أطم من أطام المدينة (أي حصن).

(٤) في الأصول: «عبد زيد».

(٥) في الأصل: «سويق» وهو تحريف.

وهما: أوُس بن ثابت بن المنذر، وهو أخو حسان وإياس بن عديّ. ومن بني عديّ بن
التجار رجل واحد، وهو: أنس بن النضر بن ضَمْصَم بن زيد بن حرام بن جُنْدَب بن
عامر بن عديّ بن النجار، وقد تقدّم خبره. ومن بني مازن بن التجار رجلاَن، وهما:
قيس بن مُخَلَّد، وكَيْسان عبد لهم. ومن بني دينار بن التجار رجلاَن، وهما: سُليم بن
الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. ومن بني الحارث بن الخزرج ثلاثة نفر، وهم:
خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير - حكى محمد بن
سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: مَنْ رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع،
أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما
فعل، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رَمَقٌ^(١)، قال الأنصاريّ: فقلت له: إن رسول
الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات، فأبلغ
رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول: جزاك الله عنا خير ما
جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام، وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول
لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيّكم وفيكم عين تطرف^(٢). قال
الأنصاريّ: ثم لم أبرح حتى مات، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته خبره، وأوس بن
الأرقم بن زيد. ومن بني الأُبَجْر، وهم بنو خُدْرة، ثلاثة نفر، وهم: مالك بن سنان بن
عُبَيْد بن ثعلبة بن عبد [بن]^(٣) الأُبَجْر، وهو أبو أبي سعيد الخُدْريّ، وسعيد بن سُوَيْد بن
قيس بن عامر بن عباد بن الأُبَجْر، وعُتْبة بن ربيع بن رافع بن معاوية. ومن بني
ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلاَن، وهما: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد،
وثقيف بن فروة بن البديّ. ومن بني طَريف، رَهْط سعد بن عُبادة رجلاَن، وهما:
عبد الله بن عمرو بن وَهْب، وضمرة حليف لهم من جُهيْنة. ومن بني عوف بن
الخزرج خمسة نفر، وهم: نوفل بن عبد الله، وعَبَّاس بن عُبادة بن نَضْلة، ونعمان بن
مالك بن ثعلبة، والمُجَذَّر بن زياد، حليف لهم من بَلِيّ، وعُبادة بن الحَسْحَاس. ومن
بني الحُبْلَى: رفاعة بن عمرو. ومن بني سَلْمَة ثم من بني حرام أربعة نفر، وهم: عبد
الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وخلاد بن عمرو بن
الجَمُوح، وأبو أيْمَن مولى عمرو بن الجَمُوح. ومن بني سَواد بن غَنَم ثلاثة نفر، وهم:
سُليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل^(٤) بن قيس بن أبي كعب بن القين.

(١) الرَّمَق: بقية الروح.

(٢) تطرف: تطبق أحد جفنيها على الآخر.

(٣) الزيادة من ابن هشام، وفي أسد الغابة والاستيعاب: «عبيد بن الأُبَجْر».

(٤) في الأصول: «سهيل».

ومن بني زُرَيْق بن عامر رجلان، وهما: ذُكْوَان^(١) بن عبد قَيْس، وعُبَيْد بن المعلَى بن لَوْذَانَ. ومن بني خَطْمَة من الأوس: الحارث بن عَدِيّ بن خَرْشَة بن أمية، ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إِيَّاس.

ذِكْرُ تَسْمِيَةِ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ

قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَجُلًا: مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ أَحَدُ عَشَرَ رَجُلًا - وَهُمْ أَصْحَابُ اللَّوَاءِ - طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَيُقَالُ: عَلِيٌّ. وَعِثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَمَسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بِسَهْمٍ، وَالْجَلَّاسُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُ عَاصِمٌ أَيْضًا كَمَا تَقَدَّمَ، وَكِلَابُ بْنُ طَلْحَةَ وَالْحَارِثُ بْنُ طَلْحَةَ، قَتَلَهُمَا قُزْمَانُ حَلِيفُ لَبْنِي ظَفَرٍ، وَأَزْطَاةُ بْنُ عَبْدِ بْنِ شُرْحَبِيلَ بْنِ هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ، وَيُقَالُ: قَتَلَهُ عَلِيٌّ، وَأَبُو زَيْدٍ^(٢) بْنُ عَمِيرِ بْنِ هَاشِمٍ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَصَوَّابُ غَلَامٍ لَهُمْ حَبَشِيٌّ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَالْقَاسِطُ بْنُ شُرَيْحٍ بْنُ هَاشِمٍ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ. وَمِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ: عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُمَيْدٍ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ: قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ رَجُلَانِ، وَهُمَا: أَبُو الْحَكَمِ بْنُ الْأَخْنَسِ بْنِ شُرَيْقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ الثَّقَفِيِّ، حَلِيفُ لَهُمْ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَسِبَّاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى - وَاسِمُ عَبْدِ الْعُزَّى عَمْرُو بْنُ نُضْلَةَ بْنِ غُبْشَانَ - حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ خَزَاعَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ كَمَا تَقَدَّمَ. وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ، وَهُمْ: هِشَامُ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ أَيْضًا، وَأَبُو أُمِيَّةَ بْنُ أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ، قَتَلَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْأَعْلَمِ حَلِيفُ لَهُمْ، قَتَلَهُ قُزْمَانُ. وَمِنْ بَنِي جُمَحَ رَجُلَانِ، وَهُمَا: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ وَهَبِ بْنِ حِذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ أَبُو عَزَّةَ، قَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبْرًا - وَكَانَ قَدْ أَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ، فَمِنْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَطْلَقَهُ كَمَا ذَكَرْنَا، فَقَالَ: لَا أَكْثَرُ عَلَيْكَ جَمْعًا؛ فَلَمْ يَفِ، وَخَرَجَ يَوْمَ أَحُدٍ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فَأَسْرَى، وَلَمْ يَوْسُرْ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُ، فَقَالَ: مَنْ عَلِيٌّ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جَحْرٍ مَرَّتَيْنِ، لَا تَرْجِعْ إِلَى مَكَّةَ تَمْسُحُ عَارِضِيكَ، تَقُولُ: سَحَرْتُ^(٣) مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ابْنَ الْأَفْلَحِ فَضْرَبَ عُنُقَهُ - وَأَبِيَّ بْنَ خَلْفٍ بْنِ حِذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، قَتَلَهُ

(١) في الأصول: «عامر بن ذكوان».

(٢) كذا في الأصول. وفي ابن هشام: «أبو يزيد».

(٣) في الطبقات: «سخرت بمحمد».

رسول الله ﷺ بيده كما تقدم، ومن بني عامر بن لؤي رجلان، وهما: عبدة^(١) بن جابر وشينة بن مالك بن المضرب، قتلها قُزمان، ويقال: قتل^(٢) عبدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

قال محمد بن سعد في طبقاته: ثم انصرف رسول الله ﷺ يومئذ من أحد، فصلى المغرب بالمدينة، وشَمِت عبد الله بن أبي بن سلول والمنافقون بما نيل من رسول الله ﷺ في نفسه وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: لن ينالوا مثلاً مثل هذا اليوم حتى نستلم الرُّكن. قال: وبكت الأنصار على قتلاهم، فسمع رسول الله ﷺ البكاء فبكى، وقال: لكن حمزة لا بواكي له، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن خُصير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتَحَزَّمن، ثم يذهبن فيبكين على عمِّ رسول الله ﷺ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهنَّ على حمزة خرج عليهنَّ وهنَّ على باب مسجده يبكين، فقال: ارجعن يرحمك الله، فقد آسيتنَّ بأنفسكن ونهى رسول الله ﷺ يومئذ عن النوح.

وروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخواها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نُعوا لها قالت: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرؤنيه حتى أنظر إليه؟ قال: فأشير لها إليه ﷺ؛ حتى إذا رآته قالت: كل مُصيبة بعدك جَلَل؛ رضي الله عنها.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت فاطمة - رضي الله عنه - تغسلُ جُرحه؛ وعليَّ يسكب الماء عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدَّم إلا كثرة، عمدت إلى قطعة من حصير فأحرقتها، وألصقت ذلك على الجُرح فاستمسك الدَّم، ولم يبت رسول الله ﷺ بالمدينة إلا تلك الليلة، ثم أصبح فخرج في طلب العدو إلى حمراء الأسد، على ما نذكره إن شاء الله.

ولنصل غزوة أحد بتفسير ما أنزل الله تعالى فيها من القرآن.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة أحد، وما ورد في تفسير ذلك

قال محمد بن إسحاق، رحمه الله: وكان مما أنزل الله تعالى في غزوة أحد من القرآن ستون آية من سورة آل عمران، أول ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

(١) كذا في سيرة ابن هشام. وفي الأصول: «عبدة».

(٢) في الأصول: «قتل عبدة بن جابر بن عبد الله بن مسعود» وما أثبت رواية ابن هشام.

تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري - رحمه الله - في تفسير المترجم بالكشف والبيان عن تفسير القرآن: إن المشركين أقاموا بأحد يوم الأربعاء والخميس والجمعة، وذكر نحو ما قدمناه من خروج رسول الله ﷺ ليلة السبت للنصف من شوال، وأنه ﷺ جعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القذح، إذا رأى صدرًا خارجاً قال: تأخر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢] تفشلاً، أي تجبناً وتضعفاً وتتخلفاً عن رسول الله ﷺ، وهما بنو سلمة بن الخزرج، وبنو حارثة بن الأوس، وكانا جناحي العسكر، وذلك أن عبد الله بن أبي ابن سلول^(١) لما انخزل بثلاث الناس كما قدمنا وقال هو ومن وافقه من أصحابه: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبْعَنَكُمْ﴾؛ هم بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف معه، فعصمهم الله تعالى فلم ينصرفوا، ومضوا مع رسول الله ﷺ، فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته، فقال: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أي ناصرهما وحافظهما ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ذكرهم الله منته عليهم إذ نصرهم ببدر، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ قوله: ﴿لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُ غَلَبًا يَنْفَلِتُوا خَائِبِينَ﴾ [١٢٧]، «لَيَقْطَعَ طَرَفًا» أي يهلك طائفة «أَوْ يَكْتَسِبُ غَلَبًا» أي يهزمهم «يَنْفَلِتُوا خَائِبِينَ» أي لم ينالوا شيئاً مما كانوا يرجون من الظفر بكم.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال عبد الله بن مسعود: أراد رسول الله ﷺ أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد، وكان عثمان بن عفان منهم، فنهاه الله تعالى عن ذلك، وتاب عليهم، وأنزل هذه الآية. وقال عكرمة^(٣)،

(١) تبويء المؤمنين: تتخذ لهم مقاعد ومنازل.

(٢) في الأصل: «ابن سلام»، وهو خطأ، إذ أن الذي انخزل بثلاث الناس هو عبد الله بن أبي ابن سلول، وأما عبد الله بن سلام فهو بريء من ذلك. راجع تاريخه في الاستيعاب: ١: ٣٩٥.

(٣) عكرمة: عكرمة بن عبد الله البربري، المدني، أبو عبد الله (٢٥ - ١٠٥ هـ = ٦٤٥ - ٧٢٣ م) مولى عبد الله بن عباس: تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي. خرج إلى بلاد المغرب فأخذ عنه أهلها رأي «الصفري» وعاد إلى المدينة، فطلبه أميرها، فتغيب عنه حتى مات. وكانت وفاته بالمدينة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

وقَتَادَةُ^(١)، ومُقَسَّم: أدمى رجلٌ من هُذَيْلٍ يقال له: عبد الله بن قُمَيْثَةَ وجه رسول الله ﷺ يوم أحد، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فكان حتفه أن سلط الله عليه تَيْساً فنطحه حتى قتله، وشجَّ عُتْبَةُ بن أبي وقاص رأسه وكسر رباعيته ﷺ، فدعا عليه وقال: اللهم لا يحل عليه الحَوْلُ حتى يموت كافراً قال: فما حال الحَوْلُ حتى مات كافراً فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية. وقال الربيع والكلبي: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ يوم أحد، وقد شجَّ في وجهه وأُصِيبَتْ رباعيته، فهَمَّ رسول الله ﷺ أن يلعن المشركين ويدعو عليهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، لعلمه فيهم أن كثيراً منهم سيؤمنون.

قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ قيل: أمثال. وقيل: أمم. والسنة الأمة، قال الشاعر: [من الشاعر]

ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا رأوا مثلهم في سالف السنين

وقيل: أهل سُنَنٍ؛ وقيل: أهل شرائع؛ قال: معنى الآية: قد مضت وسلفت مني فيمن قبلكم من الأمم الماضية المكذبة الكافرة سُنَنٌ بامهالي واستدراجي إياهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجلي الذي أجلت - لإدالة^(٢) أنبيائي - وأهلكتهم. ﴿فَاسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ فَنَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] أي منهم، فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ الكتاب أجلي الذي أجلت في نصرة النبي وأوليائه وهلاك أعدائه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] قال: هذه الآية تعزية من الله تعالى لنبيه ﷺ وللمؤمنين على ما أصابهم من القتل والجرح يوم أحد، وحثٌ منه إياهم على قتال عدوهم، ونهْيٌ عن العجز والفسل، فقال تعالى: «وَلَا تَهِنُوا» أي لا تضعفوا ولا تجبنوا من جهاد أعدائكم بما نالكم يوم أحد من القتل والقرح. «وَلَا تَحْزَنُوا» على ظهور أعدائكم ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أي لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ».

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أي جرح يوم أحد فقد مَسَّ القوم جرح مثله يوم بدر. ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] يعني إنما كانت هذه المداولة ليرى الله الذين آمنوا - يعني منكم - ممن نافق، فيميز بعضهم من بعض.

(١) قتادة: قتادة بن دعامة بن قَتَادَةَ بن عَزِيز، أبو الخطاب، السدوسي البصري (٦١ - ١١٨ هـ = ٦٨٠ - ٧٣٦ م) مفسر، حافظ، ضريب أكمه. (الأعلام: ٥: ١٨٨).

(٢) الإدالة: الغلبة والنصرة، أي غلبة أنبيائي ونصرتهم.

وقيل: المعنى: «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بأفعالهم موجودة كما عِلِمها منهم قبل أن كلّفهم، «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» يُكْرِمْ أَقْوَاماً بالشهادة، وذلك أن المسلمين قالوا: أرنا يوماً كيوم بدرٍ نقاتل فيه المشركين ونلتمس الشهادة. فلَقُوا المشركين يوم أُحُد، فاتخذ الله منهم شهداء.

قوله تعالى: ﴿وَلْيُمَخِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤١) يعني يطهر الذين آمنوا من ذنوبهم «وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ» يفيئهم ويهلكهم وينقصهم. ثم عزاهم الله تعالى فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤). وذلك أنه لما قُتل عبد الله بن قميّة مصعب بن عمير، وصرخ صارخ - يقال: هو إبليس، لعنه الله - ألا إن محمداً قد قُتل. وانهزم الناس، فقال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان. وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم. وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوّل، فقال أنس بن النضر: يا قوم، إن كان قد قُتل محمد فإن ربّ محمد لم يقتل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله؟ فقاتلوا على ما قاتل عليه، وموتوا على ما مات عليه؛ ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما قال هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المنافقين - ثم قاتل حتى قُتل. ثم إن رسول الله ﷺ انطلق إلى الصخرة، وهو يدعو الناس، فانهدر إليه طائفة من أصحابه، فلامهم ﷺ على الفرار، فقالوا: يا نبيّ الله، فدينك بآبائنا وأمّهاتنا أتنا الخبر بأنك قُتلت فرُعيت قلوبنا فولّينا مدبرين. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي رجعتم إلى دينكم الأوّل الكفر ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ فيرتد عن دينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بارتداده، وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أي المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٦) قيل: الرّبّيّون الألوّف والرّبة^(١) الواحدة عشرة آلاف. وقيل: الرّبّيّون العلماء والفقهاء. وقيل: الأتباع. وقيل:

(١) الرّبة: كذا في لسان العرب. وفي الأصل: «الرّبية». ولم نعثر في المراجع التي بأيدينا على هذا اللفظ بهذا المعنى. وفي القرطبي: ٤: ٢٤٠. عن أبان بن ثعلب: «الرّبي عشرة آلاف» وعليه فربيون جمع ربي.

الرَّبَّانِيُونَ الْوَلَاةُ، والرَّبِّيُونَ الرِّعِيَّةُ. وقيل: الرَّبِّيُونَ الذين يعبدون الرَّبَّ تعالى. قال: ومعنى الآية، فما ضَعُفُوا عن الجهاد ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لما نالهم من الجراح وقتل الأصحاب، وما عجزوا بقتل نبيهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا﴾ قال قتادة والربيع: يعني ما أرتدوا عن بصيرتهم^(١) ودينهم، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بالله تعالى. قال السُّدِّي: وما ذُلُّوا. وقال عطاء: وما تضرَّعوا. وقال مقاتل: وما أَسْتَسْلَمُوا وما خضعوا لعدوهم، ولكنهم صبروا على ما أمر ربهم، وطاعة نبيهم، وجهاد عدوهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: معنى الآية ﴿قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ يعني خطايانا ﴿وُثِّتْ أَقْدَامُنَا﴾ لئلا تزول ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ يعني النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ الجنة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال علي رضي الله عنه: يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة: إرجعوا إلى إخوانكم، وأدخلوا في دينكم. ﴿يَرْدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ أي ترجعوا إلى أول أمركم الشرك ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩] أي فتصيروا مغبونين ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي ناصركم وحافظكم على دينكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ قال السُّدِّي: لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا، وقالوا: بشئ ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم؛ فلما عزموا على ذلك ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، فأنزل الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ يعني الخوف ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ﴾ أي حجة وبيانا وعذراً وبرهاناً، ثم أخبر الله تعالى عن مصيرهم، فقال: ﴿النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١] أي مقام الكافرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ اللَّهُ وَعَدَهُ﴾ قال محمد بن كعب القرظي^(٢): لما

(١) وفي تفسير الطبري عن قتادة والربيع: «نصرتهم».

(٢) محمد بن كعب: محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، مقلد، في تحديد وفاته خلاف. انظر

رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، وقد أصابهم ما أصابهم بأحدٍ قال ناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ آلَهُ وِعْدَهُ﴾ أي الذي وعد بالنصر والظفر، وهو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصِيرُوا تَتَنَقَّوْا﴾ الآية. وقول رسول الله ﷺ للرماة: «لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم» وقوله [تعالى] ^(١): ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ أي تقتلونهم قتلاً ذريعاً شديداً، وذلك عند هزيمتهم كما تقدّم. قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَغَصَبْتُمْ﴾ «فشلتُم» أي جبنتم وضعفتم «وتنزعتم» أي اختلفتم. وهو ما وقع بين الرماة، ونزول أكثرهم لتحصيل الغنيمة كما تقدّم، فكانت الهزيمة بسبب ذلك، قوله: ﴿وَمِنَ الْأُنْيَا﴾ يعني الذين تركوا المركز وأقبلوا على النهب «ومنكم من يريد الأخرى» يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير أمير الرماة حتى قتلوا. قوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي ردكم عنهم بالهزيمة «لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» أي فلم يستأصلكم بعد المعصية والمخالفة «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني ولقد عفا عنكم إذ تصعدون هاربين «وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ». ثم رجع إلى الخطاب، فقال: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ﴾ قال يقال: أصعدت إذا مضيت حيال وجهك، وصعدت إذا ارتقيت في جبل أو غيره، والإصعاد: السير في مستوى الأرض وبطون الأودية والشعاب، والصعود: الارتفاع على الجبال وغيرها. وقال المبرد: أصعد إذا أبعد في الذهاب. قال الشاعر: [من الطويل]

ألا أيهذا السائلي أين أصعدت ^(٢) فإن لها في أهل يثرب موعداً

وقال الفراء: الإصعاد الابتداء في كل سفر، والانحدار الرجوع منه. وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ يعني لا تعرجون ولا تقيمون على أحد منكم، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً وفراراً، قال الكلبي: ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ يعني محمداً ﷺ. ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانَكُمْ﴾ يعني في آخركم ومن ورائكم: إلي عباد الله، إلي عباد الله، فأننا رسول الله، من يكرّ فله الجنة. ﴿فَأْتِبَكُمْ﴾ أي فجازاكم؛ جعل الإثابة بمعنى العقاب، كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ معنى الآية: أي جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون «عَمَّا يَغْمُرُ» قال الحسن: يعني بغم المشركين يوم بدر. وقال

(١) زيادة للإيضاح.

(٢) هذا البيت من قصيدة لأعشى قيس. وفي ديوانه: «أين يمت».

غيره: غمًا على غم. وقيل: غمًا متصلًا بغم، فالغم الأول ما فاتهم من الغنيمة والظفر، والغم الثاني ما نالهم من القتل والهزيمة. وقيل: الغم الأول ما أصابهم من القتل والجراح، والغم الثاني ما سمعوا أن محمدًا ﷺ قد قتل، فأنساهم الغم الأول، وقيل: غير هذه الأقوال. والله أعلم. قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي من الفتح والغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة؛ هذا أنساكم ذلك الغم، وهمكم ما أنتم فيه عما كان قد أصابكم قبل. وقال: المفضل: «لا» صلة، معناه: لكي تحزنوا على ما فاتكم وما أصابكم عقوبة لكم في خلافكم إياه، وترككم المركز ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْقَمَرِ أَمْنَةً مُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

روى عن عبد الله بن الزبير^(١) عن أبيه، رضي الله عنهما، قال: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتدَّ الخوف علينا أرسل الله تعالى علينا النوم، والله إنني لأسمع قول معتب بن قشير والنُعاس يغشاني ما أسمعُه إلا كالحلم يقول: لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هنا، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. أمّنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف، وإنما ينعس من يأمن والخائف لا ينام. وعن أنس^(٢) عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أحد ما أرى أحداً من القوم إلا وهو يَمِيدُ تحت حَجَفَتِهِ^(٣) من النعاس. قال أبو طلحة: وكنت ممن ألقى الله تعالى عليه النعاس يومئذ، فكان السيف يسقط من يدي فأخذه، ثم يسقط السوط من يدي فأخذه من النوم. ﴿وَطَائِفَةٌ﴾ يعني المنافقين معتب بن قشير وأصحابه ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ

(١) عبد الله بن الزبير: (١ - ٥٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر، فارس قریش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. بوع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ. فجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة. انتهت بمقتل ابن الزبير بمكة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٢) أنس بن مالك: (١٠ - ٩٣ هـ = ٦١٢ - ٧١٢ م) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً وخدم رسول الله ﷺ إلى أن قبض. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. (الأعلام: ٢: ٢٤).

(٣) الحَجَفَةُ: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.

أَنْفُسُهُمْ ﴿ أَي حَمَلْتَهُمْ عَلَى الْهَمِّ ﴾ يَطْنُونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴿ أَي لَا يَنْصُرُ مُحَمَّدًا، وَقِيلَ: ظَنُّوا أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَدْ قَتَلَ. ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ ﴾ أَي كَظَنَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالشَّرْكَ ﴾ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا ﴿ أَي مَا لَنَا، لَفْظَةٌ اسْتِفْهَامٌ وَمَعْنَاهُ جَحْدٌ ﴿ مِنْ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ يَعْنِي التَّصَرُّفَ ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَوْ كَانَتْ لَنَا عَقُولٌ لَمْ نَخْرُجْ مَعَ مُحَمَّدٍ إِلَى قِتَالِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَلَمْ يُقْتَلْ رُؤَسَاؤُنَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ﴾ أَي لَخَرَجَ ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ أَي مَصَارِعِهِمْ ﴿ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ ﴾ أَي لِيُخْتَبِرَ اللَّهُ ﴿ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ ﴾ أَي يَخْرُجَ وَيُظْهِرَ ﴿ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ أَي بِمَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ ﴾ أَي انْهَزَمُوا مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ يَوْمَ أَتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾ جَمْعُ الْمُسْلِمِينَ وَجَمْعُ الْمُشْرِكِينَ ﴿ إِنَّمَا أَسْأَلُكُمْ الشَّيْطَانُ ﴾ أَي حَمَلَهُمْ عَلَى الزَّلَلِ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: زَيْنٌ لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ ﴿ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ﴾ أَي بِشَوْءٍ مِنْ ذُنُوبِهِمْ. قَالَ الْمَفْسُورُونَ: بَتَرَكْهُمْ الْمَرْكَزُ. وَقَالَ الْحَسَنُ: بِمَا كَسَبُوا قَبُولَهُمْ مِنْ إِبْلِيسَ مَا وَسَّوسَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ. ﴿ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

قوله تعالى: ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ فِي النِّفَاقِ، وَقِيلَ: فِي النَّسَبِ. ﴿ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ سَارُوا وَسَافَرُوا فِيهَا لِلتِّجَارَةِ أَوْ غَيْرِهَا فَمَاتُوا ﴿ أَوْ كَانُوا غُرَى ﴾ غُرَاةٌ فَقَتَلُوا ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴾ يَعْنِي قَوْلَهُمْ وَظَنَّهُمْ ﴿ حَسْرَةً ﴾ وَحُزْنًا ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ وَالْحَسْرَةُ: الْاِغْتِمَامُ عَلَى فَائِتٍ كَانَ يُقَدَّرُ بِلَوْغِهِ.

قال الشاعر: [من الطويل]

فوا حسرتي لم أقض منك لُبَانَتِي ولم نتمتع بالجوار وبالقرب
ثم أخبر تعالى أن الموت والحياة إلى الله سبحانه، لا يتقدمان لسفر ولا يتأخران
لحضر فقال عز وجل: ﴿ وَاللَّهُ يُمَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ أَي فِي الْعَاقِبَةِ ﴿ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٧] أَي مِنَ الْغَنَائِمِ ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٨] أَي فِي الْعَاقِبَةِ.

قوله تعالى: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ﴾ أَي سَهَلْتَ لَهُمْ أَخْلَاقَكَ، وَكَثْرَةَ احْتِمَالِكَ فَلَمْ تَسْرِعْ إِلَيْهِمْ فِيمَا كَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ أَحَدٍ ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا ﴾ أَي جَافِيًا سَيِّئًا الْخَلْقِ قَلِيلَ الْاِحْتِمَالِ. ﴿ غَلِظَ الْقَلْبُ ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: فَظًا فِي الْقَوْلِ، غَلِظَ الْقَلْبُ فِي

الفعل ﴿لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكُمْ﴾ أي لتفرقوا عنك، وأصل الفض الكسر، ومنه قولهم: لا يَفْضُضُ الله فاك. قال أهل الإشارة في هذه الآية: منه العطاء ومنه الشئ (١) ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أي عَمَّا أتوا يوم أحد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ حتى أشفعك فيهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أي استخرج آراءهم، واعلم ما عندهم، وهو مأخوذ من قول العرب: شُرِزَتِ الدابة وشورثها إذا استخرجت جريها، وعلمت خبرها، قال: ومعنى الآية وشاورهم فيما ليس عندك فيه من الله عهد، ويدل عليه قراءة ابن عباس «وشاورهم في بعض الأمر». قال الكلبي (٢): يعني فأظهرهم في لقاء العدو، ومكايذة الحرب عند الغزوة. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «وشاورهم في الأمر» قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال مقاتل وقتادة والربيع: كانت سادات العرب إذا لم يشاوروا في الأمر شق عليهم، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاورهم في الأمر، فإذا ذلك أعطف لهم عليه، وأذهب لأضغانهم، وأطيب لأنفسهم، فإذا شاورهم عليه السلام عرفوا إكرامه لهم. قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا على مشاورتهم. وقرأ جعفر الصادق وجابر بن زيد: «فإذا عزمْتُ» بضم التاء، أي عزمْتُ لك ووفقتك وأرشدتك فتوكل على الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ أي يعنكم ويمنعكم من عدوكم ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ مثل يوم بدر ﴿وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ﴾ أي يترككم ولا ينصركم. والخذلان القعود عن النصر، والإسلام (٣) للهلكة والمكره، قال: وقرأ عبيد بن عمير «وإن يُخْذِلْكُمْ» بضم الياء وكسر الذال، أي يجعلكم مخذولين، ويحملكم على الخذلان والتخاذل، كما فعلتم بأحد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي بعد خذلانه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ أي بأحد ﴿فَدَّ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ ببدر؛ وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين رجلاً، وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين، وأسروا سبعين ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ أي من أين لنا هذا القتل والهزيمة، ونحن مسلمون، ورسول الله ﷺ فينا، والوحي ينزل عليه، وهم مشركون؟ وقد تقدّم في قصة أسارى بدر خبر التخيير قتلهم أو مفاداتهم، ويقتل منهم مثلهم في العام القابل، واختيارهم الفداء، وذلك قوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي بأخذكم الفداء واختياركم

(١) المعنى: أن الله تعالى هو الذي أعطى رسوله الرحمة، وهو الذي مدحه بها.

(٢) الكلبي: هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي النسابة الكوفي المتوفى سنة ٢٠٤ على

خلاف، انظر: وفيات الأعيان: ٣: ٢٥٨، والأعلام: ٨: ٨٧.

(٣) الإسلام: من أسلمه إذا ألقاه في الهلكة.

القتل، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أي بأحد من القتل والجرح والهزيمة والمصيبة ﴿فَإِذَنْ لِلَّهِ﴾ أي بقضائه وقدره وعلمه ﴿وَلِعَلَّمِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِعَلَّمِ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ أي ليميز، وقيل: ليرى. وقيل: لتعلموا أنتم أن الله قد علم نفاقهم، وأنتم لم تكونوا تعلمون ذلك. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لأجل دين الله وطاعته ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ أي عن أهلكم وبلدكم وحريمكم، وقيل: أي كثروا سواد المسلمين وربطوا إن لم تقاتلوا، ليكون ذلك دفعاً وقمعاً للعدو ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ وهو قول عبد الله بن أبي وأصحابه الذين أنصرفوا معه، كما تقدم من خبرهم عند أتباع عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة لهم ومناشدته لهم في الرجوع. قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك أنهم كانوا يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر، فبين الله تعالى نفاقهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ قيل: في النسب لا في الدين، وهم شهداء أحد ﴿وَقَعَدُوا﴾ يعني وقعد هؤلاء القائلون عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وانصرفوا عن محمد، وقعدوا في بيوتهم ﴿مَا قُتِلُوا﴾ قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَادْرُءُوا﴾ أي فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] أن الحذر يغني عن القدر.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ لَا يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) [آل عمران: ١٦٩-١٧١]. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتسرح من الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، فلما رأوا طيب مَقِيلِهِمْ^(١) ومطعمهم ومشربهم، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة، قالوا: يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم، وما صنع الله عز وجل بنا، كي يرغبوا في الجهاد ولا ينكّلوا عنه. فقال عز وجل: أنا مخبر عنكم ومبلغ إخوانكم. ففرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآيات، إلى قوله ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال قتادة والربيع: ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: يا ليتنا

(١) مَقِيلِهِمْ: إقامتهم.

نعلم ما فعل إخواننا الذين قتلوا بأحد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وعن مسروق^(١) قال: سألنا عبد الله بن مسعود^(٢) عن هذه الآية فقال: جعل الله تعالى أرواح شهداء أحد في أجواف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش، فاطلع الله عز وجل إليهم اطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً فأزيدكموه؟ قالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثانية، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ربنا، ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا؛ ثم اطلع إليهم الثالثة، فقال: هل تشتهون من شيء فأزيدكموه؟ فقالوا: ليس فوق ما أعطيتنا شيء إلا أنا نحب أن تعيدنا أحياء، ونرجع إلى الدنيا فنقاتل في سبيلك، فنقتل مرة أخرى فيك، قال: لا؛ قالوا: فتقرىء نبيتنا منا السلام، وتخبره بأن قد رضينا، ورضي عنا؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري^(٣) قال: قُتل أبي يوم أحد، وترك علي بنات، فقال لي رسول الله ﷺ: ألا أبشرك يا جابر؟ قلت: بلى يا رسول الله؛ قال: إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله تعالى وكلمه كفاحاً^(٤)؛ فقال: يا عبد الله سلني ما شئت؛ فقال: أسألك أن تعيدني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً؛ فقال: يا عبد الله، إني قضيت ألا أعيد إلى الدنيا خليفة قبضتها؛ قال: يا رب، فمن يبلغ قومي ما أنا فيه من الكرامة؟ قال: الله تعالى: أنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقد روي أن هذه الآية نزلت في أصحاب بئر معونة؛ وقيل: في شهداء بدر. والأحاديث الواردة والأخبار تدل على أنها في شهداء أحد، والله أعلم.

(١) مسروق: مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة (.... - ٦٣ هـ = - ٦٨٣ م) تابعي، ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر. وسكن الكوفة. وشهد حروب علي. (الأعلام: ٧: ٢١٥).

(٢) عبد الله بن مسعود: (.... - ٣٢ هـ = - ٦٥٣ م) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي من أكابرهم. وهو من أهل مكة. وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة وكان خادم رسول الله ﷺ الأمين وصاحب سره. قدم المدينة في خلافة عثمان فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً. (الأعلام: ٤: ١٣٧).

(٣) جابر بن عبد الله الأنصاري: (١٦ ق هـ - ٧٨ هـ = ٦٠٧ - ٦٩٧ م) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي: صحابي من المكثرين في الرواية عن النبي ﷺ. غزا تسع عشرة غزوة وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. (الأعلام: ٢: ١٠٤).

(٤) كفاحاً: مواجهة، ليس بينهما حجاب ولا رسول.

ذكر غزوة حمراء الأسد^(١)

غزاها رسول الله ﷺ عند منصرفه من أحد، قال ابن سعد: لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مهاجره. وقال ابن إسحاق: كانت يوم الأحد لست عشرة خلت من شوال. وهذا الخلاف مرتب على ما تقدم في غزوة أحد.

قال ابن سعد وغيره: لما انصرف رسول الله ﷺ من أحد مساء يوم السبت بات تلك الليلة على بابيه ناس من وجوه الأنصار، وبات المسلمون يداوون جراحاتهم، فلما صلى رسول الله ﷺ الصبح يوم الأحد أمر بلالاً^(٢) أن ينادي أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس. فقال جابر بن عبد الله: إن أبي خلفني يوم أحد على أخوات لي، فلم أشهد الحرب، فأذن لي أسير معك؛ فأذن له، فلم يخرج معه أحد ممن لم يشهد أحداً غيره. ودعا رسول الله ﷺ بلوائه، وهو معقود لم يحل، فدفعه إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ويقال: إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وخرج رسول الله ﷺ، وهو مجروح، وحشد^(٣) أهل العوالي حيث أتاهم الصريح، فركب رسول الله ﷺ فرسه وخرج الناس معه، فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الأسد - وهي من المدينة على عشرة أميال - وهم يأترون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاتهم عن ذلك، فبصرُوا بالرجلين، فقطعوا عليهما فقتلوهما، ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد، فدفن الرجلين في قبر واحد، وكان المسلمون يوقدون تلك الليلة خمسمائة نار، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، فكبت الله تعالى عدوهم، وانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فدخلها يوم الجمعة، وقد غاب خمس ليالٍ، وكان قد استخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقال محمد بن إسحاق، ورفع الحديث إلى أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان: إن رجلاً من بني عبد الأشهل قال: شهدت أحداً مع رسول الله ﷺ، أنا وأخ

(١) كذا ضبط في الأصل، والقاموس، والطبري، وطبقات ابن سعد وفي معجم البلدان: «حمراء الأسد» بضم الهمزة، وسكون السين.

(٢) بلال الحبشي: (... - ٢٠ هـ = ... - ٦٤١ م) بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله، مؤذن الرسول ﷺ وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة، وأحد السابقين إلى الإسلام. شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال، ولم يؤذن بعد ذلك. توفي في دمشق. (الأعلام: ٢: ٧٣).

(٣) حشد أهل العوالي: أجابوا مسرعين.

لي، فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي، وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ؟ ما لنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكان إذا غلب حملته عُقبة^(١) ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

قال: وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [آل عمران: ١٧٢] هم الذين ساروا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، على ما بهم من ألم الجراح إلى قوله: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فِي يَوْمٍ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي

بعثه رسول الله ﷺ إلى قطن - وهو جبل بناحية قيد به ماء لبني أسد بن خزيمة - في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجره.

وذلك أنه بلغه ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوانهم إلى حرب رسول الله ﷺ، فبعث أبا سلمة وعقد له لواء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار، فأصابوا إبلاً وشاء^(٢)، ولم يلقوا كيداً، فأنحدر أبو سلمة بذلك كله إلى المدينة.

ذكر سرية عبد الله بن أنيس^(٣) إلى سُفيان بن خالد الهذلي

بعثه رسول الله ﷺ، فخرج من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة.

وذلك أنه بلغ النبي ﷺ، أن سُفيان بن خالد بن بُنيح الهذلي ثم اللحياني - هكذا سماه محمد بن سعد في طبقاته.

وقال ابن إسحاق: خالد بن سُفيان بن بُنيح قد جمعَ الجموعَ لرسول الله ﷺ، فبعث إليه عبد الله بن أنيس وحده فقتله وجاء برأسه. وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم. قاله ابن سعد.

(١) عُقبة: نوبة.

(٢) شاء: جمع شاة. الكيد: الحرب.

(٣) عبد الله بن أنيس: (.... - ٥٤ هـ = ٦٧٤ م) عبد الله بن أنيس، أبو يحيى، من بني وبرة، من قضاة، ويعرف بالجهني. صحابي من أهل المدينة. صلى إلى القبلتين، وشهد العقبة، رحل إلى مصر، وإفريقية، وتوفي بالشام. (الأعلام: ٤: ٧٣).

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قال عبد الله بن أنيس: دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن ابن سفيان الهذلي جمع الناس ليغزوني وهو بنخلة أو بعرة^(١) فأتته فاقتله. فقلت: يا رسول الله أنعته لي حتى أعرفه؟ قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة. قال: فخرجت متوشحاً بسيفي، حتى دفعت إليه، وهو في ظعن يرتاد لهن منزلاً، وذلك وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما قال رسول الله ﷺ، فأقبلت نحوه وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لذلك. قال: أجل، أنا في ذلك. قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه مُنكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله ﷺ، قال: أفلح الوجه، قلت: قد قتلته؛ قال: صدقت. ثم قام بي فأدخلني بيته فأعطاني عصاً، فقال: أمسك هذه العصا عندك. قال: فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ، وأمرني أن أمسكها عندي؛ فقالوا: أفلا ترجع إليه فتسأله لم ذلك؟ قال: فرجعت إليه فقلت: يا رسول الله، لِمَ أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخضرون^(٢) يومئذ، قال: ففقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضُمَّت في كفنه، ثم دُفِنَا جميعاً.

قال ابن هشام: وقال عبد الله بن أنيس في ذلك: [من الطويل]

تركت ابن ثور كالحوار وحولَه	نوائح تُفري كلَّ جنبٍ مُقدَد ^(٣)
تناولته والظعن خلفي وخلفه	بأبيض من ماء الحديد مُهند ^(٤)
عجوم إلهام الدارعين كأنه	شهاب غضى من مُلهب مُتوقد ^(٥)
أقول له والسيف يعجم رأسه	أنا ابن أنيس فارساً غير قُعد ^(٦)

(١) عرة: قال في المواهب اللدنية: موضع بقرب عرفة أو قرية بوادي عرفة.

(٢) المتخضرون: المتوكلون على المخاصر، وهي العصي، واحداً منها مخصرة.

(٣) الحوار: ولد الناقة. تفري: تقطع.

(٤) أبيض: سيف. مهند: مطبوع من حديد الهند.

(٥) عجوم: عضوض. إلهام: الرؤوس. الشهاب: القطعة من النار. الغضى: شجر خشبه من أجود

الوقود.

(٦) القعد: الجبان اللثيم، القاعد عن المكارم.

أنا ابنُ الذي لم يُنزل الدهر قِدرَه رَجِيبُ فِناءِ الدَّارِ غيرُ مُزْنَدٍ^(١)
 فقلت له خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَاجِدٍ حَنِيفٍ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ^(٢)
 وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ^(٣)

ذِكْرُ سَرِيَةِ الْمُنْذَرِ بْنِ عَمْرِو السَّاعِدِيِّ^(٤) إِلَى بَثْرِ مَعُونَةٍ

كانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجره .
 وذلك أن عامر بن مالك بن جعفر أبو براءٍ ملاعب الأسنة^(٥) الكلابي وفد على رسول الله ﷺ، فأهدى^(٦) له فلم يقبل منه، وعرض عليه الإسلام فلم يُسلم، ولم يتَّعُد، وقال: لو بعثت معي نفراً من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك .
 قال: أخاف عليهم أهل نجد؛ قال: أنا لهم جار . فبعث معه رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من الأنصار شبيبة^(٧) يسمون القراء^(٨)، وأمر عليهم المنذر بن عمرو، فساروا حتى نزلوا بثر معونة - وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم . كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب - فلما نزلوها سرحوا ظهرهم، وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ، إلى عامر بن الطفيل^(٩)، فوثب على حرام فقتله؛ واستصرخ

(١) المزند: الضيق، البخل .

(٢) الحنيف: الذي مال عن دين الشرك إلى دين الإسلام .

(٣) هم بكافر: قرر معاقبته .

(٤) المنذر بن عمرو: (.... هـ - ٤٤ هـ = - ٦٢٥ م) المنذر بن عمرو بن خنيس الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، أحد نقباء النبي ﷺ الاثني عشر، شهد العقبة وبدراً، واستشهد يوم «بثر معونة» . (الأعلام: ٧: ٢٩٤) .

(٥) الأسنة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، وسمي ملاعب الأسنة لأن أخاه طفيلاً الذي كان يقال له: فارس قرزل، أسلمه وفرّ في يوم سويان، وهو يوم كان بين قيس وتميم، فقال شاعر:
 فررت وأسلمت ابن أملك عامراً
 يلعب أطراف الوشيح المزعزع
 فسمي ملاعب الرماح، وملاعب الأسنة .

(٦) في رواية أنه أهدى إلى النبي ﷺ فرسين وراحتين فقال ﷺ لا أقبل هدية مشرك .

(٧) شبيبة: شبان .

(٨) سموا القراء لأنهم كانوا أكثر قراءة من غيرهم، وفي شرح المواهب: أنهم كانوا يصلون بعض الليل، ويدرسون بعضه، ويحتطبون، ويبيعون بعضه يشترون به طعاماً لأهل الصفة والفقراء . وبعضه يأتون به الحجر الشريفة .

(٩) عامر بن الطفيل: (٧٠ ق هـ - ١١ هـ = ٥٥٤ - ٦٣٢ م) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري . فارس قومه، وأحد فتاك العرب، وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية، كنيته أبو علي، ولد ونشأ بنجد . أدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله ﷺ وهو في المدينة، بعد فتح مكة، يريد =

عليهم بني عامر فأبوا، وقالوا: لا نُخَفِّرُ^(١) جوار أبي براء، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم، عُصَيَّة ورِعْلًا وذُكْوَان، فنفروا معه. واستبطن المسلمون حراماً، فأقبلوا في أثره، فلقى القوم فأحاطوا بهم، وكاثروهم^(٢) فاقتتلوا، فقتل أصحاب رسول الله ﷺ، وفيهم سليم بن ملحان والحكم بن كيسان.

قال ابن إسحاق: فقتلوا من عند آخرهم إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار فإنهم تركوه، وبه رمق بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق. قال: وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار - قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح - فلم يبنهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إن لهذا الطير لشأناً؛ فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، والخيال التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فنخبره الخبر؛ قال الأنصاري: ما كانت لأرغب بنفسي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذ عمرو بن أمية أسيراً، فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل، وجز ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة^(٣) من صدر قناة^(٤) أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه، وكان معهما عقد من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو، فأمهلها حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلها، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال محمد بن سعد: وقدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ، فأخبره بقتل أصحاب بئر معونة، فقال ﷺ: «أبئت من بينهم!» ثم أخبره بقتل العامريين، فقال: «بئس ما صنعت، قد كان لهما مني أمان وجوار، لأديئهما!» وبعث بديئتهما إلى قومهما، وقتل رسول الله ﷺ شهراً في صلاة الصبح يدعو على رِعْلٍ وذُكْوَان وعُصَيَّة وبني لحيان.

= الغدر به، فلم يجرؤ. كان أعور، أصيبت عينه في إحدى وقائعه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر. انظر (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

- (١) لا نخفر: لا ننقض.
- (٢) كاثروهم: كانوا أكثر منهم.
- (٣) هي قرقرة القدر، قال الواقدي: موضع بناحية المعدن، قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد. وقال غيره: ماء لبني سليم (راجع معجم البلدان في كدر).
- (٤) قناة: وادٍ يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وقرقرة الكدر.

وروي عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قرأنا بهم قرآنًا زماناً، ثم إن ذلك رفع أو نسي: «بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنها وأرضاها»، وقال أنس ابن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد^(١) على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة.

قال ابن سعد: وجاء رسول الله ﷺ، في تلك الليلة التي وصل إليه فيها خبر أصحاب بئر معونة مصابٌ خبيب بن عدي ومن معه، فدعا رسول الله ﷺ على قتلهم بعد الركعة من الصبح، فقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف، اللهم عليك ببني لحيان وعَصَل والقارة وزِغِب ورِعل وذُكوان وعُصَيَّة، فإنهم عصوا الله ورسوله».

ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى الرجيع

كانت في صفر على رأس سنة وثلاثين شهراً من هجرة رسول الله ﷺ.

وذلك أنه قدم على رسول الله ﷺ، رهط من عَصَل والقارة، وهم إلى الهون بن خزيمة، فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يفقهونا، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام. فبعث ﷺ معهم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي، وخبيب بن عدي؛ وزيد بن الدثنة، وخالد بن البكير الليثي، وعبد الله بن طارق، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله^(٢) لأمه. وأمر عليهم عاصماً، وقيل: مرثداً، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز - غدروا بهم واستصرخوا عليهم هذياً، فلم يزع القوم، وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوه، فأخذوا أسياهم ليقاتلوا، فقالوا: إنا ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، ومعتب بن عبيد؛ فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً. وقاتلوا حتى قتلوا، رضي الله عنهم. وأما زيد بن الدثنة وخبيب بن عدي، وعبد الله بن طارق، فرغبوا في الحياة فأعطوا بأيديهم فأسروهم، ثم خرجوا بهم إلى مكة لبيعوهم بها، حتى إذا كانوا بمر^(٣) الظهران انتزع عبد الله بن طارق يده من القرآن^(٤)، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم،

(١) وجد: حزن.

(٢) هو عبد الله بن طارق كما في الطبقات.

(٣) مر الظهران: الظهران، وإد قرب مكة، وعنده قرية يقال له: مر، تضاف إلى هذا الوادي، فيقال: مر الظهران. (معجم البلدان).

(٤) القرآن: الحبل الذي يشد به الأسيران.

فرموه بالحجارة حتى قتلوه؛ بقبر هناك. وأما خبيب بن عدي وزيد بن الدثنة فقدما بهما مكة فأباعوهما^(١) من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة فابتاع خبيبا حُجر بن أبي إهاب التميمي، حليف بني نوفل، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بأبيه. وابتاع زيد بن الدثنة صفوان بن أمية، ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعثه مع مولى له يقال له: نسطاس؛ إلى التنعيم^(٢)، فأخرجوه من الحرم ليقتله، واجتمع لذلك رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أئشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن مكانك تضرب عنقه، وأنت في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً؛ ثم قتله نسطاس. وأما خبيب بن عدي فرُوي عن ماوية^(٣) مولاة حُجر بن أبي إهاب. وكانت قد أسلمت، قالت: كان خبيب قد حبس في بيتي، فقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لِقِطْفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه، وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل، قالت: وقال لي حين حضره القتل: ابعني إليّ بحديدة أتطهر بها للقتل؛ فأعطيت غلاماً من الحيّ الموسى، فقلت له: ادخل بها على هذا الرجل؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن قد ولّى الغلام بها إليه؛ فقالت: ما صنعت! أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام، فيكون رجلاً برجل؛ فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال: لعمرك ما خافت أمك غدرتي حتى بعثتك بهذه الحديدة! ثم خلى سبيله. ويقال: إن الغلام ابنها.

قال ابن إسحاق: ثم خرجوا بخبيب، حتى إذا جاءوا به التنعيم ليصلبوه قال: إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا. قالوا: دونك فاركع ركعتين، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما، ثم أقبل على القوم فقال: أما والله لولا أن تظنوا أنني إنما طوّلت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة، فكان خبيب أول من سنّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين. قال: ثم رفعوه على خشبته، فلما أوثقوه، قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يُصنع بنا؛ ثم قال: اللهم أحصهم^(٤) عدداً، واقتلهم بدداً^(٥)، ولا تغادر منهم أحداً. ثم قتلوه، رحمه الله ورضي عنه.

(١) أباعوهما: عرضوهما للبيع.

(٢) التنعيم: موضع بمكة.

(٣) كذا في الأصول: وفي روايات كثيرة: «ماوية».

(٤) احصهم عدداً: أهلكهم واستأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد.

(٥) بدداً: في الأصول: «مددا» وهو تحريف. والمعنى أقتلهم واحداً بعد واحد، من التبديد.

قال ابن هشام: أقام خبيب في أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم، ثم قتلوه.
وروى ابن إسحاق أنه قال حين صلب^(١): [من الطويل]

لقد جَمَعَ الأحزابُ حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع^(٢)
وقد قَرَّبُوا أبناءهم ونساءهم وقُرِّبْتُ من جذع طويل مُمنع
وكلهم يُبدي العداوةَ جاهداً عليّ لأنني في وثاق بمضيع^(٣)
إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما جَمَعَ الأحزاب لي عند مضرعي
فذا العرش صَبَرَنِي على ما أصابني فقد بَضَعُوا الحمى وقد ضَلَّ مَطْمَعِي^(٤)
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلْوٍ مُمزع^(٥)
وقد عَرَضُوا بالكفر والموتُ دونه وقد دَرَفْتُ عيناى من غير مَدْمَع^(٦)
وما بي حِذارُ الموتِ، إني لميْتُ ولكن حذارى حرُّ نارٍ تُلْفَع^(٧)
فلست بمبدٍ للعدوِّ تَخْشَعاً ولا جَزَعاً إني إلى الله مرجعي
ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلماً على أي حال كان في الله مضجعي
وفي رواية ابن شهاب^(٨):

* على أي جنب كان في الله مصرعي *

قالوا: وُصِّلَ بالتَّنعيم، وكان الذي تولى صلبه عقبة بن الحارث، وأبو هبيرة العدوي^(٩).

(١) قال ابن هشام: «بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له».

(٢) ألبوا: جمعوا وحضوا.

(٣) ويروى البيت:

وكلهم مبدى العداوة جاهداً عليّ لأنني في وثاق مضيع

(٤) بضعوا: قطعوا. (٥) أوصال: أعضاء. شلو: جسد.

(٦) ذكر هذا البيت في سيرة ابن هشام، وفي المواهب اللدنية كما يأتي:

وقد خيروني الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع

(٧) كذا في الأصول، وعليه فهي تتلفع بحذف إحدى التائين أي تشتمل، يقال: تلفع بالثوب إذا اشتمل به، وفي ابن هشام والمواهب: «جحم نار ملفع» والجحم: الملتهب، ومنه الجحيم.

(٨) ابن شهاب: (٣٣٥ - ٤٢٨ هـ = ٩٤٦ - ١٠٣٧ م) الحسن بن شهاب بن الحسن بن علي بن شهاب العكبري، أبو علي، نساخ، من العلماء العارفين بالعلم والأدب، من أهل عكبرا مولداً ووفاة. (الأعلام: ٢: ١٩٣).

(٩) راجع شعر حسان بن ثابت في بكاء خبيب في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦، طبع الحلبي.

ذكر غزوة بني النضير

غزاهم رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول، سنة أربع، على رأس سبعة وثلاثين شهراً من مهاجره.

وكان سبب هذه الغزوة على ما حكاه محمد بن سعد، ومحمد بن إسحاق، وعبد الملك بن هشام، دخل حديث بعضهم في بعض، أن رسول الله ﷺ، خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية الكلابيين أو العامريين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك بما أحببت. وكان رسول الله ﷺ، قد جلس إلى جنب جدار من بيوتهم، وهو في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، رضوان الله عليهم، فخلا بعض بني النضير إلى بعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدهم، فقال: أنا لذلك؛ فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما همتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه. وجاء رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فنهض مسرعاً كأنه يريد الحاجة فتوجه إلى المدينة، فلما أبطأ على أصحابه قاموا في طلبه، فلحقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه ﷺ، فقال: رأيته قد دخل المدينة. فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أتوه، فقالوا: يا رسول الله، قمت ولم نشعر. قال: همّت يهود بالغدر فأخبرني الله بذلك فقامت. ثم بعث رسول الله ﷺ إليهم محمد بن مسلمة: «أن اخرجوا من بلدي فلا تسكنوني بها، وقد هممت بما هممت به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً أي من الأيام فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه». فمكثوا أياماً يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر^(١) وتكاروا^(٢) إبلاً من ناس من أشجع، فأرسل إليهم عبد الله بن أبي: أن أقيموا في حصونكم، ولا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصنكم فيموتون من عند آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان. ووافقه على ذلك وديعة بن مالك بن أبي قوئل^(٣)، وسويد وداعس، وقالوا لهم: إن قوتلتهم نصرناكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فطمع حبي بن أخطب فيما قال ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله ﷺ، فكبر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربت يهود، واستخلف على المدينة

(١) ذو جدر: مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء.

(٢) تكاروا: استأجروا.

(٣) كذا في الأصل، وفي المواهب، والروض الأنف. وفي الطبري: «ووديعة ومالك بن أبي قوئل».

ابن أم مكتوم، وسار في أصحابه، وعلي بن أبي طالب يحمل لواءه، فصلى العصر بفناء بني النضير، فلما رأوه تحصنوا بحصونهم، وقاموا عليها معهم النبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة فلم تُعنهم، وخذلهم عبد الله بن أبي ومن وافقه فلم ينصروهم، فحاصرهم رسول الله ﷺ ست ليال، ثم أمر بقطع النخيل وتحريقها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها! وكان الله عز وجل أمر رسوله ﷺ بذلك، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وقالوا: نخرج من بلادك. فقال: لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها، ولكن دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة^(١). فنزلوا على ذلك.

وكانت مدة حصرهم خمسة عشر يوماً، وولي إخراجهم محمد بن مسلمة، فحملوا النساء والصبيان وتحملوا على سبعمئة بعير، وكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(٢) بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان من أشرفهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وخي بن أخطب، فقال رسول الله ﷺ: هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش. وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً، وقبض رسول الله ﷺ الأموال والحلقة، فوجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة سيف وأربعين سيفاً، وكانت بنو النضير صفياء^(٣) لرسول الله ﷺ، خالصة له حبساً^(٤) لنوائبه، لم يخمسها ولم يُسهم منها لأحد، إلا أنه أعطى ناساً من أصحابه، ووسع في الناس، فكان ممن أعطاه رسول الله ﷺ من المهاجرين أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أعطاه بئر حجر، وعمر بن الخطاب، بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سواة، وصهيب بن سنان^(٥)، الصراطة، والزبير بن العوام وأبو سلمة بن عبد الأسد البؤيلة^(٦)، وسهل بن حنيف وأبو دجانة مالا، يقال له: مال ابن خرشة، حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

(١) الحلقة: الدروع، وقيل السلاح كله، وهو المراد هنا.

(٢) النجاف: العتية.

(٣) صفياء: مختارة.

(٤) حبساً: وقفاً.

(٥) صهيب بن سنان: (٣٢ ق هـ ٣٨ هـ = ٥٩٢ - ٦٥٩ م) صهيب بن سنان بن مالك من بني النمر بن قاسط صحابي من أرمى العرب سهماً. وهو أحد السابقين إلى الإسلام كان أبوه من أشرف الجاهليين. أسلم ولم يتقدمه غير بضعة وثلاثين رجلاً، شهد بدرًا وأحداً والمشاهد كلها. انظر (الأعلام: ٣: ٢١٠).

(٦) البؤيلة: مكان معروف بين المدينة وبين تيماء من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب. ويقال لها أيضاً: «البؤيرة»، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٩٩.

قال: ولما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، قال: امضوا فإن هذا أول الحشر وإنا على الأثر.

وأُنزل الله عز وجل في بني النضير سورة «الحشر» بكمالها.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَكْفُلِي الْآبَصِرُ ﴿١﴾﴾ [الحشر: ٢].

قال الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري^(١)، رحمه الله: «أهل الكتاب» بنو النضير «مِنْ دِيَارِهِمْ» التي كانت بيثرب «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» قال الزهري: كانوا من سبط^(٢) لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا، قال: وكانوا أول حشر في الدنيا حشر^(٣) إلى الشام. وقال الكلبي: إنما قال: «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» لأنهم أول من حُشِر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز. وقال مرة الهمداني: كان هذا أول الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر، وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه. وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والحشر الثاني: نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيلُ^(٤) معهم حيث قالوا، وتَأْكُلُ منهم من تخلف. «ما ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون «أَنْ يَخْرُجُوا» من المدينة «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ». حيث دربوها وحصنها «فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ» أي أمر الله وعذابه «مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» قيل: بقتل سيدهم كعب بن الأشرف^(٥). «يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ» قال ابن إسحاق: وذلك لهدمهم

(١) أحمد بن محمد الثعلبي: (.... - ٤٢٧ هـ = - ١٠٣٥ م) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق: مفسر من أهل نيسابور له اشتغال بالتاريخ. (الأعلام: ١: ٢١٢).

(٢) السبط: ولد الولد. والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب.

(٣) كذا في الأصول، ولعل صواب العبارة كما في القرطبي: «وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام».

(٤) تقيل: من القائلة، وهي الظهيرة (اللسان: قيل).

(٥) كعب بن الأشرف: (.... - ٣ هـ = - ٦٢٤ م) كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بني النضير. فدان باليهودية كان يقيم في حصن له قرب المدينة ما زالت بقاياه إلى اليوم... أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثر من هجو النبي ﷺ وأصحابه. خرج إلى مكة، بعد وقعة بدر، فندب قتلى قريش فيها، وحض على الأخذ بثأرهم، وعاد إلى المدينة. وأمر النبي ﷺ بقتله. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

بيوتهم عن نُجُف أبوابهم. وقال ابن زيد: كانوا يقتلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران ويقلعون الخشب، حتى الأوتاد، يخبونها لئلا يسكنها المسلمون حسداً منهم وبغضاً. وقال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل، وجعل أعداء الله ينقبون دورهم من أدبارهم فيخرجون إلى التي بعدها، فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم منها، ويرمون بالتي خرجوا منها أصحاب رسول الله ﷺ. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من باطنها، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الآية. «الجلَاء» عن الوطن ﴿لَعَذَّبُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل وبالسَّبي كما فعل ببني قريظة ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١) [الحشر: ٣، ٤].

قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥] قال ابن إسحاق: اللينة: ما خالف العجوة من النخل. وقال ابن هشام: ما لم تكن بَرْزِيَّةً (٢)، ولا عجوة. وقال عكرمة وزيد بن رومان وقاتدة: النخل كله لينة ما خلا العجوة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، اللينة: النخلة والشجرة. وقال سفيان: هي كرام النخل. وقيل: هي النخلة القريبة من الأرض. وقال مقاتل: هو ضرب من النخل، يقال لثمرها: اللون، وهو شديد الصفرة، يرى نواه من خارج، يغيب فيه الضرس، وكان من أجود ثمرهم وأعجبها إليهم، وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف (٣)، وأحب إليهم من وصيف، فلما رأوا ذلك يقطع شق عليهم. وقال: وجمع اللينة لين. وقيل: لِيَان (٤).

قال الثعلبي: لما نزل رسول الله ﷺ ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا: يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخيل، وعقر الشجر؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي ﷺ، ووجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فساداً، واختلف المسلمون في ذلك، فقال بعضهم: لا

(١) شاقوا الله: عادوه وخالفوا أمره.

(٢) البرنية: واحدة البرني، وهو ضرب من التمر، أصفر، مدور، وهو أجود التمر.

(٣) الوصيف: العبد، الخادم.

(٤) في الأصل: «ليان». وفي لسان العرب. جمع اللينة، لين ولون وليان.

تقطعوا، فإنه مما أفاء الله علينا. وقال بعضهم: بل نغيظهم بقطعها، فأنزل الله تعالى الآية بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطع من الإثم، وأخبر أن قطعه وتركه بإذنه تعالى.

وفي قطع نخيل بني النضير يقول حسان بن ثابت: [من الوافر]

وهان على سِراة بني لُؤي حريقٌ بالبؤيرة مستطيرٌ

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي وليذل اليهود ويخزيهم ويغيظهم. قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦] «أفاء الله» أي رد على رسوله ورجع إليه، ومنه فيء الظل منهم أي من بني النضير من الأموال «فَمَا أَوْجَفْتُمْ أَوْضَعْتُمْ»^(١) «عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» وهي الإبل، يقول: لم تقطعوا إليها شقة، ولم تنالوا فيها مشقة، ولم تكلفوا مؤنة^(٢)، ولم تلقوا حرباً. وإنما كانت بالمدينة فمشوا إليها مشياً، ولم يركبوا خيلاً ولا إبلًا إلا النبي ﷺ، فإنه ركب حملاً فافتتحها صلحاً، وأجلاهم عنها وخزن أموالهم فسأل المسلمون النبي ﷺ القسمة، فأنزل الله عز وجل الآية، فجعل أموال بني النضير خاصة لرسول الله ﷺ، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة، وهم أبو دُجانة سِمَاك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمة. قال: ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان، أحدهما سفيان بن عمير بن وهب، والثاني سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها. روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إن أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خالصاً، فكان رسول الله ﷺ، ينفق على أهله منه نفقة سنته، وما بقي جعله في الكراع^(٣) والسلاح عُدّة في سبيل الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: القرى هي قريظة والنضير، وهما بالمدينة، وفدك، وهي في المدينة على ثلاثة أميال، وخيبر، وقرى عُرينة، ويتبع جعلها الله تعالى لرسوله ﷺ، يحكم فيها ما

(١) أوضعتهم: أسرعتهم.

(٢) المؤنة: القوت.

(٣) الكراع: جماعة الخيل.

أراد، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسمها؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية. قال: «والقريب» قرابة رسول الله ﷺ، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب. وقوله: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» أي بين الرؤساء والأغنياء والأقوياء، فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس رُبْعها لنفسه، وهو المِزْبَاع، ثم يصطفي منها أيضاً بعد المِزْبَاع ما شاء، وفيه يقول شاعرهم: [من الوافر]

لك المِزْبَاع منها والصِّفايا وحكمك والنَّشِيطَةُ والْفُضُول^(١)

فجعل الله تعالى هذا^(٢) لرسوله عليه السلام يقسمه في المواضع التي أمر بها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا خِزْيًا وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ﴾ من الغلول وغيره «فانتهاوا».

قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ يعني كي لا يكون ما أفاء الله على رسوله دولة بين الأغنياء منكم ولكن يكون: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] أي في إيمانهم. قال قتادة: هم المهاجرون الذين تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ورسوله، واختاروا الإسلام على ما كانت فيه من شديدة، حتى ذكر لنا أن الرجل كان يغصب الحجر على بطنه ليقيم به صُلبه^(٣) من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة^(٤) في الشتاء ما له دثار غيرها.

وعن سعيد بن جبيرة^(٥)، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، قالوا: كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة، يحج عليها ويغزو، فنسبهم الله تعالى إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهماً في الزكاة.

(١) النشيطة: ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل البلوغ إلى الموضع الذي قصدوه. الفضول: ما فضل من الغنائم حين تقسم.

(٢) زيادة عن القرطبي، يتطلبها المعنى.

(٣) صلبه: جذعه.

(٤) الحفيرة: الحفرة الواسعة.

(٥) سعد بن جبيرة: (٤٥ - ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) سعيد بن جبيرة الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق وهو حبشي الأصل. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. ولما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج فقتله بواسط. (الأعلام: ٣: ٩٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩] قال: قوله: «تَبَوَّءُوا» توطنوا «الدَّارَ» اتخذوا المدينة دار الإيمان والهجرة، وهم الأنصار، أسلموا في ديارهم وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي ﷺ، فأحسن الله الثناء عليهم. وقوله: «مِنْ قَبْلِهِمْ» أي من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقد آمنوا «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً» أي حزاة وغيطاً وحسداً «مِمَّا أُوتُوا» أي مما أعطى المهاجرين من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ، قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا الثلاثة الذين ذكرناهم، فطابت أنفس الأنصار بذلك «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» إخوانهم من المهاجرين بأموالهم ومنازلهم «وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أي فاقة وحاجة إلى ما يؤثرون، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ يوم النضير للأنصار: «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم عليكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولم نشاركهم فيها». فأنزل الله عز وجل «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠] قال ابن أبي ليلي^(١): الناس على ثلاث منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تكون خارجاً من هذه المنازل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله عز وجل بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد عليه السلام فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

(١) ابن أبي ليلي: (٧٤ - ١٤٨ هـ = ٦٩٣ - ٧٦٥ م) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي يسار (وقيل: داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي. قاضٍ فقيه من أصحاب الرأي. مات بالكوفة. (الأعلام: ٦: ١٨٩).

الْكِتَابِ لَيْنٌ أُخْرِجْتُمْ لَخُرُوجِ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَيْنٌ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنٌ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْنٌ نَّصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْآذِينَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ [الحشر: ١١-١٣] نزلت هذه الآيات في شأن عبد الله بن أبي ومن وافقه في إرسالهم لبني النضير وقعودهم عنهم، كما تقدم آنفاً، وقوله: «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» يقول: يرهبونكم أشد من رهبتهم الله تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».

قوله تعالى: ﴿لَا يُقْبِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ ^(١) بِأَسْهُمَ يَنْتَهُمُ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤] أعلم الله تعالى المؤمنين أن اليهود لا يبرزون لهم بالقتال، ولا يقاتلونهم إلا في قري محصنة، أو من وراء جدار «بِأَسْهُمَ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» يعني بعضهم فظاً على بعض، وبعضهم عدو لبعض، وعداوتهم بعضهم بعضاً شديدة. وقيل: بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد، فإذا خرجوا لكم فهم أجبن خلق الله. «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» قال قتادة: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم، مختلفة شهاداتهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق. وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود. «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الحشر: ١٥] يعني مثل هؤلاء اليهود «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» وهم مشركو مكة «ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» يوم بدر. قال مجاهد ^(٢) وقال ابن عباس: يعني بني قينقاع؛ وقيل: مثل قريظة كمثلي بني النضير، ثم ضرب مثلاً للمنافقين واليهود في تخاذلهم فقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦] وهي قصة برصيصا العابد مع الشيطان.

ذكر قصة برصيصا

روى أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي بسند يرفعه إلى ابن عباس، رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ الآية. قال:

(١) في الأصل: «جدار». وهي قراءة ابن عباس: ومجاهد، وابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو.
(٢) مجاهد: (٢١ - ١٠٤ هـ = ٦٤٢ - ٧٢٢ م) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسر، من أهل مكة، أخذ التفسير عن ابن عباس. تنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة. ويقال: إنه مات وهو ساجد. (الأعلام: ٥: ٢٧٨).

كان راهب في الفترة يقال له برصيصا، وقد تعبد في صومعة له سبعين سنة، لم يعص الله فيها طرفة عين، وإن إبليس أعياه في أمره الحيل، فلم يستطع له بشيء فجمع ذات يوم مردة الشياطين، فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض، وهو صاحب الأنبياء، وهو الذي تصدى لرسول الله ﷺ، وجاءه في صورة جبريل ليوسوس إليه على وجه بالوحي، فجاء جبريل حتى دخل بينهما، فدفعه بيده دفعة هينة، فوقع من دفعة جبريل إلى أقصى الهند، فقال الأبيض لإبليس: أنا أكفيك. فانطلق فتزين بزينة الرهبان، وحلق وسط رأسه، ثم مضى حتى أتى صومعة برصيصا، فناداه فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفثل عن صلاته إلا في عشرة أيام، ولا يفطر إلا في عشرة أيام، فكان يواصل الصوم الأيام العشرة والعشرين والأكثر، فلما رأى الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته، فرأى الأبيض قائماً منتصباً يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان، فلما رأى ذلك من حاله تدبر في نفسه حين لَهَى عنه فلم يجبه. فقال له: إنك ناديتني وكنت مشغولاً عنك فحاجتك؟ قال: حاجتي أنني أحببت أن أكون معك فأتأدب بك، وأقتبس من علمك، ونجتمع على العبادة، فتدعو لي وأدعو لك؛ قال: إني لفي شغل عنك، فإن كنت مؤمناً فإن الله عز وجل سيجعل لك فيما أدعوه للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، فأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت إليه برصيصا أربعين يوماً بعدها، فلما انفتل رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده، وكثرة تضرعه وابتهاله إلى الله عز وجل كلمه، وقال له: حاجتك؟ قال: حاجتي أن تأذن لي فأرتفع إليك، فأذن له، فارتفع في صومعته، فأقام الأبيض معه حولاً يتعبد، لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً، ولا ينفثل عن صلاته إلا في كل أربعين يوماً مرة، وربما مدّ إلى الثمانين؛ فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت^(١) إليه نفسه، وأعجبه شأنه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق، فإن لي صاحباً غيرك، ظننت أنك أشدّ اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي رأيت. قال: فدخل على برصيصا أمر عظيم، وكره مفارقتة للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودعه قال له الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن، فهن خير لك مما أنت فيه، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي والمجنون؛ قال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، وإنني أخاف إن علم بهذا الناس شغلوني عن العبادة، فلم يزل به الأبيض حتى علمه. ثم انطلق حتى أتى إبليس فقال: قد والله أهلك الرجل. قال: فانطلق الأبيض

(١) تقاصرت نفسه: تضاءلت.

فتعرض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطيب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجوه؟ فقالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جثيته، ولكنني سأرشدكم إلى من يدعو الله فيعافى؛ فقالوا له: دلنا. قال: انطلقوا إلى برصيصا، فإن عنده اسم الله الذي إذا دعى به أجاب. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان. وكان يفعل الأبيض بالناس مثل هذا الذي فعل بالرجل، ثم يرشدهم إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون. قال: فانطلق الأبيض فتعرض لجارية من بنات الملوك بين ثلاثة إخوة، وكان أبوهم ملكاً فمات فاستخلف أخاه، وكان عمها ملك بني إسرائيل، فعذبها وخنقها، ثم جاء إليهم في صورة رجل متطيب، فقال لهم: أعالجها؟ قالوا: نعم. فعالجها فقال: إن الذي عرض لها مارد لا يُطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تدعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، حتى تعلموا أنها قد عوفيت وتردونها^(١) صحيحة، قد ذهب عنها شيطانها؛ قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا؛ قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا ويجيبنا إلى هذا؟ هو أعظم شأناً من ذلك. قال: انطلقوا وابتنوا صومعة إلى جانب صومعته حتى تشرفوا عليه، ولتكن هذه الصومعة التي تبنون لزيقة صومعته، فإن قبلها وإلا تضعونها^(٢) في صومعتها، ثم قولوا له: هي أمانة عندك، فاحتسب فيها. قال: فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فأبى عليهم، فبنوا صومعة على ما أمرهم الأبيض، ثم اطلعوا عليه ووضعوا الجارية في صومعتها، وقالوا له: يا برصيصا، هذه أختنا قد عرض لها عدو من أعداء الله، فهي أمانة عندك فاحتسب فيها. ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا عن صلاته عاين تلك الجارية وما بها من الجمال، فأسقط^(٣) في يده، ودخل عليه أمر عظيم، قال: فجاءها الشيطان فخنقها؛ فلما رأى برصيصا ذلك انفتل عن صلاته، فدعا بتلك الدعوات، فذهب عنها الشيطان، ثم أقبل على صلاته، ثم جاءها الشيطان فخنقها، وكان يكشف عن نفسها ويتعرض [بها]^(٤) لبرصيصا، وجاءه الشيطان، فقال: ويحك! واقعها فلن تجد مثلها، فستتوب بعد، فتدرك ما تريد من الأمر الذي تريد، فلم يزل به حتى واقعها، فافترشها، فلم يزل على ذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها، فقال له الشيطان: ويحك! قد افتضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟ فإن سألوك فقل: جاء شيطانها فذهب بها ولم أقو عليه. قال: ففعل. فقتلها ثم انطلق بها فدفنها إلى جانب الجبل، فجاءه

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «تردونها صحيحة، وقد ذهب عنها شيطانها»، بتأخير الواو.

(٢) كذا في الأصل. ورفع الجزاء هنا جائز على ضعف.

(٣) أسقط في يده: تحير.

(٤) الزيادة من تفسير القرطبي (١٨ - ٣٨).

الشیطان وهو یدفنها لیلاً فأخذ بطرف إزارها، فبقي طرف إزارها خارجاً في التراب، ثم رجع برصيصاً إلى صومعته وأقبل على صلاته، فجاء إخوتها يتعاهدون أختهم، وكانوا يجيئون في بعض الأيام يسألون عنها، ويطلبون إلى برصيصا ويوصونه بها، فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت بأختنا؟ قال: جاء شيطانها فذهب بها ولم أطقه. قال: فصذقه وانصرفوا. فلما أمسوا وهم مكروبون^(١)، جاء الشيطان إلى كبيرهم في المنام، فقال له: ويحك! إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا وكذا. فقال الأخ: هذا حلم وهو من عمل الشيطان، برصيصا خير من ذلك. قال: فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر، فانطلق إلى الأوسط بمثل ذلك، فقال الأوسط مثلما قال الأكبر، فلم يخبر به أحداً، فانطلق إلى أصغرهم بمثل ذلك، فقال أصغرهم لإخوته: والله لقد رأيت كذا وكذا. فقال الأوسط: وأنا والله لقد رأيت مثله. وقال الأكبر: وأنا والله لقد رأيت كذا وكذا، فانطلقوا بنا إلى برصيصا؛ فأتوه، فقالوا: يا برصيصا، ما فعلت أختنا؟ قال: أليس قد أعلمتكم بحالها وحال شيطانها! فكأنكم اتهمتموني. فقالوا: لا والله لا نتهمك. فاستحيوا منه وانصرفوا عنه، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم! إنها لمدفونة في موضع كذا، وإن طرف إزارها خارج من التراب. قال: فانطلقوا فرأوا أختهم على ما رأوا في نومهم، قال: فمشوا في مواليمهم، ومواليهم معهم الفؤس والمساحي^(٢)، فهدموا صومعته وأنزلوه ثم كتفوه وانطلقوا به إلى الملك، فأقر على نفسه؛ وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تكابر، يجتمع عليك أمران قتل ومكابرة، اعترف. فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة، فلما صلب أتاه الأبيض عياناً، وذلك أن إبليس لعنه الله، قال للأبيض: وما يغني عنك ما صنعت؟ إن قُتل فهو كفارة لما كان منه. فقال الأبيض: أنا أكفيكه. فأتاه فقال: يا برصيصا، أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا صاحبك الذي علمك الدعوات فاستجيب لك، ويحك! أما اتقيت الله في أمانة خنت أهلها، وأنت أعبد بني إسرائيل! أما استحييت! أما راقبت الله في دينك! فلم يزل يعيره ويوبخه، ثم قال له في آخر ذلك: ألم يكفك ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفضحت أشباهك من الناس! فإن مت على هذه الحال لم يفلح أحد من نظرائك بعدك. قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خطة واحدة حتى أنجيك مما أنت فيه، وأخذ بأعينهم، وأخرجك من مكانك. قال: وما هي؟ قال: تسجد لي. قال: أفعل. فسجد له، فقال: يا برصيصا، هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك إلى أن كفرت بربك، إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين.

(١) الكرب: الغم.

(٢) المساحي: جمع مسحاة، وهي المجرفة من الحديد.

يقول الله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ يعني الشيطان وذلك الإنسان. ﴿أَنْتَهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فضرب الله هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين من أهل المدينة، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ، أن يحل بني النضير من المدينة، فدرس المنافقون إليهم فقالوا: لا تجيبوا محمداً إلى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم كنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. قال: فأطاعوهم؛ فدرّبوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم رجاء نصر المنافقين حتى جاءهم النبي ﷺ، فناصره^(١) الحرب، يرجون نصر المنافقين، فخذلوهم وتبرءوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] قوله: «اتَّقُوا اللَّهَ» أي في أداء فرائضه واجتناب معاصيه «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» يعني يوم القيامة.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] «نَسُوا اللَّهَ» أي نسوا حق الله وتركوا أوامره «فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسُهُمْ» يعني حظ أنفسهم أن يقدموا لها خبراً ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لَا يَسْتَوِي أَحَبُّ النَّارِ وَأَحَبُّ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ١٩-٢٠].

فقد أتينا - أكرمك الله - على تفسير ما أنزل من القرآن في شأن بني النضير مما يتعلق بشرح أخبارهم خاصة على حكم الاختصار، ولم نتعرض إلى ما سوى ذلك من التفسير.

ذكر غزوة بدر الموعِد

غزاها رسول الله ﷺ، لهلال ذي القعدة، على رأس خمسة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. حكاه محمد بن سعد.

وقال محمد بن إسحاق: كانت في شعبان. وجعلها بعد غزوة ذات الرقاع، فتكون على رأس اثنين وأربعين شهراً من الهجرة، والأشبه ما قاله ابن سعد، لأن الميعاد كان على رأس الحول من غزوة أحد، وغزوة أحد كانت في شوال على ما اتفقا عليه، ولم يختلفا في الشهر وإنما في أيام ذكرناها هناك.

قال محمد بن سعد: لما دنا الموعد كره أبو سفيان الخروج، وقدم نعيم بن

(١) ناصرته الحرب: أظهرها له.

مسعود الأشجعي^(١) مكة، فقال له أبو سفيان: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي ببدر، وقد جاء ذلك الوقت، وهذا عام جذب^(٢)، وإنما يصلحنا عام خصب غيDAQ^(٣)، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج فيجترى علينا، فنجعل لك عشرين فريضة^(٤) يضمنها إليك سهيل بن عمرو على أن تقدم المدينة فتخذل أصحاب محمد. قال: نعم. فحملوه على بعير، فأسرع السير حتى قدم المدينة، فأخبرهم بجمع أبي سفيان لهم وما معه من العدة والسلاح، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد.

واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة^(٥)، وسار بالمسلمين وهم ألف وخمسمائة والخيـل عشرة أفراس، وحمل لواءه علي بن أبي طالب، وخرج المسلمون ببضائع وتجاراـت لهم، وكانت بدر الصغرى مجتمعاً يجتمع فيه العرب، وسوقاً تقوم لهلال ذي القعدة إلى ثمان تخلو منه، ثم يتفرق الناس إلى بلادهم.

فانتهى رسول الله ﷺ وأصحابه إلى بدر ليلة هلال ذي القعدة؛ وقامت السوق صبيحة الهلال فأقاموا بها ثمانية أيام، وباعوا ما خرجوا به من التجارات، فربحوا للدرهم درهماً، وانصرفوا، وقد سمع الناس بمسيرهم، وخرج أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش، وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً حتى انتهوا إلى مجنة - وهي^(٦) مر الظهران - ومنهم من يقول: بلغوا عسفان^(٧). ثم قال: ارجعوا فإنه لا يصلحنا إلا عام

(١) نعيم بن مسعود: (... نحو - ٣٠ هـ = ... نحو - ٦٥٠ م) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، من ذوي العقل الراجح. قدم على رسول الله ﷺ سرأ أيام الخندق واجتماع الأحزاب، فأسلم وكنم إسلامه وعاد إلى الأحزاب المجتمعة لقتال المسلمين، فألقى الفتنة بين قبائل قريظة وغطفان، وقريش. سكن المدينة. مات في خلافة عثمان، وقيل: قتل يوم «الجمـل» قبل قدوم علي إلى البصرة. (الأعلام: ٨: ٤١).

(٢) عام جذب: عام قحط.

(٣) غيDAQ: مخصب.

(٤) الفريضة: البعير المأخوذ في الزكاة، سمي فريضة، لأنه فرض واجب على رب المال، ثم اتسع فيه حتى سمي البعير فريضة في غير الزكاة.

(٥) عبد الله بن رواحة: (... ٨ هـ = ... ٦٢٩ م) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج، أبو محمد، صحابي يعد من الأمراء والشعراء الراجزين كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر. وشهد بدرأ وأحدأ والخندق والحديبية. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة. فاستشهد فيها. (الأعلام: ٤: ٨٦).

(٦) كذا في الأصل. وفي المواهب اللدنية: «مجنة: ناحية الظهران» وفي معجم البلدان: «وقال الأصمعي: وكانت مجنة بمر الظهران».

(٧) عسفان: موضع على مرحلتين من مكة.

خصب غيَداق، نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن، وعامكم هذا عام جذب، وإني راجع فارجعوا. فسمى أهل مكة هذا الجيش جيش السويق، يقولون: خرجوا يشربون السويق. قال: وقدّم معبد بن أبي معبد الخزاعي مكة بخبر مسير رسول الله ﷺ - وأصحابه، فقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترءوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم.

وقال عبد الله بن رواحة: [من الطويل]

وعدنا أبا سفيان وعدا فلم نجد	لميعاده صدقاً وما كان وافيًا ^(١)
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا	لأبت ذميماً وافتقدت المواليا ^(٢)
تركنا به أوصال عتبة وابنه	وعمرأ أبا جهل تركناه ثاويًا ^(٣)
عصيتم رسول الله أف لدينكم	وأمركم السيء الذي كان غاويًا ^(٤)
فإني وإن عنفتموني لقائل	فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره	شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا

وانصرف رسول الله ﷺ والمسلمون، ورجعوا إلى المدينة.

وأنزل الله عز وجل في شأن هذه الغزوة قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۝ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا ۝﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤].

قال السدي^(٥): لما تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه للمسير إلى بدر لميعاد أبي سفيان أتاهم المنافقون فقالوا: نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم فعصيتمونا، وقد أتوكم في دياركم، فقاتلوكم، وظفروا، فإن أتيتموهم في ديارهم لا يرجع منكم أحد. فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فالناس في هذه الآية أولئك المنافقون. وقال أبو معشر: دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة، فسألهم أصحاب رسول الله ﷺ عن أبي سفيان، فقالوا: قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة

(١) وعداً: في سيرة ابن هشام: «بدرًا».

(٢) الموالى: جمع مولى، وهو القريب والجار والحليف.

(٣) ثاويًا: مقيماً أي مقتولاً.

(٤) السيء: المنكر.

(٥) السدي: (.... - ١٢٨ هـ = ٧٤٥ م) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي: تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة.. وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس. (الأعلام: ١: ٣١٧).

فاخشوهم؛ فقالوا: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». فأنزل الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ إِنْ أَرَادُوا أَنْ يَنْهَكُوا عَنْ شَيْءٍ أَوْ يَعْمَلُوا شَيْئًا مُحَرَّمًا فَلَمْ يَقِمُْوا حَدًّا مِنْهُمْ فَقَحَّوهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دُونَ ذَلِكَ وَالْكَافِرِينَ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه: ﴿قَدْ جَعَلُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ فخافوهم واحذروهم فإنه لا طاقة لكم بهم ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني تصديقاً وبقيناً وجرأة وقوة. وقوله: ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ فانصرفوا ورجعوا ﴿بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بعافية لم يلقوا بها عدواً، وبرأت جراحتهم ﴿وَفَضِّلَ﴾ أي ربح وتجارة، وهو ما أصابوا من السوق فربحوا ﴿لَمْ يَمَسَّهُمْ﴾ لم يصبهم قتل ولا جرح ولم ينلهم أذى ولا مكروه ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وذلك أنهم قالوا: هل يكون هذا غزواً؟ فأعطاهم الله تعالى ثواب الغزو ورضي عنهم. ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] يعني ذلك الذي قال لكم: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم؛ من فعل الشيطان ألقى في أفواههم لترهبوهم وتجنبوا عنهم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أي يخوفكم بأوليائه، يعني يخوف المؤمنين بالكافرين، قال السدي: يعظم أوليائه في صدوركم لتخافوهم. وقرأ عبد الله بن مسعود «يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ» قال: وكان أبي بن كعب^(١) يقرأ: «يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ» «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي» في ترك أمري «إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ» مصدقين بوعدني فتكفل لكم بالنصر والظفر.

ذكر غزوة ذات الرقاع^(٢)، وخبر صلاة الخوف

وقصة غورث بن الحارث المحاربي، وخبر جابر بن عبد الله

واختلف في تسمية ذات الرقاع، فقيل: جبل فيه بقع حمر وبيض وسود. وقيل: لأنهم رقعوا راياتهم. وقيل: ذات الرقاع، شجرة بذلك الموضع. وفي صحيح البخاري أنهم نقت^(٣) أقدامهم، فلقوا عليها الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع. والله أعلم.

قال محمد بن سعد: كانت في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً من مهاجره ﷺ. وقال ابن إسحاق: كانت غزوة ذات الرقاع بعد غزوة بني النضير في

(١) أبي بن كعب: (.... - ٢١ هـ = ٦٤٢ م) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج أبو المنذر: صحابي أنصاري. كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود. ولما أسلم كان من كتاب الوجي وشهد بداراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان يفتي على عهده. اشترك في جمع القرآن. مات بالمدينة انظر (الأعلام: ١: ٨٢).

(٢) غزوة ذات الرقاع: هي غزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار، وغزوة صلاة الخوف، لوقوعها فيها، وغزوة الأعاجيب، لما وقع فيها من الأمور العجيبة.

(٣) نقت أقدامهم: رقت جلودها من المشي.

جمادي الأولى، فتكون على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان. ولم يقل ابن سعد غير عثمان رضي الله عنه.

وذلك أن قادماً قدم المدينة بجلب^(١)، فأخبر أصحاب رسول الله ﷺ، أن أنماراً وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمئة. ويقال: سبعمائة من أصحابه؛ فمضى حتى أتى محالهم بذات الرقاع - وهو جبل فيه بقع فيها حمرة وسواد وبياض - فلم يجد في محالهم أحداً إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وهربت الأعراب إلى رؤوس الجبال، وحضرت الصلاة، فخاف المسلمون أن يغيروا عليهم، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف.

روى أبو محمد عبد الملك بن هشام بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: صلى رسول الله ﷺ بطائفة ركعتين، ثم سلم وطائفة مقبلون على العدو، فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين، ثم سلم. وروى عنه أيضاً من طريق آخر، قال: صفنا رسول الله ﷺ صفين، فركع بنا جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ، وسجد الصف الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخر الصف الأول وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم، ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعاً، ثم سجد رسول الله ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم سجدتين، وركع النبي ﷺ بهم جميعاً، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين، هكذا روي عن جابر في صلاة الخوف بذات الرقاع.

وروى ابن هشام أيضاً بسنده إلى عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، في صلاة الخوف، ولم يذكر ذات الرقاع، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيرجع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، ويتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.

ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربي لما أراد أن يفتك برسول الله ﷺ فحماه الله منه وأمكن نبيه ﷺ من عدوه وعفوه عنه

وكان من خبر غورث بن الحارث أنه قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل

(١) الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع.

لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله قال: أفتك به، وكان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقبل تحتها، فأتاه فاخترط^(١) سيفه، ثم قال: من يمنعك مني؟ فقال: الله. فأرعدت يد غورث، وسقط سيفه، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه، فعفا رسول الله ﷺ عنه، فرجع إلى قومه وقال: جئكم من عند خير الناس. ومن رواية الخطابي^(٢): أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك برسول الله ﷺ، فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه، منتضياً^(٣) سيفه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفنيه بما شئت». فانكب غورث من وجهه من زلخة^(٤) زلخها بين كتفيه، ونذر^(٥) سيفه من يده، وقيل: فيه نزل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ اَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١] الآية. وقيل: نزلت في غير هذه القصة.

ذكر خبر جابر بن عبد الله في جملة، واستغفار النبي ﷺ لأبيه

روى محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبد الله قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى ذات الرقاع من نخل^(٦) على جبل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله ﷺ، جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر؟ قلت: يا رسول الله، أبطأ عليّ جملي هذا؟ قال: «أنخه» فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ، ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك، أو أقطع لي عصا من شجرة؛ قال: ففعلت. فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه^(٧) بها نخسات، ثم قال: اركب. فركبت، فخرج - والذي بعثه بالحق - يواحق^(٨) ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال: «أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قلت: يا

(١) اخترط السيف: استله من غمده.

(٢) الخطابي: (٣١٩ - ٣٨٨ هـ = ٩٣١ - ٩٩٨ م) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان: فقيه محدث، من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب). . توفي في بستان. انظر (الأعلام: ٢: ٢٧٣).

(٣) منتضياً: مستلاً.

(٤) الزلخة: وجع الظهر.

(٥) نذر: سقط.

(٦) نخل: موضع بنجد.

(٧) نخسه: وخزه بالعود.

(٨) يواحق: يباريها في السير ويماشيها.

رسول الله، بل أهبه لك؛ قال: «لا، ولكن بغيره»؛ قال: قلت: فسمنيه؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قلت: لا، إذا تغبني يا رسول الله! قال: «فبدرهمين»؛ قلت: لا. فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية؛ قلت: فقد رضيت؟ قال: «نعم»؛ قلت: هو لك؛ قال: «أخذته» ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد؟» قلت: نعم يا رسول الله؛ قال: «أثيباً^(١) أم بكرأ؟» قلت: بل ثيباً؛ قال: «أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟» قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أحد، وترك بناتٍ له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة، تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن؛ قال: «أصبت إن شاء الله، أما إننا لو جئنا صراراً^(٢) أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، وسمعت^(٣) بنا، فنقضت نمارقها^(٤)». قلت: يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كَيْساً^(٥)» فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذلك، فلما أمسى رسول الله ﷺ دخل ودخلنا؛ قال: فحدثت المرأة الحديث وما قال لي رسول الله ﷺ، قالت: فدونك فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل، فأقبلت به حتى أنخته على باب مسجد رسول الله ﷺ، ثم جلست في المسجد قريباً منه، وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل، فقال: «ما هذا؟» قالوا: هذا جمل جاء به جابر؛ قال: «فأين جابر؟» فدُعيتُ له، فقال: «يا بن أخي خذ برأس جملك فهو لك» ودعا بلالاً فقال له: «اذهب بجابر فأعطه أوقية». قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال: فوالله ما زال ينمي عندي ونرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا؛ يعني يوم الحرة^(٦).

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله ﷺ سأل جابراً عن دين أبيه فأخبره، فاستغفر له رسول الله ﷺ في تلك الليلة خمساً وعشرين مرة. قال: وبعث رسول الله ﷺ جعال^(٧) بن سُرَاقَة بشيراً إلى المدينة بسلامته وسلامة المسلمين، وقدم صراراً يوم الأحد لخمس بقين من المحرم - وصرار على ثلاثة أميال من المدينة، وهي بئر جاهلية على طريق العراق - وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة.

(١) الثيب: التي أصبحت بلا رجل، لأي سبب كان.

(٢) صرار: بئر على ثلاثة أميال من المدينة، كما سيأتي للمؤلف.

(٣) الضمير يعود على زوجة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٤) النمارق: الوسائد.

(٥) عملاً كَيْساً: عملاً صالحاً.

(٦) يوم الحرة: يشير إلى وقعة الحر التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة

المري. راجع الروض الأنف: ٢: ١٨٤.

(٧) في الأصول: «جوال» وهو تحريف.

ذكر غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال؛ سميت بدؤمي^(١) بن إسماعيل لأنه كان نزلها، وهي غير دومة التي بفتح الدال.

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً من مهاجره، وذلك أنه بلغه ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً، وأنهم يظلمون من مَرَّ بهم، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة - وهي طَرَف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة - فندب رسول الله ﷺ الناس، واستخلف على المدينة سباع بن عُزْفُطَة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل وَيَكْمُنُ النهار، ومعه دليل من بني عُذرة، يقال له: مذكور؛ فلما دنا منهم إذا هم مغربون، وإذا آثار التعم^(٢) والنشاء، فهجم على ماشيتهم ورعائهم، فأصاب من أصاب، وهرب من هرب. وجاء الخبرُ أهل دومة الجندل، ففرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم، فلم يجد بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السريا وفرقها، فرجعت ولم تصب منهم أحداً وأخذ منهم رجل واحد، فسأله رسول الله ﷺ عنهم، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهُم؛ فعرض عليه الإسلام فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لعشر بقين من شهر ربيع الآخر، ولم يَلْقَ كيداً.

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله ﷺ عُيَيْنَة بن حِصْن أن يرعى بتغلمين^(٣) وما والاه إلى المراض، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق الرَبْذَة.

ذكر غزوة بني المصطلق^(٤)، وهي غزوة المُرَيْسِع

غزاها رسول الله ﷺ في شعبان سنة خمس من الهجرة. حكاها محمد بن سعد. وقال ابن إسحاق: كانت في شعبان سنة ست؛ وجعلها بعد غزوة ذي قَرْد.

(١) كذا في الأصول، والمواهب اللدنية، وفي معجم البلدان: «سميت بدوم بن إسماعيل، وقال الزجاجي: «دومان بن إسماعيل. وقيل: كان لإسماعيل ولد اسمه دما، ولعله مغير منه. وقال ابن الكلبي: دوما بن إسماعيل».

(٢) النعم: الإبل.

(٣) كذا في الطبري، وطبقات ابن سعد، ومعجم البلدان، والقاموس. وفي الأصل: «بتغلمين». وهو تحريف. و«تغلمين» من المراض على ميلين.

(٤) المصطلق: لقب جذيمة بن سعد بن عمرو، لقب بذلك لحسن صوته وكان أول من غنى من خزاعة.

وكان سبب هذه الغزوة أن رسول الله ﷺ بلغه أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المُضَطَّلَق، سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، ودعاهم إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتجهّثوا للمسير، فبعث رسول الله ﷺ بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب الأسلمي للوقوف على حقيقة الخبر، فأتاهم وكلم الحارث ورجع إلى رسول الله ﷺ بالخبر، فندب ﷺ الناس فأسرعوا في الخروج، وقادوا الخيول، وهي ثلاثون فرساً، عشرة منها للمهاجرين وعشرون للأنصار، وخرج معه خلق كثير من المنافقين، لم يجتمعوا في غزاة قط مثلها، واستخلف ﷺ على المدينة زيد بن حارثة. وقال ابن هشام: استعمل عليها أبا ذر الغفاري^(١). قال: ويقال: نُمَيْلَةُ بن عبد الله الليثي. قال ابن سعد: وكان معه ﷺ فرسان: لِزَاز، وَالظَّرِب، وخرج يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان، فبلغ الحارث بن أبي ضرار ومن معه مسير رسول الله ﷺ، ففترق عنه من كان معه من العرب، وخافوا خوفاً شديداً، وانتهى رسول الله ﷺ إلى المُرَيْسِع - وهو ماء لبني المصطلق بينه وبين الفُزْع نحو من يوم، وبين الفرع والمدينة ثمانية بُرْد - فنزل به وضرب قُبْته، ومعه ﷺ من نسائه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن عائشة، وأم سلمة، وتجهّثوا للقتال، وصف رسول الله ﷺ أصحابه، ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وراية الأنصار إلى سعد بن عُبادة، فتراموا بالنبل ساعة، ثم أمر رسول الله ﷺ أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، فما أفلت من القوم إنسان، قتل منهم عشرة، وأسر سائرهم، وسُيِّت النساء والذراري، وغنمت النعم والشاء، ولم يَسْتَشْهَد من المسلمين إلا رجل واحد، وأمر رسول الله ﷺ بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْب، وأمر بجمع الغنائم فجمعت، واستعمل عليها شُقْران مولاه، وقسم السبي والنعم والشاء، فعُدلت الجزور بعشر من الغنم، وبيعت الرُّثَّة^(٢) فيمن يريد^(٣)، قال: وكانت الإبل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، والسبي مائي أهل بيت، وصارت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فكاتباها على تسع أواق من ذهب، فسألت رسول الله ﷺ في

(١) أبو ذر الغفاري: (.... - ٣٢هـ = ٦٥٢ م) جُنْدَب بن جنادة بن سفيان بن عبيد من بني غفار... أبو ذر، صحابي، من كبارهم، قديم الإسلام يقال أسلم بعد أربعة وكان خامساً. هاجر بعد وفاة النبي ﷺ إلى بادية الشام. فسكن دمشق وجعل ديدنه تحريض الفقراء على الأغنياء في أموالهم. أمره عثمان بالرحلة إلى الربذة (من قرى المدينة) فسكنها إلى أن مات. ولما مات لم يكن في داره ما يكفن به. انظر (الأعلام: ٢: ١٤٠).

(٢) الرُّثَّة: رديء المتاع، وإسقاط البيت من الخلقان.

(٣) في الطبقات: «فيمن يريد».

كتابها فأدى عنها، وتزوجها على ما نذكر ذلك إن شاء الله في أخبار أزواجه ﷺ.

قال ابن سعد: وكان من السبي من منّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء، ومنهم من أفدي، فافتديت^(١) المرأة والذرية بست فرائض، وقدموا المدينة ببعض السبي، فقدم عليهم أهلهم فافتدوهم، فلم تبقى امرأة من بني المصطلق إلا رجعت إلى قومها. وكان شعار المسلمين يوم بني المصطلق: يا منصور أمت أمت؛ وغاب رسول الله ﷺ في غزاته هذه ثمانية وعشرين يوماً، وقدم المدينة لهنال رمضان.

وفي هذه الغزاة تكلم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بما تكلم به من قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا﴾. ووقع حديث الإفك، وقد قدّمنا ذكر ذلك كلّ في حوادث السنين بعد الهجرة، في حوادث السنة الخامسة.

ذكر غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب

وكانت في ذي القعدة سنة خمس من مهاجر رسول الله ﷺ. حكاه ابن سعد. وقال ابن إسحاق: كانت في شوال.

قال محمد بن سعد ومحمد بن إسحاق وعبد الملك بن هشام، رحمهم الله تعالى، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير وساروا إلى خيبر، خرج نفر من أشrafهم ووجوههم، منهم سلام بن أبي الحقيق، وخبي بن أخطب، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، فقدموا مكة على قريش، فدعّوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله؛ فقالت قريش لهم: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ فقالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ^(٢) وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۖ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن مَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۖ ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۖ ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ۖ ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُفِيَ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۖ ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥١-٥٥] قالوا: فلما

(١) كذا في ابن سعد، وفي الأصول: «فافتدت».

(٢) الجبت والطاغوت: كل معبود من دون الله.

قالت اليهود: ذلك لقريش سرّهم ونشيطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ، فأجتمعوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان وسليماً، ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأعلموهم أن قريشاً قد بايعوهم على ذلك، فأجابوهم واجتمعوا معهم، فتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب، وكانوا أربعة آلاف، وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلثمائة فرس، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير، وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب، ووافتهم بنو سليم بمرّ الظهران، وهم سبعمائة، يقودهم سفيان بن عبد شمس، حليف حرب بن أمية، وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصقّين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت غطفان وفزارة، معهما ألف بعير، يقودهم عيينة^(١) بن حِصْن بن حذيفة بن بدر، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعر بن رُخيلة بن نُويرة بن طريف، وخرج معهم غيرهم.

فكان جميع من وافى الخندق عشرة آلاف، وهم الأحزاب، وكانوا ثلاثة عساكر، ومرجع أمرهم إلى أبي سفيان بن حرب، فلما بلغ رسول الله ﷺ فُصولهم^(٢) من مكة ندب الناس^(٣)، وأخبرهم خبر عدوّهم، وشاورهم في أمرهم، فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق، فأعجب ذلك المسلمين، وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح سَلْع^(٤)، وجعل سلعاً خلف ظهره، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم ضرب الخندق على المدينة، وعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر، فعملوا وجدّوا في العمل ودأبوا، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في ذلك العمل رجال من المنافقين، وجعلوا يورّون^(٥) بالضعف من العمل، ويتسلّلون إلى أهليهم بغير إذن رسول الله ﷺ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابهت النائبة من الحاجة، ذكرها لرسول الله ﷺ واستأذنه، فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى عمله في الخندق، فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) عيينة هذا هو الذي قال فيه ﷺ: «الأحمق المطاع» لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قنّاء. وقال فيه أيضاً: «إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره». وسمي عيينة لشعر كان بعينيه، واسمه حذيفة. راجع المواهب اللدنية ٢: ١٢٥.

(٢) فصولهم: خروجهم.

(٣) في الأصول: «نذر» وهو تحريف.

(٤) سلع: جبل بسوق المدينة.

(٥) يورون: يخفون مقصودهم من خذلان المسلمين بإظهار الضعف.

الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ [النور: ٦٢] ثم قال تعالى في المنافقين: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا﴾^(١) فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [النور: ٦٣] ثم قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَبِهِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْتِهِهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤].

قال: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه. وروى محمد بن سعد بسند يرفعه إلى سهل بن سعد قال: جاءنا رسول الله ﷺ، ونحن نحفر الخندق وننقل التراب على أكتافنا، فقال ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»^(٢). وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب. وقد وارى التراب بياض بطنه، وهو يقول: [من الرجز]

لَا هُمْ^(٣) لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
إِنَّ الْأَوَّلَى لَقَدْ^(٤) بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
أَبِينَا يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ ﷺ.

وكان لرسول الله ﷺ في حفر الخندق معجزات نذكرها إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لمعجزاته، ومنها ما يتعين ذكره ها هنا، وهو ما حكاه محمد بن إسحاق عن جابر بن عبد الله قال:

اشتدت على الناس في بعض الخندق كُذْيَةٌ^(٥)، فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح ذلك الماء على

(١) اللواذ: الاستتار بالشيء عند الهرب.

(٢) وهذا القول من كلام عبد الله بن رواحة، تمثل به عليه الصلاة والسلام. راجع الروايات المختلفة في صيغته، وفي كونه شعراً أو غير شعر في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٧.

(٣) كذا في ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي الأصول: «اللهم» والشعر لعبد الله بن رواحة. ارتجز به النبي ﷺ.

(٤) وفي الأصول: «قد» وما أثبتناه رواية ابن سعد الذي نقل عنه المؤلف. وفي هذه الأبيات روايات كثيرة تجدها في المواهب اللدنية: ٢: ١٢٨.

(٥) الكدية: الحجر الصلد، الضخم، والشيء الصلب من الحجارة والطين والأرض الغليظة.

تلك الكدية، فيقول من حضرها: فوالذي بعثه بالحق لانهاالت حتى عادت كالكتيب، لا تردّ فأساً ولا مسحاً.

قالوا: وفرغوا من حفر الخندق في ستة أيام، وكانوا يعملون فيه نهاراً وينصرفون ليلاً، ورفع رسول الله ﷺ النساء والصبيان في الآطام، وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لثمان مضين من ذي القعدة، وكان يحمل لواء المهاجرين زيد بن حارثة، ويحمل لواء الأنصار سعد بن عباد. وأقبلت قريش ومن شايعها وتابعها، وأجتمع إليها بعد فراغ الخندق، فصار الخندق بين رسول الله ﷺ وبينهم، وظهور المسلمين إلى سلع وخرج حُيَي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عقد بني قريظة، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دون حُيَي باب حصنه، وأبى أن يفتح له، فناداه حُيَي: ويحك يا كعب! افتح لي. قال: ويحك! إنك أمرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً فعاوده مراراً، وهو يأبى عليه حتى قال له حُيَي: والله إن أغلقت دوني إلا عن جَشِيشتك^(١) أن أكل معك. فأحفظه^(٢) ذلك، ففتح له، فقال: ويحك يا كعب! جئتكم بعزّ الدهر وبيحر طام^(٣)، جئتكم بقريش على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه^(٤) غطفان على قادتها وسادتها، حتى أنزلتهم بذنب نَقَمى على جانب أحد، وقد عاهدوني وعاهدوني على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه. فقال له كعب: جئتني والله بذلّ الدهر، وبيجهام^(٥) قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، ويحك يا حُيَي! فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل به حُيَي حتى سَمَح له، أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد^(٦) عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين وصحّ ذلك عنده كبر وقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» قال: وَنَجَمَ النفاق وَفُشِلَ الناس، وعظم البلاء، وأشتدّ الخوف، وخيفَ على الذراري

(١) الجشيشة: واحدة الجشيش، وهو أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً، ثم تنصب به القدر، ويلقى عليها

لحم أو تمر فيطبخ، ويقال لها: دشيشة.

(٢) أحفظه: أغاظه، أغضبه.

(٣) طام: مرتفع، يريد كثرة الرجال.

(٤) التصويب من المواهب، وفي الأصول: «من رومة» وهو تحريف.

(٥) الجهام: السحاب لا ماء فيه.

(٦) كذا في الطبري وابن هشام. وفي الأصل: «راشد».

والنساء، وكانوا كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلثمائة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة، وكان عباد بن بشر^(١) على حرس قبة رسول الله ﷺ، مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة، ورسول الله ﷺ والمسلمون وجاه العدو لا يزولون يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري^(٢) يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويجتمعون مرة ويتفرقون أخرى، ويناوشون أصحاب رسول الله ﷺ، ويقدمون رماثهم فيرمون، فرمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكتفه^(٣)، فقال: خذها وأنا ابن العرقعة. ويقال: رماه أبو أسامة الجشمي.

قال ابن هشام: ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبه فتصنعه، أم شيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به، أم شيء تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم^(٤) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما. فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم

(١) عباد بن بشر: (٣٣ ق هـ - ١٢ هـ = ٥٩١ - ٦٣٣ م) عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري: صحابي من أبطالهم. أسلم في المدينة، وشهد المشاهد كلها. استعمله الرسول ﷺ على حرسه بتبوك، واستشهد يوم اليمامة (راجع الأعلام: ٣: ٢٥٧).

(٢) ضرار بن الخطاب: (... - ١٣ هـ = ... - ٦٣٤ م) ضرار بن الخطاب بن مرداش القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي من القادة من سكان الشراة، فوق الطائف، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة، ولم يكن في قريش أشعر منه. استشهد في وقعة أجنادين. (الأعلام: ٣: ٢١٥).

(٣) الأكحل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده.

(٤) كالبوكم: اشتدوا عليكم.

لا يطعمون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قراء^(١) أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب؛ ثم قال: ليجهدوا علينا.

قال ابن سعد: ثم اجتمع رؤسائهم أن يغدو يوماً، فغدوا جميعاً ومعهم رؤساء سائر الأحزاب، وطلبوا مَضِيقاً من الخندق يقتحمون خيلهم إلى النبي ﷺ وأصحابه فلم يجدوا ذلك وقالوا: إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تصنعها؛ فقبل لهم: إن معه رجلاً فارسياً، فهو أشار عليه بذلك؛ قالوا: فمن هناك إذاً، فصاروا إلى مكان ضيق أغفله المسلمون، فعبر منه عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله، وضرار بن الخطاب، وهُبيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد وُد^(٢) فجعل عمرو بن عبد وُد يدعو إلى البراز، ويقول: [من الوافر]

ولقد بجِحتُ من النداء لجمعهم هل من مُبارز
وكان ابن تسيين سنة، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين^(٣) إلا أخذتها منه؛ قال له: أجل. قال له: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام؛ قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، قال: يا بن أخي، فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال له علي: ولكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق. وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو. فقال حسان بن ثابت: [من المتقارب]
فرّ وألقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل^(٤)
ووليت تعدو كعدو الظليل سم ما إن تجور عن المعدل^(٥)

(١) القراء: ما يقدم للضيف من الطعام.

(٢) عمرو بن عبد ود: (... هـ - ٥ هـ = ٦٢٧ م) عمرو بن عبد ود العامري. من بني لؤي، من قريش: فارس قريش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ولم يسلم. قتله علي بن أبي طالب. (الأعلام: ٥: ٨١).

(٣) الخلة: المأثرة.

(٤) يبدو أن الكلمة الأولى من صدر البيت سقط منها حرف، ولا يستقيم الوزن إلا به كقولك: «فغر»، مثلاً.

(٥) الظليم: ذكر النعام.

ولم تلق ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فزعل^(١)

قال ابن سعد: وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله بالسيف فضربه فشقه باثنتين، ثم اتعدوا أن يغدوا من الغد، فباتوا يعبثون أصحابهم، وفرقوا كتابهم، ونحوا إلى رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فيها خالد بن الوليد فقاتلوهم يومهم ذاك إلى هوي^(٢) من الليل، ما يقدر أن يزولوا من موضعهم، ولم يصل رسول الله ﷺ ولا أصحابه ظهراً ولا عصرراً ولا مغرباً، ولا عشاء، حتى كشفهم الله تعالى، فرجعوا متفرقين إلى منازلهم وعسكرهم، وانصرف المسلمون إلى قبة رسول الله ﷺ، وأقام أسيد بن حضير على الخندق في مائتين من المسلمين، وكثر خالد بن الوليد في خيل المشركين يطلبون غرة^(٣) من المسلمين فناوشوهم ساعة ومع المشركين وخشي، فزرق^(٤) الطفيل بن النعمان بمزراقه فقتله، وانكشفوا، وصار رسول الله ﷺ إلى قبته فأمر بلالاً فأذن وأقام للظهر فصلّى، ثم بعد ذلك لكل صلاة إقامة إقامة، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات، وقال: «شغلونا عن الصلاة الوسطى - صلاة العصر - ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً». ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع^(٥) بالليل طمعاً في الغرة، قال: وحصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة. وقال ابن إسحاق: أقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن هلال بن حلاوة^(٦) بن الأشجع بن زيث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل^(٧) عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة». فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم وذي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم؛ قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم؛ فقال: إن

(١) الفرعل: صغار الضباع.

(٢) هوي من الليل: ساعة منه، أو نحو ثلثه أو ربه.

(٣) غرة: فرصة.

(٤) زرق: طعن، المزراق: الرمح القصير.

(٥) الطلائع: المراقبة.

(٦) كذا في الأصول وفي أسد الغابة، والإصابة. وفي ابن هشام «خلاوة». وجاءت الروايتان في الطبري.

(٧) فخذل عنا: أي أدخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً.

قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تجلوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهروهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم وبغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزَةً^(١) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم^(٢) رهناً من أشرافهم، ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنجزوه؛ قالوا: لقد أشرت علينا بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان ومن معه: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت منه عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتبوا عني؛ قالوا: نفعل، فما هو؟ قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين: قريش وغطفان، رجالاً من أشرافهم، ونعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: نعم. فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهموني^(٣)، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم؛ قال: فاكتبوا عني؛ قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثلما قال لقريش، وحذّره ما حذّره. فلما كانت ليلة السبت أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل^(٤)، في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ فيما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان بعضنا أحدث فيه حدثاً فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم^(٥) الحرب، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا^(٦) إلى بلادكم

(١) النهزة: انتهاز الشيء، وهو اختلاسه.

(٢) الرهن: جمع رهينة.

(٣) حذفت نون الرفع هنا. وهو جائز على قلة.

(٤) عكرمة بن أبي جهل: (.... - ١٣هـ = ٦٣٤ م) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام

المخزومي القرشي: من صناديد قريش في الجاهلية والإسلام. أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه،

فشهد الوقائع. واستشهد في اليرموك أو يوم مرج الصفر وعمره ٦٢ سنة. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٥) ضرستكم: أي نالت منكم.

(٦) تنشمروا: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

وتتركونا، والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا؛ فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن رأوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشَمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم حتى تُعطونا رهناً. فأبوا عليهم، وقال أبو سفيان: ألا أراني أستعين بإخوة القردة والخنازير! فوقع الاختلاف والخُذْلان بينهم، وبعث الله عز وجل ريحاً في ليلة شاتية شديدة البرد، فكفأت^(١) القُدور وطرحت الأبنية.

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما وقع بينهم من الاختلاف أرسل حذيفة بن اليمان^(٢) إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال حذيفة: دعاني رسول الله ﷺ فقال: يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحدثن شيئاً. فذهبت فدخلت فيهم، والريحُ وجنودُ الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقَرّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً. فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسائه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، ولقد هلك الكُراع^(٣) والخُف، وأخلفنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جَمَله وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ ألا أحدث شيئاً حتى آتية، ثم لو شئت، لقتلته بسهم. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر. وسمعت غطفان ما فعلت قريش، فانشَمروا راجعين إلى بلادهم وأصبح رسول الله ﷺ فانصرف راجعاً إلى المدينة هو والمسلمون ووضعوا السلاح. وكان شعار المسلمين في غزوة الخندق (حَم لا ينصرون).

ولما انصرف رسول الله ﷺ وأصحابه عن الخندق قال لأصحابه: لن تغزوكم

(١) كفأت: قلبت.

(٢) حذيفة بن اليمان: (.... - ٣٦ هـ = ٦٥٦ - ... م) حذيفة بن جِسل بن جابر العبسي أبو عبد الله، واليمان لقب جِسل: صحابي، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين. توفي في المدائن. (الأعلام: ٢: ١٧١).

(٣) الكُراع: الخيل.

قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تغزوه^(١). فكان كذلك.
قال ابن سعد: وكانت مدة الحصار خمس عشرة ليلة، وانصرف رسول الله ﷺ لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة خمس. وقد ذكرنا ما قاله غيره في ذلك.

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق أنس بن أوس بن عتيك من بني الأشهل، قتله خالد بن الوليد؛ وعبد الله بن سهل^(٢) الأشهلي، وثعلبة بن غنمة بن عدي، قتله هبيرة بن أبي وهب؛ وكعب بن زيد من بني دينار، قتله ضرار بن الخطاب، وسعد^(٣) بن معاذ مات من جراحة بعد بني قريظة، والطفيل بن النعمان بن جشم.

وقتل من المشركين أربعة نفر وهم: عثمان بن أمية بن مئنه بن عبید بن السباق من بني عبد الدار بن قصي، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وعمرو بن عبد ود، ويقال: وابنه حنبل بن عمرو، قتلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ في أمر الخندق والأحزاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ [الأحزاب: ٩] قال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: قوله: «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» يعني الأحزاب: قريش وعطفان ويهود قريظة والنضير. «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» قال: وهي الصَّبا^(٤). قال عكرمة: قالت

(١) حذف المؤلف نون الرفع من الفعل، وهو جائز على قلة. وقال الدماميني: إنه شاذ. وقال في الهمع: لا يقاس عليه في الاختيار.

(٢) كذا في أسد الغابة، والاستيعاب، والطبقات وفي كلا الأصلين: «سهيل».

(٣) رمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ يوم الخندق بسهم فقطع أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ، فانتفخت يده ونزفه الدم، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني في بني قريظة. فاستمسك عرقه، فما قطر قطرة، حتى نزل بنو قريظة على حكمه، وكان حكمه فيهم أن تقتل رجالهم وتقسم أموالهم وتسبى نساؤهم وذريتهم. فقال رسول الله ﷺ: أصبت حكم الله فيهم. فلما فرغ من قتلهم انفتق عرقه فمات رحمه الله.

(٤) الصَّبا: الصبا هي الريح الشرقية، ويقال لها: القبول، لأنها تقابل الشمال، والشمال: الريح العقيم التي لا خير فيها.

الجنوب للشمال ليلة الأحزاب: انطلقني بنصرة رسول الله ﷺ فقالت الشمال: إن الحرة^(١) لا تسري بالليل، وكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا، قال رسول الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالصَّبا وأهْلِكْتُ عاد بالدَّبُور». قوله: «وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا» هي الملائكة، ولم تقاتل يومئذٍ، قال المفسرون: بعث الله تعالى عليهم بالليل ريحاً باردة، وبعث الملائكة، فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب، وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان، هلم إلي؛ فإذا اجتمعوا عنده قال: النَّجَاءُ النَّجَاءُ، أتيتم. لما بعث الله عليهم من الرعب، فانهزموا من غير قتال.

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب: ١٠] قال: قوله: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من فوق الوادي من قبل المشرق، عليهم مالك بن عوف النَّصْرِي، وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان، ومعهم طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وحبي بن أخطب في يهود بني قريظة. ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني من بطن الوادي من قبل المغرب، وهو أبو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه، وأبو الأعوار السلمي من قبل الخندق. وقال ابن إسحاق: والذين جاءوا من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان. ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي مالت وشخصت ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ زالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع. ﴿وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ قال: أما المنافقون فظنوا أن محمداً ﷺ وأصحابه سيغلبون ويستأصلون، وأما المؤمنون فأيقنوا أن ما وعدهم الله حق، وأنه سيظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

قوله تعالى: ﴿هَٰذَا لَكَ آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١١] قال: أي اختبروا ومُحْصُوا، ليُعرَفَ المؤمن من المنافق ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: حُرِّكُوا وَخُوفُوا ﴿زِلْزَالًا﴾ تحريكاً شديداً.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] قال: يعني معتب بن قشير وأصحابه ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي شكٌ وضعفُ اعتقاد، وقد قدّمنا في أخبار المنافقين ما تكلم به معتب بن

(١) وفي المواهب: ٢: ١٤٦: «إن الحرائر لا تهب بالليل» وفي القرطبي: ١٤: ١٤٤: «إن محوة لا تسري بالليل» ومحوة من أسماء الشمال؛ لأنها تمحو السحاب وتذهب به.

قشير في هذه الغزوة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۝١٣﴾ [الأحزاب: ١٣].
 ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي من المنافقين، وهم أوس بن قيطي وأصحابه؛ قال مقاتل: هم بنو سالم. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قالت اليهود لعبد الله بن أبي وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان وأصحابه! فارجعوا إلى المدينة. ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع إلى منازلهم بالمدينة، وهم بنو حارثة بن الحارث ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي خالية ضائعة، وهي مما يلي العدو، وإنا لنخشى عليها العدو والسراق، قال: وقرأ ابن عباس وأبو رجاء العطاردي «عورة» بكسر الواو، يعني قصيرة الجدران فيها خلل وفرجة. وأخبر تعالى أنها ليست بعورة، إن يريدون إلا الفرار.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا^(١) وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ۝١٤﴾ [الأحزاب: ١٤] قال: يقول: لو دخل عليهم هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿أَقْطَارِهَا﴾ جوانبها ونواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾ أي لجاءوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام وكفروا ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا﴾ وما احتسبوا عن الفتنة ﴿إِلَّا بَسِيرًا﴾ ولأسرعوا إلى الإجابة إليها طيبة بها أنفسهم، قال: هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن والفراء: وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلاً حتى هلكوا.
 قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّوهُمُ الْأَدَبُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۝١٥﴾ [الأحزاب: ١٥] قال: ﴿عَاهِدُوا اللَّهَ﴾ أي من قبل غزوة الخندق ﴿لَا يُؤَلُّوهُمُ﴾ عدوهم ﴿الْأَدَبُ﴾ قال يزيد بن رومان^(٢): هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.

وقال قتادة: هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن. فساق الله تعالى ذلك إليهم في ناحية المدينة.

(١) «لأتوها» من غير مد قراءة نافع، وعليها تفسير المؤلف (لجأوها).

(٢) يزيد بن رومان: (... - ١٣٠هـ = ٧٤٧م) يزيد بن رومان الأسدي، أبو روح، مولى آل الزبير بن العوام: عالم بالمغازي، ثقة. من أهل المدينة. ووفاته بها. (الأعلام: ٨: ١٨٢).

وقال مقاتل^(١) والكلبي: هم السبعون رجلاً الذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة وقالوا له: اشترط لربك ولنفسك ما شئت؛ فقال النبي ﷺ: «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وأموالكم». قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله؟ قال: «لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة». قالوا: قد فعلنا. فذلك عهدهم ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ﴾ أي عنه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٦] قال: أي الذي كتب عليكم ﴿وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلى أجالكم، والدنيا كلها قليل.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي نصرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧].

قوله تعالى: ﴿فَدَعَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] قال: ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المشبطين منكم للناس عن رسول الله ﷺ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ودعوا محمداً فلا تشهدوا معه الحرب فإننا نخاف عليكم الهلاك ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ دفعاً وتعذيراً. قال قتادة: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة^(٢) رأس، ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك. وقال مقاتل: نزلت في المنافقين، وذلك أن اليهود أرسلوا إلى المنافقين وقالوا: ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه! فإنهم إن قدروا عليكم هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً، وإنا لنشفق عليكم، أنتم إخواننا وجيراننا، هلمَّ إلينا. فأقبل عبد الله بن أبي وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه، وقالوا: ما ترجون من محمد؟ فوالله ما يرفدنا^(٣) بخير، وما عنده خير، ما هو إلا أن يقتلنا ها هنا، انطلقوا إلى إخواننا وأصحابنا. يعني اليهود، فلم يزد المؤمنون بقول المنافقين إلا إيماناً واحتساباً.

وقال ابن زيد: لما كان يوم الأحزاب انطلق رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد

(١) مقاتل: مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، أبو الحسن (.... - ١٥٠ هـ = م)

(٢) ٧٦٧ م) من أعلام المفسرين. أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث. (الأعلام: ٧: ٢٨١).

(٢) أكلة رأس: أي هم قليل يشبعهم رأس واحد. (القاموس: أكل).

(٣) يرفدنا: يعيننا.

أخاه، بين يديه شواء ورغيف ونبيد، فقال: أنت ها هنا في الشواء والرغيف والنبيد ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف! فقال: هلم إلى هذا، والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبداً؛ فقال: كذبت والذي يحلف به - وكان أخاه من أبيه وأمه - أما والله لأخبرن النبي ﷺ أمرك. فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره، فوجده قد نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية.

قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ جَدَاوٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ١٩] قال: ﴿أَشِحَّةً﴾ عليكم بالخير والنفقة في سبيل الله، وصفهم الله تعالى بالجبن والبخل ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في رؤوسهم من الخوف والجبن، أي كدوران أعين الذي يُغشى عليه من الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ أي عضوكم ورموكم بالسنة حداد ذرية^(١)، وأصل السلق: الضرب قال قتادة: يعني بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسم الغنيمة، يقولون: أعطونا أعطونا، فإننا قد شهدنا معكم القتال، ولستم بأحق بالغنيمة منا؛ وأما عند الغنيمة فأشخ قوم وأسوا مقاسمة، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق. ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ يعني الغنيمة ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يعني هؤلاء يحسبون الجماعات لم ينصرفوا عن قتالهم، وقد انصرفوا جنباً منهم وفرقاً ﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ أي يرجعوا إليهم كرتة ثانية ﴿يُودُّوْا﴾ من الخوف والجبن ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْكَ﴾ عائدون إلى البادية ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي معهم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ آبَائِكُمْ﴾ يسألون بعضهم بعضاً عن أخباركم، وما آل إليه أمركم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٠] أي رياء من غير حسبة، ولو كان ذلك القليل لله تعالى لكان كثيراً.

ثم قال تعالى مشيراً إلى المؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۝﴾ [الأحزاب: ٢١-٢٢] قال: قوله: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي سنة صالحة أن تنصروه وتوازره، ولا تتخلفوا عنه، ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه وعن مكان نصرته كما فعل هو؛ إذ كسرت رباعيته وجرح، وقُتل عمه حمزة، وأوذى بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فافعلوا أنتم أيضاً كذلك، واستنوا بسنته، ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي

في الرخاء والبلاء، ثم ذكر المؤمنين بوعود الله تعالى فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ الآية، قال: ووعد الله إياهم قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ [١٣] قال: قوله: ﴿صَدَقُوا﴾ أي وفوا به. ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ يعني فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد. والنحب: النذر، والنحب أيضاً: الموت، قال ذو الرمة^(١): [من الطويل]

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مِلْتَقَى الْقَوْمِ هَوْبَرٍ^(٢)

أي مات، قال مقاتل: قضى نحبه، أي أجله، فقتل على الوفاء، يعني حمزة وأصحابه الذين استشهدوا بأحد، رضوان الله عليهم. وقيل: قضى نحبه، أي بذل جهده في الوفاء بعهده، من قول العرب: نَحَبَ فلان في سيره يومه وليلته؛ إذا مَدَّ فلم ينزل قال جرير^(٣): [من الطويل]

بِطَخْفَةٍ جَالِدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسَطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبٍ^(٤)

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ قال ابن إسحاق: ينتظر ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. ﴿وَمَا بَدَلُوا بَدِيلًا﴾ أي ما شكوا وما ترددوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره.

ثم قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٤] وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ يعني قريشاً

(١) ذو الرمة: (٧٧ - ١١٧ هـ = ٦٩٦ - ٧٣٥) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة. شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. كان شديد القصر، دميماً يضرب لونه إلى السواد. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. توفي بأصبهان، وقيل بالبادية. (الأعلام: ٥: ١٢٤).

(٢) قال ابن هشام: «هوبر من بني الحارث بن كعب، أراد: يزيد بن هوبر».

(٣) جرير: (٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٠ - ٧٢٨ م) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم: أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. كان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً وقد جمعت نقائضه مع الفرزدق في ثلاثة أجزاء. وكان يكنى بأبي حرزة. (الأعلام: ٢: ١١٩).

(٤) طخفة: بكسر الطاء، وفتحها: جبل أحمر طويل حذاء آبار ومنهل، قال صاحب اللسان: «ويقال: جرير على نذر».

وغطفان ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي بالملائكة والريح ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٤-٢٥]، وبيده الفضل والمنة.

ذكر غزوة بني قريظة

غزاها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة خمس من مهاجره. وقال ابن إسحاق: في شوال منها.

قال محمد بن إسحاق، ومحمد بن سعد، دخل حديث بعضهما في بعض، قالوا: لما انصرف رسول الله ﷺ من الخندق إلى المدينة هو والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل - عليه السلام - النبي ﷺ معتجراً^(١) بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة^(٢) عليها قطيفة من ديباج، فقال: أو قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم؛ قال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت إلا من طلب القوم: إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمززل بهم. فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأذن في الناس: إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، ودعا رسول الله ﷺ علياً، فأعطاه لواءه، وقدمه إلى بني قريظة، فسار علي حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: أظنك سمعت منهم لي أذى؛ قال: نعم يا رسول الله؛ قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً. فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال لهم: يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً. ثم نزل ﷺ على بئر من آبار بني قريظة من ناحية أموالهم يقال لها: بئر أنا؛ ويقال: بئر أني^(٣)؛ وتلاحق به الناس، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة لم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ «ولا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة». فشغلهم ما لم يكن منه بد في حربهم وأبوا أن يصلوا لقول رسول الله ﷺ حتى يأتوا بني قريظة، فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، وتخوف ناس من فوت الصلاة فصلوا، فما عتف رسول الله ﷺ أحداً من الفريقين، ولا عابهم الله تعالى في كتابه.

(١) الاعتجار بالعمامة: هو أن يلفها الرجل على رأسه، ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه.

(٢) الرحالة: سرج من جلود، لا خشب فيها تتخذ للركض الشديد.

(٣) هكذا ضبط في سيرة ابن هشام، وفي شرح المواهب اللدنية أقوال في ضبطه. انظر: ٢: ١٥٤.

قال: وسار رسول الله ﷺ إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيول ستة وثلاثون فرساً، فحاصرهم خمسة عشر يوماً. قاله ابن سعد.

قال ابن إسحاق: خمساً وعشرين ليلة أشد حصار حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكان حُيَيُّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم؛ قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم؛ قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره؛ قال: فإذا أبيتم هذه فهلتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقَلًا حتى يحكم الله بيننا وبينه، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه، وأن نَظْهَرَ فلعمري لنجدن النساء والأبناء؛ قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة؛ قالوا: تفسد علينا سَبْتَنَا، وتحدث فيه ما لم يُحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يَخَفْ عليك من المسخ؛ قال: ما بات منكم رجل منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة^(١) بن عبد المنذر لنستشيره في أمرنا؛ فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش^(٢) إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم. وأشار بيده إلى حلقة، أي إنه الذبح، قال أبو لبابة: فوالله ما زلت^(٣) قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله. ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ. قال: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره وكان قد استبطأه قال: أما لو كان جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]. قالت أم سلمة رضي الله

(١) اختار بنو قريظة أبا لبابة لأن ماله وولده وعياله فيهم.

(٢) جهش: فزع وأسرع.

(٣) كذا في الأصول. وفي ابن هشام والمواهب اللدنية والطبري: «ما زالت».

عنها: سمعت رسول الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك، فقلت: مِمَّ تضحك أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: تيب على أبي لبابة. قالت: فقلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلى، إن شئت. فقامت على باب حجرتها، وذلك قبل أن يُضْرَب عليهن الحجاب، فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

قال ابن هشام: أقام أبو لبابة مرتبطاً في الجذع ستَّ ليالٍ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة، فتحله للصلاة، ثم تعود فتربطه.

هذا ما كان من أمر أبي لبابة؛ وأما يهود فإن ثعلبة بن سَغيّة، وأسيد بن سَغيّة، وأسد بن عبيد، وهم نفر من هَذَل، قال ابن إسحاق: ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم، أسلموا في الليلة التي نزل بنو قريظة في صبيحتها على حكم رسول الله ﷺ، وخرج تلك الليلة عمرو بن سَعْدَى القرظي فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة^(١)، فلما رآه قال: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سَعْدَى - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني عشرات الكرام؛ ثم خلى سبيله، فخرج على وجهه، فلم يُدَرَّ أين توجه من الأرض إلى آخر الدهر، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه؛ ومنهم من يزعم أنه أوثق. والله أعلم.

ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ وسؤال الأوس فيهم؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم

قال: ولما أصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأوس ما قد علمت. يعنون بني قينقاع لما أطلقهم ﷺ لعبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله ﷺ: ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى، قال: فذاك سعد بن معاذ. وكان سعد في مسجد رسول الله ﷺ، في خيمة لامرأة من أسلم

(١) محمد بن مسلمة: (٣٥ ق هـ - ٤٣ هـ = ٥٨٩ - ٦٦٣ م) محمد بن مسلمة الأوسي الأنصاري الحارثي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من الأمراء، من أهل المدينة، شهد بدرًا وما بعدها إلا غزوة تبوك. اعتزل الفتنة في أيام علي فلم يشهد الجمل ولا صفين. مات بالمدينة. (الأعلام: ٧: ٩٧).

يقال لها: رُفيدة، كانت تداوي الجرحى محتسبة، فأتاه قومه فحملوه على حمار، ووطئوا له بوسادة من آدم^(١)، ثم أتوا به رسول الله ﷺ، وهم يقولون له: يا أبا عمرو، أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ إنما ولأك ذلك لتحسن فيهم؛ فلما أكثروا عليه قال: لقد أتى لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم. فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد، لكلمته التي سمع منه، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم». فأما المهاجرون من قريش فيقولون: إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، والأنصار يقولون: قد عمَّ بها رسول الله ﷺ؛ فقاموا إليه، فقالوا: يا أبا عمرو، إن رسول الله ﷺ قد ولأك أمر مواليك لتحكم فيهم؛ فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، أن الحكم فيهم لَمَّا حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وعلى من ها هنا؟ في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم؛ قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتُسبى الذراري^(٢) والنساء. فقال له رسول الله ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة^(٣) أزقة. أي من فوق سبع سماوات، ويقال: إن اليهود سألوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ. والله تعالى أعلم.

قال: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الخميس لسبع خلون من ذي الحجة وأمر بهم فأدخلوا المدينة، فحبسهم في دار بنت الحارث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، فحفر بها خنادق، وجلس هو وأصحابه وبعث إليهم فأخرجوا إليه أرسالا^(٤)، فضربت أعناقهم، وفيهم حُيي بن أخطب^(٥)، وكعب بن أسد^(٦)، واختلف في عددهم فقليل: كانوا ستمائة أو سبعمائة. وقيل: بين

(١) الأدم: الجلد.

(٢) الذراري: الأولاد الذين لم يبلغوا الحلم.

(٣) قال ابن دريد: أرقعة: (جمع رقيع) بتذكير العدد على معنى السقف، إذا السماء مؤنث سماعي فقياسه سبع أرقعة بتأنيث العدد، وسميت السماء رقيعاً لأن بعضها كان يرفع بعضاً وبعضهم يجعل الرقيع السماء الدنيا لا غير، وكأنها رفعت بالنجوم.

(٤) أرسالا: أفواجاً وفرادى.

(٥) حُيي بن أخطب: (... هـ - ٥ هـ = ٦٢٦ م) حبي بن أخطب النضري، جاهلي من الأشداء العتاة. كان ينعت بسيد الحاضر والبادي. أدرك الإسلام وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريظة ثم قتلوه. (الأعلام: ٢: ٢٩٢).

(٦) كعب بن أسد: كعب بن أسد بن سعيد القرظي، من بني قريظة: شاعر جاهلي له مناقضات مع «قيس بن الخطيم» في يوم بعاث. (الأعلام: ٥: ٢٢٥).

الثمانمائة والتسعمائة؛ قال: وقالوا: لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟ هو والله القتل! قال: وأتني بحَيٍّ بن أخطب، وعليه حلة له فُقَاحية^(١) قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة، لئلا يُسَلِّبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكن من يَخْذِلُ الله يُخْذِلُ، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقَدَرٍ وَمَلَحْمَةٍ كُتِبَتْ على بني إسرائيل. ثم جلس فضربت عنقه، فقال جَبَلُ بن جَوَّالِ الثعلبي^(٢): [من الطويل]

لعمرك ما لام ابن أخطبَ نفسه ولكنّه من يَخْذِلُ الله يُخْذِلُ
لجَاهِدٍ حتى أبلغ النفس عُذْرَهَا وَقَلْقَلِ يبغي العزَّ كلَّ مُقْلَقِلٍ^(٣)

وروى محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: لم يُقْتَلْ من نسائهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحَدَّثُ معي، وتضحك ظهراً وبطناً، ورسول الله يقتل رجالها في السوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله؛ قلت لها: ويلك! ما لك؟ قالت: أُقْتِلُ؛ قلت: ولم؟ قالت: لحدث أحدثته؛ قالت: فانطلق بها، فضربت عنقها، فكانت عائشة تقول: والله ما أنسى عجباً منها، طيب نفسها وكثرة ضحكها، وقد عرفت أنها تقتل. قال الواقدي: واسم تلك المرأة: بُنَّانة امرأة الحكم القرظي، وكانت قتلت خلاد بن سويد، طرحت عليه رَحَى، فضرب رسول الله ﷺ عنقها بخلاد بن سويد. قال: وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما يضربان أعناق بني قريظة، ورسول الله ﷺ جالس هناك.

وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي، وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بُعِثَ أخذه فجَزَّ ناصيته ثم خَلَّى سبيله - فجاءه ثابت يوم قريظة، وهو شيخ كبير فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ فقال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني قد آن أن أجزيك

(١) فُقَاحية: بلون الورد حين هم أن يتفتح. وفي الأصل: «تفاحية»، وهو تحريف.

(٢) جبل بن جَوَّالِ الثعلبي: جبل بن جوال بن صفوان بن بلال بن صارم بن إياس بن عبد غنم. الديلمي ثم الثعلبي. كان يهودياً مع بني قريظة، فأسلم ورثا حيي بن أخطب بأبيات منها: لعمرك... وبالنسبة لصحة هذه الأبيات راجع ترجمة جبل في: الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٢٢، رقم الترجمة: ١٠٧١.

(٣) قلقل كل مقلقل: تحرك كثيراً.

بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم؛ ثم أتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، فقد كانت للزبير عندي يد، وله عليّ مئة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه؛ فقال رسول الله ﷺ: هو لك؛ فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك؛ قال: شيخ كبير لا أهل ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أهله وولده؛ قال: هم لك. فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني امرأتك وولدك، فهم لك؛ قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله، فقال: هو لك؛ فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أعطاني مالك فهو لك؛ قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسد؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا كررنا عزال بن سموء؟ قال: قتل؛ قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة؛ قال: ذهبوا وقتلوا، قال: فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ألحقني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، وما أنا بصابر لله قبلة^(١) دلو ناضح حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت فضرب عنقه. فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة» قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً.

وفي هذه الواقعة يقول ثابت بن قيس^(٢): [من الطويل]

وَفَتْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأُنْسِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَبِيرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِئَةً عَلَيَّ فَلَمَّا شَدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَحْرًا لَنَا يَجْرِي

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل من أثبت^(٣) منهم؛ فسأله سلمى بنت قيس بن المنذر أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، وكانت قد صلت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء على رفاعه بن سموء القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفها، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعه بن

(١) قبلة دلو: أي بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها في الحوض، ثم يصرفها وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة. وذكر أبو عبيد الحديث فقال: «قال الزبير: يا ثابت، الحقني بهم، فلست صابراً عنهم إفراغة دلو».

(٢) ثابت بن قيس: (... - ١٢ هـ = ... - ٦٣٣ م) ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وشهد أحداً، وما بعدها من المشاهد. قتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٢: ٩٨).

(٣) أثبت: ظهر شعر لحيته.

سموئل، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل. فوهبه لها، فاستخيتها^(١). قال: ثم أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، فاصطفى لنفسه ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء عمرو بن قريظة، ثم أخرج الخمس من المتاع والسبي، ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يزيد وقسمه بين المسلمين، وكان السهمان على ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهماً، للفرس سهمان، ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى مخيمته^(٢) بن جزء الزبدي، فكان رسول الله ﷺ يعتق منه، ويهب، ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة، وهي السقط من متاع البيت.

وقال محمد بن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أحد بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً.

واستشهد يوم بني قريظة من المسلمين: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو الأنصاري الخزرجي، طرحت عليه رخی فشدخته شدخاً شديداً، ومات أبو سنان بن مخصن بن حُرثان، أخو بني أسد بن خزيمة.

وأنزل الله عز وجل في شأن بني قريظة قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهُا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٦-٢٧] قال: قوله: ﴿الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ﴾ يعني قريظة ظاهروا قريشاً وغطفان ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ أي حصونهم ومعقلهم، واحدها صيصية ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ وهم الرجال ﴿وَنَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهم النساء والذراري ﴿وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهُا﴾ قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل: يعني خيبر. وقال قتادة: كنا نحدث أنها مكة. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة. والله تعالى أعلم.

ذكر سرية عبد الملك بن عتيك^(٣) إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحقيق النضري بخيبر

قال محمد بن سعد في طبقاته: كانت في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.

(١) استخيتها: وهبته الحياة.

(٢) كان من مهاجرة الحبشة، فاستعمله رسول الله ﷺ على الأخماس.

(٣) عبد الله بن عتيك: (... - ١٢ هـ = ... - ٦٣٣ م) عبد الله بن عتيك بن قيس بن الأسود الخزرجي الأنصاري، صحابي، من القادة. شهد أحداً وما بعدها. واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر. (الأعلام: ٤: ١٠٢).

وقال ابن إسحاق: كانت هذه السرية بعد غزوة بني قريظة. فتكون في ذي الحجة سنة خمس من الهجرة، وهو الصحيح إن شاء الله، ويدل عليه أن محمد بن سعد لما ذكر عبد الله بن عتيك في الطبقات قال في ترجمته: إن رسول الله ﷺ بعثه في ذي الحجة سنة خمس إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق بخيبر.

قال محمد بن إسحاق: لما أصابت الأوس كعب بن الأشرف قالت الخزرج: والله لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً. فتذكروا: من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم، فخرج إليه من الخزرج خمسة نفر، وهم: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيعي، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم.

قالوا: وكان أبو رافع بن أبي الحقيق قد أجلب^(١) في غطفان ومن حوله من مشركي العرب، وجعل لهم الجغل العظيم لحرب رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عليهم عبد الله بن عتيك، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى قدموا خيبر فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاءوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن^(٢) باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية. ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح، فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فَعَلَوْه بأسياهم، قال ابن أنيس: وكنت رجلاً أعشى لا أبصر، فاتكأْتُ بسيفي على بطنه حتى سمعت خَشَّه في الفراش، وعرفت أنه قد قضى، وجعل القوم يضربونه جميعاً، ثم نزلوا وصاحت امرأته، فتصايح أهل الدار. قال ابن إسحاق: وكان عبد الله بن [عتيك]^(٣) سبيء البصر، فوقع من الدرجة فوُثِّت^(٤) يده وثناً شديداً، قال ابن هشام: ويقال: رَجَلَه؛ قالوا: فحملناه حتى أتينا منهراً من عيونهم - والمناهر؛ واحدها منهرة، وهو فضاء يكون بين أفنية القوم يلقون فيها كُنَّاسَتَهُمْ - فدخلنا فيه.

قال محمد بن سعد: وخرج الحارث أبو زينب في ثلاثة آلاف في آثارهم بطلبونهم بالنيران، فلم يَرَوْهُمْ، فرجعوا، ومكث القوم في مكانهم يومين حتى سكن الطلب. قال ابن إسحاق: فقلنا: فكيف لنا أن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ فقال رجل منا: أنا ذاهب فأنظر لكم. فانطلق حتى دخل في الناس، فوجده ورجال من يهود

(١) أحلب: جمع.

(٢) يرطن: يتحدث.

(٣) في الأصول: «عبد الله بن أنيس». والتصويب عن ابن هشام، وأسد الغابة، والمواهب اللدنية، والطبري.

(٤) الوثء: صدع يصيب اللحم ولا يبلغ العظم فيرم، وقيل: هو توجع في العظم من غير كسر.

حوله، وامراته في يدها مصباح تنظر في وجهه وتحذثهم وتقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك، ثم أكذبت نفسي وقلت: ابن عتيك بهذه البلاد! ثم أقبلت تنظر في وجهه وتقول: فاظ^(١) وإله يهود. قال: فما سمعت كلمة كانت الذ في نفسي منها؛ وجاء فأخبرهم بالخبر، قالوا: فاحتملنا صاحبنا، وقدمنا على رسول الله ﷺ، فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله، كلنا يدعيه، فقال: هاتوا أسيافكم، فجئناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام.

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله في سيرته: وفي حديث آخر أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وحده، قال: وهو الصواب. والله أعلم.

وقال حسان بن ثابت الأنصاري في قتل سلام بن أبي الحقيق وابن الأشرف: [من الكامل]

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف	الله در عصابة لاقيتهم
مرحاً كأسد في عرين مغرف ^(٢)	يسرون بالبيض الخفاف إليكم
فسقوكم حثفاً ببيض دقف ^(٣)	حتى أتوكم في محل دياركم
مستصغرين لكل أمر مجحف ^(٤)	مستنصرين لنصر دين نبيهم

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء، وهم بنو قرط وقريط من بني كلاب

بعثه رسول الله ﷺ لعشر خلون من المحرم، على رأس تسعة وخمسين شهراً من مهاجره في ثلاثين راكباً إلى القرطاء^(٥)، وهم ينزلون بناحية ضرية^(٦) وبين ضرية والمدينة سبع ليال، فقتل نفراً منهم، وهرب سائرهم، واستاق نعماً وشاء، ولم يعرض

(١) فاظ: مات.

(٢) في رواية: «بالبيض الرقاق»، يعني السيوف مدحاً: نشاطاً.

عرين مغرف: قال أبو ذر الخشني في شرح السيرة: ٢: ٣٢٦ «العرين: غابة الأسد. ومغرف: ملتف الأغصان.

(٣) دقف: سريعة القتل.

(٤) في ديوان حسان: «مستبصرين لنصر». مجحف: ذاهب بالنفوس والأموال.

(٥) كذا ضبطه صاحب المواهب اللدنية، انظر ٢: ١٧٣.

(٦) ضرية: قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة، وهي إلى مكة أقرب.

للظعن، وانحدر إلى المدينة، فخمس رسول الله ﷺ ما جاء به، وفَض ما بقي على أصحابه، فعدلوا الجزور بعشرين من الغنم، وكانت النعم مائة وخمسين بغيراً، والغنم ثلاثة آلاف شاة. وغاب سبع عشرة ليلة، وقدم لليلة بقيت من المحرم.

ذكر غزوة بني لحيان بناحية عُسفان^(١)

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ست من مهاجرة على ما أورده محمد بن سعد. وقال محمد بن إسحاق: في جمادي الأولى سنة ست.

وذلك أن رسول الله ﷺ وَجَدَ^(٢) على عاصم بن ثابت وأصحابه أصحاب الرجيع - وَجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام.

قال ابن سعد: وعسكر لغرة هلال شهر ربيع الأول في مائتي رجل، معهم عشرون فرساً، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ثم أسرع المسير حتى انتهى إلى بطن عُرَّان، وبينها وبين عُسفان خمسة أميال، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم، فسمعت بهم بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين، فبعث السرايا في كل ناحية، فلما يقدرُوا على أحد، ثم خرج حتى أتى عُسفان، ثم انصرف ﷺ إلى المدينة، وهو يقول: «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون، أعوذ بالله من وُعْثاء^(٣) السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال». وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد^(٤)

وهي على بريد من المدينة في طريق الشام

غزاها رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ستة من مهاجرة.

قالوا: كان لرسول الله ﷺ عشرون لَقْحَةً^(٥) ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عُيَيْنَةُ بن حصن ليلة الأربعاء في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر.

وقال محمد بن إسحاق: وكان فيهم رجل من غِفَار وامرأة له، فقتلوا الرجل

(١) عُسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة.

(٢) وجد: غضب.

(٣) وعُثاء: مشقات، متاعب.

(٤) قَرَد: بفتح القاف والراء، وحكي الضم فيهما، وحكي ضم أوله وفتح ثانيه.

(٥) اللقحة: الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة.

وحملوا المرأة في اللقاح. وجاء الصريخ، فنودي: الفرع الفرع! فنودي: «يا خيل الله اركبي»؛ وكان أول ما نودي بها؛ وركب رسول الله ﷺ، فخرج غداة الأربعاء، فكان أول من أقدم المقداد بن عمرو، وعليه الدرع والمِغفر شاهراً سيفه، فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه، وقال: امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة. قال المقداد: فخرجت فأدركت أخريات العدو، وقد قتل أبو قتادة الحارث بن ربعي حبيب بن عيينة بن حِصْن، وغشاه برده، فلما أقبل رسول الله ﷺ والناس، فرأوا حبيباً مسجى^(١) ببرد أبي قتادة، فاسترجع الناس، وقالوا: قتل أبو قتادة؛ فقال رسول الله ﷺ: ليس بأبي قتادة، ولكنه قتيل لأبي قتادة وضع عليه برده، لتعرفوا أنه صاحبه. وقال ابن سعد: إن الذي قتل حبيباً هو المقداد بن عمرو، قتله وقتل قرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر؛ وإن أبا قتادة قتل مسعدة، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار، وهما على بعير واحد، فقتلتهما. واستشهد من المسلمين يومئذ مُحَرِّز بن نضلة، قتله مسعدة، وأدرك سلمة^(٢) بن الأكوع القوم وهو على رجله، فجعل يُراميهم بالنبل ويقول: [من مجزوء الرجز]

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضْع^(٣)

حتى انتهى إلى ذي قرد - وهي ناحية خيبر مما يلي المُستناخ - قال سلمة: فلحقنا رسول الله ﷺ والناس والخيول عشاء، فقلت: يا رسول الله، إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح^(٤)، وأخذت بأعناق القوم. فقال النبي ﷺ: «ملككت فأسجج»^(٥)؛ ثم قال: «إنهم الآن ليُقرَّون»^(٦) في غطفان. وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال

(١) مسجى: مغطى.

(٢) كان شجاعاً رامياً يسبق الفرس، وما كذب قط.

(٣) يوم الرضغ: يعني يوم هلاك اللثام، من قولهم: لثيم راضع، أي رضع اللؤم في بطن أمه. وقيل: معناه اليوم يعرف من ارتضعته الحرب من صغره، وتدرّب بها، ويعرف غيره (راجع المواهب: ٢: ١٨٢).

(٤) السرح: المال السائم المرسل في المرعى.

(٥) ملكت فأسجج: أي قدرت عليهم، فافرق وأحسن العفو.

(٦) يقرّون: من القرى، وهي الضيافة. وقيل: يجمعون الماء واللبن لذلك تقرأ بفتح الراء وضمها حسب المعنى.

على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذى قرد، فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي، وهي عشرة، وصلى رسول الله ﷺ بذى قرد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة يتحسّس الخبر، وقسم في كلّ مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها، وكانوا خمسمائة، وقيل: سبعمائة.

ذكر سرية عكاشة بن محصن الأسدي^(١)

إلى الغمر غمر^(٢) مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد

قالوا: بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن إلى الغمر في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، فنذر^(٣) به القوم فهربوا، فنزلوا غلّياً بلادهم، ووجدوا دارهم خلّوفاً^(٤)، فبعث عكاشة شجاع بن وهب طليعة، فرأى أثر النعم، فتحملوا فأصابوا ربيّة^(٥) لهم، فأمنوه فدلّهم على نعم لبني عمّ له، فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير، وأرسلوا الرجل، وحذروا^(٦) النعم إلى المدينة، وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً.

ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة بذى القصة

قالوا: بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة إلى بني ثعلبة، وهم بذى القصة في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره، وبين ذى القصة وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، طريق الرّيدة، بعثه في عشرة نفر فوردوا عليهم ليلاً فأحرق به القوم وهم مائة رجل، فتراّموا ساعة من الليل، ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوه، ووقع محمد بن مسلمة جريحاً، يضرب كعبه فلا يتحرك، وجردوهم من الثياب، ومر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمّله حتى ورد به المدينة، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح^(٧) في أربعين رجلاً إلى مصارع القوم فلم يجدوا أحداً، ووجدوا نعماً وشاء، فساقه ورجع.

(١) عكاشة بن محصن: (.... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) عكاشة بن محصن بن حريث الأسدي من بني غنم، صحابي من أمراء السرايا. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ وقتل في حرب الردة. قتله طلحة بن خويلد الأسدي. (الأعلام: ٤: ٢٤٤).

(٢) في الأصول، وكذا في المواهب: «غمرو مرزوق»، والمثبت عن الطبقات وفي معجم البلدان: غمرة، فقد جاء فيه ما نصه: «وقال ابن الفقيه: غمرة من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاها النبي ﷺ عكاشة بن محصن».

(٣) نذر: علم.

(٤) خلّوفاً: أي أصحاب ديارهم غائبين.

(٥) ربيّة: طليعة.

(٦) حذروا: ساقوا.

(٧) أبو عبيدة بن الجراح: (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ = ٥٨٤ - ٦٣٩ م) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي: الأمير القائد، فاتح الديار الشامية، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. =

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ست من مهاجره في أربعين رجلاً من المسلمين، وسبب ذلك أن بلاد بني ثعلبة وأنمار أجذبت، ووقعت سحابة بالمراض إلى تغلمين، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب وثلعة وأنمار إلى تلك السحابة، واجتمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفاً - موضع على سبعة أميال من المدينة - فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة ومن معه حين صلوا المغرب، فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية^(١) الصبح - وهي موضع في طريق العراق - فأغاروا عليهم فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم فتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه ورثة^(٢) من متاعهم. وقدم المدينة بذلك، فخمسه رسول الله ﷺ، وقسم ما بقي عليهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في شهر ربيع الآخر سنة ست من الهجرة إلى بني سليم، فسار هو ومن معه حتى ورد الجموم - ناحية بطن نخل عن يسارها، وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرد - فأصابوا عليه امرأة من مُزينة يقال لها: حليلة، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم، فأصابوا فيها نَعماً وشاء وأسرّى، فكان فيهم زوج حليلة المُزنيّة، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها، وزوجها، فقال بلال بن الحارث المُزني^(٣) في ذلك: [من الطويل] لعمرك ما أخنى المَسُول ولا ونّت حليلة حتى راح ركبُهما معاً^(٤)

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لعير قريش

بعثه رسول الله ﷺ في جمادي الأولى سنة ست من مهاجره في سبعين ومائة

= ولد بمكة، شهد المشاهد كلها. وولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد. توفي بطاعون عمواس ودفن في غور بيسان. (الأعلام: ٣: ٢٥٢).

(١) عماية الصبح: يقال: لقيته في عماية الصبح، أي في ظلمته قبل أن أتبينه.

(٢) الرثة: السقط من متاع البيت.

(٣) بلال بن الحارث المزني: (.... - ٦٠ هـ = - ٦٨٠ م) بلال بن الحارث المزني، أبو عبد

الرحمن صحابي، شجاع، من أهل بادية المدينة. أسلم سنة ٥ هـ. وكان من حاملي ألوية «مزينة» يوم الفتح. توفي في آخر خلافة معاوية عن ٨٠ عاماً. (الأعلام: ٢: ٧٢).

(٤) أخنى: أفحش.

راكب إلى العيص - وبينها وبين المدينة أربع ليال، وبينها وبين ذي المروة ليلة - وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام، فبعثه ومن معه ليتعرض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذ يومئذ فِضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسروا ناساً ممن كان في العير، منهم أبو العاص بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاص بزينب بنت رسول الله ﷺ، فأجارته، ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ: إني قد أجرت أبا العاص. فقال رسول الله ﷺ: «ما علمت بشيء من هذا، قد أجرنا من أجرت». ورد عليه ما أخذ له كما تقدم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بني ثعلبة

بعثه رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة سنة ست من مهاجره إلى الطرف - وهو ماء قريب من المراض، دون الثخيل، على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، طريق البقرة على المحجة - فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال، وكان شعارهم «أمت أمت».

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى حسمى، وهي وراء وادي القرى

قالوا: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الآخرة أيضاً، وذلك أن دخية بن خليفة الكلبي أقبل من عند قيصر صاحب الروم حين بعثه إليه رسول الله ﷺ بكتابه، وقد أجازته^(١) وكساه، ومع^(٢) دحية تجارة له، حتى إذا كان بوادٍ يقال له: شئار أو شئان^(٣)؛ أغار عليه الهنيد بن عارض، وقيل: ابن عوص؛ وابنه عارض بن الهنيد، وقيل: عوص بن الهنيد الضلعيان^(٤) في ناس من جذام بحسمى، ففقطعوا عليه الطريق وأخذوا ما معه، فلم يتركوا عليه إلا سمل^(٥) ثوب، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب - رهط رفاعة بن زيد ممن كان أسلم وأجاب - فنفروا إلى الهنيد وابنه، وفيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال حتى لقوهم فاقتتلوا، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاري ثم الضلعي، فقال: أنا ابن لبنى؛ ورمى النعمان بسهم فأصاب ركبته، وقال:

(١) أجازته: أعطاه جائزة. وذلك لأنه قارب الإسلام ولم يسلم خوفاً على ملكه.

(٢) كلمة ساقطة من المتن. والأقرب للمعنى (ومع دحية).

(٣) كذا في معجم البلدان والطبري. وفي الأصل: «شيار».

(٤) الضليع: بطن من جذام.

(٥) سمل ثوب: أي الخلق من الثياب. البالي منها.

خذها وأنا ابن لبني؛ ولُبْنَى أمّه، ثم استنقذوا لِدِحْيَةَ متاعه، وقدم دِحْيَةَ على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل وردّ معه دِحْيَةَ، فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من بي عُدْرَةَ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم، فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم، فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة، فرحل رِفَاعَةُ^(١) بن زيد الجذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ، فدفع إليه كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم، وقال: يا رسول الله، لا تحرم علينا حلالاً ولا تحلّ لنا حراماً. فقال: كيف أصنع بالقتلى؟ فقال أبو يزيد بن عمرو: يا رسول الله، أطلق لنا من كان حيّاً، ومن قتل فهو تحت قدميّ هاتين، فقال رسول الله ﷺ: صدق أبو يزيد؛ فبعث معهم عليّاً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلّي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فتوجّه عليّ رضي الله عنه، فلقي رافع بن مكيث الجُهَنِي بشير زيد بن حارثة على ناقة من إبل القوم، فردّها عليّ عليهم، ولقي زيداً بالفحلتين^(٢) - وهي بين المدينة وذي المروة - فأبلغه أمر رسول الله ﷺ، فرد عليهم كلّ ما كان أخذ منهم.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى^(٣)

قال محمد بن سعد في طبقاته الكبرى: بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى وادي القرى أميراً في شهر رجب سنة ست من الهجرة. ولم يذكر غير ذلك.

ذكر سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة^(٤) الجندل

قال محمد بن سعد رحمه الله: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في شعبان سنة ست من مهاجره، فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال: اغز بسم

(١) قدم رِفَاعَةُ هذا على النبي ﷺ في هدنة الحديبية في جماعة من قومه فأسلموا، وعقد له رسول الله ﷺ على قومه. وكتب له كتاباً إلى قومه فأسلموا. وهذا نص الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب محمد رسول الله إلى رِفَاعَةَ بن زيد. إني بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم، يدعوه إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففي حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين». راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٢.

(٢) كذا في الطبقات، ومعجم البلدان. وفي الأصل: «بالنخلتين»، وهو تحريف.

(٣) وادي القرى: وادٍ بين الشام والمدينة فيه قرى كثيرة.

(٤) دومة الجندل: حصن وقرى من طرف الشام، بينها وبين دمشق خمس ليال، وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.

الله، وقاتل في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغلّ^(١) ولا تغدر، ولا تقتل وليداً. وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم. فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً وهو رأسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام منهم على إعطاء الجزية، وتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن.

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بفدك

قالوا: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في شعبان سنة ست من الهجرة إلى بني سعد بن بكر بفدك في مائة رجل، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار علي رضي الله عنه بمن معه، فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى انتهى إلى الهمج^(٢) - وهو ماء بين خيبر وفدك، وبين فدك والمدينة ست ليال - فوجدوا به رجلاً فسألوه عن القوم فقال: أخبركم على أن تؤمنوني؟ فأمنوه فدلهم، فأغاروا عليهم فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بن عليم، فعزل علي رضي الله عنه صفي^(٣) رسول الله ﷺ لقوحاً تدعى الحفدة^(٤)، ثم عزل الخمس وقسم الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة ولم يلق كيداً.

ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى وقتل أم قرفة

كانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، وذلك أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ﷺ، فلما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم، ثم استبل^(٥) زيد بن حارثة، وقدم على النبي ﷺ، فبعثه رسول الله ﷺ إليهم. حكاه محمد بن سعد في طبقاته.

(١) غلّ: خان.

(٢) الهمج: في الأصول: «الغمج»، وصوابه من الطبقات. انظر معجم البلدان.

(٣) الصفي: ما يختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة.

(٤) الحفدة: السريعة.

(٥) استبل: عوفي.

وقال محمد بن إسحاق: إن الذي أصاب زيد بن حارثة كان عند غزوة وادي القرى، فإنه أصيب بها ناس من أصحابه، وارثاً^(١) زيد من بين القتلى، ولعل هذه السرية هي التي كانت في شهر رجب من السنة.

قال ابن سعد: فخرج زيد بن حارثة بمن معه فكمّنوا النهار وساروا الليل، ونذرت^(٢) بهم بنو بدر، ثم صاحبهم زيد وأصحابه وكبّروا وأحاطوا بالحاضر^(٣)، وأخذوا أم قرفة، وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر، وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر، فكان الذي أخذ الجارية سلمة بن الأكوع، فوهبها لرسول الله ﷺ، فوهبها ﷺ لحزن بن أبي وهب، وقال: وعمد قيس بن المَحْسر إلى أم قرفة، وهي عجوز كبيرة، فربط بين رجلها حبلاً، ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما، فذهبا فقطعها^(٤)، وقتل النعمان وعبد الله ابنا مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر، وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، ففرع باب النبي ﷺ فقام إليه عُريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما ظفّره الله به.

ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير^(٥) ابن رزام^(٦) اليهودي بخيبر

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، وذلك أنه لما قُتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق كما ذكرنا أمّرت يهود عليها أسير بن رزام، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين في شهر رمضان سراً سأل عن خبره وغرته^(٧)، فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا على أسير فقالوا له: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؛ قال: نعم، ولي منكم مثل ذلك؛ قالوا: نعم، فقالوا له: إن رسول

(١) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وبه رمق.

(٢) نذرت بهم: علمت بهم، فحذرتهم.

(٣) الحاضر: من حضر هناك من فزارة.

(٤) في شرح المواهب اللدنية: ٢: ١٩٧ ما يأتي: «ذكر الدولابي: أن زيداً إنما قتلها كذلك لسيها رسول الله ﷺ قيل: لأنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها، وولد ولدها وقالت: اغزوا المدينة، واقتلوا محمداً».

(٥) في رواية أخرى: «يسير» بضم الياء وفتح السين.

(٦) في الأصول: «زارم» والتصويب من المواهب وابن هشام.

(٧) غرته: غفلته.

الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك. فطمع أسير في ذلك، فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجل رديف^(١) من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة^(٢) ثبار ندم أسير، قال عبد الله ابن أنيس - وكان في السرية: فأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له ودفعت بعيري فقلت: غدرأ أي عدو الله! فعل ذلك مرتين، فنزلت فسبقت القوم حتى انفردت إلى أسير فضربته بالسيف، فأندرت^(٣) عامة فحذه وساقه، وسقط عن بعيره وبيده مخرش^(٤) من شوحط^(٥)، فضربني به فشجني مأمومة^(٦)، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً، ولم يُصَب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا على رسول الله ﷺ فحدثناه الحديث، فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين. وتقل ﷺ على شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح^(٧) ولم تؤذه.

ذكر سرية كرز بن جابر الفهري^(٨) إلى العرنين

كانت هذه السرية في شوال سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا: قدم نفر من عرينة ثمانية على رسول الله ﷺ فأسلموا واستوبؤوا^(٩) المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ إلى لقاحه، وكانت ترعى بذي الجدر - ناحية قباء قريباً من غير، على ستة أميال من المدينة - فكانوا فيها حتى صحوا وسمنوا، فعَدوا على اللقاح فاستاقوها، فأدركهم يسار مولى رسول الله ﷺ ومعه نفر، فقاتلهم، فقطعوا يده ورجله وعرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر، فبعث في أثرهم عشرين فارساً،

(١) الرديف: الذي يركب خلف الراكب.

(٢) قرقرة ثبار: موضع على ستة أميال من خير.

(٣) أندرت: قطعت.

(٤) المخرش والمخراش: عصا معوجة الرأس.

(٥) شوحط: من شجر الجبال، تتخذ منه القسي.

(٦) شجة مأمومة: بلغت أم الرأس.

(٧) تقح: يتحول الدم فيها إلى قيح، أي عمل.

(٨) كرز بن جابر الفهري: كرز بن جابر بن حسل بن لاجب... القرشي الفهري، كان من رؤساء

المشركين قبل أن يسلم. أغار على سرح المدينة مرة فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته

كرز وهذه هي غزوة بدر الأولى. ولما عدا العرنين على غلام النبي ﷺ بعث النبي ﷺ في آثارهم

خيلاً من المسلمين أميرهم كرز بن جابر. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ٢٩٠ رقم الترجمة

(٧٣٩٤).

(٩) استوبؤوا: استوخموا.

واستعمل عليهم كُرز بن جابر الفهري، فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم وربطوهم وأردفهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة، وكان رسول الله ﷺ بالغابة، فخرجوا بهم نحوه، فلَقُوهُ بِالزَّغَابَةِ^(١) بمجتمع السيول، فأمر بهم ففُطِعَت أيديهم وأرجلهم، وُسُمِلَتْ أعينهم، وُصِّلُوا هُنَالِكَ، وأنزل الله تعالى على رسوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣]. فلم يسمَل بعد ذلك عينا، وكانت اللقاح خمس عشرة لِقْحَةً غِزَاراً فردوها إلى المدينة، ففقد منها لِقْحَةً تدعى الحناء، فسأل رسول الله ﷺ عنها، فقيل: نحروها.

ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة

قال محمد بن سعد في طبقاته: وذلك أن أبا سفيان بن حرب قال لنفر من قريش: ألا أحد يَغْتَرُّ^(٢) محمداً فإنه يمشي في الأسواق؟ فأتاه رجل من الأعراب فقال: قد وَجَدْتُ أجمع الرجال قلباً، وأشدّه بطشاً، وأسرعه شداً، فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى أغتاله، ومعني خنجر مثل خافية^(٣) النسر؛ قال: أنت صاحبنا؛ فأعطاه بغيراً ونفقة، وقال: اطوِ أمرك؛ فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبح ظهر الحرة صبح سادسة، ثم أقبل فسأل عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه، فعقل راحلته، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ وهو في مسجد بني عبد الأشهل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «إن هذا ليريد غدراً». فذهب ليحني على رسول الله ﷺ فجذبه أسيد بن الحضير بداخلة^(٤) إزاره، فإذا بالخنجر، فسُقِطَ^(٥) في يده، وقال: دمي دمي! وأخذ أسيد بلبته فدعته^(٦)، فقال له رسول الله ﷺ: «أصدقني، ما أنت؟» قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، فأخبره بخبره، فخلّى عنه ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري^(٧)، وسلمة بن أسلم بن أبي

(١) ضبطت في القاموس بضم الزاي، وفي معجم البلدان بفتحها.

(٢) يغتر: يأتيه على غفلة. وفي الأصول: «يغر» وطوباه عن المواهب فيما نقله عن الطبقات.

(٣) خافية النسر: ريشة صغيرة في جناح النسر دون العشر ريشات التي في مقدم الجناح.

(٤) داخلة الإزار: طرفه وحاشيته من الداخل.

(٥) سقط في يده: ندم.

(٦) دعته: خنقه أشد الخنق.

(٧) عمرو بن أمية الضمري: (... - نحو ٥٥ هـ = ... - نحو ٦٧٥ م) عمرو بن أمية بن خويلد بن =

حريس^(١) إلى أبي سفيان بن حرب، وقال: إن أصبتهما منه غرة فاقتلاه؛ فدخل مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، وأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لم يأت عمرو لخير، فحشد له أهل مكة وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبد الله التميمي فقتله، وقتل آخر من بني الدليل، سمعه يتغنى ويقول: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمين

ولقي رسولين لقريش بعثتهما يتحسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل يخبر رسول الله ﷺ، ورسول الله يضحك هكذا حكى محمد بن سعد.

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: إن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن أمية الضمري، ومعه جبار بن صخر الأنصاري، وذلك بعد مقتل حبيب بن عدي وأصحابه، قال: فخرجنا حتى قدما مكة، وحبسنا جمليهما بشعب من شعاب يأجج^(٢)، ثم دخلا مكة ليلاً، فقال جبار بن صخر لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين؛ قال عمرو: فطفنا وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلينا رجل فعرفني فقال: عمرو بن أمية، والله إن قديمها إلا لشر؛ فقلت لصاحبي: النجاء؛ فخرجنا نشتد حتى أضعدنا في جبل، وخرجوا في طلبنا، حتى إذا علونا الجبل يثسوا منا، فدخلنا كهفاً في الجبل فبتنا، وقد رَضَمْنَا^(٣) دوننا الحجارة، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً له، فغشينا ونحن في الغار، فقلت: إن رآنا صاح بنا فتؤخذ فنقتل؛ قال: فخرجت إليه فضربته على ثديه بخنجر كنت قد أعددت لأبي سفيان فصاح صيحة أسمع أهل مكة، ورجعت فدخلت مكاني، وجاءه الناس يشتدون وهو بأخر رَمَق، فقالوا: مَنْ ضربك؟ قال: عمرو بن أمية. ومات لوقته، ولم يدلّ علينا، فاحتملوه، فقلت لصاحبي لما أمسينا: النجاء، فخرجنا ليلاً من مكة نريد المدينة،

= عبد الله الضمري: شجاع من الصحابة. اشتهر في الجاهلية وشهد مع المشركين بدرأً وأحدأً، ثم أسلم. وحضر بئر معونة. عاش في أيام الخلفاء الراشدين، وشهد وقائع كثيرة. مات بالمدينة في خلافة معاوية (الأعلام: ٥: ٧٣).

(١) سلمة بن أسلم: (٤٩ ق هـ - ١٤ هـ = ٥٧٥ - ٦٣٥ م) سلمة بن أسلم بن حريش الخزرجي الأنصاري، أبو سعد، صحابي من الشجعان. شهد بدرأً وأحدأً والخندق والمشاهد كلها. وخرج في جيش أسامة بن زيد لغزوة الروم. استشهد يوم جسر أبي عبيد. (الأعلام: ٣: ١١٢).

(٢) يأجج: اسم موضع بمكة.

(٣) رضم الحجارة: جعل بعضها على بعض.

فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب، فقال أحدهم: والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو؛ قال: فلما حاذى عمرو الخشبة شد عليها واحتملها، وخرجاً شداً، وخرجوا وراءه، حتى أتى جُزفاً بمهبط مَسِيل يَأَجَج، فرمى بالخشبة في الجُرف، فغيبه الله عنهم، فلم يقدرُوا عليه. قال عمرو: وقلت لصاحبي: النجاء، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه، فإني سأشغل عنك القوم؛ قال: ومضيت حتى خرجت على ضُجنان^(١)، ثم أويت إلى جبل فدخلت كهفاً، فبينما أنا فيه إذ دخل عليّ شيخ من بني الدَّيل أعور، في غُنيمة له؛ فقال: مَنْ الرجل؟ قلت: من بني بكر، فَمَنْ أنت؟ قال: من بني بكر؛ فقلت: مرحباً؛ فاضطجع، ثم رفع عقيرته فقال: [من الوافر]

ولست بمسلم ما دمت حيّاً ولست أدين دينَ المسلمين
فقلت في نفسي: ستعلم؛ فأمهلت حتى إذا نام أخذت قوسي فجعلت سيّتها^(٢) في عينه الصحيحة، ثم تحاملت عليها حتى بلغت العظم، ثم خرجت حتى جئت العُرج^(٣)، ثم سلكت رُكوبة^(٤)، حتى إذا هبطت النقيع^(٥) إذا رجلان من قريش من المشركين، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة يتحسَّسان؛ فقلت: استأسرا، فأبيا، فرميت أحدهما بسهم فقتلته، ثم استأسر الآخر فأوثقته رباطاً، وقدمت به المدينة.
ولم يذكر أحد منهما تاريخ هذه السرية، في أي شهر كانت، فأذكره.

ذكر غزوة الحُدَيْبِيَّة^(٦) وما وقع فيها من بيعة الرُّضوان ومهادنة قريش وغير ذلك

كانت غزوة الحُدَيْبِيَّة في ذي الحُجة سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ.
قال محمد بن سعد: استنفر رسول الله ﷺ أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهيؤوا، ولبس رسول الله ﷺ ثوبين، وركب راحلته القُصواء^(٧) وخرج، وذلك يوم

-
- (١) ضُجنان: اسم جبل بمكة.
 - (٢) سية القوس: ما عطف من طرفها.
 - (٣) العُرج: اسم منزل بطريق مكة، أو وادٍ بالحجاز.
 - (٤) ركوبة: ثنية بين مكة والمدينة عند العرج.
 - (٥) النقيع: موضع ببلاد مزينة على ليلتين من المدينة.
 - (٦) الحديبية: بئر سمي المكان بها، وقيل: شجرة حدباء يسمي المكان بها، وقيل: قرية متوسطة قرية من مكة.
 - (٧) القُصواء: لقب ناقة لرسول الله ﷺ.

الاثنين لهلال ذي القعدة، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم. وقال ابن إسحاق: استعمل على المدينة ثُميلة بن عبد الله الليثي. قال ابن سعد: ولم يُخرج رسول الله ﷺ معه^(١) سلاح إلا سلاح المسافر، السيوف في القُرب، وساق بُدناً^(٢) وساق أصحابه بدناً، فصلى الظهر بذي الحليفة: ثم دعا بالبدن التي ساق فجُللت^(٣)، ثم أشعرها^(٤) في الشق الأيمن وقلدها^(٥)، وأشعر أصحابه أيضاً، وهي مَوَجَّهات إلى القبلة، وهي سبعون بدنة، فيها جمل أبي جهل الذي غنمه رسول الله ﷺ يوم بدر، وأحرم رسول الله ﷺ ولبي، وقدم عبّاد بن بشر أمامه طليعة في عشرين فارساً من خيل المسلمين، وفيهم رجال من المهاجرين والأنصار، وخرج معه ﷺ من المسلمين ألف وأربعمائة على الصحيح، وقيل: ألف وستمائة؛ ويقال: ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة رضي الله عنها، وبلغ المشركين خروجه، فأجمع رأيهم على صده عن المسجد الحرام، وعسكروا ببَلَدَح^(٦) وقدموا مائتي فارس إلى كُراع^(٧) الغميم، عليهم خالد بن الوليد، ويقال: عكرمة بن أبي جهل.

قال محمد بن إسحاق: قال الزهري: لما كان رسول الله ﷺ بعُسفان لقيه بشر بن سُفيان الكعبي - قال ابن هشام: ويقال: بُسر - فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ^(٨) المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذي طوى، يعاهدون الله ألا ندخلها عليهم أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كُراع الغميم. فقال رسول الله ﷺ: «ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٩)». قال محمد بن سعد: ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب

(١) حذف المؤلف المفعول هنا، والتقدير لم يخرج معه أحداً.

(٢) البدن: جمع بدنة، وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة.

(٣) جللت: ألبست ما تصان به.

(٤) أشعرها: أعلمها، وذلك بأن ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعاراً بأنها هدي.

(٥) قلدها: علق في عنقها شيئاً ليعلم أنها هدي.

(٦) بلدح: وإد قبل مكة من جهة الغرب.

(٧) كراع الغميم: موضع بين مكة والمدينة.

(٨) العوذ المطافيل: النوق التي وضعت أولادها حديثاً، يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان.

(٩) السالفة: صفحة العنق، وكنتى بانفرادها على الموت.

رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر فتقدم في خيله، فأقام بإزائه وصف أصحابه، وحانت صلاة الظهر، فصلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فلما أمسى ﷺ قال لأصحابه: تيامنوا في هذا الموضع العُضْل^(١) - موضع منعطف في الوادي - فإن عيون قريش بمرّ الظهران وبضجنان. فسار حتى دنا من الحديبية، وهي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة، ف وقعت يدا راحلته على ثنية تهبط على غائط^(٢) القوم، فبركت.

وقال ابن إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره: إن رسول الله ﷺ لما كان بغدير الأشطاط^(٣) قريباً من عُسفان أتاه عنقه^(٤) الخزاعي، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد جمعا لك الأحابيش^(٥)، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت؛ فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبيهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن يحبثوا تَكُنْ عنقاً قطعها الله، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال رسول الله ﷺ: فَرُوحُوا إِذَا؛ فراحوا، حتى إذا كان بعُسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي، وذكر من قوله ومن جواب رسول الله ﷺ ما قدمناه إلى قوله: أو تنفرد هذه السالفة. ثم قال رسول الله ﷺ: من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها؟ فقال رجل من أسلم: أنا يا رسول الله. فخرج بهم على طريق وعر حَزْن^(٦) بين شعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضى إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، قال رسول الله ﷺ: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه، ففعلوا، فقال: والله إنها لِلْحِطَّةِ^(٧) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقبلوها؛ ثم قال رسول الله ﷺ للناس: اسلكوا ذات

(١) العُضْل: موضع بالبادية كثير الغياض». وفي ابن سعد وإمتاع الأسماع: «في هذا

العُضْل». والعُضْل: الرمل الملتوي المعوج.

(٢) غائط القوم: متسع من الأرض (اللسان: غوط).

(٣) غدير الأشطاط: موضع تلقاء الحديبية.

(٤) عنه: الذي يأتيه بالأخبار.

(٥) الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمه، وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة، كانوا

تحالفوا مع قريش، وقيل: تحت جبل يقال له: الحبشي أسفل مكة. وقيل: سموا بذلك لتحبشهم،

أي تجمعهم.

(٦) حزن: غليظ، صعب.

(٧) الحطة: يشير إلى قول الله تعالى لبني إسرائيل: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ ومعناه: اللهم حط عنا ذنوبنا.

اليمن في طريق يخرج به على ثنية المَرَار^(١) على مهبط من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق، فلما رأت خيل قريش قُترة^(٢) الجيش، وأن رسول الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم، ركضوا راجعين إلى قريش يندرونهم، وسار رسول الله ﷺ حتى إذا سلك ثنية المَرَار بركت به ناقته، فقال الناس: حَلْ^(٣)؛ حَلْ؛ فقال: ما حل؛ قالوا: خَلَّتْ^(٤) القُضواء؛ فقال ﷺ: «ما خَلَّتْ وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس^(٥) الفيل»؛ ثم قال: «والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش إلى خُطة يعظمون بها حرمت الله، وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»؛ ثم قال للناس: «انزلوا» فنزلوا بأقصى الحديبية على بئر قليلة الماء، إنما يتبرّضه^(٦) الناس تبرّضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه، يقال له: ناجية بن عُمير بن يَغَمَر بن دارم، وهو سائق بُذْن رسول الله ﷺ، فنزل في تلك البئر فغرز في جوفها فجاش^(٧) الماء بالري، حتى صدروا^(٨) عنه؛ ويقال: إن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها، وناجية في القليب يميح^(٩) على الناس، فقالت: [من الرجز]

يا أيها المائح ذلوي دُونُكَ إني رأيت الناس يَحْمَدونكَ
يثنون خيراً ويمجدونكَ أرجوك للخير كما يرجونكَ
فقال ناجية: [من الرجز]

قد علمت جاريةً يَمَانِيه أتي أنا المائح واسمي ناجيه
وطغنة ذات رشاش واهيه طعننها تحت صدور العاديه^(١٠)

قال ابن إسحاق: ناجية بن جندب بن عُمير الأسلمي؛ قال: وزعم بعض أهل العلم أن البراء بن عازب^(١١) كان يقول: أنا الذي نزلت بسهم رسول الله ﷺ. قال

(١) ثنية المَرَار: في الأصل: «المران» وهو تحريف.

(٢) قُترة الجيش: غباره.

(٣) حل: كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. (راجع شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٢١).

(٤) الخلا: جران الإبل.

(٥) حابس الفيل: أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها.

(٦) يتبرّضه الناس: أي: يأخذونه قليلاً قليلاً.

(٧) جاش: فار.

(٨) صدروا: رجعوا.

(٩) الميح: أن تدخل البئر فتملاً الدلو لقلّة مائها.

(١٠) العادية: القوم الذين يعدون. أي: يسرعون العدو.

(١١) البراء بن عازب: (.... هـ - ٧١ هـ = - ٦٩٠ م) البراء بن الحارث الخزرجي، أبو =

محمد بن إسحاق والثعلبي: روي عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المشور بن مخزومة ومروان بن الحكم: فلما اطمأن رسول الله ﷺ أتاه بُدَيْل بن ورقاء^(١) الخزاعي في نفر من قومه، وكانت خزاعة عَيَّبة^(٢) نُصِّح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي قد نزلا أَعْدَاد^(٣) مياه الحديبية، معهم العُوذ^(٤) المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي ﷺ: إنا لم نأت لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرّت بهم، فإن شاءوا ماددناهم^(٥) مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا^(٦)، فوالله لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو ليُنفذنَّ الله أمره. قال بُدَيْل: سنبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا؛ فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا في أن تحدثنا عنه بشيء؛ وقال ذوو الرأي منهم: هات كما سمعته يقول؛ قال: سمعته يقول كذا وكذا. فحدثهم بما قال رسول الله ﷺ، وقال لهم: إنه لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، فاتهموه وجَبَّهوه^(٧) وقالوا: إن كان جاء ولا يريد قتالاً فوالله لا يدخلها علينا عنوة^(٨) أبداً، ولا يحدث بذلك عنا العرب؛ ثم بعثوا إليه مِكرَز بن حفص بن الأخيف أخا بني عامر بن لؤي، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً قال: هذا رجل غادر. وفي رواية: «فاجر». فلما انتهى إليه وكلمه قال له رسول الله ﷺ نحواً مما قال لبديل بن ورقاء وأصحابه، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال النبي ﷺ، ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة أو ابن زَبَّان^(٩)،

= عمارة: قائد صحابي من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة أولها غزوة الخندق. عاش إلى أيام مصعب بن الزبير فسكن الكوفة واعتزل الأعمال. وتوفي في زمنه. (الأعلام: ٢: ٤٦).

(١) بدیل بن ورقاء الخزاعي: بدل بن ورقاء بن عمر بن ربيعة بن عبد العزی بن ربيعة الخزاعي. له صحبة، سكن مكة، ويقال: إنه قتل بصفين. كان إسلامه قبل الفتح، وقيل يوم الفتح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٤١. رقم الترجمة ٦١٤.

(٢) عيبة نصح: موضع نصح.

(٣) أعداد: جمع عد، وهو الماء الذي لا انقطاع له. ويطلق أيضاً على الكثرة في الشيء.

(٤) العوذ المطافيل: النساء والصبيان (اللسان: عوذ).

(٥) ماددناهم مدة: جعلنا بيننا وبينهم مدة نترك الحرب فيها.

(٦) جَمُّوا: استراحوا.

(٧) جبَّهوه: لقوه بما يكره.

(٨) عنوة: قسراً، رغماً.

(٩) كذا في ابن هشام، والطبري، وفي الأصل: «ابن ريان».

وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: هذا من قوم يتألهون^(١)، فابعثوا الهدي^(٢) في وجهه حتى يراه. فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، قد أكل أوباره^(٣) من طول الحبس عن محلّه^(٤) رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال لهم ذلك؛ فقالوا له: يا حليس، إنما أنت أعرابي لا علم لك، فقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاهدناكم، أئصدّ عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد؛ فقالوا له: مَهْ، كف عنا يا حليس، ودعنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به؛ قال: ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي^(٥) فقال لهم: يا معشر قريش، إني قد رأيت ما يلقي منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد - وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس - وقد سمعت بالذي نابكم^(٦)، فجمعت من أطاعني من قومي، ثم جئتم حتى آسيتكم بنفسي؛ قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم. فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال: يا محمد، أجمعت أوْشَاب^(٧) الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك^(٨) لتفضّها بهم؟ يا محمد، أرايت إن استأصلت قومك فهل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنة أبداً، وإني لأرى وجوهاً وأوشاباً من الناس خليقاً^(٩) أن يفرّوا ويدعوك، وأيم الله، لكأني بهؤلاء قد انكشفوا غداً عنك. وأبو بكر الصديق رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال لعروة: امصص بظُر

(١) التآله: التعبد، قال رؤية: ضحكن واستهزأن من تألهي.

(٢) الهدي: المواشي التي تضحي في الحج.

(٣) أوباره: جمع وبر، وهو صوف الإبل.

(٤) محل الهدي: الموضع أو الوقت الذي يحل فيه نحره.

(٥) عروة بن مسعود: (.... - ٩هـ = ٦٣٠ م) عروة بن مسعود بن معتب الثقفي. صحابي مشهور. قيل إنه المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، ولما أسلم استأذن النبي ﷺ أن يرجع إلى قومه يدعوهم للإسلام، فقال: أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني! فأذن له، فرجع، فدعاهم إلى الإسلام، فخالقوه، ورماه أحدهم بسهم فقتله. (الأعلام: ٤: ٢٢٧).

(٦) نابكم: أصابكم.

(٧) أوْشَاب الناس: أخلاط الناس، وأوشاب: مثل أوباش.

(٨) بيضتك: أصلك وعشيرتك.

(٩) في الأصول: «خلقاً» والتصويب من المواهب.

اللات، أنحن ننكشف عنه؟ واللات طاغية ثقيف التي كانوا يعبدونها - فقال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قُحافة؛ قال: أما والله لولا يد^(١) كانت لك عندي لكافأئك بها، ولكن هذه بها. قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه، والمغيرة بن شعبة^(٢) واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ، ويقول: اكف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل ألا تصل إليك؛ قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفضك وما أغلظك! قال: فتبسم رسول الله ﷺ، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة» قال: أي عُذر، وهل غسلت سواك إلا بالأمس؟ - وكان المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، صحبهم فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «أما الإسلام فقد قبلناه، وأما المال فإنه مال عُذر، ولا حاجة لنا فيه». قال: ولما قتلهم المغيرة تهايج^(٣) الحَيَّان من ثقيف: رهط القتلى ورهط المغيرة، فودى^(٤) عُروة المقتولين ثلاثة عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر، فلذلك قال للمغيرة ما قال - قال: ثم كلم رسول الله ﷺ عُروة بنحو ما كلم به أصحابه، فقام من عند رسول الله ﷺ، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بُصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدّون^(٥) النظر إليه تعظيماً له. فرجع إلى قريش فقال: يا معشر قريش، والله لقد وقَدْتُ على الملوك؛ وفدت على قَيْصَر في مُلكه، وكسرى في مُلكه، والنجاشي في ملكه، وإنني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن تنخُم نُخامة^(٦) إلا وقعت في كف رجل منهم فذلّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه

(١) كان عروة قد تحمل بدية فأعانه فيها أبو بكر بعشر خلاص، وكان غيره يعينه بالاثني والثلاث.

(٢) المغيرة بن شعبة: (٢٠ ق هـ ٥٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٧٠ م) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله، أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صحابي يقال له: «مغيرة الرأي» ولد في الطائف. فلما ظهر الإسلام تردد في قبوله إلى أن كانت سنة ٥ هـ، فأسلم. وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية اعتزلها المغيرة، وحضر مع الحكمين. ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل فيها إلى أن مات. (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) تهايج: اضطرب.

(٤) ودّى: دفع الدية.

(٥) يحدون: يحدقون.

(٦) نُخامة: ما يخرج من الخيشوم عند التنخم (المخط): اللسان: نخم.

لشيء أبداً، فَرَوْا رأيكم. وفي رواية قال: وإنه قد عرض عليكم خطة رُشد فاقبلوها.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي، إلى قريش بمكة، وحمله على بعير يقال له: الثعلب، ليبلغ أشرافهم ما قد جاء له، فعقروا الجمل وأرادوا قتل خراش، فمنعته^(١) الأحابيش، فخلّوا سبيله. قال: وبعثت قريش أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا وأتى بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم، وخلّى سبيلهم، وكانوا رموا في العسكر بالحجارة والنبل. ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبيعته إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها، ولكنتي أدلك على رجل أعزّ بها مني، عثمان بن عفان، فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش، يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة. فخرج حتى أتى مكة، فلقه أبان بن سعيد بن العاص^(٢) حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ؛ فلما فرغ عثمان من الرسالة قال له: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. فاحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قُتل. فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم». ودعا الناس إلى البيعة.

ذكر بيعة الرضوان

كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، قال الثعلبي: وكانت سُمرة^(٣). قال: وكان سبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن عثمان بن عفان قُتل قال: «لا نبرح حتى نناجز القوم»؛ ودعا الناس إلى البيعة، قال: فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت. وقال عبد الله بن مُعَفَّل: كنت قائماً على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم ويبيدي غصن من السُمرة أذب عنه وهو يبايع الناس، فلم يبايعهم على الموت وإنما

(١) منعته: حمته.

(٢) أبان بن سعيد بن العاص: (.... - ١٣ هـ = ٦٣٤ م) أبان بن سعيد بن العاص الأموي أبو الوليد: صحابي من ذوي الشرف كان في عصر النبوة شديد الخصومة للإسلام والمسلمين، ثم أسلم سنة ٧ هـ. استشهد في وقعة أجنادين على الأرجح، وقيل مات في خلافة عثمان. انظر (الأعلام: ٢٧: ١).

(٣) السمرة: شجرة الطلح.

بايعهم على ألا يفرّوا. قال جابر بن عبد الله: فبايع رسول الله ﷺ الناس، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجدّ بن قيس أخو بني سلمة، لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقلته، مستتراً بها عن الناس.

وكان أول مَنْ بايع بيعة الرضوان من بني أسد يقال له: أبو سنان بن وهب. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكروا من أمر عثمان باطل. واختلف في عدد أهل بيعة الرضوان، وهو مبني على الاختلاف في عدد أصحاب عمرة الحديبية كما تقدم؛ لم يتخلف منهم إلا الجدّ بن قيس، قالوا: ولما بايع رسول الله ﷺ الناس بايع لعثمان، فضرب بإحدى يديه على الأخرى. وروي أن رجلاً جاء إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فسأله عن عثمان رضي الله عنه، أكان شهد بدرًا؟ قال: لا؛ قال: أكان شهد بيعة الرضوان؟ قال: لا؛ قال: فكان من الذين تولّوا يوم التقي الجمعان؟ قال: نعم. قال: فانطلق الرجل؛ فقبل لعبد الله بن عمر: إن هذا يرى أنك قد عبت، قال: عليّ به؛ فأُتي به فقال: أما بدر فإن رسول الله ﷺ قد ضرب له بسهمه وأجره؛ وأما بيعة الرضوان فقد بايع له رسول الله ﷺ فيدُ رسول الله ﷺ خير من يد عثمان، وأما الذين تولّوا يوم التقي الجمعان فقد عفا الله عنهم، فاجهدْ عليّ جهْدَكَ^(١).

وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْبَيْعَةَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَكَ بِاللَّهِ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾. قال الكلبي: معناه نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة. وقال ابن كيسان: قوة الله ونُصْرَتُهُ فوق قُوَّتِهِمْ ونُصْرَتِهِمْ. ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَكَلَّ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] وهو الجنة. وقوله تعالى في السورة أيضاً: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والسوفاء، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]. قيل: فتح خيبر؛ روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط

قال: ثم بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو^(٢) أخا بني عامر بن لؤي، فقالوا: إيتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا.

(١) اجهد جهذك: ابلغ غايتك.

(٢) سهيل بن عمرو: (.... - ١٨ هـ = - ٦٣٩ م) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، من لؤي: خطيب قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية، أسره المسلمون يوم بدر. وافتي =

فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «قد سهل أمرُكم، القوم مأثون»^(١) إليكم بأرحامكم، وسائلوكم الصلح، فابعثوا الهذي وأظهروا التلبية، لعل ذلك يُلين قلوبهم». فلبّوا من نواحي العسكر حتى ارتجت أصواتهم بالتلبية، قال: وانتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وتكلم فأطال، وتراجعا، ثم جرى الصلح بينهما، فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله ﷺ حقاً؟ قال: بلى؛ قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أو ليسوا المشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نُعطي الدّنية^(٢) في ديننا؟ قال أبو بكر: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس نعصي رأيه، فاستمسك بعرزته^(٣) حتى تموت، فوالله إنه لعلّى الحق؛ قال عمر: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت نطوف به؟ قال: بلى. فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قال: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به. قال: ثم جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: أأست رسول الله؟ قال: «بلى» قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» فلم نعطي الدّنية في ديننا إذا؟ قال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري». وفي رواية قال: «إني عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيّعي». قال عمر: أأست تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، هل أخبرتك أنك تأتيه العام؟» قال عمر: لا؛ قال: «فإنك آتية ومطوف به». قال عمر: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت خيراً. قالوا: ثم دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»؛ فقال سهيل: أما الرحمن فلا أدري ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، قال المسلمون: لا والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم؛ فقال رسول الله ﷺ: «اكتب: باسمك اللهم»، فكتبها، ثم قال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ سهيل بن عمرو». فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدّدناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: «والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني»؛ ثم قال

= فأقام على دينه إلى يوم الفتح، بمكة، فأسلم. وهو الذي تولى أمر صلح الحديبية. مات بالطاعون في الشام. راجع (الأعلام: ٣: ١٤٤).

(١) ماتون إليكم بأرحامهم: متشفعون بصلة القربى.

(٢) الدّنية: الخصلة الخسيسة.

(٣) استمسك بعرزته: أي تمسك بأمره، فلا تخالفه، كالذي يتمسك بركاب الراكب والغرز للإبل بمنزلة الركاب للفرس.

لعلي: «امحُ رسول الله». فقال: والله لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول الله ﷺ، وليس يحسن يكتب فمحاها؛ ثم قال: «اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيها الناس، ويكف بعضهم عن بعض، وعلى أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يتغني من فضل الله فهو آمن على نفسه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام، يتغني من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، وعلى أنه من أتى رسول الله ﷺ من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه». فاشتد ذلك على المسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم ورددناه إليهم فإن علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً. وأن بيننا غيبة^(١) مكفوفة، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلal، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه». فتوالت خُزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده. وتوالت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى أن تخلّوا بيننا وبين البيت فنطوف به» فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنك أخذتنا ضُغطة^(٣)، ولكن لك ذلك من العام المقبل؛ فكتب: وعلى أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، ولا تدخلها بالسلح إلا السيوف في القُرب، وسلح الراكب، وعلى أن هذ الهدي حيثما حبسناه محلّه، لا تقدّمه علينا؛ فقال رسول الله ﷺ: «نحن نسوقه وأنتم تردّون وجوهه!» قال: فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو؛ إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتليبيه، وقال: يا محمد، قد تمّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا أول من أقاضيك عليه أن تردّه إلينا؛ ثم جعل يجره ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أرّدّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ليفتنوني عن ديني؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذّب عذاباً شديداً في الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا

(١) عيبة مكفوفة: أي: أموراً مطوية في صدور سليمة، إشارة إلى ترك المؤاخذه بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها.

(٢) لا إسلال ولا إغلal: لا سرقة ولا خيانة.

(٣) الضغطة: الإكراه والشدة.

قد عاقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصليحاً، وأعطيناهم على ذلك عهداً، وإنّا لا نغدير». قال: فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب - ويدني قائم السيف منه - قال: يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، فضنّ الرجل بأبيه.

قال: وكان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمر أبي جندل شراً إلى ما بهم، قالوا: فلما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب، وفرغت القضية أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين: أبا بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة. أخا بني عبد الأشهل، ومكرز بن حفص بن الأخيف، وهو مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكان هو كاتب الصحيفة. قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من قضيته سار مع الهذلي، وسار الناس، فلما كان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية عرض له المشركون، فردّوا وجوهه، فوقف النبي ﷺ حيث حبسوه، وهي الحديدية، وقال لأصحابه: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرّات؛ فلما لم يقم منهم أحد قام رسول الله ﷺ فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس؛ فقالت له أم سلمة رضي الله عنها: يا نبي الله، اخرج ولا تكلم منهم أحداً كلمة حتى تنحر بدنتك، وتدعوا حلاقك فيحلقك. فقام ﷺ فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى نحر بدنته ودعا حلاقه فحلقه، وكان الذي حلقه ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي، فلما رأى الناس ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً. قال عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: حلق رجال يوم الحديدية وقصر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: «يرحم الله المحلقين». قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المحلقين»؛ قالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟ قال: «يرحم الله المقصرين»؛ قالوا: يا رسول الله، فلم تظهر الترخم على المحلقين دون المقصرين؟ قال: «لأنهم لم يشكوا». قال ابن عمر: وذلك أنه تربص قوم قالوا: لعلنا نطوف بالبيت.

ذكر رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح

قال الزهري: وانصرف رسول الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً حتى كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح: ١].

روى قتادة عن أنس قال: لما رجعنا من غزوة الحديبية قد حيل بيننا وبين نُسُكنا^(١)، فنحن بين الحزن، والكآبة، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ الآية كلها، فقال رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليّ آية هي أحب إليّ من الدنيا كلها». وعن زيد بن أسلم^(٢) عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، قال عمر رضي الله عنه: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أنزلت عليّ الليلة آية لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. وقد اختلف في الفتح، ما هو؟ فقال قتادة عن أنس: فتح مكة، وقال مجاهد والعوفي: فتح خيبر، وقال آخرون: فتح الحديبية، ويدل عليه ما روي عن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري^(٣)، - وكان أحد القراء الذين قرءوا القرآن - قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون^(٤) الأباغر، فقال بعض الناس لبعض: ما بال الناس؟ قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ. قال: فخرجنا نُوجِف^(٥)، فوجدنا النبي ﷺ واقفاً على راحلته عند كُراع الغميم^(٦)، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح». وقال الشعبي رحمه الله: فتح الحديبية، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، واطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس. وقال مقاتل بن حيان: يسرنا لك يسراً بيناً وقال مقاتل بن سليمان: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] فرح بذلك المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع رجلاً لا يدري ما يفعل به وبأصحابه، ما أمرنا وأمره إلا واحد، فأنزل الله عز وجل بعدما رجع من الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۖ﴾ أي قضينا لك قضاء بيناً ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

(١) الطاعة والعبادة، وهي هنا بمعنى الذبائح.

(٢) زيد بن أسلم: (.... - ١٣٦ هـ = - ٧٥٣ م) زيد بن أسلم العدوي العمري مولا هم. أبو أسامة أو أبو عبد الله، فقيه، مفسر من أهل المدينة. وكان ثقة كثير الحديث. (الأعلام: ٣: ٥٦).

(٣) مجمع بن جارية: (.... - نحو ٥٠ هـ = - نحو ٦٧٠ م) مجمع بن جارية أو ابن يزيد بن جارية) بن عامر، أحد من جمع القرآن إلا يسيراً منه، عن النبي ﷺ) وكان ذلك في صباه. مات في المدينة، في خلافة معاوية. (الأعلام: ٥: ٢٨٠).

(٤) يهزون الأباغر: ينشطونها بالحداء لتخف وتسرع في سيرها.

(٥) الإيجاف: سرعة السير.

(٦) كُراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة.

مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿فَنَسَخَتْ هَذِهِ آيَةَ تِلْكَ﴾. قَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ ^(١): ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ﴾ مَا عَمِلْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ. وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي مَسْلَمٍ الْخُرَاسَانِيُّ: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ﴾ يَعْنِي ذَنْبَ أَبِيكَ آدَمَ وَحَوَاءَ بِرِكَتِكَ ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ذُنُوبَ أَمْتِكَ بِدَعْوَتِكَ. وَقَالَ الزِّيَادِيُّ: أَيُّ لَوْ كَانَ لَكَ ذَنْبٌ قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ لَغُفِرَ نَاهُ. ﴿وَيُنَمُّ عَلَيْكَ﴾ أَيُّ بِالنَّبُوءَةِ وَالْحِكْمَةِ ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيُّ وَيُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: يَهْدِي بِكَ، ﴿وَيُنَصِّرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٣] غَالِبًا، وَقِيلَ: مَعْرَاً.

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: أَيُّ الرَّحْمَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا صَدَّقُوهُ زَادَهُمُ الصَّلَاةُ، فَلَمَّا صَدَّقُوهُ زَادَهُمُ الزَّكَاةُ، فَلَمَّا صَدَّقُوهُ زَادَهُمُ الصِّيَامَ، فَلَمَّا صَدَّقُوهُ زَادَهُمُ الْحَجَّ، ثُمَّ زَادَهُمُ الْجِهَادَ، ثُمَّ أَكْمَلَ لَهُمْ دِينَهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ أَيُّ تَصْدِيقًا بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ مَعَ تَصْدِيقِهِمْ بِالْإِيمَانِ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَقِينًا مَعَ يَقِينِهِمْ. وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: هَذَا فِي أَمْرِ الْحَدِيثِ. وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَرَأَ عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قَالُوا: هُنِيئًا مَرِيئًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ مَا يَفْعَلُ بِكَ، فَمَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءَ﴾ إِنْ لَمْ يُنْصَرِ مُحَمَّدٌ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بِالذُّلِّ وَالْعَذَابِ ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَسُجِّدُوا بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩] ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى قِصَّةَ الْبَيْعَةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَعْرَابَ غِفَارٍ وَمُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ، وَأَشْجَعَ وَأَسْلَمَ وَالذَّلِيلَ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحَدِيثِ مَعْتَمِرًا اسْتَنْفَرَ مَنْ حَوْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَأَهْلِ

(١) سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ: (٩٧ - ١٦١ هـ = ٧١٦ - ٧٧٨ م) سَفِيَانُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَسْرُوقِ الثَّوْرِيِّ. كَانَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي عِلْمِ الدِّينِ وَالتَّقْوَى. وَلَدَ وَنَشَأَ فِي الْكُوفَةِ خَرَجَ مِنَ الْكُوفَةِ (سَنَةَ ١٤٤ هـ) فَسَكَنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ. ثُمَّ طَلَبَهُ الْمَهْدِيُّ فَتَوَارَى، وَانْتَقَلَ إِلَى الْبَصْرَةِ فَمَاتَ فِيهَا مُسْتَخْفِيًا. (الأعلام: ٣: ١٠٤).

البوادي، ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدّوه عن البيت، وأحرم هو ﷺ بالعمرة وساق معه الهدى، ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، فتناقل عنه كثير من الأعراب وقالوا: نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾، الآية. أي إذا انصرفتم إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك ﴿شَغَلْتَنَا أَثْمَانُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ ثم كذبهم في اعتذارهم واستغفارهم، وأخبر عن أسرارهم وإضمّارهم، فقال: ﴿يَقُولُونَ بِآلِسْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوِيًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه أكله رأس، فلا يرجعون، فأين تذهبون؟ انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ أي هالكين فاسدين، لا تصلحون لشيء من الخير. قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [الفتح: ١٣].

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح: ١٥] قال: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ أي عن الحديبية ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ أي إلى خيبر، فنشهد معكم قتال أهلها ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ معناه يريدون أن يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أن الله تعالى جعل لهن غنائم خيبر عوضاً عن غنائم أهل مكة، إذ انصرفوا عنها عن صلح ولم يصيبوا منها شيئاً. وقال ابن زيد: هو قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] قال: والأول أصوب، لأن قوله تعالى: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ نزلت في غزوة تبوك. قال: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي من قبل مرجعنا إليكم: إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب: ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْنُدُونَا﴾ أي أن نصيب معكم من الغنائم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ آوِيٍّ بِأَسْوَءِ شِدْدَةٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾، قال ابن عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد: هم فارس. وقال كعب الأحبار: الروم. وقال الحسن: فارس والروم. وقال عكرمة: هوازن. وقال سعيد بن جبيرة: هوازن وثقيف. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين. وقال الزهري ومقاتل: بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب. وقال رافع بن خديج: والله لقد كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى: ﴿سُدْعُونَ إِلَىٰ

قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴿١٦﴾ ولا نعلم مَنْ هم حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية قال أهل الزمالة^(١): فكيف بنا يا رسول الله؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ يعني عن التخلف عن الجهاد والقيود عن الغزو ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ يعني في ذلك ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

ثم أخبر الله تعالى نبيه ﷺ برضاه عن أهل بيعة الرضوان، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وقد تقدم ذكر ذلك آنفاً. ثم قال تعالى: ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾. وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] يعني خير. وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى عند ذكرنا لغزوة خيبر. ثم قال تعالى: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ٢١] قال: معناه ووعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم. واختلفوا فيها، فقال ابن عباس وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، وقال الضحاك وابن زيد وابن إسحاق: هي خيبر، وعدها الله تعالى نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يذكرونها ولا يرجونها حتى أخبرهم الله بها. وهي رواية عطية وبازان عن ابن عباس. وقال قتادة: هي مكة. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِيَاءً وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٢]، قال: يعني أسد وغطفان وأهل خيبر. وقال قتادة: يعني كفار قريش: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الفتح: ٢٤]؛ واختلفوا في هؤلاء، فقال أنس: إن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ وأصحابه من جبل التنعيم^(٢) عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ سلماً^(٣)

(١) ذوو العاهات. (٢) موضع بمكة في الحل، بين مكة وسرف.

(٣) سلماً: قال ابن الأثير: «يرى بكسر السين وفتحها، وهما لغتان للصلح». وقال الخطابي: «إنه السَلَمُ بفتح السين واللام، يريد الاستسلام والإذعان».

فأعتقهم، فأنزل الله عز وجل الآية. وقال عكرمة عن ابن عباس: إن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ: وقد قدّمنا ذكرهم.

وقال عبد الله بن مغفل: كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة، فرفغته عن ظهره، وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بين يديه يكتب كتاب الصلح وسهيل بن عمرو، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم، فقمنا إليهم فأخذناهم، فخلّى عنهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل الآية. وقيل: غير ذلك. والله تعالى أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حُلَّةٌ﴾ الآية. وهي قصة الحديبية وقد تقدم شرحها. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ الْمُؤْمِنِينَ وَالنِّسَاءُ الْمُؤْمِنَاتُ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا﴾ [الفتح: ٢٥] قال: قوله: ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي تقتلوهم: ﴿فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال ابن زيد: إثم. وقال ابن إسحاق: عُرِمَ الدِّية. وقيل: الكفارة، لأن الله عز وجل إنما أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم قاتله إيمانه الكفارة دون الدية. وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون: قتلوا أهل دينهم. والمعرة المشقة، وأصلها من العر وهو الحرب. وقال: فلولا ذلك لأذن لكم في دخول مكة، ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي في دين الإسلام «مَنْ يَشَاءُ» من أهل مكة قبل أن تدخلوها. قال: وقال بعض العلماء: قوله: «لَعَذَّبْنَا» جواب لكلامين أحدهما «وَلَوْلَا رِجَالُ» والثاني «لَوْ تَزَيَّلُوا» أي تَمَيَّزُوا. وقال قتادة في قوله: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قال: «هم المشركون من أجداد رسول الله ﷺ وممن كان بعدهم في عصره، كان في أصلابهم المؤمنون، فلو تزيل المؤمنون عن أصلاب الكافرين لعذب الله الكافرين عذاباً أليماً».

قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ﴾، قال ابن إسحاق: يعني سهيل بن عمرو حين حمي^(١) أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم. وأن

محمدًا رسول الله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، قال: كلمة التقوى يعني الإخلاص؛ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾: «لا إله إلا الله». وهو قول ابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وعكرمة وطلحة بن مُصَرِّف والربيع والسدي وابن زيد. وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعن علي رضي الله عنه قال: كلمة التقوى: لا إله إلا الله والله أكبر، وهو قول ابن عمر. وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وعن الزهري: كلمة التقوى هي بسم الله الرحمن الرحيم.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]، قال: الرؤيا التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام. قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ أي أن الصلاح كان في الصلح. ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قيل: صلح الحديبية.

ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]. أي أنك نبي صادق فيما تخبر.

ثم وصف تعالى رسوله ﷺ وأصحابه فقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٌ أَخْرَجَ سَطْرَهُمْ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]. قال الثعلبي رحمه الله تعالى: قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ تم الكلام ها هنا، يعني الكلام الأول، ثم قال مبتدئًا. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي غلاظ لا تأخذهم فيهم رافة: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي متعاطفون متوآدون بعضهم مع بعض. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي يدخلهم جنته. ﴿وَرِضْوَانًا﴾ يرضى عنهم. ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم. ﴿فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ واختلف العلماء في هذه السيماء، فقال قوم: هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بتلك العلامة أنهم سجدوا في الدنيا؛ وهي رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب: يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر. وقال آخرون: هو السُّمْتُ^(١)

الحسن والخشوع والتواضع. وقال منصور: سألت مجاهداً عن قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ أهو الأثر يكون بين عيني الرجل؟ قال: لا، ربما يكون بين عيني الرجل مثل رُكبة البعير، وهو أقسى قلباً من الحجارة، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع. وقال ابن جريج: هو الوقار والبهاء. وقال شمر بن عطية: هو التهيج وُصفرة الوجه وأثر السهر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبته مريضاً، وما هم بمريض. وقال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب في جباههم. وقال عطية الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس. ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ أي ذلك الذي ذكرت ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي التَّورَةِ﴾ قال: وما هنا تم الكلام. ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ﴾ صفتهم ﴿فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجَ أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾؛ قال أنس: «شَطَاءُ» نباته. وقال ابن عباس: سنبله. وقال مجاهد والضحاك: ما يخرج تحت الحِقْلَة^(١) فينمو ويتم. وقال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج ما بعده فَقَدْ شَطَاءَ. وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى. وقال الفراء: الأشطاء: الزرع إذا نبت سبعاً أو ثمانياً أو عشراً. وقال الأخفش: فراخه، يقال: أشطا الزرع فهو مشطىء إذا فَرَّخَ، قال الشاعر: [من الرمل]

أخرج الشطاء على وجه الثرى ومن الأشجار أفنان الثمر

قال: وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب محمد ﷺ، يعني أنهم كانوا يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون ويقوون. قال قتادة: مثل أصحاب محمد ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر. ﴿فَأَزْرُهُ﴾ قَوَاهُ وَأَعَانَهُ وَشَدَّ أَزْرَهُ. ﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾، فغلظ وقوي. ﴿فَأَسْتَوِي﴾ تم وتلاحق نباته وقام ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾ أصوله. ﴿يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ يعني أن الله تعالى فعل ذلك بمحمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ليغيط بهم الكفار. قال الثعلبي بسند يرفعه إلى الحسن في قوله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قال: محمد رسول الله. ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾، أبو بكر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان بن عفان. ﴿تَرَبَّؤُا رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ علي بن أبي طالب. ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة. ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، قال: هم المبشرون، أولهم أبو بكر وآخرهم أبو عبيدة. ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ قال: نعتهم في التوراة والإنجيل كمثل زرع. قال: الزرع: محمد ﷺ. ﴿أَخْرَجَ شَطَطَهُ﴾ أبو بكر الصديق. ﴿فَأَزْرُهُ﴾ عمر بن الخطاب. ﴿فَأَسْتَغْلَظُ﴾ عثمان، يعني استغلظ عثمان للإسلام. ﴿فَأَسْتَوِي عَلَى سُوقِهِ﴾ علي بن أبي طالب، يعني

(١) الحِقْلَة: بالفتح والكسر: ما يبقى من الماء الصافي في الحوض.

استقام الإسلام بسيفه. ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ قال: المؤمنون. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ قال: قول عمر لأهل مكة: لا نعبد الله سِراً بعد اليوم. رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكرُ خبر أبي بصير ومن لحق به وانضم إليه

قد اختلف في اسمه، فقيل: عُبَيْد بن أُسَيْد بن جارية. وقال ابن إسحاق: عُتْبَةُ بن أُسَيْد بن جارية، وعن أبي معشر قال: اسمه عتبة بن أُسَيْد بن جارية بن أُسَيْد بن عبد الله بن سلمة بن عبد الله بن غَيْرَةَ بن عوف بن قسي، وهو ثقيف بن منبّه بن بكر بن هوازن، حليف لبني زهرة، وخبره وإن لم يكن داخلياً في جملة الغزوات والسرايا فليس هو منافٍ لها، وموجب إيرادنا إياه في هذا الموضع لتعلقه بغزوة الحديبية، ولأنّ رده كان من شروط الهدنة، ونحن نورده ها هنا على ما أورده الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، رحمه الله تعالى، في كتابه المترجم بدلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، وما أورده أبو محمد عبد الملك بن هشام عن محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى، يدخل حديث بعضهم في حديث بعض، قالوا:

لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلت رجل من أهل الإسلام من ثقيف، يقال له: أبو بصير بن أُسَيْد بن جارية الثقيفيّ من المشركين، فأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً، وكان ممن حُبس بمكة، فكتب فيه أزهر بن عبد عوف بن الحارث^(١) بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقيفيّ^(٢) إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، ويقال: كانا من بني منقذ، أحدهما مولى والآخر من أنفسهم، اسمه جحش بن جابر، وكان ذا جلد ورأي في أنفس المشركين، وجعل لهما الأخنس في طلب أبي بصير جُعلاً^(٣)، فقدمَا على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بصير، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك». فقال: يا رسول الله، أتردني إلى المشركين يفتنونني في

(١) أزهر بن عبد عوف: أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري بن الحارث بن زهرة: عم عبد الرحمن بن عوف. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٩. رقم الترجمة: ٧٢).

(٢) الأخنس بن شريق: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج. أبو ثعلبة، حليف بني زهرة أسلم فكان من المؤلفة، وشهد حنيناً ومات في أول خلافة عمر. راجع (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٥. رقم الترجمة: ٦١).

(٣) جُعلاً: مكافأة.

ديني؟ قال: «انطلق، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً»، ودفعه إليهما، فخرجا به، حتى إذا كانا بذى الحليفة^(١) سلّ جحش سيفه، ثم هزّه وقال: لأضربنّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل، فقال له أبو بصير: أو صارم سيفك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ناولنيه أنظر إليه. فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به حتى برد، ويقال: بل تناول أبو بصير سيف جحش بفيه، وهو نائم فقط به إساره^(٢)، ثم ضربه به حتى برد؛ وطلب الآخر فجمز^(٣) مذعوراً مستخفياً، حتى دخل المسجد إلى رسول الله ﷺ، فقال ﷺ حين رآه: «لقد رأى هذا دُغراً»؛ فأقبل واستغاث برسول الله ﷺ، فقال: «ويحك! ما لك؟» فقال: قتل صاحبكم صاحبي. وجاء أبو بصير يتلوه، فسلم على رسول الله ﷺ وقال: وَفَتَ ذِمَّتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَدَى اللَّهُ عَنْكَ، دفعني إليهما فتعرفت أنهم سيعذبونني ويفتنونني عن ديني، فقتلت المنقذي، وأفلتني هذا. فقال رسول الله ﷺ: «ويلُ أمةٍ مسعَر^(٤) حرب لو كان معه رجال»، وجاء أبو بصير بسلبه^(٥) فقال: خمس يا رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: «إني إن خمسته لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت». فخرج أبو بصير معه خمسة نفر كانوا قدموا مسلمين من مكة حيث قدم، ولم يطلبهم أحد، وساروا حتى نزلوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة، على طريق غيرات قريش مما يلي سيف البحر، لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وانفلت أبو جندل ابن سهيل بن عمرو - واسم جندل العاص بن سهيل على ما أورده الزبير بن بكار - في سبعين راكباً أسلموا، فلحقوا بأبي بصير حين بلغهم أن رسول الله ﷺ قال: «ويلُ أمةٍ مسعَر حرب لو كان معه رجال»، فقطعوا مادة قريش من طريق الشام. وكان أبو بصير يصلي لأصحابه، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يؤمهم، واجتمع إلى أبي جندل ناس من بني غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل، وهم مسلمون، فأقاموا مع أبي جندل وأبي بصير، لا تمرُّ بهم غير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها، وقال أبو جندل في ذلك: [من الرجز]

(١) ذو الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة. ومنها ميقات أهل المدينة.

(٢) الإسار: القيد.

(٣) جمز: عدا وأسرع.

(٤) مسعر الحرب: موقدها، يقال: فلان مسعر حرب إذا كان يؤرثها، أي تحمي به الحرب، يتعجب

النبي ﷺ من شجاعته وجرأته وإقدامه.

(٥) سلبه: غنائه.

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المَرزوة بالساحل
 في معشرٍ تخفق رايأتهم بالبيض فيها والقنا الذُبُل^(١)
 يَأْبُون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل
 أو يجعل الله لهم مخرجاً والحق لا يُغلب بالباطل
 فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء ولم يَأْتِل^(٢)

فأرسلت قريش إلى رسول الله ﷺ تسأله بأرحامهم إلا آواهم، وقالوا: لا حاجة لنا بهم. قال البيهقي: وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه غير حرج أنت فيه، فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره. فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية أن طاعة رسول الله ﷺ خير لهم فيما أحبوا وكرهوا. وحكى البيهقي: أن هؤلاء هم الذين مرّ بهم أبو العاص بن الربيع فأخذوا ما معه، فلما بلغهم ما قاله رسول الله ﷺ أطلقوا من أسروا من أصحاب أبي العاص، وردّوا إليهم جميع ما أخذوه حتى العقال^(٣)، وقد تقدم خبر أبي العاص، وقيل: إنما أخذ في غير هذه السرية. والله أعلم.

قال: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما أن يقدما عليه، ويأمر من معهما ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم وأهليهم، ولا يعترضوا لأحد مرّ بهم من قريش وعيراتهم. فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبي جندل وأبي بصير، وأبو بصير قد أشرف على الموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده يقرؤه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ ومعه ناس من أصحابه، ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأمنت عيرات قريش.

ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك

قال محمد بن سعد: غزاها رسول الله ﷺ في جمادى الأولى سنة سبع من مهاجره. وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: في المحرم من السنة. وخير على ثمانية بُرد من المدينة.

قالوا: أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ لغزاة خيبر، وأَجْلَبَ^(٤) من حوله

(١) البيض: السيوف. والقنا: الرماح. الذبل: الدقيقة. اللاصقة القشر.

(٢) لم يَأْتِل: لم يقصر.

(٣) العقال: الحبل الذي يستعمل وثاقاً.

(٤) أجلب القوم: إذا صاحوا واختلطت أصواتهم.

يريدون الغزاة معه، فقال: رسول الله ﷺ: «لا يخرجن معنا إلا راغب في الجهاد»، وشق ذلك على من بقي بالمدينة من اليهود، فخرج واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفُطَة الغفاري، قاله ابن سعد والبيهقي. وقال ابن إسحاق: استخلف نُمَيْلَة بن عبد الله الليثي؛ وأخرج معه من أزواجه أم سلمة^(١) رضي الله عنها.

قال ابن إسحاق: لما سار رسول الله ﷺ إلى خيبر قال في مسيره لعامر بن الأكوع - وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع سنان - «انزل يا بن الأكوع، فخذ لنا من هناتك»^(٢)، فنزل يرتجز برسول الله ﷺ، فقال:

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبُّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا^(٣)

فقال له رسول الله ﷺ: «يرحمك ربك». ومن رواية البيهقي: «غفر لك ربك». قال: وما خص بها رسول الله ﷺ أحداً قط إلا استشهد. قال ابن إسحاق: فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجبت والله يا رسول الله، لو متعتنا بعامر؛ فقتل يوم خيبر شهيداً، رجع سيفه عليه وهو يقاتل، فكلّمه^(٤) كَلَمًا شديداً فمات.

قال: ولما خرج رسول الله ﷺ من المدينة سلك على عَصْر^(٥) فبنى له فيه مسجداً، ثم على الصهباء^(٦)، ثم أقبل بجيشه حتى نزل بوادٍ يقال له: الرَّجِيع، فنزل بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدّوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ، قال: فلما سمعت غطفان بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر جمعوا، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه، حتى إذا ساروا مَنَقَلَةً^(٧) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهلهم حساً، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهلهم وأموالهم، وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر.

(١) أم سلمة: (... - نحو ٣٠ هـ = ... - نحو ٦٥٠ م) أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية. من أخطب نساء العرب، ومن ذوات الشجاعة والإقدام وفدت على الرسول في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه وحضرت وقعة اليرموك (سنة ١٣ هـ) فكانت تسقي الضمائم وتضمّد جراح الجرحى. وتوفيت بعد ذلك بزمان طويل. انظر (الأعلام: ١: ٣٠٦).

(٢) هناتك: أي من أخبارك وأمورك وشعرك.

(٣) راجع بشأن هذا الرجز، شرح المواهب اللدنية: ٢: ٢٦٢.

(٤) كلمه: جرحه.

(٥) عصر: جبل بين المدينة ووادي الفرع، ورواه بعضهم بالتحريك.

(٦) الصهباء: موضع قرب خيبر.

(٧) المنقلة: المرحلة من مراحل السفر.

قال: ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه: «قفوا» فوقفوا، ثم قال: «اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أفللن، ورب الشياطين، وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله». قال: ولما نزل بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس، وأصبحوا وأفئدتهم تخفق، وفتحوا حصونهم، وغدوا إلى أعمالهم، معهم المساحي^(١)، والكرازين - وهي الفؤوس - والمكاتيل - وهي الزناويل - فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ قالوا: محمد والخميس^(٢) - يعنون الجيش - فولوا هاربين إلى حصونهم، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»، ووعظ رسول الله ﷺ الناس، وفرق فيهم الرايات، ولم تكن الرايات إلا يوم خيبر، إنما كانت الألوية^(٣)، فكانت راية رسول الله ﷺ السوداء من بُرد لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تدعى العقاب، ولواؤه أبيض، ودفعه إلى علي بن أبي طالب، وراية إلى الحُباب بن المنذر^(٤)، وراية إلى سعد بن عباد؛ وكان شعارهم: «يا منصور أمت»، وكانت حصون خيبر حصوناً ذوات عدد منها النطاة، وحصن الصُعب بن مُعاذ، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، هذه حصون النطاة. والشق وبه حصون منها: حصن أبي، وحصن التزار، وحصون الكتيبة منها: القموص، والوطيح، وسُلالم. وسنذكر إن شاء الله فتحها حصناً حصناً. قال: وخرج مزحِب اليهودي من حصنهم، قد جمع سلاحه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أنني مَرْحَبٌ شاكِي السلاح بطل مُجَرَّبٌ^(٥)

أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليوثُ أقبلت تُجَرَّبٌ^(٦)

* إِنْ جِمَايَ لِلْجِمَى لَا يُقَرَّبُ *

-
- (١) المساحي: جمع مسحاة، وهي المعجرفة من الحديد.
 (٢) الخميس: سمي الجيش خميساً لأنه خمسة أقسام: المقدمة، والساقة، والميمنة والميسرة والقلب.
 (٣) لواء الجيش: علمه.
 (٤) الحُباب بن المنذر: (... - نحو ٢٠ هـ = ... - نحو ٦٤٠ م) الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري. صحابي من الشجعان الشعراء، يقال له: «ذو الرأي» هو صاحب المشورة يوم بدر. وكانت له في الجاهلية آراء مشهورة. مات في خلافة عمر، وقد زاد على الخمسين. انظر (الأعلام: ٢: ١٦٣).

(٥) شاكِي السلاح: حاد السلاح.

(٦) تجرب: تغضب.

ثم يقول: هل من مبارز؟ فأجابه كعب بن مالك وهو يقول: [من الرجز]
 قد علمت خيبر أني كعبٌ مفرج الغمى جرىءٌ صلبٌ
 إذ شبت الحرب تليها الحربُ معي حسام كالعقيق غضبٌ^(١)
 نطاكم حتى يُذال الصعبُ نعطي الجزاء أو يفىء النهب^(٢)
 * بكف ماضٍ ليس فيه^(٣) عتبٌ *

فقال رسول الله ﷺ: «من لهذا؟» فقال محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور النائر، قتل أخي بالأمس؛ قال: «فقم إليه، اللهم أعنه عليه». فخرج إليه حتى دنا منه، فحمل مرحب عليه فضربه، فأتقاه بالدرقة^(٤)، فأمسكت سيفه، وضربه محمد بن مسلمة فقتله. وقد روي أن الذي قتل مرحباً علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أن رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر، فأنكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، يُجَبِّئُه أصحابه، ويُجَبِّئُهُم، وكان رسول الله ﷺ قد أخذته الشقيقة^(٥) فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه راية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «أما والله لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، يأخذها عنوة». وفي رواية قال: «يفتح الله على يديه»، فبات الناس يذكرون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله ﷺ: «أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه؛ قال: فأرسل رسول الله ﷺ إليه سلمة بن الأكوع فدعاه، فجاء على بعير له حتى أناخ قريباً من رسول الله ﷺ وهو أرمد، قد عصب عينيه بشقة برد قَطْرِي^(٦)، قال سلمة: فجئت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما لك؟ قال: رمدت؛ فقال: «رمدت؟ فقال: «ادن مني» فدنا منه فتفل في عينيه، ودعا

(١) قال أبو ذر الخشني: «العقيق هنا جمع عقيقة، وهي شعاع البرق شبه السيف به» شرح السيرة: ٣٤٦. عضب: قاطع.

(٢) الجزاء: جمع جزية. النهب: ما انتهب من الأموال.

(٣) ليس فيه عتب: ليس فيه ما يلام عليه.

(٤) الدرقة: الترس المتخذ من الجلد فقط.

(٥) الشقيقة: نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه.

(٦) القَطْرِي: نوع من البرود، ينسب إلى قرية يقال لها قطر، وهي بين عمان والعقير.

له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع، وما وجعهما حتى مضى لسبيله، ثم أعطاه الراية وقال: «امض حتى يفتح الله عليك» قال: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «أنفذ على^(١) رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم». روى هذا الحديث أبو نحوه أهل الصحة. ومن رواية ابن إسحاق عن سلمة بن الأكوع قال: فنهض علي بالراية وعليه حلة أرجوان حمراء، وقد أخرج حملها^(٢)، فأتى مدينة خيبر، وخرج مرحب صاحب الحصن، وعليه مُعْفَر^(٣) مُعْضَفَر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مُجَرَّبُ
أطعن أحياناً وحيناً أضربُ إذا الحروبُ أقبلت تلهبُ
* كَانْ حِمَايَ كَالْحِمَى لَا يُقَرَّبُ *

فبرز له علي بن أبي طالب فقال: [من الرجز]

أنا الذي سَمَتْنِي أُمِّي حَيْدَرَةً كليث غاباتٍ شديدٍ قَسُورَةٍ^(٤)
* أَكِيلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(٥) *

فاختلفا ضربتين، فبدره علي رضي الله عنه فضربه، ففد الحجر والمِغْفَر وفلق رأسه، حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أني ياسرُ شاكي السلاح بطلٌ مُغَاوَرُ^(٦)
إذا الليوثُ أقبلت تُبَادِرُ إن حمايَ فيه موتٌ حاضِرُ
وهو يقول: هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهو يقول: [من الرجز]

(١) أنفذ على رسلك: امض على هيتك.

(٢) الخمل: هذب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول.

(٣) المغفر: ما يلبسه الفارس تحت البيضة.

(٤) الحيدرة: في الأصل: الأسد. وقال ابن الأعرابي: «الحيدرة في الأسد مثل الملك في الملك».

القسورة: العزيز، يقتسر غيره، أي: يقهره.

(٥) السندرة: مكيال كبير.

(٦) المغاور: الكثير القتال والغارات.

قد علمت خيبر أني زباز قَرْمٌ لقوم غير نكسٍ فرّاز^(١)
 أين حماة المجد؟ أين الأخياز؟ ياسرُ، لا يغررك جمع الكفار
 * فجمعهم مثل السراب الخثار^(٢) *

فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: «بل ابنك يقتله إن شاء الله»، ثم التقيا، فقتله الزبير. ومن رواية أخرى عن سلمة قال: فخرج عليّ رضي الله عنه يهرول هرولة وإنا لخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رَضْمٍ^(٣) حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا عليّ بن أبي طالب؛ فقال اليهودي: علوتم وما أنزل الله على موسى. وقال ابن إسحاق أيضاً من رواية أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: خرجنا مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود فطرح ثُرسه من يده، فتناول عليّ باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر معي سبعة، أنا ثامنهم، نجهد على أن نُقَلِّبَ ذلك الباب، فما نقلبه.

قال محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي وغيرهما: إن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، جهدنا وما بأيدينا من شيء؛ فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يعطيهم إياه؛ فقال: «اللهم إنك قد عرفت حالهم، وأن ليست بهم قوة، وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصونها غناء، وأكثرها طعاماً وودكاً»^(٤) فغدا الناس، ففتح الله عليهم حصن الصُعب بن معاذ، وما بخيبر حصن كان أكثر منه طعاماً وودكاً. قال البيهقي: وافتتح رسول الله ﷺ حصن ناعم، فانتقل من كان من يهود بحصن مصعب بن معاذ وحصن ناعم إلى قلعة الزبير، ويقال: حصن ناعم أول ما افتتح من حصونهم، وعنده قتل محمود بن مسلمة، ألقيت عليه رَحَى^(٥) منه فمات. قال: وحصن الزبير حصن منيع في رأس^(٦) قُلة، فحاصرهم رسول الله ﷺ به ثلاثة أيام، فجاءه رجل من اليهود يقال له: غزال؛ فقال: يا أبا القاسم،

(١) القرم: السيد. النكس: الضعيف.

(٢) الخثار: الخداع.

(٣) الرضم: الحجارة المكسدة فوق بعضها.

(٤) الودك: الدسم.

(٥) الرحى: حجر الطاحون.

(٦) في الأصلين: «في رأسه قلة». والتصويب من دلائل النبوة. وجاء في شرح المواهب اللدنية: ٢:

٢٧٤ في هذا الحصن: «وكان اسمه حصن قلة، لكونه كان على رأس جبل».

تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة، وتخرج إلى أهل الشق؟ فإن أهل الشق قد هلكوا رعباً منك، فأمنه رسول الله ﷺ على أهله وماله، فقال اليهودي: إنك لو أقمت شهراً ما بالوا، لهم دُبُول^(١) تحت الأرض، يخرجون بالليل فيشربون منها ثم يرجعون إلى قلعته فيمتنعون منك، فإذا قطعت مشربهم عليهم أضحروا لك^(٢). فسار رسول الله ﷺ إلى دُبُولهم فقطعها، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا فقاتلوا أشد قتال، وقتل من المسلمين يومئذ نفر، وأصيب من يهود في ذلك اليوم عشرة، وافتتحه رسول الله ﷺ، فكان آخر حصون النطاة؛ فلما فرغ رسول الله ﷺ من النطاة تحوّل إلى أهل الشق، وبه حصون، فكان أوّل حصن بدأ به ﷺ حصن أبي، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سَمَوان؛ فقاتل عليها أهل الحصن قتالاً شديداً، وخرج رجل من اليهود يقال له غزول؛ فدعا إلى البراز، فبرز له الحُباب بن المنذر فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحُباب فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فسقط السيف من يده وهرب إلى الحصن، فتبعه الحُباب فقطع عُزْقَوِيَّه، فوقع، فذَفَف^(٣) عليه، فخرج آخر فصاح: من يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشي، وقام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دُجَانَة، قد عصب رأسه بعصابة حمراء فوق المِغْفَر، يختال في مشيته، فبدره أبو دُجَانَة^(٤) فضربه فقطع رجله، ثم ذَفَف عليه وأخذ سلبه؛ درعه وسيفه: فنقله^(٥) رسول الله ﷺ ذلك، وأحجموا عن البراز، فكبر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دُجَانَة الأنصاري، فوجدوا فيه أثاثاً ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحموا الجُدُر كأنهم الطُّبَيّ إلى حصن النُّزَار، فغلّقوه وامتنعوا فيه، وزحف رسول الله ﷺ في أصحابه فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشق رمياً بالنبل والحجارة، حتى أصاب النبل ثياب رسول الله ﷺ وعلقت به، فأخذ النبل فجمعها، ثم أخذ كفّاً من حصباء^(٦)، فحصب به حصنهم فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون، فأخذوا أهله أخذاً، ثم تحوّل رسول الله ﷺ إلى أهل الكتيبة، فافتتح القموص، حصن

(١) الدبُول: جمع دبل، وهو الجدول.

(٢) اصحروا: برزوا في الصحراء.

(٣) ذَفَف عليه: أجهز عليه.

(٤) أبو دُجَانَة: (... - ١١ هـ = ... - ٦٣٢ م) سِمَاك بن خَرْشَة الخزرجي، المعروف بأبي دُجَانَة: صحابي، كان شجاعاً بطلاً. له آثار جميلة في الإسلام. شهد بدرًا، وثبت يوم أحد، وأصيب بجراحات كثيرة. استشهد باليمامة. وكانت له مشية عجيبة في الخيلاء. انظر (الأعلام: ٣: ١٣٨).

(٥) نقله: وهبه.

(٦) الحصباء: الحصى.

أبي الحقيق، وأتى رسول الله ﷺ منه بصفية بنت حَيٍّ بن أخطب.

قالوا: ولما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصنهم: الوطيح والسلالم، وكانا آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُسيرهم، وأن يحقن دماءهم. قال البيهقي: حصرهم أربعة عشر يوماً وهم لا يطلعون من حصونهم، حتى هم رسول الله ﷺ أن ينصب المنجنيق^(١) عليهم، فلما أيقنوا بالهلكة سألوا الصلح، وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ: أنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم»، فنزل كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة^(٢)، وعلى البز^(٣) إلا ثوباً على ظهر إنسان؛ فقال رسول الله ﷺ: «وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تمنيون شيئاً» فصالحوه على ذلك. وكان عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق كنز بني النضير، فسأله رسول الله ﷺ عنه، فجحد أن يكون يعلم مكانه، وقال: نفذ في النفقة والحروب؛ فقال رسول الله ﷺ: «كان أكثر من ذلك»، ثم جاء رجل من يهود إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني رأيت كنانة يُطيف بهذه الخربة^(٤) كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: «أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟» قال: نعم، فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام به، فقال: «عذبه حتى تستأصل ما عنده»، فكان الزبير يقده بزئد في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد ابن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة. ويقال: كان ذلك بعد فتح حصن القموص، وقبل فتح الوطيح والسلالم.

قال محمد بن إسحاق: ولما نزل أهل خيبر على الصلح سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم في الأموال على النصف؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»، قال: ولما سمع أهل فدك أن رسول الله ﷺ افتتح حصون خيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ، يسألونه أن يُسيرهم وأن يحقن دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل؛ وكان ممن مشى

(١) المنجنيق: التي ترمى بها الحجارة.

(٢) الصفراء والبيضاء: هنا الذهب والفضة. الكراع: الخيل. الحلقة: بمعنى السلاح.

(٣) البز: الثياب.

(٤) الخربة: مكان قديم مهجور.

بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك مُحَيِّصَة بن مسعود أخو بني حارثة، ثم سألوا أن يعاملهم رسول الله ﷺ على النصف كما عامل أهل خيبر، فأجابهم إلى ذلك؛ «على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم»؛ فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فذك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

ولما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قدم عليه جعفر بن أبي طالب^(١) رضي الله عنه من أرض الحبشة ومن كان بقي بها من المسلمين، فقبله رسول الله ﷺ بين عينيه والتزمه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أسر، بفتح خيبر أم بقدم جعفر»!

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر

قالوا: استشهد من المسلمين في غزوة خيبر تسعة عشر رجلاً. من قريش وحلفائهم خمسة نفر، وهم رفاعة بن مسروح، من بني أمية بن عبد شمس، ومن حلفائهم ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرَة، وثقف بن عمرو بن سُمَيْط، ومن حلفاء بني أسد ابن عبد العزى أبو عُمَيْر عبد الله بن الهُبَيْب - ويقال ابن الهَيْب - بن أهَيْب الليثي، ومسعود بن ربيعة، حليف لبني زهرة، من القارة. ومن الأنصار أربعة عشر رجلاً، وهم: بشر بن البراء بن معرور، مات من الشاة المسمومة، وفُضَيْل بن النعمان، ومسعود بن سعد بن قيس، ومحمود بن مسلمة، وأبو ضِيَّاح النعمان بن ثابت، والحاتر بن حاطب، ممن شهد بدرأ، وعُروَة بن مُرَّة بن سراقَة، وأوس بن الفائد، وأُتَيْف بن حَبِيب، وثابت بن إثلة، وطلحة، ومبشر، وعُمارة بن عقبة، وعامر بن الأكوع الأسلمي، وكان قد برز له يهودي، فبرز إليه وهو يقول: [من الرجز]

قد علمت خيبر أني عامرُ شاكي السلاح بطلُ مغامرُ
واختلفا ضربتين، فوق سيف اليهودي في ثُرس عامر، ووقع سيف عامر عليه، فأصاب ركبة نفسه وساقه، فمات منها. قال سلمة بن الأكوع: فمررت على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهم يقولون: بطل عمل عامر، فأتيت نبي الله ﷺ وأنا شاخص أبكي، فقلت: يا رسول الله، أبطل عمل عامر؟ فقال: «ومن قال ذلك؟» قلت: بعض أصحابك؟ قال: «كذب من قاله، بل أجره مرتين، إنه لجاهدٌ مُجاهدٌ».

واستشهد الأسود الراعي - واسمه أسلم، وهو من أهل خيبر - وكان من حديثه

(١) جعفر بن أبي طالب: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي أبو عبد الله ابن عم النبي ﷺ. أحد السابقين إلى الإسلام. أخى النبي ﷺ بينه وبين معاذ بن جبل. وكان الرسول ﷺ يكنه: أبا المساكين. استشهد بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان، وقد استوفى أربعين سنة. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٢٣٧ رقم الترجمة ١١٦٦).

حكاه محمد بن إسحاق وأبو بكر البيهقي رحمهما الله: أنه أتى رسول الله ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يهود، فقال: يا رسول الله، اعرض عليّ الإسلام؛ فعرضه عليه، فقال: فماذا لي إن أنا شهدت وآمنت بالله؟ قال: «لك الجنة إن أنت مت على ذلك»؟، فأسلم وقال: يا رسول الله، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهي أمانة عندي، فكيف أصنع بها؟ قال رسول الله ﷺ: «أخرجها من عسكرنا، واحصب^(١) وجوهها، فإن الله سيؤدي عنك أمانتك، وسترجع إلى ربها». ففعل الأسود وقال: ارجعي إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك، فخرجت مجتمعة كأن سائفاً يسوقها حتى دخلت الحصن. ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى الله صلاة قط، فأتى به رسول الله ﷺ فوضع خلفه، وسجى بشملة كانت عليه، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم أعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله، لم أعرضت عنه؟ قال: «إن معه الآن زوجته من الحور العين».

وقتل من يهود ثلاثة^(٢) وأربعون، منهم: الحارث أبو زينب، ومزحَب، وأسير، وياسر، وعامر، وكنانة بن أبي الحقيق وأخوه.

ذكر قسم غنائم خيبر

قال محمد بن سعد: أمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت، واستعمل عليها فُروة بن عمرو البياضي، وأمر بذلك فجزىء خمسة أجزاء، وكتب في سهم منها لله، وسائر السُهمان أغفال، فكان أول ما خرج سهم النبي ﷺ، وأمر ببيع الأربعة أخماس فيمن يزيد، فباعها فُروة، وقسم ذلك بين أصحابه؛ وكان الذي ولي إحصاء الناس زيد بن ثابت، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة رجل، والخيّل مائتي فرس، فكانت السُهمان على ثمانية عشر سهماً، لكل مائة سهم، وكان الخمس الذي صار إلى رسول الله ﷺ يعطى منه على ما أراه الله.

وقال محمد بن إسحاق: كانت المقاسم على أموال خيبر، على الشُّق ونطاة والكُتَيْبَة، فكانت الكُتَيْبَة خمسَ الله، وسهم النبي ﷺ وذوي القربى واليتامى والمساكين، وطُعم أزواج النبي ﷺ، وطُعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ، وبين أهل فدك بالصلح، منهم مُحَيصَة بن مسعود، أعطاه رسول الله ﷺ منها ثلاثين وُسُقاً^(٣) من

(١) حصبه: رماه بالحصباء.

(٢) في ابن سعد: «ثلاثة وتسعون».

(٣) الوُسُق: ستون صاعاً، أو حمل بعير.

شعير، وثلاثين وسقاً من تمر، وكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين؛ قال: وقسمت خيبر على أهل الحُدَيْبِيَّةِ، من شهد منهم ومن غاب، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقسم له رسول الله ﷺ كسهم من حضرها. وقال: وكان وادياها: وادي الشَّرِير ووادي خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، فكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً، نطاة خمسة أسهم، والشق ثلاثة عشر سهماً، فقسمت الشق ونطاة على ألف سهم وثمانمائة سهم، فكان لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل؛ قال: ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة - وهو وادي خاص - بين قرابته ونسائه ورجال من المسلمين ونساء أعطاهم منها. وروى بشير بن يسار قال: لما افتتح النبي ﷺ خيبر أخذها عنوة، فقسمها على ستة وثلاثين سهماً، فأخذ لنفسه ولنوابه وما ينزل به ثمانية عشر سهماً، وقسم بين الناس ثمانية عشر سهماً. والله أعلم.

وروى أبو داود في سننه بسنده إلى عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ^(١) أن النبي ﷺ قال لرجل: «أترضى أن أزوجهك فلانة؟» قال: نعم؛ وقال للمرأة: «أترضين أن أزوجهك فلاناً؟» قالت: نعم. فزوج أحدهما صاحبه، فدخل بها الرجل، ولم يفرض لها صداقاً^(٢) ولم يعطها شيئاً، وكان ممن شهد الحديبية، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر، فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زوجهني فلانة، ولم أفرض لها صداقاً، ولم أعطها شيئاً، وإني أشهدكم أنني أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر. فأخذت سهماً فباعته بمائة ألف.

ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها

قسم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ - وهو وادي خاص^(٣) - لفاطمة ابنته رضي الله عنها مائتي وسق ولعلي بن أبي طالب مائة وسق، ولأسامة بن زيد مائتي وسق، وخمسين وسقاً نَوَى^(٤)، ولعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مائتي وسق، ولأبي بكر الصديق رضي الله عنه مائة وسق، ولعقيل بن أبي طالب مائة وسق وأربعين وسقاً،

(١) عقبة بن عامر: (.... - ٥٨ هـ = ٦٧٨ م) عقبة بن عامر بن عباس بن مالك الجهني: أمير، من الصحابة. شهد صفين مع معاوية وحضر فتح مصر مع عمرو بن العاص. مات بمصر. وهو أحد من جمع القرآن. انظر (الأعلام: ٤: ٢٤٠).

(٢) الصداق: المهر.

(٣) خاص: من أودية خيبر.

(٤) النوى: التمر.

ولبني جعفر خمسين وسقاً، ولربيعه بن الحارث مائة وسق، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق؛ للصلت منها أربعون وسقاً. وقال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة قاسم بن مخرمة بن المطلب: أعطاه رسول الله ﷺ ولأخيه الصلت مائة وسق من خيبر، ولأبي نُبقة خمسين وسقاً، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً، ولابن القاسم بن مخرمة أربعين وسقاً، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنه الحصين بن الحارث مائة وسق، ولبني عبيد بن عبد يزيد ستين وسقاً، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاً، ولمِسْطَح بن أثاثه وابن إلياس خمسين وسقاً، ولأم رُمَيْثَة أربعين وسقاً، ولنُعَيْم بن هند ثلاثين وسقاً، ولُبَحَيْنَة بنت الحارث ثلاثين وسقاً، ولعُجَيْر بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً، ولأم الحكم^(١) بنت الزبير بن عبد المطلب ثلاثين وسقاً، ولجُمَانَة بنت أبي طالب ثلاثين وسقاً، ولعبد الله بن الأرقم الزهري خمسين وسقاً، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقاً، ولحَمْنَة بنت جحش ثلاثين وسقاً، ولأم الزبير أربعين وسقاً ولضُبَاعَة بنت الزبير أربعين وسقاً، ولابن أبي خُنَيْس ثلاثين وسقاً، ولأم طالب أربعين وسقاً، ولأبي نَضْرَة عشرين وسقاً، ولثُمَيْلَة الكلبي خمسين وسقاً، ولعبد الله بن وهب وابنيه تسعين وسقاً، لابنيه منها أربعون وسقاً، ولأم حبيب بنت جَحْش ثلاثين وسقاً، ولمَلَكُو بن عُبْدَة ثلاثين وسقاً، ولنسائه ﷺ سبعمائة وسق.

وقال ابن إسحاق أيضاً: وقسم رسول الله ﷺ لنسائه من فتح خيبر مائة وسق وثمانين وسقاً، ولفاطمة ابنة رسول الله ﷺ خمسة وثمانين وسقاً، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً، ولأم رُمَيْثَة خمسة أوسق.

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب.

قال: وكان رسول الله ﷺ يبعث عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر خارصاً^(٢) بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم، فإذا قالوا: تعديت علينا؛ قال: إن شئتم فلکم، وإن شئتم فلنا؛ فتقول يهود: بهذا قامت السموات والأرض. ولم يخرص عليهم عبد الله إلا عاماً واحداً ومات.

وروى أبو داود رحمه الله في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله من رواية ابن جريج عن أبي الزبير عنه، قال: خرصها ابن رواحة أربعين ألف وسق، وإن اليهود لما خیرهم ابن رواحة أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق، ثم خرص عليهم بعده جَبَّار بن صخر بن أمية ابن خنساء، أخو بني سلمة، فأقامت يهود على ذلك لا يرى

(١) كذا في الأصلين. وفي ابن هشام: ولأم حكيم.

(٢) خارصاً: حازراً ومقدراً.

بهم المسلمون بأساً في معاملتهم، حتى عدوا على عهد رسول الله ﷺ على عبد الله بن سهل، أخي بني حارثة، فقتلوه، وكان قد خرج إليها في أصحاب له يمتار^(١) منها تمرأ، فوجد في عين قد كسرت عنقه، فاتهمهم رسول الله ﷺ بقتله، وجاء أخوه عبد الرحمن بن سهل، وابنا عمه حويصة ومحيصة إلى رسول الله ﷺ، فتكلم عبد الرحمن - وكان أصغرهم، وهو صاحب الدم - فقال رسول الله ﷺ: «كبر كبر»^(٢) فسكت، وتكلم حويصة ومحيصة، ثم تكلم بعدهما، فذكروا قتل صاحبهم، فقال رسول الله ﷺ: «أَتَسْمُونَ قَاتِلَكُمْ ثُمَّ تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم» قالوا: يا رسول الله، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم؛ قال: «أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلاً، ثم يبرءون من دمه؟»، فقالوا: يا رسول الله، ما كنا لنقبل أيمان يهود، ما هم فيه من الكفر أعظم أن يحلفوا على إثم. قال: فوداه رسول الله ﷺ بمائة ناقة. قال^(٣): واستقرت خبير بيد يهود على ما عاملهم عليها رسول الله ﷺ مدة حياته، ثم أقرها أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ بأيديهم على المعاملة، ثم أقرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه صدراً^(٤) من خلافته، ثم بلغه أن رسول الله ﷺ قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»؛ ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبت، فأرسل إلى يهود، فقال: إن الله قد أذن في إجلائكم، فقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فمن كان عنده عهد من رسول الله ﷺ من اليهود فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن له عهد منه فليتهجز للجلاء. فأجلى عمر بن الخطاب من لم يكن عنده عهد من رسول الله ﷺ.

هذا ما كان من أمر خبير على سبيل الاختصار، فلنذكر ما اتفق بعد فتح خبير مما يتعين إلحاقه بهذه الغزوة لتعلقه بها، فمن ذلك خبر الشاة التي سُم فيها رسول الله ﷺ، وقد قدمنا ذكر ذلك في أخبار يهود، وهو في الجزء الرابع عشر من هذه النسخة^(٥)، ومنه خبر الحجاج بن علاط.

ذكر خبر الحجاج بن علاط^(٦) وما أوصله إلى أهل مكة

عن رسول الله ﷺ حتى استوفى أمواله

قالوا: وكان الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي أسلم وشهد خبير مع رسول

(١) يمتار: يجلب.

(٢) ويروى: «الكبر الكبير» بضم الكاف وسكون الباء، أي قدموا الأكبر.

(٣) أي ابن إسحاق.

(٤) صدراً: مدة.

(٥) من تجزية المؤلف.

(٦) الحجاج بن علاط: الحجاج بن خالد بن ثويرة بن هلال. الفهري يكنى: أبا كلاب. =

الله ﷺ، فلما فتحت خيبر قال: يا رسول الله، إن لي بمكة مالاً عند صاحبتني أم شيبه بنت أبي طلحة، ومال مفرق في تجار أهل مكة، فأذن لي يا رسول الله. فأذن له، فقال: إنه لا بد لي يا رسول الله من أن أقول. قال: «قل»، قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء^(١) رجالاً من قريش يستمعون الأخبار، ويسألون عن أمر رسول الله ﷺ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز؛ ريفاً ومنعة ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار، ويسألون الركبان، فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط عنده والله الخبر؛ قال: ولم يكونوا قد علموا بإسلامي، فقالوا: أخبرنا يا أبا محمد، فإنه بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر، وهي بلد يهود وريف الحجاز؛ قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم، فالتبّطوا^(٢) بجنبتي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج! قال: قلت: هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمداً أسراً، وقالوا: لا تقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلوه بين أظهرهم بمن أصاب من رجالهم. فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: لقد جاءكم الخبر، وهذا محمد، إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم. قال: قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة على غُرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر، فأصيب من قل^(٣) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك. قال: فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث^(٤) جمع سمعت به. قال: وجئت صاحبتني فقلت: مالي - وقد كان لي عندها مال موضوع - لعلي ألحق بخيبر، فأصيب من فُرص البيع قبل أن يسبقني التجار؛ قال: فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من مخيم التجار، فقال: يا حجاج، ما هذا الخبر الذي جئت به؟ قال: قلت: وهل عندك حفظ لما وضعتُ عندك؟ قال: نعم، قلت: فاستأخر عني حتى أفرغ. قال: فلما فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة، وأجمعتُ^(٥) الخروج لقيت العباس فقلت: احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل، فإني أخشى الطلب ثلاثاً، ثم قل ما شئت. قال: أفعل؛ قلت: فإني والله تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم - يعني صفية بنت حُيَي بن أخطب - ولقد افتتح خيبر،

= ويقال: كنيته أبو محمد وأبو عبد الله. قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر. فأسلم وسكن المدينة واختط بها داراً ومسجداً. انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣١٣ رقم الترجمة ١٦٢٢).

(١) في معجم البلدان: «البيضاء: ثنية التنعيم بمكة، لها ذكر في كتاب السيرة.

(٢) فالتبّطوا: أي عدوا إليها مطيفين بها.

(٣) الفل: القوم المنهزمون.

(٤) كأحث جمع: كأسرع جمع.

(٥) أجمعت: قررت.

وانتشل^(١) ما فيها، وصارت له ولأصحابه؛ قال: ما تقول يا حجاج! قلت: إي والله، فاكتم عني، ولقد أسلمت وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً^(٢) من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فهو والله على ما تحب. قال: وسرت حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق^(٣) وأخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها، فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد لحر المصيبة؛ قال: كلا، والله الذي حلفتكم به لقد افتتح محمد خبير وترك عروساً على أبنه ملكهم، وأحرز أموالهم وما فيها، فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلماً فأخذ ماله، وانطلق ليلاحق بمحمد وأصحابه فيكون معه؛ قالوا: يا لعباد الله! انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن. ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك.

ذكر انصراف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح

قالوا: ولما فرغ رسول الله ﷺ من خيبر انصرف إلى وادي القرى، فنزل به مع غروب الشمس، ومعه غلام له يقال له: مدغم؛ أهده إليه رفاعة بن زيد الجذامي، فبينما هو يضع رخل رسول الله ﷺ أتاه سهم غزب^(٤) فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا والذي نفس محمد بيده إن شملته^(٥) لتحترق عليه في النار». كان غلها^(٦) من فيء المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصبت شركائين لنعلين لي؛ فقال: «يقد لك مثلهما من النار».

قال أبو بكر أحمد البيهقي رحمه الله بسند يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وساق نحو الحديث في قتل مدغم، ثم قال: وكانت يهود قد ثوى إليها ناس من العرب، فاستقبلونا بالرمي حيث نزلنا، ولم نكن على تعبئة، وهم يصيحون من أطامهم، فعبا رسول الله ﷺ أصحابه وصفهم للقتال، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد،

(١) انتشل: استخرج.

(٢) فرقاً: خوفاً، خشية.

(٣) تخلق: طلي بالخلوق، وهو ضرب من الطيب.

(٤) سهم غزب: سهم مجهول الرامي.

(٥) الشملة: كساء غليظ يلتحف به.

(٦) غلها: حصل عليها.

وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام، وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحققوا دماءهم، وحسابهم على الله. فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر، فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقتله ثم برز آخر، فبرز إليه أبو دُجانة الأنصاري رضي الله عنه فقتله، حتى قُتل منهم اثنا عشر رجلاً، كلما قُتل رجل منهم دعى من بقي إلى الإسلام. قال: ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم ﷺ حتى أمسى، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، وغنم أموالهم، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً، فأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه، وترك الأرض والنخل بأيدي يهود، وعاملهم عليها، فلما بلغ يهود تيماء ما كان من أمر خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم أموالهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلما كان ببعض الطريق قال من آخر الليل: «مَنْ رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام»؟ وجاء في الحديث: «من رجل يكلاً لنا الليل»؟ فقال بلال: أنا يا رسول الله. فنزل رسول الله ﷺ ونزل الناس فناموا، وقام بلال يصلي، فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم استند إلى بغيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام، فلم يوقظهم إلا مَسُّ الشمس، وكان رسول الله ﷺ أول أصحابه استيقاظاً، فقال: «ماذا صنعت بنا يا بلال»؟ فقال: يا رسول الله أخذ بنفسني الذي أخذ بنفسك. قال: «صدقت»، ثم اقتاد رسول الله ﷺ بغيره غير كثير ثم أناخ، فتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس، فلما سلم أقبل على الناس فقال: «إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾» [طه: ١٤]. وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ حين استيقظ واستيقظ أصحابه أمرهم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي، وقال: «إن هذا وإد به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي، ثم أمرهم أن ينزلوا وأن يتوضؤوا... الحديث بنحو ما تقدم.

ذكر سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ثربة

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز هوازن بئر - وهي ناحية العَبْلَاء على أربع ليال من مكة، طريق صنعاء ونجران - فأتى الخبر هوازن فهربوا، جاء عمر محالهم فلم يلق بها أحداً. فانصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره.

روي عن سلمة بن الأكوع^(١) قال: غزوت مع أبي بكر رضي الله عنه إذ بعثه رسول الله ﷺ علينا، فسبى ناساً من المشركين فقتلناهم، وكان شعارنا: أمت أمت. قال: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين. وعنه أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة. وهذا الذي صححه مسلم. وعن إياس بن سلمة بن الأكوع قال: حدثني أبي قال: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر رضي الله عنه، أمره رسول الله ﷺ علينا، فلما كان بينه وبين القوم ساعة أمرنا أبو بكر فعرسنا^(٢)، ثم شَنَّ الغارة فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سبى. ثم قال^(٣) سلمة: فرأيتُ عُنْقاً^(٤) من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم، وفيهم امرأة من بني فزارة، معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر رضي الله عنه فنفلني ابتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله ﷺ في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة». فقلت: يا رسول الله، فقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، ثم لقيني من الغد في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة، لله أبوك!». فقلت: هي لك يا رسول الله؛ فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة. روى هذا الحديث مسلم.

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري^(٥) إلى فدك

بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة سبع من مهاجره في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة

(١) سلمة بن الأكوع: (.... - ٧٤هـ = ٦٩٣ م) سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع، الأسلمي.

صحابي، من الذين بايعوا تحت الشجرة. غزا مع النبي ﷺ سبع غزوات، منها الحديبية، وخيبر وحنين. توفي في المدينة (الأعلام: ٣: ١١٣).

(٢) عرسنا: نزلنا في آخر الليل للاستراحة.

(٣) هنا يياض بالأصلين والتكملة من دلائل النبوة لليهقي، وطبقات ابن سعد، وصحيح مسلم.

(٤) عُنْقاً: جماعة من الناس.

(٥) بشير بن سعد الأنصاري: (.... - ١٢هـ = ٦٣٣ م) بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس،

الخزرجي الأنصاري، صحابي، شهد بدرأ. كان يكتب بالعربية في الجاهلية، وهو أول من بايع أبا بكر الصديق من الأنصار قتل يوم «عين التمر» وكان مع خالد بن الوليد منصرفه من اليمامة.

(الأعلام: ٢: ٥٦).

بفدك، فخرج فلقي رعاء الشاء، فسأل عن الناس ف قيل: في نواديهم؛ فاستاق النعم والشاء، وانحدر إلى المدينة، فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركهم الدهم^(١) منهم عند الليل، فباتوا يرمونهم بالنبل حتى قنيت نبل أصحاب بشير وأصبحوا، فحمل المريون عليهم فأصابوا أصحاب بشير، وقاتل بشير حتى ارتث^(٢) وضرب كعبه، وقيل: قد مات. ورجعوا بنعمهم وشائهم، وقدم غلبه بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ، ثم قدم بعده بشير بن سعد.

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي^(٣) إلى الميعة

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة سبع من مهاجره إلى بني عوال، وبني عبد بن ثعلبة، وهم بالمبيعة، وهي وراء بطن نخل إلى الثقرة قليلاً بناحية نجد، وبينها وبين المدينة ثمانية بُرد.

بعثه في مائة وثلاثين رجلاً، ودليلهم يسار، مولى رسول الله ﷺ، فهجموا عليهم جميعاً، ووقعوا وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء فحدروه إلى المدينة، ولم يأسروا أحداً. وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد الرجل الذي قال: لا إله إلا الله، وهو نهيك بن مرداس بن ظالم من بني ذبيان بن بغيض، وقال ابن إسحاق: مرداس بن نهيك؛ حليف لهم من الحُرقة من جُهينة. ونقل أبو عمر بن عبد البر أنه عامر بن الأضبط الأشجعي، وأن رسول الله ﷺ وداه. قال أسامة: أدركته أنا ورجل من الأنصار، فلما شَهرنا عليه السلاح قال: أشهد أن لا إله إلا الله؛ فلم نَنزع عنه حتى قتلناه. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبره؛ فقال: «يا أسامة، مَنْ لك بلا إله إلا الله؟» قال: قلت: يا رسول الله، إنه إنما قالها تعوذاً من القتل؛ قال: «فمن لك بها يا أسامة؟» قال: فوالذي بعثه بالحق إنه ما زال يرددها عليّ حتى لَوِدْتُ أَنْ ما مضى من إسلامي لم يكن، وكنتُ أسلمتُ يومئذٍ، وأني لم أقتله. قال: قلت: أنظرني يا رسول الله، إني أعاهد الله ألا أقتل رجلاً يقول: «لا إله إلا الله» أبداً. قال: «يقول بعدي يا أسامة»، قلت: بعدك. وفي بعض طرق هذا الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأسامة حين قال: «يا رسول الله، إنما قالها تعوذاً من القتل» «هلاً شققت عن قلبه فتعلّم أصادق هو أم كاذب؟!».

(١) الدهم: العدد الكثير.

(٢) ارتث: صرع في الجنوب، وبه رمق.

(٣) غالب بن عبد الله: (... بعد ٤٨ هـ = ... بعد ٦٦٨ م) غالب بن عبد الله بن مسعر الكلبي الليثي: صحابي، من الولاة. شهد القادسية وقتل هرمز ملك الباب. (الأعلام: ٥: ١١٤).

ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن^(١) وجبار^(٢)

كانت هذه السرية في شوال سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ. وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من غطفان بالجَناب^(٣) قد واعدتهم عيينة بن حِصْن ليكون معهم ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا بشير بن سعد فعقد له لواءً، وبعث معه ثلثمائة رجل، فساروا حتى أتوا يَمَنَ وجَبَّارَ، وهو نحو الجَناب - والجَناب يعارض سلاح^(٤) وخيبر ووادي القرى - فدنوا من القوم فأصابوا لهم نَعَمًا كثيرًا، وتفرق الرِّعاء فحذروا الجمع، فتفرقوا ولحقوا بعلياء بلادهم، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى محالهم فلم يجد فيها أحداً، فرجع بالنَّعم، وأصاب منهم رجلين، فأسرهما وقدم بهما المدينة إلى رسول الله ﷺ، فأسلما، فأرسلهما ﷺ.

ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم

بعثه رسول الله ﷺ في ذي الحجة سنة سبع من مهاجره في خمسين رجلاً إلى بني سليم، وذلك بعد انصراف رسول الله ﷺ من مكة بعد عمرة القضاء، فخرج إليهم وتقدمه عَيْنٌ^(٥) لهم كان معه، فحذَّروهم، فتجمعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعَدُّون له، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا إليه. فتراموا ساعةً بالنبيل، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحدقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قُتل عاصمُهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القَتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ، فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان من الهجرة.

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح بالكديد^(٦)

كانت في صفر سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ. رُوِيَ عن جُنْدَب بن مَكِيث الجُهَنِيِّ قال: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الليثي، ثم أحد بني كلب بن عوف في سرية، فكنتُ فيهم، وأمرهم أن يشُّتوا الغارة على بني الملوح بالكديد - وهم من بني ليث - قال: فخرجنا حتى إذا كنا بِقُدَيْدٍ^(٧) لقينا الحارث بن البرصاء، فأخذناه.

(١) يمن: بفتح الياء، وقيل: بضمها، وقيل: بهمزة مفتوحة وسكون الميم. (الزرقاني: ٢: ٣٠٢).

(٢) جبار: ضبطه الزرقاني بفتح الجيم. وضبط في معجم البلدان بضمها.

(٣) الجَناب: من أرض غطفان. (٤) سلاح: موضع أسفل خيبر.

(٥) العين: الجاسوس.

(٦) الكديد: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة، ويوم الكديد من أيام العرب.

(٧) قُدَيْد: بالتصغير، موضع بين مكة والمدينة.

فقال: إنما جئت أريد الإسلام. قلنا: إن تكن مسلماً لم يضررك رباطنا يوماً وليلة. قال: فشددناه وثاقاً، وخلفنا عليه رُوَيْجَلاً^(١) منا أسود، وسرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس، فكمنّا في ناحية الوادي، وبعثني أصحابي ربيّة^(٢)، فخرجت حتى أتت تلاً مشرفاً على الحاضر^(٣)، فاستندت فيه، فعلوث في رأسه، فنظرت إلى الحاضر، فوالله إنني لمُنْبَطِح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه، فقال لامرأته: إنني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي، فانظري إلى أوعيتك، هل تفقدين منها شيئاً؟ لا تكون الكلاب جرّت بعضهما، قال: فنظرت، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً. قال: فناوليني قوسي وسهمين. فناولته، فأرسل سهماً فوالله ما أخطأ جنبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكانه، ثم أرسل الآخر فوضعه في منكبي، فأنزعه فأضعه، وثبت مكانه، فقال لامرأته: لو كان ربيّة لقد تحرك - لقد خالطه سهمي لا أبا لك! فإذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب؛ قال: ثم دخل، وأمهلناهم حتى اطمأنوا وناموا - وكان وجه السحر - شتاً عليهم الغارة، واستقنا النعم، فخرج صريخ القوم في قومهم، فجاء ما لا قبل لنا به، فخرجنا بها نحدرها حتى مررنا بابن البرصاء فاحتملناه، واحتملنا صاحبنا، وأدركنا القوم حتى نظروا إلينا، ما بيننا وبينهم إلا الوادي - وادي قديد - فأرسل الله تعالى الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة، ولا يقدر على أن يجاوزه. فلقد رأيتهم وقوفاً ينظرون إليه، وإنا لنسوق نعمهم ما يستطيع رجل منهم أن يجيز إلينا، ونحن نحذوها سراعاً حتى فتناهم، فلم يقدروا على طلبنا، قال: فقدمنا بها على رسول الله ﷺ.

قال ابن سعد: وكانوا بضعة عشر رجلاً، وكان شعارهم يومئذ: أمّ أمّ!

ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مُصَّاب أصحاب بشير بن سعد بفدك

كانت في صفر سنة ثمان من هجرة رسول الله ﷺ. وكان رسول الله ﷺ قد هباً الزبير بن العوام رضي الله عنه، وقال له: «سر حتى تنتهي إلى مُصَّاب أصحاب بشير بن سعد، فإن أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم»، وهياً معه مائتي رجل، وعقد له لواء، فقدم غالب بن عبد الله من الكديد، وقد أظفره الله، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اجلس». وبعث غالب بن عبد الله في مائتي رجل، فيهم أسامة بن زيد، فسار حتى انتهى إلى مُصَّاب أصحاب بشير، فأصابوا نعماً، وقتلوا قتلى.

(١) رويجلاً: تصغير رجل.

(٢) ربيّة: عينا لهم.

(٣) الحاضر: الحي العظيم.

ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي^(١) إلى بني عامر بالسِّي

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسِّي^(٢)، من ناحية رُكبة^(٣)، من وراء المعدن^(٤)، وهي من المدينة على خمس ليال، وأمره أن يُغير عليهم، فسار حتى صبحهم وهي غارون، فأصابوا نِعماً كثيراً وشاء، فاستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، وغابت هذه السرية خمس عشرة ليلة.

ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري^(٥) إلى ذات أطلح

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلح، من أرض الشام، وهي من وراء وادي القرى، فوجدوا جمعاً كثيراً من جمعهم، فدعَوْهم إلى الإسلام: فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجلٌ جريحٌ، فأَتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فسُق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغه أنهم قد ساروا إلى مواضع آخر، فتركهم.

ذكر سرية مؤتة

ومؤتة بأدنى البلقاء بالقرب من الكرك^(٦).

كانت هذه السرية في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره، فاشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجُزف^(٧)، وهم ثلاثة

(١) شجاع بن وهب الأسدي: (.... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي، من بني غنم: صحابي، شجاع من أمراء السرايا. قديم الإسلام. شهد المشاهد كلها. قتل شجاع يوم اليمامة. (الأعلام: ٣: ١٥٨).

(٢) السِّي: ماء بين ذات عرق إلى وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة.

(٣) رُكْبَة: (بضم السكون ففتح): موضع بالطائف.

(٤) المعدن: يريد معدن بني سليم، وهو من أعمال المدينة على طريق نجد.

(٥) كعب بن عمير: (.... - ٨ هـ = ٦٢٩ م) كعب بن عمير الغفاري: من كبار الصحابة. بعثه النبي ﷺ أميراً على سرية نحو «ذات أطلح» في البلقاء، فقتل فيها. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٦) الكرك: قلعة حصينة في طرف الشام من نواحي البلقاء.

(٧) الجُزف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

آلاف، فقال رسول الله ﷺ: «أمير القوم زيد بن حارثة، فإن قُتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتل فعبد الله بن رواحة، فإن قُتل فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فيجعلوه عليهم»، وعقد لهم رسول الله ﷺ لواءً أبيض وسلمه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم رسول الله ﷺ أن يأتوا مقاتل الحارث بن عُمير، وأن يذعوا من هناك إلى الإسلام «فإن أجابوا وإلا فاستعينوا عليهم بالله وقتلوه»، وخرج رسول الله ﷺ مشيعاً لهم حتى بلغ ثنية الوداع^(١)، فوقف وودعهم وانصرف عنهم، فقال عبد الله بن رواحة: [من الكامل]

خلف السلام على امرئ ودعته في النخل خير مودع^(٢) و خليل
فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون: دفع الله عنكم، وردكم صالحين
غانمين!. فقال ابن رواحة: [من البسيط]

لكنني أسأل الرحمن مغفرةً وضربة ذات فرغ تقذف الزبداً^(٣)
في أبيات^(٤) أخر.

قال: فلما فصلوا^(٥) من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام فيهم شرخيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون معان^(٦) من أرض الشام، وبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب^(٧) من أرض البلقاء في مائة ألف من بهراء ووائل وبكر ولخم والقين، عليهم رجل من بلي ثم أحد إراشة؛ يقال له: مالك بن زافلة^(٨)، فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ، فشجعهم عبد الله بن رواحة، وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون لتي خرجتم تطلبون؛ الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور^(٩)، وإما

(١) ثنية الوداع: هي ثنية مشرفة على المدينة، يطؤها من يريد مكة. قيل في سبب تسميتها بذلك، إنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة.

(٢) في ابن هشام: ٤: ١٦: «مشيع».

(٣) ذات فرغ: أي واسعة، وأراد بالزبد هنا رغو الدم؛ (الزرقاني ٢: ٣٢٣).

(٤) الأبيات في ابن هشام ٤: ١٥ - ١٦.

(٥) فصلوا: خرجوا.

(٦) معان: ضبطه الزرقاني بفتح الميم، وضبطه البكري، بضمها: حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق في طريق مكة.

(٧) مآب: موضع بالشام.

(٨) زافلة: كذا ورد هذا الاسم بالزاي في الأصلين وابن هشام: ٤: ٢٣، والذي في الزرقاني ٢: ٣٢٣ «رافلة» بالراء المهملة.

(٩) الظهور: الغلبة.

شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رَوَاحَة. قال: فمضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم^(١) البلقاء لقيتهم جموعُ هِرَقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها المشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤتة^(٢)، ووافاهم المشركون، فجاء منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والسلاح والكراع^(٣) والذبياج والحريز والذهب فعبأ المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذرة يقال له: قُطبة بن قَتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عُبَايَةُ بن مالك - ويقال: عبادة - ثم التقوا واقتتلوا، فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه براية رسول الله ﷺ حتى قُتِلَ طَغْنًا بالرماح، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شَفَرَاء فَعَرَقَبَهَا^(٤)، فكانت أول فرس عُرِيبَتْ في الإسلام، وقاتل حتى قُتِلَ، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في أحد نصفيه بضعة وثمانون جرحاً، ووجدنا فيما أقبل من بدنه اثنتين وسبعين ضربةً بسيف وطعنةً برمح.

وحكى أبو محمد عبد الملك بن هشام أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه ففُطِعت يده، فأخذه بشماله ففُطِعت، فاحتضنه بعضديه، حتى قُتِل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

وقال محمد بن إسحاق: كان جعفر يقاتل وهو يقول: [من الرجز]

يا حبذا الجنة واقتراؤها طيبةً وبارداً شراؤها
والرؤم رؤمٌ قد دنا عذابها كافرةً بعيدة أنسابها
* عليّ إن لاقيتها ضراؤها *

قال: ولما قُتِل جعفر أخذ عبد الله بن رَوَاحَة الراية، ثم تقدّم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه^(٥)، ويردد بعض التردد، ثم قال: [من الرجز]

أقسمت يا نفس لتُنزلتْ لتُنزلن أو لتُكرهتْ
إن أجلب الناسُ وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة^(٦)

(١) التخوم: الحدود الفاصلة بين أرض وأرض.

(٢) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. وقيل إنها من مشارف الشام (معجم البلدان).

(٣) الكراع: في الزرقاني: ٢: ٣٢٤: أن الكراع جماعة الخيل خاصة.

(٤) عرقبها: قطع عرقوبها، وهو الوتر الذي بين مفصل الساق والقدم.

(٥) يستنزل نفسه: أي يطلب نزولها عما أرادته وهمت به.

(٦) أجلب الناس: اختلطت أصواتهم وضجوا. الرنة: صوت فيه ترجيع شبه البكاء.

قد طال ما قد كنت مطمئنة هل أنتِ إلا نُطفة في شنة^(١)
وقال أيضاً رضي الله عنه: [من الرجز]

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت
وما تمئيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت
* وإن تَوَلَّيتِ فقد شقيت *

يريد بقوله: «فعلهما» صاحبيه زيداً وجعفرأ؛ ثم نزل. فأتاه ابنُ عمِّ له بعزق^(٢) من لحم، فقال: شدَّ بهذا ضُلبك، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده فانتَهَس^(٣) منه نَهْسةً، ثم سمع الحطمة^(٤) من ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا، ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه وتقدّم، فقاتل حتى قُتِل.

ثم أخذ الراية ثابتُ بنُ أرقم، وقال: يا معشر الناس^(٥)، اصطلحوا على رجل منكم؛ فقالوا: أنت؛ قال: ما أنا بفاعل. فاصطَلَحَ الناسُ على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى بهم^(٦)، ثم انحاز وانحيز عنه، وانكشف، فكانت الهزيمة، فتبعهم المشركون، فقتل من قتل من المسلمين، ورُفعت الأرض لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معترك القوم، فلما أخذ خالدُ بنُ الوليد اللواء قال رسول الله ﷺ: «الآن حمي الوطيس^(٧)».

قال محمد بنُ إسحاق: ولما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ: «أخذ الراية زيدُ بنُ حارثة فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً، ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً»، ثم صمّت حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنّوا أنّه قد كان في عبد الله بن رَواحة بعض ما يكرهون؛ فقال: «ثم أخذها عبدُ الله بنُ رَواحة فقاتل بها حتى قُتِل شهيداً».

قال ابن إسحاق: وكان قُطبة بنُ قَتادة العُذري^(٨) حَمَلَ على مالك بن زافلة فقتله

(١) النطفة: القليل من الماء الصافي. الشنة: القرية الخلق.

(٢) العرق: العظيم الذي عليه بعض اللحم.

(٣) انتَهَس: أخذ منه بغمه يسيراً.

(٤) الحطمة: زحام الناس، وحطم بعضهم بعضاً.

(٥) في الزرقاني: ٢: ٣٢٦ عن ابن إسحاق: «المسلمين».

(٦) حاشى بهم: انحاز بهم، من الحشى، وهي الناحية. وفي ابن هشام: ٢: ٢٥٨: «وخاشى بهم» من المخاشاة، وهي المحجزة. من الخشية، لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم. وفي الزرقاني: ٢: ٣٢٧: «فجاش خالد الناس ودافع وانحاز وانحيز عنه».

(٧) حمي الوطيس: حمي الضرب وجدّت الحرب واشتدت.

(٨) قُطبة بن قَتادة: (... - بعد ١٤ هـ = ... - بعد ٦٣٥ م) قُطبة بن قَتادة بن جرير السدوسي الشيباني. أبو الحويصلة: شجاع، من القادة. أسلم بعد فتح مكة. (الأعلام: ٥: ٢٠٠).

وهو على المائة ألف التي اجتمعت من العرب، فقال في ذلك: [من المتقارب]

ظعنث ابن زافلة بن الإراش برمح مضى فيه ثم انحطتم^(١)

ضربت على جيده ضربة فمال كما مال غصن السلم^(٢)

قال: ولما سمع أهل المدينة بإقبال جيش مؤتة تلقؤهم بالجرف، فجعل الناس يَخْثُونَ في وجوههم التراب ويقولون: يا فُزَار، فررتم في سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ: «ليسوا بفُزَار، ولكنهم كُزَار إن شاء الله».

ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة

استشهد من قريش ومواليهم أربعة نفر، وهم: جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ومسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة، ووهب بن سعد بن أبي سرح، واستشهد من الأنصار: عبد الله بن رواحة، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان بن إساف، وسراقه بن عمرو وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد، وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث بن عباد، رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل^(٣)

وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة. وسبب بعث هذه السرية أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً من قُضَاعَة قد تجمعوا يريدون أن يذنوا إلى أطراف^(٤) رسول الله ﷺ، فدعا عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة^(٥) المهاجرين والأنصار، ومعهم ثلاثون فرساً، وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلية^(٦) وغُدرة وبلقين، فسار الليل وكمين النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو

(١) انحطم: انكسر.

(٢) الجيد: العنق. والسلم: شجرة العضاة، الواحدة: سلمة.

(٣) بالنسبة لضبط هذه الكلمة راجع الزرقاني: ٢: ٣٣٢.

(٤) كذا في الأصلين وابن سعد: ٢: ٩٥ قسم أول، وفي عيون الأثر: ٢: ١٥٧ يريدون أن يذنوا إلى أطراف المدينة.

(٥) سراة القوم: أصحاب الشرف فيهم.

(٦) لأن عمراً كان ذا رحم فيهم، فإن جدته لأبيه كانت بلويه، فأراد عليه السلام أن يتألفهم بعمرو.

بكر وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو؛ فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مدداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة^(١)، وسار حتى وطىء بلاد بليّ، ودوّخها حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي^(٢) بريداً إلى رسول الله ﷺ؛ فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.

ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح، وهي سرية الخبط^(٣)

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار، وفيهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى حي من جهينة بالقبليّة مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليالٍ، فأصابهم في الطريق جوع شديد، فأكلوا الخبط، وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم.

روى عن عبادة بن الصامت قال: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى سيف^(٤) البحر، عليهم أبو عبيدة بن الجراح، وزودهم جراباً من تمر، فجعل يقوتهم إياه حتى صاروا إلى أن يعدّه لهم عداً، ثم نفد التمر حتى كان يعطي كل رجل منهم كل يوم تمرّة، فقسمها يوماً بيننا، فنقصت تمرّة عن رجل، قال: فوجدنا فقدّها ذلك اليوم، فلما جهدنا^(٥) الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر فأصبنا من لحمها وودكها^(٦)، فأقمنا عليها عشرين ليلة حتى سمنا وابتللنا^(٧)، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها فوضعه على طريقه، ثم أمر بأجسم بغير معنا فحمل عليه أجسم رجل منا، فخرج من تحتها وما مست رأسه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه خبرها، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياها، فقال: «رَزَقَ رَزَقُكُمْوه الله».

قال ابن سعد: وانصرفوا ولم يلقوا كيداً.

- (١) زاد في ابن سعد: ٢: ٩٥ بعد هذه الكلمة قوله: «وكان عمرو يصلي بالناس».
- (٢) عوف بن مالك: (... - ٧٣ هـ = ... - ٦٩٢ م) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني: صحابي من الشجعان الرؤساء. أول مشاهده خيبر. وكان معه راية «أشجع» يوم الفتح. نزل حمص وسكن دمشق. (الأعلام: ٥: ٩٦).
- (٣) الخبط: (بالتحريك) ورق العضاة، من الطلع ونحوه من الشجر، يضرب بالعصا فيتناثر.
- (٤) سيف البحر: ساحله.
- (٥) جهدنا: أضعفنا.
- (٦) الودك: (بالتحريك) الشحم.
- (٧) ابتللنا: حسنت حالنا بعد الهزال، وأفقتنا من ألم الجوع الذي كان أصابنا.

ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة وهي أرض مُحارب بنجد

قالوا: بعثه رسول الله ﷺ في شعبان سنة ثمانٍ من الهجرة ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، وأمره أن يشن عليهم الغارة، فسار الليل وكمن النهار، فهجم على حاضِرٍ منهم عظيم، فأحاط به، فصرخ رجلٌ منهم: يا خُضرة وقاتل منهم رجال، فقتلوا من أشرفهم^(١)، واستاقوا النعم، فكانت الإبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنائم، فأخرجوا الخمس، وقسموا ما بقي على السرية، فأصاب كل رجلٍ منهم اثنا عشرَ بعيراً وعُدل البعيرُ بعشرٍ من الغنم، وصارت في سَهْم أبي قتادة جاريةٌ وضيئةٌ، فاستوهبها منه رسول الله ﷺ، فوهبها له، فوهبها ﷺ لمُحمية بن جَزء. وغابوا في هذه السرية خمسَ عشرة ليلة.

ذكر سرية أبي قتادة ربعي الأنصاري إلى بطن إضم

كان هذه السرية في أول شهر رمضان سنة ثمانٍ من هجرة رسول الله ﷺ. قالوا: لما هم رسول الله ﷺ بغزو أهل مكة بعث أبا قتادة في ثمانية نفر سرية إلى بطن إضم - وهي فيما بين ذي حُشب وذي المَرزوة، وبينها وبين المدينة ثلاث بُرْد - ليظنَّ ظانٌّ أن رسول الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار، وكان في السرية محلم بن جثامة الليثي، فمرَّ عامر بن الأضبط الأشجعي، فسلم بتحية الإسلام، فأمسك عنه القوم، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينهما، وسلَّبه بغيره ومتاعه، فلما لحقوا برسول الله ﷺ نزل فيهم من القرآن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَيُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمَ لَسَتْ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ [النساء: ٩٤] الآية. فمضوا ولم يلقوا جمعاً فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي حُشب، فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد توجه إلى مكة، فأخذوا على يمين^(٢) حتى لقوا النبي ﷺ بالسُّقيا.

ذكر غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح والسبب الذي أوجب نقض العهد وفسخ الهدنة

كانت هذه الغزوة في شهر رمضان سنة ثمانٍ من مهاجر رسول الله ﷺ، وعلى

(١) كذا في الأصلين. والذي في الزرقاني: ٢: ٣٤٠ وابن سعد: ٢: ٩٦: «فقتلوا من أشرف لهم» أي ظهر.

(٢) يمين: بفتح فسكون: ناحية من أراض المدينة على يريد منها (معجم البلدان).

رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحُدَيْبِيَّة.

وسبب ذلك أنه لما دخل شعبان من هذه السنة كلّمت بنو نُفَائَة - وهم من بني بكر - أشراف قريش أن يعينوهم على خُزَاعَة بالرجال والسلاح، وكانت خُزَاعَة قد دخلت في عَقْد رسول الله ﷺ وعهده يومَ الحُدَيْبِيَّة، كما قدّمنا ذكر ذلك. ودخلت بنو بكر في عَقْد قريش وعهدها، قالوا: فلمّا سألوهم ذلك وَعَدُوهم ووافوهم بالوَتِير^(١) متَنَقِّبين^(٢)، فيهم صَفْوَان بنُ أُمَيَّة، وَحُوَيْطِب بنُ عبد العُزَى، وَمِكْرَز بنُ حَفْص بنِ الأَخِيْف، فَبَيَّتُوا خُزَاعَة لَيْلاً، وهم غَارُونَ^(٣) آمَنُونَ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ عَشْرِينَ رجلاً، ثم ندمت قريش على ما صنعت، وعلموا أن هذا نقض للمُدة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج عمرو بنُ سالم^(٤) الخُزَاعِي في أربعين راكباً من خُزَاعَة، فَقَدِمُوا على رسول الله ﷺ يُخْبِرُونَهُ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ وَيَسْتَنْصِرُونَهُ.

قال ابن إسحاق: قدِم عمرو بن سالم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف ورسول الله ﷺ جالس في المسجد بين ظَهْرَانِي النَّاسِ، فقال: [من الرجز]

يا ربّ إنّي ناشدُ محمداً	حَلَفَ أبِينَا وأَبِيهِ الأَثَلَدَا ^(٥)
قد كننُهم وُلدَاً وَكُنَّا وَالِدَا	ثُمّتَ أَشْلَمْنَا فلم ننزع يدَا ^(٦)
فانصر هداك الله نَصراً أبداً	وَادْعُ عِبَادَ الله يَأْتُوا مَدَدَا ^(٧)
فيهم رسول الله قد تَجَرَّدَا	إِنْ سِيَمَ خُسْفَاً وَجْهَهُ تَرَبَّدَا ^(٨)
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا	إِنْ قَرِيشاً أَخْلَفُواكَ المَوْعِدَا ^(٩)
ونَقَضُوا مِيثَاقَكَ المَوْكِدَا	وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصْدَا ^(١٠)
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا	وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا

(١) الوتير: ماء قريب من مكة.

(٢) متنقبين: النقاب: غطاء الوجه.

(٣) غارون: غافلون.

(٤) عمرو بن سالم الخُزَاعِي: عمرو بن سالم بن حضيرة بن سالم الخُزَاعِي. كان أحد من يحمل أُلوية خُزَاعَة يوم الفتح. (الإصابة في تمييز الصحابة: ٣: ١٧٤ رقم الترجمة ٦٨٤٢).

(٥) ناشد: طالب. والحلف: المناصرة.

(٦) الولد: لغة في الولد. وثمت: حرف عطف أدخل عليه تاء التأنيث.

(٧) نصراً أبداً: في ابن هشام: ٤: ٣٦ «أعتدا».

(٨) سيم خسفاً: شعر بالذل. تربد: تغير.

(٩) الفيلق: العسكر الكثير.

(١٠) رصد: جمع راصد. وهو الذي يرقب الشيء.

هم بَيِّثُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدًا وَقَتَّلُونَا وَكُنَّا سُجْدًا^(١)
 يقول: قُتِلْنَا وَقَدْ أَسْلَمْنَا، وَيُرَوَّى بِدَلِّ قَوْلِهِ: * قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدًا *
 * نَحْنُ وَلَدْنَاكَ فَكُنْتَ وَلَدًا *

قال: فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم».

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَجْرُ رِدَاءَهُ
 وَيَقُولُ: «لَا نُصِرْتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصُرُ مِنْهُ نَفْسِي». ثُمَّ عَرَضَ لَهُ سَحَابٌ،
 فَقَالَ: إِنَّ هَذَا السَّحَابَ لَيَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ.

قال محمد بن إسحاق: وقديم بُذِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُرَاعَةِ عَلَى رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ بِمَنْ أَصِيبَ مِنْهُمْ وَبِمِظَاهِرَةِ قَرِيشَ بَنِي بَكْرِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ
 إِلَى مَكَّةَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «كَأْتَكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ
 وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ»، وَمَضَى بُذِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ
 بَعْسَفَانَ^(٢)، قَدْ بَعَثَهُ قَرِيشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمَدَّةِ، فَقَالَ لَهُ
 أَبُو سُفْيَانَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بُذِيلُ؟ قَالَ: تَسِيرْتُ^(٣) فِي خُرَاعَةٍ فِي هَذَا السَّاحِلِ وَفِي
 بَطْنِ هَذَا الْوَادِي؛ قَالَ: أَوْ مَا جِئْتَ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، وَفَارَقَهُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَئِنْ
 كَانَ بُذِيلُ جَاءَ إِلَى يَثْرِبَ لَقَدْ عَلَفَ النَّوَى^(٤) بِهَا، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا
 فَفَتَّهَ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُذِيلُ مُحَمَّدًا؛ ثُمَّ خَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ
 حَتَّى قَدَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَذَهَبَ لِيَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ
 النَّبِيِّ ﷺ، فَطَوَّهَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ، مَا أَدرِي أَرِغِبْتَ بِي عَنْ هَذِهِ الْفَرَّاشِ، أَمْ رَغِبْتَ بِهِ
 عَنِّي، قَالَتْ: بَلْ هُوَ فَرَّاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنْتِ رَجُلٌ مُشْرِكٌ نَجَسٌ، فَلَمْ أَحِبَّ أَنْ
 تَجْلِسَ عَلَى فَرَّاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَكَ بَعْدِي يَا بُنَيَّةُ شَرٌّ، ثُمَّ خَرَجَ
 حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَكَلَّمَهُ أَنْ
 يَكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ؛ ثُمَّ أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَكَلَّمَهُ، فَقَالَ: أَنَا
 أَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا الذَّرَّ لَجَاهَدْتُكُمْ بِهِ؛ ثُمَّ دَخَلَ عَلَى
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهَا الْحَسَنُ ابْنُهَا غُلَامٌ يَدِبُ
 بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّكَ أَمْسَ الْقَوْمِ بِي رَحِمًا، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ فِي حَاجَةٍ فَلَا

(١) التهجيد: التعبد ليلًا.

(٢) عسفان: على مرحلتين من مكة على طريق المدينة (معجم البلدان).

(٣) تسيرت: سرت.

(٤) النوى: بذور التمر.

أرجعن^(١) كما جئتُ خائباً، فاشفع لي إلى رسول الله ﷺ، فقال: ويحك يا أبا سُفيان، والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه، فالتفت إلى فاطمة فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري بُنيّك هذا فيُجيرَ بين الناس فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بُنيّ ذلك أن يُجيرَ بين الناس، وما يجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ؛ فقال: يا أبا الحسن، إني أرى الأمور قد اشتدت عليّ، فانصحنني، قال: والله ما أعلم شيئاً يُغني عنك، ولكنتك سيّد بني كنانة. فقم فأجرِ بين الناس، ثم الحق بأرضك، قال: أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله، ما أظنه، ولكن لا أجد لك غير ذلك، فقام أبو سُفيان في المسجد فقال: أيّها الناس، إني قد أجزتُ بين الناس، ثم ركب بغيره وانطلق، فلما قدِم مكة على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئتُ محمداً فكلّمته، فوالله ما ردّ عليّ شيئاً، ثم جئتُ ابنَ أبي قُحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم جئتُ ابنَ الخطاب فوجدته أعدى العدو، ثم جئتُ عليّاً فوجدته أليّن القوم، وقد أشار عليّ بشيء صنعته، فوالله ما أدري هل يعني شيئاً أم لا؟ قالوا: وبم أمرّك؟ قال: أمرني أن أجيرَ بين الناس، ففعلتُ، قالوا: فهل أجازَ ذلك محمد؟ قال: لا؛ قالوا: ويلك، والله إن زادَ الرجلُ على أن لعبَ منك، فما يغني عنك ما فعلت، ثم تجهّز رسولُ الله ﷺ وأخفى مقصده، ثم أعلمَ الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجدّ والتهيؤ، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نُبغتها»^(٢) في بلادها. والله المعين.

ذكرُ خبر حاطب بن أبي بلتعة^(٣) في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى نبيّه ﷺ بذلك، وأخذه الكتاب، وما أنزلَ الله عزّ وجلّ في ذلك من القرآن

قال: ولما أجمع رسولُ الله ﷺ المسيرَ إلى مكة كتب حاطب بنُ أبي بلتعة كتاباً إلى قريش يُخبرهم بالذي أجمع عليه رسولُ الله ﷺ في المسير إليهم، ثم أعطاه امرأة يقال إنها من مُزينة - وقيل: هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب - وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرونها^(٤) وخرجت به، وأتى

(١) في كلا الأصلين: «فلأرجعن»؛ وهو تحريف؛ والتصويب عن ابن هشام.

(٢) نبغتها: نفاجتها.

(٣) حاطب بن أبي بلتعة: حاطب بن أبي بلتعة بن عمرو بن عمير. اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى. شهد بدرًا. كان أحد فرسان قريش في الجاهلية وشعرائها. مات في سنة ثلاثين في خلافة عثمان وله خمس وستون سنة (راجع: الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٣٠٠ رقم الترجمة ١٥٣٨).

(٤) القرون: جمع قرن، وهو: الضفيرة.

رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صَنَعَ حاطب، فبعثَ عليَّ بنَ أبي طالب، والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وقال: أدركا امرأةً قد كَتَبَ معها حاطبٌ كتاباً إلى قريش يحذِّرهم ما قد أجمعنا في أمرهم، فخرَّجا فأدركاها بالخلِيقَة، خَلِيقَة بني أبي أحمد، فاستنزَّلاها والتَّمَسَّا في رَحْلِها فلم يجدَا شيئاً، فقال لها علي: أحلف بالله لتُخْرِجَنَا لَنَا هذا الكتاب أو لنفتشَنَّكَ، فقالت: أعرض عني، فأعرَضَ، فجَلَّتْ قرونَ رأسِها فاستخرجت الكتابَ ودفعته إليه، فَأَتَيَا به رسولَ الله ﷺ، فدعا حاطباً فقال: «ما حَمَلَكَ على هذا؟» قال: يا رسول الله، أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله، ما غَيَّرْتُ وما بَدَلْتُ، ولكنتني امرؤٌ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، ولي بين أظهرهم وَلَدٌ وأهل، فصانعتهم عليهم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنقه، فإنَّ الرجل قد نَافَقَ، فقال رسول الله ﷺ: «وما يُدريك يا عمر، لعلَّ الله قد أطلع على أصحاب بدرٍ يوم بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم».

هذه رواية محمد بن إسحاق.

وقال الشيخ أبو إسحاق أحمد بنُ محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله: إن المرأة سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وأنها أتت رسولَ الله ﷺ من مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهَّز لفتح مكة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أمسلمة جئتِ؟» قالت: لا، قال: «أمهاجرة جئتِ؟» قالت: لا؛ قال: «فما حاجتك؟» قالت: كنتُ كثيرةَ العشيرة والأصل والموالي، وقد ذهبتُ موالِيٍّ، واحتجتُ حاجةً شديدة، فقدمتُ عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني. قال لها: «فأين أنت من شباب أهل مكة»، وكانت مغنية نائحة، قالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر: فحثَّ رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فكسَّوها وحملوها وأعطوها نفقةً؛ فأتاها حاطب بنُ أبي بلتعة حليفُ بني أسد بن عبد العزى، فكتبَ معها إلى أهل مكة كتاباً، وأعطاهَا عشرةَ دنانير.

قال الثعلبي: هذه رواية زاذان عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وقال مقاتل بن حيان: أعطاهَا عشرة دراهم وكساها بُرداً على أن توصِلَ الكتابَ إلى أهل مكة، وكتبَ في الكتاب: «من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، إن رسولَ الله يريدكم، فخذوا جذركم». فخرجت سارة، ونزل جبريل، فأخبرَ النبي ﷺ بما فعل حاطب، فبعثَ رسولَ الله ﷺ عليّاً، وعمر، والزبير، وطلحة وعماراً، والمقداد بن الأسود، وأبا مَرْثَد، وكانوا كُلُّهم فُرساناً، وقال لهم: «انطلقوا حتَّى تأتوا روضةً خاخ»^(١)

(١) روضة خاخ: موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان).

فإن بها طعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فخذوه منها، وخلّوا سبيلها، وإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها» فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها كتاب، فبحثوها، وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهَمُّوا بالرجوع، فقال علي رضي الله عنه: والله ما كُذِّبنا ولا كَذَبنا، وسلّ سيفه، وقال لها: أخرجي الكتاب وإلا والله لأجرّدنك، ولأضربن عنقك، فلما رأت الجدّ أخرجته من دوائبها قد خبأته في شعرها، فخلّوا سبيلها، ولم يتعرضوا لما معها، ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: «هل تعرف الكتاب؟» قال: نعم، قال: «ما حملك على ما صنعت؟» فقال: يا رسول الله، ما كفرت منذ أسلمت، ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت غريباً فيهم، وكان أهلي بين ظهرائهم، فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمت أن الله يُنزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً؛ فصدّقه رسول الله ﷺ وعذّره، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله: دعني أضرب عنق هذا المنافق؛ فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر يوم بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم يوم بدر».

وأنزل الله عز وجل في شأن حاطب ومكاتبته المشركين قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾، قال: أي من مكة لأن آمنتم بالله ربكم؛ قال: في الكلام تقديم وتأخير، ونظم الآية: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَآيَتِيَ مَرْضَاتِي شَرُونِ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢) قال: يتقفوكم يروكم ويظهروا^(١)، ﴿وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بالقتل، ﴿وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ﴾ أي بالشتم، ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ فلا تناصحوهم فإنهم لا يُناصحوكم ولا يُؤادونكم.

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣) [المتحنة: ٣] قال: معنى الآية: لا تدعونكم قراباتكم ولا أولادكم التي بمكة إلى خيانة رسول الله ﷺ والمؤمنين، وترك مناصحتهم وموالاة أعدائهم،

(١) كذا في الأصلين: والذي في القرطبي: «يتقفوكم: يظفروا بكم ويتمكنوا منكم».

ومظاهرتهم، فلن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم التي عصيتكم الله لأجلهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل أهل طاعته والإيمان به الجنة، ويدخل أهل معصيته والكفر به النار.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [الممتحنة: ٤] الآية. ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦] قال: قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ﴾ يعني في إبراهيم ومن معه من الأنبياء والأولياء؛ قال: فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقرباءهم من المشركين في الله، وأظهروا لهم العداوة والبراءة، فعلم الله تعالى شدة وجد المؤمنين بذلك، فأنزل: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧]؛ قال: ففعل الله عز وجل ذلك بأن أسلم كثير من مشركي مكة، فصاروا للمؤمنين أولياء وإخواناً، وخالطوهم وناكحوهم^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَيِّدُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨] معناه: أن تعدلوا فيهم بالإحسان والبر، واختلف العلماء فيمن نزلت فيهم هذه الآية، فقال ابن عباس: نزلت في خزاعة، منهم هلال بن عويمر وخزيمة، وسراقة بن مالك بن جعشم، وبنو مُذَلْج، وكانوا صالحوا النبي ﷺ على ألا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحداً.

وقال عبد الله بن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم، وذلك أن أمها قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد من بني مالك بن حنسل قدمت عليها المدينة بهدايا وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هدية، ولا تدخلني علي بيتي حتى أستاذن رسول الله ﷺ؛ فسألت لها عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها، وتقبل هديتها، وتحسن إليها، وتكرمها. وقال مرة الهَمْدَانِي وعطية العوفي: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَنُّوْا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] قال: وهم مشركو مكة. فلنرجع إلى أخبار غزوة الفتح.

(١) ناكحوهم: تزوجوا من بعضهم.

ذكر خروج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، ومن جاءه في طريقه قبل دخول مكة

قال: ولَمَّا تَهَيَّأَ رسولُ الله ﷺ لِلْغَزَاةِ بعثَ إلى مَنْ حوله من العرب فجلَّبهم، وهم أَسْلَمٌ، وَغِفَّارٌ، وَمُزَيْنَةُ، وَجُهَيْنَةُ، وَأَشْجَعٌ، وَسَلِيمٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَاثَاهُ بِالْمَدِينَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَهُ فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ عَشْرَةَ آلَافٍ، وَاسْتَخْلَفَ رسولُ الله ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ.

وقال محمد بن إسحاق وأبو بكر أحمد البيهقي: استخلف على المدينة أبا رُهم كلثوم بن حُصَيْن بن عُتْبَةَ بن خَلْفِ الْغِفَّارِي، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الأربعاء لعشر ليالٍ خلون من شهر رمضان بعد العصر، فلَمَّا انْتَهَى إِلَى الصَّلَاحِ^(١) قَدِمَ أَمَامَهُ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي مَائَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَصَامَ رسولُ الله ﷺ وَصَامَ النَّاسُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْكَدِيدِ^(٢) بَيْنَ عُسْفَانَ^(٣) وَأَمَجٍ^(٤) أَفْطَرَ. وَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُفْطِرَ فَلْيَفْطِرْ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلْيَصُمْ.

قال ابن سعد: فلما كان رسول الله ﷺ بِقُدَيْدٍ^(٥) عَقَدَ الْأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ.

قال محمد بن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حَتَّى نَزَلَ مَرَّ الظُّهْرَانِ^(٦) وَهُوَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَبَّعَتْ^(٧) سُلَيْمٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَلْفَتْ مُزَيْنَةَ، وَفِي كُلِّ الْقَبَائِلِ عَدَدٌ وَإِسْلَامٌ، وَأَوْعِبَ مَعَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ. قَالَ: وَلَمَّا كَانَ رسولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ لَقِيَهِ عَمَّةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ.

قال ابن هشام: لَقِيَهِ بِالْجُحْفَةِ^(٨) مُهَاجِرًا بَعِيَالَهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ بِمَكَّةَ عَلَى سَبْقَاتِهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَسْلَمَ عِنْدَ أَنْصَرَفِ رسولِ الله ﷺ مِنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ، قَالَ: وَلَقِيَهِ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، لَقِيَاهُ بِنَبِيْقٍ

(١) الصَّلَاحُ: موضع بنواحي المدينة على سبعة أميال منها.

(٢) الكَدِيدُ: موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة.

(٣) عُسْفَانَ: قرية جامعة على ثلاث مراحل من مكة.

(٤) أَمَجٌ: بلد من أعراض المدينة.

(٥) قُدَيْدٌ: (بالتصغير) موضع قرب مكة.

(٦) مَرَّ الظُّهْرَانِ: موضع على مرحلة من مكة.

(٧) سَبَّعَتْ: أي كانت سبعمئة، وألقت: كانت ألفاً.

(٨) الْجُحْفَةُ: موضع على أربع مراحل من مكة.

العُقَاب^(١) بين مكة والمدينة، والتمسا الدخول عليه، وكلمته أم سلمة رضي الله عنهما فيهما، فقالت: يا رسول الله، ابن عمك، وابن عمتك وصهرُك. فقال: «لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فهتكَ عِرضي، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال»، فلما خرج الخبر بذلك إليهما ومع أبي سفيان^(٢) بُنِيَ له قال: والله لتأذنن لي أو لأخذن بيد بُنيّ هذا، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً؛ فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقّ لهما، ثم أذن لهما فدخلا عليه، فأسلما، وأنشد أبو سفيان بن الحارث يعتذر ممّا كان قد مضى من فعله فقال: [من الطويل]

لعمرك إني يوم أحملُ رايةً لتغلبَ خيلُ اللات خيلَ محمد^(٣)
لكالمُدْلِجِ الحيرانِ أظلمَ ليله فهذا أواني حين أهدى وأهتدي^(٤)
هداني هادٍ غيرُ نفسي ودلني على الحقّ من طردت كل مطرد^(٥)
أصدّ وأنأى جاهداً عن محمد وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
هم ما هم من لم يقل بهواهم وإن كان ذا رأي يلم ويقتد^(٦)
أريد لأرضيهم ولستُ بلائط مع القوم ما لم أهد في كل مقعد^(٧)
فقل لثقيف: لا أريد قتالها وقل لثقيف تلك: غيري أوعدي
فما كانت في الجيش الذي نال عامراً وما كان عن جرّ لساني ولا يدي
قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدة نزائع جاءت من سهام وسُردد^(٨)

(١) نيق العقاب: موضع قرب الجحفة.

(٢) أبو سفيان بن الحارث: (.... - ٢٠ هـ = - ٦٤١ م) المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، أبو سفيان، الهاشمي القرشي: أحد الأبطال الشعراء في الجاهلية والإسلام. وهو أخ رسول الله ﷺ من الرضاع كان يألفه في صباهما. ولما أظهر النبي ﷺ الدعوة إلى الإسلام عاداه المغيرة وهجاه وهجا أصحابه. أسلم وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ثم وقعة حنين. له شعر كثير في الجاهلية هجاء بالإسلام، وشعر كثير في الإسلام هجاء بالمشرّكين مات بالمدينة وصلى عليه عمر. انظر (الأعلام: ٧: ٢٧٦).

(٣) اللات: من أصنام الجاهلية.

(٤) الإدلاج: السير ليلاً.

(٥) رواية هذا البيت كما في ابن هشام: ٤: ٤٣، والبداية: ٤: ٢٨٧.

هداني هادٍ غير نفسي ونالني مع الله من طردت كل مطرد
(٦) يفتد: تنقض حججه.

(٧) لائط: ملصق.

(٨) النزائع: الغرياء: سهام وسردد: موضعان من أرض عك.

قال: ولما بلغ إنشاده قوله: «من طردت كل مطرد» ضرب رسول الله ﷺ في صدره وقال: «أنت طردتني كل مطرد».

قال: ولما نزل رسول الله ﷺ مرَّ الظَّهْران نزلها عَشِيًّا، وأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار، وقد عميت الأخبارُ عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ﷺ، فقال العباس بن عبد المطلب: واصْبَحَ قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكةَ عَنوةً قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لَهلاك قريشٍ إلى آخر الدهر.

قال العباس: فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء، فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك^(١)، فقلت: لعلِّي أجد بعض الخطابة أو صاحبَ لبن، أو ذا حاجة يأتي مكةَ، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عَنوةً.

ذكر مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ، وإسلام أبي سفيان، وخبر الفتح

قال العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه: وكان أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء قد خرجوا في تلك الليالي يتحسسون الأخبار، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به، فوالله إني لأسير على بغلة رسول الله ﷺ، التمس ما خرجتُ له، إذ سمعتُ كلام أبي سفيان، وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان^(٢)، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكرياً، فيقول له بديل: هذه والله خزاعة قد حمستها^(٣) الحرب، فيقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال العباس: فعرفتُ صوته، فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي، فقال: يا أبا الفضل، قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي! قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله في الناس، واصْبَحَ قريش واللَّهِ! قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي!، قال: قلت: والله لئن ظفرك بك ليضربن عنقك، فاركب في عَجَز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فاستأمنه لك، قال: فركب خلفي، ورجع صاحبه؛ قال: فجئتُ به، كلما مررتُ بنار من نيران المسلمين قالوا: مَنْ هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب.

(١) الأراك: وإد قرب مكة.

(٢) يتراجعان: يتحادثان.

(٣) حمستها: اشتدت عليها.

قال ابن سعد: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرَ تلك الليلة على الحرس؛ قال العباس: فقال عمر: من هذا؟ وقام إليّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجْز الدابة قال: أبو سفيان عدوّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عَهْد، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقته، فاقتحمت عن البغلة، ودخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن منه بغير عَقْد ولا عهد، فدعني أضرب عنقه. قال العباس، قلت: يا رسول الله، قد أجرتة، ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلتُ: وألله لا ينجيه الليلة رجلٌ دوني، فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلاً يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف؛ فقال عمر: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أنني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: «اذهب به يا عباس إلى رَحْلِكَ، فإذا أصبحت فأتني به»؛ قال: فذهبتُ به إلى رحلي، فبات عندي، فلما أصبح غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنٍ^(١) لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله»، قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره، لقد أغنى شيئاً بعد؛ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنٍ لك أن تعلم أنني رسول الله؟» قال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما والله هذه فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً؛ فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ قبل أن تُضرب عنقك؛ قال: فشهد شهادة الحق، فقلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئاً. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»؛ فلما ذهب لينصرف قال رسول الله ﷺ: «يا عباس، احتسبه بمَضِيق الوادي عند خَطَم الجبل^(٢) حتى تمرّ به جنود الله فيراها». قال: فخرجت به حتى حبسته حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه؛ قال: ومَرّت القبائل على راياتها كلما مَرّت قبيلة قال: يا عباس، من هذه؟ فأقول: سُليم، فيقول: ما لي ولسُليم، ثم تمرّ القبيلة، فيقول: من هذه؟ فأقول: مُزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى مَرّت القبائل، فما تمرّ قبيلة إلا سألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: ما لي ولبني فلان! حتى مرّ رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء، فيها المهاجرون والأنصار - وإِثْمَا سَمِيت بالخضراء

(١) ألم يئن: ألم يحن.

(٢) خطم الجبل: أنفه النادر منه.

لكثرة الحديد وظهوره فيها - وهم لا يرى منهم إلا الحَدَق من الحديد، فقال: سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء من قِبَل ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلكُ ابن أخيك الغداة عظيماً، قلت: ويحك! إنها النبوة قال: فنعم إذاً، ثم قلت: النِّجاء^(١) إلى قومك، فسار حتى إذا جاءهم صَرَخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَل لكم به، فمن دخل دار أبي سُفيان فهو آمن، فقامت إليه هندُ بنتُ عتبة فأخذت بشاربه، فقالت: أَقْتُلُوا الْحَمِيَّتَ^(٢) الدِّسَمَ الْأَحْمَسَ، قُبِحَ من طليعة قوم! قال: ويلكم لا تغرَّتكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَل لكم به، فمن دخل داري فهو آمن، قالوا: قاتلك الله! وما تغني عنا دارك؟ قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دُورهم وإلى المسجد. والله يؤيد بنصره من يشاء.

ذكر دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكة شرفها الله تعالى صلحاً، ودخول خالد بن الوليد ومن معه من القبائل عنوة

قال: ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى ذي طُوًى^(٣)، وقف على راحلته مُغْتَجِرًا^(٤) بشقَّة بُرْد جَبْرة حمراء وإنه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إنَّ عَثْنُونَهُ^(٥) ليكاد يمسُّ واسِطَ الرحل، ثم فرَّق رسولُ الله ﷺ الجيش من ذي طُوًى، وكانت راية رسول الله ﷺ يومئذ مع سعد بن عُبادة رضي الله عنه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام، وكان على المجنَّبة اليسرى أن يدخل في بعض الناس من كُدَى^(٦)، وأمر سعد بن عُبادة أن يدخل ببعض الناس من كَدَاء^(٧)، فلَمَّا وَجَّه سعدٌ للدخول قال: اليومَ يومُ المَلْحَمَةِ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحَرَمَةُ، وفي رواية تُسْتَحَلُّ الكَعْبَةُ؛ فسمعها عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، اسمع ما قال سعد بنُ عُبادة، ما نأمن من أن يكون له في قريش صَوْلَةٌ، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي

(١) النجاء: السرعة.

(٢) الحميت: في الأصل: زق السمن. الدسم: الكثير الودك. الأحمس: الذي لا خير عنده. من قولهم: عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر.

(٣) ذو طوى: موضع قرب مكة.

(٤) الاعتمار: التعمم بغير ذؤابة. الحبرة: ضرب من ثياب اليمن.

(٥) العثنون: اللحية (اللسان: عثن).

(٦) كُدَى: جبل بأسفل مكة.

(٧) كدَاء: جبل بأعلى مكة.

طالب: «أدرِكْه فخذ الراية منه، فادخل أنت بها». حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: إن رسول الله ﷺ أخذ الراية من سعد ودفعها لابنه قيس بن سعد.

وذكر يحيى بن سعيد الأموي^(١) في السير: أن سعد بن عبادة لما أخذ الراية مرّ على أبي سفيان، فقال سعد إذ نظر إليه. اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً، فأقبل رسول الله ﷺ في كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه: يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مرّ بنا أنه قاتلنا، وقال: اليوم يوم المَلْحَمَة، اليوم تُسْتَحَلّ الحرمة، اليوم أذلّ الله قريشاً؛ وإني أنشدك الله في قومك، فأنت أبرّ الناس وأوصلهم وأرحمهم.

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف: يا رسول الله، والله ما نأمن سعداً أن تكون منه في قريش صولة؛ فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا سفيان، اليوم يوم المَرْحَمَة، اليوم أعزّ الله فيه قريشاً». وقال ضرار بن الخطاب الفهري يومئذ: [من الخفيف]

يا نبيّ الهدى إليك لجا حيّ	قريش ولات حين لجا ^(٢)
حين ضاقت عليهم سعة الأر	ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقنا البطان على القو	م ونودوا بالصيْلَم الصِّلَعاء ^(٣)
إن سعداً يريد قاصمة الظهر	ر بأهل الحَجُون والبَطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغي	ظ رمانا بالنُّسر والعَواء ^(٤)
وغير الصدر لا يهَم بشيء	غير سَفك الدِّماء وهتك النساء ^(٥)
قد تلظى على البطاح وجاءت	عنه هند بالسَّوءة السَّوَاء ^(٦)
إذ ينادي بذلّ حيّ قريش	وابن حرب بدا من الشَّهداء

(١) يحيى بن سعيد: (.... - ١٤٣ هـ = ٧٦٠ م) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، أبو سعيد، قاضٍ من أكابر أهل الحديث، من أهل المدينة، توفي بالهاشمية راجع (الأعلام: ٨: ١٤٧).

(٢) لجا: مهموز، وتركه هنا للوزن.

(٣) التقت حلقنا البطان: مثل في بلوغ الأمر. البطان: حزام يجعل تحت بطن البعير. الضيلم: الداهية الشديدة.

(٤) النسر والعواء: كوكبان.

(٥) وغيّر الصدر: الحاقط المبغض.

(٦) السوءة السَّوَاء: الفعلة الشنيعة.

فلئن أقحم اللواء نادى يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكوئن بالبطاح قريش ففعة القاع في أكف الإمام^(١)
فائهينه فائه أسد الأسد لد لدى الغاب والغ في الدماء^(٢)
إنه مطرق يريد لنا الأم ر سكوئاً كالحية الصماء^(٣)

قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده، وجعله بيد قيس ابنه، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إذا صار إلى ابنه، وأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بأمانة^(٤) من رسول الله ﷺ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته، فعرّفها سعد، فدفع اللواء إلى ابنه قيس.

قال: وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وكان على المُجَنَّبَةِ اليمنى، أن يدخل ببعض الناس من اللَّيْط أسفل مكة، وكان معه: أسلم، وسليم وغفار، ومزينة، وجُهينة، وقبائل من العرب، وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله ﷺ، ودخل رسول الله ﷺ من أذاخر^(٥)، حتى نزل بأعلى مكة، وضربت له هناك قبة، ونهى عن القتال، وعبر أصحاب رسول الله ﷺ من الأماكن التي أمرهم ﷺ أن يدخلوا منها، لم يلقوا كيداً، إلا خالد بن الوليد فإن صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعاً من قريش، ووقفوا بالخندمة^(٦) ليقاتلوا خالد بن الوليد، ويمنعوه من الدخول، وشهروا السلاح ورَمَوْا بالنبل، فصاح خالد في أصحابه وقاتلهم، فقتل أربعة وعشرون رجلاً من قريش، وأربعة نفر من هذيل، وانهزموا أقبح هزيمة، فلما ظهر رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر رأس البارقة^(٧) فقال: «ألم أنه عن القتال؟» فقليل: يا رسول الله، إن خالد بن الوليد قاتل، فقاتل؛ فقال: «قضاء الله خير»، وقتل من المسلمين رجلان كانا سلكا طريقاً غير طريق خالد فقتلا، وهما كُرْز بن جابر الفهري، وحبيش بن خالد الخزاعي. قاله محمد بن سعد.

(١) الفِعة: ضرب من الكمأة، وهي البيضاء الرخوة، يشبه بها الرجل الذليل. وفقعة القاع: مثل يضرب في الذل لأن الفقة أبدأ القمأة.

(٢) والغ في الدماء: كثير سفك الدماء.

(٣) الحية الصماء: التي لا تنفع معها الرقية، وهي أخبت الحيات وأضرها.

(٤) إمارة: دليل.

(٥) أذاخر: ثنية بين مكة والمدينة «البكري: ١: ١٢٨».

(٦) الخندمة: جبل بمكة له يوم معروف.

(٧) البارقة: السيوف.

وقال ابن إسحاق: قتل من المشركين يومئذ اثنا عشر أو ثلاثة عشر رجلاً. وقال: وقد كان حماس بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدّ سلاحاً ويُصلح منه قبل دخول رسول الله ﷺ، فقالت له امرأته: لماذا تعدّ ما أرى؟ قال: لمحمد وأصحابه، قالت: والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء؛ قال: والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم. ثم قال: [من الرجز]

إن يُقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كامل وآلة^(١)

* وذو غرارين سريع السّلة^(٢) *

ثم شهد يوم الخندمة، فلما انهزم القوم دخل على امرأته وقال: أغلقي علي بابي، قالت: فأين الذي كنت تقول؟ فقال: [من الرجز]

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة

وأبو يزيد قائم كالموتمة واستقبلتهم بالسيوف المسلمة^(٣)

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمْجُمَةٍ ضَرْباً فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً^(٤)

لهم نهيت خلفنا وهممة لا تنطقي في اللوم أدنى كلمة^(٥)

قال ابن هشام: ويروى للرّعاش الهذلي.

وكان ممن فرّ يومئذ هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهو زوج أم هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ لأبويه، فأسلمت، وهرب هُبيرة إلى نجران، وقال معتذراً من فراره: [من الطويل]

لعمرك ما ولّيت ظهري محمداً وأصحابه جُبناً ولا خيفة القتل

ولكنني قلّبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا تبلي

وقفت فلما خفت ضيعة موقفي رجعت لعود كالهزبر إلى الشبل

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم فتح مكة وحُنين والطائف: شعار المهاجرين: يا بني عبد الرحمن، وشعار الخزرج: يا بني عبد الله، وشعار الأوس: يا بني عبيد الله، وكان الفتح يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان.

(١) الألة: جميع أداة الحرب.

(٢) ذو غرارين: ذو حدّين.

(٣) المؤتمة: التكلّي.

(٤) الغمغمة: الأصوات غير المعروفة.

(٥) النهيت: زئير الأسد. الهمهمة: تردد الزئير في الصدر.

ذكر من أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل منهم، ومن نجا بإسلامه

قالوا: وكان رسول الله ﷺ قد أمر أصحابه بقتل ستة نفر وأربع نسوة، وإن وجدوا تحت أستار الكعبة: وهم: عكرمة بن أبي جهل، وهبار بن الأسود، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، ومقيس بن صبابه الليثي، والحويرث بن ثقيذ بن وهب، وعبد الله بن هلال بن خطل الأدرمي، وهند بنت عتبة، وسارة مولاة عمرو بن هشام، وفرنتى، وقرينة.

فأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله ﷺ، فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه.

حكى الزبير بن بكار^(١) قال: لما أسلم عكرمة قال: يا رسول الله، علمني خير شيء تعلمه أقوله؛ فقال له النبي ﷺ: «شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأشهد بذلك من حضرني، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي؛ فاستغفر له رسول الله ﷺ؛ فقال عكرمة: والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقْتُ ضِعْفَهَا في سبيل الله، ولا قتالاً قاتلته إلا قاتلتُ ضِعْفَهُ؛ ثم اجتهد في الجهاد والعبادة حتى استشهد رحمه الله في خلافة عمر بن الخطاب بالشام؛ وقيل: استشهد في آخر خلافة أبي بكر، قيل: في يوم اليرموك. وقيل: في يوم مزج الصفّر^(٢)، وقيل: أجنادين^(٣). والله أعلم.

وأما عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فإنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فارتدَّ ورجع إلى قريش، فلما كان يوم الفتح فرَّ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أخوه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ فاستأمن له بعد أن اطمأنَّ الناس؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ صمَّت طويلاً، ثم قال: «نعم»؛ فلما انصرف عنه عثمان قال لمن حوله من أصحابه: «لقد صمَّت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه»، فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلي يا رسول الله؟ فقال: «إن النبي لا يقتل بالإشارة»، ثم أسلم عبد الله بن سعد بعد ذلك.

(١) الزبير بن بكار: (١٧٢ - ٢٥٦ هـ = ٧٨٨ - ٨٧٠ م) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله: عالم بأنساب وأخبار العرب راوية. ولد في المدينة وولي قضاء مكة فتوفي فيها. (الأعلام: ٣: ٤٢).

(٢) مرج الصفّر: موضع بالشام كانت به وقعة للمسلمين مع الروم، وهو بالغرب من غوطة دمشق.

(٣) أجنادين: موضع بالشام كانت به وقعة مشهورة بين المسلمين والروم.

وأما مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ، فَإِنْ أَخَاهُ هِشَامُ بْنُ صُبَابَةَ كَانَ قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُضْطَلِّقِ بِالْمُرَيْسِيعِ، فَأَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَقَتَلَهُ خَطَأً، فَقَدِمَ مِقْيَسُ هَذَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ مُسْلِمًا، وَجِئْتُكَ أَطْلُبُ دِيَّةَ أَخِي، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدِيَةِ أَخِيهِ، فَأَقَامَ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ عَدَا عَلَى قَاتِلِ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ مُرْتَدًّا، فَنَذَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَهُ لَذَلِكَ، فَقَتَلَهُ نُمَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ؛ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ.

وأما الحويرث بن نُقَيْذٍ فَقَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ حَمَلَ بِنْتِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَأُمَّ كُلثُومٍ مِنْ مَكَّةَ يَرِيدُ بِهِمَا الْمَدِينَةَ، فَرَمَى بِهِمَا الْحَوِيرْثُ إِلَى الْأَرْضِ.

وأما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ لِأَنَّهُ كَانَ مُسْلِمًا، فَبِعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدَّقًا^(١)، وَبِعَثَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَ مَعَهُ مَوْلًى لَهُ يَخْدُمُهُ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَزَلَّ مِنْزَلًا وَأَمَرَ الْمَوْلَى أَنْ يَذْبَحَ لَهُ تَيْسًا، فَيَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا، فَنَامَ وَاسْتَيْقَظَ وَلَمْ يَصْنَعْ لَهُ شَيْئًا، فَقَتَلَهُ ثُمَّ ارْتَدَّ، وَكَانَتْ فَرْتَنَى وَقُرَيْبَةُ قَيْنَتَاهُ تُغْنِيَانِ بِهِجَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَتَلَ ابْنُ خَطْلٍ سَعِيدُ بْنُ حُرَيْثٍ الْمَخْزُومِيَّ، وَأَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيَّ، اشْتَرَكََا فِي دَمِهِ، وَقُتِلَتْ إِحْدَى قَيْنَتَيْهِ وَهَرَبَتِ الْأُخْرَى، حَتَّى اسْتَوْثَمَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَنَهَا.

وهند بنت عُتْبَةَ أَسْلَمَتْ. وَلَمَّا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْبَيْعَةَ عَلَى النِّسَاءِ؛ وَمِنْ الشَّرْطِ فِيهَا إِلَّا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ، قَالَتْ: وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ أَوْ تَسْرِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمَّا قَالَ: «وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُمْ»، قَالَتْ: قَدْ رُبِّينَاهُمْ صِغَارًا، وَقَتَلْتَهُمْ بِيَدٍ كِبَارًا، أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ، وَشَكَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ زَوْجَهَا أَبَا سَفْيَانَ شَحِيحٌ لَا يُعْطِيهَا مِنَ الطَّعَامِ مَا يَكْفِيهَا وَوَلَدَهَا، فَقَالَ: «خُذِي مِنْ مَالِهِ بِالْمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ أَنْتِ وَوَلَدُكِ».

وأما سَارَةُ فَاسْتَوْثَمَ لَهَا، فَأَمَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وأما هُبَارٌ فَإِنَّهُ هَرَبَ فَلَمْ يَوْجَدْ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ.

ذكر إسلام أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تميم بن مرة بن كعب^(٢)

روى محمد بن إسحاق بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما

(١) مُصَدَّقًا: جَامِعًا لِلصَّدَقَاتِ، وَهِيَ الزَّكَاةُ.

(٢) أَبُو قُحافة: (٨٣ ق هـ - ١٤ هـ = ٥٤٢ - ٦٣٥ م) عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب التميمي =

قالت: لما وقف رسول الله ﷺ على ذي طُوى قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بُنية، إظهري بي على جبل أبي قُبَيْس - قالت: وكان قد كُف بصره - فأشرفت به عليه فقال لها: أي بُنية؟ ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل؛ قالت: وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً؛ قال: أي بُنية، ذلك الوازع - يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها - ثم قالت: قد والله انتشر السواد؛ فقال: قد والله إذاً دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي؛ قالت: فانحطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته؛ قالت: وفي عنق الجارية طُوق من ورق^(١)، فتلقاها رجل فاقتطعه من عنقها، فلما دخل رسول الله ﷺ إلى المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه»؟ قال أبو بكر: يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت، فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: «أسلم»، قالت: فأسلم؛ قالت: فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة^(٢)، فقال رسول الله ﷺ: «غيروا هذا من شعره»، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي؛ فلم يجبه أحد؛ قالت: فقال: أي أختة، احتسبي طوقك، فوالله إن الأمانة في الناس اليوم لقليل.

وأسلم عبد الله بن الزُبَيْر^(٣) عام الفتح وحسن إسلامه، وكان ممن يؤذي رسول الله ﷺ أشد الأذى في الجاهلية، فأسلم واعتذر إلى رسول الله ﷺ، فقبل عذره، وكان شاعراً مجيداً، فقال يمدح رسول الله ﷺ: وله في مدحه أشعاراً كثيرة ينسخ بها ما قد مضى في كفره، منها قوله: [من الكامل]

مَنَعَ الرِّقَادَ بِلَابِلٍ وَهَمُومٌ وَاللَّيْلَ مُعْتَلِجَ الرُّوْقِ بِهَيْمٍ^(٤)
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لَامَنِي فِيهِ فَبِتَ كَأَنَّنِي مُحْمُومٌ

= القرشي، أبو قحافة: والد أبي بكر الصديق. كان من سادات قريش في الجاهلية. وأسلم يوم فتح مكة، وتوفي ولده أبو بكر قبله. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).

(١) الورق: الفضة، وقيل: الذهب والفضة. (اللسان: ورق).

(٢) الثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، يشبه بياض الشيب به.

(٣) عبد الله بن الزُبَيْر: (... - نحو ١٥ هـ = ... - نحو ٦٣٦ م) عبد الله بن الزُبَيْر بن قيس السهمي، أبو سعد، شاعر قريش في الجاهلية. كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة. فهرب إلى نجران. ثم عاد إلى مكة فأسلم واعتذر، ومدح النبي ﷺ في: فأمر له بحلة. (الأعلام: ٤: ٨٧).

(٤) البلابل: الوسائس المختلطة، معتلج: مضطرب، يركب بعضه بعضاً. رواق الليل: مقدمه وجانبه. البهيم: الذي لا ضياء فيه.

يا خيرَ من حملتَ على أوصالها عَيْرَانَةٌ سُرْحَ اليدين غَشُومٌ^(١)
 إني لمعتذرٌ إليك من الذي أسديت إذ أنا في الضلال مُقيمٌ^(٢)
 أيام تأمرني بأغوى خُطَّةٍ سَهْمٌ وتأمرني بها مخزومٌ^(٣)
 وأمد أسباب الردى ويقودني أمرُ الغُواة، وأمرهم مَشُومٌ
 فالיום آمنَ بالنبى محمدٍ قلبي ومُخطئٌ هذه محرومٌ
 مضت العداوة وانقضت أسبابها وأتت أواصرُ بيننا وحُلُومٌ^(٤)
 فاغفر فدى لك والدَيّ كلاهما وارحم فإنك راحم مرحومٌ
 وعليك من سِمة المليك علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتمٌ مختومٌ
 أعطاك بعد محبةٍ برهائه شرفاً وبرهانُ الإله عظيمٌ

ذكر دخول رسول الله ﷺ المسجد،

وطوافه بالبيت ودخوله الكعبة، وما فعل بالأصنام

قال: ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعاً على راحلته يستلم الركن بمِخْجَنٍ^(٥) في يده، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة^(٦) فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامةً من عيدانٍ، فكسرها بيده وطرَحَها، ثم وقف على باب الكعبة فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة^(٧) أو دم أو مالٍ يُدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سِدانة^(٨) البيت وسِقاية الحاج؛ ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها

(١) العيرانة: الناقة السريعة في نشاط. سرح اليدين: سريعتهما، غشوم: لا يثنيها عن مرادها شيء.

(٢) أسديت: ما صنعت من جميل.

(٣) أغوى خطة: أضل خطة.

(٤) الأواصر: العلاقات المتينة، علاقة القربى.

(٥) المِخْجَن: العصا المعوجة (اللسان: حجج).

(٦) عثمان بن طلحة: (.... - ٤٢ هـ = ٦٦٢ م) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله القرشي

العبدري، من بني عبد الدار: صحابي. كان حاجب البيت الحرام. أسلم مع خالد بن الوليد في

هدنة الحديبية وشهد فتح مكة. فدفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبة بن

عثمان بن أبي طلحة. ثم سكن المدينة ومات بها، وقيل: بمكة. (الأعلام: ٤: ٢٠٧).

(٧) المأثرة: المكرمة المتوارثة.

(٨) سِدانة البيت: خدمة البيت.

أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]؛ ثم قال: «يا معشر قريش، ما ترون أنني فاعل فيكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم؛ قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»؛ ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد، فقام إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده، فقال: يا رسول الله، إجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال: «أين عثمان بن طلحة؟» فدُعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برٍّ ووفاء»؛ حكاه محمد بن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: دفع إليه رسول الله ﷺ المفتاح وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة تالدة»^(١) خالدة، لا ينزعها منكم إلا ظالم؛ ودفع السقاية إلى العباس بن عبد المطلب.

قال عبد الملك بن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ دخل البيت يوم الفتح فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأزلام^(٢) يستقسم بها، فقال: «قاتلهم الله، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام، ما شأن إبراهيم والأزلام، ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان خفيفاً مسلماً وما كان من المشركين»^(٣) ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست.

قال: ودخل الكعبة ومعه بلال بن رباح، فأمره أن يؤذن، فأذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، فقال عتاب بن أسيد: أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه؛ فقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته؛ فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصى؛ فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «قد علمت الذي قلت»، ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ﷺ ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك.

وقال أبو محمد بن هشام بسند يرفعه إلى ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ دخل مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص، فجعل النبي ﷺ يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، فما أشار ﷺ إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لِقْفاءه، ولا لِقْفاءه إلا وقع لوجهه: حتى ما بقي منها صنم إلا وقع.

(١) تالدة: قديمة موروثة.

(٢) الأزلام: السهام التي كان يستقسم بها الجاهليون.

قال محمد بن سعد: كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنماً، وكان أعظمها هُبَل، وساق الحديث نحو ما تقدّم، فقال تميم بن أسد الخزاعي^(١) في ذلك: [من الوافر]

وفي الأصنام معتبر وعِلْمٌ لمن يرجو الثواب أو العقاب

قال: ولما كان من الغد يوم الفتح خطب رسول الله ﷺ بعد الظهر فقال: «إن الله قد حرّم مكة يوم خلّق السموات والأرض، فهي حرام إلى يوم القيامة، ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار، ثم رجعت لحرمتها بالأمس، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ولا يحلّ لنا من غنائمها شيء»، وأقام رسول الله ﷺ بمكة خمس عشرة ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ويثّ السرايا، ثم خرج إلى حنين.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العُزَّى^(٢) وهدمها

قالوا: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليهدمها، وذلك بعد الفتح، لخمس ليالٍ بَقِيْن من شهر رمضان سنة ثمانٍ، فخرج في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوا إليها فهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها»؛ فرجع خالد وهو متغيظ، فجرد سيفه، فخرجت إليه امرأة عُزَيّانة سوداء نائرة الرأس^(٣) فجعل السادن^(٤) يصيح بها، فضربها خالد فجزلها^(٥) اثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره؛ فقال: «نعم، تلك العُزَّى، وقد يئست أن تُعبد ببلادكم أبداً»، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم، وكان سدنتها بنو شَيْبَانَ من بني سُليم.

ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سِوَاع^(٦) وكسره

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان بعد الفتح أيضاً إلى سِوَاع، وهو صنم هُذَيْل ليهدمه؛ قال عمرو: فانتفيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ قلت: أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه. قال: لا تقدر على ذلك؛ قلت: لِمَ؟ قال: تُمنع؛ قلت: حتى الآن

(١) تميم بن أسد الخزاعي: تميم بن أسيد، وقيل بن أسد بن عبد العزى بن كعب بن عمرو الخزاعي. أسلم وصحب قبل فتح مكة. (الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ١٨٣ رقم الترجمة ٨٣٤).

(٢) العُزَّى: صنم كانت تعبد قريش (اللسان: عزز).

(٣) نائرة الرأس: منتشرة شعر الرأس.

(٤) السادن: خادم الكعبة، وبيت الأصنام.

(٥) جزلها: قطعها.

(٦) سِوَاع: راجع (اللسان: سِوَاع).

أنت في الباطل وَيَحْك! وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه فكسرتة، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم يجدوا فيه شيئاً؛ ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة^(١)

بعثه رسول الله ﷺ في شهر رمضان أيضاً إلى مناة - وكانت بالمشلل^(٢) للأوس والخزرج وغسان - ليهدمها، فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة؛ قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها؛ فقال السادن: مناة دونك بعض غضباتك؛ ويضربها سعد بن زيد فيقتلها، ويقبل إلى الصنم معه أصحابه، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً، وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ، وكان ذلك لست بقين من شهر رمضان.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر

ابن عبد مناة بن كنانة، وهو يوم الغميصاء

قالوا: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة، بعثه في شوال إلى بني جذيمة بن عامر، وكانوا أسفل مكة على ليلة منها بناحية يلملم؛ داعياً إلى الإسلام، ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم، فانتهى إليهم خالد بن الوليد، فقال: ما أنتم؟ قالوا: مسلمون، قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا، وأذنّا فيها؛ قال: فما بال السلاح عليكم؟ فقالوا: إن بيننا وبين بعض العرب عداوة، فخفنا أن تكونوا هم، فأخذنا السلاح؛ قال: فضعوا السلاح؛ قال: فوضعوه، فقال لهم: استأسروا، فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضاً وفرّقهم في أصحابه، فلما كان في السحر نادى خالد: من كان معه أسير فليدأقه؛ أي فليجهز عليه بالسيف.

فأما بنو سليم فقتلوا من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسارهم، فبلغ النبي ﷺ ما صنع خالد، فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»؛ وبعث علي بن أبي طالب قودى^(٣) لهم قتلهم وما ذهب منهم.

(١) مناة: صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة. يعبدونه من دون الله.

(٢) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر.

(٣) ودى: دفع ديات القتلى.

وقد حكى أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني^(١)، خبر هذه السرية في قصة عبد الله بن علقمة أحد بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وخبر مقتله، وذكر خبره مع حبيشة، فروى بسند رفعه إلى ابن دأب قال: كان من حديث عبد الله بن علقمة أنه خرج مع أمه وهو إذ ذاك يَفْعَة^(٢): دون المحتلم، لتزور جارة لها، وكانت لها بنت يقال لها: حبيشة إحدى بنات عامر بن عبد مناة، فلما رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقع في نفسه؛ فانصرف وترك أمه عند جارتها، فبقيت عندها يومين، ثم أتتها ليرجعها إلى منزله، فوجد حبيشة قد زينت لأمر كان في الحي، فازداد بها عجباً، وانصرف بأمه في غداة تمطر، فمشى معها وجعل يقول: [من الوافر]

فما أدري بلى إني لأدري أصوب القطر أحسن أم حبيش
حبيشة والذي خلق الهدايا وما إن عندها للصب عيش^(٣)

قال: فسمعت ذلك حبيشة، فتغافلت عنه، وكرهت قوله، ثم مشى ملياً فإذا هو بظبي على ربوة من الأرض، فقال: [من البسيط]

يا أمتاً خبريني غير كاذبة وما يريد مسؤل الحق بالكذب
أأنت أحسن أم ظبي برابية لا بل حبيشة في عيني وفي أربي^(٤)

قال: فزجرته أمه، وقالت: ما أنت وهذا، أنا مزوجتك، بنت عمك، فهي أجمل من تلك، وأنت امرأة عمه فأخبرتها خبره وقالت: زيني ابنتك له، ففعلت وأدخلتها عليه، فلما رآها أطرق، فقالت له أمه: أيهما الآن أحسن؟ فقال: [من الطويل]

إذا غيبت عني حبيشة مرة من الدهر لم أملك عزاء ولا صبرا
كأن الحشا حر السعير يحشه وقود الغضى فالقلب مضطرم جمر^(٥)

قال: وجعل يرسل الجارية وتراسله حتى علقته كما علقها، وكثر قوله الشعر فيها، فمن ذلك قوله: [من الطويل]

(١) أبو الفرج الأصفهاني: (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ = ٨٩٧ - ٩٦٧ م) علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني: من أئمة الأدب، والأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي، ولد في أصفهان، ونشأ وتوفي ببغداد. من كتبه «الأغاني - ط» واحد وعشرون جزءاً. لم يعمل في بابيه مثله. (الأعلام: ٤: ٢٧٨) والخبر في الأغاني: ٧: ٢٨٠ دار الكتب.

(٢) يَفْعَة: في أول فتوته.

(٣) رواية الأغاني: «وما عن بعدها للصب عيش».

(٤) أربي: غاييتي.

(٥) حش النار: أوقدها.

حُبَيْشَةُ هَلْ جَدِّي وَجَدَكَ جَامِعٌ بِشَمْلِكُمْ شَمْلِي وَأَهْلِكُمْ أَهْلِي^(١)
 وَهَلْ أَنَا مَلْتَفٌ بِثُوبِكَ مَرَّةً بِصَحْرَاءَ بَيْنَ الْأَيْكَتَيْنِ إِلَى النَّخْلِ
 وَمَرْتَشَفٌ مِنْ رِيْقِ ثَغْرِكَ مَرَّةً كِرَاحٍ وَمِنْكَ خَالِطًا عَسَلَ النَّحْلِ^(٢)

فلما بلغ أهلها خبره، حجبوها عنه مدة، وهو يزيد غراماً بها، ويكثر قوله الشعر فيها، فأتوها فقالوا لها: عِديهِ السَّرْحَةُ^(٣)، فإذا إِتَاكَ فَقُولِي لَهُ: نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِنْ أَحْبَبْتَنِي فَمَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْكَ، وَنَحْنُ قَرِيبٌ نَسْمَعُ مَا تَقُولِينَ؛ فَوَاعِدْتَهُ، وَجَلَسُوا قَرِيباً يَسْمَعُونَ، وَجَلَسْتُ عِنْدَ السَّرْحَةِ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ لِمَوْعِدِهَا، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا دَمَعَتْ عَيْنُهَا، وَالتَفَتَتْ حَيْثُ أَهْلُهَا جُلُوسٌ، فَعَرَفَ أَنَّهُمْ قَرِيبٌ، فَرَجَعَ وَبَلَّغَهُ مَا أَمَرُوهَا بِهِ أَنْ تَقُولَهُ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ: [مِنَ الطَّوِيلِ]

فَلَوْ قُلْتُ مَا قَالُوا لَزِدْتَ جَوِيَّ جَوٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ سِتْرٌ وَلَا صَبْرٌ^(٤)
 وَلَمْ يَكْ حَبِّي عَنْ نَوَالٍ بِذِلَّتِهِ فَيُسْلِينِي عَنْكَ التَّجَلُّدُ وَالْهَجْرُ
 وَمَا أُنْسَ مِ الْأَشْيَاءِ لَمْ أُنْسْ دَمْعَهَا وَنَظَرَتَهَا حَتَّى يُغَيِّبَنِي الْقَبْرِ

قال: وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي عَامِرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلَّا قَاتَلَهُمْ، فَصَحَّبَهُمْ خَالِدٌ بِالْعُمَيْصَاءِ وَقَدْ عَلِمُوا بِهِ وَخَافُوهُ، وَكَانُوا قَدْ قَتَلُوا الْفَاكَةَ بْنَ الْوَلِيدِ وَعَمَّهُ الْفَاكَةَ بْنَ الْمَغِيرَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَمَعَهُ بَنُو سَلِيمٍ وَهُمْ يَطْلُبُونَهُمْ بِمَالِكِ بْنِ خَالِدِ بْنِ صَخْرِ بْنِ الشَّرِيدِ، وَإِخْوَاتِهِ كُرْزُ وَعَمْرُو وَالْحَارِثُ، وَكَانُوا قَتَلُوهُمْ فِي مَوْطَنٍ وَاحِدٍ. فَلَمَّا صَبَحَهُمْ خَالِدٌ وَرَأَوْا مَعَهُ بَنِي سَلِيمٍ زَادَهُمْ ذَلِكَ تُفُوراً، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: أَسْلِمُوا، فَقَالُوا: نَحْنُ مُسْلِمُونَ؛ قَالَ: فَالْقُوا سِلَاحَكُمْ وَأَنْزِلُوا، قَالُوا: لَا وَاللَّهِ؛ فَقَالَ لَهُمْ جَذِيمُ بْنُ الْحَارِثِ أَحَدُ بَنِي أَقْرَمٍ: يَا قَوْمَ، لَا تُلْقُوا سِلَاحَكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا بَعْدَ وَضْعِ السِّلَاحِ إِلَّا الْقَتْلُ؛ قَالُوا: وَاللَّهِ لَا نُلْقِي سِلَاحَنَا وَلَا نَنْزِلُ، فَمَا نَحْنُ لَكَ وَلَا لِمَنْ مَعَكَ بِأَمْنِينَ؛ قَالَ خَالِدٌ: فَلَا أَمَانَ لَكُمْ؛ فَنَزَلَتْ فِرْقَةٌ مِنْهُمْ فَأَسْرَوْهُمْ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّةُ الْقَوْمِ فِرْقَتَيْنِ، فَأَصْعَدَتْ فِرْقَةٌ وَسَفَلَتْ أُخْرَى.

قال ابن دأب: فَأَخْبَرَنِي مَنْ لَا أَتَّهُمْ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَذْرَدٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ:

(١) الجِد: الحِظ.

(٢) الرَّاح: الْخَمْرَةُ.

(٣) السَّرْحَةُ: نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ الْكَبِيرِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمَقْصُودُ أَنْ تَوَافِيَهُ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي يَنْبَتُ فِيهِ هَذَا الشَّجَرُ (اللِّسَانُ - سَرَح).

(٤) الْجَوِي: الْعَشَقُ، جَوٍ: عَاشِقٌ.

كنت يومئذ في جُند خالد، فبعثنا في إثر ظُعْنٍ^(١) مُضْعِدة يسوق بها فتية، فقال: أدركوا أولئك؛ فخرجنا في إثرهم حتى أدركناهم، فمَضُوا، ووقف لنا غلام على الطريق، فلما انتهينا إليه جعل يقاتلنا ويرتجز ويقول:

أَرْحَيْنَ أَطْرَافَ الذُّيُولِ وَارْتَعْنَ مَشْيَ حَيَّاتٍ كَأَن لَّمْ يَفْزَعْنَ
* إِنْ يُمْنَعِ الْيَوْمَ نِسَاءً تُمْنَعْنَ *

فقاتلنا طويلاً، فقتلناه ومضينا، حتى لحقنا الظعن، فخرج إلينا غلام كأنه الأول، فجعل يقاتلنا ويقول: [من الرجز]

أَقْسِمُ مَا إِنْ خَادِرٌ ذُو لِبْدَةٍ يَرْزِمُ بَيْنَ أَيْكَةٍ وَوَهْدَةٍ^(٢)
يَفْرِسُ ثُنْيَانَ الرِّجَالِ وَحْدَةً بِأَصْدَقِ الْغَدَاةِ مِثْلِي نَجْدَةٍ^(٣)
فقاتلناه حتى قتلناه، وأدركنا الظعن، وإذا فيهن غلام وضِيء به صُفْرَةٌ في لَوْنِهِ كَالْمَنْهوكِ^(٤)، فربطناه بحبل، وقَدَمناه لنقتله، فقال: هل لكم في خير؟ قلنا: ما هو؟ قال: تدركون بي الظعن أسفل الوادي ثم تقتلونني؛ قلنا: نفعل؛ فخرجنا حتى نعارض الظعن بأسفل الوادي، فلَمَّا كَانَ بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، نادى بأعلى صوته: إِسْلَمِي حُبَيْشَ، عِنْدَ فَقْدِ الْعَيْشِ؛ فَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِ جَارِيَةً بِيضَاءُ حَسَنَاءُ؛ فَقَالَتْ: وَأَنْتِ فَاسْلَمِي عَلَيَّ كَثْرَةَ الْأَعْدَاءِ، وَشِدَّةَ الْبَلَاءِ؛ قَالَ: سَلَامٌ عَلَيْكِ دَهْرًا، وَإِنْ بَقِيتِ عَصْرًا؛ فَقَالَتْ: وَأَنْتِ سَلَامٌ عَلَيْكِ عَشْرًا، وَشَفْعًا، وَوَتْرًا، وَثَلَاثَةً تَتْرَى، فقال: [من الكامل]

إِنْ يَقْتُلُونِي يَا حُبَيْشَ فَلَمْ يَدْعُ هَوَاكِ لَهُمْ مِثْلِي سِوَى غُلَّةِ الصَّدْرِ
فَأَنْتِ الَّتِي أَخْلَيْتِ لِحَمِيٍّ مِنْ دَمِي وَعَظْمِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمْعَ عَلَى نَحْرِي
فَقَالَتْ لَهُ: [من الطويل]

وَنَحْنُ بِكَيْنَا مِنْ فِرَاقِكَ مَرَّةً وَأُخْرَى وَأَسَيْنَاكِ فِي الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ
وَأَنْتِ فَلَا تَبْعَدُ فَنِعْمَ فَتَى الْهَوَى جَمِيلُ الْعَفَافِ وَالْمَوْدَةِ فِي سِتْرِ
فَقَالَ لَهَا: [من الطويل]

أَرَيْتُكَ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ بَحْرَةً أَوْ أَدْرَكْتُكُمْ بِالْخَوَانِقِ^(٥)

(١) الظعن: الجمال التي تحمل النساء.

(٢) الخادر: الأسد. يرزم: يرقد، يجثم.

(٣) نجدة: مساعدة، دفاعاً.

(٤) المنهوك: المرهق.

(٥) الخوانق: موضع بتهامة.

ألم يك حقاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ تكلّف إدلاج السرى والودائق^(١)

فقلت: بلى والله، فقال: [من الطويل]

فلا ذنب لي قد قلت إذ نحن جيرةً أئيبى بودّ قبل إحدى الصفائق^(٢)

أئيبى بودّ قبل أن تشحط النوى وَيَنأى الخليط بالحبیب المفارق^(٣)

قال ابن أبي حذرّد: فقدّمناه فضرّبنا عنقه، فاقتحمت الجارية من خذرها حتى أهوت نحوه، فالتقمت فاه، فنزعنا منها رأسه، وإنها لتتبع نفسها حتى ماتت مكانها، وأفلت من القوم غلام من بني أقرم يقال له السّميدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع خالد وشكاه. قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ قال: «هل أنكر عليه أحد ما صنع؟» قال: نعم، رجل أصفر ربعة^(٤)، ورجل طويل أحمر؛ فقال عمر رضي الله عنه: أنا والله يا رسول الله أعرفهما، أما الأول فهو ابني، وأما الآخر فمولى أبي خذيفة، وكان خالد قد أمر كل من أسر أسيراً أن يقتله، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي خذيفة أسيرين كانا معهما، فبعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بعد فراغه من حنين، وبعث معه بإبل وورق، وأمره أن يديهم، فودّاهم، ورجع إلى رسول الله ﷺ، فسأله، فقال: قدمت عليهم فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا بما أصيب منكم من القتلى والجرحى، وتحلّلوا رسول الله ﷺ ممّا علّم وممّا لم يعلم؟ فقالوا: نعم، قال: فدفعته إليهم، وجعلت أديهم^(٥) حتى إني لأدي ميلغ^(٦) الكلب. وفضلت فضلة فدفعتها إليهم، فقال رسول الله ﷺ: «أقبلوها؟» قلت: نعم؛ قال: «فوالذي أنا عبده لذلك أحب إليّ من حمر النعم».

وروى أبو الفرج أيضاً^(٧) بسند رفعه إلى عمر بن شبة، قال: قالوا: يروى أن خالداً أتى النبي ﷺ فسئل عن غزاته بني جذيمة، فقال: إن أذن رسول الله ﷺ تحدّث، فقال: «تحدّث»، فقال: لقيناهم بالغُميصاء بعد وجه الصبح، فقاتلناهم حتى كاد قرن الشمس يغيب، فمَنَحنا الله عز وجل أكتافهم، فاتبعناهم نطلبهم، فإذا غلام له ذوائبُ

(١) ادلاج السرى: السير ليلاً. الودائق: جمع وديقة وهي شدة الحر في الظهيرة.

(٢) الصفائق: الخطوب، واحدها: صفيقة.

(٣) الخليط: الجماعة المتحابون.

(٤) الربعة من الرجال: الذي بين الطويل والقصير.

(٥) أديهم: ادفع الديات.

(٦) ميلغ: الإناء الذي يلغ فيه الكلب.

(٧) الأغاني ٧: ٨٩.

على فرس في أخريات الناس، فبَوَّأْتُ^(١) له الرمح فوضَعْتُهُ بين كَتِفَيْهِ. فقال: لا إله، فقبضْتُ الرمح، فقال: إِلَّا اللَّاتُ أَحْسَنَتْ أو أَسَاءَتْ، فهشمته^(٢) هَشْمَةً أَرَدَيْتُهُ بها، ثم أخذته أسيراً، فشددته وَثاقاً، ثم كَلَّمْتُهُ فلم يَكَلِّمْني، د واستخبرته فلم يخبرني؛ فلما كان ببعض الطريق رأى نسوة من بني جَذِيمَةَ يسوق بهنَّ المسلمون، فقال: يا خالد، فقلت: ما تشاء؟ فقال: هل أنت واقفي^(٣) على هذه النسوة؟ فأبيتُ، فألَى^(٤) عليَّ أصحابي، ففعلت، وفيهنَّ جارية تدعى حُبَيْشَةَ، فقال لها: ناوليني يدك، فناولته يدها في ثوبها، فقال: إَسْلَمِي حُبَيْشَ، قبل نفاد العيش. فقالت: حُيِّتَ عَشْرًا، وتسعاً تَتْرَى، وثمانياً أخرى، فقال: [من الطويل]

أريتكَ إذ طالبتكم فوجدتكم بِنَخْلَةٍ أو أدركتكم بالخوانق^(٥)
ألم يك حقاً أن ينوَّلَ عاشقٌ تكلَّفَ إدلاجَ السُّرى والودائق
فقلت: بلى، فقال: [من الطويل]

فقد قلت إذ أهلي وأهلك جيرة أثيبني بوْدَ قبل إحدى الصَّفائِقِ
أثيبني بوْدَ قبل أن تَشْحَطَ الثوى وينأى الأميرُ الحبيبَ المُفارق
فإنِّي لا ضَيِّعْتُ سرّاً أمانةً ولا راق عيني بعد عينك رائق^(٦)

قال خالد: فغاظني ما رأيت من غَزَلِهِ وشعرِهِ في حاله تلك، فقدَّمته فضربت عنقه، فأقبلت الجارية تسعى حتى أخذت برأسه فوضَعْتُهُ في حجرها، وجعلت ترشُّهُ وتقول: [من الطويل]

لا تَبْعِدُنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً ولا يبعدنُ المدح مثلك من مثلي
ولا تَبْعِدُنْ يا عمرو حيًّا وهالكاً فقد عشتَ محمودَ الثنا ماجدَ الفِعلِ
فمن لِطْرَادِ الخيل تُشَجَّرُ بالقَنَا وللتَّحْرِ يوماً عند قَرقرَةِ البُزْلِ^(٧)
فما زالت تبكي وتردّد هذه الأبيات حتى ماتت، وإنَّ رأسه لفي حجرها، فقال

(١) بَوَّأَ له الرمح: سدده.

(٢) هشمته: جذبته.

(٣) واقفي: تجعلني أطلع وأناكد.

(٤) ألَى عليَّ أصحابي: حلفوا.

(٥) نخلة: هي نخلة اليمانية.

(٦) في هذا البيت إقواء.

(٧) تشجر: تطعن. البزل: جمع بازل وهو البعير في السنة التاسعة. القرقرة: دعاء الإبل، وهي أيضاً هدير الفحل.

رسول الله ﷺ: «لقد وقفت لي يا خالد وإن سبعين ملكاً لمطيفون بك يحضونك على قتل عمرو حتى قتلت». والله أعلم.

ذكر غزوة حنين، وهي إلى هوازن وثقيف

غزاها رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمان من مهاجره. وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة، مشى أشرف هوازن وثقيف بعضها إلى بعض، وحشدوا وأوعبوا^(١) وبغوا، وجمع أمرهم مالك بن عوف النَّضري، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة، وأمرهم فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس^(٢)، وجعلت الأمداد تأتيهم.

قال محمد بن إسحاق: اجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها، وسعد بكر، وناس من بني هلال، وهم قليل. قال: ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء، وغابت عنها من هوازن كعب وكلاب، ولم يشهدا منهم أحد له اسم؛ قال: وفي بني جشم دريد بن الصمة، وهو شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب. قال: وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف: قارب بن الأسود ابن مسعود بن معتب، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك، وأخوه^(٣).

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي: كان على ثقيف كنانة ابن عبد يا ليل بن عمرو بن عُمير الثقفي. قال: وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف.

قال ابن إسحاق: وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف، قال: ولما نزل مالك بأوطاس، اجتمع إليه الناس وفيهم دُرَيْد بن الصمة الصمة: معاوية الأصغر بن بكر بن علقمة، وقيل: علقمة بن خُزاعة بن غزبة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، في شجار له يقاد به - والشجار الهودج - فلما نزل دريد قال: بأيّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضرس، ولا سهل دَهِس^(٤)، ثم قال: ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويُعار^(٥) الشاء؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا

(١) أوعبوا: لم يدعوا شيئاً.

(٢) أوطاس: وادٍ في بلاد هوازن.

(٣) في ابن هشام: ٤: ٨٠: «وأخوه أحمر بن الحارث».

(٤) الحزن: ما غلظ من الأرض. الضرس: الصعب من الحجارة. الدهس: المكان السهل.

(٥) يُعار الشاء: صوتها.

مالك، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كان له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويغار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: فَأَنْقَضَ بِهِ، - أي صاح - ثم قال: راعي ضأنٍ والله! وهل يردّ المنهزم شيء! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك ثم قال: ما فعلت كعب وكراب؟ قالوا: لم يشهدا منهم أحد، قال: غاب الحدّ والجدّ؛ ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكراب، ولوددت أنكم فعلتم كما فعلت، فمن شهدا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، قال ذانك الجذعان من عامر^(١) لا ينفعان ولا يضران، يا مالك: إنك لم تصنع بتقديم البيضة، بيضة^(٢) هوازن إلى نحور الخيل شيئاً، إدفعهم إلى متمنع بلادهم، وعُلِّيا قومهم، ثم القِ الصُّبَاء^(٣) على مُتون الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك، وإن كانت عليك ألفاك ذلك، قد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا والله، لا أفعل، إنك قد كبرت وكبر عقلك، والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري. وكره أن يكون لدريد بن الصُّمّة فيها ذكر ورأي، قالوا: أطعنك، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يفتني: [من مجزوء الرجز]

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبَ فِيهَا وَأَضَعُ^(٤)

أَقْوَدُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٥)

ثم قال مالك بن عوف للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم، ثم شدوا شدة رجل واحد؛ قال: وبعث مالك بن عوف غيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب، فقال: ويلكم! ما شأنكم؟ قالوا: رأينا رجالاً بيضاً، على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى، فلم يردّه ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد.

(١) الجذع: الشاب الحدث.

(٢) بيضة هوازن: أصلهم ومجتمعهم.

(٣) في الأصلين: «الظبا» تحريف. والصبا، في الأصل: جمع صابىء، وهو من خرج من دين إلى دين. وكان المشركون يسمون المسلمين بهذا. وفي اللسان في حديث هوازن: «والف الصُّبَى» (بضم الصاد وتشديد الباء المفتوحة) أي الذين يشتهون الحرب، ويميلون إليها.

(٤) الخب والوضع: ضربان من السير.

(٥) الوطفاء: الطويلة الشعر. الزمع: الشعر الذي فوق مربوط قيد الدابة، يريد فرساً صفتها هكذا، والمراد بالشاة: الوعل. صدع: أي وعل بين الوعلين ليس بالعظيم ولا بالحقير (الخشن).

قال ابن إسحاق: ولما سمع رسول الله ﷺ بخبرهم بعث إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، ففعل؛ ثم أقبل على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأجمع رسول الله ﷺ المسير إلى هوازن لقتالهم، وذكر له أن عند صفوان بن أمية أذراعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال: «أعزنا سلاحك نلق به عدونا»؛ فقال: أغضباً يا محمد؟ فقال: «بل عارية»^(١) مضمونة حتى نؤديها إليك؛ قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، ثم خرج رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليال خلون من شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ففتح بهم مكة، وألفان من أهل مكة.

قال الثعلبي: قال مقاتل: كانوا أحد عشرة ألفاً وخمسمائة.

وقال الكلبي: كانوا عشرة آلاف، وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا قط، فقال رسول الله ﷺ: «لن تغلب اليوم من قلة»، حكاه ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد: قال ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قال الثعلبي: ويقال: بل قال ذلك رجل من المسلمين يقال له: سلمة بن سلامة.

قال ابن سعد: وخرج مع رسول الله ﷺ ناس من المشركين كثير، منهم صفوان ابن أمية.

قال محمد بن إسحاق بسند يرفعه إلى الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حديثو عهد بالجاهلية، وكان لكفار قريش ومن سواهم من العرب سُدرة^(٢) عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً؛ قال: فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سُدرة خضراء عظيمة، فتنادينا من جَنَبَات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال: «الله أكبر، قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» [الأعراف: ١٣٨] إنها السُّنَن، لتركن سنن، من كان قبلكم»، قالوا: وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر خلون من شوال، فلما كان من الليل عمَد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم في وادي حنين، وأوعز إليهم أن يحملوا على رسول الله ﷺ وأصحابه حَمَلَةً واحدة، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه في السَّحَر، وصفَّهم صُفُوفاً، ووضع الألوية

(١) عارية: مستعارة.

(٢) السدرة: شجرة النبق.

والرايات في أهلها مع المهاجرين: لواء يحملها علي بن أبي طالب، وراية يحملها سعد بن أبي وقاص، وراية يحملها عمر بن الخطاب، ولواء الخزرج يحملها حُباب بن المنذر - ويقال: سعد بن عبادة - ولواء الأوس مع أسيد بن حُصير، وفي كل بطن من الأوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم مسمًى، وكذلك قبائل العرب فيها الألوية والرايات يحملها قوم منهم مسمًون، وكان رسول الله ﷺ قد قدم سُلَيْمًا من يوم خرج من مكة، واستعمل عليهم خالد بن الوليد، فلم يزل على المقدمة حتى قدم الجِعْرَانَة، قال: وانحدر رسول الله ﷺ في وادي حنين على تعبثته، وركب بغلته البيضاء «دُلْدُل»، ولبس درعين والمِغْفَر والبيضة، فاستقبلهم من هوازن شيء لم يَرَوْا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غَبَش^(١) الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وسعته، فحملوا حملة، وانكشفت الخيل خيل بني سليم مولية، وتبعهم الناس منهزمين، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، وجعل يقول: يا أنصار الله وأنصار رسوله، أنا عبد الله ورسوله، وثبت معه يومئذ أبو بكر، وعمر، والعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب، وأخوه ربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن بن أم أيمن بن عبيد في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال الكلبي: كان حول رسول الله ﷺ يومئذ ثلثمائة من المسلمين، وانهزم سائر الناس عنه، وجعل رسول الله ﷺ يقول للعباس: نادِ، يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرَة^(٢)، يا أصحاب سورة البقرة، فنادى - وكان صَيِّتًا^(٣) - فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حَنَّتْ على أولادها يقولون: يا لَبِيكَ يا لَبِيكَ! فحملوا على المشركين، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: «الآن حَمِيَ الوَطِيسُ^(٤)»: [من مجزوء الرجز]

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

ثم قال للعباس بن عبد المطلب: ناولني حصيات، فناوله حصيات من الأرض، ثم قال: «شاهت الوجوه» ورمى بها وجوه المشركين، وقال: «انهزموا ورب الكعبة»، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وانهزموا لا يلوي أحد منهم على أحد.

قال محمد بن إسحاق: لما انهزم الناس، ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من

(١) غَشَّ الصبح: ظلمة آخر الليل، وفي ابن هشام: «عماية الصبح».

(٢) السَّمُرَة: شجرة الطلح، وهي التي كان عندها بيعة الرضوان عام الحديبية.

(٣) صَيِّتًا: قوي الصوت.

(٤) الوطيس: التنور يخبز فيه. وقيل: هو حجارة توقد العرب تحتها النار ويشوون فيها اللحم.

جُفأة مكة الهزيمة، تكلم رجال بما في أنفسهم من الضغن^(١)، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وأن الأزام^(٢) لمعه في كنانته، وصرخ جبلة بن الحنبل وهو مع أخيه صفوان بن أمية: ألا بطل السخر اليوم! فقال له صفوان: أسكت فض الله فاك! فوالله لأن يربني^(٣) رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن؛ وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة^(٤): اليوم أدرك ثأري من محمد - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً. قال: فبادرت لأقتله، فأقبل شيء حتى غشى فؤادي، فلم أطق ذلك، فعلمت أنه ممنوع مني.

وفي رواية أخرى، قال شيبة بن عثمان: استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وأنا أريد أن أقتله بطلحة بن عثمان، وعثمان بن طلحة، فأطلع الله رسوله علي ما في نفسي، فالتفت إلي وضرب في صدري وقال: «أعيزك بالله يا شيبة»، فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحب إلي من سمعي وبصري فقلت: أشهد أنك رسول الله ﷺ، وأن الله أطلعك على ما في نفسي.

وروى محمد بن إسحاق بسنده إلى العباس قال: إنني لمع رسول الله ﷺ آخذاً بحكمة^(٥) بغلته البيضاء وقد شجرتها^(٦) بها، وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت، ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: «أين أيها الناس»، فلم أر الناس يلبون على شيء، فقال: «يا عباس، اصرخ، يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب السمرة» قال: فأجابوا لبيك لبيك، قال: فيذهب الرجل ليشني بعيه فلا يقدر على ذلك، ويأخذ درعه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيه ويخلي سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا؛ فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى مجتلد^(٧) القوم، فقال: «الآن حمي الوطيس».

(١) الضغن: الحقد.

(٢) الأزام: السهام التي يستقسم العرب بها.

(٣) يربني: يكون رباً لي، أي مالكاً علي.

(٤) شيبة بن عثمان: (.... - ٥٩ هـ = ٦٧٩ م) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي، من بني عبد الدار: صحابي من أهل مكة. أسلم يوم الفتح. وكان حاجب الكعبة في الجاهلية. ورث حجابتها عن آبائه، وأقره النبي ﷺ على ذلك، ولا يزال بنوه حجابها إلى اليوم. (الأعلام: ٣: ١٨١).

(٥) الحكمة: ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه.

(٦) شجرتها بها: أي وضعها في شجرها، وهو مجتمع اللحين.

(٧) مجتلد القوم: مكان جلادهم بالسيوف.

قال جابر بن عبد الله: فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: والتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سليم ابنة ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة، وهي حازمة وسطها يبرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة، ومعها جمل أبي طلحة، فقال رسول الله ﷺ: «أم سليم؟» قالت: نعم، بأبي وأمي يا رسول الله! أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله ﷺ «أو يكفي الله يا أم سليم؟» قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سليم؟ قالت: خنجر أخذته إن دنا مني أحد من المشركين بعجته^(١) به.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني أبي إسحاق بن يسار أنه حدث عن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد^(٢) الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم، فنظرْتُ، فإذا نملٌ أسودٌ مبعوث قد ملأ الوادي، لم أشك أنها الملائكة، ولم تكن إلا هزيمة القوم.

قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس، وتوجه بعضهم نحو نخلة^(٣)، وتبع خيل رسول الله ﷺ من سلك في نخلة من الناس، ولم تتبع من سلك الثنايا، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان - وهو ابن الدغنة - دُرَيْد بن الصمة وهو في شجارٍ له أي هودج، فأخذ بخطام^(٤) جملته وهو يظن أنه امرأة، فأناخ به، فإذا هو شيخ كبير والغلام لا يعرفه، فقال له دُرَيْد: ما تريد بي؟ قال: أقتلك؛ قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن ربيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يُغن فيه شيئاً، فقال: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر الرُّخْل في الشُّجار، ثم اضرب به، وارفع عن العظام، واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيْد بن الصمة، فربَّ والله يوم قد منعت فيه نساءك؛ فقتله، ولما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً.

قال ابن هشام: ويقال أن الذي قتل دُرَيْد بن الصمة هو عبد الله بن قُنيح بن

(١) بعج بطنه: شقه.

(٢) البجاد: الكساء، وجمعه: بُجْد بضمبتين.

(٣) يريد نخلة اليمامة.

(٤) الخطام: الحبل الذي يقاد به البعير.

أُهبان بن ثعلبة بن ربيعة؛ قال: وبعث رسول الله في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك بعض من انهزم، فناوشوه القتال، فقتل منهم أبو عامر تسعة مبارزة وهو يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد؛ ثم برز له العاشر معلماً بعمامة صفراء، فضرب أبا عامر فقتله. واستخلف أبو عامر أبا موسى الأشعري^(١)، فقاتلهم حتى فتح الله عليه، وقتل قاتل أبي عامر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة»، ودعا لأبي موسى.

وقال ابن هشام في خبر أبي عامر: إنه قتل تسعة مبارزة يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه، فيقتله أبو عامر، وبقي العاشر، فحمل كل منهما على صاحبه، فدعاه أبو عامر إلى الإسلام وقال: اللهم اشهد عليه، فقال الرجل: اللهم لا تشهد علي، فكف عنه أبو عامر، فأفلت، ثم أسلم بعد فحسن إسلامه، فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: «هذا شريد أبي عامر»، ورَمَى أبا عامر أخوان: العلاء وأوفى ابنا الحارث من بني جشم بن معاوية، فأصاب أحدهما قلبه. والآخر ركبته، فقتلاه، وولّى الناس أبو موسى فحمل عليهما فقتلتهما.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: إن الذي رمى أبا عامر فأصاب ركبته هو سلمة ابن دريد^(٢) بن الصمة. وإنه ارتجز فقال:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ إِنْ سَمَادِيرَ^(٣) لَمَنْ تَوَسَّمَةٌ
* أَضْرَبُ بِالسَّيْفِ رِءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

قال: وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق، وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم، فوقف حتى مضى من لحق بهم من منهزمة الناس.

قال ابن هشام: وبلغني أنّ خيلاً طلعت ومالك وأصحابه على الثنية، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً واضعي رماحهم بين آذان خيلهم، طويلة بؤادهم^(٤) فقال: هؤلاء بنو سليم، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن

(١) أبو موسى الأشعري: (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ = ٦٠٢ - ٦٦٥ م) عبد الله بن قيس بن سليم. أبو موسى، من بني الأشعر من قحطان، صحابي من الشجعان الولاة الفاتحين. وأحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد باليمن، وفد مكة عند ظهور الإسلام، فأسلم وهاجر إلى أرض الحبشة. توفي بالكوفة. (الأعلام: ٤: ١١٤).

(٢) في كلا الأصلين: «زيد».

(٣) سمادير: امرأة دريد بن الصمة.

(٤) البؤاد: جمع باد، وهو باطن الفخذ.

الوادي، ثم طلعت خيل أخرى تتبعها، فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى قوماً عارضي رماحهم أغفلاً^(١) على خيلهم، فقال هؤلاء الأوس والخزرج، ولا بأس عليكم منهم؛ فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بني سليم، ثم طلع فارس فقال لأصحابه: ماذا ترون؟ قالوا: نرى فارساً طويلاً الباداً واضعاً رمحه على عاتقه، عاصباً رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلف باللات ليخالطنكم، فاثبتوا له، فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية، أبصر القوم فصمد لهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أراحهم عنها.

قالوا: ولما انهزم القوم أمر رسول الله ﷺ بقتل من قُدر عليه، فحقيق المسلمون عليهم؛ فقتلوا الذرية والنساء، فمرّ رسول الله ﷺ يومئذٍ بامرأة قد قتلها خالد بن الوليد، فقال: «ما هذه؟» قالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله ﷺ لبعض من معه: «أدرك خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله ﷺ ينهك أن تقتل وليداً أو امرأة؛ وأنزل الله تعالى في يوم حنين قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦].

قال الثعلبي: قال سعيد بن جبيرة: أمد الله تعالى نبيه ﷺ بخمسة آلاف من الملائكة مسمومين^(٢).

وقال الحسن ومجاهد: كانوا ثمانية آلاف.

وقال الحسن: كانوا ستة عشر ألفاً؛ قال سعيد بن جبيرة: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ لم يقفوا لنا جلبة شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم، حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء - يعني رسول الله ﷺ - فتلقنا رجالاً بيض الثياب حسان الوجوه، فقالوا لنا: شأهت الوجوه، ارجعوا فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانت إياها. يعني الملائكة.

قال: وفي الخبر أن رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال: أين الخيل البلق، والرجال عليهم ثياب بيض؟ ما كنا نراكم فيهم إلا كهية الشامة، وما كان قتلنا إلا بأيديهم، فأخبروا النبي ﷺ بذلك فقال: «تلك الملائكة».

وقال محمد بن سعد: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراء قد أرخوها بين أكتافهم.

(١) الأغفال: جمع غفل، وهو الذي لا علامة له، يريد أنهم لم يعلموا أنفسهم بشيء يعرفون به.

(٢) مسمومين: معلمين.

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم حنين من بني هاشم أيمن بن عبيد، ومن بني أسد يزيد بن زمعة بن الأسود، ومن الأنصار سراقه بن الحارث بن عدي، ومن الأشعرين أبو عامر.

وقال ابن سعد: ورقم بن ثعلبة بن زيد بن لؤذان، واستحز القتلى في بني نصر ابن معاوية، ثم في بني رثاب، فقال عبد الله بن قيس، وكان مسلماً. هلكت بنو رثاب، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجبر مصيبتهم». قال: وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال، فجمعت وحدرت إلى الجعرانة، وعليها مسعود بن عمرو الغفاري، فوقف بها بالجعرانة حتى انصرف رسول الله ﷺ من غزوة الطائف وهم في حظائرهم يستظلون بها من الشمس، ثم قسمها ﷺ بعد ذلك، على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدوسي^(١) إلى ذي الكفئين

بعثه رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمانٍ عند منصرفه من غزوة حنين، وتوجهه إلى الطائف ليهدم ذا الكفئين صنم عمرو بن حُممة الدوسي، وأمره أن يستمد قومه ويأتيه بالطائف، فخرج سريعاً إلى قومه، فهدم ذا الكفئين وجعل يحش النار في وجهه ويقول: [من الرجز]

يا ذا الكفئين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

* إني حششت^(٢) النار في فؤادكا *

وانحدر معه من قومه أربعمئة سراعاً، فوافقوا رسول الله ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم الطفيل معه بدبابة^(٣) ومنجنيق.

ذكر غزوة الطائف

غزاها رسول الله ﷺ في شوال سنة ثمانٍ من مهاجره، وذلك أنه لما انهزمت هوازن وثقيف يوم حنين، وجمعت السبايا والغنائم، سار رسول الله ﷺ من حنين يريد

(١) الطفيل الدوسي: (.... - ١١هـ = ٦٣٣ م) الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص الدوسي الأزدي. صحابي من الأشراف، في الجاهلية والإسلام. كان شاعراً، غنياً، كثير الضيافة، مطاعاً في قومه. استشهد في اليمامة. (الأعلام: ٣: ٢٢٧).

(٢) حش النار: أوقدها.

(٣) الدبابة: آلة تتخذ في الحروب يدخل في جوفها الرجال، ثم تدفع في أصل الحصن. فينقبونه وهم في جوفها.

الطائف، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وقد كانت ثقيف رموا^(١) حصنهم، وأدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة، فلما انهزموا من أوطاس، دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم وتهيؤوا للقتال، وسار رسول الله ﷺ وسلك على نخلة اليمانية، ثم على قزن، ثم على المُلج، ثم على بخرة الرّغاء من لية^(٢)، فابتنى بها مسجداً يُصلي فيه.

قال ابن إسحاق: وأقاد^(٣) رسول الله ﷺ يومئذٍ ببخرة الرّغاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أُقيد به في الإسلام رجل من بني أسد قتل رجلاً من هذيل، فقتل به؛ قال: وأمر رسول الله ﷺ وهو بليّة بحصن مالك بن عوف، فهدم، ثم سلك في طريق يقال لها: الضّيقة، فسأل عن اسمها. فقال: «ما اسم هذه الطريق؟» فقالوا: الضّيقة، فقال: «بل هي اليسرى»، ثم خرج منها على نخب^(٤) حتى نزل تحت سِدرة^(٥) يقال لها: الصادرة، قريباً من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله ﷺ، يقول: «إما أن تخرج وإما أن نخرب عليك حائطك»؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله ﷺ بإخراجه؛ ثم مضى حتى نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك، فرموا المسلمين بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، وقتل منهم اثنا عشر رجلاً.

قال ابن إسحاق: وهم سعيد بن سعيد بن العاص، وعُرفطة بن جناب، حليف لهم من أسد بن الغوث.

وعبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، رُمي فاندمل جرحه، ثم انتقض^(٦) بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه.

ومن بني مخزوم عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

ومن بني كعب عبد الله بن عامر بن ربيعة، حليف لهم.

ومن بني سعد بن ليث جليحة بن عبد الله.

ومن الأنصار ثابت بن الجذع، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبد الله، ورقيم بن ثابت بن ثعلبة الأوسي.

قال: فارتفع رسول الله ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكان معه ﷺ من

(١) رموا حصنهم: أعادوه إلى وضعه الجيد.

(٢) أسماء مواضع بالطائف.

(٣) أقاد: القود: قتل القاتل مقابل القتل.

(٤) نخب: وادٍ بالطائف.

(٥) السدرة: نوع من الشجر.

(٦) انتقض: يقال: انتقض الجرح: إذا فسد.

نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قُبَّتَيْن، وحاصرهم رسول الله ﷺ ثمانية عشر يوماً، ويقال: خمسة عشر يوماً، ونصب عليهم المنجنيق، ورَمَى عليهم به، وأهل الطائف أول من رُمي بالمنجنيق في الإسلام.

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان يوم الشُّدْخَةِ^(١) دخل نفر من المسلمين تحت دِبابَةٍ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيف سِكْكَ الحديد مُحَمَّاةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل، فقتل منهم رجال، فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها، فقطع المسلمون قطعاً ذريعاً، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال رسول الله ﷺ: «إني أدعها لله وللرحم»، ونادى منادي رسول الله ﷺ: «أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حرٌّ»؛ فخرج منهم بضعة عشر رجلاً، منهم: أبو بكر، فأعتقهم رسول الله ﷺ، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يَمُونُهُ، فشق ذلك على أهل الطائف، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي، فقال: «ما ترى؟» فقال: ثعلبٌ في جحر، إن أقمت عليه أخذته، وإن تركته لم يضررك.

قال محمد بن إسحاق: وبلغني أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «يا أبا بكر، إني رأيت أنني أهديت لي قَعْبَةً مملوءة زُبْدًا، فنقرها ديك فهراق ما فيها»، فقال أبو بكر: ما أظن أن تُدْرِكَ منهم يومك هذا ما تريد؛ فقال رسول الله ﷺ: «وأنا لا أرى ذلك».

قال: ثم إن خُوَيْلَةَ بنت حكيم بن أمية السُّلَمِيَّة، وهي امرأة عثمان بن مظعون قالت: يا رسول الله، [أعطني]^(٢) إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غَيْلان بن سلمة، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عُقَيْل، وكانتا من أحلى نساء قريش. قال: فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال لها: «وإن كان لا يؤذن لي في ثقيف يا خُوَيْلَةَ؟» فخرجت خويلة فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حديث حدَّثْتَنِيهِ خويلة فزعمت أنك قد قلت؟ قال: «قد قُلْتُهُ». قال: أو ما أذن فيهم يا رسول الله؟ قال: «لا»، قال: أفلا أُوذِّن بالرحيل؟ قال: «بلى»، قال: فأذن عمر في الناس بالرحيل، فضجَّ الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم تفتح علينا الطائف؟ فقال رسول الله ﷺ: «فاغدوا على القتال»؛ فغدَّوا، فأصابَت المسلمين

(١) يوم الشُّدْخَةِ: سمي يوم الشدخة، لما شدخ فيه من الناس. والشدخ: كسر كل شيء أجوف (المواهب: ٣: ٣٧).

(٢) التكملة عن ابن هشام: ٤: ١٢٧.

جراحات، فقال رسول الله ﷺ: «إنا قافلون إن شاء الله»؛ فسرّوا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرتحلون ورسول الله ﷺ يضحك، وقال لهم: «قولوا لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»؛ فلما ارتحلوا واستقلوا قال: «قولوا آيئون تائبون عابدون، لربنا حامدون»؛ وقيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ادعُ على ثقيف؛ فقال: «اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم».

ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم مغانم حنين، وما أعطاه المؤلفة

قال ابن إسحاق: ولما انصرف رسول الله ﷺ من الطائف رجع إلى الجعرانة فأنتهى إليها ليلة الخميس لثلاث خلون من ذي القعدة، فأقام بها ثلاثة عشر يوماً، وقسم الفيء.

قال محمد بن سعد: كان السبي ستة آلاف، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، والورق أربعة آلاف أوقية فضة، فاستأنى^(١) رسول الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدهم، وبدأ بالأموال فقسمها، وأعطى المؤلفة قلوبهم أول الناس.

قالوا: فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الإبل. قال: وابني يزيد؟ قال: «أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل»؛ قال: وابني معاوية؟ فأعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدّة مائة من الإبل، وأعطى أسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل، وأعطى العلاء ابن جارية الثقفي خمسين بعيراً، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعيراً، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل، وأعطى قيس بن عدي مائة من الإبل، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل، وأعطى سهيل بن عمرو مائة من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل، وأعطى العباس بن مرداس^(٢) أربعين من الإبل، وقيل: أربعة، فقال في ذلك: [من المتقارب]

(١) استأنى: انتظر.

(٢) العباس بن مرداس: (... - نحو ١٨ هـ = ... - ٦٣٩ م) العباس بن مرداس بن أبي عامر =

كانت نهاباً تلافيثها بكرري على المهر في الأجرع^(١)
 وإيقاظي القوم أن يرقدوا إذا هجع الناس لم أهجع
 فأصبح نهبي ونهب العبيد بد بين عينة والأقرع^(٢)
 وقد كنت في الحرب ذا تذريراً فلم أعط شيئاً ولم أمنع^(٣)
 إلا أفائل أعطيتُها عديد قوائمها الأربع^(٤)
 وما كان حصن ولا حابس يفوقان مزداس في المجمع^(٥)
 وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
 فقال رسول الله ﷺ: «اقطعوا عني لسانه»، فأعطوه حتى رضي، قيل: أعطاه مائة من الإبل.

قال ابن سعد: أعطى رسول الله ﷺ ذلك كله من الخمس، وهو أثبت الأقاويل عندنا، ثم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم، ثم قضها^(٦) على الناس، فكانت سهامهم لكل رجل أربع من الإبل، وأربعون شاة، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر من الإبل، أو عشرين ومائة شاة، وإن كان معه أكثر من فرس لم يسهم للفرس الزائد.

ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وإسلامهم ورد السبايا إليهم

قال: وقدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وهم أربعة عشر رجلاً، ورأسهم زهير بن صرد^(٧)، وفيهم أبو برقان، عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألوه أن يمن عليهم بالسبي.

= السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلفة قلوبهم وكان بدوياً فحاً لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ممن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. ومات في خلافة عمر. (الأعلام: ٣: ٢٦٧).

- (١) النهاب: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم. الأجرع: المكان السهل.
- (٢) الثبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.
- (٣) ذا تذريراً: ذا دفع عن قومي.
- (٤) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد: أفيل.
- (٥) يعني أباه مرداساً.
- (٦) فضّ: يقال: فضّ الشيء على القوم: إذا فرقه وقسمه.
- (٧) زهير بن صرد: زهير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول. ويقال: أبو صرد. راجع الإصابة في تمييز الصحابة: ١: ٥٥٣ رقم الترجمة ٢٨٢٦.

قال ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن عمرو: إن وفد هوازن وفدوا على رسول الله ﷺ وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا.

قال وقام رجل من هوازن، أحد بني سعد بن بكر يقال له: زهير، يكتى بأبي صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر^(١) عماتك، وخالاتك وحواضنك اللاتي كن معك يكفلنك، ولو أنا ملحن^(٢) للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائذته علينا، وأنت خير المكفولين.

وحكى أبو عمر بن عبد البر أن أبا صرد زهير بن صرد أنشد عند ذلك: [من البسيط]

أمنن علينا رسول الله في كرم	فإتاك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر	ممزق شملها، في دهرها غير ^(٣)
يا خير طفل ومولود ومنتجب	في العالمين إذا ما حصل البشر
إن لم تداركهم نعاء تنشرها	يا أرجح حلماً حين يختبر
فامنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤه من محضها درر ^(٤)
إذ كنت طفلاً صغيراً ترضعها	وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته	واستبق منا فإنا معشر زهر ^(٥)
يا خير من مَرَحَت كُمْتُ الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشر
إنا لنشكر آلاء وإن كُفِرَتْ	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا نؤمل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت واهبه	يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟» فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، فرد إلينا أبناءنا ونساءنا

(١) الحظائر: جمع حظيرة وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها.

(٢) ملحن: يقال: ملحن لفلان أي أرضعناه (اللسان: ملح).

(٣) البيضة هنا: مجتمع الناس، الغير: المصائب.

(٤) إشارة إلى حليلة السعدية، مرضعة الرسول ﷺ.

(٥) يقال: شالت نعامتهم: إذا ماتوا وتفرقوا، كأنهم لم يبق منهم إلا بقية. والنعام: الجماعة انظر (اللسان: شول).

فهو أحب إلينا؛ فقال لهم: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت الظهر فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ﷺ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا؛ فسأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم»، ففعلوا ما أمرهم به، فقال: «أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، وقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ؛ وقالت الأنصار مثل ذلك؛ فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، قال: يقول عباس لبني سليم: وهنثموني^(١)؛ فقال رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بسبيهم، وخيرتهم فلم يعدلوا بالأبناء والنساء شيئا، فمن كان عنده منهم فطابت نفسه أن يرده فسيبل ذلك، ومن أبى فليرد عليهم، وليكن ذلك قرضاً علينا، فله بكل إنسان ست فرائض من أول ما يُفيء الله علينا»، قالوا: رضىنا وسلمنا، فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم، ولم يتخلف منهم أحد غير عيينة بن حصن، فإنه أبى أن يرد عجزاً صارت في يده منهم، ثم ردها بعد ذلك.

وقد حكى محمد بن إسحاق سبب تمسك عيينة بها وردها، قال: فقال حين أخذها: أرى عجزاً إني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها؛ فلما رد الناس السبايا بست فرائض أبى أن يردها، فقال له زهير بن صرد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد ولا درها^(٢) بماكد؛ فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال. وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قُبْطِيَّة قُبْطِيَّة، والقَبَاطِي: ثياب بيض تتخذ من الكتان بمصر.

وحكى محمد بن سعد في طبقاته الكبرى في ترجمة عيينة بن حصن في هذه القصة قال: لما قدم وفد هوازن على رسول الله ﷺ، ورد عليهم السبي، كان عيينة قد أخذ رأساً منهم، فنظر إلى عجز كبيرة، فقال: هذه أم الحي، لعلمهم أن يغلوا بفدائها، وعسى أن يكون لها في الحي نسب. فجاء ابنها إلى عيينة فقال: هل لك في مائة من الإبل؟ قال: لا، فرجع عنه، فتركه ساعة، وجعلت العجز تقول لابنها: ما إربك^(٣) في بعد مائة ناقة، أتركه فما أسرع ما يتركني بغير فداء؛ فلما سمعها عيينة قال: ما رأيت كالיום خدعة، والله ما أنا من هذه إلا في غرور؛ ولا جرم والله لأبعدن أثرك مني؛ قال: ثم مر ابنها فقال له عيينة: هل لك فيما دعوتني إليه؟ فقال: لا أزيدك

(١) وهنثموني: أضعفتموني.

(٢) الدر: اللبن. الماكد: الغزير.

(٣) إربك في: حاجتك بي.

على خمسين؛ فقال عيينة: لا أفعل، ثم لبث ساعة، فمرّ به وهو معرض عنه، فقال له عيينة: هل لك في الذي بذلت لي؟، قال له الفتى: لا أزيدك على خمس وعشرين فريضة؛ قال عيينة: والله لا أفعل، فلما تخوّف عيينة أن يتفرّق الناس ويرتحلوا قال: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ فقال الفتى: هل لك إلى عشر فرائض؟ قال: لا أفعل؛ فلما رحل الناس ناداه عيينة: هل لك إلى ما دعوتني إليه إن شئت؟ قال الفتى: أرسلها وأحمدك، قال: لا والله ما لي حاجة بحمدك؛ فأقبل عيينة على نفسه لائماً لها ويقول: ما رأيتُ كالיום أمراً أنكد، قال الفتى: أنت صنعتَ هذا بنفسك، عمدتَ إلى عجوز كبيرة، والله ما ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد، فأخذتها من بين من ترى؛ فقال له عيينة: خذها لا بارك الله لك فيها؛ قال: فيقول الفتى: يا عيينة، إن رسول الله ﷺ قد كسا السبي فأخطأها من بينهم الكسوة، فهل أنت كاسيها ثوباً؟ قال: لا والله ما لها ذاك عندي، قال: لا تفعل، فما فارقه حتى أخذ منه سَمَلُ ثوبٍ^(١). ثم ولى الفتى وهو يقول: إنك لغير بصير بالقرض، قال: وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قُبْطِيَّةً قُبْطِيَّةً، والقَبَاطِي: ثياب بيض تُتخذ من الكتان بمصر.

قال محمد بن إسحاق: وسأل رسول الله ﷺ وفد هوازن عن مالك بن عوفٍ ما فعل^(٢)؟ فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف؛ فقال: «أخبروا مالكا إن هو أتاني مسلماً رددتُ إليه أهله وماله، وأعطيته مائة من الإبل»، فأخبر بذلك. فخرج من الطائف فأدرك رسول الله ﷺ بالجعرانة أو بمكة، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه. وقال حين أسلم منشدًا: [من الكامل]

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمِثْلِهِ في الناس كلُّهمُ بمِثْلِ مُحَمَّدٍ
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجْتَدِي ومتى تشأُ يخبرك عما في غدٍ
وإذا الكَتِيبَةُ عَرَدَتْ أنيابها بالسَّمْهَرِيِّ وضرب كلِّ مَهْنَدٍ^(٣)
فكانه ليثٌ على أشباله وسَطُ الهَبَاءِ خادِرٌ في مَرَصَدٍ^(٤)

(١) سمل ثوب: الثوب القديم.

(٢) مالك بن عوف: (... - نحو ٢٠ هـ = - نحو ٦٤٠ م) مالك بن عوف بن سعد بن يربوع النصرى من هوازن: صحابي من أهل الطائف. كان رئيس المشركين يوم حنين... ثم أسلم وكان من المؤلفة قلوبهم، وشهد القادسية وفتح دمشق وكان شاعراً رفيع القدر في قومه. راجع: (الأعلام: ٥: ٢٦٤).

(٣) السمهري: الرمح. المهند: السيف الهندي.

(٤) الهباء: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذٍ أشد ما يكون بأساً لخوفه على أشباله، يصفه بالقوة. المرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة.

فاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَتِلْكَ الْقِبَائِلُ: ثُمَالَةُ، وَسَلْمَةُ، وَفَهْمٌ، فَكَانَ يُقَاتِلُ بِهِمْ ثَقِيفًا؛ لَا يَخْرُجُ لَهُمْ سَرْحٌ^(١) إِلَّا أَغَارَ عَلَيْهِ، حَتَّى ضَيَّقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ أَبُو مُحَجَّجٍ بْنُ حَبِيبٍ بْنُ عَمْرِو الثَّقَفِيِّ^(٢) فِي ذَلِكَ: [مَنْ الْمَدِيدُ] هَابَتِ الْأَعْدَاءُ

جَانِبَنَا ثُمَّ تَغْزُونَا بَنُو سَلِيمَةَ
وَأَتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ وَالْحُرْمَةِ
وَأَتُونَا فِي مَنَازِلِنَا وَلَقَدْ كُنَّا أُولَى نَقَمِهِ

ذكر تسمية من بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغنم حنين

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله: بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرهم وأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين: أبو سفيان بن حرب، ومعاوية بن أبي سفيان، وطليق بن سفيان بن أمية، وخالد بن أسيد بن أبي العيص^(٣)، وشيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وأبو السنابل بن بَعَكْكَ بن الحارث، وعكرمة بن عامر بن هاشم، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة، وخالد بن هشام بن المغيرة، وهشام بن الوليد بن المغيرة، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله، والسائب بن أبي السائب بن عائذ، ومطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلَةَ، وأبو جَهْم بن حُذَيْفَةَ بن غانم، العَدَوِيَّان، وصفوان بن أمية بن خلف الجُمَحِيِّ، وأُحَيْحَةَ بن أمية بن خلف، وعُمَيْرُ بن وهب بن خلف، وعدي بن قيس بن حُذَافَةَ السُّهْمِيِّ، وَحُوَيْنُطِبُ بن عبد العزى، وهشام بن عمرو بن ربيعة، ونوفل بن معاوية بن عروة بن صخر الدِّيلِيِّ، وعلقمة بن عُلاَثَةَ بن عوف، ولبيد بن ربيعة بن مالك، وخالد بن هُوْذَةَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر، وحرمة بن هُوْذَةَ بن ربيعة، ومالك بن عوف بن سعيد بن يربوع، وعباس بن مِرْدَاسِ السُّلَمِيِّ وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، والأقرع بن حابس بن عقال المُجَاشِعِيِّ.

(١) السرح: المال السائم.

(٢) أبو محجج الثقفى: (.... - ٣٠ هـ = - ٦٥٠ م) عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير أبو عوف: أحد الأبطال الكرماء في الجاهلية والإسلام. أسلم سنة ٩ هـ وروى عدة أحاديث. توفي بأذربيجان أو بجزجان. (الأعلام: ٥: ٧٦).

(٣) كذا في ابن هشام: ٤: ١٣٧ والاستيعاب. والذي في الأصلين: «العاص».

ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفيء، وما أجابهم به رسول الله ﷺ، ورضاهم به

قال ابن إسحاق بسند يرفعه إلى أبي سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه أنه قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا^(٢) في أنفسهم حتى كثرت بهم القالة، حتى قال قائلهم: لقيني والله رسول الله قومه، فدخل عليه سعد بن عباد فقل: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي؛ قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة»، فخرج سعد فجمعهم فيها، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قاله بلغثني عنكم، وجدّة وجدثموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله، وعالةً فأغناكم الله، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلى، الله ورسوله أمّن وأفضل ثم قال: «ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المّن والفضل، قال رسول الله ﷺ: «أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم: أتينا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لُعاة^(٣) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكُم! فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شعباً^(٤) وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار»؛ قال: فبكى القوم حتى أخضلوا^(٥) لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحطاً؛ ثم انصرف رسول

(١) أبو سعيد الخدري: (١٠ ق هـ ٧٤ هـ = ٦١٣ - ٦٩٣ م) سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي ﷺ. وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثني عشرة غزوة. توفي في المدينة. (الأعلام: ٣: ٨٧).

(٢) وجد: حنق.

(٣) اللعاة: الجرعة من الماء يريد الشيء اليسير.

(٤) الشعب: الطريق بين الجبلين.

(٥) أخضلوا: أي بلوها بدموعهم.

الله ﷺ وتفرقوا، ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وذلك ليلة الأربعاء لثنتي عشرة ليلة مضت من ذي القعدة؛ فأحرم بعُمره، ودخل مكة فطاف وسعى وحلق رأسه، ورجع إلى الجعرانة من ليلته.

ذكر استخلاف رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد^(١) على مكة ورجوعه إلى المدينة

قال محمد بن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من عُمرته استخلف عتاب بن أسيد على مكة، وخلف معه مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَفْقَهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ.

قال ابن هشام: لما استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة رَزَقَهُ كُلَّ يَوْمٍ دَرَاهِمًا، فقام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاج الله كبد من جاع على درهم، قد رزقني رسول الله ﷺ درهماً كل يوم، فليست بي حاجة إلى أحد.

قال: وحج عتاب بالناس في سنة ثمانٍ على ما كانت العرب تحج عليه.

قال ابن سعد: ولما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة سلك في وادي الجعرانة، حتى خرج على سرف^(٢)، ثم أخذ الطريق إلى مَرِّ الظُّهْرَانِ^(٣)، ثم إلى المدينة، فقدمها ﷺ في بقية ذي القعدة أو في أول ذي الحجة.

قال ابن هشام: لست بقين من ذي القعدة. والله أعلم.

ذكر سرية عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ إِلَى بَنِي تَمِيم

بعثه رسول الله ﷺ في المحرم سنة تسع من مُهاجَرِهِ إلى بني تميم في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، وكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء - وكانوا فيما بين الشُّقْيَا وأرض بني تميم، وقد حلوا وسرحوا ماشيتهم، فلما رأوا الجمع ولّوا - وأخذ منهم أحد عشر رجلاً؛ ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيًا، فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله ﷺ فحُبِسُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، فَقَدِمَ فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ: عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبٍ،

(١) عتاب بن أسيد: (١٣ ق هـ ١٣ هـ = ٦١٠ - ٦٣٤ م) عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد

شمس، أبو عبد الرحمن: وال أموي، قرشي مكّي، من الصحابة، كان شجاعاً، عاقلاً من أشرف

العرب في صدر الإسلام. أسلم يوم فتح مكة. مات يوم مات أبو بكر. (الأعلام: ٤: ١٩٩).

(٢) سرف: موضع على ستة أميال من مكة (ياقوت).

(٣) مَرِّ الظُّهْرَانِ: موضع على مرحلة من مكة.

والزُّبْرِقَان بن بدر، وقيس بن عاصم، وربيعة بن الحارث بن مجاشع، والأقرع بن حابس، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهتم، وربيع بن رُفيع، وسبرة بن عمرو، والقُعْقَاع بن معبد، ووردان بن مُحَرِّز، ومالك بن عمرو، وفِراس بن حابس، وكان من شأنهم وكلام خطيبهم وشاعرهم ما نذكر ذلك في أخبارهم في وفادات العرب إن شاء الله تعالى، وذلك في السفر السادس عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة^(١).

قال: ورد عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسبي.

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يومئذٍ من بني العنبر: عبد الله وأخوان له: بنو وهب، وشَدَاد بن فراس، وحنظلة بن دارم، وكان ممن سبي يومئذٍ أسماء بنت مالك، وكأس بنت أري، ونَجْوة بنت نهد، وجميع بنت قيس، وعمرة بنت مطر.

ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٢) مع بني المصطلق

قال محمد بن سعد: بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خُزاعة يُصدِّقهم، وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلاً يتلقونه بالجزور والغنم فرحاً به، فلما رأهم ولَّى راجعاً إلى المدينة، فأخبر رسول الله ﷺ أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة، فهم رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم، وبلغ ذلك القوم، فقدم الركب الذين لقوا الوليد إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر على وجهه، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِمْ فَمَا فَتَعَلْتُمْ بِهِمْ شُيُوءًا﴾ [الحجرات: ٦]، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ القرآن، وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن، ففعل، وأقام عندهم عشراً، ثم انصرف إلى المدينة.

ذكر سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم

بعثه رسول الله ﷺ في صفر سنة تسع من مهاجره إلى حي من خثعم بناحية تبالة

(١) من تجزئة المؤلف، ويوافق ج ١٨ : ٣٢ (طبع الدار).

(٢) الوليد بن عقبة: (..... - ٦١ هـ = - ٦٨٠ م) الوليد بن عقبة بن أبي معيط. أبو وهب، الأموي، القرشي، وال من فتيان قریش وشعرائهم وأجوادهم فيه ظرف ومجون ولهو. وهو أخ عثمان بن عفان لأمه أسلم يوم فتح مكة. ولده عثمان الكوفة سنة ٢٥ هـ. فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر، فعزله، وحده وحبسه. ولما قتل عثمان، اعتزل الفتنة بين علي ومعاوية. مات بالرقعة. (الأعلام: ٨ : ١٢٢).

في عشرين رجلاً، وأمره أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها، فأخذوا رجلاً، فسألوه فاستعجم عليهم، وجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم، فضربوا عنقه، ثم امهلوا حتى نام الحاضر، فشتوا عليهم الغارة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وساق المسلمون النعم والشاء والنساء إلى المدينة وجاء سيلٌ فحال بينهم وبين قطبة؛ فما يجدون إليه سبيلاً، وكانت سيّهمهم بعد الخمس لكل رجل أربعة أبعرة يُعدّل بعشرة من الغنم.

ذكر سرية الضحّاك بن سُفيان الكلابيّ^(١) إلى بني كلاب

كانت في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة.

قالوا: بعث رسول الله ﷺ جيشاً إلى القرطاء^(٢) عليهم الضحّاك بن سُفيان بن عوف الكلابيّ، ومعه الأضيّد بن سلمة بن قُزط، فلَقُوهم بالزُج^(٣)، زُجٌ لاوّة، فدَعَوْهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم، فلجق الأضيّد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير الزُج، فدعا أباه إلى الإسلام، وأعطاه الأمان، فسبّه وسبّ دينه، فضرب الأضيّد عُرْقوبيّ فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عُرْقوبيه ارتكز سلمة رمحه في الماء، ثم استمسك به، حتى جاءه أحدهم فقتله، ولم يقتله ابنه، وفي هذه السرية وفي الضحّاك بن سُفيان يقول عباس بن مُرداس: [من الكامل]

إن الذين وقوا بما عاهدتهم جيش بعثت عليهم الضحّاكا
أمرته ذرب اللسان كأنه لمّا تكفّفه العدو يراكا^(٤)
طوراً يُعانق باليدين وتارة يفري الجمّاجم صارماً بتّاكا^(٥)

ذكر سرية علقمة بن مُجرز المدلجيّ^(٦) إلى الحبشة

كانت هذه السرية في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة، وذلك أن رسول

(١) الضحّاك الكلابيّ: (.... - ١١ هـ = - ٦٣٢ م) الضحّاك بن سُفيان بن عوف بن كعب

الكلابيّ، أبو سعيد، شجاع صحابي، اتخذه النبي ﷺ سيفاً فكان يقوم على رأسه متوشحاً بسيفه.

قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم راجع (الأعلام: ٣: ٢١٤).

(٢) القرطاء: بطن من بني بكر، واسمه عبيد بن كلاب.

(٣) زج ولادة: موضع بنجد.

(٤) في ابن هشام: ٤: ١٠٣: «رجل به ذرب السلاح».

(٥) البتاك: البتاك والفتاك بمعنى واحد.

(٦) علقمة بن مُجرز: (.... - ٢٠ هـ = - ٦٤١ م) علقمة بن مجرز بن الأعور الكناني المدلجي: =

الله ﷺ بلغه أَنَّ ناساً من الحبشة تراأهم أهلُ جُدّة، فبعث إليهم علقمة بن مجزّز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر وقد خاض إليهم، فهربوا منه، فلما رجع تعجل^(١) بعض القوم إلى أهليهم، فأذن لهم، وفيهم عبد الله بن حُذافة السَّهمي، فأمره علقمة على من تعجل، وكانت فيه دُعاة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يضطلّون عليها، فقال لهم: عزمْتُ عليكم إلّا تَواثبتم في هذه النار، فقام بعض القوم حتى ظنَّ أنهم واثبون فيها، فقال: اجلسوا، إنما كنتُ أضحك معكم؛ فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «مَنْ أَمَرَكَ بمعصية فلا تطيعوه».

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس صنم طيّء

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع في خمسين ومائة رجل من الأنصار إلى الفُلس (صنم طيّء) ليهدمه - (والفُلس بضم الفاء وسكون اللام) - بعثهم على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشئتوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفُلس وخرّبوه وملأوا أيديهم من السبي والتَّعَم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام؛ وكان من خبره ما نذكره إن شاء الله في أخبار الوفود. قال: ووجدوا في خزانة الفُلس ثلاثة أسياف: رسول، والمُخَذَّم، واليمان؛ وثلاثة أدْرُع، فلما نزلوا رَكَك^(٢) اقتسموا الغنائم، وعزل لرسول الله ﷺ صَفِيَّه^(٣): رَسوب، والمُخَذَّم، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر، وعزل الخُمس وعزل آل حاتم فلم يقسمهم، حتى قَدِم بهم المدينة على رسول الله ﷺ.

ذكر سرية عُكاشة بن مَخْصَن الأسدي إلى الجِنب

بعثه رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مُهاجره إلى الجِنب، أرض عُذرة وبلي، ولم يذكر ابنُ سعد من خبره غير ذلك.

ذكر غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك في شهر رجب ستة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ، وكان سببها

= قائد من الصحابة، شهد اليرموك، وحضر الجابية. مات غريقاً في طريقه إلى الحبشة غازياً على رأس جيش بعث به عمر. (الأعلام: ٤: ٢٤٨).

(١) أرادوا الرجوع قبل بقية الجيش.
(٢) ركك: (بالتحريك): محلة من محال سلمى أحد جبلي طيّء.
(٣) صفيه: الصفي: ما يأخذه الرئيس لنفسه من الفيء قبل القسمة.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ الرُّومَ قَدْ جَمَعَتْ جَمُوعاً كَثِيراً بِالشَّامِ، وَأَنَّ هِرَقْلَ قَدْ رَزَقَ أَصْحَابَهُ لِسِنَةً، وَأَجْلَبَتْ مَعَهُ لَحْمٌ، وَجُذَامٌ، وَعَامِلَةٌ، وَغَسَّانٌ، وَقَدَّمُوا مَقْدَمَاتِهِمْ إِلَى الْبُلْقَاءِ، فَغَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ، وَأَعْلَمَهُمُ الْمَكَانَ الَّذِي يَرِيدُ لِيَتَأَهَّبُوا لَذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، وَذَلِكَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَأَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَحَمَلُوا صَدَقَاتٍ كَثِيرَةً، وَقَوَّوْا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العُسرة في غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض».

وجاء البكّاءون وهم سبعة: سالم بن عمير، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف، وعُلبه بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني، وعمرو بن عنة، وسلمة بن صخر، والعرباض بن سارية الفزاري.

قال: وفي بعض الرواة من يقول: إن فيهم عبد الله بن مغفل المُرَني، ومعقل ابن يسار، وبعضهم يقول: البكّاءون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة، فأتوا رسول الله ﷺ يستحملونه، فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»؛ فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ألا يجدوا ما ينفقون، فعذرهم الله تعالى.

قال: وبلغ رسول الله ﷺ أَنَّ ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سُوَيلم اليهودي، يشبّطون الناس عن رسول الله ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سُوَيلم، ففعل طلحة، فافتحم الضحّاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، وافتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحّاك في ذلك: [من الكامل]

كَادَتْ وَبَيْتَ اللَّهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أَبِي رِقٍ

فَظَلْتُ وَقَدْ طَبَقْتُ كِبْسَ سُوَيْلَمٍ أَنْوَأَ عَلَى رِجْلِي كَسِيراً وَمِرْفَقِي^(١)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ، وَمَنْ تَشْمَلُ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ في التخلف من غير علة، فأذن لهم، وهم بضعة وثمانون رجلاً.

وجاء المُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم، وهم اثنان وثمانون رجلاً؛ ذكر أنهم نفر من بني غفار، وكان عبد الله بن أبي بن سلول قد عسكر على ثنية الوداع في حلفائه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكره بأقل

(١) طبقت: علوت. الكبس: البيت الصغير.

العسكريين، وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فصلّى بالناس، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عبد الله بن أبيّ، ومن كان معه، وتخلّف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وأبو خيثمة مالك بن قيس السّالميّ، وأبو ذرّ الغفاريّ؛ وأمر رسول الله ﷺ كلّ بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية، ومضى ﷺ لوجهه يسير بأصحابه حتى قدم تبوك في ثلاثين ألفاً من الناس، والخيّل عشرة آلاف فرس، فأقام بها عشرين ليلة يصلي ركعتين ركعتين، ولحقه بها أبو خيثمة وأبو ذرّ.

قال محمد بن إسحاق في سبب مسير أبي خيثمة إلى رسول الله ﷺ: إنه جاء يوماً إلى أهله بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عريشين^(١) لهما في حائطه، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيات طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأته وما صنعتا له، فقال: رسول الله في الضح^(٢) والريح والحرّ، وأبو خيثمة في ظلّ بارد، وطعام مهيا، وامرأة حسناء، في ماله مقيم، ما هذا بالنّصف!، ثم قال: والله لا أدخل عريشاً واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيتا لي زاداً، ففعلتا، ثم قدّم ناضحه^(٣) فارتحلّه، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك.

قال: ولما دنا من رسول الله ﷺ قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل؛ فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو خيثمة؛ فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له: «أولّى لك يا أبا خيثمة!»، ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال: خيراً ودعا له.

وأما أبو ذرّ الغفاريّ، فإنه أدرك رسول الله ﷺ في أثناء الطريق، وكان بعيره قد أبطأ عليه، فحمل متاعه على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ حتى أدركه، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذرّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويُبعث وحده» فكان كذلك.

قال: وقدم رسول الله ﷺ تبوك وهرقل يومئذٍ بحمص، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر.

(١) العريش: شبيه بالخيمة. الحائط: بمعنى البستان.

(٢) الضح: الشمس.

(٣) الناضح: البعير يستقى عليه. ارتحلّه: شد عليه الرحل.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك^(١)

قالوا: بعث رسول الله ﷺ بتبوك خالد بن الوليد في أربعمئة وعشرين فارساً سريةً إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وأكيدر من كندة، قد ملكهم، وكان نصرانياً، فقال رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد: «إتك ستجده يصيد البقر». فخرج خالد في شهر رجب سنة تسع من الهجرة حتى كان من حصن أكيدر بمنظر العين في ليلة مقمرة وصائفة، وهو على سطح له، ومعه امرأته، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: ما رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله؛ قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأسرج له، وركب وركب معه نفر من أهل بيته، فيهم أخ له يقال له: حسان، وخرجوا لمطاردة البقر، فلما خرجوا تلقّتهم خيل رسول الله ﷺ، فشدت عليه، فاستأسر أكيدر، وامتنع أخوه حسان، وقاتل حتى قتل، وكان عليه قباء^(٢) من ديباج مخوص^(٣) بالذهب، فاستلبه خالد، وبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم، ويتعجبون منه، فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمثاديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا». قال: ولما أسير أكيدر وقيل حسان، هرب من كان معهما، فدخل الحصن، وأجاز خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل، وصالحه على ألفي بعير، وثمانمئة فرس، وأربعمئة درع وأربعمئة رمح، فعزل للنبي ﷺ صفيًا خالصاً، ثم أخرج الخمس، وقسم ما بقي بين أصحابه، ثم خرج خالد بأكيدر وبأخيه مصاد - وكان في الحصن - وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة، فقدم على رسول الله ﷺ بأكيدر، فأهدى له هدية، وصالحه على الجزية، وحقن دمه، ثم خلى سبيله، فرجع إلى قريته، فقال بجير بن بجرة^(٤): [من الوافر]

تبارك سائق البقرات إنني رأيت الله يهدي كل هاد

(١) أكيدر بن عبد الملك: (.... - ١٢ هـ = ٦٣٣ م) أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل (الجوف) في الجاهلية. له حصن وثيق. قيل أسلم. ولما قبض رسول الله ﷺ نقض أكيدر العهد. فأمر أبو بكر خالداً أن يسير إليه، فقصده خالد وقتله وفتح دومة الجندل. (الأعلام: ٢: ٦).

(٢) القباء: نوع من الثياب.

(٣) التخويص: التخويص بالذهب: أن يجعل للشيء صفائح من الذهب على قدر عرض خوص النخل وفي صورته.

(٤) بجير بن بجرة: بجير بن بجرة (بفتح أوله وسكون الجيم) الطائي. له في قتال أهل الردة آثار وأشعار ذكرها ابن سحاق. وذكر أنه استشهد بالقادسية انظر (الإصابة في تمييز الصحابة: ١ - ١٣٨، رقم الترجمة ٥٨٩).

فمن يك حائداً عن ذي تبوك فإننا قد أمرنا بالجهاد

قال محمد بن إسحاق: ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن ربيعة صاحب أيلة^(١)، فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جَرْبَاء^(٢)، وأذْرَح^(٣)، فأعطوه الجزية، وكتب رسول الله ﷺ لِيُحَنَّة كتاباً، وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أَمَنَةٌ^(٤) من الله ومحمد النبي رسول الله لِيُحَنَّة بن ربيعة وأهل أيلة؛ سَفْنَهُم وسيارتهم في البر والبحر، ولهم ذِمَّة الله ومحمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنَعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يردونه من برٍّ أو بحر».

قال: وكان رسول الله ﷺ قد استعمل على حرسه بتبوك عباد بن بشر، ثم انصرف رسول الله ﷺ ولم يَلَقَ كيداً.

وقدِم المدينة في شهر رمضان من السنة وجاءه من كان قد تخلف عنه، فحلفوا له، فعذرهم، واستغفَر لهم، وأرجأ أمرَ كعب بن مالك وصاحبيه، حتى نزلت توبتهم، على ما نذكر ذلك إن شاء الله في آخر هذه الغزوة.

قال: وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم، وقال: «لا تزال عِصَابَةٌ من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال».

وكان في غزوة تبوك وقائع غير ما قدّمناه، قد رأينا إيرادها في هذا الموضع. منها خبر مرور رسول الله ﷺ بالحجر.

ومنها ما أنزل في أمر المنافقين.

ومنها خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا، وما أنزل من توبتهم.

ذكر خبر مرور رسول الله ﷺ بالحجر وما قاله لأصحابه

قال محمد بن إسحاق: لما مرّ رسول الله ﷺ في سفره إلى تبوك بالحجر من مَدْيَن، نزلها واستقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال رسول الله ﷺ: «لا تشربوا من

(١) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام.

(٢) جَرْبَاء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام (ياقوت).

(٣) أذْرَح: بلد من أعمال الشراة من نواحي البلقاء (ياقوت).

(٤) أَمَنَةٌ: عهد.

مائها شيئاً، ولا يتوضأ منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فأعلفوه للأبل ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلاّ ومعه صاحب له»، ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ، إلاّ أنّ رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته، وخرج الآخر في طلب بغير له، فأما الذي ذهب لحاجته فإنه خُنِقَ على مذهبه^(١)؛ وأما الذي ذهب في طلب بغيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبل طيء، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «ألم أنهكم ألا يخرج منكم أحد إلاّ ومعه صاحبه»! ثم دعا للذي أصيب^(٢) فشفي، وأما الآخر فإن طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

قال ابن هشام: بلغني عن الزهري أنه قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحجر سجي^(٣) ثوبه على وجهه، واستحثّ راحلته، ثم قال: «لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلاّ وأنتم باكون خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

قال ابن إسحاق: لما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا، فأرسل الله تعالى سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء.

وفي هذه الغزوة ضلّت ناقة رسول الله ﷺ، وقال زيد بن لُصَيْب^(٤) ما قال، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال: فأخبر بشأنها ووُجِدَتْ كما وَصَفَ ﷺ على ما قدّمنا ذلك في أخبار المنافقين.

ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تبوك وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

كان ممن أنزل الله عز وجل فيه من القرآن ما أنزل في غزوة تبوك الجدّ بن قيس، وهو الذي قال لرسول الله ﷺ: ائذن لي ولا تفتني؛ وقد تقدّم خبره مع أخبار المنافقين.

وقال قوم منهم: لا تنفروا في الحرّ زهادة في الجهاد، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ۝٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَرَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ [التوبة: ٨١ - ٨٢]، وقال رهط من المنافقين: منهم

(١) خنق: صرح. المذهب: هنا، الموضع الذي يقضي فيه المرء حاجته.

(٢) عبارة الزرقاني: ٣: ٨٧: «ثم دعا للذي خنق على مذهبه».

(٣) سجي: غطى ثوبه، وضمه معنى وضع فقال: على وجهه.

(٤) ويقال فيه: «للصيت» بالتاء. والخبر في ابن هشام: ٤: ١٦٦.

وديعه بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع، حليف لبني سلمة يقال له: مَخْشُ بْنُ حُمَيْرٍ - وقيل: مَخْشِيٌّ - وغيرهما بعضهم لبعض: أتחסبون جِلاَد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنكم غداً بهم مقرنين في الجبال، يقولون ذلك إرجافاً^(١) وترهيباً للمؤمنين.

فقال مَخْشِي: والله لو ددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أو ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه؛ فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر^(٢): «أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل لهم: بلى قد قلت كذا وكذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فاتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. وقال مَخْشِي: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]. فكان مَخْشِي بن حمير ممن عفي عنه، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، ولم يوجد له أثر. والله الموفق للصواب.

ذكر خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا، وما أنزل فيهم وفي المعذرين من الأعراب

والثلاثة الذين خَلَفُوا لم يتخلفوا عن شك ولا نفاق، وهم: كعب بن مالك، ومُرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكان من خبرهم ما حدثنا به الشيخان المعمران المسندان شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب نعمة الصالح الحجار، وست الوزراء أم محمد وزيرة بنت القاضي شمس الدين عمر بن أسعد بن المنجي التَّوْخِيَّة الدِّمَشْقِيَّان قراءة عليهما، وأنا أسمع في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبعمائة بالمدرسة المنصورية بالقاهرة المعزّية، قالوا: حدثنا الشيخ سراج الدين أبو عبد الله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي، قال: حدثنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السُّجْزِي قراءة عليه ونحن نسمع، قال: حدثنا الشيخ أبو الحسن عبد

(١) إرجافاً: تهويلاً.

(٢) عمار بن ياسر: (٥٧ ق هـ - ٣٧ هـ = ٥٦٧ - ٦٥٧ م) عمار بن ياسر بن عامر الكناني. أبو اليقظان: صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهري به: هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا والخندق وبيعة الرضوان. وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام. شهد الجمل وصفين مع علي وقتل في الثانية وعمره ثلاث وتسعون سنة. (الأعلام: ٥: ٣٦).

الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك، - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال: سمعت كعب بن مالك^(١) يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد؛ ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها.

كان من خبري أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى^(٢) بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً^(٣) وعدواً كثيراً، فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك، ما لم ينزل فيه وحي الله عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الشمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادي بي حتى شمر بالناس بالجد. فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده يوم أو يومين، ثم ألحق بهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، ورجعت

(١) كعب بن مالك: (.... - ٥٠ هـ = ٦٧٠ م) كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري، السلمي الخزرجي: صحابي من أكابر الشعراء. من أهل المدينة. اشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي، وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان. ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه. وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة راجع. (الأعلام: ٥: ٢٢٨).

(٢) ورى: أوهم.

(٣) المفازة: الأرض التي لا يسكنها إنسان.

فلم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت، ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفريط^(١) الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ، فطفت فيهم أحزني أنني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً^(٢) عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُزْداه ونظره في عطفه^(٣). فقال معاذ بن جبل: بش ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ.

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني هَمِي، وطففت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظل^(٤) قادماً راح عني الباطل، وعرفت أنني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قديم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم يجلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبإيعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» فقلت: بلى والله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيتُ جدلاً^(٥)، ولكنني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد^(٦) عليّ فيه إني لأرجو فيه عفي الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقممت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه

(١) تفرط: فات وسبق.

(٢) مغموصاً: مطعوناً عليه في دينه، متهماً بالنفاق. وفي ابن هشام: ٤: ١٧٦: «في النفاق».

(٣) عطفه: كنى هنا عن إعجابه بنفسه وزهوه وتكبره.

(٤) أظل: قرب وأشرف.

(٥) أعطيت جدلاً: أي فصاحة وقوة كلام بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلي ولا يرد.

(٦) تجد: تغضب.

المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسولِ الله ﷺ، فوالله ما زالوا يؤثبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالاً مثل ما قلت، فقليل لهما مثل ما قيل لك؛ فقلت: من هما؟ قالوا: مُرارة ابن الربيع العُمري^(١)، وهلال بن أمية الواقفي^(٢)، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة؛ فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالتّي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق، فلا يكلمني أحد، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برّد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفّ نحوه أعرض عني، حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت^(٣) جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمّي، وأحبّ الناس إليّ، فسلمت عليه، فوالله ما ردّ عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحبّ الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت، فعدت له فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناى، وتولّيت حتى تسوّرت الجدار.

قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟، فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من ملك عَسّان، فإذا فيه: «أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نُواسيك». فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيّممت^(٤) بها التنور، فسجّرت^(٥) بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن

(١) مرارة بن الربيع: مرارة بن الربيع الأنصاري الأوسي من بني عمرو بن عوف. صحابي مشهور، شهد بدرًا، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٧٨٦٥).

(٢) هلال بن أمية: هلال بن أمية بن عامر بن قيس. الواقفي. شهد بدرًا وما بعدها. وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. (الإصابة في تمييز الصحابة: رقم الترجمة ٨٩٧٨).

(٣) تسوّرت: تسلقت.

(٤) تيممت: توخيت، قصدت.

(٥) سجّرت بها: أوقدته بالصحيفة.

تعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربنها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقني بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدّمه؟ فقال: «لا، ولكن لا يقربنك» قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي مذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب! فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا؛ فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت عليّ نفسي، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى^(١) على جبل سلع^(٢) بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل^(٣) صاحبي مبشرون، وركض رجل إليّ فرساً، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنى، نزع ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهتفون بالتوبة، يقولون: ليهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهتأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»؛ قال: قلت: أمّن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت:

(١) أوفى: أشرف.

(٢) سلع: جبل بالمدينة.

(٣) قبل صاحبي: نحو صاحبي.

يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله؛ قال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»، قلت: فإني أُمسِكُ سهمي الذي بخيبر، وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، والله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً، وإنني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي^(١)، فأنزل الله تعالى على رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَدَا مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

قال كعب: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله ﷺ ألا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّبُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٩٥﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِیَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ٩٦﴾ [التوبة: ٩٥-٩٦].

قال كعب: وكنا تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا^(٢) فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾.

وليس الذي ذكر الله مما خُلِفْنَا تخلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. انتهت غزوة تبوك، فلنذكر ما سواها من السرايا.

ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَانِ بنجران

بعثه رسول الله ﷺ إليهم في شهر ربيع الأول سنة عشر من هجرته، ولم يذكر من خبر هذه السرية غير هذا فنذكره.

(١) في كلا الأصلين: «بقيت» وما أثبتناه عن ابن هشام.

(٢) عبارة ابن هشام ٤: ١٨١: «حين حلفوا له فعذرهم».

ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن

يقال: بعثه رسول الله ﷺ مرتين: إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مهاجره ﷺ، وعقد له لواء، وعممه بيده، وقال: «امض لا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم، فلا تقايلهم حتى يقاتلوك»، فخرج في ثلثمائة فارس، وكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد، وهي بلاد مذحج، ففرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل على الغنائم بريدة بن الحصيب^(١) الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم علي رضي الله عنه بأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، ففرقوا وانهزموا، فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام، وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله، وجمع علي الغنائم فخمسها، وقسم على أصحابه بقية المغنم، ثم قفل، فوافى رسول الله ﷺ بمكة حين قدمها للحج سنة عشر. حكاه ابن سعد^(٢).

وقال محمد بن إسحاق، لما رجع علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن إلى مكة، دخل على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فوجدتها قد حلت فقال: مالك يا بنت رسول الله^(٣)؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعُمْرة فحللنا، ثم أتى رسول الله ﷺ، فلما فرغ من الخبر عن سفره، قال له رسول الله ﷺ: «انطلق فطف بالبيت وحل كما حل أصحابك» قال: يا رسول الله، إني أهلت بما أهلت^(٤)؛ قال: «فارجع فاحلل كما حل أصحابك» قال: يا رسول الله، إني قلت حين أحرمت: اللهم إني إهل بما أهل به نبيك، وعبدك ورسولك محمد، قال: «فهل معك من هذي»؟ قال: لا؛ فأشركه رسول الله ﷺ في هذيه، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج، ونحر رسول الله ﷺ الهذي.

قال: ولما أقبل علي من اليمن تعجل إلى رسول الله، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من

(١) بريدة بن الحصيب: (.... - ٦٣ هـ = ٦٨٣ - م) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي: من أكابر الصحابة، أسلم قبل بدر، ولم يشهدا. وشهد خيبر وفتح مكة. انتقل إلى البصرة، ثم إلى مرو فمات بها. (الأعلام: ٢: ٥).

(٢) ٢: ١٢٢ (قسم أول).

(٣) يعني أنه أنكر عليها ما فعلت.

(٤) أهلت: الهل: التلية.

البز^(١) الذي كان مع عليّ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل؛ قال: ويلك ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا إذا قدموا في الناس؛ قال: انزعها ويلك! قبل أن تنتهي بهم إلى رسول الله ﷺ، قال: فانتزع الحلل من الناس فردّها في البز، فاشتكى الناس عليّاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: «أيها الناس، لا تشتكوا عليّاً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله» أو «في سبيل الله^(٢)».

ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشّراء^(٣) ناحية البلقاء

وهذه السرية هي آخر سرية جهّزها رسول الله ﷺ، ومات قبل إنفاذها، وكانت لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة من هجرة رسول الله ﷺ، وكان فيها أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وقنادة بن النعمان، وسلم بن أسلم بن خريش، فتكلم قوم وقالوا: نستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة^(٤)، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغثني عن بعضكم في تأميري أسامة؟ ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وإيم الله إن كان للإمارة لخليفاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم»، ثم نزل فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول، وخرج الناس إلى الجُرف، فتوفي رسول الله ﷺ قبل خروج هذه السرية، فلما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه. كان أول ما بدأ به بعث أسامة.

هذا ما أمكن إirاده من غزوات رسول الله ﷺ وسراياه. فلنذكر حجّه وعمره ﷺ.

ذكر حج رسول الله ﷺ وعمره

قالوا: حج رسول الله ﷺ قبل هجرته إلى المدينة حجتين، ولم يحج بعد الهجرة إلا حجة الوداع، وهي في السنة العاشرة، وكانت فريضة الحج نزلت في السنة السادسة من الهجرة، وفتحت مكة في سنة ثمان، فاستخلف رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد، فحج بالناس تلك السنة، وفي السنة التاسعة حج أبو بكر الصديق رضوان الله عليه

(١) حلة من البز: نوع من الثياب.

(٢) في ابن هشام: ٤: ٢٥٠: «في سبيل الله من أن يشتكي».

(٣) الشراء: شراة الشام، وهي أرض معروفة، وبها الكهف والرقيم. (معجم البلدان).

(٤) قطيفة: دثار.

بالناس، كما قدّمنا ذكر ذلك في مواضعه، فلما كان في السنة العاشرة أذن في الناس أن رسول الله ﷺ حاج، فقدم المدينة بشرّ كثير كلّمهم يلتمس أن يأتّم برسول الله ﷺ، ويعمّل مثل عمله، وخرج رسول الله ﷺ من المدينة مغتسلاً مذهباً مترجلاً متجرّداً في ثوبين صُحاريّين^(١): إزار^(٢) ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ بقين من ذي القعدة سنة عشر من مهاجره، واستعمل على المدينة أبا دُجّانة الساعدي - ويقال: سباع بن عُرفطة الغفاري - قالوا: وصلى الظهر بذي الحليفة ركعتين، وأخرج معه نساء كلهن في الهودج، وأشعر^(٣) هديه وقلّده، ثم ركب ناقته، فلما استوى عليها بالبيداء أحرم من يومه، وكان على هديه ناجية بن جندب، وقيل: إنه أهلّ بالحج مفرداً، وقيل: قرّنه بعُمرة، ومضى ﷺ يسير المنازل ويؤم أصحابه في الصلاة في مساجد له قد بناها الناس، فكان يوم الاثنين بمرّ الظُهران، فغربت له الشمس بسرف، ثم أصبح فاغتسل ودخل مكة نهراً وهو على راحلته القُصواء، وكان تحته ﷺ رخل رث عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال: «اللهم اجعله حجّاً لا رياء^(٤) فيه ولا سُمعة»، فدخل من أعلى مكة من كداء حتى انتهى إلى باب بني شيبه، فلما رأى البيت رفع يديه فقال: «اللهم زد هذا البيت تشريقاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وعظمه ممّن حجّه واعتمره تشريقاً وتكريماً ومهابة وتعظيماً وبرّاً»؛ ثم بدأ فطاف بالبيت، ورمل^(٥) ثلاثة أشواط من الحجر إلى الحجر، وهو مضطجع^(٦) بردائه، ثم صلى خلف المقام ركعتين، ثم سعى بين الصفا والمروة على راحلته من فوره ذلك، وكان قد اضطرب بالأبطح، فرجع إلى منزله، فلما كان قبل يوم التروية^(٧) بيوم خطب بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية إلى منى، فبات بها، ثم غدا إلى عرفات، فوقف بالهضاب منها وقال: «كلّ عرفة [موقفٌ إلّا بطن عُرنة]^(٨)»، فوقف على راحلته يدعو، فلما غربت الشمس دفع فجعل يسير العنق^(٩) حتى جاء المزدلفة، فنزل قريباً من الغار، فصلى المغرب

(١) ثوب صحاري: نسبة إلى قرية في اليمن اسمها: «صحار».

(٢) إزار: ملحفة.

(٣) أشعر هديه: الهدى: الأضحيات، وأشعرها: جعل لها علامة مميزة.

(٤) رياء: خداع.

(٥) رمل: هرول.

(٦) اضطجع بالرداء: أدخله تحت إبطه الأيمن، ورد طرفه على يساره وأبدي منكبه الأيمن وغطى الأيسر.

(٧) التروية: يوم قبل يوم عرفة. الثامن من ذي الحجة راجع (اللسان: روي).

(٨) الزيادة عن ابن سعد: ٢: ١٢٥.

(٩) العنق: ضرب من السير.

والعشاء، بأذان وإقامتين، ثم بات بها، فلما برق الفجر صلى الصبح، ثم ركب راحلته، فوقف على قُزَح^(١) وقال: «كَلَّ المزدلفة موقِفٌ إلَّا بطن محسّر^(٢)»، ثم دفع قبل طلوع الشمس، فلما بلغ إلى محسّر أوضع^(٣)، ولم يزل يلتي حتى رمى جَمرة العقبة، ثم نحر الهذلي وحلّق رأسه، وأخذ من شاربيه وعارِضيه، وقلم أظفاره، وأمر بشعره وأظفاره أن تُدفن، ثم أصاب الطيب، ولبس القميص، ونادى مناديه بمنى؛ إنها أيام أكلٍ وشرب وباءة^(٤)، وجعل يرمي الجِمار في كل يوم عند زوال الشمس، ثم خطب الغد من يوم النحر بعد الظهر على ناقته القُضواء، ثم صَدَرَ يومَ الصَّدَرِ الآخر، وقال: «إنما هن ثلاث يقيمنَ المهاجر بعد الصَّدَرِ»، يعني بمكة، ثم ودّع البيت، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة.

ذكر الخطبة التي خطبها رسول الله ﷺ

قال محمد بن إسحاق: خطب رسول الله ﷺ خطبته التي بين فيها ما بين فحميد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس، اسمعوا قلبي، فإنني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً. أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا، وإنكم ستلقون ربكم فيسألُكم عن أعمالكم، وقد بلغتُ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن كل ربا موضوع، وإن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، قضى الله أنه لا ربا، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله، وأن كل دم في الجاهلية موضوع، وأن أول دمائكم أضغ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية».

«أما بعد، أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به، ممّا تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم».

«أيها الناس، إن النسيء^(٥) زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يُجلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيُحلّوا ما حرم الله ويحرّموا ما أحلّ الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا

(١) قزح: جبل بالمزدلفة.

(٢) بطن محسّر: وادٍ بالمزدلفة.

(٣) أوضع: من الوضع (محركة) وهو أهون سير الدواب.

(٤) الباءة: الاعتراف (اللسان - بواً).

(٥) النسيء: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية (اللسان: نساء).

عشر شهراً منها أربعة حُرْم، ثلاثة متوالية، ورجب مُضَر الذي بين جُمادى وشعبان.

«أما بعد أيها الناس، فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهنّ عليكم حقاً، عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، وعليهنّ ألا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مبرح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهنّ عندكم عوان، لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، وإنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فاعقلوا أيها الناس قولي، فإنّي قد بلغتُ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً، أمراً بيناً: كتاب الله وسنة نبيّه».

«أيها الناس، اسمعوا قولي، واعقلوه، تعلّمن أن كلّ مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرءٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس، فلا تظلمنّ أنفسكم، اللهم هل بلغتُ»، فقال الناس: اللهم نعم، فقال: «اللهم اشهد».

وقال ابن إسحاق أيضاً: حدّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كان الرجل الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف. قال: يقول له رسول الله ﷺ: «قل يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أي شهر هذا؟ فيقولون: الشهر الحرام، فيقول لهم: «إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا». ثم يقول: «قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول: هل تدرون أي بلد هذا؟ قال: فيصرخ به، قال: فيقولون: البلد الحرام، قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا»، ثم يقول: «قل يا أيها الناس، إن رسول الله ﷺ يقول هل تدرون أي يوم هذا؟ فيقولون: يوم الحج الأكبر؛ قال: فيقول: «قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا».

وعن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله ﷺ، وإن لغامها^(١) ليقع على رأسي، فسمعتة وهو يقول: «أيها الناس؛ إن الله قد أدى إلى كل ذي حقّ حقّه، وإنه لا تجوز وصية لوارث، والولد للفراش، وللعاهر الحجر، ومن ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً».

(١) لغم الجمل: رمى بلغامه، أي بزبده.

وَأَمَّا عُمَرُ ﷺ

فقد رَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعَ عُمَرٍ: عُمَرَةَ الْحَدِيثِيَّةِ، وَهِيَ عُمَرَةُ الْحَصْرِ، وَعُمَرَةُ الْقَضَاءِ مِنْ قَابِلٍ، وَعُمَرَةُ الْجِعْرَانَةِ وَالرَّابِعَةُ الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ.

وَعَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ: كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعًا عَدَّ مِنْهَا عُمَرَتَهُ مَعَ حَجَّتِهِ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ذَكَرَ عُمَرَةَ الْحَدِيثِيَّةِ مَعَ الْغَزَوَاتِ، وَذَكَرْنَا عُمَرَةَ الْجِعْرَانَةِ عِنْدَ ذِكْرِنَا لِقَسَمِ مَغَانِمِ حُنَيْنٍ وَعُمَرَتَهُ مَعَ حَجَّتِهِ قَدْ اخْتَلَفَ فِيهَا.

وَأَمَّا عُمَرَةُ الْقَضَاءِ

فَقَدْ أَوْرَدَهَا بَعْضُ أَهْلِ السِّيَرِ فِي الْغَزَوَاتِ وَتَرْجَمَ عَلَيْهَا: «عُمَرَةُ الْقَضِيَّةُ» وَحُجَّةٌ مِنْ أَوْرَدَهَا فِي الْغَزَوَاتِ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ مَعَهُ السِّلَاحَ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ ﷺ لِقَصْدِ الْغَزَاةِ، وَإِنَّمَا خَرَجَ بِهِ احتياطاً. وَكَانَ مِنْ خَبَرِ هَذِهِ الْعُمَرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا اسْتَهْلَ هَالَالَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنْ مُهَاجَرِهِ أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ لِعَمَرَتِهِمُ الَّتِي صَدَّهِمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِيَّةِ، وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحَدِيثِيَّةَ، فَلَمْ يَتَخَلَّفَ مِنْهَا إِلَّا مَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ بِخَيْبَرٍ، وَخَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عُمَاراً مِمَّنْ لَمْ يَشْهَدْ الْحَدِيثِيَّةَ، فَكَانُوا فِي عُمَرَةِ الْقَضِيَّةِ أَلْفَيْنِ، وَاسْتَخَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا ذَرَّ الْغِفَارِيَّ، حَكَاهُ ابْنُ سَعْدٍ - وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: عُوَيْفُ بْنُ الْأَضْبَطِ الدِّيَلِيُّ - وَسَاقَ ﷺ سَتِينَ بَدَنَةً، وَجَعَلَ عَلَى هَذِهِ نَاجِيَةً بَنَ جُنْدَبُ الْأَسْلَمِيُّ.

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: وَحَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّلَاحَ وَالْبَيْضَ وَالذُّرُوعَ وَالرِّمَاحَ، وَقَادَ مَائَةَ فَرَسٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ، قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ، عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ، وَقَدَّمَ السِّلَاحَ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بِشِيرَ بْنَ سَعْدٍ، وَأَحْرَمَ ﷺ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، وَلَبَّى وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ يَلْبُونُ. وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظُّهْرَانِ فَوَجَدَ بِهَا نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصْبِحُ هَذَا الْمَنْزَلَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَأَتُوا قُرَيْشًا بِالْخَبَرِ، فَفَزَعُوا، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَرِّ الظُّهْرَانِ، وَقَدَّمَ السِّلَاحَ إِلَى بَطْنِ يَأْجُجٍ حَيْثُ [يَنْظُرُ] ^(١) إِلَى أَنْصَابِ ^(٢) الْحَرَمِ، وَخَلَفَ عَلَيْهِ أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ فِي مَائَتِي رَجُلٍ، وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْهَذْيَ أَمَامَهُ، فَحُبِسَ بِذِي طَوًى، وَخَرَجَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصَوَاءِ وَالْمُسْلِمُونَ مَتَوَشِّحُونَ السِّيُوفَ، مُحَدِّقُونَ بِهِ ﷺ يَلْبُونُ، فَدَخَلَ عَلَى الثَّنِيَّةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْحَجُّونِ، وَعَبَدَ

(١) التكملة عن الزرقاني: ٢ : ٣٠٥ وابن كثير: ٤ : ٢٣١.

(٢) الأنصاب: الأصنام.

الله بن رواحة أخذ بزمام راحلته وهو يقول: [من الرجز]

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
يا رب إني مؤمن بقبيله أعرف حق الله في قبوله^(١)
نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل على خليله^(٢)

قال ابن هشام: قوله: «نحن قتلناكم على تأويله» إلى آخر الأبيات، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم.

قال ابن سعد: ولما ارتجز ابن رواحة قال له عمر بن الخطاب: إيهأ^(٣) يا بن رواحة! فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، إني أسمع»؛ فأسكت عمر، وقال رسول الله ﷺ: إيهأ يا بن رواحة!، قل لا إله إلا الله وحده، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده»، فقالها ابن رواحة. ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمخجنه مضطجاً بثوبه، وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطجعوا بشياهم، ثم طاف بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه وقد وقف الهدي عند المروة قال: «هذا المنحر^(٤)»، وكل فجأج مكة منحر، فنحر عند المروة، وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون، وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم؛ ففعلوا، وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً، وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، فلما كان عند الظهر من اليوم الرابع أتاه سهيل بن عمرو وخويطب بن عبد العزى فقالا: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فأمر أبو رافع فنادى بالرحيل وقال: لا يمسين بها أحد من المسلمين، وأخرج عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب من مكة، وركب رسول الله ﷺ حتى نزل سرف وتنام الناس إليه، وأقام أبو رافع بمكة حتى أمسى، فحمل إليه ميمونة فبنى^(٥) عليها ﷺ بسرف، ثم أدلج^(٦) فسار حتى قدم المدينة صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

كمل الجزء السابع عشر من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري رحمه الله. ويليه الجزء الثامن عشر وأوله: (وفادات العرب على رسول الله ﷺ).

(٢) الخليل: الحبيب.

(١) قيله: دعواه.

(٣) إيهأ: كلمة استزادة واستتطاق.

(٤) المنحر: المكان الذي تنحر عنده الأضحيات.

(٦) أدلج: سار ليلاً.

(٥) بنى عليها: تزوجها.

فهرس المحتويات

٣	ذكرُ غزوات رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك من الوقائع التي لم تُذكر في حوادث السنين لتعلقها بالغزوات
٤	ذكر أول لواء عقده ﷺ
٤	ذكر سرية عُبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ
٥	ذكر سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار
٦	ذكر غزوة الأبواء وهي غزوة ودان وبينهما ستة أميال
٦	ذكر غزوة بواط
٧	ذكر غزوة بدر الأولى
٧	ذكر غزوة ذي العُشيرة
٨	ذكر سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة
١٠	ذكر غزوة بدر الكبرى، ويقال فيها بدر القتال، وما يتصل بها
١١	ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب وخروج قريش إلى بدر
١٤	ذكر خروج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين إلى بدر
	ذكر ورود الخبر بمُصاب أهل بدر على من بمكة من كفار قريش وهلاك أبي لهب بن عبد المطلب
٢٦	ذكر تسمية من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار مع رسول الله ﷺ
٣٣	ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزاة بدر
٣٤	ذكر تسمية من قُتل من المشركين في غزوة بدر

- ٣٨ ذكر تسمية من أسير من المشركين في غزوة بدر
- ذكر خبر أسارى بدر وما كان من فدائهم، ومن منّ عليه رسول الله ﷺ
 (وأطلقه منهم)، ومن أسلم بسبب ذلك ٤١
- ذكر خبر أبي سفيان في أمر ابنه عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه ٤٣
- ذكر خبر أبي العاص بن الربيع في فدائه وإرساله زينب بنت رسول
 الله ﷺ من مكة إلى المدينة وإسلامه بعد ذلك، وردّ زينب عليه بغير
 نكاح جديد ٤٣
- ذكر خبر الوليد بن الوليد بن المغيرة ٤٦
- ذكر من منّ عليه رسول الله ﷺ من أسارى بدر وأطلقه بغير فداء ٤٦
- ذكر خبر عُمير بن وهب وإسلامه، وإطلاق ولده وهب بن عمير ٤٧
- ذكر سرية عُمير بن عديّ بن خَرَشَةَ الخَطَمِيّ إلى عَصْمَاء بنت مروان من
 بني أميّة بن زيد ٤٩
- ذكر سرية سالم بن عُمير العُمريّ إلى أبي عَفْكَ اليهوديّ ٥٠
- ذكر غزوة بني قَيْنُقَاع (وهي بضم النون وقيل بكسرهما) ٥٠
- ذكر غزوة السَّوَيْق ٥٢
- ذكر غزوة قَرْقَرَةَ الكُذْر ويقال قَرَارَةَ الكُذْر وهي غزوة بني سُلَيْم ٥٣
- ذكر مقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ وخبر سريته ٥٣
- ذكر غزوة غَطَفَان إلى نجد (وهي غزوة ذي أمر؛ ناحية النُّخَيْل، وقصة
 دُعْثُور بن الحارث) ٥٧
- ذكر غزوة بني سُلَيْم بِبُحْرَان ٥٨
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدَةِ (بالقاف، وضبطه ابن الفرات بالفاء
 وكسر الراء المهملة) ٥٩
- ذكر غزوة أحد ٥٩

- ذكر خبر مقتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وما فعلته هند بنت عتبة، وما قالته من الشعر، وما أُجيب به ٧٣
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم أحد ٧٦
- ذكر تسمية من قُتل من المشركين يوم أحد ٧٩
- ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة أحد، وما ورد في تفسير ذلك ٨٠
- ذكر غزوة حمراء الأسد ٩١
- ذكر سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ٩٢
- ذكر سرية عبد الله بن أنيس إلى سُفيان بن خالد الهذلي ٩٢
- ذكر سرية المُنذر بن عمرو السَّاعديّ إلى بئر معونة ٩٤
- ذكر سرية مرثد بن أبي مرثد الغنويّ إلى الرّجيع ٩٦
- ذكر غزوة بني النضير ٩٩
- ذكر قصة برصيصا ١٠٦
- ذكر غزوة بدر الموعد ١١٠
- ذكر غزوة ذات الرّقاع، وخبر صلاة الخوف وقصة غورث بن الحارث المحاربي، وخبر جابر بن عبد الله ١١٣
- ذكر خبر غورث بن الحارث المحاربيّ لما أراد أن يفتك برسول الله ﷺ فحمّاه الله منه وأمكن نبيه ﷺ من عدوّه وعفوه عنه ١١٤
- ذكر خبر جابر بن عبد الله في جمّله، واستغفار النبي ﷺ لأبيه ١١٥
- ذكر غزوة دومة الجندل ١١٧
- ذكر غزوة بني المُضطَلق، وهي غزوة المُريّسيّ ١١٧
- ذكر غزوة الخندق، وهي غزوة الأحزاب ١١٩
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة الخندق ومن قُتل من المشركين ١٢٨

- ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ من القرآن في غزوة الخندق وما ورد في تفسير ذلك ١٢٨
- ذكر غزوة بني قُرَيْظَةَ ١٣٤
- ذكر نزول بني قريظة على حكم رسول الله ﷺ وسؤال الأوس فيهم؛ وتحكيم سعد بن معاذ وحكمه فيهم بحكم الله تعالى وقتلهم ١٣٦
- ذكر سرية عبد الملك بن عَتِيكَ إلى أبي رافع سلام ابن أبي الحُقَيْق النضريّ بخيبر ١٤٠
- ذكر سرية محمد بن مسلمة إلى القُرطاء، وهم بنو قُرط وقُرَيْط من بني كلاب ١٤٢
- ذكر غزوة بني لَحْيَان بناحية عُسْفَان ١٤٣
- ذكر غزوة الغابة، وهي غزوة ذي قَرَد وهي على بريد من المدينة في طريق الشام ١٤٣
- ذكر سرية عُكاشة بن مِحْصَن الأسديّ إلى العُمُر غمر مرزوق، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من قَيْد ١٤٥
- ذكر سرية محمد بن مُسلمة إلى بني ثعلبة بذي القَصَّة ١٤٥
- ذكر سرية أبي عُبيدة بن الجراح إلى ذي القَصَّة ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى بني سُلَيْم بالجُموم ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى العيص لِعِير قريش ١٤٦
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف إلى بني ثعلبة ١٤٧
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى جِسْمَى، وهي وراء وادي القُرَى ١٤٧
- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القُرَى ١٤٨
- ذكر سَرِيَّة عبد الرحمن بن عَوْف إلى دُومة الجندل ١٤٨
- ذكر سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى بني سعد بن بكر بِفَدَك ١٤٩

- ذكر سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى وقتل أم قرفة ١٤٩
- ذكر سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير ابن رزام اليهودي بخير ١٥٠
- ذكر سرية كرز بن جابر الفهري إلى العرنيين ١٥١
- ذكر سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب بمكة ١٥٢
- ذكر غزوة الحديبية وما وقع فيها من بيعة الرضوان ومهادنة قريش وغير ذلك ١٥٤
- ذكر بيعة الرضوان ١٦١
- ذكر هُدنة قريش وما وقع فيها من الشروط ١٦٢
- ذكر رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة ونزول سورة الفتح ١٦٥
- ذكر خبر أبي بصير ومن لحق به وانضم إليه ١٧٣
- ذكر غزوة خيبر وفتحها وما يتصل بذلك ١٧٥
- ذكر تسمية من استشهد من المسلمين في غزوة خيبر ١٨٣
- ذكر قسم غنائم خيبر ١٨٤
- ذكر تسمية من قسم لهم رسول الله ﷺ من الكُتَيْبَةِ التي خرجت للخمس وما أعطاهم منها ١٨٥
- ذكر خبر الحجاج بن علاط وما أوصله إلى أهل مكة عن رسول الله ﷺ حتى استوفى أمواله ١٨٧
- ذكر انصراف رسول الله ﷺ عن خيبر إلى وادي القرى، ونومهم عن صلاة الصبح ١٨٩
- ذكر سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة ١٩٠
- ذكر سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد ١٩١
- ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك ١٩١

- ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميعة ١٩٢
 ذكر سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يمن وجبار ١٩٣
 ذكر سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم ١٩٣
 ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوحة بالكديد ١٩٣
 ذكر سرية غالب بن عبد الله الليثي أيضاً إلى مصاب أصحاب بشير بن
 سعد بفدك ١٩٤
 ذكر سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسبي ١٩٥
 ذكر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح ١٩٥
 ذكر سرية مؤتة ١٩٥
 ذكر تسمية من استشهد من المسلمين يوم مؤتة ١٩٩
 ذكر سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ١٩٩
 ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح، وهي سرية الخبط ٢٠٠
 ذكر سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة وهي أرض محارب بنجد ... ٢٠١
 ذكر سرية أبي قتادة ربعي الأنصاري إلى بطن إضم ٢٠١
 ذكر غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح والسبب الذي أوجب نقض العهد
 وفسخ الهدنة ٢٠١
 ذكر خبر حاطب بن أبي بلتعة في كتابه إلى أهل مكة، وإعلام الله تعالى
 نبيه ﷺ بذلك، وأخذه الكتاب، وما أنزل الله عز وجل في ذلك من
 القرآن ٢٠٤
 ذكر خروج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، ومن جاءه في طريقه قبل
 دخول مكة ٢٠٨
 ذكر مجيء العباس بأبي سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ، وإسلام أبي
 سفيان، وخبر الفتح ٢١٠

- ذكر دخول رسول الله ﷺ وأصحابه مكة شرفها الله تعالى صلحاً، ودخول
 خالد بن الوليد ومن معه من القبائل غنوة ٢١٢
- ذكر من أمر رسول الله ﷺ بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك، ومن قتل
 منهم، ومن نجا بإسلامه ٢١٦
- ذكر إسلام أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
 تيم بن مرة بن كعب ٢١٧
- ذكر دخول رسول الله ﷺ المسجد، وطوافه بالبيت ودخوله الكعبة، وما
 فعل بالأصنام ٢١٩
- ذكر سرية خالد بن الوليد إلى العزى وهزمها ٢٢١
- ذكر سرية عمرو بن العاص إلى سواع وكسره ٢٢١
- ذكر سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة ٢٢٢
- ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة،
 وهو يوم الغميصاء ٢٢٢
- ذكر غزوة حنين، وهي إلى هوازن وثقيف ٢٢٨
- ذكر سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكففين ٢٣٦
- ذكر غزوة الطائف ٢٣٦
- ذكر مسير رسول الله ﷺ إلى الجعرانة وقسم مغانم حنين، وما أعطاه
 المؤلفة ٢٣٩
- ذكر قدوم وفد هوازن على رسول الله ﷺ وإسلامهم وردّ السبايا إليهم ٢٤٠
- ذكر تسمية من بايع رسول الله ﷺ من قريش وغيرها عند قسم مغانم حنين ٢٤٤
- ذكر مقالة الأنصار في أمر قسم الفيء، وما أجابهم به رسول الله ﷺ،
 ورضاهم به ٢٤٥
- ذكر استخلاف رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على مكة ورجوعه إلى المدينة ٢٤٦

- ذكر سرية عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنِ الفَزَارِيِّ إلى بني تميم ٢٤٦
 ذكر خبر الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط مع بني المُضَطَّلَق ٢٤٧
 ذكر سرية قُطْبَةَ بن عامر بن حديدة إلى خُثْعَم ٢٤٧
 ذكر سرية الضحَّاك بن سُفْيَانَ الكلابِيِّ إلى بني كلاب ٢٤٨
 ذكر سرية عَلْقَمَةَ بن مُجَزَّز المَدْلِجِيِّ إلى الحَبْشَةِ ٢٤٨
 ذكر سرية عَلِيِّ بن أَبِي طالب رضي الله عنه إلى الفُلسِ صنم طِيء ٢٤٩
 ذكر سرية عُكَّاشَةَ بن مِخْصَنِ الأَسَدِيِّ إلى الجَنَاب ٢٤٩
 ذكر غَزْوَةُ تَبُوك ٢٤٩
 ذكر سرية خالد بن الوليد إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك ٢٥٢
 ذكر خبر مرورِ رسولِ الله ﷺ بالحِجْر وما قاله لأصحابه ٢٥٣
 ذكر أخبار المنافقين وما تكلموا به في غزوة تَبُوك وما أنزل الله عز وجل
 فيهم من القرآن ٢٥٤
 ذكر خبر الثلاثة الذين خَلَفُوا، وما أنزل فيهم وفي المعذِّرين من الأعراب ٢٥٥
 ذكر سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَانِ بَنَجْرَان ٢٦٠
 ذكر سرية عَلِيِّ بن أَبِي طالب رضي الله عنه إلى اليمن ٢٦١
 ذكر سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أرض الشَّراة ناحية البَلْقَاء ٢٦٢
 ذكر حجِّ رسولِ الله ﷺ وعُمَرِهِ ٢٦٢
 ذكر الخطبة التي خطبها رسولُ الله ﷺ ٢٦٤

نَهْائَةُ الْأَدَبِ

فِي

فُنُونِ الْأَدَبِ

تَأْلِيفُ

شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ النَّوِيرِيِّ

الْمُتَوَفَّى ٧٣٣ هـ

الجزء الثامن عشر

تحقيقه

الأستاذ عبد المجيد ترحيني

منشورات

محمّد رجاويّة بيروت

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه توفيقى

ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ

وما يتصل بذلك

كانت أكثر وفادات العرب على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة؛ ولذلك سُميت سنة الوفود. وذلك أن العرب إنما كانوا ينتظرون فتح مكة وإسلام هذا الحي من قريش؛ فلما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ مكة - شرفها الله تعالى - وأسلم من أسلم من قريش، وفدت عند ذلك وفادات العرب من كل قبيلة وجهة، ودخلوا في دين الله أفواجًا، كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر: ١ - ٣].

وقد رأينا إيراد ذلك على نحو ما أوردَه أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع في طبقاته الكبرى، ونذكر ما أوردَه ابن سعد ممن ذكرهم أبو محمد عبد الملك بن هشام رحمه الله، إلا أننا نبدأ من ذلك بذكر من وفد على رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، ثم نذكر من وفد عليه ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وقبل فتح مكة، نقدمهم على حسب السابقة، ثم نذكر من عدا هؤلاء من الوفود الذين وفدوا في سنة تسع وما بعدها؛ نرتبهم على ما رتبهم محمد بن سعد في طبقاته في التقديم والتأخير، ونستثني منهم من تقدم ذكره؛ فنقول وبالله التوفيق:

ذكر من وفد على رسول الله ﷺ

وهو بمكة قبل الهجرة

وفد عليه ﷺ وهو بمكة غفار، وأزد شنوءة، وهمدان، والطفيل بن عمرو الدوسي، ونصاري الحبشة.

ذكر وفد غفار وقصة أبي ذر الغفاري في سبب إسلامه

رَوَى الشَّيْخُ الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله في كتابه المترجم بـ «دلائل النبوة» بسنده إلى عبد الله بن الصَّامِت، قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: خرجنا عن قَوْمنا غِفَار، وكانوا يُجِلُّونَ الشَّهْرَ الحَرَامَ، فخرجت أنا وأخي أَنِيس وأُمْنَا، فَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا ذِي مَالٍ وَذِي هَيْئَةٍ، فَأَكْرَمَنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمُ أَنِيسٌ، قَالَ: فَجَاءَ خَالُنَا فَتَنَّا^(١) عَلَيْنَا مَا قِيلَ لَهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَذَرْتَهُ، وَلَا جِمَاعَ^(٢) لَكَ فِيهَا بَعْدَ. قَالَ: فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا^(٣) فَأَحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا وَيَغْطِي خَالَنَا ثَوْبُهُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَأَنْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ، فَنَافَرَ أَنِيسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا، فَأَتَيْنَا الْكَاهِنَ فَخَبَّرَ أَنِيسًا، فَأَتَانَا بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَقَدْ صَلَّيْتُ يَا بَنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ. قَالَ ابْنُ الصَّامِتِ: فَقُلْتُ لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ. قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ وَجَّهَنِي اللَّهُ؛ أَصَلِّيْتُ عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ^(٤) - يَعْنِي الثَّوْبَ - حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ. فَقَالَ أَنِيسٌ: إِنَّ لِي صَاحِبًا بِمَكَّةَ فَأَكْفِنِي حَتَّى آتِيكَ. فَأَنْطَلَقَ أَنِيسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَرَأَتْ^(٥) عَلِيَّ، ثُمَّ أَتَانِي فَقُلْتُ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: لَقِيْتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ عَلَيَّ دِينَكَ. قَالَ: مَاذَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهِ؟ قَالَ: يَقُولُونَ إِنَّهُ شَاعِرٌ وَسَاحِرٌ وَكَاهِنٌ. قَالَ: وَكَانَ أَنِيسٌ أَحَدَ الشُّعْرَاءِ - وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ بِأَشْعَرَ مِنْ أَخِي أَنِيسٍ - لَقَدْ نَاقَضَ اثْنِي عَشَرَ شَاعِرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنَا أَحَدُهُمْ. قَالَ فَقَالَ أَنِيسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهْنَةِ فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ^(٦) الشُّعْرَ فَلَمْ يَلْتَمِمْ، وَمَا يَلْتَمِمْ وَاللَّهِ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ لَهُ هَلْ أَنْتَ كَافِيٌّ حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَنْظُرَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ! وَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى حَذَرٍ، فَإِنَّهُمْ قَدْ شَنَفُوا^(٧) لَهُ وَتَجَهَّمُوا. فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى قَدِمْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَفْتُ^(٨) رَجُلًا مِنْهُمْ فَقُلْتُ:

(٢) الجماع: الاجتماع.

(١) أي حدثنا به.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل.

(٤) الخفاء بالكسر: الكساء، وكل شيء غطيت به فهو خفاء.

(٦) أقراء الشعر: طرده وأنواعه.

(٥) راث: أبطأ.

(٨) تضعفت: أي استضعفت.

(٧) شنف له: أبغضه وتنكره.

أين هذا الذي تدعونه الصابىء؟ قال: فأشار إليّ، الصابىء! فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة^(١) وعظم حتى خَرَرْتُ مغشياً عليّ. قال: فارتفعت حين ارتفعت كأنني نُضِبٌ^(٢) أحمر، فأتيت زَمْزَمَ فشربت من مائها، وغسلت عني الدّم، ودخلت بين الكعبة وأستارها، ولقد لبثت يابن أخي ثلاثين من بين ليلة ويوم وما لي طعام إلا ماء زمزم، فسمِنتُ حتى تكسّرت عُكْنُ^(٣) بطني، وما وجدت على كبدي سُخْفَةً جوع^(٤). قال: فبينما أهل مكة في ليلة قمرء^(٥) إضحيان^(٦)، قد ضرب الله على أضْمِخَةٍ^(٧) أهل مكة فما يطوف بالبيت أحدٌ غير امرأتين وهما تدعوان إسافاً^(٨) ونائلة، فأتتا عليّ في طوافهما فقلت: أنكحاهما إحداهما الأخرى، فما ثناهما ذلك عما قالتا. فأتتا عليّ فقلت: هُنَّ مثل الخشبة غير آتِي لا أَكْنِي، فأنطلقتا تُولُولَانِ وتقولان: لو كان هاهنا أحدٌ من أنفارنا! قال: فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر وهما هابطان من الجبل، فقال لهما: ما لكما؟ قالتا: الصابىء بين الكعبة وأستارها. قالا: ما قال لكما؟ قالتا: قال لنا كلمة تملأ الفم. فجاء رسول الله ﷺ هو وصاحبه فاستلم الحجر ثم طاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلّى، فلما قضى صلاته قال أبو ذر: فأتيته فكنتُ أول من حيّاه بتحية الإسلام؛ فقال: «وعليك ورحمة الله»، ثم قال: «ممن أنت؟» قلت: من غِفَار، قال: فأهوى بيده فوضع يده على جبينه، فقلت في نفسي: كره أني أنتميت إلى غِفَار، قال: فأهَوَيْتُ لآخِذَ بيده، فَقَدَعَنِي^(٩) صاحبه وكان أعلم به مني، ثم رفع رأسه فقال: «متى كنت هاهنا؟» قلت: منذ ثلاثين من ليلة ويوم، قال: «فمن كان يطعمك؟» قلت: ما كان لي من طعام إلا ماء زمزم، فسمِنتُ حتى تكسّرت عُكْنُ بطني، وما وجدت على كبدي سُخْفَةً جوع، فقال رسول الله ﷺ: «إنها مباركة، إنها طعام طُعِم^(١٠)»، وشفاء سُقْمٍ فقال أبو بكر: يا رسول الله! ائذن لي في إطعامه الليلة،

(١) المدرة: جمع المدر، وهو الطين اللزج المتماسك.

(٢) النصب: الصنم، والمراد صار كالنصب المحمر بدم الذبائح.

(٣) العكن: واحدها العكنة، وهي ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

(٤) سخفة الجوع: رفته وهزاله.

(٥) قمرء: مقمرة.

(٦) إضحيان: مضية.

(٧) الأضمخة: جمع الصماخ، وهي قناة الأذن التي تغطي إلى طبلته؛ وضرب الله على صماخه: أي أنامه.

(٨) إساف ونائلة: صنمان.

(٩) قدع: منع.

(١٠) الطعام الطعم: أي يشبع الإنسان إذا شرب ماءها كما يشبع من الطعام.

ففعل، فأنطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر، وأنطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان ذاك أول طعام أكلته بها، قال: فَعَبَرْتُ^(١) ما عَبَرْتُ، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إني وُجِّهْتُ إلى أرض ذات نخل لا أحسبها إلا يَثْرِبَ، فهل أنت مبلغ عني قومك لعل الله أن ينفعهم بك، ويأجرك فيهم؟» قال: فأنطلقت حتى أتيت أخي أنيسًا فقال لي: ما صنعت؟ قلت: أَسْلَمْتُ وصدقت. قال: فما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت. ثم أتينا أُمًّا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدقت، قال: ثم أحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا، فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان يؤمهم خُفَّافُ بن إيماء بن رَحْضَةَ الغفاري، وكان سيدهم يومئذ، وقال بقيتهم: إذا قدم رسول الله ﷺ أسلمنا؛ فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم بقيتهم؛ وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله! إخواننا؛ نُسَلِّمُ على الذي أسلموا عليه. فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: «غَفَّارُ غَفَرِ الله لها وأسلمَ سالمها الله».

وهذه الرواية في خبر إسلام أبي ذر؛ قد روى مسلم في صحيحه نحوها، وهي تخالف رواية البخاري.

وروى البيهقي عن أبي ذر قال: كنت رُبُعَ الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة نفر وأنا الرابع؛ أتيت النبي ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فرأيت الأستيشار في وجه رسول الله ﷺ.

وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مَبْعَثُ رسول الله ﷺ بمكة قال لأخيه أنيس: أركب إلى هذا الوادي، فأعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، وأسمع من قوله، ثم أيتني؛ فأنطلق حتى قدم مكة وسمع من قوله ثم رجع، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعت منه كلامًا ما هو بالشعر. قال: ما شفيتني فيما أردت، فتزوّد وحمل شِئْنَةً^(٢) له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه الليل، فأضطجع فرآه علي بن أبي طالب؛ فقال: كأن الرجل غريب، قال: نعم، قال: أنطلق إلى المنزل، قال: فأنطلقت معه لا يسألني عن شيء ولا أسأله، فلما أصبحت من الغد رجعت إلى المسجد، وبقيت يومي حتى

(١) غبرت: مكثت.

(٢) الشئنة: القرية الخلق الصغيرة يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

أمسيْتُ وصرت إلى مَضْجَعِي، فمرَّ بي عليُّ بن أبي طالب، فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فأقامه وذهب به معه، وما يسأل واحدٌ منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك، فأقامه عليٌّ معه، ثم قال: ألا تحدّثني ما الذي أقدمك هذا البلد؟ قال: إن أعطيتني عهدًا وميثاقًا لترشدني فعَلْتُ؛ ففعل؛ فأخبره عليُّ أنه نبيٌّ، وأنَّ ما جاء به حقٌّ، وأنه رسول الله، قال: فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيتُ شيئًا أخاف عليك فمُتْ كائنِي أريق الماء، فإن مَضِيتُ فاتبعني حتى تدخل مدخلي، قال: فأنطلقت أفقوه حتى دخل على رسول الله ﷺ، ودخلت معه وحييت رسول الله ﷺ بتحيةة الإسلام، فقلت: السلام عليك يا رسول الله! فكنت أول من حيّاه بتحيةة الإسلام، فقال: «وعليك السلام، مَنْ أنت؟» قلت: رجل من غِفَار، فعرض عليَّ الإسلام، فأسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرجع إلى بلاد قومك، وأخبرهم، وأكثم أمرَك عن أهل مكة، فإني أخشاهم عليك»، فقلت: والذي نفسي بيده لأصرحنَّ بها بين أظهرهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فثاب^(١) القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباسُ فأكبَّ عليه وقال: ويلكم! أولستم تعلمون أنه من غِفَار، وأنَّ طريق تجاركم إلى الشام عليهم! وأنقذه منهم، ثم عاد إلى مثلها، وثاروا^(٢) إليه فضربوه، فأكب عليه العباسُ فأنقذه، ثم لحق بقومه. وكان هذا أول إسلام أبي ذرٍّ.

ومن رواية اللَّيث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب قال: قدم أبو ذرٍّ على النبي ﷺ وهو بمكة فأسلم، ثم رجع إلى قومه، فكان يسخر بالهتيم، ثم إنه قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما رآه وهم في أسمه، فقال: «أنت أبو نَمْلَة؟» قال: أنا أبو ذرٍّ، قال: «نعم أبو ذرٍّ».

ذكر وفدِ أزدِ شُوءَة وكيف كان إسلامُ ضِمَادٍ

روى أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - رحمه الله - بسنده إلى سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم ضِمَادُ مكة، وهو رجلٌ من أزدِ شُوءَة، وكان يَرْقِي من هذه الرياح، فسمع سُفهاء الناس يقولون: إنَّ محمدًا مجنونٌ، فقال: أتني هذا الرجل لعل الله أن يَشْفِيه على يدي، قال: فلقيت محمدًا، فقلت: إني أَرْقِي من هذه الرياح، وإن الله يَشْفِي على يدي من يشاء، فهَلَمَّ؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ

(١) ثاب القوم: أي أقبل القوم.

(٢) يقال: ثار إلى الشيء، إذا نهض إليه.

الحمد لله نحمده ونستعينه، مَنْ يهده الله فلا مضلّ له، وَمَنْ يضلّ الله فلا هادي له، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله» ثلاث مرات، فقال: تالله لقد سمعت قول الكَهَنَةِ، وقول السَّحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات، فهلّمّ يَدك أبايعك على الإسلام، فبايعه رسول الله ﷺ، وقال له: «وعلى قومك؟» فقال: وعلى قومي، فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقوم ضماد، فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال رجل منهم: مَظْهَرَةٌ^(١)، فقال: «ردّوها عليهم فإنهم قوم ضِماد». رواه مسلم في صحيحه.

وروى القاضي عياض بن موسى في كتابه المترجم بـ(الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى): أن ضِماداً قال لرسول الله ﷺ: أعِذْ عليّ كلماتك هؤلاء فلقد بَلَغَن قَامُوسَ البحر^(٢)، هات يديك أبايعك.

ذكر وفد همدان

قال محمد بن سعد رحمه الله تعالى: أخبرنا هشام بن محمد، قال: حدثنا جِبَان بن هانئ بن مسلم بن قيس بن عمرو بن مالك بن لَأيّ الهَمْدانيّ ثم الأَرْحَبِيّ عن أشياخهم، قالوا: قدِم قيسُ بن مالك بن سعد بن مالك بن لَأيّ الأَرْحَبِيّ على رسول الله ﷺ وهو بمكة، فقال: يا رسول الله أتيتك لأؤمّن بك وأنصرك؛ فقال له: «مَرحباً بك، أتأخذوني بما فيّ يا معشر هَمْدان؟» قال: نعم؛ بأبي أنت وأمّي، قال: «فأذهب إلى قومك، فإن فعلوا فأرجع أذهب معك»، فخرج قيس إلى قومه، فأسلموا واغْتَسَلُوا فِي جَوْف^(٣) المحورة - وهو ماء يغتسلون فيه - وتوجّهوا إلى القبلة، ثم خَرَجَ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: قد أسلم قومي وأمروني أن آخذك، فقال رسول الله ﷺ: «نِعْم وافدُ القوم قيسُ»، وقال: «وَقِيْتُ وَفَى اللَّهُ بِكَ»، ومَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ، وكتب عَهْدَهُ عَلَى قَوْمِهِ هَمْدَان: أَحْمُورِهَا^(٤) وَعَرَبِهَا وَخَلَايِطُهَا وَمَوَالِيهَا أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ مَا أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ؛ وَأَطَعْتُم ثَلَاثِمِائَةَ فَرَقٍ^(٥)، مِنْ خَيَوَانَ^(٦) مَائَتَانِ: زَبِيبٌ وَذُرَّةٌ شِطْرَانِ، وَمِنْ عُمَرَانَ^(٧) الْجَوْفِ مَائَةُ فَرَقٍ بُرٍّ، جَارِيَةٌ أَبَدًا مِنْ مَالِ اللَّهِ.

(١) المطهرة: كل ما يتطهر به ويتوضأ مثل سطل أو ركوة.

(٢) قاموس البحر: قعره. (٣) جوف المحورة: موضع ببلاد همدان.

(٤) أحموورها: أهل القرى، سموها بذلك لأنهم بيض. وعربها: أهل البادية.

(٥) الفرق: مكيال يقال: إن سعته ستة عشر رطلاً.

(٦) خيوان: بلد باليمن. (٧) عمران: قرية من بلاد مراد باليمن.

ومن طريق آخر له قال: عَرَضَ رسولُ الله ﷺ نَفْسَهُ بِالْمَوْسِمِ عَلَى قبائل العرب، فمَرَّ به رجلٌ من أَزْحَبٍ يقال له: عبد الله بن قيس ابن أُمِّ غَزَالٍ. فقال: «هل عند قومك من منعة؟» قال: نعم، فعرض عليه الإسلام، فأَسْلَمَ، ثم إنه خاف أن يُخْفِرَهُ^(١) قومه فوعده الحجَّ من قَابِلٍ، ثم وَجَّهَ الهمْدانيَّ يريد قومه، فقتله رجلٌ من بني زُبَيْدٍ يقال له ذُبَابٌ، ثم إن فُتِيَهُ من أَزْحَبٍ قتلوا ذُبَابًا الزُبَيْدِيَّ بعبد الله بن قيس. هذا قبل الهجرة.

وأما بعد الهجرة، فقد روى محمد بن إسحاق رحمه الله، قال: قدم وَفْدُ هَمْدَانَ على رسول الله ﷺ، منهم مالك بن نَمَطٍ، وأبو ثور وهو ذو المشعار، ومالك بن أَيْقَعٍ، وضمَامُ بن مالك السُّلَماني، وعميرة بن مالك الخارقي، فلَقُوا رسولَ الله ﷺ مَرْجِعَهُ من تَبُوكِ^(٢). وعليهم مُقَطَّعاتُ الحَبَرَاتِ^(٣) والعَمَائِمُ العَدْنِيَّةُ^(٤)، برحال المَيْسِ^(٥) على المَهْرِيَّةِ^(٦) والأَرْحِيَّةِ^(٧)، ومالك بن نَمَطٍ، ورجل آخر يرتجزان بالقوم؛ يقول أحدهما: [من الرجز]

هَمْدَانُ خَيْرُ سُوْقَةٍ وَأَقْيَالُ ليس لها في العالمين أَمْثَالُ^(٨)
مَحَلُّهَا الْهَضْبُ وَمِنْهَا الْأَبْطَالُ لها إَطَابَاتٌ بِهَا وَآكَالُ^(٩)

ويقول الآخر: [من الرجز]

إِلَيْكَ جَاوَزَنَ سَوَادَ الرِّيفِ في هَبَوَاتِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ^(١٠)
* مُخَطَّمَاتٍ بِحِبَالِ اللَّيْفِ^(١١) *

(١) يخفر: ينقض العهد والذمام.

(٢) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة.. وقيل: هي بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ... (معجم البلدان لياقوت).

(٣) الحبرات: جمع حبرة. (٤) العدنية: نسبة إلى عدن.

(٥) الميس: الشجر الذي يصنع منه الرحال. (٦) المهرية: نسبة إلى مهرة، وهي قبيلة عربية.

(٧) الأرحية: نسبة إلى أرحب، وهي بطن من همدان.

(٨) الأقيال: واحدها القيل، وهو الملك في لغة أهل اليمن.

(٩) الإطابات: الأطعمة الطيبة؛ وآكال: مآكل الملوك.

(١٠) الهبوات: جمع هبوة، وهي الغبرة. (١١) المخططات: التي لها خطام.

فقام مالك بن نَمَط بين يديه، ثم قال: يا رسول الله! نَصِيَّةٌ^(١) من هَمْدان من كل حاضر وبادٍ، أَتَوَكُّ على قُلُوصٍ^(٢) نَوَاجٍ^(٣)، مُتَّصِلَةٌ بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لَوْمَةٌ لائم، من مِخْلَافٍ^(٤) خَارِفٍ^(٥) وَيَامٍ وشَاكِرٍ، أهل السُّودِ^(٦) والقُودِ^(٧)، أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا آلِهَاتِ الأَنْصَابِ، عهدهم لا يُنْقَضُ ما أقامت لَعْلَعُ^(٨)، وما جرى اليَعْفُورُ^(٩) بِضَلَعٍ^(١٠). فقال رسول الله ﷺ: «نِعْمَ الحَيُّ هَمْدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجُهد، ومنهم أبدال^(١١)، وفيهم أوتاد^(١٢) الإسلام»، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا؛ فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم. كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلَافِ خَارِفٍ وأهل جَنَابٍ^(١٣) الهَضْبِ وحِقَافٍ^(١٤) الرَّمْلِ، مع وإفدها ذي المِشْعَارِ مالك بن نَمَط، وَمَنْ أَسْلَمَ من قَوْمِهِ، على أن لهم فِرَاعَهَا^(١٥) ووَهَاطَهَا^(١٦) وعَزَازَهَا^(١٧)، يأكلون عِلَافَهَا^(١٨)، وَيَرَعَوْنَ عَافِيَهَا^(١٩)، لنا منهم من دَفَّتْهُمْ^(٢٠) وصرامهم^(٢١) ما سَلَّمُوا بالمِيثَاقِ والأمانة، ولهم من الصَّدَقَةِ الثُّلُبُ^(٢٢) والثَّابُ^(٢٣) والفَصِيلُ^(٢٤) والفَارِضُ^(٢٥) والدَّاجِنُ^(٢٦) والكَبْشُ الحَوْرِيَّ^(٢٧)، وعليهم فيها الصَّالِغُ^(٢٨)

-
- (١) النصية: الأخيار الأشراف.
 (٢) القلوص: الفتي من الإبل.
 (٣) نواج: جمع ناجية، وهي السريعة.
 (٤) المخلاف: المدينة بلغة أهل اليمن.
 (٥) خارف: من قبائل اليمن.
 (٦) السود: الإبل.
 (٧) القود: الخيل.
 (٨) لعلع: اسم جبل.
 (٩) يعفور: الظبي الذي يشبه لونه لون التراب.
 (١٠) الضلع: القوة والشدة.
 (١١) الأبدال: جمع البدل، وهو الولي أو العابد.
 (١٢) الأوتاد: جمع وتد، وهو الرئيس.
 (١٣) جناب الهضب: اسم موضع.
 (١٤) الحقاف: الرمل المستطيل المشرف.
 (١٥) الفراع: الأعالي.
 (١٦) الوهاط، أي الوهاد، وهو من الأرض المنخفض المظمتن.
 (١٧) عزاز الأرض: ما صلب منها وخشن واشتد.
 (١٨) العلاف: ما تغلفه الدواب.
 (١٩) العافي: النبات الكثير.
 (٢٠) المراد بالدفء: الإبل والغنم.
 (٢١) الصرام: قطع النخل.
 (٢٢) الثلب: الجمل الذي تكسرت أنيابه من الهرم.
 (٢٣) الثاب: الهرمة من الإناث.
 (٢٤) الفصيل من الإبل: الصغير الذي فصل عن أمه.
 (٢٥) الفارض: المسنن الهرم.
 (٢٦) الداجن: الحلوبة الملازمة للإنسان.
 (٢٧) الحوري: منسوب إلى الحور.
 (٢٨) الصالغ من البقر والغنم: الذي كمل سنه.

والقَارِخُ^(١)، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، لهم بذلك عهد الله وذيماً رسول الله عليه السلام، وشاهدهم المهاجرون والأنصار».

ذكر وفادة الطفيل بن عمرو الدؤسي وإسلامه

قال محمد بن إسحاق رحمه الله تعالى: كان الطفيل بن عمرو الدؤسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش - وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً - فقالوا له: يا طفيل! إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أغضل^(٢) بنا، قد فرق بين جماعتنا، وشئت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمع منه شيئاً. قال الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت على ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً^(٣) فرقاً^(٤) من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه! قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، فقممت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: واثكل أمي؛ والله إنني لرجل لبيب شاعر، وما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، قال: فمكثت حتى أنصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا - للذي قالوا - فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف^(٥) ألا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يُسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فأعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق، فقلت: يا نبي الله! إني أمرؤ مطاع في قومي، وأنا راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: «اللهم أجعل له آية»، فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية^(٥) تطلعتني على^(٦) الحاضر وقع نور

(١) القارح من الخيل: الذي دخل في سن الخامسة.

(٢) أغضل بنا: أعيانا أمره.

(٣) الكرسف: القطن.

(٤) الفرق: الخوف.

(٥) الثنية: الطريق في الجبل.

(٦) الحاضر: أي الحي العظيم.

بين عيني مثل المضباح؛ قلت: اللهم في غير وجهي! إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة^(١) وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول الثور فوق في رأس سوطي، فجعل الحاضِرُ يترأؤن ذلك الثور في سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أهبط إليهم من الثنية حتى جثتهم، فأضبط فيهم، قال: فلما نزلت أتاني أبي وكان شيخاً كبيراً، فقلت: إليك عني يا أبت، فلست منك ولست مني، قال: لِمَ يا بني؟ قلت: أسلمت وتابعت دين محمد، قال: أي بني! فديني دينك، قلت: فأذهب وأغتسل، وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك مما علمت، فذهب فأغتسل وطهر ثيابه ثم جاء، فعرضت عليه الإسلام فأسلم، ثم أتني صاحبتي، فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت: لم؟ بأبي أنت وأمي! قلت: فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد عليه السلام. قالت: فديني دينك، قلت: فأذهبي إلى جنادي الشري - قال ابن هشام: ويقال جمى ذي الشري - فتطهري منه.

قال: وكان ذو الشري صنماً لدؤس، وكان الجناء جمى حموه له، وبه وشل^(٢) من ماء يهبط من جبل، قال فقالت: بأبي أنت وأمي، أتخشى على الصبية^(٣) من ذي الشري شيئاً؟ قلت: لا، أنا ضامن لك، قال: فذهبت فأغتسلت، ثم جاءت، فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دؤساً إلى الإسلام فأبطؤوا علي، ثم جثت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت له: يا نبي الله! إنه قد غلبني على دؤس الزنى، فادع الله عليهم، فقال: «اللهم أهد دؤساً، أرجع إلى قومك فأدعهم وأرفق بهم»، قال: فلم أزل بأرض دؤس أدعوهم إلى الإسلام، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم أسلموا بعد ذلك، ووقدوا على رسول الله ﷺ على ما نذكر ذلك - إن شاء الله تعالى - فيمن وفد بعد الهجرة.

ذكر وفد نصارى الحبشة

على رسول الله ﷺ وإسلامهم

قال محمد بن إسحاق: قديم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه، وسألوه - ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما

(١) المثلة: العقوبة والتكيل.

(٢) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره.

(٣) الصبية: المراد بها زوجة الطفيل.

فرغوا من مسأله ﷺ دعاهم إلى الله، وتلا عليهم القرآن، فلما سيموه فاضت أعينهم من الدمع، ثم أستجابوا لله تعالى وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه أعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبتكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم تترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحقق منكم! فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحزن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً. ويقال: إن النفر من أهل نجران. والله أعلم. فيقال فيهم أنزل الله قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَبَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝﴾ [القصص: ٥٢]. إلى قوله: ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٣]. وقيل: إنما نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، والآيات التي في سورة «المائدة» قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلُوا قَتِيلَيْنِ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢] إلى ﴿الشَّاهِدِينَ﴾، وكان ممن وفد على رسول الله ﷺ وهو بمكة الأوس والخزرج، وقد تقدم ذكرهم في بيعة العقبة.

ذكر من وفد على رسول الله ﷺ

بعد الهجرة وقبل الفتح

وفد على رسول الله ﷺ بعد الهجرة وقبل فتح مكة: عُبَس، وسعد العشيرة، وجُهَيْنَة، ومُزَيْنَة، وسعد بن بكر، وأشجع، وخُشَيْن، والأشعرون، وسُلَيْم، ودؤس، وأسلم، وجُدَام.

ذكر وفد عُبَس

قال محمد بن سعد: وفد على رسول الله ﷺ تسعة رهط من بني عُبَس فكانوا من المهاجرين الأولين، منهم ميسرة بن مسروق، والحارث بن الربيع - وهو الكامل - وقنان بن دارم، وبشر بن الحارث بن عبادة، وهذم بن مسعدة، وسباع بن زَيْد، وأبو الحِضْن بن لُحْمَان، وعبد الله بن مالك، وفزوة بن الحُصَيْن بن فضالة فأسلموا؛ فدعا لهم رسول الله ﷺ بخير، وقال: «أبغوني رجلاً يغشركم أعقذ لكم لواء» فدخل طلحة بن عبيد الله فعقد لهم لواء، وجعل شعارهم: يا عشرة.

وقال من طريق آخر: بلغ رسول الله ﷺ أن عِيرًا لقريش أقبلت من الشام فبعث بني عبس في سرية وعقد لهم لواء، فقالوا: يا رسول الله! كيف نقسم غنيمة إن أصبناها ونحن تسعة؟ قال: «أنا عاشركم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه قديم علينا قوم فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواش هي معاشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم من أعمالكم شيئاً، ولو كنتم بصمدي^(١) وجازان^(٢)».

ذكر وفد سعد العشيرة

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي قال: لما سمعت سعد العشيرة بخروج النبي ﷺ وثب ذباب - رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة - إلى صنم يقال له قرّاص فحطمه، ثم وفد إلى النبي ﷺ فأسلم، وقال: [من الطويل]

تَبِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى	وَحَلَفْتُ قَرَاصًا بِدَارِ هَوَانٍ
شَدَذْتُ عَلَيْهِ شِدَّةً فَتَرَكْتُهُ	كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَالِدُهُ ذُو حَدَثَانٍ ^(٣)
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ	أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
فَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِرًا	وَأَلْقَيْتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي ^(٤)
فَمَنْ مُبْلِغُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ أَتْنِي	شَرِيتُ الَّذِي يَبْقَى بَاخِرَ فَانِي

ذكر وفد جهينة

قال ابن سعد: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وفد إليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهني، ومعه أخوه لأمه أبو روعة وهو ابن عم له، فقال رسول الله ﷺ لعبد العزى: «أنت عبد الله» وقال لأبي روعة: «أنت رُعت العدو إن شاء الله» وقال: «من أنتم؟» قالوا: بنو عَيَّان، قال: «أنتم بنو رُشدان» وكان اسم واديهما غوى فسماه رسول الله ﷺ رُشدًا، وقال لجَبَلِيَّيْ جُهَيْنَةَ الْأَشْعَرِ وَالْأَجْرَدِ: «هما من جبال الجنة لا

(١) الصمد: اسم ماء للضباب.

(٢) جازان: موضع في طريق الحاج من صنعاء.

(٣) حدثان الدهر: نوائبه وحوادثه.

(٤) الكلكل: الصدر. والجِران: باطن العنق من ثغرة النحر إلى منتهى العنق في الرأس.

تطوَّهما فتنةً»، وخطَّ لهم مسجدهم، وهو أول مسجد خطَّ بالمدينة، وجاء من جهينة عمرو بن مُرة الجُهني. روى عنه محمد بن سعد بسنده إليه قال: كان لنا صنمٌ، وكنا نعظمه، وكنتُ سادنه^(١)، فلما سمعت برسول الله ﷺ كسرته، وخرجتُ حتى أقدم المدينة على النبي ﷺ، فقدمتُ فأسلمتُ وشهدت شهادة الحق، وآمنت بما جاء به من حلال وحرام، فذلك حين أقول: [من الطويل]

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللَّهَ حَقٌّ وَأَنَا نَبِيٌّ لَا إِلَهَ إِلَّا جَارِ أَوَّلُ تَارِكِ
وَشَمَرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ مُهَاجِرًا إِلَيْكَ أَجُوبُ الْوَعْتِ بَعْدَ الدَّكَادِكِ^(٢)
لِأَضْحَبِ خَيْرِ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدًا رَسُولُ مَلِيكَ النَّاسِ فَوْقَ الْحَبَائِكِ^(٣)

قال: فبعثه رسول الله ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فأجابوه إلا رجلًا واحدًا ردَّ عليه قوله، فدعا عليه عمرو بن مُرة فسقط قوه، فما كان يقدرُ على الكلام، وعَمِيَ وأُخْتِجَ.

ذكر وفد مُزينة

وهذا الوفد هو أول ما بدأ به محمد بن سعد من الوفود في طبقاته، فقال: كان أول من وفد على رسول الله ﷺ من مُضر أربع مائة من مُزينة، وذلك في شهر رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله ﷺ الهجرة في دارهم وقال: «أنتم مهاجرون حيث كنتم فأرجعوا إلى أموالكم» فرجعوا إلى بلادهم. وقال محمد بن سعد بسند يرفعه إلى أبي مسكين، وأبي عبد الرحمن العجلاني، قالا: قدم على رسول الله ﷺ نفرٌ من مُزينة، منهم خُزاعي بن عبد نهم فبايعه على قومه مُزينة، وقدم معه عشرة منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنعمان بن مقرن، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن فأقام، فدعا رسول الله ﷺ حسان بن ثابت، فقال: «أذكر خُزاعيا ولا تهجه» فقال حسان: [من الوافر]

أَلَا أَبْلِغُ خُزَاعِيَا رَسُولًا بِأَنَّ الدَّمَ يَغْسِلُهُ الْوَفَاءُ
وَأَنَّكَ خَيْرُ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرٍو وَأَسْنَاهَا إِذَا ذُكِرَ السَّنَاءُ^(٤)

(١) السادن: خادم المعبد.

(٢) الوعت: الطريق العسر. والدكادك: واحدها دكدك، وهو الغليظ من الأرض.

(٣) الحبايك: واحدتها حبيكة، وهي الطريق إلى النجوم.

(٤) السناء: العلو والرفعة.

وَبَايَعْتَ الرَّسُولَ وَكَانَ خَيْرًا إِلَى خَيْرٍ وَأَذَاكَ الثَّنَاءُ^(١)
فَمَا يُعْجِزُكَ أَوْ مَا لَا تُطِيقُهُ مِنْ الْأَشْيَاءِ لَا تَعْجِزُ عِدَاءُ

قال: و«عِدَاء» بَطْنُهُ الَّذِي هُوَ مِنْهُ. فقام خُزَاعِيٌّ فقال: يا قوم! قد خَصَمَكُم شاعرُ الرجل، فَأَنْشُدُكُمْ^(٢) الله. قالوا: فَإِنَّا لَا نَتَّبِعُ^(٣) عَلَيْكَ؛ فَأَسْلَمُوا وَوَفَدُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. فدفع رسول الله ﷺ لواءَ مُزَيْنَةَ يومَ الفَتْحِ إِلَى خُزَاعِيٍّ، وَكَانُوا يَوْمَئِذٍ أَلْفَ رَجُلٍ.

ذكر وفد سعد بن بكر

قال محمد بن إسحاق: بعثت بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ - قال ابن سعد: في شهر رجب سنة خمس - قال ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس: فَقَدِمَ وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ^(٤)، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ. قال: وَكَانَ ضِمَامُ رَجُلًا جَلْدًا^(٥) أَشْعَرَ ذَا غَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ». قال: أُمَحَمَّدٌ؟ قال: «نعم». قال: يَا بَنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ! إِنِّي سَائِلُكَ وَمُعَلِّظٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ^(٦) فِي نَفْسِكَ. قال: «لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَأَسْأَلُ عَمَّا بَدَا لَكَ» قال: أَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، أَلَلَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ» قال: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمْرُكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ، لَا نَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نُخْلَعَ هَذِهِ الْأَتْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَهَكَ وَإِلَهَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهَ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمْرُكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ الْخَمْسَ؟ قال: «نعم»، قال: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً: الزَّكَاةَ، وَالصَّيَامَ، وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يَنْشُدُهُ عَنْ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلُهَا، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) أدى الشيء: كثر. (٢) أنشدكم الله: أي أسألكم وأقسم عليكم.

(٣) لا تتبوا عليكم: أي لا تمتنع عما تريده منا.

(٤) عقل البعير: أي شد على ساقه حبلاً بعد ثني ركبته.

(٥) الجلد: الصلب الشديد. (٦) لا تجد: أي لا تغضب.

«إِنَّ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ»^(١) دخل الجنة قال: فأتى بغيره فأطلق عِقَالَهُ، ثم خرج حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به: بِئْسَتِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى! فقالوا: مَهْ يَا ضِمَامُ! أَتَقِي الْبَرَصَ، أَتَقِي الْجُذَامَ، أَتَقِي الْجُنُونَ! قال: وَبَلَّكُمْ! إِنَهُمَا وَاللَّهِ لَا يَنْفَعَانِ وَلَا يَضُرَانِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَأَسْتَفْذِكُمْ بِهِ مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ، وَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ بِمَا أَمَرَكُم بِهِ، وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، قال: فواللَّهِ مَا أَمْسَى مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي حَاضِرِهِ رَجُلٌ أَوْ أَمْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا.

قال: يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضِمَامِ بْنِ ثُعَلْبَةَ.

ذكر وفدِ أشجع

قال: وَقَدِمَتْ أَشْجَعُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْخَنْدَقِ، وَعَامُ الْخَنْدَقِ سَنَةُ خُمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُمْ مِائَةٌ، رَأْسُهُمْ مَسْعُودُ بْنُ رُخَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ بْنِ طَرِيفٍ، فَتَزَلُّوا شِعْبَ سَلْعٍ^(٢)، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِأَحْمَالِ التَّمْرِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! لَا نَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ قَوْمِنَا أَقْرَبَ دَارًا مِنْكَ مِنَّا، وَلَا أَقَلَّ عَدَدًا، وَقَدْ ضَيَّقْنَا بِحَرْبِكَ وَبِحَرْبِ قَوْمِكَ، فَجِئْنَا نُوَادِعُكَ، فَوَادِعَهُمْ.

ويقال: بَلْ قَدِمَتْ أَشْجَعُ بَعْدَمَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَهُمْ سَبْعُمِائَةٍ فَوَادِعَهُمْ. ثُمَّ أَسْلَمُوا بَعْدَ ذَلِكَ.

ذكر وفدِ خُشَيْنِ

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: قَدِمَ أَبُو ثُعَلْبَةَ الْخُشَيْنِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى خَيْبَرَ، فَأَسْلَمَ وَخَرَجَ مَعَهُ فَشَهِدَ خَيْبَرَ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ سَبْعَةَ نَفَرٍ مِنْ خُشَيْنٍ فَتَزَلُّوا عَلَى أَبِي ثُعَلْبَةَ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ.

(١) العقيصتان: الضفيرتان من الشعر.

(٢) سلع: بفتح أوله وسكون ثانيه: جبل بسوق المدينة، وقيل: موضع بقرب المدينة. وقيل أيضًا: حصن بوادي موسى عليه السلام بقرب بيت المقدس... (معجم البلدان لياقوت).

ذكر وفد الأشعرين

قالوا: وقدم الأشعرين على رسول الله ﷺ، وهم خمسون رجلاً؛ منهم أبو موسى الأشعري، ومعهم رجلان من عك. وقدموا في سفن في البحر، وخرجوا بجدة، فلما دنوا من المدينة جعلوا يقولون: [من الهزج]

غَدَانْلَقَى الْأَجْبَةَ مَحْمَدًا وَجِزْبَهُ

ثم قدموا فوجدوا رسول الله ﷺ في سفره بخيبر، فلحقوه ﷺ فبايعوه وأسلموا؛ فقال رسول الله ﷺ: «الأشعرين في الناس كضرة فيها مسك».

ذكر وفد سليم

قالوا: وقدم على رسول الله ﷺ رجل من بني سليم، يقال له قيس بن نسيبة، فسمع كلامه، وسأله عن أشياء فأجابها، ووعى ذلك كله، ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه، فقال: قد سمعتُ بَرْجَمَةَ^(١) الروم، وهينمة^(٢) فارس، وأشعار العرب، وكهانة الكاهن، وكلام مَقَاوِلِ حَمِير، فما يُشبه كلام محمد شيئاً من كلامهم، فأطيعوني وخذوا بنصيبيكم منه. فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول الله ﷺ، فلحقوه بِقَدِيد^(٣) وهم سبعمائة. ويقال: كانوا ألقاً. وفيهم العباس بن مِزْدَاس السلمي، وأنس بن عباس بن رِغْل، وراشد بن عبد ربه، فأسلموا وقالوا: أجعلنا في مقدمتك، وأجعل لواءنا أحمر، وشعارنا مُقَدَّم، ففعل ذلك بهم. وأعطى رسول الله ﷺ راشداً رُهاطاً^(٤) وفيها عَيْنٌ يقال لها عين الرسول. قال: وكان راشداً يَسْدُنُ^(٥) صَمًا لبني سليم، فرأى يوماً ثغلبين ييولان عليه، فقال: [من الطويل]

أَرَبٌ يَبُولُ الثُّغْلَبَانَ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

ثم شدَّ عليه فكسره. وأتى النبي ﷺ، فقال له: «ما اسمك؟» قال: غاوي بن عبد العزى، فقال: «أنت راشد بن عبد ربه» فأسلم وحسن إسلامه وشهد الفتح. فقال رسول الله ﷺ: «خير بني سليم راشد» وعقد له على قومه.

(١) برجمة الروم: رطانتهم وكلامهم. (٢) الهينمة: الكلام الخفي لا يفهم.

(٣) قديد: موضع قرب مكة.

(٤) رهاط: موضع على بعد ثلاث ليال من مكة.

(٥) يسدن الصنم: يخدمه. والسادن: خادم المعبد.

وروى محمد بن سعد أيضًا، عن هشام بن محمد، قال: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ مِنْ بَنِي الشَّرِيدِ، قَالَ: وَقَدْ رَجُلٌ مَنَا يُقَالُ لَهُ قُدَدٌ بْنُ عَمَّارٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَاهِدَهُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْأَلْفِ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى الْخَيْلِ؛ وَأَنْشَأَ يَقُولُ: [من الطويل]

شَدَدْتُ يَمِينِي إِذْ أَتَيْتُ مُحَمَّدًا بِخَيْرِ يَدٍ شَدَتْ بِحُجْزَةٍ مِثْزَرٍ^(١)
وَذَاكَ أَمْرُؤُ قَاسَمْتُهُ نِصْفَ دِينِهِ وَأَعْطَيْتُهُ كَفَّ أَمْرِيءٍ غَيْرِ أَعْسَرِ

ثم أتى قومه فأخبرهم الخبر، فخرج معه تسعمائة، وخلف في الحي مائة، وأقبل يريد النبي ﷺ فنزل به الموت، فأوصى إلى ثلاثة رهط من قومه؛ وهم: عباس بن مرداس وأمره على ثلاثمائة، وجبار بن الحكم وأمره على ثلاثمائة، والأخنس بن يزيد وأمره على ثلاثمائة. وقال: أيتوا هذا الرجل حتى تفضوا العهد الذي في عنقي ثم مات، فمضوا حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فقال: «أين الرجل الحسن الوجه، الطويل اللسان، الصادق الأيمان؟» قالوا: يا رسول الله! دعاه الله فأجابته، وأخبروه خبره؛ فقال: «أين تكلمة الألف الذين عاهدني عليهم؟» قالوا: خلف مائة في الحي مخافة حرب كان بيننا وبين بني كنانة، قال: «أبعثوا إليها فإنه لا يأتيكم في عامكم هذا شيء تكرهونه» فبعثوا إليها فأتته بالهدة^(٢) وعليها المنقع بن مالك بن أمية، فشهدوا مع رسول الله ﷺ الفتح وحُتِن. وللمنقع يقول العباس بن مرداس: [من الكامل]

القَائِدُ الْمَائَةِ الَّتِي وَفَّى بِهَا تِسْعَ الْمِئَتِينَ فَتَمَّ أَلْفٌ أَقْرَعُ^(٣)

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة - وأسمها ثماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح بن ثعلبة بن غصية بن خفاف بن أمية القيس بن بُهثة بن سليم - أنها قدمت على رسول الله ﷺ مع قومها من بني سليم فأسلمت معهم. قال: فذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدُها، ويُعجبه شعرُها، فكانت تُنشدُ، وهو يقول: «هَيْهَ يَا خُنَاسُ» ويومئ بيده. وشهدت الخنساء القادسية مع بنيها الأربعة. وسنذكر إن شاء الله خبرها معهم يوم القادسية، ووصيتها لهم في الحرب في خلافة عمر بن الخطاب، عند ذكرنا لفتح القادسية.

(١) الحجة: موضع شد الإزار من الوسط: أو موضع النكة من السراويل.

(٢) الهدة: موضع بين مكة والطائف. (٣) الألف الأقرع من الخيل: أي التام.

ذكر وفد دوس

قالوا: لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي - كما تقدم - دعا قومه فأسلموا، وقدم معه منهم المدينة سبعون أو ثمانون أهل بيت. وفيهم أبو هريرة وعبد الله بن أزيهر الدوسي، ورسول الله ﷺ بخيبر، فساروا إليه فلقوه هناك، فيقال: إنه قسم لهم من غنائم خيبر، ثم قدموا معه المدينة. فقال الطفيل بن عمرو: يا رسول الله! لا تفرق بيني وبين قومي، فأنزلهم حرة الدجاج، فقال أبو هريرة حين خرج من دار قومه: [من الطويل]

يا طولها من ليلة وعنائها على أنها من بلدة الكفر نجت

وقال عبد الله بن أزيهر: يا رسول الله! إن لي في قومي سلطة ومكانا فأجعلني عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «يا أخا دوس، إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فمن صدق الله نجا، ومن آل إلى غير ذلك هلك. إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً، ويوشك الحق أن يغلب الباطل».

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال: بلغني أن دوساً إنما أسلمت فرقاً^(١) من قول كعب بن مالك الأنصاري الخزرجي: [من الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةٍ كُلِّ وَثَرٍ وَخَيْبَرُ ثَمِ اغْمَدْنَا السُّيُوفَ^(٢)
نُخَيْرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا^(٣)

فَقَالَتْ دَوْسٌ: أَنْطَلِقُوا فَخُذُوا لِأَنْفُسِكُمْ لَا يَنْزِلُ بِكُمْ مَا نَزَلَ بِثَقِيفٍ.

ذكر وفد أسلم

قالوا: قدم عُمَيْرُ بْنُ أَفْصَى فِي عِصَابَةٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَقَالُوا: لَقَدْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّبَعْنَا مِنْهَا جَكَ، فَاجْعَلْ لَنَا عِنْدَكَ مَنْزِلَةً، تَعْرِفُ الْعَرَبُ فَضِيلَتَنَا، فَإِنَّا إِخْوَةُ الْأَنْصَارِ، وَلَكَ عَلَيْنَا الْوَفَاءُ، وَالنَّصْرُ فِي الشَّدَةِ وَالرِّخَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْلَمَ سَالِمُهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرِ اللَّهِ لَهَا». وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَسْلَمَ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ مِمَّنْ يَسْكُنُ السَّيْفَ^(٤) وَالسَّهْلَ كِتَابًا؛ فِيهِ ذِكْرُ الصَّدَقَةِ وَالْفَرَائِضِ فِي الْمَوَاشِيِّ. وَكَتَبَ الصَّحِيفَةَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَشَهِدَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) الفرق: الفرع. (٢) تهامة: ما انخفض من أرض الحجاز.

(٣) الضمير في «نخيرها» يعود إلى السيوف؛ والمراد لو نطقت السيوف لاختارت حرب دوس أو ثقيف.

(٤) السيف: بكسر السين وتشديدها: ساحل البحر.

ذكر وفد جذام

قالوا: قديم رفاعه بن زيد بن عُمَيْر بن مَعْبِد الجُدَامِي، ثم أحد بني الضَّبِيب على رسول الله ﷺ في الهدنة قبل خيبر، وأهدى له عبدًا وأسلم، فكتب له رسول الله ﷺ كتابًا؛ فيه: «هذا كتاب من محمد رسول الله، لرفاعة بن زيد إلى قومه، ومن دخل معهم، يدعوهم إلى الله، فمن أقبل ففي حزب الله، ومن أبى فله أمان شهرين» فأجابه قومه وأسلموا. قال ابن إسحاق وغيره: وبعث فزوة بن عمرو بن النافرة الجُدَامِي، ثم الثَّقَاتِي إلى رسول الله ﷺ رسولاً بإسلامه، وأهدى له بَغْلَةً بيضاء، واسم رسوله مسعود بن سعد وهو من قومه، فقرأ رسول الله ﷺ كتابه، وقبل هديته، وأجاز رسوله باثنتي عشرة أوقية ونش^(١)، وكتب إلى فزوة جواب كتابه. وكان فزوة عاملاً للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله مُعَان^(٢) وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه فحبسوه عندهم؛ فقال: في مخبئه ذلك: [من الكامل]

طَرَقْتُ سُلَيْمَى مَوْهِنًا أَصْحَابِي	والرُّومُ بَيْنَ الْبَابِ وَالْقِرْوَانِ ^(٣)
صَدَّ الْخِيَالُ وَسَاءَ مَا قَدْ رَأَى	وَهَمَمْتُ أَنْ أُغْفِي وَقَدْ أَبْكَانِي ^(٤)
لَا تَكْخُلِنِ الْعَيْنُ بَعْدِي إِثْمَدًا	سَلَمَى وَلَا تَذْنُنْ لِلْإِتْيَانِ ^(٥)
وَلَقَدْ عَلِمْتَ أَبَا كُبَيْشَةَ أَنِّي	وَسَطَ الْأَعْزَّةَ لَا يُحْصُ لِسَانِي ^(٦)
فَلَيْتُ هَلَكْتُ لَتَفْقِدُنْ أَخَاكُمُ	وَلَيْتُ بَقِيْتُ لَتَعْرِفُنْ مَكَانِي
وَلَقَدْ جَمَعْتُ أَجَلَ مَا جَمَعَ الْفَتَى	مِنْ جَوْدَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَبَيَانِ

قال: فلما أجمعت الرُّومُ لصلبه على ماء لهم بفلسطين يقال له عَفْرَاء قال: [من

الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى سَلَمَى بِأَنَّ حَلِيلَهَا	على ماء عَفْرَاءَ فَوْقَ إِحْدَى الرُّوَاحِلِ ^(٧)
عَلَى نَاقَةٍ لَمْ يَضْرِبِ الْفَخْلُ أَمَّهَا	مُشْدَبَةً أَطْرَافُهَا بِالْمَنَاجِلِ

(١) النش: نصف الأوقية.

(٢) معان: هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء... (معجم البلدان لياقوت).

(٣) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٤) أغفى: نام نومًا خفيفًا.

(٥) الإثم: نوع من الكحل.

(٦) حص: قطع.

(٧) الرواحل: واحدتها الراحلة، وهي الناقة.

قال: ولما قدّموه ليضربوا عنقه قال: [من الكامل]
 أَبْلِغْ سَرَاةَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبِي سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي
 فضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء.
 هذا ما تلخص لنا من أخبار مَنْ وَقَدَ بعد الهجرة وقبل الفتح، فلنذكر من وَقَدَ
 بعد الفتح.

ذكر من وفد على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة شَرَّفَهَا الله تعالى وعَظَّمَهَا

ولنبداً من ذلك بذكر وفد ثُعَلْبَةَ؛ لأنه أول وفد كان بعد الفتح. ثم نذكر من وفد
 في سنة تسع من الهجرة وما بعدها، ونورده نحو ما أورده أبو عبد الله محمد بن سعد
 في طبقاته، إلا أنا نستثني منهم من قدّمنا ذكره بحكم سابقتهم، وتقدّم إسلامهم.

ذكر وفد ثُعَلْبَةَ

قال أبو عبد الله محمد^(١) بن سعد رحمه الله: لَمَّا قَدِمَ رسول الله ﷺ من
 الجُعْرَانَةِ^(٢)، في سنة ثمانٍ من الهجرة، قَدِمَ عليه أربعة نَفَرٍ، وقالوا: نحن رُسُلُ مَنْ
 خَلَفْنَا من قومنا، ونحن وهم مُقَرَّرُونَ بالإسلام، فأمر لهم رسول الله ﷺ بضيافة،
 وأقاموا أياماً ثم جاؤوا ليوَدِّعُوهُ فأمر بلالاً أَنْ يُجِيزَهُمْ، كما يُجِيزُ الْوَفْدَ، فجاء بِنَقَرٍ^(٣)
 من فِضَّةٍ فأعطى كل رجل منهم خمسَ أواقٍ، وقال: «ليس عندنا دراهم» وانصرفوا
 إلى بلادهم.

ذكر وفد أُسَدَ

قال محمد بن سعد: قَدِمَ عشرة رَهْطٍ من بني أُسَدَ بن خُزَيْمَةَ على
 رسول الله ﷺ، في أول سنة تسع من الهجرة، فيهم خَضْرَمِيّ بن عامر، وضِرَار بن

(١) محمد بن سعد: هو ابن منيع الزهري مولاهم، البصري، كاتب الواقدي (أبو عبد الله)
 محدث، حافظ. ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وحدث وروى كتب الحديث والغريب والفقه،
 وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٢٣٠ هجرية... (معجم المؤلفين ١٠: ٢١).

(٢) الجعرانة: موضع ما بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.

(٣) النقر: السبيكة من الذهب أو الفضة.

الأزور، فقال حَضْرَمِي: يا رسول الله! أتيناك نَتَدَرَعُ^(١) الليلَ البهيم^(٢)، في سنة شَهْبَاءَ^(٣)، ولم تَبْعَثْ إلينا بَعْثًا، فنزل فيهم قوله عز وجل: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

قال: وكان معهم قوم من بني الزُئِية وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم بنو الرُّشدة».

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي رحمه الله: إن نفرًا من بني أسد، ثم من بني الحلاف بن الحارث بن سعيد، قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جَذْبَةٍ، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يَغْدُونَ وَيَرْوَحُونَ على رسول الله ﷺ، ويقولون: أتتكَ العربُ بأنفسها، على ظهور رواحِلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذَّراري - يَمُنُونَ على رسول الله ﷺ - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان. ويريدون الصَّدَقَةَ، ويقولون: أعطنا. فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] والآيات. وقيل: نزلت في الأعراب: مُزَيْنَةَ، وَجُهَيْنَةَ، وَأُسْلَمَ، وَأَشْجَعَ، وَغِفَّارَ. وكانوا يقولون: آمنا بالله؛ ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحُدَيْيَةِ تخلفوا، فأنزل الله فيهم: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي أنقذنا وأستسلمنا مخافة القتل والسَّبي ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] فأخبر تعالى أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان، وإظهار شرائعه بالأبدان، لا يكون إيمانًا دون الإخلاص الذي مَحَلُّه القلب.

ذكر وفد تميم

قال أبو عبد الله محمد بن سعد: كان رسول الله ﷺ قد بعث بِشْرَ بن سفيان. ويقال: النَّحَّامُ العَدَوِيُّ على صدقات بني كعب من خُزَاعَةٍ، فجاء وقد حَلَّ بنواحيهم بنو عمرو بن جُنْدَب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فجمعت خُزَاعَةُ مواشيها للصدقة، فاستنكرت ذلك بنو تميم، وأبوا وأبتدروا القِسِيَّ، وشهروا السيوف، فقَدِمَ المُصَدِّقُ^(٤)

(١) تدرع: وصل في الليل يسري.

(٢) البهيم: الأسود.

(٣) يقال: سنة شهباء: أي ذات فحط وجذب.

(٤) المصدق: عامل الزكاة يستوفيها من أربابها.

على رسول الله ﷺ فأخبره؛ فقال: «مَنْ لهؤلاء القوم؟» فانتدب لهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن، فبعثه رسول الله ﷺ في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فأغار عليهم، فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً، فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عِدَّة من رؤساء بني تميم، منهم عَطَّارْد بن حاجب، والزُّبْرِقَان بن بَذْر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث، وعمرو بن الأهتم، وغيرهم كما ذكرنا ذلك في الغزوات في خبر سَرِيَّة عُيَيْنَةَ. قال: ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلاً.

قال ابن إسحاق: والحُتَات بن يزيد أحد بني دَارِم. قال: ومعهم عُيَيْنَةُ بن حِصْن بن حُذَيْفَةَ بن بَذْر الْفَزَارِي، قالوا: فدخلوا المسجد وقد أذن بلالٌ بالظهر؛ والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ، فعجلوا واستبطؤوه، فنادوا رسول الله ﷺ من وراء حُجَرَاتِهِ: يا محمد! أخرج إلينا. فخرج رسول الله ﷺ، وأقام^(١) بلال، فصلَّى رسول الله ﷺ الظهر، ثم أتوه؛ فقال الأقرع بن حابس: يا محمد، أئذن لي، فوالله إنَّ حَمْدِي لَزَيْنٌ، وإنَّ دَمِي لَشَيْنٌ. فقال له رسول الله ﷺ: «كَذِبْتَ، ذاك الله تبارك وتعالى». حكاه ابن سعد.

وحكى محمد بن إسحاق أنهم قالوا: يا محمد، جئناك لتفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال: «قد أذِنْتُ لخطيبكم فليقل»، فقام عَطَّارْد بن حاجب، فقال: الحمد لله الذي له علينا الفضل والمنُّ؛ وهو أهله الذي جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظيماً، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً، وأيسره عُدَّة، فَمَنْ مثلاً في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدِّد مثل ما عدَّدنا، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام، ولكننا نحيا^(٢) من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك. أقول هذا لأن تأتونا بمثل قولنا، وأمر أفضل من أمرنا. ثم جلس.

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قَيْس بن الشَّمَّاس أخي بني الحارث بن الخزرج: «قُمْ فأجب الرجل في خطبته». فقام ثابت فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهنَّ أمره، ووسَّع كرسيه علمه، ولم يك شيء قط إلا من فضله، وكان من قُدْرته أن يجعلنا ملوكاً، وأصطفى من خير خلقه رسولاً، أكرمه نسباً، وأصدقه حديثاً، وأفضله حسباً، فأنزل عليه كتابه، وأتتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فأمن

(٢) المراد بقوله «نحيا» نستحي.

(١) أي أقام الصلاة.

برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوي رحمه؛ أكرم الناس أحساباً، وأحسن الناس وجوهاً، وخير الناس فعلاً. ثم كان أول الخلق إجابة، وأستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن؛ فنحن أنصار الله، ووزراء رسول الله ﷺ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً، وكان قتله علينا يسيراً.

أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات. والسلام عليكم.

فقام الزُّبْرَقَانُ بن بَذْر، فقال: [من البسيط]

نحن الكرام فلا حيَّ يعادلنا مِنَّا الملوكةُ وفينا تُنصَّبُ البيعُ^(١)

ويروى: «وفينا يُقسَمُ الرُّبْعُ»^(٢)، بدل «تُنصَّبُ البيعُ».

وَكَمْ قَسَزْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمُ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتْبَعُ
وَنَحْنُ يُطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مُطْعِمُنَا مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْتَسِ الْقَرْعُ^(٣)
بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوِيًّا ثُمَّ نَضْطَنِعُ^(٤)

ويروى:

* مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هَوَاً ثُمَّ نُتْبَعُ *

فَنَنْحَرُ الْكُومَ عُبْطًا فِي أَرْوَمَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبِعُوا^(٥)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاخِرُهُمْ إِلَّا أَسْتَقَادُوا وَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِي ذَاكَ نَغْرِفُهُ فِيرْجِعُ الْقَوْمُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَمْ يَأْبَ لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

قال محمد بن إسحاق: وكان حسان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله ﷺ، فقال حسان: جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول: [من الطويل]

مَنْعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمٍ
مَنْعَنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمٍ

(١) البيع: واحدتها البيعة، وهي كنيسة النصارى، أو مكان العبادة.

(٢) الربع: ربع الغنيمة التي كان يأخذها الرئيس في الجاهلية.

(٣) القرع: قطع من السحاب رفاق. (٤) الهوي: الإسراع في السير.

(٥) الكوم: جمع الكوماء، وهي الناقة العظيمة السنام. والعبط: التي تنحر لغير علة.

بِسَبِيْتٍ حَرِيْدٍ عِزُّهُ وَثِرَاؤُهُ بجابيةِ الجَوْلانِ وَسَطُ الأعاجِمِ^(١)
هل المجدُ إلا السُّودْدُ العَوْدُ والثَّدَى وجاهُ المُلوكِ واحتمالُ العِظائمِ^(٢)

قال: فلما أنتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقام شاعرُ القوم فقال ما قال، عرضتُ في قوله وقلتُ على نحو ما قال. قال: ولما فرغ الزُّبرقان من إنشاده، قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: «قُمْ فأجب الرجل» فقام حسان فقال: [من البسيط]

إِنَّ الذَّوائبَ مِنْ فَهْرٍ وإِخوتَهُمْ قَدْ بَيَّنُّوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ^(٣)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يَضْطَنِعُ^(٤)

ويروى:

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الإِلَهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٥)
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا^(٦)
سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَأَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ^(٧)
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ^(٨)
لَا يَرْقِعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الرِّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا^(٩)
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالذَّرَى مَتَعُوا^(١٠)
أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُزْدِيهِمْ طَمَعُ^(١١)
لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ^(١٢)
إِذَا نَصَبْنَا لِحْيٍ لَا نَدِبُ لَهُمْ كَمَا يَدِبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ^(١٣)
نَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا^(١٤)
لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هُلَعُ^(١٥)

(١) البيت الحريد: المنفرد عن البيوت. (٢) السؤدد العود: القديم.

(٣) الذوائب: الأعالى. وذوائب القوم: ساداتهم.

(٤) السريرة: أي ما تسر وتخفيه. (٥) شرعوا بالأمر: بدأوا به.

(٦) الأشياع: الأتباع والأنصار.

(٧) البدع: جمع بدعة، والمراد بها هنا مستحدث الأخلاق.

(٨) أوهت: شقت وفقت. (٩) متعوا: زادوا.

(١٠) يطبعون: يتدنسون. (١١) الطبع: العيب والدنس.

(١٢) الذرع: ولد البقرة الوحشية. (١٣) الزعانف من الناس: السفلة.

(١٤) الخور: الضعفاء.

كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ أَشَدُّ بِحَلْيَةٍ فِي أَرْسَاغِهَا قَدَعٌ^(١)
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا^(٢)
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتَرَكَ عَدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السَّمُّ وَالسَّلْعُ^(٣)
أَكْرِمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيَعَتَهُمْ إِذَا تَفَاوَتَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
أَهْدَى لَهُمْ مِذْحَتِي قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ فِيمَا أَحَبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ^(٤)
فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا^(٥)

وقال أبو محمد عبد الملك بن هشام^(٦) رحمه الله: حدّثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم أن الزُّبرقان بن بدرٍ لما قدِم على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، قام فقال: [من الطويل]

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَغْلَمُ النَّاسُ فَضَلْنَا إِذَا اخْتَلَفُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ
بِأَنَّا فَرَوْعُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَذَارِمٌ^(٧)
وَأَنَا نَذُودُ الْمُعْلِمِينَ إِذَا اتَّخَوْا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَضْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ^(٨)
وَأَنْ لَنَا الْمِزْبَاعَ فِي كُلِّ غَارَةٍ نُغَيِّرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ^(٩)

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال: [من الطويل]

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُودُ الْعَوْدُ وَالتَّدَى وَجَاءَ الْمَلُوكُ وَأَحْتِمَالُ الْعِظَائِمِ
نَصَرْنَا وَأَوَيْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدًا عَلَى أَنْفٍ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِحَيٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسَطَ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ

(١) الموت مكتنع: دان قريب. والقدع: عوج وميل في المفاصل.

(٢) عفوًا: أي من غير مشقة. (٣) السلع: شجر مرّ.

(٤) اللسان الصنع: يراد به الذي يحسن القول.

(٥) شمعوا: ضحكوا وهزلوا.

(٦) عبد الملك بن هشام: هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. مشهور يحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر وأصله من البصرة، وله كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب. توفي في سنة ٢١٣هـ... (وفيات الأعيان ٣: ٢٧٧).

(٧) دارم: حيّ من تميم.

(٨) المعلمون: الذين يتخذون لأنفسهم علامة في الحرب يعرفون بها.

(٩) والمراد بنجد: أرض العرب.

جَعَلْنَا بَيْنَنَا دُونَهُ وَيَنَاتِنَا
وَنَحْنُ ضَرْبُ النَّاسِ حَتَّى تَتَابَعُوا
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قَرِيشٍ عَظِيمِهَا
بَنِي دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنْ فَخَرَكُم
هَبِلْتُمْ، عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقِّ دِمَائِكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا
وَأَفْضَلُ مَا نِلْتُمْ مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلَا

وَطِبْنَا لَهُ نَفْسًا بِفَنِي الْمَغَانِمِ^(١)
عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ^(٢)
وَلَدْنَا نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
يَعُودُ وَيَالَا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُئْرِ وَخَادِمِ^(٣)
وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقَسِّمُوا فِي الْمَقَاسِمِ
وَلَا تَلْبِسُوا زِينَا كَزِينِ الْأَعَاجِمِ
رِدَافَتُنَا عِنْدَ اخْتِصَارِ الْمَوَاسِمِ^(٤)

قالوا: فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأبي، إن هذا الرجل لمؤثى له، لخطيئه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا، ولهم أحلم منا. ونزل في وفد بني تميم قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٥﴾ [الحجرات: ٤، ٥].

قال محمد بن سعد: وقال رسول الله ﷺ في قيس بن عاصم: «هذا سيد أهل الوبر» ورد عليهم الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز كما كان يجيز الوفد؛ ثنتي عشرة أوقية ونشأ، وهي خمسمائة درهم.

قال ابن إسحاق: وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم في ظهرهم^(٥)، وكان أصغرهم سناً، فقال قيس بن عاصم، وكان يبغض عمرو بن الأهتم: يا رسول الله! إنه قد كان رجل منا في رحالنا وهو غلام حدث، وأزرى به، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطى القوم، فبلغ عمرو بن الأهتم ما قاله قيس فيه؛ فقال: [من البسيط]

ظَلِمْتُ مُفْتَرِشَ الْهَلْبَاءِ تَشْتُمْنِي
إِنْ تَنْقُصُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَضْلُكُمْ
وَأَنْ سُوْدَدْنَا عَوْدٌ وَسُوْدَدَكُمْ
عِنْدَ النَّبِيِّ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِبْ^(٦)
وَالرُّومُ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءَ لِلْعَرَبِ
مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَضَلِّ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ^(٧)

(١) الفياء: الغنيمة التي لا يلحق فيها مشقة.

(٢) الصوارم: السيوف التي تصرم الأعمار.

(٣) الخول: الرعاة والأنباع. والظئر: التي ترضع ولد غيرها.

(٤) رداقة القوم: الذين هم تبع لهم.

(٥) المراد بالظهر: الإبل.

(٦) الهلباء: يراد بها أسته.

(٧) العجب: أصل الذنب.

وروي أن الزُّبَيْرَانَ فَخَّرَ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ:

يا رسول الله، أنا سيّد تميم، والمطاع فيهم، والمجّاب منهم، آخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم، وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عمرو بن الأهتم. فقال عمرو: إنه شديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذنيه. فقال الزُّبَيْرَان: والله لقد كَذَبَ يا رسول الله، وما منعه من أن يتكلم إلا الحسد.

فقال عمرو: أنا أحسدك؟! فوالله إنك لثيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مُبْغَضٌ في العشيرة، والله ما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الثانية. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

ذكر وفد فزارة

وأستسقاء رسول الله ﷺ لهم

قال ابن سعد: لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، قديم عليه وفد بني فزارة، بضعة عشر رجلاً؛ فيهم خارجة بن حصن، والحُرُّ بن قيس بن حصن، وهو أصغرهم، على ركابٍ عجاف، فجاؤوا مُقَرِّين بالإسلام. وسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فقالوا: يا رسول الله، أَسْتَتُّ^(١) بلادنا، وهلك مواسينا، وأجذب جنابنا، وَغَرَّتْ^(٢) عيالنا، فادع لنا ربك. فصعد رسول الله ﷺ المنبر ودعا، فقال: «اللَّهُمَّ اسْقِ بِلَادَكَ وَبِهَاتِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحِمَتَكَ، فَأَخِي بِلَدِكَ الْمَيْتَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا^(٣) مُغِيثًا، مَرِيئًا^(٤) مَرِيئًا^(٥)، مُطْبِقًا^(٦) واسعًا، عاجلاً غير آجل، نافعا غير ضار. اللَّهُمَّ اسْقِنَا سُقْيَا رَحْمَةٍ، لَا سُقْيَا عَذَابٍ وَلَا هَذَمٍ وَلَا غَرَقٍ وَلَا مَخَقٍ. اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَأَنْصِرْنَا عَلَى الْأَعْدَاءِ فَمَطَرَتْ، فَمَا رَأَوْا السَّمَاءَ سِتًّا، فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَنْبِرَ، فدعا، فقال: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، عَلَى الْآكَامِ وَالظُّرَابِ^(٧)، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ». قال: فانجابت^(٨) السماء عن المدينة أنجياب الثوب.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أصابت الناس سَنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينما رسول الله ﷺ يخطب على المنبر يوم الجمعة، قام

- | | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| (١) أَسْتَتُّ: أجذبت. | (٢) غرث العيال: جاعوا. |
| (٣) الغيث: المطر بقدر ما ينفع. | (٤) مريء: هنيء. |
| (٥) المريع: المخصب. | (٦) المطبق: العام. |
| (٧) الظراب: المرتفعات. | (٨) انجابت السماء: أي انكشفت. |

أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا أن يسقينا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وما في السماء قزعة^(١) سحاب، قال: فثار سحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، قال: فمطرنا يومنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد والذي يليه إلى الجمعة الأخرى. فقام ذلك الأعرابي - أو رجل غيره - فقال: يا رسول الله، تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا» قال: فما جعل يُشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا تفرجت، حتى صارت المدينة في مثل الجوبة^(٢)، حتى سال الوادي وادي^(٣) قناة شهرا. قال: فلم يأت أحد من جهة إلا حدث بالجود^(٤).

ذكر وفد مرة

قال: قديم وفد بني مرة على رسول الله ﷺ عند مزجعه من تبوك في سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلاً، رأسهم الحارث بن عوف؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا قومك وعشيرتك، ونحن قوم من لؤي بن غالب. فتبسم رسول الله ﷺ، ثم قال: «أين تركت أهلك؟» قال: بسلاح^(٥) وما والاها. قال: «كيف تركت البلاد؟» قال: والله إنا لمُسْتِنُونَ^(٦)، فادع الله لنا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أسقهم الغيث» وأمر بلالاً أن يُجيزهم، فأجازهم بعشرة أواق، عشرة أواق فضة، وفضل الحارث بن عوف، أعطاه ثنتي عشرة أوقية، فرجعوا إلى بلادهم فوجدوها قد مُطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله ﷺ.

ذكر وفد مُحارب

قال: قديم وفد مُحارب على رسول الله ﷺ في سنة عشر، في حجة الوداع، وهم عشرة نفر، منهم سَواء بن الحارث، وأبنة خزيمة بن سَواء، فأنزلوا دارَ رَمْلَةٍ بنت الحارث، وكان بلال يأتيهم بَعْدَاءَ وَعَشَاءَ؛ فأسلموا وقالوا: نحن على من وراءنا، ولم يكن أحد في تلك المواسم أفظ ولا أغلظ على رسول الله ﷺ من بني مُحارب. قال: ومَسَحَ رسول الله ﷺ وجهَ خزيمة بن سَواء، فصارت له غرة بيضاء، وأجازهم كما يُجيز الوفد، وأنصرفوا إلى أهلهم.

(١) القزعة: القطعة من الغيم.

(٢) الجوبة: الحفرة المستديرة الواسعة.

(٣) وادي قناة: واد من أودية المدينة عليه حرث ومزارع.

(٤) الجود: المطر الكثير.

(٥) سلاح: ماء لبني كلاب.

(٦) المستنون: الذين أصابهم القحط والجذب.

ذكر وفد كلاب

قال: قَدِم وفد كِلاب على رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فيهم لَبِيد بن ربيعة، وَجَبَّار بن سَلْمَى، فَأَنْزَلَهُمْ دَارَ رَمْلَةَ بنت الحارث، فقالوا: يا رسول الله، إِنَّ الضحاك بن سفيان سار فينا بكتاب الله، وبسنتك التي أمرته، وإنه دعانا إلى الله، فاستجبنا لله ولسوله، وإنه أخذ الصَّدقة من أغنيائنا فردّها على فقرائنا.

ذكر وفد رؤاس بن كلاب

رَوِي عن أَبِي نُفَيْع طارق بن علقمة الرؤاسي أنه قال: قَدِم رجلٌ مِنّا يقال له عمرو بن مالك بن قيس الرؤاسي على النبي ﷺ فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: حتى نُصِيب من بني عُقَيْل بن كعب مثل ما أصابوا مِنّا، فخرجوا يريدونهم، وخرج معهم عمرو بن مالك فأصابوا فيهم، ثم خرجوا يسوقون النِّعَم^(١)، فأدركهم فارسٌ من بني عُقَيْل، يقال له ربيعة بن الْمُنتَفِق بن عامر بن عُقَيْل، وهو يقول:

أَقْسَمْتُ لَا أَطْعَمُ إِلَّا فَارِسًا إِذَا الْكُمَاءُ لَبِسُوا الْقَوَانِسَا^(٢)

قال أبو نُفَيْع: فَقُلْتُ نَجُوتُمْ يَا مَعْشَرَ الرِّجَالَةِ سَائِرَ الْيَوْمِ، فَأَدْرَكَ الْعُقَيْلِيُّ رَجُلًا من بني عبيد بن رؤاس: يقال له الْمُحَرَّش بن عبد الله بن عمرو بن عبيد بن رؤاس، فطعنه في عَضُدِهِ فَأَخْبَلَهَا^(٣)، فاعتنق الْمُحَرَّش فرسه، وقال: يا آل رؤاس! فقال ربيعة: رُؤَاسٌ خَيْلٌ أَوْ أُنَاسٌ؟! فَعَطَفَ على ربيعة عمرو بن مالك فطعنه فقتله. قال: ثم خرجنا نسوق النِّعَمَ، وأقبل بنو عُقَيْل في طلبنا حتى أَنتَهَيْنَا إلى ثُرْبَةٍ^(٤)، ففقطع ما بيننا وبينهم وادي ثُرْبَةٍ، فجعل بنو عُقَيْل ينظرون إلينا فلا يصلون إلى شيء فمضينا. قال عمرو بن مالك: فَأَسْقَطَ في يدي، وقلت: قَتَلْتُ رَجُلًا، وقد أسلمتُ وباعثُ النبي ﷺ! فشددتُ يدي في غُلٍّ^(٥) إلى عنقي، ثم خرجت أريد النبي ﷺ، وقد بلغه ذلك، فقال: «لئن أتاني لأضربن ما فوق الغُلِّ من يده» قال: فأطلقت يدي، ثم أتيته

(٢) القوانس: بيضات الحديد تلبس في الحرب.

(١) النعم: الإبل.

(٣) الخبل: فساد الأعضاء.

(٤) تربة: واد بالقرب من مكة على مسافة يومين منها.

(٥) الغل: القيد.

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنِّي فَأَتَيْتُهُ عَنْ يَمِينِهِ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَأَتَيْتُهُ عَنْ يَسَارِهِ فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَأَتَيْتُهُ مِنْ قَبْلِ وَجْهِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ الرَّبَّ لَيُتَرْضَى فَيَرْضَى، فَأَرْضَ عَنِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ. قَالَ: «قَدْ رَضِيتُ عَنْكَ».

ذِكْرُ وَفْدِ عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ

قال محمد بن السائب: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَشْيَاحِ قَوْمِهِ، قَالُوا: وَقَدْ مَنَّا مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُبَيْعُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَفَاجَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُقَيْلٍ، وَمُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنْسُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ، فَبَايَعُوا وَأَسْلَمُوا، وَبَايَعُوهُ عَلَى مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَقِيقَ عَقِيقَ بَنِي عُقَيْلٍ، وَهِيَ أَرْضٌ فِيهَا عَيُونٌ وَنَخْلٌ وَكُتِبَ لَهُمْ بِذَلِكَ كِتَابًا فِي أَدِيمٍ^(١) أَحْمَرٍ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَعْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ رَبِيعًا وَمُطَرِّفًا وَأَنْسًا؛ أَعْطَاهُمُ الْعَقِيقَ مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ، وَاسْمَعُوا وَأَطَاعُوا». وَلَمْ يَعْطِهِمْ حَقًّا لِمُسْلِمٍ، وَكَانَ الْكِتَابُ فِي يَدِ مُطَرِّفٍ. وَوَفَدَ عَلَيْهِ أَيْضًا لَقِيطُ بْنُ عَامِرِ بْنِ الْمُتَنَفِّقِ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ، فَأَعْطَاهُ مَاءً يُقَالُ لَهُ النَّظِيمُ وَبَايَعَهُ عَلَى قَوْمِهِ.

قال: وَقَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو حَرْبٍ بْنُ خُوَيْلِدٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ، فَقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَعَرَّضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَقَالَ: أَمَّا وَائِمُ اللَّهِ لَقَدْ لَقِيتُ اللَّهَ أَوْ لَقِيتُ مِنْ لَقِيهِ، فَإِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا لَا نُحْسِنُ مِثْلَهُ، وَلَكِنْ سَوْفَ أَضْرِبُ بِقِدَاحِي هَذِهِ عَلَى مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ، وَعَلَى دِينِي الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، وَضَرَبَ بِالْقِدَاحِ، فَخَرَجَ عَلَى سَهْمِ الْكُفْرِ، ثُمَّ أَعَادَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبِي هَذَا إِلَّا مَا تَرَى، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَخِيهِ عِقَالِ بْنِ خُوَيْلِدٍ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ خَيْسُكَ. أَيْ قُلْ خَيْرُكَ. فَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؟ يَدْعُو إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَقَدْ أَعْطَانِي الْعَقِيقَ إِنْ أَنَا أَسْلَمْتُ، فَقَالَ لَهُ عِقَالُ: أَنَا وَاللَّهِ أَخْطُكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْطُكَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَجَرَّ رُمْحَهُ عَلَى أَسْفَلِ الْعَقِيقِ، فَأَخَذَ أَسْفَلَهُ وَمَا فِيهِ مِنْ عَيْنٍ، ثُمَّ إِنَّ عِقَالَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَرَّضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟» فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ هُبَيْرَةَ بْنَ الثُّفَايَةَ نَعِمَ الْفَارِسُ يَوْمَ قَرْنِي لَبَانٌ^(٢). ثُمَّ قَالَ: «أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ الصَّرِيحَ^(٣) تَحْتَ الرُّغْوَةِ^(٤)»، ثُمَّ قَالَ لَهُ الثَّلَاثَةُ: «أَتَشْهَدُ؟» قَالَ: فَشْهَدَ وَأَسْلَمَ.

(١) الأديم: الجلد. (٢) لبان: بلدة بأرض مهرة بأقصى اليمن.

(٣) الصريح من اللبن: المحض الخالص.

(٤) الرغوة: الزبد. والمراد أن الأمر مغطى عليك وسيبدو لك.

قال: ثم قَدِمَ على رسول الله ﷺ الحُصَيْن بن المَعْلَى بن ربيعة بن عُقِيل، وذو الجَوْشَن الضَّبَابِي فَأَسْلَمَا.

ذكر وفدِ جَعْدَةَ

قال محمد بن سعد: وَفَدَ على رسول الله ﷺ الرُّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدَةَ بن كعب، فأعطاه ﷺ بِالْفَلَج^(١) ضَيْعَةً، وكتب له كتابًا وهو عندهم.

ذكر وفدِ قُشَيْرِ بن كعب

قال: وَفَدَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من بني قُشَيْرٍ، قبل حجة الوداع وبعد حُتَيْنٍ، فيهم ثُور بن عَزْرَةَ بن عبد الله بن سَلَمَةَ بن قُشَيْرٍ فَأَسْلَمَ، فأقطعه رسول الله ﷺ قِطِيعَةً^(٢)، وكتب له بها كتابًا. وفيهم حَيْدَةَ بن معاوية بن قُشَيْرٍ، وفيهم قُرَّة بن هُبَيْرَةَ بن سَلَمَةَ الخير بن قُشَيْرٍ فَأَسْلَمَ، فأعطاه رسول الله ﷺ، وكساه بُرْدًا، وأمره أن يَتَصَدَّقَ على قومه؛ أي يَلِي الصدقة.

ذكر وفدِ بني البَكَاء

قال: وَفَدَ ثلاثة نَفَرٍ من بني البَكَاء على رسول الله ﷺ في سنة تسع، فيهم معاوية بن ثُور بن عُبَادَةَ بن البَكَاء، وهو يومئذ ابن مائة سنة، ومعه أبْن له يقال له بِشْرٌ، والفُجْنِج بن عبد الله، ومعهم عبد عمرو البَكَّائِي وهو الْأَصَمُ، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، وكتب له بمائه الذي أسلم عليه «ذِي الْقِصَّة»^(٣). وكان عبد الرحمن من أصحاب الصُّفَّة^(٤)، فَأَنْزَلَهُم رسول الله ﷺ بِمَنْزِلٍ وَضِيافَةٍ، وَأَجَازَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ.

وقال معاوية للنبي ﷺ: إني أَتَبَرَّكَ بِمَسْكَ وقد كَبُرْتُ، وَأَبْنِي هَذَا بَرٌّ بِي فَأَمْسَحْ وَجْهَهُ، فَمَسَحَ رسولُ الله ﷺ وَجْهَ بِشْر بن معاوية، وَأَعْطَاهُ أَغْنَرًا عَفْرًا^(٥)، وَبَرَّكَ

(١) الفلج: مدينة بأرض اليمامة.

(٢) القطيعة: الجزء من الأرض يملكه الحاكم لمن يريد من أتباعه منحة. جمع قطائع.

(٣) القصة: الماء.

(٤) الصُّفَّة: الظلة؛ وأصحاب الصفة: الفقراء منهم الذين كانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة.

(٥) العفراء: الخالصة البياض.

عليهن، وكانت السنة^(١) تُصيب بني البكاء ولا تُصيبهم، وفي ذلك يقول محمد بن بشر بن معاوية: [من الكامل]

وأبي الذي مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير والبركات
أعطاه أحمد إذ أتاه أغنزا غفرا نواجل لسن باللجبات^(٢)
يملأن رفد الحي كل عشيّة ويعود ذاك المملء بالعدوات^(٣)
بوركن من منح وبورك مانحا وعليه مني ما حيث صلاتي

ذكر وفد كنانة وبني عبد بن عدي

قالوا: وفد وائلة بن الأسقع الليثي على رسول الله ﷺ بالمدينة، ورسول الله ﷺ يتجهز إلى تبوك، فصلّى معه الصبح، فقال: «من أنت؟ وما جاء بك؟ وما حاجتك؟» فأخبره عن نسبه، وقال: أتيتك لأؤمن بالله ورسوله؛ فقال رسول الله: «فبايع على ما أحببت وكرهت». فبايعه ورجع إلى أهله فأخبرهم؛ فقال أبوه: واللّه لا أكلمك كلمة أبداً، وسمعت أخته كلامه فأسلمت وجّهزته، فخرج راجعاً إلى رسول الله ﷺ، فوجده قد سار إلى تبوك. فقال: من يحملني عقبه^(٤) وله سهمي؟ فحمله كعب بن عُجرة حتى لحق برسول الله ﷺ، وشهد معه تبوك. وبعثه رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى أكنيدر، فجاء بسهمه إلى كعب بن عُجرة، فأبى أن يقبله وسوّغه إياه، وقال: إنما حملتك الله تعالى.

قال: وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عبد بن عدي، وفيهم الحارث بن أهبان، وعويمر بن الأخرم، وحبيب وربيعه أبنا ملة، ومعهم رهط من قومهم؛ فقالوا: يا محمد، نحن أهل الحرم وساكنوه، وأعز من به، ونحن لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش قاتلنا معك، ولكننا لا نقاتل قريشاً. وإنا لنحبك ومن أنت منه، فإن أصبت منا أحداً خطأ فعليك ديتة، وإن أصبنا أحداً من أصحابك فعلينا ديتة. فقال: «نعم» فأسلموا.

(١) السنة: الجذب والقحط.

(٢) نواجل: كريمة النسب. واللجبات: واحدها لجبة، وهي النعجة أو العنز التي قل لبنها.

(٣) الرفد: القدر الضخم.

(٤) العقبة: النوبة، وتعاقب المسافرين على الدابة، إذا ركب كل منهما عقبة.

ذكر وفد باهلة

قال: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ مُطَرِّفُ بن الكاهن الباهليّ بعد الفتح وافداً لقومه، فأسلم وأخذ لقومه أماناً، وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً فيه فرائض الصّدقات.

ثم قدم نَهْشَلُ بن مالك الوائليّ من باهلة على رسول الله ﷺ وافداً لقومه، فأسلم وكتب له رسول الله ﷺ، ولمن أسلم من قومه كتاباً فيه شرائع الإسلام. كتبه عثمان بن عفّان.

ذكر وفد هلال بن عامر

قالوا: قَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ من بني هلال، فيهم عبد عوف بن أضرم بن عمرو بن شُعَيْثَةَ فأسلم؛ فسَمّاه رسول الله ﷺ عبد الله. وفيهم قُبَيْصَةُ بن المُخَارِق، فقال: يا رسول الله، إني حملت عن قومي حَمَالَةً^(١) فَأَعِنِّي فيها؛ قال: «هي لك في الصّدقات إذا جاءت».

قالوا: ووَفَدَ زياد بن عبد الله بن مالك، فلما دخل المدينة، توجه إلى منزل ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ، وكانت خالة زياد - أمّه عَزّة بنت الحارث، وهو يومئذ شاب - فدخل النبي ﷺ وهو عندها، فلما رآه غضب ورجع، فقالت: يا رسول الله، هذا ابن أختي، فدخل إليها ثم خرج حتى أتى المسجد ومعه زياد، فصلّى الظهر، ثم أدنى زياداً فدعا له، ووضع يده على رأسه، ثم حَذَرها^(٢) على طَرَفِ أنفه. فكانت بنو هلال تقول: ما زلنا نَتَعَرَّفُ البركة في وجه زياد. قال الشاعر لعليّ بن زياد: [من الكامل]

ياأبن الذي مَسَحَ النبيُّ برأسِهِ	ودعا له بالخير عندَ المسجدِ
أَغْنِي زياداً لا أريدُ سواءَهُ	من غائرٍ أو مُتْهِمٍ أو مُنْجِدٍ ^(٣)
ما زال ذاك النورُ في عِزِّينِهِ	حتى تَبَوَّأَ بيتهُ في المَلْحَدِ ^(٤)

(٢) حذرّها: أنزلها.

(١) الحَمَالَة: الكفالة.

(٣) يقال: غار الرجل: إذا سار في بلاد الغور، وأتهم: إذا أتى أرض تهامة، وأنجد: إذا أتى أرض نجد.

(٤) العرينين: أول كل شيء. أو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.

ذكر وفد عامر بن صغصعة

وخبر عامر بن الطفيل وأزبد بن قيس

قال محمد بن سعد: قديم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، وأزبد بن ربيعة بن مالك بن جعفر. قال ابن إسحاق: وأزبد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر على رسول الله ﷺ. قال ابن سعد: فقال عامر بن الطفيل: يا محمد، ما لي إن أسلمت؟ قال: «لك ما للمسلمين، وعليك ما عليهم». قال: أتجعل لي الأمر من بعدك؟ قال: «ليس ذلك لك ولا لقومك» قال: أفتجعل لي الوبر^(١) ولك المدر^(٢)؟ قال: «لا، ولكني أجعل لك أعتة الخيل، فإنك أمرؤ فارس» قال: أوليست لي؟! لأملأنها عليك خيلاً ورَجَلاً. ثم ولّنا؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم أكفنيهما، اللهم وأهد بني عامر وأغن الإسلام عن عامر» - يعني ابن الطفيل -.

وقال ابن إسحاق: قديم عامر بن الطفيل على رسول الله ﷺ، وهو يريد الغدر به، وقد قال له قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم، فقال: والله لقد كنت آليتُ ألا أنتهي حتى تتبع العرب عقيبِي، وأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأزبد بن قيس: إذا قدمنا على الرجل فإني سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فأغله بالسيف. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل. يا محمد، خالني^(٣). قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده»، فجعل يكرر هذا القول ورسول الله ﷺ يعيد عليه مقالته، وهو في ذلك ينتظر من أزبد ما أمره به، فلم يصنع أزبد شيئاً، وكان آخر ما قال لرسول الله ﷺ: أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورَجَلاً، فلما ولّى قال رسول الله ﷺ: «اللهم أكفني عامر بن الطفيل» فلما خرجوا من عنده قال عامر لأزبد: ويلك! أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً. قال له أزبد: لا أبا لك! لا تغجل علي، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلت بيني وبين الرجل، حتى لا أرى غيرك! أفأضربك بالسيف! قال: وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في

(٢) المدر: المراد بها أهل المدن والقرى.

(١) الوبر: عنى بها أهل البوادي.

(٣) خاله: أي اتخذه خليلاً وصاحباً.

عنقه، فمال إلى بيت امرأة من بني سُلُول، فجعل يقول: يا بني عامر، غُدَّةٌ^(١) كغُدَّةِ الْبَكْرِ^(٢)، وموت في بيت سُلُولِيَّة! قال: ومات فواراه أصحابه، وخرجوا حتى قدموا أرض بني عامر، فأتاهم قومهم فقالوا: ما وراءك يا أزيْد؟ فقال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددْتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما.

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في هذه القصة، بسند يرفعه إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: أقبل عامر بن الطُّفَيْل وأزيْد بن ربيعة يريدان رسول الله ﷺ، وهو بالمسجد جالس في نفر من أصحابه، فدخل المسجد فاستشرف^(٣) النَّاسَ لجمال عامر، وكان أعور، وكان من أجمل الناس، فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله، هذا عامر بن الطُّفَيْل قد أقبل نحوك، فقال: «دعه فإنَّ يُرِدَ اللَّهُ به خيراً يَهْدِيهِ» فأقبل حتى قام عليه. فقال: يا محمد، ما لي إن أسلمت؟ فقال: لك ما للمسلمين، وعليك ما على المسلمين». قال: تجعل لي الأمر بعدك؟ قال: «ليس ذلك إليّ، إنما ذلك إلى الله عز وجل، يجعله حيث يشاء». قال تجعلني على الوَبَرِ وأنت على المَدَرِ؟ قال: «لا» قال: فماذا تجعل لي؟ قال: «أجعل لك أعنة الخيل تغزو عليها» قال: أوليس ذلك لي اليوم؟! قُمْ معي أكلّمك. فقام معه رسول الله ﷺ، وكان أوصى إلى أزيْد بن ربيعة إذا رأيته أكلّمه فذُرْ مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بالسيف؛ فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه، فدار أزيْد خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فاخترط^(٤) من سيفه شِبْرًا، ثم حبسه الله عز وجل عنه فلم يقدر على سَلِّهِ، وجعل عامر يومئ إليه، فالتفت رسول الله ﷺ، فرأى أزيْد وما يصنع بسيفه، فقال: «اللهم اكْفِنِيهِمَا بما شئت» فأرسل الله عز وجل على أزيْد صاعقة في يوم صائف فأحرقته، وولَّى عامرَ هاربًا، وقال: يا محمد، دعوت ربك فقتل أزيْد، والله لأملأُها عليك خيلًا جُرْدًا^(٥)، وفتيانًا مُرْدًا^(٦)؛ فقال رسول الله ﷺ: «يمنعك الله ذلك وأبناء قَيْلَةٍ» يعني الأوس والخزرج. فنزل عامر بيت امرأة سُلُولِيَّة وأنشأ يقول: [من الطويل]

تَخَيَّرَ أَبْنَتَ اللَّغْنِ إِنْ شِئْتُ وَدُّنَا وَإِنْ شِئْتُ حَرْبًا ذَاتَ بَأْسٍ وَمَضَدِيقٍ

(١) الغدة: الطاعن من الإبل.

(٢) البكر: الفتى من الإبل.

(٣) يقال: استشرف الشيء: إذا رفع بصره إليه.

(٤) اخترط السيف: استله من غمده.

(٥) الجرد: واحدهما الأجرد، وهو من الخيل القصير الشعر.

(٦) المرد: جمع أمرد، وهو الشاب الذي لم تبد لحيته.

وإن شئت فتيانًا بكفِّي أمرهم يَكْبُونُ كَبْشَ العارضِ المتألقِ^(١)

فلما أصبح ضَمَّ عليه سلاحه، قود تغير لونه، وهو يقول: [من الطويل]

لَعَمْرِي وما عَمْرِي عليَّ بهيِّنٍ لقد شَانَ حُرَّ الوجهِ طَعْنَةُ مُسْهَرٍ^(٢)
وقد عَلِمَ المَزْنُوقُ أَنِّي أَكْرُهُ على جَمْعِهِمْ كَرَّ المَنِيحِ المُشْهَرِ^(٣)
إذا أَزَوَّرَ مِنْ وَقَعِ السُّنَانِ زَجْرَتُهُ وأخبرته أَنِّي أَمْرٌ غَيْرُ مُقْصِرٍ^(٤)
وأخبرته أَنَّ الفِرَارَ خَزَايَةُ على المرءِ ما لم يُبْدِ عُذْرًا فَيُعْذِرُ^(٥)
لقد عَلِمْتُ عَلِيًّا هَوَازَنَ أَنَّنِي أنا الفارسِ الحامي حَقِيقَةَ جَعْفَرٍ

فجعل يَرْكُضُ في الصحراءِ ويقول: أبرز يا ملك الموتِ! ثم أنشأ يقول: [من الطويل]

أَلَا قَرَّبَ المَزْنُوقَ إِذْ جَدَّ مَا أَرَى لِتَعْرِيطِ يَوْمِ شَرِّهِ غَيْرُ حَامِدٍ
أَلَا قَرَّبَاهُ إِنَّ غَايَةَ جَرِينَا إِذَا قَرَّبَ المَزْنُوقَ بَيْنَ الصَّفَائِدِ^(٦)
بنو عامِرٍ قومي إِذَا ما دَعَوْتُهُمْ أَجَابُوا وَلَبَّى مِنْهُمْ كُلُّ مَاجِدٍ^(٧)

ويقول: واللَّاتِ لئن أَضْحَرَ^(٨) إِلَيَّ وصاحبه - يعني مَلِكَ الموتِ - لَأَنْفَذْتُهُمَا

بِرُمَحِي.

قال: فلما رأى اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذلك منه، أَرْسَلَ مَلَكًا فَلَطَمَهُ بِجَنَاحِهِ، فَأَزْدَاهُ فِي التُّرَابِ، وَخَرَجَتْ عَلَى رَكْبَتِهِ غُدَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي الْوَقْتِ، فَعَادَ إِلَى بَيْتِ السَّلُولِيَّةِ وَهُوَ يَقُولُ: غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ، وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ. ثُمَّ دَعَا بِفَرَسِهِ فَرَكَبَهُ. ثُمَّ أَجْرَاهُ حَتَّى مَاتَ عَلَى ظَهْرِهِ.

قال: فرثي لبيدُ بن ربيعة أخاه أَرْبَدَ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْمَرَاثِي؛ فَمِنْهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ:

[من الكامل]

قَضُ اللَّبَانَةِ لَا أَبَا لَكَ وَأَذْهَبَ وَأَلْحَقَ بِأَسْرَتِكَ الْكَرَامِ الْغَيْبِ^(٩)

(١) يقال: كَبَّ فُلَانًا: أَي صَرَعَهُ.

(٢) مسهر: هو ابن يزيد الحارثي الذي غدر بعامر بن الطفيل وطعنه بالرمح.

(٣) المزنوق: اسم فرس. والمنيح: يراد به القدح الذي يكثر به القداح..

(٤) ازورز: عدل ومال إلى ناحية أخرى. (٥) خزاية: أي استحياء.

(٦) الصفائد: واحدها الصفاد، وهو الوثاق. (٧) الماجد: الشريف الخير.

(٨) أضحر: خرج إلى الصحراء.

(٩) اللبانة: بقية الحالة. الغيب: أي الغائبون عنه.

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
يَتَلَذُّونَ مَلَاذَةً وَمَجَانَّةً
فَتَعَدَّ عَنْ هَذَا وَقُلْ فِي غَيْرِهِ
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رَزِيَّةَ مِثْلُهَا
مِنْ مَعْشَرٍ سَنَتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ
يَا أَزِيدَ الْخَيْرِ الْكَرِيمِ جُدُودُهُ

وَبَقِيْتُ فِي خَلْفٍ كَجَلْدِ الْأَجْرِبِ^(١)
وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْعَبِ^(٢)
وَأَذْكَرُ شَمَائِلَ مِنْ أَخٍ لَكَ مُعْجِبِ^(٣)
فَقُدَانُ كُلِّ أَخٍ كَضْوَى الْكَوْكَبِ^(٤)
وَالْعِزُّ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ تَطَلُّبِ
أَفْرَدْتَنِي أَمْشِي بِقَرْنٍ أَعْضَبِ^(٥)

وقال أيضًا فيه: [من المنسرح]

مَا إِنْ تُعَدِّي الْمَثُونُ مِنْ أَحَدٍ
أَخْشَى عَلَى أَزِيدَ الْحُثُوفِ وَلَا
يَا عَيْنَ هَلَا بَكَيْتِ أَزِيدَ إِذْ
فَجَّعَنِي الرُّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ بِالْفَا

لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ^(٦)
أَرْهَبُ نَوَى السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(٧)
قُمْنَا وَقَامَ الْخُصُومُ فِي كَيْدِ^(٨)
رِسِ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ النَّجْدِ^(٩)

قال: وأنزل الله عز وجل في هذه القصة: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) ﴿لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ [الرعد: ١٠، ١١] يعني رسول الله ﷺ ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ يعني تلك المعقبات ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. ثم قال تعالى مشيرًا لهذين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] أي ملجأ يلجئون إليه. وقد قيل: ﴿وَالٍ﴾ يلي أمرهم، ويمنع العذاب عنهم. ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَاقَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] قال: ﴿خَوْفًا﴾ للمسافر يخاف أذاه ومشقته ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم يرجو بركته ومنفعته ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمَحَالِ﴾ [الرعد: ١٣] قال الحسن: شديد الحق.

- (١) في أكنافهم: أي في رعايتهم. والخلف: البدل.
- (٢) يراد بقوله: وإن لم يشعب: أي لم يفسد. والشعب: التفريق والصدع.
- (٣) الشمائل: الطبايع. والمعجب: الذي يعجب من رآه وعاشره.
- (٤) الرزية: المصيبة.
- (٥) الأعضب: المكسور أحد قرنيه.
- (٦) تعدى: تترك.
- (٧) النوى: المطر. والسماك: منزلة من منازل النجوم.
- (٨) الكبد: المشقة.
- (٩) فجعه: أصابه فجعة، وهي المصيبة. ويوم الكريهة: أي يوم الشدة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شديد الأخذ. وقد روى الثعلبي أيضًا، عن إسحاق الحنظلي، عن ربحان بن سعيد الشامي، عن عباد بن منصور، قال: سألت الحسن عن قوله عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ الآية. قال: كان رجل من طواغيت العرب، فبعث إليه النبي ﷺ نقرأ ليدعوه إلى الله عز وجل ورسوله أن يؤمن، فقال لهم: أخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعوني إليه ما هو؟ ومم هو؟ من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس؟ فاستعظم القوم مقالته، وأنصرفوا إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا رجلاً أكفر قلباً، ولا أغنى^(١) على الله منه! فقال رسول الله ﷺ: «أرجعوا إليه» فرجعوا إليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وأخبث، فقال رسول الله ﷺ: «أرجعوا إليه» فرجعوا، فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه ويعظمون عليه، وهو يقول هذه المقالة؛ إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم، فرعدت وبرقت فرمت بصاعقة فأحترق الكافر وهم جلوس، فجاءوا يسعون ليخبروا النبي ﷺ فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: أحترق صاحبكم. قالوا لهم: من أين علمتم؟ قالوا: أوجي إلى النبي ﷺ الساعة: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣] الآية. والله أعلم في أيهما نزلت.

ولنرجع إلى تمة خبر وفد عامر بن صغصعة.

قال محمد بن سعد في طبقاته: وكان في الوفد عبد الله بن الشخير، فقال: يا رسول الله، أنت سيدنا، وذو الطول علينا. قال: «السيد الله، لا يستهوينكم الشيطان».

قالوا: وقدم على رسول الله ﷺ علقمة بن علاثة بن عوف، وهوذة بن خالد بن ربيعة وأبنة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالساً إلى جنب رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أوسع لعلقمة» فأوسع له، فجلس إلى جنبه، فقص عليه رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، وقرأ عليه قرآناً، فقال: يا محمد، إن ربك لكريم، وقد آمنت بك، وبايعت على عكرمة بن خصفة أخي قيس، وأسلم هوذة وأبنة وابن أخيه.

وروى ابن سعد عن عون بن أبي جحيفة السوائي عن أبيه قال: قدم وفد بني عامر وكنت معهم إلى النبي ﷺ، فوجدناه بالأبطح في قبة حمراء، فسلمنا عليه، فقال: «من أنتم؟» قلنا: بنو عامر بن صغصعة. قال: «مرحباً بكم أنتم مثي وأنا منكم».

ذكر وفد ثقيف وإسلامها وهدم اللات

كان قدوم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ، وإسلامها في شهر رمضان سنة سبع من مهاجرة^(١).

قال أبو عبد الله محمد بن إسحاق، وأبو محمد عبد الملك بن هشام، وأبو عبد الله محمد بن سعد رحمهم الله، دخل حديث بعضهم في حديث بعض: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف لم يحضر عُرْوَةُ بن مسعود، ولا غَيْلان بن سلمة الحصار، بل كانا بجُرَش^(٢) يتعلَّمان صنعة العَرَادَاتِ^(٣) والمنجنيق والدَّبَابَاتِ^(٤)، فقدمَا وقد أنصرف رسول الله ﷺ عن الطائف، فنصبا المنجنيق والعَرَادَاتِ والدَّبَابَاتِ وأعتدَّا للقتال، ثم ألقى الله في قلب عُرْوَةَ الإسلام، فخرج إلى رسول الله ﷺ يتبع أثره، حتى أدركه قبل أن يصل المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال له رسول الله ﷺ: «إنهم قاتِلوك» فقال عُرْوَةُ: يا رسول الله، أنا أحب إليهم من أبكارهم. قال: فكرر علي رسول الله ﷺ ذلك ثلاثًا، فقال: «إن شئت فأخرج» فخرج، وكان فيهم كذلك محبًّا مُطَاعًا، فسار إلى الطائف، فسار خَمْسًا فقدم عِشَاءً، فدخل منزله، فجاء قومه يُحْيِيونه بتحية الشُّرك، فقال: عليكم بتحية أهل الجنة «السَّلام» ودعاهم إلى الإسلام فخرجوا من عنده يَأْتِمِرُونَ به، فلما طلع الفجر أوفى على عُرْفَةٍ له فأذن بالصلاة، فخرجت ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل يقال له أَوْسُ بن عَوْف أخو بني سالم بن مالك - وقيل: بل هو وَهْبُ بن جابر رجل من الأخلاف - بسهم فأصاب أُنْحَلَه^(٥) فلم يرقأ^(٦) دمه، فقام أشراف قومه؛ وهم: غَيْلان بن سلمة، وكنانة بن عَبْدِ يَالِيل، والحَكَم بن عمرو بن وهب، ووجوه الأخلاف، فلبسوا السُّلَاحَ وحشدوا، فلما رأى عُرْوَةُ ذلك قال: قد تصدقتُ بذي على صاحبه؛ لأصلح بذلك بينكم، وهي كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إلي. وقال: أدفنوني مع الشهداء الذين قُتِلُوا مع رسول الله ﷺ، ومات فدفنوه معهم، وبلغ رسول الله ﷺ خبره فقال فيه: «إِنَّ مَثْلَهُ في قومه لَكَمِثْلُ صاحب «يس» دعا قومه إلى الله فقتلوه».

(١) المهاجرة: أي موضع هجرته والمراد هجرته إلى المدينة.

(٢) جرش: مخلاف باليمن منه الأديم والإبل.

(٣) العرادات: واحدها عرادة، وهي شبه المنجنيق صغيرة.

(٤) الدبابات: مفردها الدبابة، وهي آلة تتخذ للحروب فتدفع في أصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها..

(٥) الأكل: عرق في وسط الذراع يكثر فصده.

(٦) يقال: رقا الدمع والدم ونحوهما: أي سكن وجف وانقطع بعد جريانه.

قالوا: ولحق أبو المُنَاحِب بن عُرْوَة، وقاربُ بن الأسود بن مسعود برسول الله ﷺ فأسلموا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «تَوَلَّيَا مِنْ شَتْمَا» فقالا: نَتَوَلَّى اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فقال رسول الله ﷺ: «وخالكما أبا سُفْيَانَ بن حَرْبٍ» فقالا: وخالنا أبا سُفْيَانَ.

قال ابن إسحاق: ثم أقامت ثَقِيف بعدما قُتِلَ غَزْوَة أَشْهَرًا، ثم ائتمروا بينهم، ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب، وقد بايعوا وأسلموا. وكان مالك بن عَوْف قد أسلم كما قَدَّمْنَا فِي غَزْوَة حُنَيْنٍ، وجعل يُغَيِّرُ عَلَى سَرَجِهِمْ^(١). قال: وكان عمرو بن أمية أَخَا بني عِلَاجٍ مُهَاجِرًا^(٢) لعبد يَالِيلَ بن عمرو، وكان من أَذْهَى العرب، فمشى إلى عبد يَالِيلَ بن عمرو حتى دخل داره، ثم أرسل إليه أن اخرج إليّ، فاستعظم عبدُ يَالِيلَ مَشِيَهُ إِلَيْهِ، وقال للرسول الذي جاءه: ويلك! أعمرو أرسلك إليّ؟ قال: نعم، وها هوذا واقفًا في دارك، فقال: إن هذا لشيء ما كنت أظنه، لَعَمْرُو كان أَمْنَعُ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ، وخرج إليه، فلَمَّا رآه رَحَّبَ بِهِ، فقال عَمْرُو لَهُ: إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنَا أَمْرٌ لَيْسَتْ مَعَهُ هِجْرَة، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ مَا قَدْ رَأَيْتَ، وَقَدْ أَسْلَمْتَ الْعَرَبُ كُلَّهَا، وَلَيْسَتْ لَكُمْ بِحَرْبِهِمْ طَاقَة، فَانْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ. فعند ذلك ائتمرت ثَقِيفُ بَيْنَهَا، وقال بعضهم لبعض: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ لَكُمْ سَرَبٌ^(٣)، وَلَا يَخْرُجُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَقْطَعَ. فأجمعوا رأيهم أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم، كما أرسلوا غَزْوَة بن مسعود، فعرضوا ذلك على عبد يَالِيلَ بن عمرو بن عُمَيْرٍ، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصْنَعَ بِهِ إِذَا رَجَعَ كَمَا صُنِعَ بِغَزْوَة، فقال: لست فاعلاً حتى يرسلوا معي رجلاً، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأخلاف، وثلاثة من بني مالك، فبعثوا معه الحكم بن عمرو بن وَهَبٍ بن مُعْتَبٍ، وَشَرَحْبِيلَ بن غَيْلَانَ بن سَلَمَةَ بن مُعْتَبٍ، وَمِنْ بَنِي مَالِكِ عَثْمَانُ بن أَبِي الْعَاصِ بن بَشَرَ أَخَا بَنِي يَسَارٍ، وَأَوْسُ بن عَوْفٍ أَخَا بَنِي سَالِمٍ، وَثُمَيْرُ بن خَرَشَةَ بن ربيعة أَخَا بَنِي الْحَارِثِ، فخرج بهم عبد يَالِيلَ وهو نَابٌ^(٤) القوم وصاحب أمرهم.

وقال ابن سعد: كانوا بضعة عشر رجلاً، وهو أثبت.

قال ابن إسحاق: فلما دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ وَنَزَلُوا قَنَاءَ^(٥)، أَلْفَوْا بِهَا الْمَغِيرَةَ بن شُعْبَةَ يَرْعَى فِي نَوْبَتِهِ رِكَابَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ رَغِيَّتُهَا نُوبًا عَلَى أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ تَرَكَ الرِّكَابَ عِنْدَ الثَّقَفِيِّينَ، وَخَرَجَ يَشْتَدُّ^(٦) لِيُبَشِّرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ،

(١) السرح: السائمة ترعى بنفسها.

(٢) السرب: الماشية كلها.

(٣) قنأ: واد بالمدينة عليه حرث ومال.

(٤) المهاجر: المقاطع.

(٥) ناب القوم: سيدهم.

(٦) يشتد: يعدو.

فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قَدِمُوا يريدون البيعة والإسلام، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله ﷺ، حتى أكون أنا أحدثه؛ ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ، فأخبره بقدمهم عليه، ثم خرج المغيرة إليهم فعلمهم كيف يُحيون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية.

قال: ولما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ، ضَرَبَ عليهم قُبَّة في ناحية مسجده - كما يزعمون -، وكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ، حتى كتبوا كتابهم، وكتبه خالد بيده، وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله، إلى المؤمنين: إنَّ عِضَاهُ^(١) وَجَّ^(٢) وَصَيْدَهُ حَرَامٌ لَا يُغْضَدُ^(٣)، مَنْ وَجِدَ يفعل شيئاً من ذلك فإنه يُجَلَدُ وتُنَزَعُ ثيابه، فإن تعدى ذلك فإنه يُؤَخَذُ فيُبلَغُ به النبي - محمداً ﷺ - وأن هذا أمرُ النبي محمد رسول الله. وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعدّه أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ».

قال ابن إسحاق: وكانوا لَا يَطْعَمُونَ طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم.

قال: وقد كان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية وهي اللات؛ لا يَهْدِمُهَا ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدّمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مُسَمًّى. وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يَسْلَمُوا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم، ويكرهون أن يَرَوْعُوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام. فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فهدهما. وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعْفِيَهُمْ من الصلاة، وألا يَكْسِرُوا أوثانهم بأيديهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «أما كَسَرُ أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلَاةُ فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه» فقالوا: يا محمد، فسنؤتيكها وإن كانت دناءة. فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم، أقر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وكان أحرصهم على التَّفَقُّه في الإسلام وتعلّم القرآن، فقال أبو بكر الصديق ذلك لرسول الله ﷺ.

(١) العضاه: جمع عضه، وهي الشجرة العظيمة.

(٢) وج: موضع بناحية الطائف. (٣) عضد الشجرة: قطعها.

روي عن عثمان بن أبي العاص قال: كان من آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ حين بعثني على ثقيف أن قال: «يا عثمان؛ تجاوز^(١) في الصلاة وأقدر الناس بأضعفهم فإن فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة».

قال ابن إسحاق: ولما توجهوا إلى بلادهم بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية، فخرجوا مع القوم، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك عليه، وقال: أدخل أنت على قومك. وأقام أبو سفيان بماله بذى الهمد^(٢)، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمغول، وقام قومه بنو معتب دونه خشية أن يرمى أو يُصاب كما أصيب عروة بن مسعود، وخرج نساء ثقيف حُسراً^(٣) يكيّن ويقلن:

لَتُبَكَّيَنَّ دُفَاعاً أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)
* لَمْ يُخَسِّنُوا الْمِصَاعَ^(٥) *

قال: ويقول أبو سفيان بن حرب، والمغيرة يضربها بالفأس: واهَا لك! أهلاً لك! فلما هدمها المغيرة بن شعبة وأخذ ماله وحليها، أرسل إلى أبي سفيان، وحليها مجموع، وما لها من الذهب والجزع^(٦).

وقد كان أبو مُلَيْح بن عروة سأل رسول الله ﷺ أن يقضي عن أبيه عروة بن مسعود ديناً كان عليه من مال الطاغية، فقال رسول الله ﷺ: «نعم» فقال له قارب بن الأسود: وعن الأسود: يا رسول الله فأقضه، - وعروة والأسود أخوان لأب وأم - فقال رسول الله ﷺ: «الأسود مات مشركاً»، فقال قارب: يا رسول الله، لكن يصل مسلماً ذا قرابة - يعني نفسه - إنما الدين علي وأنا الذي أطلب به. فأمر رسول الله ﷺ أبا سفيان أن يقضي دين عروة والأسود من مال الطاغية؛ فلما جمع المغيرة ماله قال لأبي سفيان: إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضي عن عروة والأسود دينهما. فقضى عنهما.

(١) تجاوز في الصلاة: تساهل بعد الإطالة فيها.

(٢) الهمد: ماء وراء وادي القرى. (٣) الحسر: مكشوفات الرؤوس.

(٤) الدفاع: اللات، لأنها في اعتقادهم تدفع عنهم الضير. والرضاع: اللثام، أو الذين رضعوا اللؤم من أئداء أمهاتهم.

(٥) المصاع: الضرب بالسيف.

(٦) الجزع: الخرز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به العين.

قال المغيرة: فدخلت ثقيف في الإسلام، فلا أعلم قوماً من العرب بني أب ولا قبيلة كانوا أصحَّ إسلاماً، ولا أبعد أن يوجد فيهم غشُّ الله ولكتابه منهم.

ذكر وفد عبد القيس

قال محمد بن سعد: كتب رسول الله ﷺ إلى أهل البحرين أن يقدم عليه منهم عشرون رجلاً، فقدموا؛ رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش، ومُنقذ بن حبان وهو ابن أخت الأشج، وكان قدومهم عام الفتح، فقيل: يا رسول الله، هؤلاء وفد عبد القيس، فقال: «مَرَحَبًا بِهِمْ نَعْمُ الْقَوْمُ عَبْدُ الْقَيْسِ». قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى الأفق صبيحة ليلة قدموا، فقال: «ليأتين ركبٌ من المشرق لم يُكرهوا على الإسلام، قد أنضوا الركاب، وأفنوا الزاد، بصاحبهم علامة، اللهم أغفر لعبد القيس، أتوني لا يسألون مالا، هم خيرُ أهل المشرق».

قال: فجاؤوا في ثيابهم، ورسول الله ﷺ في المسجد، فسلموا عليه، فقال: «أيكم عبد الله الأشج؟» فقال: أنا يا رسول الله. وكان رجلاً دميماً، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: «إنه لا يُستقى في مُسوك^(١) الرجال، إنما يُحتاج من الرجل إلى أصغرَيْه لسانه وقلبه». فقال رسول الله ﷺ: «فيكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللهُ تَعَالَى» فقال عبد الله: وما هما؟ قال: «الحلم والأناة»^(٢). قال: شيء حَدَثَ أم جُيِلْتُ عليه؟ قال: «بل جُيِلْتُ عليه» قال: وكان الجارود نصرانياً، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ورَغَّبَهُ فِيهِ.

قال ابن إسحاق: فقال يا محمد، إني قد كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك: أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم، أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خيرٌ منه» فأسلم وأسلم أصحابه.

قال ابن سعد: وأنزل رسول الله ﷺ وفد عبد القيس في دار رَمْلَةَ بنت الحارث، وأجرى عليهم ضيافة، وأقاموا عشرة أيام، وكان عبد الله الأشج يسائل رسول الله ﷺ عن الفقه والقرآن، وأمر لهم رسول الله ﷺ بجوائز، وقُضِلَ عليهم عبد الله الأشج؛ فأعطاه اثنتي عشرة أوقية ونشأ، ومسح ﷺ وجه مُنقذ بن حبان.

(١) المسوك: الجلود.

(٢) الأناة: الوقار والثبوت في الأمور.

ذكر وفد بكر بن وائل

قال ابن سعد: قَدِمَ وفد بَكْر بن وائل على رسول الله ﷺ، وكان في الوفد بشير بن الخُصَاصِيَّة، وعبد الله بن مَرْثَد، وحَسَّان بن خُوْط؛ ولذلك يقول رجلٌ من ولد حَسَّان:

أنا أَبْنُ حَسَّانَ بن خُوْطِ وأبي رسولُ بَكْرِ كُلِّها إلى النَّبي

قالوا: وَقَدِمَ معهم عبد الله بن أَسْوَد بن شِهَاب بن عَوْف بن عمرو بن الحارث بن سَدُوس، وكان ينزل اليمامة، فباع ما كان له من مال باليمامة، وهاجر وَقَدِمَ على رسول الله ﷺ بجِراب من تَمْر، فدعا له رسول الله ﷺ بالبركة. وحيث ذكرنا وفد بكر بن وائل فلنذكر خبر الأعشى.

ذكر خبر أعشى بني قيس

وَأَمْتَدَاحه رسول الله ﷺ ورجوعه قبل لقائه

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حَدَّثَنِي خَلاد بن قُرَّة بن خالد السَّدُوسِي، وغيره من مشايخ بكر بن وائل من أهل العلم، أَنَّ أعشى بني قيس بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَّابَةَ بن صَعْب بن علي بن بكر بن وائل، خرج إلى رسول الله ﷺ يريد الإسلام، فقال يمدح رسول الله ﷺ: [من الطويل]

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةً أَزْمَدَا	وَبِتْ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا ^(١)
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا	تَنَاسَيْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صُحْبَةَ مَهْدَا ^(٢)
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ	إِذَا أَضْلَحْتَ كَفَّايَ عَادَ فَاَفْسَدَا
كُهُولًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثَرَوَةَ	فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا ^(٣)
وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ	وَلَيْدَا وَكَهْلًا حِينَ شَبْتُ وَأُمْرَدَا ^(٤)
وَأَبْتَذِلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي	مَسَافَةً مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرَّخَدَا ^(٥)

(١) السليم: اللديغ. والمسهد: القليل النوم أرقًا.

(٢) مَهْدَا: اسم امرأة. (٣) تردد: رجع مرة بعد أخرى.

(٤) اليافع: الغلام الذي قارب الحلم. والوليد: الصبي. والأمرد: الذي لا شعر على وجهه.

(٥) العيس: الإبل. والمراقيل: المسرعة. والنجير: حصن قرب حضرموت. وصرخد: موضع بالشام.

- أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيَّنَ يَمَّمَتْ
فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رَبَّ سَائِلٍ
أَجَدْتُ بِرِجْلَيْهَا النَّجَاءَ وَرَاجَعْتُ
وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرْتُ عَجْرَفِيَّةً
وَأَمَّا إِذَا مَا أَذْلَجْتُ فَتَرَى لَهَا
فَالَيْتُ لَا أَوِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ
مَتَى مَا تُنَاجِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ
نَبِيٍّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ
لَهُ صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ
أَجْدُكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ الثَّقَى
نَدِمْتَ عَلَى الْأَتَاكُونَ كَمِثْلِهِ
فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا
وَلَا النُّصَبَ الْمَنْصُوبَ لَا تَنْسُكُنَّهُ
- فَإِنْ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدًا^(١)
حَفِيٍّ عَنِ الْأَغْشَى بِهِ حَيْثُ أَضْعَدًا^(٢)
يَدَاهَا خِنَافًا لَيْئًا غَيْرَ أُحْرَدًا^(٣)
إِذَا خِلْتَ حِزْبَاءَ الظُّهَيْرَةِ أَضِيدًا^(٤)
رَقِيبِينَ جَذِيًّا مَا يَغِيبُ وَفَرْقَدًا^(٥)
وَلَا مِنْ حَفَى حَتَّى تُلَاقِي مُحَمَّدًا^(٦)
تُرَاجِي وَتُلْقَى مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَا^(٧)
أَغَارَ لَعَمْرِي فِي الْبِلَادِ وَأَنْجَدًا^(٨)
وَلَيْسَ عَطَاءُ الْيَوْمِ مَانِعُهُ غَدًا^(٩)
نَبِيُّ الْإِلَهِ حَيْثُ أَوْصَى وَأَشْهَدًا^(١٠)
وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدًا^(١١)
فَتُرْصِدَ لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَرْصَدًا^(١٢)
وَلَا تَأْخُذَنَّ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدًا^(١٣)
وَلَا تَغْبُدِ الْأَوْثَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدًا^(١٤)

- (١) يمم: قصد. ويثرب: المدينة المنورة.
(٢) الحفي: الذي يكثر السؤال في إلحاح.
(٣) أجدت: سلكت. والنجاء: السرعة في السير. والخفاف: لين في أرساغ البعير. والأمرد: الذي يخطب يديه إذا سار.
(٤) العجرفية: التي لا تبالي في سيرها لنشاطها. والأصيد: الذي به الصيد، وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها فلا تزال رافعة رأسها منه.
(٥) أذلجت: سارت في الليل. والجدي والفرقد: نجمان.
(٦) أليت: أقسمت. والحفي: انسحاج القدم من كثرة المشي.
(٧) أناخ الجمل: برك. الفواضل: الأيادي الجميلة أو الجميلة. والندی: الجود.
(٨) أغار: من الغور، وهو المنخفض من الأرض. وأنجد: من النجد، وهو ما ارتفع من الأرض.
(٩) تغب: تأتي مرة وتختلف مرة. والنائل: العطاء الذي ينالك.
(١٠) الوصاة: الوصاية.
(١١) الزاد: المدخر الزائد على ما يحتاج إليه. والتزود: أخذ الزاد.
(١٢) أرصد: أعد للأمر عدته. والرصد: الاستعداد للترقب.
(١٣) الفصد: قطع عرق يشخب الدم.
(١٤) النصب: الأصنام. والنسك: الذبح للأصنام.

ولا تَقْرَبَنَّ جَارَةَ إِنْ سَرَّهَا عَلَيْكَ حَرَامٌ فَأَنْكِحَنَّ أَوْ تَأْبَدَا^(١)
 وَذَا الرَّجِمِ الْقُرْبَىٰ فَلَا تَقْطَعَنَّه لِعَاقِبَةٍ وَلَا الْأَسِيرَ الْمُقَيَّدَا
 وَسَبِّحْ عَلَىٰ جِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاخْمَدَا
 وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ لِلْمَرْءِ مُخْلِدَا^(٢)

فلما كان بمكة أو قريباً منها، أعترضه بعض المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنه جاء يريد رسول الله ﷺ ليُسَلِّمَ، فقال له: يا أبا بصير إنه يحرم الزَّنى. فقال الأعشى له: والله إن ذلك لأمر ما لي فيه من أرب^(٣). فقال: يا أبا بصير فإنه يحرم الخمر. فقال: أما هذه فوالله إن في النفس منها لَعُلالات^(٤)، ولكنني منصرف فأتروني منها عامي هذا ثم آتية فأُسَلِّمَ. فأنصرف فمات من عامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ.

ذكر وفد تغلب

قال: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد بني تغلب، وهم ستة عشر رجلاً مسلمين، ونصارى عليهم ضُلب الذهب، فنزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث، فصالح ﷺ النصارى على أن يُقَرِّمَهُمْ على ذِمَّتِهِمْ، على ألا يَضْبُغُوا أولادهم في النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم.

ذكر وفد حنيفة^(٥)

قالوا: قَدِمَ وفد بني حنيفة على رسول الله ﷺ وهم بضعة عشر رجلاً، فيهم رَجَالُ بن عُنْفُوَّة، وَسَلْمَى بن حَنْظَلَةَ، وَطَلْق بن علي بن قيس، وَحُمُرَان بن جابر، وَعَلِي بن سِنَان، وَالْأَقْعَس بن مَسْلَمَةَ، وَزَيْد بن عمرو، وَمُسَيْلِمَةَ بن حبيب، وهو الكَذَّاب. وعلى الوفد سَلْمَى بن حَنْظَلَةَ، فأنزلوا دار رَمْلَةَ بنت الحارث، وأجريت عليهم ضيافة. فأتوا رسول الله ﷺ في المسجد، فسَلَّمُوا عليه وشهدوا شهادة الحق،

(١) سرَّها: وطأها. وتأيد: تعفف عن النساء.

(٢) الضرارة: الضرر، وهو سوء الحال في البدن أو النفس أو المال. والخلد: البقاء والدوام.

(٣) الأرب: الحاجة، أو الحاجة الشديدة.

(٤) العلالات: واحدتها: العلالة، وهي البقية.

(٥) بنو حنيفة: هي من بكر بن وائل، من العدنانية، كانت منازلهم اليمامة... منهم: مسيلمة الكذاب الذي خرج باليمامة زمن النبي ﷺ وادعى النبوة... (أنساب العرب للقلقشندي).

وَحَلَفُوا مُسَيْلِمَةَ فِي رِحَالِهِمْ. وَأَقَامُوا أَيَّامًا يَخْتَلِفُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَكَانَ رَجَالُ بْنُ عُنْفُوَةَ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ مِنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، فَلَمَّا أَرَادُوا الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ، أَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَوَائِزِهِمْ: خَمْسَ أَوَاقٍ لِكُلِّ رَجُلٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَلَفْنَا صَاحِبًا لَنَا فِي رِحَالِنَا يَبْصُرُهَا لَنَا، وَفِي رِكَابِنَا يَحْفَظُهَا عَلَيْنَا، فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَا أَمَرَ لِأَصْحَابِهِ. وَقَالَ: «لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا لِحَفَظِهِ رِكَابَكُمْ وَرِحَالَكُمْ»^(١) فَقِيلَ ذَلِكَ لِمُسَيْلِمَةَ فَقَالَ: عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ.

وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِدَاوَةً^(٢) مِنْ مَاءٍ فِيهَا فَضْلُ طَهُورِهِ، فَقَالَ: «إِذَا قَدِمْتُمْ بِلَدَكُمْ فَأَكْسِرُوا بَيْعَتَكُمْ»^(٣)، وَأَنْضَحُوا مَكَانَهَا بِهَذَا الْمَاءِ، وَأَتَّخَذُوا مَكَانَهَا مَسْجِدًا، فَفَعَلُوا، وَصَارَتِ الْإِدَاوَةُ عِنْدَ الْأَقْعَسِ بْنِ مَسْلَمَةَ، وَصَارَ الْمُؤَدَّنُ طَلْقَ بَنِ عَلِيٍّ، فَأَذَّنَ فَسَمِعَهُ رَاهِبُ الْبَيْعَةِ، فَقَالَ: كَلِمَةٌ حَقٌّ. وَهَرَبَ فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ.

ثُمَّ أَدْعَى مُسَيْلِمَةُ الْكَذَابُ بَعْدَ ذَلِكَ النَّبُوَّةَ، وَشَهِدَ لَهُ الرُّجَالُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْرَكَ فِي الْأَمْرِ، فَأَفْتَتَنَ النَّاسُ بِهِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا نَذَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر وفد شيبان

قَالَ: وَقَدِمَ مِنْ بَنِي شَيْبَانَ حُرَيْثُ بْنُ حَسَّانَ الشَّيْبَانِيَّ، فَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ وَعَلَى قَوْمِهِ، وَصَحَبَهُ فِي مَسِيرِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَيْلَةُ بِنْتُ مَخْرَمَةَ التَّمِيمِيَّةِ، وَهِيَ الَّتِي أَرْعَدَتْ مِنَ الْفَرَقِ^(٤) لَمَّا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا: «يَا مِسْكِينَةَ عَلَيْكَ السَّكِينَةُ» فَهَدَّاتُ.

رُوي عَنْ قَيْلَةَ بِنْتُ مَخْرَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: إِنَّ حُرَيْثَ بْنَ حَسَّانَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي تَمِيمٍ بِالذَّهْنَاءِ^(٥) لَا يَجَاوِزُهَا إِلَيْنَا مِنْهُمْ إِلَّا مَسَافِرٌ أَوْ مُجَاوِرٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غَلَامُ اكْتُبْ لَهُ بِالذَّهْنَاءِ»، قَالَتْ قَيْلَةُ: فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَمَرَ لَهُ بِأَنْ يَكْتُبَ لَهُ بِهَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْكَ السُّوْيَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ سَأَلْتُكَ، إِنَّمَا هَذِهِ الذَّهْنَاءُ عِنْدَكَ؛ مُقَيَّدٌ^(٦) الْجَمَلُ، وَمَرْعَى الْعَنَمِ، وَنِسَاءُ تَمِيمٍ وَأَبْنَاؤُهَا وَرَاءَ ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ يَا غَلَامُ، صَدَقْتَ الْمِسْكِينَةَ، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ يَسْعُهُمَا الْمَاءُ

(١) الرِّحَالُ: جَمْعُ الرِّحْلِ، وَهُوَ مَا يُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلرُّكُوبِ. أَوْ كُلُّ شَيْءٍ يَعْدُ لِلرَّحِيلِ مِنْ وَعَاءٍ لِلْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ.

(٢) الْإِدَاوَةُ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ يَحْمِلُ فِيهِ الْمَاءُ.

(٣) الْبَيْعَةُ: مَكَانُ الْعِبَادَةِ عِنْدَ النَّصَارَى، أَوْ عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ.

(٤) الْفَرَقُ: الْخَوْفُ. (٥) الذَّهْنَاءُ: دِيَارُ بَنِي تَمِيمٍ.

(٦) مُقَيَّدُ الْجَمَلِ: أَيُّ أَنَّهَا مَخْصِيْبَةٌ مَرْعَةٌ، وَالْجَمَلُ يَقْبِذُ فِيهَا وَيَخْلِي لَا يَتَعَدَّى مَرْتَعَهُ.

والشجر، ويتعاونان على الفتان»^(١). فلما رأى حُرَيْث أن قد حِيل دون كتابه، ضرب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: كنتُ أنا وأنتِ كما قيل: «حَتَفَهَا تَحْمِلُ ضَانُّ بِأُظْلَافِهَا»^(٢) فقلت: أما والله أن كنتُ لدليلاً في الظُّلُماء، جَوَادًا بذِي الرِّحْلِ، عَفِيفًا عن الرِّفِيقَةِ، حتى قَدِمْتُ على رسول الله ﷺ، ولكن لا تلمني على حَظِّي إذ سألتَ حَظَّكَ. فقال: وما حَظُّكَ في الدَّهْناء لا أبا لك؟ قلت: مُقَيَّدُ جَمَلِي تسأله لجمل أَمْرَأَتِكَ! قال: لا جَرَم، إِنِّي أَشْهَدُ رسولَ الله ﷺ أَنِّي لك أَخٌ ما حَيِّتُ إذ أثبت هذا عليّ عنده. فقلت: أما إذ بدأتها فلن أضيعها. وحديثٌ قِيلَ فيه طولٌ ليس هذا موضعه.

ذكر وفادات أهل اليمن

ذكر وفد طييء وخبر زيد الخيل وعدي بن حاتم

قالوا: وَفَدَ على رسول الله ﷺ وفد طييء خمسة عشر رجلاً، رأسهم، وسيدهم زَيْدُ الْخَيْلِ بن مُهْلَهْل، من بني تَبْهَانَ، وفيهم وَزَّر بن جَابِر بن سَدُوسِ التَّبْهَانِي، وهو قَاتِلُ عَنْتَرَةَ، وَقَبِيصَةُ بن الْأَسْوَدِ بن عامر من جَرَمِ طِييء، ومالك بن عبد الله بن خَبَرَى من بني مَعْنٍ، وَقُعَيْنُ بن خَلْفٍ من جَدِيلَةَ، ورجل من بني بَوْلَانٍ، فدخلوا المدينة ورسول الله ﷺ في المسجد، فَعَقَلُوا رَوَاحِلَهُمْ بِفَنَاءِ الْمَسْجِدِ، ثم دخلوا فدنوا من رسول الله ﷺ، فعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وأجازهم بخمس أواق فضة لكل رجل منهم، وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونَشَأَ^(٣). وقال ﷺ: «ما ذُكِرَ لي رجلٌ من العرب إلا رأيتُه دون ما ذُكِرَ لي إلا ما كان من زيد الخيل، فإنه لم يَبْلُغْ كلَّ ما كان فيه».

وسَمَّاهُ رسولُ الله ﷺ «زيد الخير» وَقَطَعَ له فَيْدٌ^(٤) وأَرْضَيْنِ معه، وكتب له بذلك كتابًا، فخرج مع قومه راجعًا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ يُنَجِّجْ زَيْدٌ مِنْ حُمَى الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ»، فلما أَنتَهَى زيد من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له قَرْدَةُ^(٥) أَصَابَتْهُ الْحُمَّى فمات، فعمدت أَمْرَأَتُهُ إلى ما كان النَّبِيُّ ﷺ كتب له فحرقته بالنار.

هذا ما كان من خبر زيد الخيل.

(١) الفتان: الشيطان، لأنه يفتن الناس عن الدين.

(٢) هذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة.

(٣) النش: النصف. (٤) فَيْدٌ: منزل في نجد بطريق مكة من العراق.

(٥) قردة: بالفتح ثم السكون، ودال مهملة، تأنث الفرد، وهو ما كان وحده. ورواه نصر بالقاف وفتح الراء، والله أعلم: وهو اسم جبل بالبادية سمي بذلك لانفراده عن الجبال. والقردة: ماء بالثبوت لبني نعام... (معجم البلدان لياقوت).

وأما عدي بن حاتم فكان من خبره أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفيلس - صنم طيء - ليهدمه ويشتن الغارات، فخرج فأغار على حاضر آل حاتم، وأصابوا ابنة حاتم، كما قدمنا ذكر ذلك في الغزوات والسرايا^(١)، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيء. وقيل: إنما سبأها من خيل رسول الله ﷺ خيل كان عليها خالد بن الوليد، وهرب عدي بن حاتم حتى لحق بالشام.

حكى محمد بن إسحاق رحمه الله قال: كان عدي بن حاتم يقول - فيما بلغني -: ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت أمراً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمزباع، أي أخذ منهم رُبُع مغانمهم التي يغنمونها، وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي، وكان راعياً لإبلي: لا أبأ لك! اعدد لي من إبلي جمالاً ذُللاً سماناً فأحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذني. ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي، ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فأصنعه الآن، فإني رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. فقلت: فقرب إلي أجمالي. فقربها فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت: ألحق بأهل ديني من التصاري بالشام، فسلكت الجوشية - ويقال الحوشية^(٢) - وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفتني خيل لرسول الله ﷺ، فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام، قال: فجعلت ابنة حاتم في حظيرة^(٣) بباب المسجد كانت السبايا تُحبس فيها، فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه، وكانت امرأة جَزَلَة^(٤)، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمنن علي، من الله عليك. قال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله؟» قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي فقلت له مثل ذلك، فقال مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا

(١) السرايا: واحداً السرية، وهي قطعة من الجيش، ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة.

(٢) الحوشية: قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير، فيها عيون تسقي أكثر ضياعها سيحاً، وهي كورة من كور حمص... وقال الحازمي: جوشية... وهي موضع بين نجد والشام، عليها سلك عدي بن حاتم حين قصد الشام هارباً من خيل رسول الله ﷺ... (معجم البلدان).

(٣) الحظيرة: ما أحيط بالشيء سواء أكان من خشب أو قصب.

(٤) الجزلة: التامة الخلق.

كان بعد الغد مَرَّ بي وقد يَسْتُ، فأشار إليَّ رجلٌ من خلفه أن قُومي فكلِّميه، قالت: فقمْتُ إليه، فقلت: يا رسول الله، هَلَك الوالدُ، وغاب الوافدُ، فأْمُنن عليَّ، من الله عليك. فقال: «قد فعلتُ فلا تَعْجَلِي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذِني» فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن كلِّميه، فقيل عليَّ بن أبي طالب، قالت: فأقمت حتى قَدِم ركب من بليٍّ أو قُضاعة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام، قال عديُّ: فوالله إنني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظُعيئة^(١) تَصُوب^(٢) إليَّ تَوْمنا، قال: قلت أبنه حاتم، فإذا هي هي، فلما وقفت عليَّ أنسلختُ تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتزكت بقيَّة والديك عورتك! قال: قلت: أي أخية! لا تقولِي إلَّا خيرًا، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قالت: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا تَرين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعًا، فإن يكن الرجلُ نبيًّا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكًا فلن تذل في عز اليمين، وأنت أنت. قال: قلت والله إن هذا الرَّأي. فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلمت عليه فقال: «مَنْ الرَّجل؟» فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله ﷺ فأنطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه إذ لقيته امرأةً ضعيفة كسيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلًا تكلمه في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفًا فقذفها إليَّ فقال: «أجلس على هذه» قلت: بل أنت فاجلس عليها، قال: «بل أنت» فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض، فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك. ثم قال: «إيه يا عدي بن حاتم ألم تك رَكُوسِيًّا؟»^(٣) قلت: بلى، قال: «أو لم تك تسير في قومك بالمِرباع؟» قلت: بلى؛ قال: «فإن ذلك لم يك يَحِلُّ لك في دينك». قال: قلت أَجَلُ واللَّهِ، وعَرَفْتُ أنه نبيٌّ مرسل يعلم ما يُجْهَل، ثم قال: «لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدِّين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشِكَنَّ المالُ يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول

(١) الظُعيئة: الراحلة يرتحل عليها، أو الهودج، أو الزوجة.

(٢) تصوب: تقصد.

(٣) الرَكُوسِيَّة: دين بين النصارى والصابئين.

فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن يسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيّم الله ليوشكن أن يسمع بالقصور البيض من أرض بابل^(١) قد فتحت عليهم». قال عديّ: فأسلمت. فكان عديّ يقول: قد مضت أثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن؛ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بغيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وإيّم الله لتكونن الثالثة؛ ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه.

ذكر وفد تجيب

قال ابن سعد: قديم وفد تجيب^(٢) على رسول الله ﷺ في سنة تسع من مهاجره، وهم ثلاثة عشر رجلاً، وساقوا صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسّر رسول الله ﷺ بهم، وقال: «مرحباً بكم» وأكرم منزلهم وحيّاهم، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم وجوائزهم، وأعطاهم أكثر مما كان يجيز به الوفد، وقال: «هل بقي منكم أحد» قالوا: غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنًا. قال: «أرسلوه إلينا»، فأقبل الغلام إلى رسول الله ﷺ، فقال: إني أمرؤ من بني أبناء الرّهط الذين أتوك آنفاً، فقضيت حوائجهم فأقض حاجتي، قال: «وما حاجتك؟» قال: تسأل الله أن يغفر لي ويرحمني ويجعل غناي في قلبي. فقال: «اللهم أغفر له وارحمه وأجعل غناه في قلبه». ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه، فانطلقوا راجعين إلى أهلهم، ثم وافوا رسول الله ﷺ في الموسم بمئى^(٣) في سنة عشر، فسألهم رسول الله ﷺ عن الغلام، فقالوا: ما رأينا مثله أقنع منه بما رزقه الله.

(١) بابل: اسم ناحية منها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر. ويقال: إن أول من سكنها نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعقب الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) بنو تجيب: بضم التاء وكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت ثم ياء موحدة: بطن من كندة، وأمهم هي تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رهاء بن مذحج؛ ومن تجيب: بحرية بن حيوة، الذي قتل عثمان بن عفان، رضي الله عنه... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) مئى: قرية بين مكة وعرفات فيها رمي الجمرات والذبح في مناسك الحج والمبيت ليلة عرفة وهي ليلة الوقوف.

ذكر وفد خولان

قال: قَدِمَ وَفْدُ خَوْلَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ عَشْرٍ، وَهُمْ عَشْرَةُ نَفَرٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَنَحْنُ عَلَى مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ^(١) الْإِبِلِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا فَعَلَ عَمَّ أَنْسٍ» صَنَّمْ لَهُمْ؛ فَقَالُوا: بَشَرٌ وَعَرٌّ^(٢)، أَبَدَلْنَا اللَّهَ بِهِ مَا جِئْتَ بِهِ، وَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِلَيْهِ هَدَمْنَاهُ. وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ، فَجَعَلَ يُخْبِرُهُمْ بِهَا، وَأَمَرَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ، وَأَنْزَلُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، وَأُجْرِيَتْ عَلَيْهِمُ الضِّيَافَةُ، ثُمَّ جَاءُوا بَعْدَ أَيَّامٍ يُودَعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزٍ ثِنْتِي عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً وَنَشْرًا، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلَمْ يَحُلُّوا عَقْدَةَ حَتَّى هَدَمُوا عَمَّ أَنْسٍ. وَمِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ خَوْلَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ الْعَابِدُ، وَأَسَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْبٍ، وَلَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَلَهُ خَبَرٌ عَجِيبٌ مَعَ الْأَسْوَدِ الْعَنْسِيِّ، نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذكر وفد جُعْفِي

قال ابن سعد: وفد إلى رسول الله ﷺ رجُلَانِ مِنْ جُعْفِيٍّ، وَهُمَا قَيْسُ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ، وَسَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ، وَهُمَا أَخَوَانِ لَأُمٍّ، وَأُمُهُمَا مُلَيْكَةُ بِنْتُ الْحَلَوِ بْنِ مَالِكٍ، فَأَسْلَمَا فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلِّغْنِي أَنْكُمْ لَا تَأْكُلُونَ الْقَلْبَ» وَكَانُوا يُحَرِّمُونَ أَكْلَهُ، فَقَالَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّهُ لَا يَكْمَلُ إِسْلَامَكُمْ إِلَّا بِأَكْلِهِ» وَدَعَا بِقَلْبِ فُسْوَيٍّ، ثُمَّ نَاولَهُ سَلَمَةُ فَلَمَّا أَخَذَهُ أُرْعِدَتْ يَدُهُ فَقَالَ لَهُ: «كُلْهُ» فَأَكَلَهُ، وَقَالَ: [مَنْ الْوَافِر]

عَلَى أَنِّي أَكَلْتُ الْقَلْبَ كَرَهَا وَتُرْعَدُ حِينَ مَسَّئُهُ بَنَانِي^(٣)

ثم قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمَّنَا مُلَيْكَةَ بِنْتَ الْحَلَوِ كَانَتْ تَقُوكَ الْعَانِي^(٤)، وَتُطْعِمُ الْبَائِسَ، وَتَرْحَمُ الْمُسْكِينَ، وَأَنَّهَا مَاتَتْ وَقَدْ وَادَتْ^(٥) بُنْيَةَ لَهَا صَغِيرَةً، فَمَا حَالُهَا؟ قَالَ: «الْوَائِدَةُ وَالْمُوَوَّدَةُ فِي النَّارِ» فَقَامَا مُغْضِبَيْنِ، فَقَالَ: «إِلَيَّ فَارْجِعَا» فَقَالَ: «وَأَمِّي

(١) آباط الإبل: جمع الإبط، وهو باطن المنكب والجناح.

(٢) العر: الجرب، وهو أبغض داء إلى نفوس العرب لذا عطفوه على الشر.

(٣) البنان: أطراف الأصابع. (٤) العاني: الذليل الأسير.

(٥) الواد: قتل الجارية دفنًا وهي حية.

مع أمكما» فأبيا ومضيا، وهما يقولان: والله إن رجلاً أطعمنا القلب، وزعم أن أمتنا في النار لأهل ألا يتبع، فلما كانا ببعض الطريق، لقياً رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، معه إبل من إبل الصدقة، فأوثقاه وطردا الإبل، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلعنهما فيمن كان يلعن في قوله: «لعن الله رجلاً ودكوان وعصية ولحيان وأبنا مليكة».

قال محمد بن سعد: وقديم أبو سبرة وهو يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي على النبي ﷺ ومعه أبناء سبرة وعزير فأسلموا. وسمى رسول الله ﷺ عزيراً عبد الرحمن. وقال له أبو سبرة: يا رسول الله: إن بظهر كفي سلعة^(١) قد منعني من خطام^(٢) راحلتي، فدعا بقدح، وجعل يضرب به على السلعة ويمسحها فذهبت، ودعا له رسول الله ﷺ ولأبنيه، فقال: يا رسول الله، أقطعني وادي قومي باليمن، وكان يقال له جردان^(٣) ففعل، قال: وعبد الرحمن هذا هو أبو خيثمة عبد الرحمن.

ذكر وفد مُراد^(٤)

قالوا: قدم فرزة بن مُسينك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ومُباعداً لهم، وقال في ذلك: [من الكامل]

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتُ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا^(٥)
قَرَّبْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّداً أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَرَائِهَا^(٦)

وبايع النبي ﷺ، ونزل على سعد بن عباد، وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه، فأجازه رسول الله ﷺ بأثنتي عشرة أوقية، وحمله على بعير وأعطاه حلة من نسج عُمان، وأستعمله على مُراد وزُبَيد ومذحج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة، فلم يزل على الصدقة حتى توفي رسول الله ﷺ.

(١) السلعة: خراج كهية الغدة تتحرك بالتحريك. وقيل: هي ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه وله غلاف.

(٢) الخطام: ما وضع على خطم الراحلة لتقاد بها.

(٣) جردان: واد بين عمقين.

(٤) مراد: بطن من كهلان، من القحطانية. وجعل في العبر مراداً بطناً من مذحج؛ منهم الجراح بن الحصين، الذي قال له ابن الزبير: أكلت تمرى وعصيت أمري... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٥) النسا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ.

(٦) أوم: أقصد.

ذكر وفد زُبَيْد^(١)

قال ابن سعد: قَدِم وفد عمرو بن مَعْدِي كَرَبَ الزُّبَيْدِي على رسول الله ﷺ المدينة، في عشرة نفر من زُبَيْد، فنزل على سعد بن عُبَادَة فأكرمه سعد وراح به إلى رسول الله ﷺ فأسلم هو ومن معه، وأقام أيامًا، ثم أجازهم رسول الله ﷺ، وأنصرف إلى بلاده، فأقام مع قومه على الإسلام، وعليهم قَزْوَة بن مُسِيك، فلما توفي رسول الله ﷺ أَرْتَدَ، ثم رجع إلى الإسلام، وأبْلَى يوم القَادِسِيَة وغيرها.

قال محمد بن إسحاق: كان عمرو بن مَعْدِي كَرَب قد قال لَقَيْس بن مَكْشُوح المرادي حين أَتَاهُ إليهم أمر رسول الله ﷺ: يا قيس، إنك سيد قومك، وقد ذكر لنا أَنَّ رجلاً من قريش يقال له محمد خرج بالحجاز، يقال إنه نبي، فانطلق بنا إليه حتى نَعْلَم عِلْمَهُ، فإن كان نبياً كما يقول فإنه لن يخفى عليك، إذا لقيناه أتبعناه، وإن كان غير ذلك عَلِمْنَا عِلْمَهُ، فأبى عليه قيس، فركب عمرو بن مَعْدِي كَرَب حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، فلما بلغ ذلك قَيْس بن مَكْشُوح أوعد عمرًا وَتَحَطَّمَ^(٢) عليه، وقال: خالفني وترك رأيي، فقال عمرو في ذلك: [من مجزوء الوافر]

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَنْعَا	ء أَمْرًا بَيِّنًا رَشْدُهُ ^(٣)
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ اللَّهِ	هِ تَأْتِيهِ وَتَتَّعِدُهُ ^(٤)
فَكُنْتُ كَذِي الْحُمَيْرِ غَز	رَهُ مِمَّا بِهِ وَتَدُهُ ^(٥)
تَمَنَّانِي عَلَى فَرَسٍ	عَلَيْهِ جَالِسًا أَسْدُهُ ^(٦)
عَلَيَّ مُفَاضَّةٌ كَالنُّهْ	ي أَخْلَصَ مَاءَهُ حَدْدُهُ ^(٧)
تَرْدُ الرُّمَحِ مَثْنِي السُّ	نَانِ عَوَائِرًا قَصْدُهُ ^(٨)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لَلْقِي	تَ لَيْتُنَا فَوْقَهُ لِبَدُهُ ^(٩)

(١) بنو زبيد: بطن من زبيد الأكبر، من سعد العشيرة، من القحطانية... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٢) تحطم عليه: تلظى غيظًا. (٣) ذي صنع: اسم موضع.

(٤) تتعدّه: تلتزمه.

(٥) الودت: ما ثبت في الأرض أو الحائط من الخشب.

(٦) تمناني: أرادني.

(٧) المفاضة: الدرع الواسعة. والنهي: الغدير من الماء. والحدد: المنع والحبس.

(٨) القصد، واحدها القصدة، وهو ما تكسر من الرمح.

(٩) لبد: واحدها لبدة، وهو ما على كنف الأسد من الشعر.

تُلاقِي ضَيْغَمًا شَثْنَ الْ	بَرَاثِنِ نَاشِزًا كَتِدُهُ ^(١)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنَ	تَيَمَّمَهُ فَيَغْتَضِدُهُ ^(٢)
فِي أَخْذِهِ فَيَرْفَعُهُ	فِي خُفْضِهِ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٣)
فِي ذِمَّتِهِ فَيَخْطِمُهُ	فِي خُضْمِهِ فَيَزْدَرِدُهُ ^(٤)
ظَلُومُ الشَّرْكِ فِيمَا أَحْ	رَزَتْ أَثْيَابُهُ وَيَدُهُ ^(٥)

ذكر وفد كِنْدَةَ

قالوا: قَدِمَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَضْعَةِ عَشَرَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ. قَالَ أَبُو سَعْدٍ - وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا - فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، وَقَدْ رَجَلُوا^(٦) جُمَمَهُمْ وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبَّابُ الْحَبْرَةِ^(٧) قَدْ كَفَّفُوهَا بِالْحَرِيرِ، وَعَلَيْهِمُ الدِّيْبَاجُ^(٨) ظَاهِرٌ مُخَوَّصٌ^(٩) بِالذَّهَبِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تُسَلِّمُوا؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَمَا بَالُ هَذَا عَلَيْكُمْ؟» قَالَ: فَشَقَّوْهُ وَالْقَوَاهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ، وَأَنْتَ أَبْنَى أَكْلِ الْمُرَارِ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «نَاسِبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلُبِ وَرَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ» قَالَ: وَكَانَا تَاجِرِينَ، وَكَانَا إِذَا شَاعَا فِي بَعْضِ الْعَرَبِ، فَسْتَلَا مِمَّنْ هُمَا، قَالَا: نَحْنُ بَنُو أَكْلِ الْمُرَارِ: يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ. وَأَكَلُ الْمُرَارِ هُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حُجْرَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ فِي وَقَائِعِ الْعَرَبِ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا، نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو^(١٠) أَمْنَا وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْبِنَا» فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ، وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا يَقُولُهَا إِلَّا ضَرَبْتَهُ ثَمَانِينَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرُّجُوعَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَجَازَهُمْ بِعَشْرَةِ أَوَاقٍ، وَأَعْطَى الْأَشْعَثُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً.

(١) الضيغم: الأسد. والشثن: الغليظ الأصابع. والناشز: المرتفع. والكند: ما بين الكتفين.

(٢) اعتضده: احتضنه. (٣) اقتصدته: قتله.

(٤) يدمغه: يخرج دماغه. ويخطمه: يكسره. ويخضمه: يأكله.

(٥) الشرك: النصيب والحصه. (٦) رجل: سرح.

(٧) الحبرة: ثوب يمانى مخطط من قطن أو كتان.

(٨) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير... (فارسي معرب).

(٩) مخوص: مزين بصفائح من الذهب على قدر خوص النخيل.

(١٠) نقفو: أي نتسب إلى أئمتنا ونترك الانتساب إلى أئمتنا.

ذكر وفد الصِّدْفِ

قال ابن سعد: وَقَدْ وَفَدَ الصِّدْفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ بَضْعَةُ عَشْرَ رَجُلًا، عَلَى قَلَائِصٍ^(١) لَهُمْ، فِي أَرْزٍ وَأَزْدِيَّةٍ، فَصَادَفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَيْنَ بَيْتِهِ وَبَيْنَ الْمُنْبِيرِ، فَجَلَسُوا وَلَمْ يُسَلِّمُوا فَقَالَ: «أَمْسَلُمُونَ أَنْتُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَهَلَّا سَلَّمْتُمْ»، فَقَامُوا فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ، أَجَلِسُوا» فَجَلَسُوا، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ فَأَخْبَرَهُمْ بِهَا.

ذكر وفد سعد هُذَيْمٍ^(٢)

قال ابن سعد يرفعه إلى أبي النعمان عن أبيه قال: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَافِدًا فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَنَزَلْنَا نَاحِيَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجْنَا نَوْمَ الْمَسْجِدِ، فَجَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى جَنَازَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَانصَرَفَ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قُلْنَا: مِنْ بَنِي سَعْدِ هُذَيْمٍ، فَأَسْلَمْنَا وَبَايَعْنَا، ثُمَّ أَنْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا، فَأَمَرَ بَنَّا فَأَنْزَلْنَا وَضَيَّفْنَا فَأَقَمْنَا ثَلَاثًا، ثُمَّ جِئْنَاهُ نَوْدَعَهُ، فَقَالَ: «أَمُرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدَكُمْ» وَأَمَرَ بِإِلَآءٍ، فَأَجَازَنَا بِأَوَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا فَرَزَقَهُمُ اللَّهُ الْإِسْلَامَ.

ذكر وفد بَلِيٍّ^(٣)

روي عن رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ قَالَ: قَدِمَ وَفْدٌ قَوْمِي فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ تِسْعٍ، فَأَنْزَلْتَهُمْ عَلَيَّ فِي مَنْزِلِي بِبَنِي جَدِيلَةَ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِمْ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ فِي بَقِيَّةٍ مِنَ الْغَدَاةِ، فَتَقَدَّمَ شَيْخُ الْوَفْدِ أَبُو الضُّبَيْبِ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ وَأَسْلَمَ، وَأَسْلَمَ الْقَوْمُ، وَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الضِّيَافَةِ، وَعَنْ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ فَأَجَابَهُمْ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلِي، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْتِي مَنْزِلِي يَحْمِلُ تَمْرًا يَقُولُ: «أَسْتَعْنُ بِهَذَا التَّمْرِ» فَكَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ جَاؤُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُونَهُ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَازٍ كَمَا كَانَ يُجِيزُ الْوَفْدَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ.

(١) القلائص: واحدها قلوص، وهي الناقة الشابة.

(٢) بنو هذيم: بطن من قضاة.. وهذيم: عبد حبشي حضنه سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، فعرف به... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) بنو بلي: بفتح الباء وكسر اللام وياء آخر الحروف: بطن من قضاة، من القحطانية. النسبة إليهم بلوى. وهم بنو بلي بن عمرو بن الحافي بن قضاة... (أنساب العرب للقلقشندي).

ذكر وفد بهراء^(١)

قال ابن سعد: قَدِمَ وفدُ بهراءَ من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلاً، فأقبلوا يقودون رواحلهم، حتى أنتهوا إلى باب المِقداد بن عمرو ببني جَدِيلَة فخرج إليهم، فرحَّب بهم وأنزلهم، وأتوا النبي ﷺ فأسلموا وتعلَّموا الفرائض وأقاموا أياماً، ثم جاؤوا يُودِّعونه فأمر لهم بجوائزهم، وأنصرفوا إلى أهلهم.

ذكر وفد عُذرة

قالوا: قَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد عُذرة، في صَفَر سنة تسع من مُهاجره، وهم اثنا عشر رجلاً، فيهم حمزة بن النعمان العُذري، وسليم وسعد أبنا مالك، ومالك بن أبي رباح، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، ثم جاؤوا النبي ﷺ فسَلَّموا بسلام الجاهلية، وقالوا: نحن إخوة قُصَيٍّ لأمه، ونحن الذين أخرجوا خُزاعة وبني بكر عن مكة، ولنا قَرابات وأرحام، فقال رسول الله ﷺ: «مَرْحَبًا بكم وأهلاً، ما أعرَفَني بكم، ما منعكم من تحية الإسلام؟» قالوا: قَدِمنا مرتادين^(٢) لقومنا. وسألوا النبي ﷺ عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها، فأسلموا وأقاموا أياماً، ثم أنصرفوا إلى أهلهم، وأمر لهم بجوائز كما كان يُجيز الوفد، وكَسَا أحدهم بُرْدًا.

قال: ووَفَدَ زَمَل بن عمرو العُذري على رسول الله ﷺ، وأنشأ يقول حين وَفَدَ:

[من الطويل]

إليك رسول الله أعملتُ نَصَّها أَكَلَفَها حَزَنًا وَقَوَزًا من الرَّمَلِ^(٣)
لأنصر خير الناس نَصْرًا مُؤَزَّرًا وأَعَقَدَ حَبْلًا من جِبَالِكَ في حَبْلِي^(٤)
وأشهد أن لا شيءَ غيرُه أَدِينُ له ما أثقلتُ قَدَمِي نَعْلِي^(٥)

قال: وأخبر رسول الله ﷺ بما سمع من صَنَمه، فقال: «ذلك مؤمن الجن» وعقد له رسول الله ﷺ لِيَوَاءَ على قومه، فشهد به بعد ذلك صَفَيْن مع معاوية، ثم شَهِد به المَرَجُ^(٦) فَقُتِلَ.

(١) بنو بهراء: بفتح الباء وسكون الهاء وبالراء المهملة: بطن من قضاة، من القحطانية. النسبة إليهم بهرائي.

(٢) المرتاد: الطالب للشيء.

(٣) نصّ الناقة: أي استخرج أقصى ما عندها من السير. والحزن: ما غلظ من الأرض. والقوز: المستدير من الرمل. والكثيب: المشرف.

(٤) المؤزر: الشديد. والحبل: العهد.

(٥) المراد بقوله: ما أثقلت قدمي نعلي، أي ما دمت حيًا.

(٦) المراد بالمرج، مرج راهط، وهو موضع في الغوطة من دمشق.

ذكر وفدِ سَلَامَانَ^(١)

قال ابن سعد: وفد سبعة من سَلَامَانَ على رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر، فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة؛ فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، قال: «وعليكم السلام من أنتم؟» قالوا: نحن من سَلَامَانَ، قدِمنا لنبايعك على الإسلام، ونحن على مَنْ وراءنا من قومنا. فأمر ثوبان فأنزلهم حيث ينزل الوفد، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر جلس بين بيته وبين المنبر، فقدموا إليه فسألوه عن أشياء من أمر الصلاة وشرائع الإسلام، وعن الرُقَى فأجابهم وأسلموا، وأجاز كل رجلٍ منهم خمسَ أواقٍ، ورجعوا إلى بلادهم.

ذكر وفدِ كَلْبٍ

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن الجُلَاح الكَلْبِيّ، قال: شَخَصْتُ^(٢) أنا وعِصَام - رجلٌ من بني رَقَاش من بني عامر - حتى أتينا النبي ﷺ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا.

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن إبراهيم الدمشقي قال: وفد حارثة بن قَطَن بن زابر بن حِصْن بن كَعْب بن عُلَيْم الكَلْبِيّ، وَحَمَل بن سَعْدَانَة بن حارثة بن مُعْقَل بن كعب بن عُلَيْم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، فعقد لحَمَل بن سَعْدَانَة لواء، فشهد به صِفَيْن مع معاوية، وكتب لحارثة بن قَطَن كتاباً فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لأهل دُومَة الجَنْدَل^(٣) وما يليها من طوائف كَلْب مع حارثة بن قَطَن، لنا الضَّاحِيَة^(٤) من البَعْل^(٥)، ولكم الضَّامِنَة^(٦) من النُّخْل؛ على الجارية العُشْر، وعلى الغائِرَة^(٧) نصفُ العُشْر، لا يُجْمَع سارِحُكم^(٨)، ولا تُعَدُّ فارِدَتكم^(٩)، تُقِيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة

(١) بنو سلامان: بطن من قضاة، من القحطانية. أو بطن من طيء، من القحطانية أيضاً.

(٢) يقال: شَخَصَ من بلده: أي خرج.

(٣) دومة الجندل: حصن مشهور حوله قرى.

(٤) الضاحية: الظاهرة البارزة من العمارة. (٥) البعل: النخل.

(٦) الضامنة من النخل: ما كان داخلاً في العمارة وتضمنته أمصارهم وقرارهم.

(٧) الجارية: التي تسقى بالماء الجاري. والغائرة: التي تسقى بالماء الغائر في الأرض كالآبار.

(٨) السارح: الماشية التي تسرح إلى الرعي.

(٩) الفاردة: الزائدة على الفريضة، أي لا تضم إلى غيرها فتعد معها وتحسب... (النهاية لابن الأثير).

بحقها، ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبَاتُ، ولا يُؤْخَذُ منكم عُشْرُ النَّبَاتِ^(١)، لكم بذلك العهد والميثاق، ولنا عليكم النَّصْحُ والوفاء، وذِمة الله ورسوله، شهد الله ومَنْ حضر من المسلمين».

ذكر وفدِ جَرَمِ^(٢)

قال ابن سعد: وَفَدَ على رسول الله ﷺ رجلان من جَرَمٍ، يقال لأحدهما: الأُسْقَعُ بن شُرَيْح بن صَرِيم بن عمرو بن رِيَّاح بن عوف بن عَمِيرة بن الهُون بن أعْجَب بن قُدَّامة بن جَرَم بن رِيَّان بن حُلَوَّان بن عِمْران بن الحَافِ بن قُضاعة. والآخر: هُوْدَّة بن عمرو بن يزيد بن عمرو بن رِيَّاح، فأسلما وكتب لهما رسول الله ﷺ كتابًا.

وروي عن أبي يزيد - وقد قيل فيه بالباء الموحدة أبو بُرَيْد - عمرو بن سَلِمة الجَرَمِي أن أباه ونفراً من قومه، وفدوا إلى النبي ﷺ حين أسلم الناس، وتعلّموا القرآن وقَضَوْا حوائجهم، فقالوا: يا رسول الله من يُصَلِّي بنا؟ أو لنا؟ فقال: «ليصل بكم أكثركم جَمْعًا - أو أَخْذًا - للقرآن» قال: فجاؤوا إلى قومهم فلم يجدوا فيهم أحدًا أكثر أَخْذًا، أو جَمْعَ من القرآن ما جمعتُ، أو أَخْذْتُ، قال: وأنا يومئذ غلامٌ علي شَمْلَةٌ^(٣)، فقدموني فصليتُ بهم، فما شهدتُ مَجْمَعًا من جَرَمٍ إلا وأنا إمامهم إلى يومي هذا.

وعن عمرو بن سَلِمة أيضًا قال: كنا بحضرة ماءٍ مَمَرُ الناس عليه، وكنا نَسْأَلُهُمْ، ما هذا الأمر؟ فيقولون: رجلٌ يزعم أنه نبيٌّ، وأنَّ الله أرسله، وأنَّ الله أوحى إليه كذا وكذا، فجعلتُ يومئذ لا أسمع شيئًا من ذلك إلا حَفَظْتُهُ، كأنما يُغَرِّى^(٤) في صدري بِغَرَاءٍ، حتى جمعتُ فيه قرآنًا كثيرًا، وكانت العرب تَلَوُّمُ^(٥) بِإِسْلَامِهَا الفَتْحَ، يقولون: أَنْظَرُوا فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فهو صادق، وهو نبيٌّ. فلما جاءتنا وَقْعَةُ الفَتْحِ بادر كل قوم بِإِسْلَامِهِمْ، فَأَنْطَلَقَ أَبِي بِإِسْلَامِ حِوَاتِنَا^(٦) ذلك، وأقام مع رسول الله ﷺ ما شاء الله أن

(١) البتات: المتاع الذي ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة.

(٢) بنو جرم: بطن من قضاعة، من القحطانية. قال أبو عبيد: هم بنو جرم بن زيان بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٣) الشملة: كساء صغير يؤتز به. (٤) يغرى: يلصق به.

(٥) تلوم: أي تنتظر.

(٦) الحواء: بيوت مجتمعة من الناس على ماء.

يقيم، ثم أقبل فلما دنا منا تلقيناه، فقال: جئتمكم والله من عند رسول الله ﷺ حقاً، ثم قال: إنه يأمركم بكذا وكذا، وينهاكم عن كذا وكذا، وأن تصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلاة كذا في حين كذا، إذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم، وليؤمكم^(١) أكثركم قرآناً. فنظر أهل حوائنا فما وجدوا أحداً أكثر قرآناً مني للذي كنت أحفظه من الركبان^(٢)، فقدموني بين أيديهم، فكنْتُ أصلي بهم وأنا ابن ست سنين، وكان عليّ بُرْدَةٌ كنتُ إذا سجدتُ تَقَلَّصْتُ^(٣) عني، فقالت امرأة من الحي: ألا تغطون عنا أُنْتَ قارئكم؟ فكسوني قميصاً من مُعَقَّد^(٤) البحرين، فما فَرِحْتُ بشيء أشدَّ من فرحي بذلك القميص.

ومن رواية أخرى عنه: فعلموني الركوع والسجود، فكنْتُ أصلي بهم.

ذكر وفد الأزد وأهل جَرَش

قالوا: قدم صُرد بن عبد الله الأزدِي في بضعة عشر رجلاً من قومه، وفداً إلى رسول الله ﷺ، فنزلوا على فَرْوَةَ بن عَمْرٍو، وأتوا رسول الله ﷺ فأسلموا، وأقاموا عشرة أيام، وكان صُرد أفضلهم، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بهم مَنْ يليه، من أهل الشُّرك من قبائل اليمن؛ فخرج حتى نزل جَرَش^(٥) وهي مدينة حصينة مُغلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن. وقد ضُوت^(٦) إليهم خَنَعٌ؛ فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم صُرد ومن معه فيها شهراً، ثم رجع قافلاً، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شُكر، ظنَّ أهل جَرَش أنه إنما ولَّى عنهم منهزماً، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه صَفَّ صُفوفه، وحمل عليهم هو والمسلمون، ووَضَعُوا سيوفهم فيهم حيث شاءوا، وأخذوا من خيلهم عشرين فرساً، فقاتلوهم عليها نهاراً طويلاً.

وكان أهل جَرَش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عَشِيَّة بعد العصر؛ إذ قال رسول الله ﷺ: «بأي بلاد الله شُكر؟» فقام الجُرَشِيَّان فقالا: يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له كُشْر، وكذلك نسميه أهل جَرَش، فقال: «إنه ليس بكُشْر ولكنه شُكر»، قالوا: فما شأنه يا

(١) يؤمكم: يصلي بكم إماماً.

(٢) الركبان: انزوت.

(٣) تقلت: ضرب من برود هجر، وهي من قرى البحرين معروفة بهذه البرود.

(٤) المعقَّد: ضرب من برود جلود ونوق. (٦) يقال: ضوى إليه: إذا انضم ولجأ.

(٥) جرش: مدينة ينسب إليها جلود ونوق.

رسول الله؟ قال: «إِنَّ بُذْنَ اللَّهِ لَتُنَحَّرَ عِنْدَهُ الْآنَ» قال: فجلس الرجلان إلى أبي بكر، أو إلى عثمان، فقال لهما: وَيَحْكُمَا! إن رسول الله ﷺ الْآنَ لَيَنْعَى لَكُمَا قَوْمَكُمَا، فقوموا إلى رسول الله ﷺ فَسَلَاةً أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرْفَعَ عَنْ قَوْمَكُمَا. فقاما إليه فسألاه ذلك. فقال: «اللهم ارفع عنهم» فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أصيبوا من ضَرْدٍ في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال في تلك الساعة، فقصا على قومهما الْقِصَّةَ، فخرج وفدهم. حتى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا، فقال: «مَرْحَبًا بِكُمْ، أَحْسَنَ النَّاسِ وَجُوهًا، وَأَصْدَقَهُ لِقَاءً، وَأَطْيَبِهِ كَلَامًا، وَأَعْظَمَهُ أَمَانَةً، أَنْتُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْكُمْ» وجعل شعارهم مبرورًا، وَحَمَى لَهُمْ حِمَى حَوْلَ قَرِيَّتِهِمْ، عَلَى أَعْلَامٍ^(١) معلومة للفرس والراحلة وللمُثِيرَةِ - بقرة الحرث - فمن رعاه من الناس فمَالُهُ سُخْتٌ^(٢).

ذكر وفد غَسَّان

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بُكَيْرِ الْغَسَّانِي، عن قومه من غَسَّان، قالوا: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرِ، الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، فَنَزَلْنَا دَارَ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ، ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمْنَا وَصَدَّقْنَا، فَأَجَازَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَوَائِزٍ وَأَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، فَقَدِمُوا عَلَى قَوْمِهِمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، فَكْتَمُوا إِسْلَامَهُمْ حَتَّى مَاتَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ مُسْلِمِينَ، وَأَدْرَكَ الثَّالِثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَامَ الْيَزْمُوكِ، فَلَقِيَ أَبَا عُبَيْدَةَ فَخَبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ فَأَكْرَمَهُ.

ذكر وفد الحارث بن كعب

وما كتب به رسول الله ﷺ إليهم

قال ابن سعد: بعث رسول الله ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرِ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَنَجْرَانَ^(٣)، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ يِقَاتِلَهُمْ فَفَعَلَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَنْ هُنَاكَ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَنَزَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بَيْنَ^(٤) أَظْهَرِهِمْ، فَعَلِمَهُمُ الْإِسْلَامَ

(١) أعلام: جمع علم، وهو الفصل بين الأرضين.

(٢) ماله سحت: هدر.

(٣) نجران: موضع من ناحية مكة، وقد سميت بنجران بن زيد بن سبأ لأنه نزل بها.

(٤) بين أظهرهم: أي بينهم.

وشرائعه، وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فكتب رسول الله ﷺ إلى خالد: «أن بشرهم وأنذرهم واقدم ومعه وفدهم»، فقدم خالد معه وفدهم؛ فيهم قيس بن الحُصَيْن، ويزيد بن عبد المَدَان، وعبد الله بن عبد المَدَان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قُرَادٍ، وشَدَاد بن عبد الله القَنَانِي، وعمرو بن عبد الله، وأنزلهم خالد عليه، ثم جاء بهم إلى رسول الله ﷺ فقال: «من هؤلاء الذين كأنهم رجال الهند؟» فقليل: بنو الحارث بن كعب، فسلموا على رسول الله ﷺ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فأجازهم بعشر أواق، وأجاز قيس بن الحُصَيْن بأثنتي عشرة أوقية ونَشْ، وأمره رسول الله ﷺ على بني الحارث، ثم أنصرفوا إلى قومهم في بقية شَوال. هذا ما حكاه لابن سعد في طبقاته.

وقال ابن إسحاق: لما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه، وقالوا: نشهد أنك لرسول الله، وأنه لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أنتم الذين إذا زُجروا أَسْتَقْدَمُوا»^(١)؟ فسكتوا، فلم يراجعهم منهم أحد، فأعادها عليهم الثانية والثالثة، فلما أعادها الرابعة قال يزيد بن عبد المَدَان: نعم يا رسول الله، نحن الذين إذا زُجروا أَسْتَقْدَمُوا، قالها أربع مرار، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن خالدًا لم يكتب إلي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم» فقال يزيد بن عبد المَدَان: أما والله ما حَمَدْنَاكَ ولا حَمَدْنَا خَالِدًا، قال: «فمن حَمَدْتُمْ؟» قالوا: حَمَدْنَا الله الذي هدانا بك يا رسول الله. قال: «صدقتُم»، ثم قال رسول الله ﷺ: «بِمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: لم نكن نغلب أحدًا. قال: «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم» قالوا: كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله أنا كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبداً أحدًا بظلم، قال: «صدقتُم». وأمر رسول الله ﷺ على بني الحارث قيس بن الحُصَيْن، وأجازهم بعشر أواقٍ عشرٍ أواقٍ، وأجاز قيس بن الحُصَيْن بأثنتي عشرة أوقية ونَشْ، ثم أنصرفوا إلى قومهم في بقية شَوال، أو في صدر ذي القعدة، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ.

قال: وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حَزَم ليفقَّههم في الدين ويعلمهم السُّنة، ويعلمهم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم. وكتب له كتابًا وهو:

(١) المراد بقوله: إذا زجروا استقدموا، أي إذا حثوا وحملوا على القتال تنادوا وتجمعوا وتقدموا.

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا بيان من الله ورسوله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] عهد من محمد النبي رسول الله ﷺ لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وأمره أن يأخذ الحق كما أمره الله، وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه، وينهى الناس، ولا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشتد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم، ونهى عنه، فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ويبشر الناس بالجنة ويعملها، ويُنذر الناس النار وعملها، ويستألف^(١) الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته، وما أمر الله به، والحج الأكبر: الحج الأكبر، والحج الأصغر هو العمرة، وينهى الناس أن يصلّي أحد في ثوب واحد صغير، إلا أن يكون ثوباً يُثْنِي طرفيه على عاتقيه، وينهى أن يحتبى^(٢) أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء، وينهى أن يغقص^(٣) أحد شعر رأسه في قفاه، وينهى إذا كان بين الناس هَيْج^(٤) عن الدعاء إلى القبائل والعشائر، وليكن دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليُقَطِّفُوا^(٥) بالسيف، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء^(٦) وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون برؤوسهم كما أمرهم الله، وأمر بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والخشوع، يُغْلَسُ^(٧) بالصبح، وَيُهَجَّرُ^(٨) بالهاجرة حين تَمِيلُ الشمس، وصلاة العصر والشمس في الأرض مُدْبِرَةٌ، والمغرب حين يُقْبِلُ الليل، لا تؤخر حتى تَبْدُو النجوم في السماء، والعشاء أول الليل، وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغسل عند الرواح^(٩) إليها، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله، وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العَقَارِ^(١٠) عُشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى الغَرْبِ^(١١) نصف

(١) يستألف الناس: يكتسب مودتهم والفتهم وإيناسهم.

(٢) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجله إلى بطنه بثوب يجمعها به مع ظهره ويشد عليها.

(٣) عقص شعره: أي ضفره. (٤) الهيج: الثورة.

(٥) القطف: القطع.

(٦) أسبغ وضوءه: أي وفي كل عضو حقه في الغسل.

(٧) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. وأغلس: دخل في أملس.

(٨) هَجَّر: سار في الهاجرة. (٩) الرواح: أي الذهاب.

(١٠) العقار: الضيعة والنخل والأرض ونحو ذلك.

(١١) الغرب: الدلو العظيمة.

العشر، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل عشرين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تبع^(١): جَذَعُ أو جَذَعَةُ، وفي كل أربعين من الغنم سائِمة^(٢) وحدها شاةٌ، فإنها فريضة الله التي أفترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني إسلامًا خالصًا من نفسه، ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته، فإنه لا يُرد عنها، وعلى كل حال^(٣) ذكرٍ أو أنثى حرٌّ أو عبدٌ دينارٌ وافي، أو عوضه ثيابًا، فمن أدى ذلك فإن له ذِمةَ الله وذِمةَ رسوله، ومن منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا، صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ذكر وفدِ عَنَسٍ^(٤)

قال محمد بن السائب الكلبي: حدثنا أبو زُفَرَ الكلبي عن رجل من عَنَسٍ، قال: كان مِنّا رجلٌ وَقَدَ على النبي ﷺ فأتاه وهو يتعشى، فدعا به إلى العشاء فجلس، فلما تَعَشَى أَقْبَلَ عليه رسول الله ﷺ فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله» فقال العَنَسِي: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله». فقال: «أراغبًا جئت أم رَاهِبًا» فقال: أما الرَّغبة فوالله ما في يدك مالٌ، وأما الرَّهبة فوالله إني لبيدٌ ما تبلغه جيوشك، ولكني خُوفْتُ فخِفْتُ، وقيل لي: آمِن بالله فأَمَنْتُ. فأقبل رسول الله ﷺ على القوم فقال: «رُبَّ خَطِيبٍ من عَنَسٍ» فَمَكَثَ يختلف إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء يُودِّعُه، فقال له رسول الله ﷺ: «أخرج» وَبَتَّتْهُ^(٥)، أي أعطاه شيئًا، وقال: «إن أَحْسَنْتَ شيئًا فَوَائِلُ^(٦) إلى أذنى قرية». فخرج فَوَعَكَ^(٧) في بعض الطريق، فوَالَ إلى أذنى قرية فمات رحمه الله، وأسمه ربيعة.

(١) التبع: ولد البقرة لسنة، وسمي تبعًا لأنه يتبع أمه.

(٢) السائمة: التي تركت ترعى وحدها للنمو والزيادة.

(٣) الحال: الذي بلغ الحلم.

(٤) بنو عَنَسٍ: بسكون النون: بطن من كهلان، من القحطانية. وهم بنو عيس بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان. وإليهم ينسب الأسود العنسي... (أنساب العرب للقلقشندي).

(٥) بَتَّتْهُ: أي أعطاه بئًا، وهو كساء غليظ مهلهل مرتب أخضر.

(٦) وائل: أي التجيء.

(٧) وعك: أي مرض.

ذكر وفد الدارين^(١) وما كتب لهم به رسول الله ﷺ وما أختص به تميم الداري وإخوته

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبيد الله بن عبد الله، وروح بن زنباع الجذامي عن أبيه قالاً: قدم وفد الدارين على رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ وَهُمْ عَشْرَةٌ نَفَرٌ؛ فِيهِمْ تَمِيمٌ وَنُعَيْمُ ابْنَا أَوْسَ بْنِ خَارِجَةَ بْنِ سُودَ بْنِ جُدَيْمَةَ بْنِ ذِرَاعَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدَّارِ بْنِ هَانِيءَ بْنِ حَبِيبَ بْنِ ثُمَارَةَ بْنِ لَخْمٍ، وَيزِيدُ بْنُ قَيْسَ بْنِ خَارِجَةَ، وَالْفَاكِهِ بْنُ الثُّعْمَانَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ صَفَّارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ ذِرَاعَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدَّارِ، وَجَبَلَةَ بْنُ مَالِكَ بْنِ صَفَّارَةَ، وَأَبُو هِنْدٍ وَالطَّيِّبُ ابْنَا ذَرٍّ - قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: بَرٌّ - وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ذَرٍّ بْنِ عِمِّيَّتَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ ذِرَاعَ، وَهَانِيءُ بْنُ حَبِيبَ، وَعَزِيزُ وَمُرَّةُ ابْنَا مَالِكَ بْنِ سَوَادَ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: عَزْفَةٌ. وَقَالَ أَبُو هِشَامَ: عَزَّةٌ. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ فِي مُرَّةٍ: مَرْوَانُ.

قال ابن سعد: فأسلموا وسمي رسول الله ﷺ الطيب عبد الله، وسمي عزيزاً عبد الرحمن.

قال: وأهدى هانيء بن حبيب لرسول الله ﷺ راوية^(٢) خمر وأفراساً وقبأ^(٣) مَخَوَصًا^(٤) بالذهب، فقبل الأفراس والقبأ وأعطاه العباس بن عبد المطلب، فقال: ما أصنع به؟ قال: «تنزع الذهب فتحليه نساءك، أو تستنفقه، ثم تبيع الديباج»^(٥) فتأخذ ثمنه، فباعه العباس من رجل من يهود بثمانية آلاف درهم.

قال وقال تميم: لنا جيرة من الروم، لهم قريتان يقال لإحدهما حَبْرَى^(٦) والأخرى بيت عَيْنُون^(٧)، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي، قال: «فهما لك» فلما قام أبو بكر رضي الله عنه أعطاه ذلك، وكتب له به كتاباً، وأقام وفد الدارين حتى توفي رسول الله ﷺ، وأوصى لهم رسول الله ﷺ بِجَادٍ^(٨) مائة وَسَقٍ من خيبر، هكذا حكى ابن سعد في طبقاته.

(١) الداريون: نسبة إلى جدتهم الدار بن هانيء بن ثمار بن لخم بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبيل.

(٢) الراوية: المزادة فيها الماء. (٣) القبأ: ضرب من الثياب.

(٤) المخوص: المطرز بالذهب.

(٥) الديباج: ضرب من الثياب سدها ولحمته حرير.

(٦) حبرى: هي مدينة الخليل إبراهيم عليه السلام وفيها قبره يزار.

(٧) عينون: قرية من قرى بيت المقدس (لفظ عبري).

(٨) يقال: أرض جاد مائة وسق: أي مخرج مائة وسق، إذا زرعت.

وشاهدتُ أنا عند ورثة الصاحب الوزير فخر الدين أبي حفص عمر، ابن القاضي المرحوم الرئيس مجد الدين عبد العزيز المعروف بابن الخليلي التميمي رحمه الله، كتابًا يتوارثونه كابرًا عن كابر، يقولون: هو كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداري وإخوته، وهو في قطعة من آدم مُربَّعة دون الشبر قد غُلِّفت بالأطلس^(١) الأبيض، يزعمون أن ذلك من خُفِّ كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد بقي بهذه القطعة الأدم آثارُ أحرف خافية، لا تكاد تبين إلا بعد إمعان التأمل، وتحقيق النظر، وعلى هذه القطعة الأدم من الجلالة ولها من الموقع في النفوس والمهابة ما يقوي أنها صادرة عن المحل المُنيف^(٢)، وقرين هذه القطعة الأدم قرطاس أبيض قديم، يزعمون أن أسلافهم نقلوا ما فيه من الكتابة من كتاب رسول الله ﷺ، قبل أن تزول حروفه. وفيه تسعة أسطر بما في ذلك من البسمة، وقد رأينا أن نضع ذلك في هذا الكتاب على هيئته في العدد، وإن لم يوافق الخط، وهو:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما انطأ^(٣) محمد رسول الله لتميم

الداري وإخوته حَبْرُونَ وَالْمَرْطُومُ^(٤)

وبيت عَيْنُونَ وبيت إبراهيم وما فيهن

نَطِيه بَتْ بِذِمَّتِهِمْ وَنَفَذَتْ وَسَلَمَتْ ذَلِكَ

لَهُمْ وَلَأَعْقَابُهُمْ فَمَنْ آذَاهُمْ آذَاهُ

الله فَمَنْ آذَاهُمْ لَعَنَهُ اللهُ شَهِدَ عَتِيقُ

ابن أبو^(٥) قُحَاةٌ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

وكتب علي بن أبو^(٦) طالب وشهد.

هكذا شاهدت تلك الورقة التي هي قرين الكتاب، والكتاب بأيديهم إلى وقتنا هذا؛ وهو العشر الآخر من ذي القعدة سنة ست عشرة وسبعمائة. وهذه الضياع الأربعة المذكورة بأيديهم إلى وقتنا هذا، لا يُنَازَعُونَ فيها. وكان الصاحب الوزير

(١) الأطلس: الحرير.

(٢) المنيف: المرتفع المشرف.

(٣) انطى: أي أعطى... (لغة أهل اليمن).

(٤) مرطوم، أو مرطهوم: اسم أرض.

(٥) كذا بالأصل، والصواب أي قحامة.

(٦) كذا بالأصل، والصواب أبي طالب.

فخر الدين عمر بن الخليلي رحمه الله، إذا نابته^(١) نائبة، أو صودر أو أُوذي بوجه من وجوه الأذى، توّسل إلى الله تعالى بكتاب نبيه ﷺ، وأظهره للملوك، فكفوا عن طلبه، وأفرجوا عنه. ولنرجع إلى أخبار الوفود.

ذكر وفد الرّهاويين

والرّهاويون حيّ من مَذَجَج، قال ابن سعد: وفد خمسة عشر رجلاً من مَذَجَج على رسول الله ﷺ سنة عشر، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، فأتاهم رسول الله ﷺ، فتحدّث عندهم طويلاً. وأهدوا الرسول ﷺ هدايا؛ منها فرس يقال له المِزواح، فأمر به فشور^(٢) بين يديه فأعجبه. فأسلموا وتعلّموا القرآن والفرائض. وأجازهم كما يجيز الوفد؛ أرفعهم ثنتي عشرة أوقية ونشأ، وأخفّضهم خمس أواق. ثم رجعوا إلى بلادهم.

ثم قدم منهم نفر فحجّوا مع رسول الله ﷺ، فأوصى لهم بجاد مائة وسق من خيبر في الكتيبة جارية عليهم، وكتب لهم بها كتاباً، فباعوا ذلك في زمن معاوية.

ذكر وفد غامد^(٣)

قال: قدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان وهم عشرة، فنزلوا ببيّع^(٤) الغرقد، ثم لبسوا من صالح ثيابهم، ثم أنطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه وأقروا بالإسلام. وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه شرائع الإسلام، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآناً. وأجازهم رسول الله ﷺ كما كان يُجيز الوفد وأنصرفوا.

ذكر وفد النّخع^(٥)

قالوا: بعث النّخع رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ وإفدين بإسلامهم، وهما أزطاة بن شراحيل بن كعب، من بني حارثة بن سعد بن مالك بن النّخع، والجُهنيش واسمه الأرقم، من بني بكر بن عوف من النّخع، فخرجا حتى قدما على

(١) نابته نائبة: أي أصابته مصيبة. (٢) شور: أجرى بين يديه ليعرف قوته.

(٣) غامد: بطن من الأزدي باليمن، نسبة إلى جدهم غامد واسمه عبد الله.

(٤) ببيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

(٥) بنو النخع: حيّ من كهلان، من القحطانية؛ غلب عليهم اسم أبيهم. قال أبو عبيدة: سمي النخع لأنه نخع عن قومه، أي بعد... (أنساب العرب للقلقشندي).

رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعا عن قومهما، فأعجب رسول الله ﷺ شأنهما، وحسن هيتتهما؛ فقال: «هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما؟» قالوا: يا رسول الله، قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير، وقال: «اللهم بارك في النخع». وعقد لأزطاة لواء على قومه، وكان في يده يوم الفتح، فشهد به القادسية فقتل يومئذ، فأخذه أخوه دُرَيْد فقتل - رحمهما الله - فأخذه سيف بن الحارث من بني جذيمة، فدخل به الكوفة.

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي، قال: كان آخر من قدم من الوفد على رسول الله ﷺ وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم، سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رَمْلَة بنت الحارث، ثم جاؤوا رسول الله ﷺ مُقرّين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زُرارة بن عمرو.

وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة زُرارة بن عمرو، والد عمرو بن زُرارة، قال: قدم على رسول الله ﷺ في وفد النخع، فقال: يا رسول الله، إني رأيت في طريقي رؤيا هالتي. قال: «وما هي؟» قال: رأيت أتاناً خلفتها في أهلي ولدت جدياً أسفع^(١) أخوى^(٢)، ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي - يقال له عمرو - وهي تقول: لظى لظى، بصير وأعمى. فقال النبي ﷺ: «أخلفت في أهلك أمة مُسيرة ولدًا» قال: نعم. قال: «فإنها قد ولدت غلاماً وهو أبناك» قال: فما باله أسفع أخوى؟ قال: «أدن متي، أبك برص تكتمه؟» قال: والذي بعثك بالحق، ما علمه أحد قبلك. قال: «فهو ذاك، وأما النار فإنها فتنة تكون بعدي» قال: وما الفتنة يا رسول الله؟ قال: يقتل الناس إمامهم، يشتجرون أطباق^(٣) الرأس - وخالف بين أصابعه - دم المؤمن عند المؤمن أحلى من الماء، يحسب المسيء أنه محسن، إن ميت أدركت أبناك، وإن مات أبناك أدركتك» قال: فادع الله لي ألا تدركني. فدعا له. قال: وكان قدوم زُرارة بن عمرو هذا على رسول الله ﷺ في النصف من شهر رجب سنة تسع.

(١) الأسفع: الأسود المشرب بحمرة. (٢) الأخوى: الحمرة إلى سواد.

(٣) أطباق الرأس: عظامه.

وقال الطبري^(١): قَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد النَّخَع وهم مائتا رجل، وفيهم زُرارة بن قيس بن الحارث بن عَدِيّ بن الحارث بن عَوْف بن جُشَم بن كعب بن قيس بن مُنْقِذ بن مالك بن النَّخَع فأسلموا.

ذكر وفد بَجِيلَة^(٢)

قال ابن سعد: قدم جرير بن عبد الله البَجَلِيّ سنة عَشْرٍ المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً، فقال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم من هذا الفَجِّ^(٣) من خَيْرِ ذِي يَمَنٍ على وجهه مَسْحَة^(٤) مُلْكٍ» فطلع جرير على راحلته ومعه قومه فأسلموا وبايعوا. قال جرير: فبسط رسول الله ﷺ يده فبايعني، وقال: «على أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، ثم تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم شهر رمضان، وتنصح للمسلم، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً» فقال: نَعَمْ، فبايعه.

وقدم قيس بن أبي عَزْزَة الأَحْمَسِيّ - وقيل عَزْزَة بن قيس البَجَلِيّ - في مائتين وخمسين رجلاً من أَحْمَس، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أنتم؟» فقالوا: نحن أَحْمَسُ^(٥) الله. وكان يقال لهم ذاك في الجاهلية. فقال لهم: «وأنتم اليوم لله». وقال رسول الله ﷺ لِبِلَال: «أعْطِ رُكْبَ بَجِيلَة وَأَبْدَأْ بِالْأَحْمَسِيّينَ» ففعل. وسأل رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله «ما فعل ذو الْخَلَصَة^(٦)؟» قال: هو على حاله، قد بَقِيَ واللّهِ، يُزِيحُ منه إن شاء الله، فبعثه رسول الله ﷺ إلى هَذَمِه، وعَقَدَ له لِيَوَاءَ فقال: إني لا أثبت على الخيل فمسح صدره، وقال: «اللهم أجعله هادياً مَهْدِيّاً» فخرج في قومه وهم زُهَاء مائتين، فما أطال الغيبة حتى رجع؛ فقال له رسول الله ﷺ: «هَدَمْتَهُ؟» قال: نَعَمْ، والذي بعثك بالحق، وأخذت ما عليه وأحرقته بالنار، فتركته كما يَسُوءُ مَنْ يَهْوَى هَوَاهُ، وما صَدَّنَا عنه أحدٌ. قال فَبَرَكَ^(٧) رسول الله ﷺ يومئذ على خيل أَحْمَس ورجالها.

(١) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك. وله مصنفات في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله... (وفيات الأعيان ٤: ١٩١).

(٢) بجيلة: قبيلة من أنمار بن أراش، من كهلان، من القحطانية. قال أبو عبيد: وهم بنو عبقر، والغوث، وصهية، وحزيمة، بنو أنمار بن أراش... (القلقشندي).

(٣) الفَجِّ: الطريق الواسع البعيد. (٤) مسحة ملك: أي أثر ظاهر منه.

(٥) الحمس: قبائل من العرب سموا بذلك لأنهم تحمسوا في دينهم، أي تشددوا.

(٦) ذو الخلصة: صنم لدوس، وخثعم وبجيلة وغيرهم.

(٧) بَرَكَ: دعا له بالبركة.

ذكر وفد خثعم^(١)

قالوا: وفد عثعث بن زحر، وأنس بن مذك، في رجال من خثعم إلى رسول الله ﷺ بعدما هدم جرير بن عبد الله ذا الخلصة، وقتل من قتل من خثعم، فقالوا: آمنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله، فأكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه؛ فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبد الله ومن حضر.

ذكر وفد حضرموت^(٢)

قالوا: قديم وفد حضرموت مع وفد كندة على رسول الله ﷺ وهم بنو وليعة ملوك حضرموت؛ جمد، ومخوس، ومشرح، وأبضعة، فأسلموا، وقال مخوس: يا رسول الله، أدع الله أن يذهب عني هذه الرئة^(٣) من لساني. فدعا له، وأطعمه طعمة من صدقة حضرموت.

وقدم وائل بن حنجر الحضرمي وافداً على رسول الله ﷺ، وقال: جئت راغباً في الإسلام والهجرة، فدعا له ومسح رأسه ونودي: «الصلاة جامعة» سروراً بقدم وائل بن حنجر. وأمر رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان أن ينزله بالحرّة^(٤)، فمشى معه، ووايل راكب، فقال له معاوية: ألق إليّ نعليك أتوقى بهما الرمضاء^(٥). قال: لا، إني لم أكن لألبسهما وقد لبستهما. ومن رواية: لا يبلغ أهل اليمن أن سوقة^(٦) لبس نعل ملك. قال: فأزدني، قال: لست من أزداف الملوك، قال: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي، قال: أمش في ظلّ ناقتي، كفاك به شرفاً.

ويقال: إن وائل بن حنجر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية في خلافته فأكرمه معاوية.

(١) خثعم: بطن من أنمار، من أراش، من القحطانية. قال في العبر: وبلاد خثعم مع إخوتهم «بجيلة» بسودات اليمن والحجاز إلى تبالة... (أنساب العرب).

(٢) حضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود عليه السلام، وبقرها بئر برهوت، ولها مدينتان يقال لإحدهما تريم وللأخرى شبام، وعندها قلاع وقرى... (معجم البلدان لياقوت).

(٣) الرئة: عقدة وحبة في اللسان.

(٤) الحرّة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار. والمراد هنا موضع بعينه.

(٥) الرمض: شدة حر الشمس على الرمل وغيره.

(٦) السوقة: الرعية.

قال: ولما أراد وائل بن حُجر الشُّحُوص إلى بلاده، كتب له رسول الله ﷺ كتاباً وهو:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي لوائل بن حُجر قِيلَ^(١) حَضَرَمَوْتُ، إنك أسلمت وجعلت لك ما في يدك من الأرضين والحصون، وأن يؤخذ منك من كل عشرة واحد. ينظر في ذلك دُؤُو عَذل وجعلت لك ألا تُظَلَم فيها ما قام الدين. والنبي ﷺ والمؤمنون عليه أنصار».

قال القاضي^(٢) عياض بن موسى بن عياض رحمه الله وفيه:

«إلى الأقيال العباهلة^(٣)، والأزواع^(٤) المشاييب^(٥)». وفيه:

«وفي التَّيعة^(٦) شاة لا مَقَوْرَةُ الألياط^(٧) ولا ضِنَّاك^(٨)، وأنطوا التَّبجة^(٩)، وفي السُّيُوب^(١٠) الخمس ومن زَنَى من أَمْبِكْر فَاضْقَعُوهُ مائة واستَوْفُضُوهُ^(١١) عامًا، ومن زَنَى من أَمْثِيب^(١٢) فَضْرَجُوهُ بِالْأَضَامِيمِ^(١٣)، ولا تَوْصِيم^(١٤) في الدين، ولا غَمَّة^(١٥) في فرائض الله؛ وكل مُسْكِر حرام، ووائل بن حُجر يَتَرَقَّل^(١٦) على الأقيال».

قال محمد بن سعد بسنده إلى أبي عُبَيْدة من ولد عَمَّار بن ياسر قال: وَفَدَ مِخْوَس بن مَعْدِي كَرَب بن وَلَيْعة فيمن معه على رسول الله ﷺ، ثم خرجوا من عنده

(١) الأقيال: الملوك الذين دون التبابعة.

(٢) عياض: هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة... (وفيات الأعيان ٣: ٤٨٣).

(٣) العباهلة: الذين أقروا على ملكهم فلم يزلوا عنه.

(٤) الأزواع: الحسان الوجوه.

(٥) المشاييب: واحدها مشبوب، وهو من اسود رأسه وبيض وجهه.

(٦) يراد بقوله: التيعة شاة: أي أن الأربعين من الغنم فيها شاة زكاة.

(٧) مقورة الألياط: أي غير مسترخية الجلود لهزالها.

(٨) الضنَّاك: السمينة. (٩) التَّبجة: الوسط في الصدقة.

(١٠) السيوب: عروق من الذهب توجد في باطن الأرض.

(١١) استوفضوه: غربوه وأنفوه.

(١٢) امثيب: أي الثيب، وذلك لأن أهل اليمن يدلون لام التعريف ميمًا.

(١٣) الأضاميم: الحجارة، واحدها إضمامة.

(١٤) المراد بقوله: لا توصيم في الدين: أي لا تفتروا في إقامة الحدود ولا تحابوا فيه.

(١٥) الغمَّة: التستر والتخفي. (١٦) يترقل: يراد بها يتسود ويترأس.

فَأَصَابَ مِخْوَسَ اللَّقْوَةِ^(١) فَرَجَعَ مِنْهُمْ نَقْرٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَيِّدَ الْعَرَبِ ضَرَبْتَهُ اللَّقْوَةَ، فَادَّلْنَا عَلَى دَوَائِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَذُوا مِخْيَطًا فَأَحْمُوهُ فِي النَّارِ، ثُمَّ أَقْلِبُوا شُفْرَ عَيْنِيهِ، ففِيهَا شِفَاؤُهُ، وَإِلَيْهَا مَصِيرُهُ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا قُلْتُمْ حِينَ خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي» فَصَنَعُوهُ بِهِ فَبُرِيَءٌ.

ذكر وفدِ أزدِ عُمَانَ

قالوا: أَسْلَمَ أَهْلُ عُمَانَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ لِيَعْلَمَهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَيُصَدِّقَ أَمْوَالَهُمْ، فَخَرَجَ وَفَدَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيهِمْ أَسَدُ بْنُ بَيْرِجٍ الطَّاحِي، فَلَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ رَجُلًا يَقِيمَ أَمْرَهُمْ، فَقَالَ مَخْرَمَةُ الْعَبْدِيِّ وَأَسْمَهُ مُذْرِكُ بْنُ خُوَطٍ: أَبْعَثْنِي إِلَيْهِمْ فَإِنْ لَهِمْ عَلَيَّ مِئَةٌ؛ أَسْرُونِي فِي يَوْمِ جَنْوَبٍ^(٢) فَمَثُوا عَلَيَّ. فَوَجَّهَهُ مَعَهُمْ إِلَى عُمَانَ، وَقَدِمَ بَعْدَهُمْ سَلَمَةُ بْنُ عَبَّادٍ الْأَزْدِيُّ فِي نَاسٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يَعْبُدُ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ كَلِمَتَنَا وَأُلْفَتَنَا. فَدَعَا لَهُمْ، وَأَسْلَمَ سَلَمَةً وَمَنْ مَعَهُ.

ذكر وفدِ غَافِقِي^(٣)

قالوا: وَقَدِمَ جُلَيْحَةُ بْنُ شَجَّارِ بْنِ صَحَّارِ الْغَافِقِيِّ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الْكَوَاهِلُ^(٤) مِنْ قَوْمِنَا، وَقَدْ أَسْلَمْنَا وَصَدَقَاتُنَا مَحْبُوسَةٌ بِأَفْنِيتِنَا^(٥). فَقَالَ: «لَكُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْهِمْ» فَقَالَ عَوْذُ بْنُ سُرَيْرٍ الْغَافِقِيُّ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَاتَّبَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ.

ذكر وفدِ بَارِقِ^(٦)

قالوا: قَدِمَ وَفْدُ بَارِقٍ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا، وَكَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

-
- (١) اللقوة: داء يكون في الوجه يعوج منه الشدق.
 - (٢) جنوب: اسم موضع، وبه سمي يوم من أيام العرب.
 - (٣) بنو غافق: بطن من عك، من القحطانية. قال أبو عبيد: كان منهم في الإسلام وزراء وأمراء.
 - (٤) الكواهل: الذين يعتمد عليهم في القيام بشؤون من خلفوهم وراءهم.
 - (٥) الأفنية: واحدها الفناء، وهي الساحة في الدار أو بجانبها.
 - (٦) بنو بارق: بطن من خزاعة، من بني عمرو مزريقاء، من الأزد، من القحطانية. منهم أم الخير التي وردت على معاوية، بعدما كان منها في حقه يوم صفين، فأحسن جائزتها... (أنساب العرب للقلقشندي).

«هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لبارق ألا تُجَدَّ ثمارُهم، ولا تُزعى بلادُهم في مَرْبَعٍ ولا مَصِيفٍ إلا بمسألة من بارق. ومن مَرَّ بهم من المسلمين في عرك^(١) أو جَدَبٍ فله ضيافة ثلاثة أيام. وإذا أَيْتَعَتْ ثمارُهم فلا بن السَّيْلِ اللَّقَاطُ^(٢) بِوُسْعٍ بطنه من غير أن يَقِيَه». ثم شهد أبو عبيدة بن الجراح، وحذيفة بن اليمان، وكتب أبي بن كعب.

ذكر وفد ثُمالة^(٣) والحَدَّانِ^(٤)

قالوا: قدم عبد الله بن عَلسِ الثُماليِّ ومَسْلَمَةُ بن هَارَانَ الحَدَّاني على رسول الله ﷺ في رَهْطٍ من قومهما بعد فتح مكة، فأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ على قومهم، وكتب لهم كتابًا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم، كتبه ثابت بن قيس بن شماس، وشهد فيه سعد بن عُبَّادة ومحمد بن مَسْلَمَةَ.

ذكر وفدِ مَهْرَةَ^(٥)

قالوا: قدِم وفد مَهْرَةَ على رسول الله ﷺ، عليهم مَهْرِي بن الأبيض، فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا، وكتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا الكتاب من محمد رسول الله لمَهْرِي بن الأبيض على من آمن به من مَهْرَةَ ألا يُؤْكَلُوا^(٦) ولا يُغْرَكُوا^(٧). وعليهم إقامة شعائر الإسلام، فمن بدل فقد حارب، ومن آمن به فله ذمَّة الله وذمَّة رسوله. اللَّقْطَةُ^(٨) مؤدَّاة، والسَّارِحَةُ مُنْدَّاة، والتَّقْتُ^(٩) السَّيِّئَةُ، والرَّفْتُ^(١٠) الفُسُوقُ».

وكتب محمد بن مَسْلَمَةَ الأنصاري.

(١) العرك: من عركتهم الحرب، أي دارت عليهم.

(٢) اللقاط: ما يوجد من الثمار ساقطًا فيلتقط.

(٣) بنو ثُمالة: بضم الثاء، بطن من شنوءة، من الأزْد، من القحطانية. منهم الحكم بن عمرو الثُمالي، شهد بدرًا.

(٤) بنو حدان: بفتح الحاء وتشديد الدال: بطن من شنوءة، من الأزْد. منهم صبرة بن شيان، كان رأس الأزْد يوم الجمل، وقتل يومئذ.

(٥) مهرة: حي من قضاة، نسبة إلى مهرة بن حيدان.

(٦) يؤكل: يغار عليه. (٧) يعرك: يؤكل نباته.

(٨) اللقطة: ما التقط من مال ضائع. (٩) التفث: أي الدرن والوسخ.

(١٠) الرفث: الفحش في القول. والفُسُوق: العصيان.

قالوا: ووفد إلى رسول الله ﷺ رجل من مَهْرَة، يقال له زُهَيْر بن قِرْضِم بن الجُعَيْل من الشَّخْر^(١)، فكان رسول الله ﷺ يُذْنِيه لبعده مسافته، فلما أراد الأنصراف بَنَتْه، وحمله، وكتب له كتابًا.

ذكر وفد حَمِير^(٢)

قالوا: قَدِمَ على رسول الله ﷺ مالِك بن مُرَّارة الرَّهَائِي، رسول ملوك حَمِير بكتابهم وإسلامهم، وذلك في شهر رمضان سنة تسع عند مَقْدَمِهِ من تَبُوكَ، وهم: الحارث بن عَبْدِ كَلَال، ونُعَيْم بن عَبْدِ كَلَال، والثُّعْمَان قَيْل ذِي رُعَيْن، ومَعَاوِر، وهَمْدَان.

قال أَبْنُ إِسْحَاق: وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزِينَ مالِك بن مُرَّة الرَّهَائِي فكتب إليهم رسول الله ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى الحارث بن عَبْدِ كَلَال وإلى نُعَيْم بن عَبْدِ كَلَال، وإلى الثُّعْمَان قَيْل ذِي رُعَيْن ومَعَاوِر وهَمْدَان - أما بعد ذلكم - فإنني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو - أما بعد - فإنه قد وَقَعَ بنا رسولكم مُنْقَلَبًا من أرض الروم، فلَقِينَا بالمدينة، فبَلَّغَ ما أُرْسَلْتُمْ به، وخَبَّرَ ما قَبِلْتُمْ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأنَّ الله قد هداكم بهُداه إن أَصْلَحْتُمْ وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله، وسهَمَ النَّبِيِّ وَصَفِيَّه، وما كُتِبَ على المؤمنين من الصَّدقة، من العَقَارُ عَشْرَ ما سَقَتِ العَيْنُ وسَقَتِ السماء، وعلى ما سَقَى الْغَرْبُ نِصْفُ الْعُشْرِ، وإن في الإبل الأربعين ابنة لبون، وفي ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر، وفي كل خمس من الإبل شاة، وفي كل عشر من الإبل شاتان، وفي كل أربعين من البقر بقرة، وفي كل ثلاثين من البقر تَبِيع: جَدْعُ أو جَدْعَة، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصَّدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، ومن أدى ذلك، وأشهد على

(١) الشحر: ناحية على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن.

(٢) حمير: بالكسر ثم السكون وياء مفتوحة، وراء؛ قال الهمداني: هو حمير بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير بن سباء الأصغر بن لهيعة بن حمير بن سباء بن يشجب، وهو حمير الأكبر، وحمير الغوث هو حمير الأدنى... (معجم البلدان لياقوت).

إسلامه، وظاهر^(١) المؤمنين على المشركين، فهو من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله، وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى، حر أو عبد دينار وافي، من قيمة المَعافَر^(٢) أو عَوْضَه ثيابًا، فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمة الله وذمة رسوله، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله ﷺ.

أما بعد - فإن رسول الله محمدًا النبي أرسل إلى زُرعة ذي يَزَن أن إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيرًا: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادَة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم، وأن أجمعوا له ما عندكم من الصدقة، والجزية من مخالفيكم، وأبلغوها رُسلي، وأن أميرهم معاذ بن جَبَل فلا يَنْقَلِبَنَّ إلا راضيًا.

أما بعد - فإن محمدًا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مُرّة الرَّهاوي قد حدّثني أنك أسلمت من أول حَمير وقتلت المشركين، فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيرًا، ولا تَخُونُوا ولا تَخَاذِلُوا، فإن رسول الله ﷺ هو مَوْلَى غَنِيَتِكُمْ وفقيركم، وأن الصدقة لا تَحِلْ لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكَّى بها على فقراء المسلمين ولابن السبيل، وأن مالكا قد بَلَغَ الخبرَ، وحفظ الغيبَ وأمركم به خيرًا، وأني أرسلت إليكم من صالحِي أهلي وأولي دينهم وأولي علمهم، وأمركم بهم خيرًا، فإنهم مَنظور إليهم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ذكر وفد جَيْشَان^(٣)

قال محمد بن سعد: قَدِمَ أَبُو وَهَبُ الْجَيْشَانِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَسَأَلُوهُ عَنْ أَشْرَبَةِ تَكُونُ بِالْيَمَنِ، فَسَمُُّوا لَهُ الْبَتْعَ^(٤) مِنَ الْعَسَلِ، وَالْمِزْرَ^(٥) مِنَ الشَّعِيرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَسْكُرُونَ مِنْهُمَا» قَالُوا: إِنَّ أَكْثَرَنَا سَكِرْنَا، قَالَ: «فَحَرَامٌ قَلِيلٌ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ»، وَسَأَلُوهُ عَنِ الرَّجُلِ يَتَخَذُ الشَّرَابَ فَيَسْقِيهِ عُمَّالَهُ، فَقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

(١) يقال: ظاهر فلانًا: أي عاونه وقواه. (٢) المَعافَر: ثياب من ثياب اليمن.

(٣) جيشان: مخلاف جيشان باليمن كان ينزلها جيشان بن غيدان بن حجر بن ذي رعين... (معجم البلدان).

(٤) البتْع: نبيذ يتخذ من عسل. (٥) المزْر: نبيذ الشعير.

ذكر وفد سلول^(١)

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر التَّمَرِي رحمه الله: قَدِمَ قَرْدَة بن نُفَّاثَة السَّلُولِي، من بني عمرو بن مُرَّة بن صَعَصَعَة بن معاوية بن بَكْر بن هَوَازن على رسول الله ﷺ في جماعة من بني سَلُول، فأمره عليهم بعدما أسلم وأسلموا؛ فأنشأ يقول: [من البسيط]

بَانَ الشَّبَابُ فلم أَخْفِلْ به بالاً وأقْبَلَ الشَّيْبُ والإِسْلَامُ إقبالاً
وقد أَرَوِي نَدِيمِي من مُشْعَشَعَة وقد أَقْلَبُ أَوْرَاكَا وأُكْمَلَا^(٢)
الحمدُ لله إذ لم يَأْتِنِي أَجَلِي حتى أَكْتَسَيْتُ من الإِسْلَامِ سِرْبَالاً
قال: وقد قيل: إن البيت الثالث للبيد، قال أبو عبيدة^(٣): لم يقل لبيد في الإسلام غيره، وكان قد عُمِّرَ مائة وخمسين سنة.

قال أبو عمر: وَقَرْدَة هذا هو الذي يقول: [من البسيط]

أصبحتُ شيخاً أرى الشَّخْصَيْنِ أربعةً والشَّخْصَ شَخْصَيْنِ لَمَّا مَسَّنِي الكِبَرُ
لا أسمعُ الصَّوْتِ حتى أَسْتَدِيرَ له وَحَالَ بالسَّمْعِ دُونِي المنظرُ القَصْرُ
وكنْتُ أَمْشِي على السَّاقَيْنِ مُعْتَدِلاً فصِرْتُ أَمْشِي على ما تُنْبِتُ الشَّجَرُ
إذا أَقُومُ عَجَنْتُ الأرضَ مُتَّكِئاً على البَرَاكِمْ حَتَّى يَذْهَبَ النَّفَرُ^(٤)

ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله ﷺ،

وما أنزل الله عز وجل فيهم من القرآن

قال محمد بن إسحاق: قَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ نصارى نَجْرَانِ سِتُّونَ رَاكِبًا، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وهم: العاقِبُ عبدُ المسيح، والسيد وهو

(١) بنو سلول: بطن من هوازن، من العدنانية... وسلول أهمهم عرفوا بها. وهي سلول بنت ذهل بن شيان.

(٢) المشعشعة: الخمر.

(٣) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة. قال عنه ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه، وأخبار العرب وأيامها، وكان مع معرفته ربما لم يقم البيت إذا أنشده حتى يكسره، وكان يخطيء إذا قرأ القرآن الكريم نظراً، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتباً، وكان يرى رأي الخوارج... (وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥).

(٤) عجن الأرض: اعتمد عليها بجمعه إذا أراد النهوض من الكبر. والبراجم: مفاصل الأصابع. والنفرة: الجماعة من الناس.

الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمر، وخالد، وعبد الله، ويحس. ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم، واسمه عبد المسيح.

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد ثمالهم^(١)، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أحد بكر بن وائل أسقفهم وخبرهم وإمامهم، وصاحب مذاراسهم^(٢).

قال ابن سعد: وكان من الأربعة عشر كوز وهو أخو الحارث بن علقمة، وأوس أخو السيد.

قال: فتقدمهم كوز وهو يقول: [من الرجز]

إليك تغدو قليلاً وضيئها مغترضاً في بطنها جنيئها^(٣)

* مخالفاً دين النصاري ديئها *

وقدم على النبي ﷺ، ثم قدم الوفد بعده، فدخلوا عليه المسجد، عليهم ثياب الجبرة^(٤) وأزديّة مكفوفة بالحريز، فقاموا يصلون في المسجد نحو الشرق، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه»، ثم أتوا النبي ﷺ، فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك من أجل زيكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه، بزيتي الرهبان فسلموا عليه فردّ عليهم.

قال محمد بن إسحاق^(٥): وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات؛ لما يبلغهم عنه من علمه وأجتهاده في دينهم، فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له، وإلى جنبه أخوه كوز - ويقال فيه كرز - فعثرت بغلة أبي حارثة، فقال كوز:

(١) الثمال: الغياث الذي يفرع إليه. (٢) المدراس: بيت يدرس فيه الكتاب.

(٣) الوضين: الحزام. (٤) الجبرة: ضرب من برود اليمن.

(٥) محمد بن إسحاق: هو أبو بكر، وقيل أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، المدني، صاحب المغازي والسير؛ كان جده مولى قيس بن مخزومة بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي، سباه خالد بن الوليد من عين التمر. وكان محمد بن إسحاق ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها... (وفيات الأعيان ٢٧٦: ٤).

تَعَسَّ الأبعدُ، يريد رسولَ الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تَعَسْتَ. فقال: ولم يا أخي؟ قال: واللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ. فقال له كُوز: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شَرَّفُونَا وَمَوَّلُونَا وَأَكْرَمُونَا، وقد أَبَوَا إِلَّا خِلَافَهُ، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى. فأضمر عليها منه كُوز بن عُلْقَمَةَ حتى أسلم بعد ذلك، فكان يحدث عنه هذا الحديث.

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: وبلغني أنَّ رؤساء نَجْرَانَ كانوا يتوارثون كُتُبًا عندهم، فكلما مات رئيس منهم وأفضت الرئاسة إلى غيره، خَتَمَ على تلك الكُتُب خاتمًا مع الخَوَاتِم التي قبله ولم يَكْسِرْهَا، فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي ﷺ يمشي فَعَثَرَ، فقال أبْنُهُ: تَعَسَّ الأبعد - يريد النبي ﷺ - فقال له أبوه: لا تفعل فإنه نبيٌّ وأسمه في الوضائع - يعني الكُتُب - فلما مات لم يكن لأبْنِهِ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ كَسَرَ الخَوَاتِمَ، فوجد في الكُتُب ذِكْرَ النبي ﷺ، فأسلم وحَسُنَ إسلامه فحجَّ، وهو الذي يقول:

* إِلَيْكَ تَغْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا *

قال ابن إسحاق: ولما قَدِمُوا صَلَّوْا في المسجد نحو الشرق، وكَلَّمَ رسولُ الله ﷺ منهم الثلاثة نَفَرًا: العاقِب، والسَّيِّد، وأبو حارثة، وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون في المسيح: هو الله، ويقولون: هو ابن الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة، فهم يَحْتَجُّون في قولهم: هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ من الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا، ويحتجون في قولهم إنه ابن الله بأنهم يقولون: لم يكن له أبٌّ يُعَلِّمُ، وقد تكلم في المهد، وهذا شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله. ويحتجون في قولهم إنه ثالث ثلاثة، بقول الله فَعَلْنَا، وَأَمَرْنَا، وَخَلَقْنَا، وَقَضَيْنَا، فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إِلَّا فَعَلْتُ وَقَضَيْتُ وَأَمَرْتُ وَخَلَقْتُ، ولكنه هو، وعيسى، ومريم.

قال: فلما كَلَّمَ رسولُ الله ﷺ الحَبْرَان قال لهما: «أَسْلِمَا»، قالا: قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاكما الله وَلَدًا، وعبادتكما الصَّلِيبَ، وأكلكما الخنزير» قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فَصَمَتَ رسولُ الله ﷺ فلم يجبهما، فأنزل الله تعالى عليه في اختلاف أمرهم كُلَّهُ صَدْرُ سورة آل عمران، إلى بضع وثمانين آية منها.

فقال تعالى: ﴿الَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ١، ٢]. قال: أفتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا وتوحيده، ليس معه شريك في أمره: «الْحَيُّ» أي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وُصِّلَ في قولكم. «الْقَيُّوم» القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى. ثم قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢] أي بالصدق فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] أي إن الله مُنتَقِمٌ ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥] أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاؤون بقولهم في عيسى؛ إذ جعلوه إلهاً وعندهم من علمه غير ذلك. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] أي قد كان عيسى ممن صُوِّرَ في الأرحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صُوِّرَ غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلهاً وقد كان بذلك المنزل.

ثم قال تعالى تنزيهاً لنفسه وتوحيداً لها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦] أي «العزیز» في أنتصاره ممن كفر به إذا شاء «الحكيم» في حجته وعذره إلى عباده. ثم قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحَكِّمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أي فيهن حجة الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وُضِعَ عليه. ﴿وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] أي لهن تصريف وتأويل، أبتلى الله فيهن العباد، كما أبتلاهم في الحلال والحرام، ألا يُضَرَفْنَ إلى الباطل ولا يُحَرَّفْنَ عن الحق.

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] أي مِيلٌ عن الهدى. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي ما تصرف منه؛ ليصدقوا به ما أبتدعوا وأحدثوا لتكون لهم حجة وشبهة على ما قالوا. ﴿إِتِّعَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ [آل عمران: ٧] أي اللبس ﴿وَأِتِّعَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] أي تأويل ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم: خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا. يقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يختلف وهو قول واحد، من رب واحد. يقول: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أي في مثل هذا. ثم قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. ثم قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾

[آل عمران: ١٨] يشهدون بذلك. ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] أي بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٨ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَسْلَمُوا ﴿آل عمران: ١٨، ١٩﴾ أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسول. قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] أي العلم الذي جاءك أن الله الواحد الذي ليس له شريك. ثم قال: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩] يقول تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي فيما يأتون به من الباطل من قولهم: خَلَقْنَا وَفَعَلْنَا وَأَمَرْنَا، فإنما هي شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي الذين لا كتاب لهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَكَدُوا فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

ثم جمع تعالى أهل الكتابين من اليهود والنصارى فيما أحدثوا وابتدعوا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ أي رب العباد والملك الذي لا يقضي فيهم غيره ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧] أي بتلك القدرة. ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧] أي لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه إلا أنت، أي إن كنت سلطت عيسى على الأشياء التي بها يزعمون أنه إله، من إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والخلق من الطين، والإخبار عن الغيوب؛ لأجعله به آية للناس، وتصديقاً له في نبوته التي بعثته بها إلى قومه، فإن من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه؛ من إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي؛ ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه، ولم أملكه إياه، أفلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة! أن لو كان إلهاً كان ذلك كله إليه، وهو في قولهم يهرب من الملوك ويتنقل منهم في البلاد، من بلد إلى بلد.

ثم وعظ المؤمنين وحذّرهم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] أي ما مضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿آل عمران: ٣١، ٣٢﴾ يقول: أطيعوا الله والرسول فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي على كفرهم.

ثم استقبل أمر عيسى عليه السلام، وكيف كان بدء ما أراد الله تعالى به فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران: ٣٤]. ثم ذكر أمر امرأة عمران فقال: ﴿إِذْ قَالَتِ أَمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥] أي جعلته عتيقاً يعبد الله عز وجل، لا ينتفع به لشيء من الدنيا ﴿فَقَبِلَ مِنْهُ﴾ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦] أي ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها مُحَرَّرًا لك نذيرة ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. يقول الله تعالى: ﴿فَقَبِلْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] أي كفَّلها بعد أبيها وأُمها؛ يذكرها باليتم، ثم قصَّ خبرها وخبر زكريا، وما دعا به وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيى، ثم ذكر مريم، وقول الملائكة لها، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤١﴾ [آل عمران: ٤٢] قال الثعلبي: القائل من الملائكة جبريل وحده، «أصطفاك» بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، «وطهرك» من ميسيس الرجال. وقيل: كانت مريم عليها السلام لا تحيض و«أصطفاك» بالتحريم في المسجد «على نساء العالمين» قال: على عالمي زمانها، ولم تحرر أنثى غيرها. ﴿يَمْرُومُ أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَآزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [آل عمران: ٤٣] قال الثعلبي: قوله «أقنني» أطيعي وأطيلي الصلاة لربك، قال: كلمتها الملائكة شفاهاً. قال الأوزاعي: لما قالت لها الملائكة ذلك، قامت في الصلاة حتى وُرمت قدمها وسالت دماً وقينحاً.

ثم قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَئِیْهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤] قال ابن إسحاق: كفَّلها هاهنا جريج الراهب رجل من بني إسرائيل نجار، خرج السَّهْمُ عليه فحملها، وكان زكريا قد كفَّلها قبل ذلك، فأصابته بني إسرائيل أزمة شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستهموا عليها، فخرج السَّهْمُ على جريج الراهب فكفلها. يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤] أي ما كنت معهم إذ يختصمون في كفالتها، فخبَّره تعالى بخفي ما كنتموا منه من العلم عندهم؛ لتحقيق نبوته، والحجة عليهم بما يأتينهم به مما أخفوا منه.

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُومُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥] أي هكذا كان أمره، لا كما يقولون فيه. ﴿وَجِيئًا فِي

الَّذِينَ وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُفْرِينَ ﴿٤٥﴾ [آل عمران: ٤٥] «وَجِيهًا» أي شريفًا ذا جاه وقدر «وَمِنَ الْمُفْرِينَ» عند الله ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [آل عمران: ٤٦] يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عمره؛ كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارًا وكبارًا، إلا أن الله تعالى خصه بالكلام في مهده آيةً لنبوته وتنزيهاً لأمه. وقوله: «وَكَهْلًا» قال مقاتل: إذا اجتمع^(١) قبل أن يُرْفَعَ إلى السماء. وقال الحسين بن الفضل: «كَهْلًا» بعد نزوله من السماء. وقال ابن كيسان: أخبرها أنه يبقى حتى يَكْتَهِل. وقيل: يُكَلِّمُ النَّاسَ في المهد صبيًا وكَهْلًا؛ بَشَرها بنبوته، فلأُمه في المهد مُعْجِزة وفي الكهولة دَعْوَة. وقال مجاهد: «وَكَهْلًا» أي حَلِيمًا.

قال تعالى إخبارًا عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٤٧﴾ [آل عمران: ٤٧] ثم أخبرها بما يريد به فقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ﴿٤٨﴾ [آل عمران: ٤٨] قوله «الكتاب» أي الكتابة والخط. «والحكمة والتوراة والإنجيل» التي كانت فيهم من عهد موسى قبله «والإنجيل» كتابًا آخر أنزله الله إليه، لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن. يقول تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩] أي يُحَقِّقُ بها نبوتي أني رسول منه إليكم. ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال الثعلبي: قراءة العامة بالجمع؛ لأنه خلق طيرًا كثيرة، وقراء أهل المدينة «طائرًا» ذهبوا إلى أنه نوع واحد من الطير؛ لأنه لم يخلق غير الخُفَّاش، قال: وإنما خَصَّ الخُفَّاش لأنه أكمل الطير خَلْقًا؛ ليكون أبلغ في القدرة؛ لأن لها ثديًا وأسنانًا وهي تحيض وتطير، قال وهب: كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتًا. لِيَتَمِيزَ فِعْلُ الْخَلْقِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْكَمَالَ لِلَّهِ. ﴿وَأُتْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأُبْرَمَ﴾ [آل عمران: ٤٩] «الأكمة» الذي يولد أعمى وجمعه كُمه. وقيل: هو الأعمى وهو المعروف من كلام العرب؛ قال سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ^(٢):

كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ أَبْيَضَتْهَا فَهُوَ يَلْحَىٰ نَفْسَهُ حَتَّىٰ نَزَعَ^(٣)

(١) اجتمع الرجل: أي بلغ غاية شبابه.

(٢) هو سويد بن غطيف من بني يشكر، كان الحجاج قد تمثل بأبيات من قصيدة له... (طبقات الشعراء).

(٣) يقال: كمه الرجل: أي عمي، أو صار أعشى.

والأبرص الذي فيه وَضَحٌ، قال: وإنما خَصَّ هذين؛ لأنهما عَيَاءَانِ وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطَّبُّ؛ فأراهم الله تعالى المعجزة من جنس ذلك.

قال وهب: ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد خمسون ألفاً، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه، ومن لم يُطق أتاه عيسى عليه السلام، وإنما كان يداويهم بالدعاء، على شرط الإيمان. ﴿وَأَخِي الْمَوْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال الثعلبي: أحيا أربعة أنفس العازر وكان صديقاً له، فأرسلت أخته إلى عيسى: إن أخاك العازر يموت فأتته، وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام، فأتاه هو وأصحابه، فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام، فقال لأخته: أنطلق بنا إلى قبره. فأنطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مُطَبَّقة، فقال عيسى عليه السلام: «اللهم رب السموات السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرهم أنني أحيي الموتى بإذنك، فأخي العازر»، قال: فقام عازر وودَّكه^(١) يَفْطُر، فخرج من قبره وبقي وولد له. وأحيا ابن العجوز، مرَّ به ميتاً على عيسى عليه السلام، وهو يُحْمَل على سرير، فدعا الله تعالى عيسى، فجلس على سرير، ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي وولد له، وأبنة العاشر^(٢) قيل له: أتحيها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت، وسام بن نوح عليهما السلام، ودعا عيسى بأسم الله الأعظم، فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه، فقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا، ولكني دعوتك بأسم الله الأعظم، ثم قال له: مُتْ، قال: بشرط أن يُعِيدَنِي اللَّهُ من سكرات الموت، فدعا الله سبحانه ففعل.

قال الكلبي: كان يُحيي الأموات بـ«يا حيُّ يا قيُّوم».

قال تعالى: ﴿وَأَنْبِئْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩] أي آية لكم أنني رسول من الله إليكم.

يقول تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي لما سبقني منها. ﴿وَلَأُجِلَّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي هُمَ عَنَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] أي أخبركم أنه كان عليكم حراماً فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفاً عنكم، فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته.

يقول تعالى: ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ⑤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ⑤١﴾ [آل عمران: ٥٠ و ٥١] أي هذا الهدى قد

(١) الودك: شحم الألية والجنين.

(٢) العاشر: الذي يأخذ العشور.

حملتكم عليه وجئتكم به. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٣] أي هكذا كان قولهم وإيمانهم، لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك، ثم ذكر تعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٤] قال أهل المعاني: المكر السعي بالفساد في ستر ومُدَاجاة. وقال الفراء: المكر من المخلوقين الخب والخديعة والحيلة، وهو من الله أستدرأه العباد. ثم أخبرهم تعالى، ورد عليهم فيما أقرؤا به لليهود من صلبه، وأن الله عصمه منهم، ورفعهم إليه، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَىٰ مَوْعِدِكُمْ فَكُفُّوا يَدَيَّكَ مِنَ الْذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [آل عمران: ٥٥ - ٥٨] قال الثعلبي: اختلفوا في معنى التوفي هاهنا؛ فقال كعب والحسن والكلبي ومطر الوراق ومحمد بن جعفر بن الزبير وأبن جريج وأبن زيد: معناه إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت. قال: وعلى هذا القول تأويلان:

أحدهما: إني رافعك إلي وافيًا لم ينالوا منك شيئًا؛ من قولهم توفيت هذا، وأستوفيته أي أخذته تامًا.

والآخر: إني مسلمك؛ من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته. وقال الربيع بن أنس: معناه إني مقيمك ورافعك إلي في نومك؛ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] أي يُنِيمُكُمْ؛ لأن النوم أخو الموت. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢] الآية. وعن أبن عباس رضي الله عنهما قال: إني مُميتك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿أَوْ تَتَوَفَّاكُم﴾ [يونس: ٤٦] قال: وله على هذا القول تأويلان:

أحدهما: ما قال وهب: توفي الله تعالى عيسى عليه السلام ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه إليه. وقال أبن إسحاق: النصراني يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار، ثم أحياه ورفعاه.

والآخر: ما قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني: إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، معناه إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومُتَوَفِّيك بعد أن أنزلك من السماء. وقال أبو بكر بن محمد بن موسى الواسطي: معناه «إني مُتَوَفِّيك» عن شهواتك وحظوظ نفسك. قال: وذلك أنه لما رُفِع إلى السماء صار حاله حال الملائكة. وقوله: «وَرَأَفُكَ إِلَيَّ» قال البُنَّانِي والشَّيْبَانِي: كان عيسى عليه السلام على طُورِ زَيْتَا فهَبَّت رِيحٌ، فهُزِلَ عيسى، فرفعه الله عز وجل في هَزْوَلَتِهِ، وعليه مِذْرَعَةٌ^(١) من شَعْرِ. وقيل: معناه ورافعك بالدرجة في الجنة، ومقربك إلي بالإكرام.

وقوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] أي مُخْرِجُكَ من بينهم ومُنْجِيكَ منهم. وقوله: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال قتادة والربيع والشَّعْبِي ومقاتل والكلبي: هم أهل الإسلام الذين اتبعوا دينه وسُنَّتَهُ من أمة محمد ﷺ، فوالله ما أتبعه من دعاة رِبَا. ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهرين قاهرين بالعز والمنعة والدليل والحجة. وقال الضحاك وعلي ومحمد بن أبان: يعني الحواريين فوق الذين كفروا. وقيل: هم الرُّوم. وقال ابن زيد: وجاعل النصراني فوق اليهود، فليس بلد فيه أحد من النصراني إلا وهم فوق اليهود، واليهود مُسْتَذَلُّون مقهورون. قال: وعلى هذين القولين يكون معنى الاتباع: الادعاء والمحبة لا اتباع الدين والمِلَّة. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي في الآخرة. ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥] أي من الدين وأمر عيسى.

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ٥٦] بالقتل والسَّبْي والحِزْيَة والدَّلَّة. ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٦]. قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [آل عمران: ٥٧] الآية ظاهرة المعنى. قوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨] أي هذا الذي ذكرته لك، قال النبي ﷺ: «هو القرآن». وقيل: هو اللُّوحُ المحفوظ، وهو مُعَلَّقُ بالعَرْشِ، من دُرَّة بيضاء، و«الحكيم» هو المحكم من الباطل؛ قاله مقاتل. وقال ابن إسحاق: أي القاطع الفاصل، الحق الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى، وعما اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلن خبرًا غيره. فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٥٩] الحق من رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْضَرِّينَ ﴿٦٠﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠] أي قد جاءك الحق فلا تَمْتَرِينَ فيه، وإن قالوا

(١) المدرعة: ثوب من صوف؛ أو جبة مشقوقة المقدم.

خُلِقَ عيسى من غير ذكر، فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر؛ فكان لحمًا ودمًا وعظمًا وشعرًا وبشرًا، كما كان عيسى، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا.

ثم قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] أي من بعد ما قصصت عليك من خبره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] قوله: «نَبْتَهِلْ» أي نتضرع في الدعاء. وقيل: نخلص في الدعاء. وقيل: نجتهد ونبالغ فنقول لعن الله الكاذب منا ومنكم. قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [آل عمران: ٦٢، ٦٣] أي إن أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٦٣] أي الذين يعبدون غير الله تعالى، ويدعون الناس إلى عبادة غير الله.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] فدعاهم إلى النصف^(١)، وقطع عنهم الحجة، قال: فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله عز وجل عن عيسى، والفضل من القضاء بينه وبينهم، وأمره بما أمره به من ملاءمتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فأنصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب، فقالوا: يا عبد المسيح، ما ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدًا لنبي مرسَل، لقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لأعز قوم نبيًا قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وأنه الاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم أنصرفوا إلى بلادكم. فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نترك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن أبعث معنا رجلاً من أصحابك، ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاء. فقال رسول الله ﷺ: «أَتَتُونِي الْعَشِيَّةَ أبعث معكم القوي الأمين» فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أحببت الإمارة قط حُبِّي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها، فخرجت إلى الظهر

مُهَجَّرًا^(١)، فلَمَّا صَلَّى بنا رسول الله ﷺ الظهر، سَلَّمَ ثم نظر عن يمينه ويساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبَيْدَةَ بنَ الْجَرَّاحِ فدعاه له، وذلك قبل الهجرة. فقال: «أخرج فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه» قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة. هذا ما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق.

وقال محمد بن سعد في طبقاته: إن رسول الله ﷺ لما عَرَضَ عليهم المباهلة أنصرفوا عنه، ثم أتاه عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم، فقال: قد بَدَأَ لنا أَلَا نُبَاهِلُكَ، فَأَحْكَمْ عَلَيْنَا بما أَحْبَبْتَ نُعْطِكَ ونصالحك. فصالحهم على أَلْفِي حُلَّةٍ: أَلْفٌ في شهر رجب، وأَلْفٌ في صفر، أو قيمة كل حُلَّةٍ من الأواقي، وعلى عارية ثلاثين دِرْعًا، وثلاثين رُمْحًا وثلاثين بَعِيرًا، وثلاثين فرسًا: إن كان باليمن كَيْدًا^(٢) ولنَجْرَانٍ وحاشيتهم جوارُ الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم ومِلَّتِهِمْ وأَرْضِهِمْ وأموالهم وغائبهم وشاهدتهم وبيعهم، لا يُغَيَّرُ أَسْقُفٌ من سَقِيفَاهُ، ولا راهب من رَهْبَانِيَّتِهِ، ولا واقِفٌ^(٣) من وَقْفَانِيَّتِهِ، وفي بعض الروايات لا يُغَيَّرُ وِافَةٌ من وَفْهِتِهِ، ولا قسيس من قِسِّيَّتِهِ. وَالْوِافَةُ: قِيَمُ الْكَنِيسَةِ.

قال: وأشهد على ذلك شهودًا. منهم أبو سفيان بن حَرْبٍ، والأقرع بن حابس والمُغِيرَةُ بن شُعْبَةَ، ورجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرًا حتى رَجَعَا إلى النبي ﷺ، فأسلما وأنزلهما في دار أبي أيوب الأنصاري، وأقام أهل نَجْرَانٍ على ما كتب لهم به رسول الله ﷺ حتى قَبَضَهُ الله تعالى. ثم وُلِّيَ أبو بكر فكتب بالوَصَاةِ بهم عند وفاته، ثم أصابوا رِبَاً فأخرجهم عمر بن الخطاب من أرضهم، وكتب لهم:

«هذا ما كتب عمرُ أميرُ المؤمنين لنَجْرَانٍ. من سار منهم إنه آمِنٌ بأمان الله، لا يَضُرُّهُمْ أَحَدٌ من المسلمين؛ وفاء لهم بما كتب لهم رسولُ الله ﷺ وأبو بكر - أما بعد - فمن وقعوا^(٤) به من أمراء الشام وأمراء العراق فليُؤَسِّعْهُمْ من جَرِيبٍ^(٥) الأرض، ما أَعْتَمَلُوا^(٦) من ذلك فهو لهم صَدَقَةٌ، وعُقْبَةٌ لهم بمكان أرضهم، لا سبيل عليهم فيه لأحدٍ ولا مَغْرَمٌ - أما بعد - فمن حضرهم من رجلٍ مسلم فليُنْصِرْهُمْ على من ظلمهم،

(١) المهجّر: الذي يسير في الهاجرة.

(٢) الكيد: الحرب.

(٣) الواقف: خادم البيعة، لأنه وقف على خدمتها.

(٤) وقعوا: نزلوا.

(٥) المراد بالجريب: القطعة المتميزة من الأرض.

(٦) اعتملوا الأرض: استعملوها في الزراعة.

فإنهم أقوام لهم الذمة. وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا، ولا يُكَلَّفُوا إِلَّا مِنْ ضَيْعَتِهِمْ، غير مظلومين ولا مَعْنُوفٍ^(١) عليهم. شهد عثمان بن عفان ومُعْتِقِب بن أبي فاطمة.

قال: فوقَعَ ناسٌ منهم بالعراق، فنزلوا النَّجْرَانِيَّة التي هي ناحية الكوفة.

وحيث ذكرنا وفادات العرب، فلا بأس أن نصل هذا الفصل بما يناسبه من خبر الجن في إسلامها، ونلحق ذلك بما يتعلق به من إخبار الجن أصحابهم بأمر رسول الله ﷺ، ومن أسلم بسبب ذلك، فإننا عند ذكرنا للمبشرات برسول الله ﷺ، ذكرنا من ذلك طَرَفًا، وأخرنا بقيته لنذكره في هذا الفصل، ونبينا عليه هناك.

ذكر خبر إسلام الجن

ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

وكان من خبر الجن ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: أنطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه، عامدين إلى سوق عُكَاظ^(٢) وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسِلت عليهم الشُّهْب^(٣)، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: قد حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسِلت علينا الشُّهْب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما قد حَدَثَ، فأضربوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فانظروا ما هذا الأمر الذي قد حَدَثَ، فأنطلقوا فَضْرَبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا،

(١) لا معنوف عليهم: أي لا يشتد عليهم في المعاملة.

(٢) عكاظ: بضم أوله، وآخره ظاء معجمة... وقد سمي عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار أي يدعك. وعكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يفرقون... (معجم البلدان).

(٣) الشهب: واحدها الشهاب، وهو النجم المضيء الساطع، أو هو جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جو الأرض اشتعل وصار رماداً.

ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، وأنطلق الذين توجَّهوا إلى نحو تِهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة^(١) وهو عامد إلى سوق عُكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمِعوا القرآن تسمَّعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَىٰ أَرْشَدٍ فَأَمَّا بِهٖ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١ و ٢]. وأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وإنما أوحى إليه قول الجن، رواه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل، عن أبي عوانة، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وذهب محمد بن سعد إلى أن استماع الجن كان بنخلة، عند عود رسول الله ﷺ من الطائف، لما توجَّه يدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا له، وذلك قبل الهجرة.

وقال الشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين^(٢) البيهقي في كتابه المترجم «بدلائل النبوة، ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» بعد أن ساق حديث البخاري قال: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي ﷺ، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه، وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود.

وقد روى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن مسعود خبر الجن في القِصَّتَيْنِ: أما الأولى فإنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمِعوه قالوا: أنصتوا - قالوا صه - وكانوا سبعة، أحدهم زُوبعة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]. وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ أذنته بالجن شجرة؛ رواه البخاري ومسلم في الصحيحين.

(١) نخلة: اسم موضع يعرف بنخلة اليمانية بواد يأخذ إلى قرن والطائف.

(٢) البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور، واحد زمانه وفرد أقرانه في الفنون، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله بن البيع في الحديث... أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، غلب عليه الحديث واشتهر به، ورحل في طلبه إلى العراق والجلال والحجاز... (وفيات الأعيان ١: ٧٥).

وأما القصة الثانية، فرواها عن الشَّعْبِيِّ عن عَلْقَمَةَ قال: قلت لعبد الله بن مسعود هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال: ما صحبه منا أحد، ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا: أَغْتِيلَ؟ أَسْتُطِيرَ؟ ما فَعَلَ؟ قال: فَبِثْنَا بَشْرَ لَيْلَةٍ بات بها قومٌ، فلما كان في وَجْهِ الصُّبْحِ أو قال في السَّحَرِ، إذا نحن به يجيء من قبل حِزَاءٍ^(١)، فقلنا: يا رسول الله، فذكروا الذي كانوا فيه، فقال: «إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم» قال: فأنطلق فأرانا آثارهم، وآثار نيرانهم، قال: وقال الشَّعْبِيُّ فسألوه الزَّادَ، وقال ابن أبي زائدة: قال عامر سألوه لَيْلَتِيذِ الزَّادِ، وكانوا من جن الجزيرة، فقال: «كُلُّ عَظْمٍ ذِكْرُ أَسْمِ اللَّهِ عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحمًا، وكلُّ بَغْرَةٍ أو رَوْثَةٍ عَلفٌ لدوابكم - قال - فلا تَسْتَنْجُوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن» رواه مسلم في صحيحه. وكان فيما قرأ رسول الله ﷺ: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ [الرحمن: ١ و ٢] السورة؛ ويدل على ذلك ما رواه محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله قال: لما قرأ رسول الله ﷺ «الرَّحْمَنُ» على الناس سَكَتُوا فلم يقولوا شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «لَلْجِنِّ كانوا أحسن جوابًا منكم لما قرأت عليهم ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾» [الرحمن: ١٣، ١٦، ١٨، ...] قالوا لا ولا بشيء من آلاء ربنا نكذب». ومن رواية أخرى عنه: «قالوا لا ولا بشيء من نِعَمِكَ ربنا نكذب فلك الحمد».

وعن أبي المُلَيْحِ الهَذَلِيِّ أنه كتب إلى عُبَيْدَةَ بن عبد الله بن مسعود: أين قرأ رسول الله ﷺ على الجن؟ فكتب إليه: إنه قرأ عليهم بِشْغَبٍ يقال له الْحَجُّونُ^(٢). وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ «أن نفرًا من الجن خمسة عشر بني إخوة وبني عمٍّ يأتونني الليلة فأقرأ عليهم القرآن». وقيل: كانوا أكثر من هذا. وقد جاء عنه: أنه ذهب إلى موضعهم، قال: فرأيت موضع مَبْرَكٍ ستين بَعِيرًا. ولما رأى عبد الله بن مسعود رجالَ الزُّطِّ^(٣) قال: ما رأيت شبيههم إلا الجن ليلة لاجن، وكانوا مُسْتَنْفَرِينَ يتبع بعضهم بعضًا.

(١) حراء: بالكسر، والتخفيف، والمد: جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال، وهو معروف، وكان النبي ﷺ قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل... (معجم البلدان).

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة، عنده مدافن أهلها. وقيل: هو مكان من البيت على ميل ونصف، وقيل: الحجون هو الجبل المشرف الذي بحزاء مسجد البيعة على شعب الجزارين... (معجم البلدان).

(٣) الزط: جنس من السودان والهنود.

ذكر إخبار الجن أصحابهم بأمر رسول الله ﷺ وإسلامهم بسبب ذلك

روى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله في صحيحه، بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ما سمعتُ عمرَ رضي الله عنه لشيءٍ قطُّ يقول، إني لأظنه كذا إلا كان كما يظنُّ؛ بينا عمر جالس إذ مرَّ رجلٌ جميل، فقال: لقد أخطأ ظني أو إنَّ هذا على دينه في الجاهلية، ولقد كان كاهنهم؛ عليَّ الرجل، فدُعِيَ له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظني أو إنَّك على دينك في الجاهلية أو لقد كنتُ كاهنهم، فقال: ما رأيتُ كالْيَوْمِ أَسْتَقْبِلُ به رجلٌ مُسْلِمٍ. قال: فإني أُعْزِمُ^(١) عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنتُ كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجَبُ ما جاءتك به جِئْتِكَ؟ قال: بينا أنا يوماً في سوقٍ جاءني أعرف فيها الفَرْعَ، قالت:

أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبِلَاسَهَا وَيَأْسَهَا بَعْدُ وَإِبِلَاسَهَا^(٢)
وَلُحُوقَهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسَهَا وَيَأْسَهَا بَعْدُ مِنْ أَنْسَاكِهَا^(٣)

قال عمر: صدق، بينا أنا نائمٌ عند آلهم، إذ جاء رجلٌ بعجل فذبحه، فصَرَخَ منه صارخٌ لم أسمع صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جَلِيح^(٤)، أمرٌ نَجِيح^(٥)، رجلٌ يصيح، يقول لا إله إلا الله، فوثب القوم، قلت: لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَلِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يصيح، يقول لا إله إلا الله، فقلت لا أبرحُ حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جَلِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يصيح، يقول لا إله إلا الله. فقمْتُ فما نَشِبْتُ أَنْ قِيلَ هذا نبي.

قال البَيْهَقِيُّ: ظاهر هذه الرواية يُؤهِمُ أَنَّ عمرَ رضي الله عنه بنفسه سمع الصَّارِخَ يَصْرُخُ من العَجَل الذي ذُبِحَ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر في إسلامه، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه، والله تعالى أعلم.

ذكر خبر سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

روى البَيْهَقِيُّ رحمه الله تعالى بسنده عن البراء، قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب الناس على منبر النبي ﷺ؛ إذ قال: أيها الناس، أفيكم سَوَادُ بْنُ

(١) أعزم عليك: أي ألزمك.

(٢) أحلاس الناقة: أكسيتها.

(٣) النجیح: الظفر بالبغيّة.

(٤) الإبلّاس: التحير والدهشة.

(٥) الجليح: المكافح والمكاشف بالعداوة.

قارب؟ قال: فلم يُجِبْه أحدٌ تلك السَّنة، فلما كانت السَّنة المقبلة، قال: أيها الناس، أفيكم سواد بن قارب؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين، وما سواد ابن قارب؟ فقال: إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئاً عجيباً! قال: فبينما نحن كذلك؛ إذ طلع سواد بن قارب، فقال له عمر: يا سواد، أخبرني ببَدْءِ إسلامك كيف كان؟ قال سواد: فإني كنتُ نازلاً بالهند وكان لي رَئيٌّ من الجنِّ، قال: فبينما أنا ذات ليلة نائم؛ إذ جاءني في منامي ذلك، قال: قم فأفهم وأعقل إن كنتَ تعقل، قد بُعثَ رسول من لُؤَيِّ بن غالب، ثم أنشأ يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَأَنْجَاسِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُوهَا مِثْلُ أَزْجَاسِهَا
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم وَأَسْمُ بَعَيْنَيْكَ إِلَى رَاسِهَا

ثم أنبهنني وأفرعني، وقال: يا سواد بن قارب، إن الله عز وجل بعث نبياً فأنهض إليه تهتد وترشد، فلما كان في الليلة الثانية أتاني فأنبهنني، ثم أنشأ يقول كذلك: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَقْتَابِهَا^(١)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى لَيْسَ قُدَامَهَا كَأَذْنَابِهَا
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم وَأَسْمُ بَعَيْنَيْكَ إِلَى نَابِهَا^(٢)

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهنني، ثم قال كذلك: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَكْوَارِهَا^(٣)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى لَيْسَ ذَوُو الشَّرِّ كَأَخْيَارِهَا
فَأَنْهَضُ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِم مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَكُفَارِهَا

قال: فلما سمعته يكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حُبُّ الإسلام من أمر النبي ﷺ ما شاء الله، فانطلقتُ إلى رَحْلي فشددته على راحلتي، فما حَلَلْتُ نِسْعَةً^(٤) ولا عَقَدْتُ أخرى حتى أتيت النبي ﷺ، فإذا هو بالمدينة والناس عليه كَعُرف^(٥)

(١) الأقتاب: الجبال. (٢) ناب القوم: سيدهم.

(٣) الأكوار: واحدها الكور، وهو الزحل، أو الرحل بأداته.

(٤) النسعة: سير مضافور يجعل زماناً للبعير وغيره، وتشد به الرحال.

(٥) عرف الفرس: منبت الشعر من العنق.

الْفَرَسَ، فَلَمَّا رَأَى قَالَ: «مَرْحَبًا بِكَ يَا سَوَادُ بْنُ قَارِبَ، قَدْ عَلِمْنَا مَا جَاءَ بِكَ» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ قُلْتُ شِعْرًا فَاسْمِعْهُ مِنِّي، قَالَ سَوَادُ فَقُلْتُ: [مِنْ الطَّوِيلِ]

أَتَانِي رَثِيٌّ بَعْدَ لَيْلٍ وَهَجْعَةٍ	وَلَمْ يَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ ^(١)
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ	أَتَاكَ نَبِيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
فَشَمَّرْتُ عَنْ سَاقِي الْإِزَارِ وَوَسَّطْتُ	بِي الدُّغْلِبِ الْوَجْنَاءُ عِنْدَ السَّبَاسِبِ ^(٢)
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ	وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ
وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ شَفَاعَةً	إِلَى اللَّهِ يَا بَنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَايِبِ
فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى	وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ سَيِّبُ الدَّوَائِبِ ^(٣)
فَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ	سِوَاكَ بِمُغْنٍ عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

قَالَ: فَضَحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ تَوَاجِذُهُ^(٤). وَقَالَ لِي: «أَفْلَحْتَ يَا سَوَادُ» فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ يَأْتِيكَ رَثِيُّكَ الْآنَ؟ فَقَالَ: مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ لَمْ يَأْتَنِي، وَنِعْمَ الْعِوَضُ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجَنِّ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْكَاهِنُ، الَّذِي لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ آفَنًا قَبْلَ خَبَرِ سَوَادٍ.

وَقَدْ رَوَى أَيْضًا عَنْ سَوَادِ بْنِ قَارِبَ، مِنْ رَوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ بَنَحُو هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ سَوَادُ فِي جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ الشَّرَاةِ^(٥)، وَقَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَقَدْ ظَهَرَ، فَأَخْبَرْتَهُ الْخَبَرَ، وَبَايَعْتَهُ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَوْلُهُ أَتَيْتُ مَكَّةَ أَقْرَبَ إِلَى الصُّحَّةِ مِمَّا رَوَيْنَاهُ فِي الرِّوَايَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

ذِكْرُ خَبَرِ خُفَّافِ بْنِ نَضْلَةَ الثَّقَفِيِّ

رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِسَنَدِهِ إِلَى ذَابِلِ بْنِ طُقَيْلٍ بْنِ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ فِي مَسْجِدِهِ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ خُفَّافُ بْنُ نَضْلَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَهْدَلَةَ الثَّقَفِيِّ، فَأَنشَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: [مِنْ الْكَامِلِ]

(١) الرثي: التابع من الجن. والهجعة: الطائفة من الليل.

(٢) الدغلب: الناقة السريعة الغليظة الصلبة. والسباسب واحدها السبسب، وهي الأرض القفر البعيدة.

(٣) الدوائب: واحدها ذؤابة، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة.

(٤) النواجذ: الأنياب؛ أو الأضراس كلها.

(٥) الشراة: جبل شامخ عن يسار عسفان، وبه سلسلة تذهب إلى ناحية الحجاز.

كَمْ قَدْ تَحَطَّمَتِ الْقُلُوصُ بِي الدُّجَى فِي مَهْمِهِ قَفَرٍ مِنَ الْفَلَوَاتِ^(١)
 فَلْ مِنْ التَّوْرِيسِ لَيْسَ بِقَاعِهِ نَبْتُ مِنَ الْإِسْنَاتِ وَالْأَزْمَاتِ^(٢)
 إِنِّي أَتَانِي فِي الْمَنَامِ مُسَاعِدٌ مِنْ جِنٍّ وَجَرَّةٍ كَانَ لِي وَمَوَاتٍ^(٣)
 يَدْعُو إِلَيْكَ لِيَالِيَا وَلِيَالِيَا ثُمَّ أَحْزَالَ وَقَالَ لَسْتُ بِآتٍ^(٤)
 فَرَكِبْتُ نَاجِيَةً أَضْرَبُنِيهَا جَمْرٌ تَخَبُّ بِهِ عَلَى الْأَكْمَاتِ^(٥)
 حَتَّى وَرَدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ جَاهِدًا كَيْمَا أَرَاكَ فَتَفْرِجَ الْكُرْبَاتِ

قال: فَاسْتَحْسَنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وقال: «إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ كَالسُّخْرِ، وَإِنْ مِنْ الشُّعْرِ كَالْحِكَمِ».

ومن ذلك ما روي عن علي بن حسين، قال: أول خبر قدم المدينة، أن امرأة من أهل يَثْرِبِ تُدْعَى فاطمة، كان لها تابع من الجن فجاءها يوماً فوق على جدارها، فقالت: ما لك لا تدخل؟ فقال: إنه قد بُعِثَ نَبِيٌّ يَحْرُمُ الزُّنَى، فحدثت بذلك المرأة عن تابعها من الجن، وكان أول خبر يُحَدِّثُ بِهِ بِالمدينة عن رسول الله ﷺ.

وعن جابر قال: أول خبر قدم المدينة عن النبي ﷺ، أن امرأة من أهل المدينة كان لها تابع، فجاء في صورة طائر حتى وقع على حائط دارهم، فقالت له المرأة: أَنْزِلْ نُخْبِرُكَ وَتُخْبِرُنَا، قال: لا، إنه بُعِثَ بِمَكَّةِ نَبِيٌّ مَنَعَ مِنَّا الْقَرَارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الزُّنَى. ومنه ما روي عن محمد بن عمر بن واقد، عن تَمِيمِ الدَّارِيِّ أَنَّهُ قَالَ: سِرْتُ إِلَى الشَّامِ فَأَذْرَكَنِي اللَّيْلُ، فَأَتَيْتُ وَادِيًا فَقُلْتُ: أَنَا فِي جَوَارٍ عَظِيمٍ هَذَا الْوَادِي اللَّيْلَةُ، فَلَمَّا أَخَذْتُ مَضْجَعِي إِذَا قَائِلٌ لَا أَرَاهُ يَقُولُ: عُدْ بِاللَّهِ الْأَحَدِ، فَإِنَّ الْجَنَّ لَا تُجِيرُ عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ رَسُولُ الْأَمِّيِّينَ، وَصَلَّيْنَا خَلْفَهُ بِالْحَجُّونَ، وَأَسْلَمْنَا وَاتَّبَعْنَاهُ، وَأَمَّا بِهِ وَصَدَّقْنَاهُ، فَأَسْلِمْنَا تَسْلِمًا. قال تميم: فلما أصبحتُ ذهبتُ إِلَى دَيْرِ أَيُّوبَ^(٦)، فَسَأَلْتُ رَاهِبَهُ عَمَّا سَمِعْتُ مِنَ الْهَاتِفِ، فَقَالَ: صَدَقَ. وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ إِسْلَامِ تَمِيمٍ.

(١) القلوص: الناقة الفتية. والدحى: سواد الليل مع غيم. والفلاة: الصحراء الواسعة.

(٢) الفل: الخالية. والتوريس: صبغ أصفر.

(٣) وجرة: موضع بين مكة والبصرة موحش.

(٤) احزأل: ارتفع.

(٥) الناجية: الناقة السريعة. نبي الناقة: شحمها ولحمها. والجمر: السير السريع.

(٦) دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق، بها كان أيوب عليه السلام، وبها ابتلاه الله، وبها العين التي ركضها الله برجله والصخرة التي كانت عليها، وبها قبره... (معجم البلدان لياقوت).

ومنه ما روي عن أبي خريم فأتك أنه قال: خرجت في الجاهلية أطلب إبلاً أضللتها، فلما كنت بأبرق^(١) العزاف، عقلت ناقتي وتوسدت ذراعها، وقلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، فسمعت هاتفاً يقول: [من الرجز]

تَعُوذُنْ بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَوَحْدِ اللَّهْ وَلَا تُبَالِي
* مَا هَوَّلَ الْجِنُّ مِنَ الْأَهْوَالِ *

قال فقلت: بين لي يرحمك الله، فقال: [من الرجز]

هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْخَيْرَاتِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ
* يَأْمُرُ بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ *

قال: فوقع في قلبي الإسلام، فقلت: من أنت أيها الهاتف؟ فقال: أنا مالك بن مالك، إن أردت الإسلام فأنا أكفيك طلب ضالتك حتى أردّها إلى أهلِكَ، قال: فركبت راحلتي وقصدت المدينة، فقدمتها في يوم الجمعة، فأتيت المسجد فإذا رسول الله ﷺ يخطب، فأنخت بباب المسجد قلت ألبت حتى يفرغ من خطبته، وإذا أبو ذر قد خرج فقال لي: إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك وهو يقول لك: «مرحباً قد بلغني إسلامك فأدخل فصل مع الناس» قال: فتطهرت ودخلت فصليت، ثم دعاني رسول الله ﷺ، فبايعني وأخبرني بالخبر قبل أن أذكره له، وقال لي: «أما إيلك فقد بلغت أهلِكَ، وقد وقى لك صاحبك» فقلت: جزاه الله خيراً ورحمه، فقال رسول الله ﷺ: «آمين».

ومنه ما روي عن مالك بن نفع أنه قال: «ند^(٢) بعير لي، فركبت نجية^(٣) وطلبت، حتى ظفرت به، فأخذته وأنكفأت راجعاً إلى أهلي، فأسريت ليلة حتى كدت أصبح، فأنخت النجبة والجمال وعقلتهما، وأضطجعت في ذرى كئيب رمل، فلما كحلني الوسن^(٤) سمعت هاتفاً يقول: يا مالك، يا مالك، لو فحصت عن مبرك العود^(٥) البارك، لسرك ما هنالك، قال: فثرت وأثرت البعير عن مبركه، وأحتفرت^(٦)،

(١) أبرق العزاف: ماء لبني أسد بن خزيمة سموه بذلك لأنهم يسمعون فيه عذيف الجن أي صوتهم...

(٢) ند البعير: أي نفر وشرد.

(٣) النجبة: جمع النجائب، وهي من الإبل، خيارها.

(٤) الوسن: النعاس. (٥) العود: الجمل الكبير المسن المدرب.

(٦) احتفرت: أخرج التراب من الأرض.

وَإِذَا صَنِمَ بِصُورَةِ أَمْرَاءَ، مِنْ صَفَاةٍ صَفَرَاءَ كَالْوَرَسِ، مَجْلُوءَةً كَالْمَرَأَةِ، فَاسْتَخْرَجْتُهَا وَمَسَحْتُهَا بِثُوبِي وَنَصَبْتُهَا، فَاسْتَوَتْ قَائِمَةً، فَمَا تَمَالَكْتُ أَنْ خَرَرْتُ سَاجِدًا لَهَا، ثُمَّ قَمْتُ فَنَحَرْتُ الْبَعِيرَ لَهَا وَرَشَشْتُهَا بِدَمِهِ، وَسَمَيْتُهَا غَلَّابَ، ثُمَّ حَمَلْتُهَا عَلَى النَّجِيبَةِ وَأَتَيْتُ بِهَا أَهْلِي، فَحَسَدَنِي كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِي عَلَيْهَا، وَسَأَلُونِي نَضْبَهَا لَهُمْ لِيَعْبُدُوهَا مَعِيَ، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِمْ، فَانْفَرَدْتُ بِعِبَادَتِهَا، وَجَعَلْتُ لَهَا عَلَى نَفْسِي كُلَّ يَوْمٍ عَتِيرَةً، وَكَانَتْ لِي ثَلَّةً^(١) مِنَ الضَّأْنِ فَأَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا، وَأَصْبَحْتُ يَوْمًا وَلَيْسَ لِي مَا أَغْتَرَهُ، وَكَرِهْتُ الْإِخْلَافَ بِنَذْرِي، فَأَتَيْتُهَا فَشَكَوْتُ إِلَيْهَا ذَلِكَ، فَإِذَا هَاتِفٌ مِنْ جَوْفِهَا يَقُولُ: يَا مَالِ يَا مَالِ^(٢)، لَا تَأْسَ عَلَى الْمَالِ؛ سِرْ إِلَى طَوِيٍّ^(٣) الْأَرْقَمِ^(٤)، فَخَذَ الْكَلْبُ الْأَسْحَمَ^(٥)، الْوَالِغَ فِي الدَّمِ، ثُمَّ صَدَّ بِهِ نَعَمَ. قَالَ مَالِكُ: فَخَرَجْتُ مِنْ فُورِي إِلَى طَوِيٍّ الْأَرْقَمِ، فَإِذَا كَلْبٌ أَسْحَمٌ هَائِلُ الْمَنْظَرِ، قَدْ وَثَبَ عَلَى قَرْهَبٍ - يَعْنِي ثُورًا وَحْشِيًّا - فَصَرَعَهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ بَقَّرَ بَطْنَهُ، وَجَعَلَ يَلِغُ فِي دَمِهِ، قَالَ: فَتَهَيَّيْتُ، ثُمَّ أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى عَقِيرَتِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيَّ، فَشَدَدْتُ فِي عُنُقِهِ حَبْلًا، ثُمَّ جَذَبْتُهُ فَتَبِعَنِي، فَأَتَيْتُ رَاحِلَتِي فَأَثَرْتَهَا، وَقُدْتُهَا إِلَى الْقَرْهَبِ، فَأَنْخَتَهَا وَجَرَرْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قُدْتُهَا قَاصِدًا إِلَى الْحَيِّ، وَالْكَلْبُ يَلُودُ بِي فَعَنَّتْ لِي ظَبِيَّةً، فَجَعَلَ الْكَلْبُ يَثِبُ وَيَجَاذِبُنِي الْمَرَسَ^(٦)، فَتَرَدَّدْتُ فِي إِرْسَالِهِ ثُمَّ أَرْسَلْتَهُ، فَمَرَّ كَالسَّهْمِ حَتَّى أَخْتَطَفَهَا، فَأَتَيْتُهُ فَجَاذَبْتُهُ إِيَّاهَا فَأَرْسَلَهَا فِي يَدِي، فَاسْتَفْزَنِي السُّرُورُ، وَأَتَيْتُ أَهْلِي فَعَتَرْتُ الظَّبِيَّةَ لَغَلَّابَ، وَوَزَعْتُ لَحْمَ الْقَرْهَبِ، وَبِثُّ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، ثُمَّ بَاكَرْتُ بِهِ الصَّيْدَ، فَلَمْ يَفْتَهُ حِمَارٌ، وَلَا مَاطِلُهُ ثُورٌ، وَلَا أَعْتَصَمَ مِنْهُ وَعَلٌ، وَلَا أَعْجَزَهُ ظَبِيٌّ، فَتَضَاعَفَ سُرُورِي بِهِ، وَبَالَغْتُ فِي إِكْرَامِهِ، وَسَمَيْتُهُ سَحَامًا، فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَإِنِّي لَذَاتُ يَوْمٍ أَصِيدُ بِهِ، فَبَصُرْتُ بِنِعَامَةٍ عَلَى أُذْحِيَّهَا^(٧)، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنِّي، فَأَرْسَلْتَهُ عَلَيْهَا، فَأَجْفَلْتُ أَمَامَهُ، وَأَتَّبَعْتُهَا عَلَى فَرَسٍ جَوَادٍ، فَلَمَّا كَادَ الْكَلْبُ يَثِبُ عَلَيْهَا، أَنْقَضْتُ عَلَيْهِ عُقَابَ مِنَ الْجَوْ فَكَّرَ رَاجِعًا نَحْوِي فَصِحْتُ بِهِ فَمَا كَذَّبُ^(٨)، وَأَمْسَكَتُ الْفَرَسَ فَجَاءَ سَحَامٌ حَتَّى دَخَلَ بَيْنَ قَوَائِمِهَا، وَنَزَلْتُ الْعُقَابَ أَمَامِي عَلَى صَخْرَةٍ، وَقَالَتْ: سَحَامُ، قَالَ الْكَلْبُ: لَبَيْكَ، قَالَتْ: هَلَكْتَ الْأَصْنَامُ، وَظَهَرَ الْإِسْلَامُ، فَأَسْلِمَ تَنْجُ بِسَلَامٍ، وَإِلَّا فَلَيْسَتْ بِدَارٍ مَقَامٍ. ثُمَّ طَارَتِ الْعُقَابُ، وَتَبَصَّرْتُ سَحَامًا فَلَمْ أَرَهُ، وَكَانَ آخِرَ عَهْدِي بِهِ.

(١) الثَّلَّةُ: جَمَاعَةُ الْغَنَمِ.

(٢) يَا مَالِ: أَيُّ يَا مَالِكَ.

(٣) الطَوِيَّ: الْبَثْرَ.

(٤) الْأَرْقَمُ: حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ.

(٥) الْأَسْحَمُ: الشَّدِيدُ السَّوَادِ.

(٦) الْمَرَسُ: الْحَبْلُ.

(٧) الْأَذْحَى: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبَيَّضَ فِيهِ النِّعَامَةُ وَتَفَرَّخَ.

(٨) فَمَا كَذَّبُ: أَيُّ فَمَا انْتَنَى وَمَا رَجَعَ.

ومنه مما يشبه هذه القصة ما روي عن قتادة عن عبد الله بن أبي دُبَاب عن أبيه، أنه قال: كنتُ مولعًا بالصيد، وكان لنا صنم اسمه فَرَّاض، كنت كثيرًا ما أذبح له، ولم أكن أتخذ جارحًا للصيد إلا رُمِي بآفة، قلما أُدْخِلُ الحيَّ صيدًا حيًّا؛ لأنني كنت لا أدركه إلا وقد أشفى على الهلاك، فلما طال بي ذلك أتيت فَرَّاضًا، فَعَثَرْتُ له عَتِيرَةً، ولَطَخْتُه من دمها، وقلت: [من الرجز]

فَرَّاضُ أَشْكَو نَكْدَ الْجَوَارِحِ مِنْ طَائِرِ ذِي مِخْلَبٍ وَنَابِحٍ^(١)
وَأَنْتَ لِلْأَمْرِ الشَّدِيدِ الْفَادِحِ فَأَفْتَحَ فَقَدْ أَسْهَلْتَ الْمَفَاتِحَ
فَأَجَابَنِي مُجِيبٌ مِنَ الصَّنَمِ؛ فَقَالَ: [من الرجز]

دُونَكَ كَلْبًا جَارِحًا مَبَارَكًا أَعَدَّ لِلْوَحْشِ سَلَاخًا شَابِكًا^(٢)
* يَفِرُّ حُزُونَ الْأَرْضِ وَالْذَّكَادِكَا^(٣) *

قال: فَأَنْقَلَبْتُ إِلَى خِيَائِي، فَوَجَدْتُ بِهِ كَلْبًا خِلَاسِيًّا^(٤) بِهِيمًا^(٥) عَظِيمًا؛ أَهْرَتْ^(٦) الشَّدَقِينَ، شَابِكِ الْأَنْيَابِ، شَنْ^(٧) الْبَرَاثِنِ، أَشْعَرَ مَهُولِ الْمَنْظَرِ، فَصَفَرْتُ بِهِ فَأَتَانِي، فَلَاذِ بِي وَيَضْبُصُ^(٨)، فَسَمِيَتْهُ حِيَاضًا، فَأَتَخَذْتُ لَهُ مَرْبِطًا بِإِزَاءِ فَرَاشِي وَأَكْرَمْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الصَّيْدِ، فَإِذَا هُوَ أَبْصَرَ بِالصَّيْدِ مِئِّي، وَكَانَ لَا يَثْبِتُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْشِ، فَقُلْتُ فِيهِ: [من البسيط]

حِيَاضُ إِنَّكَ مَأْمُولٌ مَنَافِعُهُ وَقَدْ جَعَلْتُكَ مَوْقُوفًا لِفَرَّاضِ

وَكُنْتُ أَغْتَرُ لِفَرَّاضٍ مِنْ صَيْدِهِ، وَأَقْرِي الضَّيْفَ، فَلَمْ أَزَلْ بِهِ مِنْ أَوْسَعِ الْعَرَبِ رَحَلًا، وَأَكْثَرَهَا ضَيْفًا، إِلَى أَنْ ظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ بِي ضَيْفٌ كَانَ زَارَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعَ مِنْهُ الْقُرْآنَ، فَحَدَّثَنِي عَنْهُ، وَرَأَيْتُ حِيَاضًا كَأَنَّهُ يُنْصِتُ لِحَدِيثِهِ، ثُمَّ إِنِّي غَدَوْتُ أَقْتَنِصُ بِحِيَاضٍ، فَجَعَلَ يَجَاذِبُنِي وَيَأْبَى أَنْ يَتْبَعَنِي فَأَجْذِبُهُ وَأَمْسَحَهُ، إِلَى أَنْ عَنَّنِي لِي تَوَلَّبَ - يَعْنِي جَحْشًا مِنْ حِمِيرِ الْوَحْشِ - قَالَ: فَأَرْسَلْتُهُ عَلَيْهِ فَقَصَدَهُ، حَتَّى إِذَا قُلْتُ قَدْ أَخَذَهُ حَادَ عَنْهُ، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَرْسَلْتُهُ عَلَى رَأْلِ - يَعْنِي فَرَخِ نَعَامَةٍ -

(١) النكد: الشؤم. (٢) الشابك: الناشب.

(٣) حزون الأرض: ما غلظ منها. والدكدك من الرمل: ما تكبس بالأرض أو التبد بها.

(٤) الخلاسي: من كانت أمه سوداء وأبوه أبيض أو العكس.

(٥) البهيم: الأسود. (٦) أهرت الشدقين: واسعهما.

(٧) شن البرائن: غليظها. (٨) بصبص الكلب: حرك ذنبه.

فصنع مثل ذلك، ثم أرسلته على بقرة، ثم على خِشْف^(١)، كل ذلك لا يأتي بخير،
فقلت: [من الطويل]

ألا ما لحياضٍ يَحِيدُ كأنما رأى الصَّيْدَ ممنوعًا بزُرْقِ اللِّهَازِمِ^(٢)

قال: فأجابني هاتِف لا أراه: [من الطويل]

يَحِيدُ لأمرٍ لو بدالك عَيْثُ لَكُنْتَ صَفُوحًا عاذِلًا غيرَ لائِمٍ

قال: فأخذت الكلب وانكفأت راجعًا، فإذا شخص إنسانٍ عظيم الخلق، قد
ركب حمارًا وحشيًا، فتربع على ظهره، وهو يساير شخصًا مثله راكبًا على قَرْهَب^(٣)،
وخلفهما عبد أسود يقود كلبًا عظيمًا بساجور^(٤)، فأشار أحد الراكبين إلى حياض
وأشدد: [من الرجز]

وَيْلَكَ يا حياضٍ لِمَ تَصِيدُ أَخْنَسُ وَجْدَ عَمَّا حَوَتْهُ الْبَيْدُ^(٥)

الله أعلى وله التوحيد وعبدُه محمدُ السَّيِّدُ

سُخْقًا لِفَرَّاضٍ وما يَكِيدُ قد ظَلَّ لا يُبْدِي ولا يُعِيدُ

قال: فمِلْتُ رُغْبًا، ودَلَّ الكلبُ فما يرفع رأسًا، وأتيت أهلي مغمومًا كاسِف
البال، فَبِتُّ أتملَمَل على فراشي، ثم خَفْتُ من آخر الليل فإذا نَعْمَةٌ^(٦)، ففتحت عيني
فرايت الكلب الذي كان الأسود يقوده، وإذا حياض يقول له: أحسب صاحبي يقظان،
قال: فتناومت، ثم قصدني فتأملني ورجع إليه، فقال: قد نام، فلا عين ولا سمع،
قال: أرايت العِفرِيتين؟ وسمعت ما قالا، قال حياض: نعم، قال: إنهما قد أسلما
وأتبعا محمدًا، وقد سُلِّطا على شياطين الأوثان، فما يتركان لوثن شيطانًا، وقد عذَّباني
عذابًا شديدًا، وأخذنا علي موثقًا ألا أقرب وثني، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما
رأيتك لنفسك؟ قال حياض: ما أمرنا إلا واحد. وذهبًا، فقممت أنظر فلا عين ولا أثر،
فلما أصبحت أخبرْتُ قومي بما رأيتُ وسمعتُ، وقلت لهم: تخيروا من ينطلق معي
إلى هذا النبي من حُلُمائكم وخُطبائكم؛ فقالوا لي: أترغب عن دين آبائك؟ فقلت
لهم: إذا كرهتم شيئًا كرهته، فما أنا إلا واحد منكم، ثم أنسللت منهم فكسرت

(١) الخشف: ولد الظبي أول ما يولد.

(٢) اللهازم: واحدها اللهزم، وهو القاطع من الأسته.

(٣) القرهَب: الثور الوحشي. (٤) الساجور: خشبة تعلق في عنق الكلب.

(٥) أَخْنَسُ: تأخر. والبيد: الصحراء. (٦) النعمة: الكلام الخفي.

الصنم، ثم قصدت المدينة فأتيتها ورسول الله ﷺ يخطب، فجلست بإزاء منبره فعقب خطبته بأن قال: «إبزاء منبري رجلٌ من سعد العشيرة، قَدِم علينا راغبًا في الإسلام، ولم يرني ولم أره إلا ساعتِي هذه، ولم أَكَلِمه ولم يَكَلِّمَنِي قَطُّ، وسيخبركم خبرًا عجيبًا» ونزل فصلِي، ثم قال: «أَدُنُّ يا أخوا سعد العشيرة» فدنوت فقال: «أخبرنا عن حياض وفَرَّاض وما رأيتَ وسمعتَ» قال: فقمْتُ على قدمي وقصصْتُ القِصَّة، والمسلمون يسمعون، فسرَّ النبي ﷺ، ودعاني إلى الإسلام، وتلا عليَّ القرآن فأسلمتُ، وقلتُ في ذلك: [من الطويل]

تَبِعْتُ رسولَ الله إِذ جاء بالهدى	وَحَلَفْتُ فَرَاضًا بِدارِ هَوَانٍ
شَدَدْتُ عَلَيْهِ شَدَّةً فَتَرَكَهُ	كَأَن لَمْ يَكُنِ وَالذَّهْرُ ذُو حَدَثَانٍ ^(١)
رَأَيْتُ لَهُ كَلْبًا يَقُومُ بِأَمْرِهِ	فَهَدَّدَ بِالتَّنْكِيلِ وَالرَّجْفَانِ
وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ	أَجَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ دَعَانِي
وَأَصْبَحْتُ لِلْإِسْلَامِ مَا عِشْتُ نَاصِرًا	وَأَلْقَيْتُ فِيهِ كَلْكَلِي وَجِرَانِي ^(٢)
فَمَنْ مُبْلِغُ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ أَنِّي	شَرَيْتُ الَّذِي يَبْقَى بِمَا هُوَ فَانِي

وقد تقدم في خبر وفد سعد العشيرة ذكر هذه الأبيات، وأنها للذباب، وأنه الذي كسر الصنم، إلا أنه لم يذكر البيت الذي فيه ذكر الكلب، والله تعالى أعلم.

ومنه: ما رُوي أن ربيعة بن أبي براء، قال أخبرني خالي فقال: لما أظهر الله علينا رسوله ﷺ بِحُثَيْنِ أَنْشَعْنَا فِي كُلِّ مَشْعَبٍ، لَا يَلُوي حَمِيمٌ عَلَى حَمِيمٍ، فَبَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ الشُّعَابِ، رَأَيْتُ ثَعْلَبًا قَدْ تَحَوَّى^(٣) عَلَيْهِ أَرْقَمُ^(٤)، وَالثَّعْلَبُ يَعْدُو عَدْوًا شَدِيدًا، فَانْتَحَيْتُ^(٥) لَهُ بِحَجَرٍ فَمَا أَخْطَأَهُ، وَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا الثَّعْلَبُ قَدْ سَبَقَنِي بِنَفْسِهِ - أَيِ هَلِكٍ قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ - وَإِذَا الْأَرْقَمُ قَدْ تَقَطَّعَ وَهُوَ يَضْطَرِبُ، فَقَمْتُ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَهَتَفَ هَاتِفٌ مَا سَمِعْتُ أَفْظَعَ مِنْ صَوْتِهِ يَقُولُ: تَعَسَا لَكَ وَبُؤْسًا، فَقَدْ قَتَلْتَ رَئِيسًا، وَوَرِثْتَ بَيْتًا^(٦)، ثُمَّ قَالَ: يَا دَاثِرُ يَا دَاثِرُ، فَأَجَابَهُ مُجِيبٌ مِنَ الْعَدُوَّةِ^(٧) الْآخَرَى بَلْبَيْكَ لَبَّيْكَ، فَقَالَ: بَادِرْ بَادِرْ، إِلَى بَنِي الْعُدَاةِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا صَنَعَ الْكَافِرُ، فَنَادَيْتُ: إِنِّي لَمْ

(١) حدثان الدهر: نوائبه وحوادثه.

(٢) الكلكل: الصدر. والجران: باطن العنق من البعير وغيره.

(٣) تحوَّى: التف واستدار. (٤) الأرقم: ذكر الحيات أو أخبثها.

(٥) انتحيت له: عرضت له وقصدت. (٦) البيت: الشجاع.

(٧) العدوَّة: شاطئ الوادي؛ أو المكان المرتفع.

أشعر، وأنا عائد بك فأجرني. قال: كلاً، والحريم الأمين، لا أجير من قاتل المسلمين، وعبد غير رب العالمين. قال: فناديت؛ إني أسلم، فقال: إن أسلمت سقط عنك القصاص، وألبيتك الخلاص، وإلا فلا مناص. قال فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فقال: نجوت وهديت، لولا ذلك لرديت^(١)، فارجع من حيث جيت. قال: فرجعت أقفو أدراجي^(٢)، فإذا هو يقول: أمتط السَّمْع^(٣) الأزل^(٤)، يغل بك التل، فهناك أبو عامر يتبع الفل. قال: فالتفت فإذا سَمْع كالأسد النهدي^(٥)، فركبته ومَرَّ يَنْسِل^(٦)، حتى أنتهى إلى تل عظيم، فتوقل^(٧) فيه إلى أن تَسْمَه، فأشرفت منه على خيل المسلمين، فنزلت عنه وصوبت الحُدور^(٨) نحوهم، فلما دنوت منهم خرج إلي فارس، كالفالج^(٩) الهائج، فقال: ألق سلاحك لا أم لك، فألقيت سلاحي. فقال: ما أنت؟ قلت: مُسلم، قال: فسلام عليك ورحمة الله، قلت: وعليك السلام والرحمة والبركة، من أبو عامر؟ قال: أنا هو، قلت: الحمد لله، قال: لا بأس عليك؛ هؤلاء إخوانك المسلمون، أما رأيته بأعلى التل فارساً فأين فرسك؟ قال: فقصصت عليه القصة، فأعجبه ما سمع مني: وسرت مع القوم أقفو بهم آثار هوازن حتى بلغوا من ذلك ما أرادوه.

والأخبار في مثل ذلك كثيرة، وقد أتينا منها بما نكتفي به، فلنذكر خلاف ذلك من سيرة سيدنا رسول الله ﷺ.

ذكر رسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم

إلى الملوك وغيرهم، وما كتب به إليهم، وما أجابوا به

كانت رسل رسول الله ﷺ، على ما أورده الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله، أحد عشر رجلاً؛ وهم: عمرو بن أمية الضمري، ودحية بن خليفة الكلبي، وعبد الله بن حذافة السهمي، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وعمرو بن العاص، وسليط بن عمرو العامري، وشجاع بن وهب الأسدي، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي، والعلاء بن الحضرمي، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل. هؤلاء الذين أثبتهم.

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) رديت: أهلك. | (٢) الأدراج: الطرق. |
| (٣) السمع: سبع تلده الضبع وأبوه الذئب. | (٤) الأزل: الصغير العاجز. |
| (٥) النهدي: العظيم الخلق. | (٦) ينسل: يمشي مسرعاً. |
| (٧) توقل: تصعد في الجبل. | (٨) الحُدور: أي الانحدار. |
| (٩) الفالج: الجمل الضخم ذو السنامين. | |

وقد ورد أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عُمَيْر الأزدي إلى ملك بُضْرَى بكتاب، فلما نزل مُؤْتة^(١) قتلته شَرْخَبِيل بن عمرو العُصَانِي، وبسبب قتله بعث رسول الله ﷺ سَرِيَّة مُؤْتة على ما قدمنا ذكره.

ولعل الشيخ رحمه الله، إنما أثبت من الرسل من بَلَغ الرسالة، وهذا لم يُمَهَل حتى يُبْلَغها، ولم يُقْتَل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره. وقد ورد أن رسول الله ﷺ بعث غير هؤلاء، ممن نذكرهم إن شاء الله تعالى.

فكان أول ما بعث رسول الله ﷺ الرسل في المحرم، سنة سبع من مُهاجره؛ أرسل ستَّة من هؤلاء الرسل إلى ستَّة ملوك، وذلك أنه ﷺ لما رجع من الحُدَيْبِيَّة في ذي الحجة سنة خمس جَهَّز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كُتُبًا، فقليل له: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرؤون كتابًا إلا مختومًا، فاتخذ رسول الله ﷺ يومئذ خاتمًا من فضة فَضَّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: «محمد» سطر «رسول» سطر «الله» سطر. وختم به الكتب، فخرج ستَّة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه رسول الله ﷺ إليهم؛ حكاه محمد بن سعد في طبقاته بسنده.

وقال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يَسَار: حدَّثني يزيد بن أبي حبيب المصري أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البُلْدَان، وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، قال: فَبَعَثْتُ به إلى محمد بن شهاب الزُّهْرِي، فعرفه، وفيه: إن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم: «إن الله بعثني رحمةً وكافةً، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم» قالوا: يا رسول الله، وكيف كان أختلافهم؟ قال: «دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من قَرَّب^(٢) به فأحبَّ وسلَّم، وأما من بَعَدَ به فكُره وأبى، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجِّه إليهم».

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام: حدَّثني من أثق به عن أبي بكر الهُدَلِي، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه. وساق نحو الحديث.

(١) مؤتة: بالضم ثم واو مهموزة ساكنة، وتاء مثناة من فوقها. قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. وقيل: موة من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) قَرَّب به: بعثه بعثًا قريبًا.

ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري^(١) إلى النجاشي ملك الحبشة وإسلامه

بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشي، وكتب معه كتابين، يدعو به أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشي كتاب رسول الله ﷺ فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإجابته، وتصديقه وإسلامه على يدي جعفر بن أبي طالب لله رب العالمين. وكان جعفر ممن هاجر إلى الحبشة كما قدمنا ذكر ذلك. وفي الكتاب الثاني، يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش الأسدي، فتنصر هناك ومات، وأمره رسول الله ﷺ أن يبعث إليه من قبله من أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة وأن يحملهم، ففعل، وزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة، وأصدقها أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم في سفيتين مع عمرو بن أمية، وجعل كتابي رسول الله ﷺ في حُق من عاج، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذان الكتابان بين أظهرها.

ذكر إرسال دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم

بعثه رسول الله ﷺ إليه، وكتب إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من أتبع الهدى - أما بعد - فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم اليريسين، ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ إِلَّا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وبإسنادنا المتقدم، إلى أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، قال: حدثنا الحكم بن نافع أبو اليمان، قال حدثنا شعيب، عن الزهري، قال أخبرنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أن عبد الله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان بن حرب أخبره، أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارًا بالشام، في

(١) نسبة إلى بني ضمرة، وهم بطن من كنانة من العدنانية.

المدة^(١) التي كان رسول الله ﷺ مآذ فيها أبا سفيان وكفّار قريش، فأتوه وهم بإيليا، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال: أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبًا، فقال: ادنوه مني، وقربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذّبنني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأتروا عليّ كذبًا لكذّبت عنه. ثم كان أول ما سألتني عنه أن قال: كيف نسبته فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا، قال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكّني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال^(٢)؛ ينال منا وننال منه، قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول أعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئًا، وأتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة، فقال لترجمانه: قال له سألتك عن نسبه فذكرت أنه فكيم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها، وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي^(٣) بقول قيل قبله، وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس، ويكذب على الله، وسألتك أشرف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أن ضعفاءهم أتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتيم، وسألتك أيرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك بم يأمركم، فذكرت أنه يأمركم أن

(١) هي مدة صلح الحديبية على وضع الحرب عشر سنين.

(٢) سجال: نوب، أي نوبة عليه ونوبة علينا.

(٣) يأتسي: يقتدي.

تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما يقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، فم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ، الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقراه، فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم» وذكره كما تقدم.

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وأرتفعت الأصوات، وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة^(١)، إنه ليخافه ملك بني الأصفر^(٢)، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

قال: وكان ابن الناطور صاحب إيلياء وهرقل أسقفًا على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقه: قد أستكرنا هيئتك، فقال ابن الناطور، وكان هرقل حزاء^(٣): ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، وأكتب إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم، إذ أتى هرقل برجل، أرسل به ملك غسان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: أذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية^(٤)، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم^(٥) حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه، يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة^(٦) له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم أطلع فقال: يا

(١) أبو كبشة: كنية أبي النبي ﷺ من الرضاع، واسمه الحارث بن عبد العزى.

(٢) بنو الأصفر: أي الروم.

(٣) الحزاء: الكاهن؛ أو الذي ينظر في النجوم.

(٤) رومية: وهما روميتان: إحداهما بالروم والأخرى بالمدائن وسميت باسم ملك.

(٥) لم يرم: أي لم يبرح منها أو لم يصل إليها.

(٦) الدسكرة: بناء كالفصر حوله بيوت للأعاجم فيها الشراب والملاهي، يكون للملوك؛ أو القرية العظيمة.

معشر الروم هل لكم في الفلاح والرُّشد؟ وأن يثبت مُلككم فتُبایعُوا لهذا النبي، فحاصُوا حَيْصَةَ^(١) حُمُرِ الْوَحْشِ إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقَتْ، فلما رأى هِرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: رُدُّوهم عليّ، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شِدَّتكم على دينكم فقد رأيت. فسجدوا له ورَضُوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرقل. رواه صالح بن كيسان ويونس ومَعْمَر عن الزُّهري.

وقد قدّمنا من خبر هِرقل في شأن رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوءته عنده، في فصل مَنْ بَشَّرَ برسول الله ﷺ ما تَقَفَّ عليه هناك.

ذكر إرسال عبد الله بن خُذَافَةَ السَّهْمِيّ^(٢) إلى كِسْرَى مَلِكِ الْفُرسِ

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً؛ قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأ عليه ثم أخذه فمزقه، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «اللهم مَزُقْ مُلْكَه». وكتب كِسْرَى إلى بَاذَانَ عامِلِه على اليَمَن: أن أبعث من عندك رجلين جَلْدَيْنِ إلى هذا الرجل الذي بالحجاز، فليأتيا بخبره. فبعث بَاذَانُ قَهْرْمَانَهُ^(٣)، ورجلاً آخر، وكتب معهما كتاباً، فقدمَا المدينة، فدفعَا كتاب بَاذَانَ إلى رسول الله ﷺ، فتبسّم رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الإسلام، وفرائضهما تُرْعَد، قال: «أرجعا عني يومكما هذا حتى تأتياني الغَدَ فأخبركما بما أريد» فجاءاه الغَدَ، فقال لهما: «أبلغا صاحبكما أن ربِّي قد قتل رَبَّهُ كِسْرَى في هذه الليلة لسبع ساعات مضت منها - وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جُمادى الأولى سنة سبع من الهجرة - وأن الله تعالى سَلَطَ عليه لابنه شِيرَوْنَه فقتله» فرجعا إلى بَاذَانَ بذلك، فأسلم هو والأبناء الذين باليمن.

ذكر إرسال حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ إلى الْمُقَوْسِ صاحب الإسكندرية عظيم القبط، وأسمه جُرَيْج بن مينا

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً فاتاه، وأوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه، وقال خيراً، وجعل الكتاب في حَقٍّ من عاج، وختم

(١) حاصوا: نفروا.

(٢) نسبة إلى بني سهم، وهم بطن من باهلة من القحطانية.

(٣) القهرمان: خازن الملك ووكيله، والقائم بأمره.

عليه ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى رسول الله ﷺ: قد علمت أن نبيا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت لك كسوة وبغلة تركبها.

ولم يزد على هذا، ولم يُسلم المُقَوْس، فقبل رسول الله ﷺ هديته، وأخذ الجاريتين، وهما مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وأختها شيرين، وبغلة بيضاء، لم يكن في العرب يومئذ غيرها، وهي ذُلْدُلُ، وقال رسول الله ﷺ في المقوقس: «ضَنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه». قال حاطب: كان المقوقس مُكْرِمًا لي في الضيافة، وقلة اللُّبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام.

وقال أبو عمر بن عبد البر: إن المقوقس أهدى لرسول الله ﷺ خَصِيًّا اسمه مَأْبُورُ، وذكر ذلك في ترجمة مارية، ويقال: هو ابن عم مارية، والله أعلم. وقد ذكرنا في (الحُجَّة البالغة، والأجوبة الدامغة) ما كان بينهما من المحاورات، وذلك في الباب الرابع عشر، من القسم الخامس، من الفن الثاني، في السُّفر الثامن من هذه النسخة.

ذكر إرسال شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر

قالوا: بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني، ملك البلقاء من أرض الشام، يدعوهُ إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، قال شجاع: فأتيته وهو بغوَطة دِمَشَق، وهو مشغول بتَهْيِئَةِ الْأَنْزَالِ^(١) وَالْأَلْطَافِ^(٢) لَقَيْصَر، وهو جاء من حمص إلى إيلياء، فأقمت على بابه يومين أو ثلاثة، فقلت لحاجبه: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليه، فقال: لا تصل إليه حتى يخرج يوم كذا وكذا. وجعل حاجبه - وكان روميًّا اسمه مُري - يسألني عن رسول الله ﷺ، فكنت أحدثه عن صفته، وما يدعو إليه، ففِرَّقَ حتى يغلبه البُكاء، ويقول: إني قرأت الإنجيل فأجد صِفَةَ هَذَا النَّبِيِّ بعينه، فأنا أومنُ به وأصدقُه، وأخاف من الحارث أن يقتلني، وكان يكرمني ويحسن ضيافتي، وخرج الحارث يومًا فجلس، ووضع التاج على رأسه، فأذن لي عليه، فدفعت إليه كتاب رسول الله ﷺ، فقرأه ثم رمى به، وقال: من يَنْزِعُ مِنِّي مُلْكِي؟ أنا سائر إليه،

(١) الْأَنْزَال: واحدها نزل، وهو مكان النزول.

(٢) الْأَلْطَاف: وسائل الراحة.

ولو كان باليمن جثته، علي بالناس! فلم يزل يفرض^(١) حتى قام، وأمر بالخيول تُنْعَل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى. وكتب إلى قيصر يخبره خبري وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر: ألا تسير إليه، وآله عنه، ووافني بإيلائه. فلما جاءه جواب كتابه دعاني فقال لي: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ فقلت: غدا، فأمر لي بمائة مثقال ذهب، ووصلني مري، وأمر لي بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله ﷺ مِنِّي السلام. فقدمت على رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «بَادَ مُلْكُهُ» وأقرأته من مري السلام، وأخبرته بما قال، فقال ﷺ: «صَدَقَ» ومات الحارث بن أبي شمر عام الفتح.

ذكر إرسال سَلِيط بن عمرو العامري

إلى هُوَذَةَ بن علي الحنفي باليمامة

بعثه رسول الله ﷺ إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابًا، فقدم عليه فأنزله وحباه، وقرأ كتاب رسول الله ﷺ، وكتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فأجعل لي بعض الأمر أتبعك. وأجاز سَلِيط بن عمرو بجائزة وكساه أثوابًا من نسج هَجْر^(٢)، فقدم بذلك كله على رسول الله ﷺ، وأخبره عنه بما قال، فقرأ كتابه وقال: «لو سألني سَيَابَةُ^(٣) من الأرض ما فعلت، بَادَ وبَادَ ما في يديه» فمات عام الفتح. فهؤلاء السُّتَّة الذين بعثهم رسول الله ﷺ في المحرم سنة سبع.

وبعث ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المُنْذِر بن سَاوَى العَبْدِيِّ مَلِك البَحْرَيْن.

قال محمد بن سعد: بعثه عند مُنْصَرَفِهِ من الجِعْرَانَةِ^(٤) إليه، يدعوه إلى الإسلام، وكتب إليه كتابًا. فكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه وتصديقه، و«أني قرأت

(١) يفرض: يعطي الجند عطاءهم من المال ويأمرهم بالتأهب للحرب.

(٢) هجر: منها هجر البحرين، وهجر نجران، وهجر جازان وهجر حصنة من مخلاف مازن. وهجر: مدينة وهي قاعدة البحرين. وقيل: هجر ناحية البحرين كلها. وقيل: هجر بلاد قصبتها الصفا، بينها وبين اليمامة عشرة أيام... (معجم البلدان).

(٣) السيابة: قال الأصمعي: إذا تعقد الطلع حتى يصير بلحًا، فهو السياب، واحدته سيابة... وقال أبو سعيد: السيوب عروق من الذهب والفضة، تسبب في المعدن، أي تتكون فيه وتظهر، سميت سبوتًا لانسيابها في الأرض... (اللسان مادة سيب).

(٤) الجعرانة: هي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي ﷺ لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها ﷺ، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة... (معجم البلدان لياقوت).

كتابك على أهل هَجَرَ، فمنهم من أَحَبَّ الإسلام، وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبَارِضِي مَجُوسٍ وَيَهُودٍ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ» فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إِنَّكَ مَهْمَا تُضْلِحْ فَلَنْ نَعْزَلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجَزِيَّةُ، وَبِأَلَا تُنْكِحْ نِسَاءَهُمْ وَلَا تُؤْكَلْ ذَبَائِحُهُمْ».

وكان رسول الله ﷺ بعث أبا هريرة مع العلاء بن الحضرمي، وأوصاه به خيرًا، وكتب رسول الله ﷺ إلى العلاء فرائض الإبل، والبقر والغنم، والثمار والأموال، فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صدقاتهم.

وبعث ﷺ عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان.

قال محمد بن سعد: بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة، سنة ثمان من مُهَاجِرِهِ، إلى جَنْفَرٍ وَعَبْدِ ابْنِي الْجُلَنْدِي، وهما من الأزد، والملك منهما جَنْفَرٌ، يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه إليهما كتابًا، قال عمرو: لما قدمتُ عُمانَ عمدتُ إلى عبدٍ، وكان أَحْلَمَ الرجلين وأسهلهما خُلُقًا، فقلت: إني رسولُ رسولِ الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم علي بالسُّنِّ والملك وأنا أوصلك إليه حتى تقرأ كتابك، فمكثت أيامًا ببابه، ثم دعاني فدخلت عليه فدفعت إليه الكتاب مَحْتُومًا، ففَضَّ خَاتَمَهُ وَقَرَأَهُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرْقَ مِنْهُ، فَقَالَ: دَغْنِي يَوْمِي هَذَا وَأَرْجِعْ إِلَيَّ غَدًا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ رَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَكَتُ رَجُلًا مَا فِي يَدِي، قُلْتُ: فَإِنِّي خَارِجٌ غَدًا، فَلَمَّا أُيْقِنَ بِمَخْرَجِي أَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعًا، وَصَدَقَا بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ، وَبَيْنَ الْحَكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي، فَأَخَذْتُ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ، فَرَدَدْتُهَا فِي فَقَرَائِهِمْ، وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا بَيْنَهُمْ حَتَّى بَلَّغْنَا وَفَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وبعث ﷺ المُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمِيَّةِ الْمُخْزُومِي إِلَى الْحَارِثِ الْجَمِيرِي، وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ كَلَّالٍ مَلِكُ الْيَمَنِ.

وبعث ﷺ أبا موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل^(١) إلى اليمن. وكانا جميعًا داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامة أهل اليمن، ملوكهم وعامتهم طوعًا. هؤلاء الرسل الذين ذكرهم الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي في مختصر السيرة.

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أدي.

وقد ذكر محمد بن سعد بن مَنيع في طبقاته الكبرى، أن رسول الله ﷺ بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تَبَع، وإلى ذي عمرو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا وأسلمت ضريبة بنت أبرهة بن الصباح. وتوفي رسول الله ﷺ وجرير عندهم، فأخبره ذو عمرو بوفاة رسول الله ﷺ، فرجع جرير إلى المدينة.

ولم يذكر محمد بن سعد المهاجر، وقال: إن رسول الله ﷺ بعث إلى اليمن مع معاذ بن جبل مالك بن مُرارة.

وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري^(١)، في كتابه المترجم بالاستيعاب، في ترجمة ابن أبي أمية، أن رسول الله ﷺ بعثه إلى الحارث كما قدمنا.

قال ابن سعد: وكتب رسول الله ﷺ إلى جبلة بن الأيهم ملك عَسَّان يدعو إلى الإسلام فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية، ولم يذكر أسم المرسل إليه، ثم كان من أمر جبلة بن الأيهم، وخبر أرتداده ما نذكره إن شاء الله تعالى، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقال محمد بن إسحاق رحمه الله: وكان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان.

فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العنسي وهو بها. وبعث زياد بن لبيد، أخا بني بياضة الأنصاري، إلى حضرموت وعلى صدقاتها. وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها، وعلى بني أسد. وبعث مالك بن نويرة اليزبوعي على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقات بني سعد على رجلين منهم؛ فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية.

قال: وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم، ويقدم عليه بجزيتهم.

هذا ما وقفنا عليه من أخبار رسل رسول الله ﷺ، فلنذكر من أخباره ﷺ خلاف ذلك.

(١) هو إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم الحافظ وعبد الوارث بن سفيان وسعيد نصر وغيرهم. وكتب إليه من أهل المشرق أبو القاسم السقطي المكي وعبد الغني بن سعيد الحافظ وأبو ذر الهروي وغيرهم... قيل إنه مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة... (وفيات الأعيان ٧: ٦٦).

ذكر أزواج رسول الله ﷺ

وهن: خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وزينب بنت خزيمة بن الحارث، وأم سلمة هند بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرة بنت الحارث، وزينب بنت زيد، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب، وصفية بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث؛ هؤلاء المدخول بهن، وهن ثنتا عشرة امرأة رضوان الله عليهن. وسنذكر إن شاء الله تعالى، بعد أن نذكر أخبار هؤلاء، من تزوجهن ﷺ، ولم يدخل بهن، ومن وهبت نفسها له، ومن خيّرهما فاختارت الدنيا، ومن فارقتها ﷺ، ولنذكر أخبارهن على حسب اتصالهن به ﷺ.

فأول امرأة تزوج رسول الله ﷺ:

خديجة بنت خويلد

أبن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب القرشية، رضي الله عنها، وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، وأُمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وأسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن حنجر بن معيص بن عامر بن لؤي. وكانت خديجة عند أبي هالة بن زرارة بن نباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جزوة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي. قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الثمري: هكذا نسبه الزبير، وأما الجرجاني^(١) النسابة فقال: كانت خديجة قبل عند أبي هالة هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي بن جزوة بن أسيد بن عمرو بن تميم، فولدت له هندًا، قال: ثم اتفقا فقالا: ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ثم خلف عليها بعد عتيق المخزومي رسول الله ﷺ.

وقال قتادة: كانت خديجة تحت عتيق بن عابد المخزومي، ثم خلف عليها بعده أبو هالة هند بن زرارة، قال أبو عمر: والأول أصح.

(١) الجرجاني: هو القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشافعي؛ كان فقيهاً أدبياً شاعراً... شعره كثير وطريقه فيه سهل، وله كتاب الوساطة بين المتنبئ وخصومه أبان فيه عن فضل غزير واطلاع كثير ومادة متوفرة... مات بالري سنة ٣٩٢ هجرية... (وفيات الأعيان ٣: ٢٧٨).

وقال أبو محمد عبد المؤمن^(١) بن خَلَف: إنها ولدت لعُتَيْق جارية تدعى هِنْدَ، ثم هلك عنها فخلف عليها أبو هالة فولدت له أَبْنًا وَبِنْتًا. وقال ابن إسحاق: ولدت هِنْدُ بن أبي هالة، وَزَيْنَبُ بنت أبي هالة، وولدت لعُتَيْق عبد الله وجارية، قال: ثم هلك فتزوجها رسول الله ﷺ، وقد قَدَمْنَا ذكر زواجه ﷺ بها، فلا حاجة إلى إعادته. وولدت لرسول الله ﷺ جميع أولاده، إلا إبراهيم. وقال أبو عمر: لا يختلفون أن رسول الله ﷺ لم يتزوج في الجاهلية غير خَدِيجَةَ، ولا تزوج عليها أحدًا من نسائه حتى ماتت، وهي أول من آمن بالله عز وجل، وبرسوله ﷺ على الإطلاق.

قال ابن إسحاق رحمه الله: كان رسول الله ﷺ لا يسمع من المشركين شيئًا يكرهه، من ردٍّ عليه وتكذيب له إلا فرج الله عنه بخديجة، تثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهوّن عليه ما يلقي من قومه، وقد تقدّم من أخبارها في ابتداء الوحي وأمّتحانها الأمر، وقولها لرسول الله ﷺ: إن الذي يأتيه ملك، وغير ذلك ما تقف عليه هناك، مما يستدل به على أنها رضي الله عنها أول من آمن بالله تعالى وبرسوله، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة المنتشرة، بفضل خديجة رضي الله عنها؛ فمن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سَيِّدَةُ نساء أهل الجنة بعد مَرْيَمَ بنت عمران فاطمة وخديجة وآسية امرأة فرعون». وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غُرْتُ على امرأة ما غُرْتُ على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها، ولكن ذلك لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، وإن كان لِيَذْبَحَ الشاة فيتبع بذلك صدائق خديجة يُهديها لهنّ. وعنها رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يَكَادُ يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن عليها الشاء، فذكرها يومًا من الأيام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزًا قد أبدلك الله خيرًا منها؟ فغضب حتى أهتز مُقَدِّمُ شَعْرِهِ من الغضب، ثم قال: «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها، آمَنْتُ بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني في مالها إذ حَرَمَني الناس، ورزقني الله منها أولادًا إذ حَرَمَني أولاد النساء» قالت عائشة: فقلت في نفسي لا أذكرها بسيئة أبدًا.

(١) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي، التوني (شرف الدين، أبو محمد، أبو أحمد)، فقيه، أصولي، محدث، حافظ، نسابة، إخباري، مقرر، أديب، نحوي، لغوي، شاعر. ولد بتونة من أعمال دمياط بمصر، في آخر سنة ٦١٣ هجرية، ورحل إلى الحجاز ودمشق وحلب وحماة والجزيرة وبغداد وأخذ عن كثير من الشيوخ، وتوفي فجأة بالقاهرة في ١١ ذي القعدة سنة ٧٠٥ هجرية. له تصانيف كثيرة... (معجم المؤلفين).

وقد قدّمنا من فضلها وما بَشَّرَها به جبريل عليه السلام، وذكر وفاتها عند ذكرنا لزواج رسول الله ﷺ لها ما يستغني عن إيراده في هذا الموضع، وهو في الجزء الرابع عشر من كتابنا هذا من هذه النسخة.

ولما ماتت خديجة تزوج رسول الله ﷺ بعد وفاتها بأيام:

سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسٍ

أَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَضْرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ، وَيُقَالُ فِي حِجْلٍ: حُسَيْلٌ. وَأُمُّهَا الشُّمُوسُ بِنْتُ قَيْسٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ لَيْيَدٍ بْنِ خِدَاشٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ، وَقَبْلَ الْعَقْدِ عَلَى عَائِشَةَ عَلَى الْمَشْهُورِ، وَكَانَتْ قَبْلُ عِنْدَ أَبِي عَمٍّ لَهَا يُقَالُ لَهُ السَّكْرَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ أَخُو سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ. وَأَسْنَتُ سَوْدَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَمَّ بِطَلَاقِهَا، فَقَالَتْ لَهُ: لَا تَطْلُقْنِي وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي، فَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أُحْشَرَ فِي أَزْوَاجِكَ، وَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي لِعَائِشَةَ، وَإِنِّي مَا أُرِيدُ مَا تُرِيدُ النِّسَاءَ. فَأَمْسَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَارَ يَقْسِمُ لِبَقِيَةِ أَزْوَاجِهِ دُونَهَا، وَنَوْبَتُهَا لِعَائِشَةَ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى تُوفِّيَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ مَنْ تُوفِّيَ عَنْهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: وَفِي سَوْدَةَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي عَمْرَةَ، وَيُقَالُ: خَوْلَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ بِنْتُ مَسْلَمَةَ، وَفِي زَوْجِهَا سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ. وَيُقَالُ فِي غَيْرِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَانَتْ وَفَاةً سَوْدَةَ فِي آخِرِ زَمَانِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ سَوْدَةَ:

عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وَأُمُّهَا أُمُّ رُوْمَانَ ابْنَةُ عَامِرٍ بْنِ عُوَيْمِرٍ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أُدَيْنَةَ بْنِ سَبِيعٍ بْنِ دُهْمَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ غَنَمٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ كِنَانَةَ، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فِي شَوَّالِ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ النَّبَوَةِ، قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَهِيَ بِنْتُ سَيْتٍ أَوْ سَبِيعٍ، وَبَنَى بِهَا بِالْمَدِينَةِ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعِ سِنِينَ، وَتُوفِّيَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ بِنْتُ ثَمَانِي عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَلَمْ يَتَزَوَّجَ ﷺ بِكَرًّا غَيْرَهَا، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَذَكَّرَ لَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ بْنِ عَدِيٍّ وَتُسَمَّى لَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

قد أري عائشة في المنام في سرقة^(١) من حرير مُتَوَفَّى خَدِيجَةَ، فقال: «إن يكن هذا من عند الله يُمِضْهِ» فتزوجها رسول الله ﷺ في شَوال وأَبَتْنِي بها في شَوال، فكانت تحب أن تدخل النساء من أهلها وأحبَّتها في شَوال على أزواجهنَّ، وتقول: هل كان في نسائه عنده أخْطَى مِنِّي، وقد نكحني وأَبَتْنِي بي في شَوال.

قال أبو عمر: فكان مكثها مع رسول الله ﷺ تسع سنين، رُوي عنها أنها قالت: تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت سَبْع سنين، وبَنَى بي وأنا بنت تسع، وقُبِضَ عَنِّي وأنا بنت ثمانِي عشرة.

قال أبو عمر: وأستأذنت رسولَ الله ﷺ في الكُنيَةِ فقال لها: «أَكْتَنِي بِأَبْنِكَ عبد الله بن الزبير» يعني أَبْنِ أختها، وكان مَسْرُوق إذا حَدَّث عن عائشة يقول: حَدَّثَنِي الصَّادِقَةُ ابْنَةُ الصُّدِّيقِ، البرِيَّةُ المِبرَأة بكذا وكذا. ذكره الشَّعْبِي عن مسروق. وقال أبو الضُّحَا عن مسروق: رأيت مَشِيخَةَ أصحاب محمد ﷺ الأَكابر يسألونها عن الفرائض. وقال عطاء بن أبي رَباح: كانت عائشة أَفْقَه الناس، وأَعْلَم الناس، وأَحْسَن الناس رأيا في العامَّة. وقال هشام بن عُروَةَ عن أبيه: ما رأيت أَحَدًا أَعْلَم بِفِقْهِ ولا بِطَبِّ ولا بِشعر من عائشة. وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: ما رأيت أَحَدًا أَرْوَى لِشعر من عُروَةَ، فَقِيلَ له: ما أرواك يا أبا عبد الله! قال: وما روايتي في رواية عائشة، ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى جميع علم أزواج رسول الله ﷺ، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أَفْضَلَ. وروي عن عمرو بن العاص قال: قلت لرسول الله ﷺ أي الناس أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: «عائشة»، قلت: فَمِنْ الرِّجال؟ قال: «أَبوها». ومن حديث أبي موسى الأشعري، وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فَضَلَ عَائِشَةُ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضَلَ الثَّرِيدُ^(٢) عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ». ومن فَضَلَ عَائِشَةَ أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِي بَرَاءَتِهَا مَا أَنْزَلَ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ، فِي حَوَادِثِ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا، مِنْ هَذِهِ النِّسْخَةِ. وَرُوي عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ الْقُرْآنَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧] فَمَنْ عَادَ لِمِثْلِهِ فَقَدْ كَفَرَ. وَعَنْ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ الطَّيِّبِ

(١) سرقة: جمع السَّرَق: شقق الحرير، أو أجوده.

(٢) الثريد: ما يثرد من الخبز. وثرَد الخبز، أي فته ثم بله بمرق.

قال: إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبته إليه المشركون سَبَّحَ نفسه لنفسه؛ كقوله: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ﴾ [الأنبياء: ٢٦] في آي كثير. وذكر تعالى ما نسبته المنافقون إلى عائشة فقال: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ﴾ [النور: ١٦] سبَّح نفسه في تنزيهها من السوء، كما سَبَّحَ نفسه في تنزيهه من السوء. وفضائلها رضي الله عنها كثيرة مشهورة.

وسنذكر إن شاء الله تعالى، عند ذكرنا لوفاة سيدنا رسول الله ﷺ ما خَصَّها به ﷺ، في مرضه الذي مات فيه، من تريضه في بيتها، وأنه مات ﷺ في بيتها وفي نوبتها، وبين سخرها^(١) ونحرها، وآخر ما دخل فمَه ريقها، وناهيك بها فضيلة وخصوصية. وكانت وفاة عائشة رضي الله عنها بالمدينة، في سنة سبع وخمسين، وقيل: في سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء، لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وأمرت أن تُدفن ليلاً، فدفنت بعد الوثر بالبقيع^(٢)، وصلى عليها أبو هريرة، ونزل في قبرها خمسة: عبد الله، وعزوة أبنا الزبير، والقاسم بن محمد، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر، والله أعلم.

وتزوج رسول الله ﷺ بعد زواج عائشة:

حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها

وهي أخت عبد الله بن عمر لأبيه وأمه، وأمها زينب بنت مَطْعُون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جُمَح، وكانت حفصة من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خُنَيْس بن حذافة بن قَيْس بن عَدِي السَّهْمِي، وكان بذرياً، فلما مات عنها وتأيمت، ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه، فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة، فغضب من ذلك عمر، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ، فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فأنطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان، وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال له رسول الله ﷺ: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة» ثم خطبها رسول الله ﷺ إلى عمر فتزوجها، فلقي أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب فقال: لا تجد^(٣) علي في نفسك، فإن رسول الله ﷺ كان ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها

(١) السحر: الرثة. والنحر: أعلى الصدر.

(٢) البقيع: مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة.

(٣) لا تجد علي: أي لا تغضب.

لتزوّجتها. وتزوّجها رسول الله ﷺ على رأس ثلاثين شهرًا من مُهاجره. قال أبو عمر: وطلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم أرتجعها؛ وذلك أن جبريل عليه السلام قال له: «راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وأنها زوجتك في الجنة». وروي عن عقبة بن عامر قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر، فبلغ ذلك عمر فحشى على رأسه التراب، وقال: ما يغبأ الله بعمر وأبنته بعد هذا، فنزل جبريل من الغد على رسول الله ﷺ، وقال: «إن الله يأمرك أن تراجع حفصة بنت عمر رحمة لعمر».

قال أبو عمر: وأوصى عمر بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به إليها عمر، وبصدقة تصدقت بها بمال وقفته بالغابة. وأختلف في وفاتها، فقال الدُّولابي: عن أحمد بن محمد بن أيوب، توفيت في سنة سبع وعشرين، وقال أبو مَعْشَر: توفيت في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين، وقال غيره: توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة، وصلى عليها مزوان بن الحَكَم، وحمل سريرها، وهو إذ ذاك أمير المدينة لمعاوية بن أبي سُفيان، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أبو محمد الدميّطي في مختصر السيرة. قال: ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد زواج حفصة بنت عمر:

زينب بنت خُزَيْمة بن الحارث

أبن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صَغَصَة بن معاوية بن بكر بن هَوَازِن القَيْسِيّة الهَوَازِنِيّة العامِرِيّة الهَلَالِيّة، وكانت تدعى في الجاهلية أمّ المساكين، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فطلقها، فخلف عليها أخوه عُبَيْدَة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدًا، فخلف عليها رسول الله ﷺ في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرًا من مُهاجره. وقيل: كانت تحت عبد الله بن جَحْش فقتل عنها يوم أُحُد، فتزوّجها رسول الله ﷺ. وعلى الأول أعتمد الشيخ أبو محمد، قال: ومكثت عنده ثمانية أشهر، وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر، وصلى عليها رسول الله ﷺ، ودفنها بالبقيع، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها، ولم يمت من أزواجه في حياته غيرها، وغير خديجة، قال: وفي رِيحَانَة^(١) خلاف. وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني النسابة: كانت زَيْنَب بنت خُزَيْمة أخت مَيْمُونَة لأُمها، قال أبو عمر: ولم أر ذلك لغيره، والله أعلم.

ثم تزوّج رسول الله ﷺ بعد زينب بنت خُزَيْمة:

(١) المراد بقوله: «وفي ريحانة خلاف»: أي وفي وفاة ريحانة خلاف، وريحانة: هي بنت شمعون إحدى زوجات النبي ﷺ.

أُم سَلَمَةَ هِنْد بنت أَبِي أُمِيَّة

حُذَيْفَةُ المعروف بَزَاد الرَّاكِب بن المَغِيرَةِ بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم بن يَقْظَةَ بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيِّ القرَشِيَّة المَخْزُومِيَّة. وكان أبوها أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. وأمها عاتِكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خُزَيْمَة بن عَلَقَمَة بن فَرَّاس. وكانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، وهو أبْن بَرَّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، وولدت له عمر وزينب، فكانا ربيبي رسول الله ﷺ، قال أبو عمر: ولدت له عمر وسلمة ودُرّة وزينب. قال: وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى أرض الحبشة، ويقال أيضًا: أُم سَلَمَةَ أول ظُعِينَة دخلت المدينة مهاجرة، وقيل: بل لَيْلَى بنت أبي حُثَمَة زوج عامر بن ربيعة.

تزوج رسول الله ﷺ أُم سلمة في ليالٍ بَقِيْنَ من شَوَّال سنة أربع من مُهاجره، وقال أبو عمر: تزوّجها في سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بَدْر، عقد عليها في شَوَّال، وأُبْتَنَى بها في شَوَّال، وقال لها: «إِنْ شِئْتَ سَبَعْتُ عِنْدَكَ، وَسَبَعْتُ لِنِسَائِي، وَإِنْ شِئْتَ ثَلَاثٌ وَدُرَّتْ» فقالت: ثَلَاثٌ. قال أبْن هشام: زوجه إياها أُنْهَاق سَلَمَةَ بن أَبِي سَلَمَةَ، وأُضْذِقَهَا رسول الله ﷺ فِرَاشًا حَشُوهُ لَيْفٌ وَقَدْحًا وَصَخْفَةً^(١) وَمِجْشَةً^(٢). وقد اختلف في وفاتها؛ فقيل: توفيت في سنة ستين من الهجرة، وقيل: في شهر رمضان أو شوال سنة تسع وخمسين، وقال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: توفيت في سنة اثنتين وستين. قال أبو عمر: وصلى عليها أبو هريرة، وقيل: سعيد بن زيد بوصية منها، ودخل قبرها عمر وسَلَمَةَ أبنا أبي سَلَمَةَ، وعبيد الله بن عبد الله بن أبي أُمِيَّة، وعبد الله بن وهب بن ربيعة، ودفنت بالبيع رحمها الله، وهي آخر أزواج رسول الله ﷺ موتًا، وقيل: بل مَيِّمُونَةٌ آخَرَهْنَ. والله أعلم.

ثم تزوّج ﷺ بعدها:

زَيْنَب بنت جَحْش بن رِثَاب

أَبْن يَغْمَر بن صَبْرَة بن مُرَّة بن كَبِير - بالبَاء الموحدة - أَبْن عَثْم بن دُودَان بن أَسَد بن خُزَيْمَة.

(١) الصخفة: إناء من آنية الطعام، جمع صحاف.

(٢) المجشة: الرحي.

وكان أسم زينب برة، فسمّاها رسول الله ﷺ زينب، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، عمّة رسول الله ﷺ؛ قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: تزوجها رسول الله ﷺ لهلال ذي القعدة سنة أربع على الصحيح، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة، وكانت قبل ذلك عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ثم فارقتها، فلما حلت^(١) زوجه الله إياها، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] ولما تزوجها رسول الله ﷺ تكلم في ذلك المنافقون، وقالوا حرّم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فدعى زيد يومئذ زيد بن حارثة، وكان قبل ذلك يدعى زيد بن محمد. قالت عائشة رضي الله عنها: لم يكن أحد من نساء النبي ﷺ يُساميني^(٢) في حسن المنزلة عنده غير زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ؛ تقول: إن آباءكن أنكحوكن وأن الله أنكحني إياه من فوق سبع سموات. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لزيد بن حارثة: «أذكرها عليّ» قال زيد: فأنطلقت فقلت لها: يا زينب، أبشري، فإن رسول الله ﷺ أرسل يذكرك. فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر^(٣) ربي؛ فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن. وعن عبد الله بن شداد أن رسول الله ﷺ قال لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «إن زينب بنت جحش أواهة» فقال رجل: يا رسول الله، ما الأواهة؟ قال: «الخاشع المتضرع» و﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها؛ قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً لنسائه: «أسرعنّ لحاقاً بي أطولكنّ يداً»؛ قالت: فكنّ يتناولن أيهن أطول يداً، قالت: فكانت أطولنا يداً زينب؛ لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً، قالت: كانت زينب بنت جحش تساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ، وما رأيت امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى الله وأصدق حديثاً؛ وأوصل للرحم، وأعظم صدقة. ومن رواية أخرى عنها أنها ذكرت زينب فقالت: ولم تكن امرأة خيراً منها في الدين، وأتقى الله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة، وأشدّ تبذلاً في نفسها في العمل الذي تتصدق به

(١) المراد بقوله: حلت؛ أي انقضت عدتها فحلت للزواج.

(٢) يساميني: يضاھيني ويفاخرني بالجمال والمكانة.

(٣) أوامر: أستخير.

وتتقرب إلى الله عز وجل . وكانت وفاة زينب بالمدينة في سنة عشرين من الهجرة ، في خلافة عمر ، وقيل : في سنة إحدى وعشرين ، ودُفِنَت بالبقيع رضي الله عنها .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد زينب :

جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث

أَبْن أَبِي ضِرَار بن حبيب بن عائد بن مالك بن جَذِيمَة ، وهو الْمُضْطَلِق بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَي بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِيَاء بن عامر ماء السماء ؛ الأزدية الخزاعية المصطلقية . سبأها رسول الله ﷺ يوم المُرَيْسِيع ^(١) ف وقعت جُوَيْرِيَةُ في سهم ثابت بن قيس بن شَمَّاس ، وكاتبها على تسع أواق ، فأدى رسول الله ﷺ عنها كتابتها وتزوجها . وقيل : جاء أبوها فأفتداها ، ثم أنكحها رسول الله ﷺ في سنة ست من الهجرة . وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني الْمُضْطَلِق ، وقعت جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس - أو لأبن عم له - فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلُوءَة مُلَاحَة ، فلا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيته على باب حجرتي فكرهتها ، وعرفت أنه سيري منها ما رأيته ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُوَيْرِيَةُ بنت الحارث بن أبي ضِرَار سيد قومهم وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك ، ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شَمَّاس - أو لأبن عم له - فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابتي ، قال : « فهل لك في خير من ذلك » ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « اقض عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : « قد فعلت » ؛ قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج بجويرية بنت الحارث فقال الناس : أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم ، فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني الْمُضْطَلِق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها .

قال أبو عمر : وكانت جويرية قبل تحت مُسَافِع بن صَفْوَان المصطلق ، قال : وكان أسمها بَرَّة ، فغير رسول الله ﷺ أسمها وسماها جُوَيْرِيَةَ ، وحفظت جويرية عن رسول الله ﷺ ، وروت عنه ، وتوفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلى عليها مَرْوَان بن الحَكَم وهو والي المدينة وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه ﷺ تزوجها وهي بنت عشرين سنة . وقيل : توفيت في سنة خمسين . والله أعلم .

(١) المريسيع : ماء لبني خزاعة من الأزد .

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد جويرية:

رَيْحَانَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُثَيْفَةَ بْنِ شَمْعُونِ

قال أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الترمي رحمه الله: هي رَيْحَانَةُ بِنْتُ شَمْعُونِ بْنِ زَيْدِ بْنِ خُثَيْفَةَ بْنِ شَمْعُونِ بْنِ قُرَيْظَةَ، وقيل من بني النَضِير. قال: الأكثر من بني قُرَيْظَةَ. قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة، يقال له الْحَكَمُ، وكانت قد وقعت في السبي يوم بني قريظة، وذلك في ليال من ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، فكانت صَفِيًّا^(١) رسول الله ﷺ فخيرها بين الإسلام ودينها فاخترت الإسلام فأعتقها وتزوجها، وأمهرها اثنتي عشرة أوقية ونشأ، وأعرس بها في المحرم سنة ست، في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس من بني النجار، وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة، فطلقها تطليقة، فأكثر البكاء فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت بعد رجوعه من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع. وقيل: إنه لم يتزوجها وكان يطؤها بملك اليمين، وأنه خيرها بين العتق والتزوج، أو تكون في ملكه، فقالت: أكون في ملكك أخف عليّ وعليك، فكانت في ملكه حتى توفي عنها. قال: والأول أثبت.

ثم تزوج ﷺ:

أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ

صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَيِّ القرشية الأموية، وأمها صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي العاص بن أمية عمة عثمان بن عفان، هاجرت أم حَبِيبَةَ مع زوجها عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ، فولدت له هناك حَبِيبَةَ فَكُنِيَ بِهَا، وَتَنَصَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ زَوْجُهَا، وَأَرْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، ومات على ذلك، وثبتت أم حَبِيبَةَ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمِيَةِ الضُّمَرِيُّ إِلَى النَّجَاشِيِّ، كَمَا قَدَّمْنَا ذَكَرَ ذَلِكَ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَكَانَ الَّذِي عَقَدَ عَلَيْهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَةِ عَلَى الْأَصْح، وَأَصْدَقَهَا النَّجَاشِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ شُرَحْبِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وَجَّهَهَا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ الْمَشْهُور. وقيل: إن الذي زَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، وَأَنَّ الْعَقْدَ كَانَ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ رَجُوعِهَا مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ. والأول أثبت.

(١) صفِّي رسول الله: أي ما يختاره الرسول من الغنيمة.

وروى الزبير بن بكار^(١) قال: حدثني محمد بن حسن عن عبد الله بن عمرو بن زهير، عن إسماعيل بن عمرو أن أم حبيبة قالت: ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشي جارية يقال لها أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودُهنه، فأستأذنت علي فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ قد كتب إلي أن أزوجه فقلت: بَشْرِكِ الله بخير، وقالت: يقول لك الملك وكُلي من يزوجه، فأرسلت إلى خالد بن سعيد فوكلته، وأعطيت أبرهة سوارِي فضة كانتا علي، وخواتم فضة كانت في أصابعي سُروراً بما بَشَرْتَنِي، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين يحضرون، وخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم - أما بعد - فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقته أربعمئة دينار. ثم سَكَبَ الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد، فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - أما بعد - فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله. ودفع النجاشي الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها؛ ثم أرادوا أن يقوموا، فقال النجاشي: أجلسوا فإن سنة الأنبياء عليهم السلام إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا. وماتت أم حبيبة سنة أربع وأربعين. وروي عن علي بن حسين قال: قدمت منزلي في دار علي بن أبي طالب، فحفرنا في ناحية منه فأخرجنا منه حجراً فإذا فيه مكتوب، هذا قبر رَمْلَةَ بنت صخر، فأعدناه مكانه، حكاه أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة أم حبيبة.

ثم تزوج رسول الله ﷺ بعد أم حبيبة:

صَفِيَّة بنت حُيَي بن أخطب

أَبْن سَعْيَةَ بن ثَعْلَبَةَ بن عُبَيْد بن كَعْب بن الحارث بن أَبِي حَبِيب بن النُّضِير بن النَّحَام بن نَحُوم، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه السلام.

(١) هو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي، الأسدي، الزبيري (أبو عبد الله)، عالم، نسابة، أخباري، من أهل المدينة. ولي قضاء مكة، وقدم بغداد، وحدث بها وتوفي بمكة وهو قاض عليها لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦هـ. من تصانيفه الكثيرة: أنساب قريش وأخبارها، أخبار العرب وأيامها، وفود النعمان على كسرى، الأوس والخزرج... (معجم المؤلفين).

كان أبوها سيّد بني النضير، وأمها برة بنت سمّوئل، أخت رفاعة، وكانت صفية عند سلام بن مشكم القرظي الشاعر، ففارقها فخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري الشاعر، فقتل يوم خيبر، ولم تلد لأحد منهما شيئاً، فأصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، ولم تبلغ يومئذ سبع عشرة سنة.

وحكى محمد بن إسحاق في مغازيه، وأبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي في دلائل النبوة، في غزاة خيبر: أن رسول الله ﷺ لما أفتتح القموص: - حصن ابن أبي الحقيق - أتى بصفية بنت حبيّ بن أخطب، وبأخرى معها، فمر بهما بلال على قتلى من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت^(١) وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «أغربوا»^(٢) عني هذه الشيطانة» وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ قد أصطفاها لنفسه، وكانت صفية قد رأت في المنام، وهي عروس بكنانة بن الربيع، أن قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تَمئين ملك الحجاز محمداً: فلطم وجهها لطمّة خضر^(٣) عينها منها، فأتي بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه، فسألها ما هو فأخبرته هذا الخبر.

وروي عن أنس بن مالك من رواية صهيب، أن رسول الله ﷺ لما جمع سبني خيبر جاءه دحية فقال: أعطني جارية من السبني، قال: «اذهب فخذ جارية» فأخذ صفية بنت حبيّ، فقليل: يا رسول الله، إنها سيّدة قريظة والنضير، ما تصلح إلا لك، فقال له النبي ﷺ: «خذ جارية من السبني غيرها». وقال ابن شهاب: كانت مما أفاء الله عليه، حجبها وأولم عليها بتمر وسويق، وقسم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، قال أبو عمر: روي أن رسول الله ﷺ دخل على صفية وهي تبكي، فقال لها: «ما يبكيك؟» قالت: بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني، وتقولان نحن خير من صفية، نحن بنات عم رسول الله وأزواجه، قال: «ألا قلت لهنّ كيف تكنّ خيراً منّي وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ». وكانت صفية حليلة عاقلة فاضلة؛ روي أن جارية لها أتت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: إن صفية تحب السبّ وتصل اليهود، فبعث إليها عمر يسألها، فقالت: أما السبّ فإنني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رجماً فأنا أصليها، ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: الشيطان، قالت: فأذهبي فأنت حرة.

(٢) أغربوا: أي أبعدوا.

(١) صكت: ضربت.

(٣) خضر: أي ترك به أثراً أسود.

وَتُوفِّيتَ صَفِيَّةً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ خَمْسِينَ، وَقِيلَ: سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ. وَدَفِنَتْ بِالْبَقِيعِ، وَوَرِثَتْ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ بِقِيَمَةِ أَرْضٍ وَعَرَضٍ^(١)، وَأَوْصَتْ لِأَبْنِ أَخْتِهَا بِثَلَاثِهَا، وَكَانَ يَهُودِيًّا.

ثُمَّ تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهَا:

مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ

أَبْنُ حَزْنٍ بِنُ بَجِيرٍ بِنُ هُزَمٍ بِنُ رُوَيْبَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ هِلَالٍ بِنِ عَامِرٍ بِنِ صَغَصَعَةَ بِنِ مَعَاوِيَةَ بِنِ بَكْرِ بِنِ هَوَازِنَ بِنِ مَنْصُورٍ بِنِ عِكْرِمَةَ بِنِ خَصَفَةَ بِنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بِنِ مُضَرَ.

وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ عَوْفٍ بِنِ زُهَيْرٍ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ حَمَاطَةَ بِنِ حِمَيْرٍ، وَقِيلَ: مِنْ كِنَانَةَ، وَأَنَّ زُهَيْرَ بِنِ الْحَارِثِ بِنِ كِنَانَةَ.

وَأَخَوَاتُ مَيْمُونَةَ لِأَبِيهَا وَأُمُّهَا: أُمُّ الْفَضْلِ لُبَابَةُ الْكُبْرَى بِنْتُ الْحَارِثِ، زَوْجُ الْعَبَّاسِ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ. وَلُبَابَةُ الصُّغْرَى زَوْجُ الْوَلِيدِ بِنِ الْمَغِيرَةِ، أُمُّ خَالِدِ بِنِ الْوَلِيدِ. وَعَصْمَاءُ بِنْتُ الْحَارِثِ، كَانَتْ تَحْتَ أَبِي بِنِ خَلْفِ الْجُمَحِيِّ، وَعَزَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، كَانَتْ عِنْدَ زِيَادِ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ مَالِكِ الْهَلَالِيِّ.

وَأَخَوَاتُهَا لِأُمِّهَا: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ؛ كَانَتْ تَحْتَ جَعْفَرِ بِنِ أَبِي طَالِبٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَوْنًا وَمُحَمَّدًا، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَوُلِدَتْ لَهُ مُحَمَّدًا، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَلِيُّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ، فَوُلِدَتْ لَهُ يَحْيَى، وَقِيلَ: إِنَّ أَسْمَاءَ كَانَتْ تَحْتَ حَمْزَةَ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَوُلِدَتْ لَهُ أُمَّةُ اللَّهِ بِنْتُ حَمْزَةَ، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا بَعْدَهُ شَدَادُ بِنِ أَسَامَةَ بِنِ الْهَادِ اللَّيْثِيِّ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ. وَسَلَامَةُ بِنْتُ عُمَيْسٍ أُخْتُ أَسْمَاءَ. وَسَلَمَى بِنْتُ عُمَيْسٍ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ كَعْبِ بِنِ مُنْبَهٍ الْخَثْعَمِيِّ^(٢). وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُرَيْمَةَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ لِأُمِّهَا.

قَالَ أَبُو عَمْرِو بَسْنَدَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ اسْمُ مَيْمُونَةَ بَرَّةً، فَسَمَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمُونَةَ، وَقَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِرًا فِي سَنَةِ سَبْعٍ؛ وَهِيَ عَمْرَةُ الْقَضَاءِ، خَطَبَ جَعْفَرُ بِنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَاكِيَّةُ، وَكَانَتْ أَخْتَهَا لِأُمِّهَا أَسْمَاءَ بِنْتُ عُمَيْسٍ عِنْدَ جَعْفَرٍ، وَسَلَمَى بِنْتُ عُمَيْسٍ عِنْدَ حَمْزَةَ، وَأُمُّ الْفَضْلِ عِنْدَ الْعَبَّاسِ، فَأَجَابَتْ جَعْفَرُ بِنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ بِنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَأَنْكَحَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُخْرِمٌ، فَلَمَّا

(١) العرض: متاع الدنيا قلّ أو كثر.

(٢) نسبة إلى بني خثعم، وهم بطن من أنمار، من أراش، من القحطانية.

رجع بنتي بها بسرف^(١) حلالاً، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، ويقال: بل كانت عند سبرة بن أبي رهم. حكاها أبو عبيدة، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: كانت ميمونة قبل النبي ﷺ عند حويط بن عبد العزى، وقيل: كانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عمير الثقفي ففارقها، وخلف عليها أبو رهم أخو حويط فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ. قال ابن شهاب^(٢): وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكذلك قال قتادة، قال: وفيها نزلت ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية، وقد قيل: إن الواهبة خولة وقيل: أم شريك. قال قتادة: وكانت ميمونة قبله عند فزوة بن عبد العزى بن أسد بن غنم بن دودان، قال أبو عمر: هكذا قال قتادة وهو خطأ، والصواب ما تقدم. والله أعلم. قال الشيخ أبو محمد الدمياطي: وماتت ميمونة بسرف في سنة إحدى وخمسين على الأصح؛ وقد بلغت ثمانين سنة.

فهؤلاء نساؤه المدخول بهن، ومات ﷺ عن تسع منهن؛ وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث وأم حبيبة بنت أبي سفيان؛ وصفيّة بنت حيي بن أخطب، وميمونة بنت الحارث رضوان الله عليهم أجمعين.

ذكر من تزوجهن رسول الله ﷺ من النساء ولم يدخل بهن ومن دخل بهن وطلقهن ومن وهبت نفسها له ﷺ

فاطمة بنت الضحّاك

أبن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر، وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة بن عامر الكلابية.

تزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة، سنة ثمان من الهجرة مُنْصَرَفَهُ من الجِعْرَانَةِ، فلما دنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عذت بعظيم

(١) سرف: موضع قرب التنعيم من ضواحي مكة.

(٢) ابن شهاب: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة الزهري أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وروى عنه جماعة من الأئمة... كانت وفاته في سنة ١٢٤ هجرية وقيل سنة ١٢٥ ودفن في ضيعته أدامي... (وفيات الأعيان ٤: ١٧٧).

الحقي بأهلك»^(١) فكانت إذا استأذنت على أزواج النبي ﷺ تقول: أنا الشقية إنما خُدعتُ. ودلّهُت^(٢) وذهب عقلها، وماتت سنة ستين. وروي عن ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ تزوجها بعد وفاة ابنته زَيْنَب، وخيرها حين أنزلت آية التخيير فأختارت الدنيا ففارقها، فكانت بعد تَلْقُط البعر، وتقول: أنا الشقية أخترت الدنيا. قال أبو عمر بن عبد البر: وهذا عندي غير صحيح؛ لأن ابن شهاب يروي عن أبي سلمة وعُروة عن عائشة: أن رسول الله ﷺ حين خَيرَ أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله قالت وتتابع أزواج النبي ﷺ على ذلك، قال قتادة وعكرمة: كان عنده حين خيّرهن تِسْعُ نِسوة وهن اللواتي تُوفي عنهن، قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن: وقيل إنما طلقها لبياض^(٣) كان بها. وقيل: إنما فارقها لأنه كان إذا خرج طلعت إلى المسجد. وقيل: إن الضحّاك عَرَضَ ابنته فاطمة على رسول الله ﷺ وقال: إنها لم تُصدّع^(٤) قَطُّ، فقال: «لا حاجة لي بها». وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان في نساء رسول الله ﷺ سَنَاءُ بنت سُفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب. ومنهن:

عَمْرَةُ بنت يَزِيد بن الْجَوْن الكلابية

وقيل: عَمْرَةُ بنت يزيد بن عُبيد بن رُوَاس بن كِلَاب الكلابية، وهو أصَح. وفي رواية قال أبو عمر: تزوجها رسول الله ﷺ، فبلغه أن بها بَرَصًا فطلقها، ولم يدخل بها. وقيل: إنها التي تعوذت منه حين أدخلت عليه. وقيل غيرها. ومنهن:

الْعَالِيَةُ بنت ظَبْيَان بن الْجَوْن

ابن عَوْف بن كعب بن أبي بكر بن عُبيد بن كِلَاب الكلابية. قال أبو عمر: تزوجها رسول الله ﷺ وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها، قال: وقل من ذكرها. هؤلاء اللاتي ذُكرن من بني كِلَاب بن ربيعة بن عامر. قال أبو محمد^(٥): ومن الناس من جعل التي تزوجها من بني عامر واحدة، اختلف في أسمها، وأنه لم يتزوج من بني عامر غيرها، قال: ومنهم من جعلهن جَمْعًا، وذكر لكل احدة منهن قصة، وهؤلاء اللاتي ذكرناهن، هن المشهورات من بني عامر.

(١) المراد بقوله الحقي بأهلك: أي طلقتك. (٢) دلّهُت: أي ذهب عقلها.

(٣) المراد بالبياض: البرص. (٤) لم تُصدّع: أي لم يصبها صداع.

(٥) أبو محمد: هو عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي وقد تقدمت ترجمته.

وممن ذُكرن في أزواجه ﷺ فاطمة بنت شريح. ذكرها أبو عبيدة^(١) في أزواج رسول الله ﷺ. ومنهن:

أسماء بنت النُعمان بن أبي الجُون

ابن الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجُون بن آكل المَرَار الكِندي، تزوج بها رسول الله ﷺ في سنة تسع من الهجرة، زوجه إياها أبوها حين قدم، على اثنتي عشرة أوقية ونَش، وبعث معه أبا أُسَيْد؛ فحملها من نَجْد حتى نزل بها في أُطَم^(٢) بني ساعدة، فقالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشك أن يصرفن وجهه عنا، وكانت من أجمل النساء، فقالت حفصة لعائشة، أو عائشة لحفصة: أخضبيها أنت وأنا أمشطها، ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إنه يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك؛ فلما دخلت عليه وأغلق الباب، وأرخى الستر، مَدَّ يده إليها، فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذتِ بِمَعَاذِ الْحَقِّ بِأهلك» وأمر أبا أُسَيْد أن يردّها إلى أهلها؛ وقال: «مَتَّعَهَا بَرَاذِقَتَيْنِ»^(٣) يعني كِرْبَاسَيْنِ، فكانت تقول: أدعوني الشَّقِيَّةَ، وإنما خُدعت؛ لما رَوَى من جمالها وهَيْئَتها، وذكر لرسول الله ﷺ مَنْ حَمَلَهَا على ما قالت، فقال: «إِنَّهُنَّ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ وَكَيْدِهِنَّ عَظِيمٌ» قال: فلما طلع بها أبو أُسَيْد على أهلها تصايحوا؛ وقالوا: إِنَّكِ لَغَيْرُ مَبَارَكَةٍ، ما دَهَاكِ؟ فقالت: خُدعت، وقيل لي كَيْتٌ وَكَيْتٌ، فقالوا: لقد جعلتنا في العرب شُهْرَةً، فقالت: يا أبا أُسَيْد قد كان ما كان فما الذي أصنع؟ قال: أَقِمْ فِي بَيْتِكَ وَأَحْتَجِجِي إِلَّا مِنْ ذِي رَحِمٍ، ولا يطمع فيك طامع بعد رسول الله ﷺ، فَإِنَّكَ مِنْ أَمَهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَأَقَامَتْ لَا يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ، وَلَا تُرَى إِلَّا لَذِي مَحْرَمٍ، حَتَّى تَوَفَّيْتُ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عِنْدَ أَهْلِهَا بِنَجْدٍ.

وقال أبو عمر: أجمعوا على أن رسول الله ﷺ تزوجها، وأختلفوا في قِصَّةِ فِرَاقِهِ لَهَا، فقال بعضهم: لما دخلت عليه دعاها فقالت: تعال أنت، وأبت أن تجيء، هذا قول قتادة وأبي عبيدة. وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عُذتِ

(١) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء، تيم قريش، البصري النحوي العلامة؛ قال الجاحظ في حقه: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأخبار العرب وأيامها... وكان لا يقبل شهادته أحد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل إلى الغلمان... (وفيات الأعيان ٥: ٢٣٥).

(٢) الأطم: بناء مرتفع كالحصن. (٣) الرازية: ثوب كتان أبيض.

بمَعاذ، وقد أعاذك الله مني» فطلقها، قال قتادة: وهذا باطل إنما قال هذا لأمراة جميلة تزوجها من بني سليم. وقال أبو عُبَيْدة: كِلْتاهما عاذتا بالله عز وجل منه ﷺ. والله تعالى أعلم. وروى البخاري في صحيحه حديث أبي أُسَيْد السَّاعِدِي قال: تزوج رسول الله ﷺ:

أُمَيْمَةُ بِنْتُ شَرَاهِيل

فلما دخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أُسَيْد أن يجهزها ويكسوها ثوبين، وفي لفظ آخر، قال أبو أُسَيْد: أتى رسول الله ﷺ بالجَوْنِيَّة^(١)، فلما دخل عليها قال: «هي لي نفسك» فقالت: وكيف تهب الملكة نفسها للسوقة؟ فأهوى بيده إليها ليسكتها فقالت: أعوذ بالله منك، قال: «قد عُذتِ بمَعاذ» ثم خرج عليه السلام فقال: «يا أبا أُسَيْد أكسها رازقيتين وألحقها بأهلها». وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: خَلَفَ عليها المُهاجر بن أبي أُمَيَّة بن المُغِيرَةِ؛ فأراد عمر أن يعاقبهما، فقالت: والله ما ضُرب عليّ الحِجاب ولا سميت بأُم المؤمنين، فكف عنهما، وقيل: تزوجها عِكْرَمَةُ بن أبي جهل في الرِّدة، وقيل: خَلَفَ عليها بعد المُهاجر قَيْس بن مَكْشُوح المرادي، وقال ابن أُنْزَى: الجَوْنِيَّة التي أَسْتَعَاذت من رسول الله ﷺ، ولم تستعِذ منه امرأة غيرها.

قال أبو عمر رحمه الله: الأختلاف في الكِنْدِيَّة كبير جدًا، منهم من يقول: هي أسماء بنت النعمان، ومنهم من يقول: أُمَيْمَةُ بنت النعمان، ومنهم من يقول: أُمَامَةُ بنت النعمان، قال: وأختلافهم في سبب فراقها على ما رأيت، والأضطراب فيها وفي صواحباتها اللواتي لم يجتمع عليهن من أزواجه ﷺ عظيم. ومنهن:

قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْس

أخت الأشعث بن قَيْس بن مَغْدِيكَرِب بن معاوية الكِنْدِيَّة. رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما أَسْتَعَاذت أسماء بنت النعمان من النبي ﷺ خرج والغضب يُعْرَف في وجهه، فقال له الأشعث بن قيس: لا يسوؤك الله يا رسول الله، ألا أزوجك من ليس دونها في الجمال والحسب؟ قال: «مَنْ؟» قال: أختي قُتَيْلَةُ، قال: «قد تزوجتها» قال: فأنصرف الأشعث إلى حَضْرَمَوْت، ثم حملها حتى إذا فَصَلَ

(١) الجونية: سيأتي تفسيرها للمؤلف.

من اليمَن، بلغه وفاة رسول الله ﷺ فردّها إلى بلاده وارتدّ وأرتدت معه فيمن ارتد؛ فلذلك تزوجت؛ لفساد النكاح بالارتداد. قال الشيخ أبو محمد: وكان تزوجها قيس بن مكشوح المُرادي، وقيل: تزوجها عكرمة بن أبي جهل، فوجد أبو بكر من ذلك وَجْدًا شديدًا، وقال: لقد هَمَمْتُ أن أحرق عليهما بيتهما. فقال له عمر: يا خليفة رسول الله، إنها والله ما هي من أزواجه، ما خيّرنا ولا حجبها، ولقد برّأها الله منه بالارتداد الذي أرتدت مع قومها. وكان تزوجه إياها سنة عشر، وقيل: قبل موته بشهرين، وقيل: تزوجها في مرضه. وقال قائلون: إنه ﷺ أوصى أن تُخيّر، فإن شاءت ضُرب عليها الحجاب وتحرم على المؤمنين، وإن شاءت طلقها فلتنكح من شاءت، فأختارت النكاح، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل. وكان عُرْوَة بن الزُبَيْر ينكر ذلك، ويقول: لم يتزوج النبي ﷺ قُتَيْلَةَ بنت قَيْس، ولا تزوج كِنْدِيَةَ إلا أخت بني الجَوْن؛ مَلَكَهَا، وأتي بها فلما نظر إليها طلقها، ولم يَبْنِ بها ﷺ. ومنهن:

عَمْرَة بنت معاوية الكِنْدِيَة

تزوجها رسول الله ﷺ، قال الشعبي: تزوج امرأة من كِنْدَة، فجاء بها بعد وفاته ﷺ. ذكر ذلك أبو الفرج بن الجَوْزِي في التلخيص. ومنهن:

أَسْمَاء بنت الصَّلْت

وقيل: سَنَاء بنت الصَّلْت، قال أبو عمر: وهو الصواب؛ قال: وقال علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسن الجرجاني النسابة: هي وَسَنَاء بنت الصَّلْت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سِمَاك بن عَوْف بن أَمْرِئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيْم السُّلَمِيَّة؛ تزوجها رسول الله ﷺ، فماتت قبل أن تصل إليه. وقال غيره: فلما بُشِّرَتْ بذلك ضَحِكَتْ، وماتت من الفَرَح. وقال ابن إسحاق: سَنَاء بنت أَسْمَاء بن الصَّلْت السُّلَمِي، تزوجها رسول الله ﷺ ثم طلقها. وقال أبو نصر ابن ماكولا^(١): سَنَاء بنت أَسْمَاء ماتت قبل أن يدخل بها. وقيل: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، قالت أَسْمَاء: لو كان نبياً ما مات حبيبه، فخلّى سبيلها. وقال عبد الله بن عبيد بن عمير

(١) ابن ماكولا: هو الأمير سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير العجلي، المعروف بابن ماكولا... أصله من جرباذقان من نواحي أصبهان، ووزر أبوه أبو القاسم هبة الله للإمام القائم بأمر الله... (وفيات الأعيان ٣: ٣٠٥).

الليثي: جاء رجل من بني سليم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي ابنة من جمالها وعقلها ما إنني لأحسد الناس عليها غيرك، فهم النبي ﷺ أن يتزوجها، ثم قال: وأخرى يا رسول الله، لا والله ما أصابها عندي مرض قط، فقال له النبي ﷺ: «لا حاجة لنا في أبنتك، تجيئنا نحمل خطاياها! لا خير في مال لا يُرزأ^(١) منه، ولا جسم لا يُنال منه». وقال أبو عمر بن عبد البر: وفي سبب فراقها اختلاف، ولا يثبت فيها شيء من جهة الإسناد. ومنهن:

مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبِ اللَّيْثِيِّ

روى محمد بن عمر الواقدي، عن أبي معشر، قال: تزوج النبي ﷺ مُلَيْكَةَ بِنْتَ كَعْبٍ، وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: أما تستحيين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعازت من رسول الله ﷺ فطلقها، فجاء قومها إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة ولا ولي لها، وأنها خُدِعت فارتجعها، فأبى رسول الله ﷺ، فاستأذنه أن يزوجه قريبا لها من بني عُذْرَةَ، فأذن لهم فتزوجها العُذْرِيُّ، وكان أبوه قُتل يوم فتح مكة، قُتل خالد بن الوليد بالخُدَمَةِ^(٢). قال محمد بن عمر: مما يضعف هذا الحديث، ذكر عائشة أنها قالت: ألا تستحيين، وعائشة لم تكن مع النبي ﷺ عام الفتح، وعن عطاء بن يزيد الجُنْدَعِيِّ قال: تزوج رسول الله ﷺ مُلَيْكَةَ بِنْتَ كَعْبِ اللَّيْثِيِّ في شهر رمضان، سنة ثمان، ودخل بها فماتت عنده، قال محمد بن عمر: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون لم يتزوج كنانة قط، وعن الزُّهْرِيِّ مثل ذلك. ومنهن:

أَبْنَةُ جُنْدَبِ بْنِ ضَمْرَةَ الْجُنْدَعِيِّ

قال أبو محمد الدميّاطي رحمه الله: روي أن رسول الله ﷺ تزوج أبنَةَ جُنْدَبِ بْنِ ضَمْرَةَ الْجُنْدَعِيِّ، وأنكر ذلك الواقدي، وقال: لم يتزوج كنانة قط. ومنهن:

(١) يقال: رزأه ماله: أي أصاب منه شيئا فنقصه.

(٢) خُدَمَةُ: بفتح أوله: جبل بمكة، كانت به وقعة يوم فتح مكة، وله يوم يعرف به، هزم فيه خالد ابن الوليد المشركين. . . ومنها حجارة بنيان مكة ومنها شعب بن عامر، وجبال مكة الخُدَمَةُ وجبال أبي قبيس.

الغفارية

قال أبو محمد الدميّاطي: قال بعضهم تزوّج النبي ﷺ امرأة من غفّار^(١)، فأمرها فنزعت ثيابها، فرأى بها بياضاً، فقال: «الحقي بأهلك» ويقال: إنما رأى البياض بالكلاية. ومنهن:

خولة بنت الهذيل بن هبيرة

أبن قُبَيْصَةَ بن الحارث بن حبيب بن حُرْقَةَ بن ثُعْلَبَةَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثُعْلَبَةَ^(٢).

وأما خرنق بنت خليفة بن فزوة بن فضالة بن زيد بن أمريء القيس الكلبي، أخت دحية بن خليفة. تزوجها رسول الله ﷺ، فهلكت في الطريق قبل وصولها إليه. حكاها أبو عمر بن عبد البر عن الجرجاني النسابة. ومنهن:

شراف بنت خليفة بن فزوة الكلبي،

أخت دحية بن خليفة الكلبي

قال أبو محمد الدميّاطي: قال ابن الكلبي حدّثنا الشَّرْقِيُّ بن القطامي قال: لما هلكت خولة بنت الهذيل، تزوج رسول الله ﷺ شراف بنت خليفة أخت دحية، ثم لم يدخل بها. وقال أبو عمر بن عبد البر: فهلكت قبل دخوله بها. وروي عن عبد الرحمن بن سابط، قال: خطب رسول الله ﷺ امرأة من كلب، فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، فقال لها: «ما رأيت؟» فقالت: ما رأيت طائلاً. فقال ﷺ: «لقد رأيت خالاً بخذها اقشعرت كل شعرة منك» فقالت: يا رسول الله، ما دونك سرّاً. ومنهن:

خولة بنت حكيم

أبن أمية بن حارثة بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ثُعْلَبَةَ بن ذكوان بن أمريء القيس بن سليم. ويقال فيها: خويلة بنت حكيم، وأما صفية بنت العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. قال ابن الكلبي: كانت خولة بنت حكيم

(١) بنو غفار: بطن من جاسم، من العماليق. وهم بنو غفار بن جاسم بن عمليق.

(٢) بنو ثعلبة: بطن من تغلب بن وائل من العدنانية.

من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فأزجأها وكانت تخدم النبي ﷺ، وكانت عند عثمان بن مظعون فمات عنها. وعن عروة قال: خولة بنت حكيم ممن وهبت نفسها للنبي ﷺ. وقال أبو عمر بن عبد البر: خولة تكنى أم شريك، وهي التي وهبت نفسها للنبي، في قول بعضهم، وكانت امرأة فاضلة صالحة، روى عنها سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن المسيب، وهي التي قالت لرسول الله ﷺ: إن فتح الله عليك الطائف فأعطني حلي بادية بنت غيلان، أو حلي الفارعة بنت عقيل كما تقدم. ومنهن:

لَيْلَى بِنْتُ الْخَطِيمِ بْنِ عَدِيٍّ

أبن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن الخزرج بن عمرو، وهو الثبيت بن مالك بن الأوس، وهي أخت قيس بن الخطيم^(١)، وأسم الخطيم ثابت، وأسم ظفر كعب.

قال محمد بن سعد: عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: كانت ليلى بنت الخطيم وهبت نفسها للنبي ﷺ فقبلها، وكانت تركب بعولتها ركوباً^(٢) شديداً، وكانت سيئة الخلق، فقالت: لا والله، لأجعلن محمداً لا يتزوج في هذا الحي من الأنصار، والله لآتيته، ولأهبن نفسي له، فأتى النبي ﷺ وهو قائم مع رجل من أصحابه، فما رآه إلا بها واضعة يديها عليه، فقال: «من هذا؟ أكله الأسد» فقالت: أنا ليلى بنت سيد قومها، قد وهبت نفسي لك، قال: «قد قبلتك؛ أرجعي حتى يأتيك أمري» فأتى قومها فقالوا: أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر، وقد أحل الله لرسوله أن ينكح ما شاء، فرجعت فقالت: إن الله أحل لك النساء، وأنا امرأة طويلة اللسان لا صبر لي على الضرائر، وأستقلته فقال: «قد أقلتك».

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبي ﷺ، وهو مول ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبيه، فقال: «من هذا؟ أكله الأسد» وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير ومباري الريح، أنا ليلى

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد... كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وذكر أصحاب المغازي أنه قدم مكة فدعاه النبي ﷺ وتلا عليه القرآن فقال: إني لأسمع كلاماً عجيباً فدعني أنظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك؛ فمات قبل الحول... (الأغاني ٢: ١٥٤).

(٢) المراد بقوله: تركب بعولتها: أي أنها شديدة التسلط على أزواجها.

بنت الخطيم، جئت لك لأعرض عليك نفسي، تزوجني، قال: «قد فعلت» فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني النبي ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيّر، والنبي ﷺ صاحب نساء، تغارين عليه فيدعو الله عليك، فاستقيليه نفسك، فرجعت فقالت: يا رسول الله، أفلني، قال: «قد أفلتت» قال: فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر، فولدت له، فبينما هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثب عليها ذئب فأكل بعضها، وأدركت فماتت. ومنهن:

لَيْلى بنت حَكِيم الأنصارية

الأوسية، التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، قال أبو عمر بن عبد البر: ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي ﷺ؛ ولم يذكرها غيره فيما علمت. والله تعالى أعلم. ومنهن:

أم شريك وأسمها غَزِيَّة

بنت دُودَان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رَوَاحَة بن مُثَقِد بن عَمِير بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ. وقال أبو عمر: غَزِيَّة الأنصارية من بني النجار.

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: اختلف فيها، فكان محمد بن عمر يقول: هي من بني مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ، وكان غيره يقول: هي دُوسِيَّة من الأزد، وقيل: هي أنصارية. وروى ابن سعد، عن محمد بن عمر، عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لُؤَيٍّ، مَعِيصِيَّة وهبت نفسها لرسول الله ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوج حتى ماتت. وروي عن وَكِيع عن زَكْرِيَّا عن عامر في قوله عز وجل: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]؛ قال: كل نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فدخل ببعضهن وأرجأ بعضاً فلم ينكحن بعده، منهن: أم شريك. وعن الشَّعْبِي قال: المرأة التي عَزَلَ^(١) رسول الله ﷺ أم شريك الأنصارية. وعن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ تزوج أم شريك الدُوسِيَّة، ومثله عن عكرمة. وروى محمد بن سعد عن محمد بن عمر قال: حدثني الوليد بن مسلم، عن مُنِير بن عبد الله الدُوسِي قال: أسلم زوج أم شريك - وهي غَزِيَّة بنت جابر بن حَكِيم الدُوسِيَّة من الأزد - وهو أبو العكر، فهاجر إلى النبي ﷺ مع أبي هريرة، ومع دُوس حين هاجروا، قالت أم شريك: فجاءني أهل أبي العكر فقالوا: لعلك على دينه، قلت: إي

(١) عزل: فارق.

والله، إني لعلّى دينه، قالوا: لا جرم، والله لنعذبك عذاباً شديداً، فارتحلوا بنا من دارنا، ونحن كنا بذِي الْخَلْصَةِ^(١)، فساروا يريدون منزلاً، وحملوني على جمل تُقَالَ^(٢)، شرّ ركبهم وأغلظه، يطعموني الخبز بالعسل، ولا يسقوني قطرة من ماء، حتى إذا أنتصف النهار وسخت الشمس، ونحن قائظون، فنزلوا فضربوا أخبيتهم وتركوني في الشمس حتى ذهب عقلي وسمعي وبصري، ففعلوا بي ذلك ثلاثة أيام، فقالوا لي في اليوم الثالث: أتركي ما أنت عليه، قالت: فما دريت ما يقولون إلا الكلمة بعد الكلمة، فأشير بإصبعي إلى السماء بالتوحيد، قالت: فوالله إني لعلّى ذلك، وقد بلغني الجهد، إذ وجدت بزد دلو على صدري، فأخذته فشربت منه نَفْسًا^(٣) واحداً، ثم أنترع متي، فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض، فلم أقدر عليه، ثم دُلّي الثانية فشربت منه نَفْسًا، ثم رفع، فذهبت أنظر، فإذا هو بين السماء والأرض، ثم دُلّي الثالثة فشربت منه حتى رويت، فأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي، قالت: فخرجوا فنظروا، فقالوا: من أين لك هذا يا عدوّ الله؟ قالت فقلت لهم: إنّ عدوّ الله غيري؛ مَنْ خالف دينه، فأما قولكم من أين هذا فمن عند الله رزقاً رزقيّه الله، قالت: فأنطلقوا سراعاً إلى قريهم فوجدوها موكاة لم تحل، فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا، فإن الذي رزقك ما رزقك في هذا الموضع بعد أن فعلنا بك ما فعلنا، هو الذي شرع الإسلام، فأسلموا وهاجروا جميعاً إلى النبي ﷺ، وكانوا يعرفون فضلي عليهم، وما صنع الله إليّ، قال: وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وكانت جميلة وقد أسنت، فقالت: إني وهبت نفسي لك، وأتصدق بها عليك، فقبلها النبي ﷺ، فقالت عائشة: ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك: فأنا تلك؛ فسمّاها الله مؤمنة، فقال تعالى: ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسًا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة: إنّ الله ليسرع لك في هواك يا رسول الله. ومنهن:

الشَّبَاء

ذكرها الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدّميّاطي رحمه الله، في أزواج النبي ﷺ، ولم يذكر لها ترجمة. فلنذكر من خطبهن ﷺ.

- (١) ذو الخلصة: بفتح أوله وثانيه، ويروى بضم أوله وثانيه، والأول أصح: وهو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وهو صنم لهم فأحرقه جرير بن عبد الله البجلي حين بعثه النبي ﷺ... (معجم البلدان لياقوت).
- (٢) جمل تُقال: أي بطيء.
- (٣) النفس: الجرعة.

ذكر من خطبهن رسول الله ﷺ من النساء ولم يتفق تزويجهن

منهن:

أم هانئ بنت أبي طالب

ابن عبد المطلب بن هاشم، وأسمها فاختة، وقال ابن الكلبي: اسمها هند، وهي أخت علي بن أبي طالب، وعقيل وجعفر وطالب، شقيقته، وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: خطب النبي ﷺ إلى أبي طالب أخته أم هانئ في الجاهلية، وخطبها هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فزوجها هُبيرة، فقال النبي ﷺ: «يا عم، زوجت هُبيرة وتركتني!» فقال: «يأبن أخي إنا قد صاهرنا إليهم، والكريم يكافئ الكريم». ثم أسلمت ففرق الإسلام بينها وبين هُبيرة فخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها فقالت: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية، فكيف في الإسلام، ولكني امرأة مُصيبة^(١) وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركب المطايا نساء قريش، أخناه^(٢) على ولد في صغره، وأزعا^(٣) على زوج في ذات يده». ومنهن:

ضباعة بنت عامر بن قُرط

أبن سلمة بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. روى هشام بن محمد الكلبي، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كانت ضباعة بنت عامر عند هُوذة بن علي الحنفي، فهلك عنها فورثها مالا كثيرا، فتزوجها عبد الله بن جُدعان التيمي، وكان لا يولد له فسأله الطلاق فطلقها، فتزوجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة، وكان من خيار المسلمين، فتوفي عنها هشام، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئا كثيرا، وكانت تغطي جسدها بشعرها، فذكر جمالها عند النبي ﷺ، فخطبها إلى أبنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، وقيل للنبي ﷺ: إنها قد كبرت فاتأها أبنها فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت حتى أستأمرها، فقالت: وفي النبي ﷺ يُستأمر! أرجع فزوجه، فرجع إلى النبي ﷺ فسكت عنه. ومنهن:

(٢) أخناه: أشفقه.

(١) مصيبة: أي كثيرة الصيبة.

(٣) أزعا: أحفظه.

صَفِيَّةُ بِنْتُ بَشَّامَةَ بْنِ نَضْلَةَ الْعَنْبَرِيِّ

قال أبو محمد: كان أصابها سبَاءٌ، فحَيرَهَا رسول الله ﷺ، فقال: «إن شئت أنا، وإن شئت زَوْجُكَ» فقالت: بل زوجي، فأرسلها فلَعَنَتَهَا بنو تميم. ومنهن:

جَمْرَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ عَوْفِ الْمُزَنِيِّ

خطبها رسول الله ﷺ، فقال أبوها: إن بها سُوءًا ولم يكن بها، فرجع إليها أبوها وقد بَرَصَتْ، وهي أُمُّ شَيْبِ بْنِ الْبَرْصَاءِ الشَّاعِر. ومنهن:

سَوْدَةُ الْقُرَشِيَّةُ

خطبها رسول الله ﷺ، وكانت مُضْطَبَّةً فقالت: أكره أن تَضْعُوَ^(١) صَبِيَّتِي عند رأسِك، فحمدها ودعا لها، ذكرها والتي قبلها أبن الجَوْزِيِّ في التَّلْقِيح. وروي عن مجاهد قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب فَرَدَّ لم يعد، فخطب امرأة، فقالت: حتى أَسْتَأْمِرَ أَبِي، فلقيت أباهَا فأذن لها، فلقيت رسول الله ﷺ فقالت له، فقال: «قد أَلْتَحَفْنَا لِحَافًا غَيْرِكَ» ولم يسم مجاهد أَسْمَ هذه المرأة. وعَرَضَ على رسول الله ﷺ:

أُمَامَةُ بِنْتُ عَمِّهِ حَمْرَةَ

أَبْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وقيل: أَسْمَاهَا عِمَارَةُ، فَأَتَاهَا رسول الله ﷺ، وقال: «تلك أبنَةُ أَخِي مِنَ الرِّضَاعَةِ». وعَرَضَتْ عَلَيْهِ أُمُّ حَبِيبَةَ أَخْتَهَا.

فجميع من ذكر من أزواج النبي ﷺ المدخول بهن، وغير المدخول بهن، ومن وهبت نفسها له، أو خطبها ولم يتفق تزويجها، أو عَرَضَتْ عَلَيْهِ فَأَبَاهَا، نحو أربعين امرأة على ما ذكرناه من الاختلاف، ومن أهل العلم من ينكر بعضهن، ويقول: إنما تزوج رسول الله ﷺ أربع عشرة امرأة، ست منهن قرشيات لا شك فيهن، وهن: خَدِيجَةُ، وعَائِشَةُ، وسَوْدَةُ، وأُمُّ سَلَمَةَ، وأُمُّ حَبِيبَةَ، وحَفْصَةُ.

ومن العرب: زينب بنت جَحْشٍ، ومَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وأَسْمَاءُ بِنْتُ الثُّعْمَانِ، وفَاطِمَةُ بِنْتُ الصُّحَّاحِ، وزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ.

(١) تَضْعُو الصبية: أي يصيحون ويكون ويضحون.

ومن غيرهم: رَيْحَانَةُ بنت زيد من بني النَّضِير، وَصَفِيَّة بنت حُيَي بن أَخْطَب.
وعن محمد بن يحيى بن جَبَّان قال: تزوج رسول الله ﷺ خمس عشرة امرأة،
فسمى هؤلاء، وزاد مُلَيْكَةَ بنت كَعْب اللَّيْثِيَّة. وقال أبو عبيدة: تزوج رسول الله ﷺ
ثمانى عشرة امرأة.

وقال محمد بن عمر الواقدي: المجمع عليه أن رسول الله ﷺ تزوج أربع عشرة
امرأة، وهن اللَّائِي سُمَيْن، وفارق منهن الجَوْنِيَّة والكَلَابِيَّة، ومات عنده خديجة،
وزينب بنت خُزَيْمَة، ورَيْحَانَة بنت زيد، وقُبُض عن تسع، وهن المذكورات اللاتي
قدمنا ذكرهن.

وقال أبو سعيد في شرف النبوة: إن جملة أزواج النبي ﷺ إحدى وعشرين
امرأة، طلق منهن سِتًّا، ومات عنده خمس، وتوفي عن عشر؛ واحدة لم يدخل بها،
وكان صدّاقه لِنِسائه لكل واحدة خمسمائة درهم، إلا صَفِيَّة فإنه جعل عِتْقها صدّاقها،
وأم حَبِيبَة أصدّقها عنه النجاشي.

ذكر سراري رسول الله ﷺ

وهن:

مارية بنت شمعون القبطية

وهي أم ولده إبراهيم، وكانت من جَفَن من كورة أنصنا^(١) من صعيد مصر،
أهداها له المُقَوِّس جُرَيْج بن مِينَا، ولما ولدت مارية لرسول الله ﷺ ابنه إبراهيم قال:
«أعتقها ولدها». وتوفيت مارية في المحرم سنة ست عشرة، في خلافة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها، وصلى عليها
عمر، ودُفِنَت بالبقيع.

ورَيْحَانَةُ بنت زَيْد النَّضْرِيَّة، وقد تقدّم خبرها في الزوجات. وقال أبو عبيدة:
كان له أربع؛ وهن مارية وريحانة، وأخرى جميلة أصابها في السَّني، وجارية وهبتها
له زينب بنت جَحْش. وقال قتادة: كان للنبي ﷺ وَلِيدَتَان مارية وريحانة، وبعضهم
يقول: رَيْيَحَةُ الْقَرْظِيَّة.

(١) أنصنا: بالفتح ثم السكون، وكسر الصاد المهملة، والنون مقصور: مدينة أزلية من نواحي
الصعيد على شرقي النيل وفيها بوابي وآثار كثيرة... ولا يثبت اللنج إلا بأنصنا، وهو عود تنشر
منه الألواح للسفن... (معجم ياقوت).

ذكر أولاد رسول الله ﷺ

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان أول من وُلِدَ لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولدت له زينب، ثم رُقِيَّة، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمي الطيب والطاهر، وأمهم كلهم خديجة رضي الله عنها. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله ماتا بمكة، فقال العاصي بن وائل السهمي: قد أنقطع ولده فهو أبتري؛ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] وقيل: الطيب والطاهر اثنان سوى عبد الله. وقيل: كان له الطاهر والمطهر ولدا في بطن. وقيل: كان له الطيب والمطيب ولدا أيضا في بطن. وقيل: إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم. وأما البنات فكلهن أدركن الإسلام، وأسلمن وهاجزن، وسندكر إن شاء الله تعالى أخبارهن ومن تزوجهن، وما ولدن على ما تقف عليه، وهؤلاء كلهم أولاد خديجة وُلِدوا بمكة، ثم ولدت له مارية القبطية:

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ

ولد في ذي الحجة، سنة ثمان من الهجرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر: ذكر الزبير عن أشياخه، أن أم إبراهيم مارية ولدته بالعالية^(١)، في المال الذي يقال له اليوم (مَشْرَبَةُ إبراهيم) بالقَف^(٢)، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبي ﷺ، امرأة أبي رافع، فبَشَّرَ به أبو رافع النبي ﷺ، فوهب له عبداً، فلما كان يوم سابعه عَقَّ^(٣) عنه بكبشٍ وحلق رأسه؛ حلقه أبو هند، وسماه يومئذٍ، وتصدق بوزن شعره ورقاً على المساكين، وأخذوا شعره فدفنوه في الأرض. وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «وُلِدَ لي الليلة غلام فسميته بأسم أبي إبراهيم» هذا يدل على أنه سَمَاهُ في وقت ولادته، قال الزبير: ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قَيْن^(٤) بالمدينة، يقال له: أبو سيف، قال الزبير: وتنافس الأنصار فيمن يُرضعه، فجاءت أم بُرْدَة بنت المنذر بن زيد الأنصاري، زوجة البراء بن أوس، فكلمت رسول الله ﷺ في أن تُرضعه، فكانت تُرضعه بلبن ابنها في بني

(١) العالية: موضع على ثلاثة أميال من المدينة المنورة.

(٢) القَف: واد بالمدينة.

(٣) عَقَّ: ذبح عقيقة، وهي الشاة التي تذبح يوم أسبوع الولد.

(٤) القين: الحداد.

مازِن بن النجار، وترجع به إلى أمِّه، وأعطى رسول الله ﷺ أمَّ بُرْدَةَ قِطْعَةً مِنْ نَخْلٍ، فَنَاقَلَتْ بِهَا إِلَى مَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ. وَتَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ عَشْرٍ، وَقَدْ بَلَغَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا؛ مَاتَ فِي بَنِي مَازِنٍ عِنْدَ ظَهْرِهِ^(١) أمَّ بُرْدَةَ، وَهِيَ حَوْلَةُ بِنْتِ الْمَنْذَرِ بْنِ لَبِيدٍ، وَغَسَلَتْهُ وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ عَاشَ لَوَضَعْتَ الْجَزِيَّةَ عَنْ كُلِّ قَبْطِيٍّ». وَقَالَ أَيْضًا: «لَوْ عَاشَ إِبْرَاهِيمَ مَا رَقَّ لَهُ خَالٌ». وَفِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ تَصْرِيحٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّمَا مَاتَ عِنْدَ ظَهْرِهِ أُمِّ سَيْفٍ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فَأَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَصَادَفُنَا أَبَا سَيْفٍ يَنْفَخُ فِي كَبِيرِهِ، وَقَدْ أَمْتَلَأَ الْبَيْتَ دُخَانًا، فَأَسْرَعْتُ فِي الْمَشْيِ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي سَيْفٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَيْفٍ، أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمْسَكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالضَّبِّيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَكِيدُ^(٢) بِنَفْسِهِ، فَدَمَعْتُ عَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَكَى عَلَى أَبْنِهِ إِبْرَاهِيمَ مِنْ غَيْرِ رَفْعِ صَوْتٍ، وَقَالَ: «تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». وَعَنْ عَطَاءٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَأَتَى بِهِ النَّخْلَ^(٣)، فَإِذَا أَبْنُهُ إِبْرَاهِيمَ فِي حَجَرٍ أُمُّهُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حَجَرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِبْرَاهِيمَ إِنَّا لَا نَغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا؛ ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا إِبْرَاهِيمَ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ وَوَعْدٌ صِدْقٌ، وَأَنْ آخِرْنَا سَيَلْحَقُ أَوْلَانَا لَحْزَنًا عَلَيْكَ حَزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ، تَبْكِي الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يَسْخَطُ الرَّبَّ». قَالُوا: وَوَأَفَقَ مَوْتَ إِبْرَاهِيمَ كُسُوفُ الشَّمْسِ، فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّ الشَّمْسَ أَنْكَسَفَتْ لِمَوْتِهِ، فَخَطَبَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَأَفْزِعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَإِلَى الصَّلَاةِ». وَقَالَ ﷺ حِينَ تَوَفَّى إِبْرَاهِيمَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ تُثَمُّ رِضَاعُهُ». وَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَبَّرَ أَرْبَعًا، قَالَ أَبُو عَبْدِ الْبَرِّ: هَذَا قَوْلُ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ، قَالَ: وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ غَسَلَ إِبْرَاهِيمَ، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ مَعَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ،

(١) الظئر: المرضع.

(٢) يكيد بنفسه: أي يجود بها.

(٣) النخل: بالفتح ثم السكون: منزل من منازل بني ثعلبة من المدينة على مرحلتين، وقيل: موضع بنجد من أرض غطفان المذكورة في غزاة ذات الرقاع، وهو موضع في طريق الشام من ناحية مصر... (معجم البلدان لياقوت).

ورسول الله ﷺ جالس على شفير القبر، قال الزبير^(١): ورُشَّ قبره، وأُغْلِم فيه بعلامة، وهو أول قبر رُشَّ عليه.

فلنذكر بنات رسول الله ﷺ، ومن تزوجهن، وما ولدن ووفاتهن، وهن أربع:

زينب بنت رسول الله ﷺ

هي أَسَنُّ بناته رضي الله عنهن. قال أبو عمر بن عبد البر: وُلِدَت زينب بنت رسول الله ﷺ في سنة ثلاثين من مولد النبي ﷺ، حكاه عن محمد بن إسحاق السراج عن عبيد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي، وتزوج زينب أبو العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، وهو أبْن خالتها - أمه هالة بنت خُوَيْلِد - قبل أن يُنْزَلَ^(٢) على رسول الله ﷺ، وفَرَّقَ بينهما الإسلام.

وقد ذكرنا من خبر أبْن العاص وأُسْرِهِ في غزوة بَدْر وإطلاقه، وسقنا ذلك كله هناك، وخبر إسلامه، وأن رسول الله ﷺ رَدَّ زينب عليه بغير مهر جديد، ولا نكاح جديد. وقيل: بل بمهر جديد ونكاح جديد - والله تعالى أعلم - وولدت له عليًا مات صغيرًا، وأُمَامَةَ وهي التي حملها رسول الله ﷺ في الصلاة، وعاشت أُمَامَةَ حتى تزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، فكانت عنده حتى أُصِيب، فخلف عليها المغيرة بن يزيد بن الحارث بن عبد المطلب، فتوفيت عنده، وماتت زينب في سنة ثمان من الهجرة.

قال أبو عمر: وكان سبب موتها أنها لما خرجت من مكة إلى رسول الله ﷺ، عَمِدَ لها هَبَار بن الأسود ورجل آخر فدفعها أحدهما فيما ذكروا، فسقطت على صخرة فَأَسْقَطَتْ وأَهْرَاقَت الدماء، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت رضي الله عنها.

ورُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر^(٣): ذكر أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، قال:

-
- (١) المراد الزبير بن بكار وقد تقدّمت ترجمته.
- (٢) أي قبل أن ينزل القرآن على النبي ﷺ بتحريم المسلمات على الكفار... (سورة الممتحنة آية ١٠).
- (٣) أبو عمر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الثمري، الأندلسي، القرطبي، المالكي، (أبو عمر) محدث، حافظ، مؤرخ، عارف بالرجال والأنساب، مقرر، فقيه، نحوي. ولد بقرطبة في رجب سنة ٣٦٨ هـ. وروى عن خلف بن القاسم وسعيد بن نصر وعبد الله بن أسد وغيرهم... من تصانيفه: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاكتفاء في قراءة نافع وأبي عمرو. كانت وفاته في سنة ٤٦٣ هجرية... (معجم المؤلفين ١٣: ٣١٥).

سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول: ولدت رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ أبن ثلاث وثلاثين سنة، وكانت رقية عند عُتْبَةَ بن أبي لهب، وأختها أم كُلثوم عند عُتْبَةَ بن أبي لهب؛ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝﴾ - السورة - قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جَمِيل بنت حَرْب بن أمية، حَمَّالَة الحطب: فارقا ابنتي محمد، وقال أبو لهب: رأسي من رأسيكما حرام إن لم تفارقا ابنتي محمد، ففارقاهما، فتزوج عثمان بن عفان رقية بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك ابناً فسماه عبد الله وبه كان يُكنى، فبلغ الغلام ست سنين، فنقر عينه ديكاً وتوزم وجهه فمرض ومات. وماتت رقية رضي الله عنها في شهر رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ في غزوة بدر، ودفنت عند وصول زيد بن حارثة بالبشارة بوقعة بدر، وكانت قد أصابتها الحصبة، وتخلّف عثمان بن عفان رضي الله عنه عن غزوة بدر بسبب مرضها، بأمر رسول الله ﷺ.

وفاطمة بنت رسول الله ﷺ

قال أبو عمر بن عبد البر: كانت فاطمة هي وأختها أم كُلثوم أصغر بنات رسول الله ﷺ، وأختلف في الصُّغرى منهما. وقال ابن السراج: سمعت عبيد الله الهاشمي يقول: ولدت فاطمة رضي الله عنها في سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ، وزوجها رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أُحُد. وقيل: إنه تزوجها بعد أن ابنتى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها، بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكانت سنّها يوم تزوجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف. قال أبو عمر: وأختلف في مهره إياها، فروى أنه مهرها دِزْعُه، وأنه لم يكن له ذلك الوقت صفراء ولا بيضاء، وقيل: تزوجها على أربعمائة وثمانين درهماً فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل ثلثها في الطيب، قال: وزعم أصحابنا أن الدُّزْعَ قدّمها عليّ من أجل الدخول، بأمر رسول الله ﷺ إياه بذلك، فولدت رضي الله عنها له حسناً وحُسَيْنًا ومُحَسِّنًا فذهب مُحَسِّنٌ صغيراً. وروى أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى علي رضي الله عنه قال: لما وُلِدَ الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أروني أبنِي ما سمّيتموه؟» قلت: سمّيته حَرْبًا، قال: «بل هو حسن» فلما وُلِدَ الحسين قال: «أروني أبنِي ما سمّيتموه؟» قلت: سمّيته حَرْبًا، قال: «بل هو حُسَيْن» فلما وُلِدَ الثالث جاء النبي ﷺ فقال: «أروني أبنِي ما سمّيتموه؟» قلت: سمّيته حَرْبًا، قال: «بل مُحَسِّنٌ»، ثم قال: «إني سمّيتهم بأسماء ولد هارون شَبْرٍ

وُسُبَيْرٌ وَمُسَبِّرٌ». وولدت له رُقَيَّةٌ وزينب وأم كلثوم، فهلكت رُقَيَّةٌ، ولم تبلغ، وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وولدت له علي بن عبد الله بن جعفر، وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب فولدت له زيد بن عمر، ثم خلف عليها بعده عون بن جعفر فلم تلد له حتى مات، وخلف عليها بعده محمد بن جعفر فولدت له حارثة ومات عنها. فخلف عليها عبد الله بن جعفر فلم تلد له شيئاً وماتت عنده، وقيل: بل تُوفِّي عنها، وماتت فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها رسول الله ﷺ بثلاثة أشهر، وقيل: بستة أشهر، وقيل: بثمانية.

وَأُمُّ كُلْثُومِ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

قد ذكرنا الاختلاف في أيهما أصغر سناً هي أو فاطمة، وكانت عُنْتَبَةُ بن أبي لهب، فلما قال له أبواه ولأخيه ما قالاً طَلَّقَا بنتي رسول الله ﷺ ولم يبنيا بهما، وجاء عُنْتَبَةُ حين فارق أم كلثوم إلى النبي ﷺ وقال: كفرت بدينك وفارقت أبنتك وسطاً عليه، فقال رسول الله ﷺ: «أما إني أسأل الله أن يسلط عليك كلباً من كلابه» وكان خارجاً إلى الشام تاجراً مع نَفَرٍ من قريش، حتى نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزَّرْقَاءُ ليلاً، فأطافَ بهم^(١) الأسد تلك الليلة، فجعل عُنْتَبَةُ يقول: يا ويل أمه، هو والله أكله بدعوة محمد، قاتلي ابن أبي كُبْشَةَ وهو بمكة وأنا بالشام. وقال أبو لهب: يا معشر قريش، أعينونا هذه الليلة، فإني أخاف دعوة محمد، فجمعوا أحمالهم وفرشوا لعُنْتَبَةَ في أعلاها وناموا حَوْلَهُ، فقليل: إن الأسد أنصرف عنهم حتى ناموا وعُنْتَبَةُ في وسطهم، ثم أقبل يتخطاهم ويتشممهم حتى أخذ برأس عُنْتَبَةَ فَقَدَّغَهُ^(٢). قال أبو عمر: ولما ماتت رقية تزوج عثمان بن عفان بأم كلثوم في شهر ربيع الأول من السنة الثالثة من الهجرة، وبنى عليها في جمادى الآخرة من السنة، وتوفيت أم كلثوم رضي الله عنها في السنة التاسعة من الهجرة، ولم تلد لعثمان شيئاً، وكانت وفاتها في شعبان، وقال رسول الله ﷺ لعثمان: «لو كانت عندنا ثلاثة زوّجناكها يا عثمان» وصلى عليها رسول الله ﷺ ونزل في حفرتها علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس وأسامة بن زيد. وقد رُوي أن أبا طلحة الأنصاري استأذن رسول الله ﷺ أن ينزل معهم في قبرها فأذن له. وعَسَلَتْهَا أسماء بنت عُمَيْسٍ وَصَفِيَّةُ بنت عبد المطلب، وهي التي شهدت أم عَطِيَّةَ غُسْلَهَا، وحكت قول رسول الله ﷺ: «أغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك» الحديث. قال: وجلس رسول الله ﷺ على قبر أم كلثوم.

(١) أطاف بهم: أحاط بهم.

(٢) فدغه: شدخه وكسره.

ذكر أعمام رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ من العمومة أحد عشر، أولاد عبد المطلب بن هاشم، وهم:

الحارث

وبه كان يُكنى؛ لأنه أكبر ولده، ومن ولد الحارث وولد ولده جماعة لهم صحبة من النبي ﷺ، منهم أبو سفيان بن الحارث، أسلم عام الفتح كما ذكرنا في غزوة الفتح وشهد حُنينًا، ونُوفل بن الحارث هاجر وأسلم أيام الخندق، وعبد شمس وسماه رسول الله ﷺ عبد الله.

قُثم بن عبد المطلب

وهو أخو الحارث لأبويه؛ مات صغيرًا.

الزبير بن عبد المطلب

وكان من أشرف قريش. وأبناه عبد الله بن الزبير شهد حُنينًا وثبت يومئذ واستشهد بأجنادين^(١)، وضُباعة بنت الزبير، لها صحبة، وأم الحكم بنت الزبير، روت عن النبي ﷺ.

حمزة بن عبد المطلب

كان يقال له: أسد الله وأسد رسوله، ويكنى أبا عمار وأبا يعلَى. وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاع. وقد قَدَمنا في أنباء هذه السيرة خبر إسلامه ومقتله في غزوة أُحُد. ولم يكن له إلا ابنة واحدة. وقيل: أبتان. وقد ذكرناهما فيمن عُرض على رسول الله ﷺ من النساء فأباهن.

(١) أجنادين: بالفتح ثم السكون، ونون وألف، وتفتح الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال وتفتح النون بلفظ الجمع: موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين... وقيل: إن أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين، كانت به وقعة، بين المسلمين والروم مشهورة... (معجم البلدان).

العباس بن عبد المطلب

كان يكنى أبا الفضل بأبنه الفضل بن العباس، وكان العباس أَسَنَ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وأمه ثثة، ويقال: ثثيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مائة بن عامر وهو الضحيان بن سعد بن الخزرج بن تميم الله بن النمر بن قاسط. وهي أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج^(١) وأصناف الكسوة. وذلك أن العباس ضلّ وهو صبي، فنذرث إن وجدته أن تكسو البيت الحرام، فوجدته ففعلت.

وقد تقدّم من خبر العباس في غزوة بدر عند أسره، وقوله لرسول الله ﷺ: إني كنتُ مُسلمًا، وإن القوم استكروني على الخروج.

وقال أبو عمر بن عبد البر: أسلم العباس قبل خيبر وكان يكتُم إسلامه. قال: ويقال إنه أسلم قبل بدر، وكان يكتب إلى رسول الله ﷺ بأخبار المشركين، وكان يُحبّ أن يقدم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ: «إن مقامك بمكة خير» فلذلك قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من لقي منكم العباس فلا يقتله فإنه أخرج كرها». وكان العباس أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، وولي السقاية بعد أبي طالب وقام بها، وكان رسول الله ﷺ يُكرم العباس بعد إسلامه ويُعظمه ويُجلّه، ويقول: «هذا عمي وصنو أبي». وكان العباس جوادًا مُطعمًا، وضولًا للرّجَم، ذا رأي حسن، ودعوة مرجوة.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس في سنة سبع عشرة وذلك عام الرمادة^(٢)، وكانت الأرض أجذبت إجدابًا شديدًا. فقال كعب لعمر: يا أمير المؤمنين، إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء. فقال عمر رضي الله عنه: هذا عم النبي ﷺ وصنو أبيه، وسيد بني هاشم. فمشى إليه عمر فشكا إليه ما فيه الناس. ثم قال: اللهم إنا قد توجّهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه، فاسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين. ثم قال: يا أبا الفضل قم فأذع. فقام العباس فقال بعد حمد الله والثناء عليه: اللهم إن عندك سحابًا وعندك ماء، فأنثر السحاب، ثم أنزل الماء منه علينا، فأشدّد به الأصل، وأطل به الفرع، اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب، ولم تكشفه إلا بتوبة، وقد توجّه القوم بي إليك فاسقنا الغيث، اللهم شفّعنا

(١) الديباج: ضرب من الثياب سده ولحمته حرير (فارسي معرب).

(٢) عام الرمادة: سمي عام الرمادة لتتابع الجذب حتى صير الأرض والشجر مثل لون الرماد.

في أنفسنا وأهلينا، اللهم إنا شُفَعاءُ عمن لا يَنْطِقُ من بهائمنا وأنعامنا، اللهم أسقنا سقياً وادِّعاً، نافِعاً طَبَقاً^(١) سَحاً^(٢) عامّاً. اللهم لا نرجو إلا إياك، ولا ندعو غيرك، ولا نرغب إلا إليك. اللهم إليك نشكو جُوع كل جائع، وعُزِّي كل عارٍ، وخوف كل خائف، وضَعْف كل ضعيف. في دعاء كثير.

قال ابن عبد البر: وهذه الألفاظ كلها لم تجيء في حديث واحد، ولكن جاءت في أحاديث جمعتها وأختصرتها ولم أخالف شيئاً منها، وفي بعضها: فسقوا والحمد لله. وفي بعضها قال: فَأَزَحَّتِ السَّمَاءُ عَزَالِيهَا^(٣) فجاءت بأمثال الجبال، حتى استَوَتِ الْجُفَرُ^(٤) بالآكام، وأخْصَبَتِ الأرض، وعاش الناس. فقال عمر: هذا والله الوَسِيلَةُ إلى الله والمكان منه. وقال حَسَّان بن ثابت في ذلك: [من الكامل]

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَتَابَعَ جَذْبُنَا	فَسَقَى الْعَمَامُ بَغْرَةَ الْعَبَّاسِ
عَمَّ النَّبِيَّ وَصْنُو وَالِدِهِ الَّذِي	وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَاكَ دُونَ النَّاسِ
أَخِيَا إِلَهُهُ بِهِ الْبِلَادُ فَأُضْبَحَتْ	مُخَضَّرَةً الْأَجْنَابِ بَعْدَ الْيَاسِ

وقال الفضل بن عباس بن عُثْبَةَ بن أَبِي لَهَبٍ: [من الطويل]

بِعَمِّي سَقَى اللَّهُ الْحِجَازَ وَأَهْلَهُ	عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَذْبِ رَاغِبًا	فَمَا كَرَّ حَتَّى جَاءَ بِالْدِّيمَةِ الْمَطَرُ ^(٥)

وتوفي العباس رضي الله عنه بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رَجَب. وقيل: من شهر رَمَضان سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عُثْمَان بن عَفَّان وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وثمانين سنة. وقيل: تسع وثمانين سنة. وقال خَلِيفَةُ بن خَيْاط: كانت وفاة العباس سنة ثلاث وثلاثين، ودخل قبره ابنه عبد الله. وكان للعباس من الولد: الْفَضْل وهو أكبر أولاده وبه كُنْي، وعبد الله، وعُبَيْد الله، وقُثْم. ولهم صحبة. وعبد الرحمن ومَعْبَدٌ وُلِدَا على عهد رسول الله ﷺ استشهدا بإفريقية في خلافة عُثْمَان بن عَفَّان، وأم حبيب، كلهم من أم الْفَضْل لُبَابَةُ بنت الحارث بن حَزْن الهلالية، وهي أخت مَيْمُونَةَ زوج النبي ﷺ، يقال: إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة، وكانت من الْمُتَجِبَات، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي: [من الرجز]

(١) طبقاً: أي مالئاً للأرض مغطياً لها. (٢) سحا: أي شديد الانصباب.

(٣) العزالي: واحدتها عزلاء، وهي فم المزادة الأسفل.

(٤) الجفر: واحدتها جفرة، وهي الحفرة الواسعة المستديرة.

(٥) الديمة: المطر يطول زمانه في سكون. جمع ديم.

مَا وَلَدَتْ نَجِيبَةً مِنْ فَحْلٍ بِجَبَلٍ نَعْلَمُهُ وَسَهْلٍ
كَسَيْتَةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ أَكْرَمَ بِهَا مِنْ كَهْلَةٍ وَكَهْلٍ
عَمُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ذِي الْفَضْلِ وَخَاتَمِ الرُّسُلِ وَخَيْرِ الرُّسُلِ

وكان له من غير أم الفضل أربعة ذكور، وهم: عَوْن، والحارث أمه من هذيل.
وكثير وتَمَام أمهما أمٌ وَلَدَ، وكان أصغر أولاد العباس فكان العباس يحمله ويقول:
[من الرجز]

تَمَّوْا بِتَمَامٍ فَصَارُوا عَشْرَةَ يَا رَبِّ فَاجْعَلْهُمْ كِرَامًا بَرَرَةً
* وَاجْعَلْ لَهُمْ ذِكْرًا وَأَنْتَ الثَّمَرَةُ *

ويقال: ما رُئيت قبورٌ أشدَّ تباعدًا بعضها من بعض من قبور بني العباس،
ولدتهم أمهم أم الفضل في دار واحدة، استشهد الفضل بأخنّادين، ومات مَعْبَد
وعبد الرحمن بإفريقية، وتوفي عبد الله بالطائف، وعبيد الله باليمن، وَقُتْمٌ بِسَمَرْقَنْدَ
وكثير بِنْتُج^(١). وتوفي العباس بعد أن كفَّ بصره. ولم يُسلم من أعمام رسول الله ﷺ
إلا حَمْزَةُ والعباس رضي الله عنهما.

والسادس من عمومته ﷺ:

أبو طالب

وأسمه عبد مناف وهو أخو عبد الله أبي النبي ﷺ لأبويه. وعاتِكَةُ صاحبة الرؤيا
في شأن بَذْر، أمهم فاطمة بنت عَمْرُو بن عائذ بن عِمْران بن مَخْزُوم. وقد تقدّم من
أخباره ونصرته لرسول الله ﷺ ما نستغني عن إعادته في هذا الموضع. وكان له من
الولد طالب مات كافراً، وعَقِيلٌ وَجَعْفَرٌ وعليّ وأم هانئ لهم صحبة، وَجُمَانَةُ.
وحكى أبو عمر بن عبد البر: كان عليّ بن أبي طالب أصغر من أخيه جعفر بعشر
سنين، وكان جعفر أصغر من عَقِيل بعشر سنين، وكان عَقِيل أصغر من طالب بعشر
سنين.

(١) ينبع: هي عن يمين رضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من
المدينة على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن عليّ وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها
عيون عذاب غزيرة، وواديها ليليل، وبها منبر، وهي قرية غناء وواديها يصب في غيقه...
(معجم البلدان).

والسابع من عمومة رسول الله ﷺ:

أبو لهب

وأسمه عبد العزى كناه أبوه بذلك لحسن وجهه، ومن أولاده عُتْبَة، ومُعْتَبٌ ثبنا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، وعُتَيْبَة قتله الأسد بالزُّرقاء كما تقدّم.
الثامن:

عبد الكعبة

وقيل: هو المقوم، ومنهم من جعل المقوم غير عبد الكعبة فجعل عمومته اثني عشر.
والتاسع:

حَجَل

وأسمه المُغيرة.
والعاشر:

ضَرَار

وهو أخو العباس لأبويه.
والحادي عشر:

الغَيْدَاق

سمي بذلك لأنه كان أكرم قريش، وأكثرهم إطعامًا. ومنهم من جعل الغَيْدَاق حَجَلًا وعدّهم عشرة. حكاه ابن عبد البر. وقد عدّ الزبير بن بَكَّار أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر، وعدّ المقوم غير عبد الكعبة، وجعله شقيق حمزة وحَجَل وَصَفِيَّة. والله أعلم بالصواب.

ذكر عمات رسول الله ﷺ

كان له من العمات ﷺ سِتٌّ: الأولى:

صَفِيَّة بنت عبد المطلب

وأُمّها هَالَة بنت وَهَيْب بن عبد مَنَاف ابن زُهْرَة، وهي شقيقة حمزة والمقوم وحَجَل، كانت صفية في الجاهلية تحت الحارث بن حَزْب بن أمية بن عبد شمس، ثم

هلك عنها وتزوجها العوام بن خُوَيْلِد بن أسد فولدت له الزُّبَيْر والسَّائِب وعبد الكعبة. وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة عشرين من الهجرة ولها ثلاث وسبعون سنة. ودفنت بالبقيع بفناء دار المغيرة بن شُعْبَةَ، ولها هجرة.

وعاتكة بنت عبد المطلب

أختلف في إسلامها، وهي صاحبة الرؤيا، وكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، فولدت له عبد الله أسلم وله صحبة، وزُهَيْرَا، وقُرَيْبَةُ الكبرى.

وأزوى بنت عبد المطلب

وقد اختلف أيضًا في إسلامها، وكانت عند عُمَيْر بن وهب بن عبد الدار بن قصي، فولدت له طَلَيْب بن عُمَيْر، وكان من المهاجرين الأولين، شهد بدرًا وقتل بأجنادين شهيدًا.

وأُمَيْمَةُ بنت عبد المطلب

كانت عند جَحْش بن رِيَّاب، ولدت له عبد الله بن جَحْش قتل بأحد شهيدًا، وأبا أحمد الأعمى الشاعر وأسمه عبد، وزينب زوج النبي ﷺ، وأم حبيبة وحمّنة، كلهم له صحبة، وعُيَيْد الله بن جَحْش، أسلم ثم تنصّر ومات بالحبشة كافرًا.

وبرة بنت عبد المطلب

وكانت عند عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، فولدت له أبا سَلَمَةَ وأسمه عبد الله، وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ.

وأم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب

وكانت عند كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، فولدت له أزوى بنت كُرَيْز، وهي أم عثمان بن عفان.

هؤلاء أعمامه ﷺ وعمّاته؛ أسلم منهم حمزة والعباس وصفية بلا اختلاف، وأختلف في عاتكة وأزوى، وبقيتهم ماتوا على شركهم. قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبد الله أبو رسول الله ﷺ وأبو طالب والزُّبَيْر وعبد الكعبة وأم حكيم وأُمَيْمَةُ وأزوى وعاتكة، أمهم كلهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وكان حمزة والمقوم وحجل وصفية أمهم هالة بنت وهيب، وكان العباس وضرار وقثم أمهم

تُثَيِّلَة، وأم الحارث سَمْرَاء بنت جُنَيْد بن جُنْدُب بن حُرْثَان بن سُوءَاء بن عامر بن صَعَصَعَة، وقيل: صفية بنت جُنْدُب بن حَجِير بن رِيَاب بن حَبِيب بن سُوءَاء، وأم أبي لهب لُبَيّ بنت هاجر بن خُزَاعَة. والله تعالى أعلم.

فلنذكر خدمه ﷺ:

ذكر خدم رسول الله ﷺ الأحرار

وهم أحد عشر رجلاً:

أنس بن مالك بن النَّضَر

ابن ضَمْصَم بن زيد الأنصاري النجاري، كان يكنى أبا حمزة، وأمّه أم سليم بنت مِلْحَان الأنصارية. خدم رسول الله ﷺ وهو ابن عشر سنين، عند مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة للهجرة، وأختلف في وقت وفاته فقيل: مات في سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين. قال خليفة بن خياط: مات أنس وله مائة وثلاث سنين، وقيل: كانت سنه إذ مات مائة وعشر سنين، وقيل: غير ذلك. وأقل ما قيل فيه مائة سنة إلا سنة، حكى هذه الأقوال أبو عمر بن عبد البر؛ قال: ويقال إنه آخر من مات بالبصرة من أصحاب رسول الله ﷺ، ويقال: إنه قدم من ضلّبه وولد ولده نحوًا من مائة قبل موته، وذلك أن رسول الله ﷺ دعا له فقال: «اللهم أرزقه مالاً وولدًا وبارك له» قال أنس: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً. ويقال: إنه ولد لأنس ثمانون ولدًا منهم ثمانية وسبعون ذكرًا وأنثيان.

هند وأسماء أبنا حارثة

أبن هند الأسلمي؛ شهدا بيعة الرضوان في إخوة لهما ستة، وهم: هند وأسماء وخراش وذؤيب وقضالة وسلمة ومالك وحمران، ولم يشهدا أخوة في عددهم غيرهم، ولزم منهم النبي ﷺ هند وأسماء، وكانا من أهل الضُّفّة، ومات هند بالمدينة في خلافة معاوية، وتوفي أسماء في سنة ست وستين. بالبصرة وهو ابن ثمانين سنة.

ربيع بن كعب الأسلمي

وهو ربيعة بن كعب بن مالك بن يَغَمَر الأسلمي أبو فِرَاس، وكان من أهل الضُّفّة، وكان يلزم رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديمًا، ومات في سنة ثلاث وستين بعد الحرة.

عبد الله بن مسعود

أَبْنُ غَافِلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ شَمْخِ بْنِ فَارِ بْنِ مَخْزُومِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَمِيمِ الْهُذَلِيِّ، وَكُنِيَّتُهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَأُمُّهُ: أُمُّ عَبْدِ بَنْتِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ سَوَاءِ بْنِ قُوَيْمِ بْنِ صَاهِلَةَ بْنِ كَاهِلِ بْنِ هُذَيْلٍ. أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ سَبَبَ إِسْلَامِهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَرْعَى غَنَمًا لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ شَاةَ حَائِلًا مِنْ تِلْكَ الْغَنَمِ فَدَرَّتْ عَلَيْهِ لَبَنًا غَزِيرًا فَأَسْلَمَ، ثُمَّ ضَمَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَكَانَ يَلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إِذَا قَامَ، وَإِذَا جَلَسَ جَعَلَهُمَا فِي دُرَاعَتِهِ^(١) حَتَّى يَقُومَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ يَمْشِي أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَشَى، وَيَسْتَرُهُ إِذَا اغْتَسَلَ، وَيُوقِظُهُ إِذَا نَامَ، وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذْنُكَ عَلَيَّ أَنْ يُرْفَعَ الْحِجَابُ وَأَنْ تَسْمَعَ سِوَادِي»^(٢) حَتَّى أَنْهَكَ. وَكَانَ يَعْرِفُ فِي الصَّحَابَةِ بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّوَاكِ، وَهُوَ أَحَدُ مَنْ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، وَمَاتَ أَبْنُ مَسْعُودٍ بِالْمَدِينَةِ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ، وَقِيلَ: عَمَّارٌ، وَقِيلَ: الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَدَفَنَهُ بِالْبَقِيعِ لَيْلًا بِإِيصَائِهِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَعْلَمْ عُثْمَانُ فَعَاتَبَ الزَّبِيرَ، وَكَانَ يَوْمَ تُوْفِي أَبْنُ بَضْعَ وَسْتَيْنِ سَنَةٍ.

عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْسٍ

الْجُهَنِيُّ مِنْ جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَوْدِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا حَمَّادٍ، وَقِيلَ: أَبَا أَسَدٍ، وَقِيلَ: أَبَا عَمْرٍو، وَقِيلَ: أَبَا سَعَادٍ، وَقِيلَ: أَبَا الْأَسْوَدِ، وَقِيلَ: أَبَا عَمَّارٍ، وَأَبَا عَامِرٍ. وَكَانَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ صَاحِبَ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقُودُهَا بِهِ فِي الْأَسْفَارِ. قَالَ أَبُو عَمْرِو: سَكَنَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِصْرَ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهَا، وَأَبْتَنَى بِهَا دَارًا، وَتُوْفِي فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ.

بِلَالُ بْنُ رَبَاحِ الْمُؤَدَّن

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَكَانَ يَكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَيُقَالُ: أَبَا عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَقِيلَ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقِيلَ: أَبَا عَمْرٍو، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُهُ فِي أَوَّلِ السِّيَرَةِ. وَأُمُّهُ حَمَامَةُ، وَكَانَ خَازِنًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُبَيْدَةَ بْنِ

(١) الدِّرَاعَةُ: ثَوْبٌ مِنْ صُوفٍ، أَوْ جَبَّةٌ مَشْقُوقَةُ الْمَقْدَمِ.

(٢) يُقَالُ: سَاوَدْتُ الرَّجُلَ: إِذَا سَارَرْتَهُ.

الحارث بن عبد المطلب، وكان بلال رضي الله عنه صادق الإسلام طاهر القلب، وكان من مَوْلَيْ السَّراة^(١). مات بدمشق سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن بمقبرتها عند الباب الصغير، وقيل: مات سنة إحدى وعشرين وهو ابن سبعين سنة.

سَعْد مَوْلَى أَبِي بَكْر الصَّدِيق

رضي الله عنهما، خدم رسول الله ﷺ، وروى عنه الحسن البصري، ويعتد في أهل البصرة.

ذو مِخْمَر ابن أَخِي التَّجَاشِي

ويقال: ابن أخته، ويقال فيه: ذو مِخْمَر، خدم رسول الله ﷺ، قال ابن عبد البر: وقد عدّه بعضهم في موالِي رسول الله ﷺ، له أحاديث خرّجها أهل الشام وهو معدود فيهم.

بُكَير بن شَدَاخ اللَّيْثِي

وقيل فيه: بَكْر، عدّه الشيخ أبو محمد الدميّطي في خدم رسول الله ﷺ.

أبو ذَرّ الغِفَارِيّ

ويقال: أبو الذَرّ، والأوّل أشهر. واختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، فقليل: جُنْدُب بن جُنَادَة، وهو أصح ما قيل فيه إن شاء الله. وذكر أبو عمر بن عبد البر الاختلاف في اسمه، وترجم عليه بعد ذلك: جُنْدُب بن جُنَادَة بن سفيان بن عبيد بن الواقفة بن حَرَام بن غِفَار بن مُلَيْل بن ضَمْرَة بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إِيَّاس بن مُضَر بن نِزَار الغِفَارِيّ، وأمه رَمْلَة بنت الوَقِيعَة، من بني غِفَار، تقدّم خبر إسلامه في وفد غِفَار في أوّل هذا السّفر، وأقام أبو ذَرّ عند قومه بعد إسلامه حتى مضت بَذَرّ وأخذ الخَنْدُق، ثم قدم على رسول الله ﷺ فصحبه إلى أن مات. وقد ذكرنا قصة أبي ذَرّ في غزوة تبوك، وقول رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذَرّ يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» وكان من خبره أنه خرج بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى الشام، فلم يزل به حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، فاستقدمه عثمان لشكوى

(١) السراة: موضع بين مكة واليمن كما سيأتي للمؤلف.

معاوية، وأسكنه الرَبْدَةَ^(١)، فمات بها وصلى عليه عبد الله بن مسعود، وكان قد أقبل من الكوفة فدعي إلى الصلاة عليه، فقال: من هذا؟ فقل: أبو ذر، فبكى طويلاً وقال: أخي وخليلي عاش وحده، ومات وحده، ويبعث وحده، طوبى له. وذلك في سنة ست وثلاثين من الهجرة. روى عن أبي ذر جماعة من الصحابة، وكان من أوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق؛ سئل علي رضي الله عنه عن أبي ذر فقال: ذاك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثم أوكأ^(٢) عليه ولم يخرج شيئاً منه. وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما أظلت الخضرَاء^(٣) ولا أقلت^(٤) الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» و«من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر إلى تواضع أبي ذر». وفضائله كثيرة رضي الله عنه.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في خدَم رسول الله ﷺ «أسلع بن شريك» الأعوجي التميمي خادم رسول الله ﷺ، وصاحب راحلته، وأبو سلام الهاشمي، خادم رسول الله ﷺ ومولاه.

ذكر موالى رسول الله ﷺ

قال الشيخ أبو محمد الدميّاطي رحمه الله تعالى: ومواليه من الرجال أحد وثلاثون، وهم:

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي

وكان لخديجة فاستوهبه رسول الله ﷺ منها وأعتقه، وقد تقدّمت أخباره ومقتله في مُؤْتة.

أسامة بن زيد بن حارثة

وأمه أم أيمن، بركة مولاة رسول الله ﷺ، ومات أسامة في خلافة معاوية، في سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة تسع، وقيل: سنة أربع وخمسين، وصححه أبو عمر. وكان عمره يوم مات رسول الله ﷺ تسع عشرة سنة، وقيل: عشرين، وقيل:

(١) الرَبْدَة: من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة... (معجم البلدان).

(٢) أوكأ: شدّ عليه بوكأ، وهو الحبل الذي يشد به فم القربة.

(٣) الخضرَاء: أي السماء. (٤) أقلت: حملت.

ثمانى عشرة، وسكن بعد رسول الله ﷺ وادي القُرى^(١)، ثم رجع إلى المدينة فمات بالجُزف.

ثُوبَان بن بُجْدُد

وكنيته أبو عبد الله على الأصح، وهو من أهل السَّرَاة، والسراة موضع بين مكة واليمن، وقيل: من حَمِير، وقيل: إنه من حَكَم بن سَعْد العَشِيرَة، أصابه سِبَاء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل معه في السفر والحضر إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام فنزل الرَّمْلَة، ثم انتقل إلى حِمَص فابتنى بها دارًا: وتوفي بها سنة أربع وخمسين، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ وأدى ما وَعَى. روى عنه جماعة من التابعين.

أبو كَبْشَة سُلَيْم

شهد بدرًا والمشاهد كلها، قيل: هو من فارس، وقيل: من مَوْلَدِي أرض دوس، وقيل: من مَوْلَدِي مكة، أبتاعه رسول الله ﷺ وأعتقه، وتوفي في سنة ثلاث عشرة، في اليوم الذي استخلف فيه عمر بن الخطاب، وقيل: توفي في سنة ثلاث وعشرين، في اليوم الذي ولد فيه عُزْوَة بن الزبير. والله تعالى أعلم.

أَنَسَة

ويكنى أبا مِسْرَح، ويقال أبو مَسْرُوح - وكان من مَوْلَدِي السَّرَاة - اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه. ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد بدرًا، وقال ابن إسحاق: كان يأذن على النبي ﷺ إذا جلس فيما حكاه مصعب الزبيري، ومات في خلافة أبي بكر رضي الله عنه.

شُقْرَان

وأسمه صالح، وكان حبشيًا، قيل: ورثه رسول الله ﷺ من أبيه وأعتقه بعد بَدْر، قيل: اشتراه من عبد الرحمن بن عوف وأعتقه، وقيل وهبه له فأعتقه وأوصى به رسول الله ﷺ عند موته.

(١) وادي القُرى: واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القُرى، والنسبة إليه وادي... فتحتها النبي ﷺ سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية... (معجم البلدان).

رَبَاحُ

وكان أسود ثوبياً^(١) اشتراه من وفد عبد القيس وأعتقه، قال أبو عمر: وربما أذن على النبي ﷺ أحياناً؛ إذا انفرد رسول الله ﷺ كان يأخذ عليه الإذن.

يَسَارُ

وكان ثوبياً أصابه رسول الله ﷺ في بعض غزواته، وهو الذي قتله العرنيون كما تقدم.

أبو رافع

وأسمه أسلم، وقيل: إبراهيم، وكان عبداً للعباس، فوهبه للنبي ﷺ، فلما أسلم العباس بشر أبو رافع رسول الله ﷺ بإسلامه، فأعتقه وزوجه سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله، وكان عبيد الله كاتباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته كلها، قيل: وخازناً أيضاً. ومات أبو رافع في آخر خلافة عثمان بالمدينة، وقيل: في خلافة علي، قيل: وكان أبو رافع قبطيًا.

أبو مُوَيْهَبَةَ

وكان من مَوْلَدِي مُزَيْنَةَ، اشتراه رسول الله ﷺ وأعتقه.

رافع

قال الشيخ أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: كان مولى لسعيد بن العاص، فورثه ولده، فأعتقه بعضهم وتمسك بعضهم، فجاء رسول الله ﷺ يستعينه فوهب له، فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ. وقد حكى أبو عمر ذلك في أحد القولين عن أبي رافع المقدم ذكره. والله أعلم.

(١) نسبة إلى النوبة، وهي بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجلبون إلى مصر فيباعون بها... ومدينة النوبة اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل... (معجم البلدان).

فُضَالَة

وهو مذكور في موالي رسول الله ﷺ؛ قال ابن عبد البر: لا أعرفه بغير ذلك، قيل: إنه مات بالشام.

مِذْعَم

أَسْوَد، وهبه لرسول الله ﷺ رِفَاعَة بن زيد الجُذامي، وهو الذي قتل بوادي القرى، وقال فيه رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي غَلَّهَا^(١) تُشْعَلُ عَلَيْهِ نَارًا».

كَزْكَرَة

وكان على بغلة النبي ﷺ وكان نوبيًا أهداه له هُوَذَة بن علي فأعتقه.

زِيد

وهو جد بلال بن يَسَار بن زيد.

عُبَيْد وَطَهْمَان

موليا رسول الله ﷺ، واختلف في طَهْمَان، فقليل: طَهْمَان، وقيل: طَهْوَان، وقيل: ذَكْوَان، وأما عبيد فروى عنه سليمان التيمي.

مَابُور

أهداه إليه الْمُقْوَقْس، وقيل: كان خصيًا.

وَاقِد، وَأَبُو وَاقِد، وَهْشَام

وهو الذي قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن امرأتي لا تمنع يد لامس^(٢)، قال: «طلقها» قال: إنها تعجبني. قال: «فأستمع بها».

(١) الغلّ: أخذ شيء من الغنيمة قبل القسمة.

(٢) المراد بقوله: لا ترد يد لامس: أي أنها تعطي من ماله من يطلب منها.

أبو ضَمِيرَة

قيل: اسمه سَعْدُ الحَمِيرِي، قال البخاري: وقيل في اسمه غير ذلك. وكان مما أفاء الله على رسول الله ﷺ، وهو جد حسين بن عبد الله بن ضَمِيرَة، وقيل: وكان من العرب فأعتقه رسول الله ﷺ، وكتب له كتابًا يوصي به فهو بيد ولده، قال أبو عمر: وقدم حسين بن عبد الله بن ضَمِيرَة على المهدي بكتاب رسول الله ﷺ بالإيصاء بأبي ضَمِيرَة وولده، فوضعه المهدي على عينيه، ووصله بثلاثمائة دينار.

حُثَيْن

قال أبو عمر بن عبد البر: كان عبدًا وخادمًا للنبي ﷺ، فوهبه لعمه العباس فأعتقه العباس قال: وقد قيل إنه مولى علي بن أبي طالب، وعدّه الشيخ أبو محمد في موالى رسول الله ﷺ.

أبو عَسِيب

وأسمه أَحْمَر.

أبو عَبِيدَة سَفِينَة

فكان عبدًا لأم سَلَمَة زوج النبي ﷺ فأعتقته، واشترطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ مدة حياته، فقال: لو لم تشترطي عليّ ذلك ما فارقتك، وكان أسمه رَبَاح، وقيل: عُمَيْر، وقيل: رُومَان. وقيل: مِهْرَان. قال الواقدي: وقال أبو عمر: مِهْرَان مولى رسول الله ﷺ غير سَفِينَة.

سمّى رسول الله ﷺ سَفِينَة بهذا الاسم؛ لأنه كان معه في سفر؛ فكان كل من أعيأ ألقى عليه متاعه سيفًا أو ثَرَسًا، فمَرَّ النبي ﷺ به فقال: «أنت سفينة» وكان أسود من مُولَدِي الأعراب.

أبو هِنْد

وهو الذي قال رسول الله ﷺ في حقه زوجوا أبا هند وتزوجوا إليه، قال أبو محمد: ابتاعه رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ من الحُدَيْبِيَّة وأعتقه.

أَنْجَشَةُ

وكان حادياً للجمال، وهو الذي قال رسول الله ﷺ له «يا أَنْجَشَةُ رِفْقًا بالقَوَارِيرِ»^(١).

أُنَيْسَةُ

وكان حبشياً فصيحاً شهد بدرًا، وأعتقه رسول الله ﷺ بالمدينة.

أَبُو لُبَابَةَ

كان لبعض عَمَات رسول الله ﷺ فأعتقه، وهو معدود في موالى رسول الله ﷺ.

رُوَيْفَع

سباه رسول الله ﷺ من هَوَازِن^(٢) فأعتقه.

سَعْد

وهو الذي روى عنه أبو عثمان النهدي. ذكره أبو عمر بن عبد البر. هؤلاء المشهورون من موالى رسول الله ﷺ، قال أبو محمد عبد المؤمن رحمه الله: وقد قيل إنهم أربعون، وزاد يوسف بن الجوزي: أبا كَثِير، وَسَلْمَانُ الفارسي، وسالماً، وسابقاً. ذكره أبو عمر - خادم رسول الله ﷺ، وزيد بن رصولا، وعُبَيْدُ الله بن أَسْلَم، ونُبَيْه: وقيل فيه: النُّبَيْه، وقيل النُّبَيْه، بضم النون وفتحها، ووَزْدَان.

وذكر أبو عمر بن عبد البر في موالى رسول الله ﷺ جماعة آخر، منهم أبو الحَمْرَاء وأسمه هلال بن الحارث، ويقال: هلال بن ظَفَر، وأفلح، وذُكْوَان، وفي اسمه خلاف، وأبو عُبَيْد، له رواية، وأبو لَقِيط، وأبو السَّمْح أَيَادٍ، وقيل: خادم رسول الله ﷺ، وَضَمِيرَةُ بن أبي ضَمِيرَةَ، قال أبو عمر: مر رسول الله ﷺ بأم ضَمِيرَةَ وهي تبكي فقال: «ما يبكيك أجنبية أنت أم عارية؟» فقالت: يا رسول الله، فرق بيني وبين أبنِي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يفرق بين والدته وولدها» ثم أرسل إلى الذي عنده ضَمِيرَةَ فأبتاعه منه.

(١) القارورة: إناء من زجاج. جمع قوارير، شبهت بها النساء لأنه يسرع إليها الكسر.

(٢) بنو هوازن: بطن من خزاعة من بني مزينة، من الأزدي، من القحطانية. منهم: عبد الله بن أبي أوفى، صاحب رسول الله ﷺ.

وَكَيْسَان، أو مِهْرَان: وأسمه هُزْمَز يَكْنَى أبا كَيْسَان، اختلف فيه على عطاء ابن السائب، ف قيل: كيسان، وقيل: طَهْمَان، وقيل: ذُكْوَان، وأبو بَكْرَة نُفَيْع بن مَسْرُوح، وهو ابن سُمَيَّة جارية الحارث بن كَلْدَة الثَّقَفِي، معدود في مَوَالِي رسول الله ﷺ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ أعتقه لما نزل إليه من حِصْن الطَّائِف، وأسلم فكان يقول: أنا مولى رسول الله ﷺ فإن أبى الناس إلا أن يَنْسُبُونِي فَأَنَا نُفَيْع بن مَسْرُوح، وكناه رسول الله ﷺ أبا بَكْرَة؛ لأنه تدلَّى إليه من بَكْرَة^(١) من الحِصْن.

وأبو سَلَمَى: راعي رسول الله ﷺ، قيل: أسمه حارث، فهؤلاء عشرة آخر لتكملة خمسين. والله أعلم.

ومن النساء: أم عياش، وأميمة، وأم رافع سلمى، وبركة أم أيمن، ومارية، وزينحانة، وزبيحة، وميمونة بنت أبي عسيب، وخضرة، ورضوى، وأم ضميرة. وذكر أبو عمر بن عبد البر أميمة لها رواية، وميمونة بنت أبي عنبسة غير ميمونة المذكورة آنفاً، والله أعلم.

ذكر حُرَّاس رسول الله ﷺ

في غزواته، وهم ثمانية: سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام بالعريش^(٢)، وذُكْوَان بن عبد الله بن قَيْس، ومحمد بن مَسْلَمَة الأنصاري حرسه بأُحُد، والزُّبَيْر بن العوام حرسه يوم الخندق، وعَبَاد بن بشر، وسَعْد بن أبي وقاص، وأبو أيوب الأنصاري حرسه بخيبر ليلة بَنَى بِصَفِيَّة، وبلال حرسه بوادي القُرى. ولما أنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك عند ذلك الحرس.

ذكر كُتَّاب رسول الله ﷺ

وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فُهَيْرَة، وعبد الله بن الأزرق، وأُبَيّ بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد بن العاص، وحَنْظَلَة بن الربيع الأسدي، وزيد بن ثابت،

(١) البكرة: خشبة مستديرة في جوفها محور تدور عليه.

(٢) العريش: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم شين معجمة بعد الياء المثناة من تحت، وهو ما يستظل به، والعريش للكرم الذي ترسل عليه قضبانها، والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها: وهي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام... (معجم البلدان لياقوت).

ومعاوية بن أبي سُفيان، وشُرْحبيل بن حَسَنَة، وكان معاوية وزيد يكتبان الوحي. قال الشيخ الإمام الفاضل محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب الأعلام له: والعلاء بن الحضرمي، قال: وكان المداويم على الكتابة زيد ومعاوية، قال: ويقال إن معاوية لم يكتب له من الوحي شيئاً، وإنما كان يكتب إلى الأطراف، وكتب له عبد الله بن سرح ثم ارتد، فلما كان يوم الفتح أسلم وحسن إسلامه، وذكر القضاء: وكان الزبير بن العوام وجَهْم بن سعد يكتبان أموال الصدقة، وكان حُذيفة بن اليمان يكتب خَرْص^(١) النخل، وكان المغيرة بن شعبة والحُصَيْن بن نُمَيْر يكتبان المداينات والمعاملات. وذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية: أن كتابه عليه السلام ينتهون إلى ستة وعشرين، والله أعلم.

قال: وقد قدّمنا ذكر رسله ﷺ.

ذكر رُفقاء رسول الله ﷺ

الثَّجَبَاء وهم اثنا عشر: أبو بكر، وعُمر، وحَمزة، وعليّ، وجعفر، وأبو ذرّ، والمِقْدَاد، وسَلْمَان، وحُذيفة، وابن مَسْعُود، وعَمَار بن ياسر، وِبِلَال بن رَبَاح.

وكان علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ومحمد بن مَسْلَمَة وعاصِم بن أبي الأَقْلَح والمِقْدَاد، رضوان الله عليهم أجمعين يضربون الأعناق بين يديه ﷺ، وحيث ذكرنا من سيرته ﷺ ما ذكرنا، فلنأخذ الآن في ذكر صفاته الذاتية والمعنوية وأحواله ﷺ.

ذكر صفة رسول الله ﷺ الذاتية

قد وردت الأخبار الصحيحة والمشهورة من حديث عليّ بن أبي طالب وأنس بن مالك وأبي هُرَيْرَة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هَالَة وأبي جَحِيْفَة وجابر بن سَمُرَة وأم مَعْبَد وابن عباس، ومُعَرِّض بن مُعَيْقِب وأبي الطُّفَيْل، والعَدَاء بن خالد وخُرَيْم بن فَاتِك وحَكِيم بن حِزَام، وغيرهم رضوان الله عليهم: أنه كان ﷺ رِبْعَة^(٢) من القوم: لا بَائِن^(٣) من طُول، ولا تَقْتَحِمُه^(٤) عين من قِصر، غُضْن بين

(١) يقال: خرص النخل: أي حزر ما عليه من الرطب تمرًا.

(٢) ربيعة: أي معتدل. (٣) المراد بالبائن: المفرط في الطول.

(٤) لا تقتحمه: أي لا تتجاوزه ازدياء له.

عُصْنَيْن، بعيد ما بين المنكبين، أبيض اللون، مُشرب حُمْرة، وفي رواية أزهَر اللون، ليس بالأبيض الأَمْهَق^(١)، ولا بالأَدَم^(٢)، له شعر رَجَل^(٣)، يبلغ شَحْمَة أذنيه إذا طال، وإذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شَيْئُهُ في رأسه ولحيته عشرين شعرة، كأن عنقه جيد دُمِّيَّة^(٤)، في صَفَاء الفِضَّة، وظاهر الوَضَاءة^(٥) مُبْلَج^(٦) الوجه، يتلألأ وجهه تَلَأُلُ القمر ليلة البدر، حسن الخَلْق معتدله، لم تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ^(٧) ولم تُزِرْ به صَغْلَةٌ^(٨)، وَسِيمًا قَسِيمًا^(٩)، في عَيْنَيْهِ دَعَج^(١٠)، وفي بياضهما عُروق رِقَاق حُمْر، وفي أشفاره غَطَف^(١١)، وفي صوته صَهْل^(١٢)، وروي صَحْل^(١٣)، وفي عنقه سَطَع^(١٤)، وفي لحيته كثائَةٌ^(١٥)، إذا صَمَت فعليه الوَقَار، وإن تكلم سَمَا وعلاه البَهَاء، أجمل الناس وأبْهَاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حُلُو المَنْطِق فَضْل^(١٦): لا تُزِر^(١٧) ولا هَذِر كَأَنَّ منطقَه خَرَزَات نَظْم يَنْحَدِرْنَ، واسع الجَبِين، أزَج^(١٨) الحواجب في غير قَرْن، بينهما عِرْق يُدْرِيه الغضب، أَقْنَى^(١٩) العَرْنَيْن^(٢٠)، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أَشَمَّ^(٢١)، سهل^(٢٢) الخَدَيْن، ضليع^(٢٣) الفم، أَشَبَّ^(٢٤)، مُفْلَج^(٢٥) الأسنان، دقيق المَسْرُوبَةِ^(٢٦)، من لَبَّتِهِ^(٢٧) إلى سُرَّتِهِ شعر يجري كالقَضِيب، ليس في بطنه ولا

-
- (١) الأَمْهَق: الكريه البياض كلون الجص. (٢) الأَدَم: الذي اشتدت سمرة.
 (٣) الرَّجُل: بين شدة الجعودة وشدة السبوبة. (٤) الدُمِّيَّة: الصورة المنحوتة من رخام أو عاج.
 (٥) الوَضَاءة: الحسن. (٦) المِبْلَج: المشرق المضيء.
 (٧) الثُّجْلَةُ: عظم البطن. (٨) الصَّغْلَةُ: صغر الرأس.
 (٩) القَسِيم: جميل الوجه كله. (١٠) الدَّعَج: شدة سواد العين في شدة بياضها.
 (١١) الغَطَف: أي أن يطول شعر الأَجْفَان. (١٢) صَهْل: حدة وصلابة.
 (١٣) الصَّحْل: بحة في الصوت وعدم حدته. (١٤) السَطَع: طول العنق.
 (١٥) الكَثَائَةُ: كثافة الشعر في غير دقة ولا طول.
 (١٦) المَنْطِقُ الفَصْل: البين الظاهر الذي يفصل بين الحق والباطل.
 (١٧) التَزَر: القليل. والهِذِر: الهذيان.
 (١٨) الزَجَج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد.
 (١٩) القُنَى في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حذب في وسطه.
 (٢٠) العَرْنَيْن: الأنف.
 (٢١) الشَّم: ارتفاع قصبه الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً.
 (٢٢) سَهْل الخَدَيْن: سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين.
 (٢٣) ضَلِيع الفم: أي عظيمه.
 (٢٤) الشَّب: البياض والبريق في الأسنان.
 (٢٥) الفَلَج: فرجة بين الثنايا والرباعيات.
 (٢٦) المَسْرُوبَةُ: ما دق من شعر الصدر سائلاً إلى الجوف.
 (٢٧) اللَّبَّة: الهزمة التي فوق الصدر وتحت العنق.

صدره شعر غيره، أشعر الذراعين والمنكبين، بَادِنٌ^(١) متماسك^(٢)، سَوَاءُ الصدر والبطن، سَبِيحٌ^(٣) الصدر، ضَخْمُ الكَرَادِيسِ^(٤)، أَثَوْرُ المَتَجَرَّدِ^(٥) عريض الصدر، طويل الزندين، رَخْبُ الراحة، شَتْنُ^(٦) الكَفَيْنِ والقدمين، سَائِلُ الأطراف، سَبْطُ القَصَبِ^(٧)، خُمْصَانُ^(٨) الأَخْمَصَيْنِ^(٩)؛ مَسِيحُ القدمين، يَنْبُو عنهما الماء، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا، وفي رواية: إِذَا مَشَى يَقْلَعُ - كناية عن قُوَّةِ الخَطْوِ كالذي يمشي في طين - ويخطو تَكْفِيًا^(١٠) ويمشي هَوْنًا، ذَرِيعٌ^(١١) المِشْيَةِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ^(١٢)، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا، بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ كَأَنَّهُ زَرَّ حَجَلَةً^(١٣) أو بيضة حمامة، لَوْنُهُ كُلُّونٌ جَسَدُهُ عَلَيْهِ خِيْلَانٌ^(١٤)، كَأَن عِرْقَهُ اللُّؤْلُؤُ، وَلَرِيحُ عِرْقِهِ أَطِيبُ مِنْ رِيحِ المِسْكِ الأَذْفَرِ^(١٥)، يَقُولُ نَاعَتُهُ: لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ، قَالَ الْبَرَاءُ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ^(١٦) فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَإِذَا ضَحَكَ يَتَلَأَلَا فِي الجُذْرِ^(١٧)، وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ ﷺ مِثْلُ السِّيفِ، فَقَالَ: لَا، بَلْ مِثْلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَكَانَ مُسْتَدِيرًا، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَنْشُدُ قَوْلَ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى فِي هَرَمِ بْنِ سِنَانٍ: [مِنْ الْكَامِلِ الْأَحْذِ]

لَوْ كُنْتَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى بَشَرٍ كُنْتَ الْمُضِيِّ لَلَّيْلَةِ الْبَدْرِ

ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله ﷺ، ولم يكن كذلك غيره. وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وأرضاه: [مِنْ الطَوِيلِ]

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ^(١٨)

(١) البادن: الضخم.

(٢) المتماسك: الذي يمسك بعض أعضائه بعضًا.

(٣) سبيح الصدر: عريضه.

(٤) الكراديس: رؤوس العظام.

(٥) المتجرد: ما كشف من جسده.

(٦) شتن الكفين والقدمين: أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر.

(٧) القصب: الساعدان والساقان.

(٨) خمصان: أي مرتفع الأخمصين.

(٩) الأخمصان: أسفل القدمين.

(١٠) تكفيا: تمايلا إلى قدام.

(١١) ذريع المشي: سريعه.

(١٢) ينحط من صبيب: من موضع منحدر.

(١٣) الحجلة: بيت كالحقة يستر بالكلل وتكون له أزرار.

(١٤) خيلان: جمع خال، وهو الشامة في الجسد.

(١٥) الأذفر: طيب الريح.

(١٦) اللمة من شعر الرأس دون الجمرة.

(١٧) الجذر: أصول الأسنان.

(١٨) العصمة: المانع من الضياع والحاجة.

تُطِيفُ بِهِ الْهَلَاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَقَضَائِلٍ ^(١)
وَمِيزَانُ حَقٍّ لَا يَخِيسُ شَعِيرَةً وَوزَانُ عَدْلٍ وَزْنُهُ غَيْرُ عَائِلٍ ^(٢)

ذكر صفة خاتم النبوة

الذي كان بين كتفي النبي ﷺ

رُوي عن جابر بن سَمُرَةَ. وقد وصف النبي ﷺ، فقال: ورأيت خاتمه عند كتفيه مثل بيضة الحمامة يُشَبِّهُ جِسْمَهُ، وعن أَبِي رَمْثَةَ قَالَ: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا رَمْثَةَ أَذُنُ مَنِّي أَمْسَخَ ظَهْرِي» فدنوت منه فمسحت ظهره، ثم وضعت أصابعي على الخاتم فغمزتها ^(٣)، فقليل له: وما الخاتم؟ فقال: شعر مجتمع عند كتفيه. وعنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فالتفت فإذا خَلْفَ كَتْفَيْهِ مِثْلُ النَّفَاخَةِ ^(٤)، قلت: يا رسول الله، إني أداوي فدعني حتى أَبْطُهَا ^(٥) أداويها، قال: «طَبِّبْهَا الَّذِي خَلَقَهَا». وعنه من طريق آخر قلت: يا رسول الله إني طبيب من أهل بيت أطباء، وكان أبي طبيباً في الجاهلية، معروفاً ذلك لنا فأذن لي في التي بين كتفيك، فإن كانت سِلْعَةً ^(٦) بَطَطْتُهَا فشفأ الله نبيه؛ فقال: «لا طبيب لها إلا الله» وهي مثل بيضة الحمامة.

ذكر صفة شعر رسول الله ﷺ وطوله

روي عن أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: سمعت البراء يصف شعر رسول الله ﷺ فقال: كان شعره إلى شحمة أذنيه. وعنه قال: سمعت البراء يقول: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةِ حَمْرَاءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنْ جُمِعَتْهُ ^(٧) لَتَضْرِبُ قَرِيبًا مِنْ مَنْكِبَيْهِ، وفي لفظ، من عاتقيه. وعن قَتَادَةَ قَالَ: قلت لأنس بن مالك كيف كان شعر رسول الله ﷺ؟ قال: كان شعراً رَجُلًا لَيْسَ بِالسَّبُطِ وَلَا بِالْجَعْدِ بَيْنَ أَذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ. وعن أنس: كان لا يجاوز شعره أذنيه، وعنه: كان إلى أنصاف أذنيه. وعن علي رضي الله عنه قال: كان شعر رسول الله ﷺ فوق الْوُفْرَةِ ^(٨) ودون الْجُمَةِ. وعن أم هانئ قالت: رأيت في

(١) الهلاك: واحدها: الهالك، وهو الذي يتتاب الناس ابتغاء معروفهم.

(٢) العائل: الجائر. (٣) الغمز: العصر والكبس باليد.

(٤) النفخة: هنة تكون في بطن السمكة. (٥) البط: شق الدمل والخراج.

(٦) السلعة: غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحركت.

(٧) الجمعة: مجتمع شعر الناصية.

(٨) الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.

رأس رسول الله ﷺ ضَفَائِرُ أَرْبَعًا. وعنهما قالت: رأيت رسول الله ﷺ قدم مكة وله أربع غَدَائِرَ. وعن جابر بن سَمُرَةَ قال: كان رسول الله ﷺ كثير شعر اللحية. وعن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله ﷺ يسجد على قِصَاصٍ^(١) شعره.

ذكر عدد شَيْبِ رسول الله ﷺ

ومن قال إنه خَضَب

روي عن حُمَيْد الطويل قال: سئل أنس بن مالك هل خَضَب رسول الله ﷺ؟ قال: ما شأنه^(٢) الله بالشَّيْب، وما كان فيه من الشَّيْب ما يُخَضَّب، إنما كانت شَعَرَات في مقدّم لحيته، ولم يبلغ الشَّيْب الذي كان به عشرين شعرة. وفي رواية عن أنس أيضًا: ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة. وعن جابر بن سَمُرَةَ، وقد سئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: كان إذا دَهَنَ رأسه لم يتبَّين، وإذا لم يدهنه تَبَّين. وعن محمد بن واسع؛ قيل: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشَّيْب، فقال: «شيبتنني ﴿الرَّ كَنْتُ أَهْكَمْتُ أَيُّنُّ ثُمَّ فُصِّلْتُ﴾ [هود: ١] وأخواتها». وعن أبي سلمة؛ قيل: يا رسول الله، نرى في رأسك شيبًا، قال: «ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هُودًا و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] وفي رواية «وما فعل بالأُمم قبلي». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: أراك قد شبت يا رسول الله، قال: «شيبتنني هُودٌ والوَاقِعَةُ والمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» ومن رواية «وأخواتها أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ، والمُرْسَلَاتُ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» وفي رواية أخرى عن أنس قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله، وما أخواتها؟ قال: «الوَاقِعَةُ والقَارَعَةُ وسأل سائل وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» هذا ما رأيناه مما ورد في شبيهه وسببه.

وأما من قال إنه خَضَب ﷺ

فقد روي عن عبد الله بن مَوْهَبَةَ قال: دخلنا على أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، فأخرجت إلينا صُرَّةً فيها شعر من شعر رسول الله ﷺ مَخْضُوبًا بِالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ^(٣). وعن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: رأيت شعرًا من شعره - يعني النبي ﷺ - فإذا هو أحمر، فسألت عنه فقل لي: أخمر من الطَّيِّب. وعن أبي جعفر قال: شَمِطَ^(٤) عارضًا رسول الله ﷺ فخضبه بحِنَّاءٍ وَكَتَمَ.

(١) قِصَاصُ الشعر: منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالمقص.

(٢) شأنه: عابه، أو شوَّهه.

(٣) الكتم: دهن من أدهان العرب أحمر يجعل فيه الزعفران.

(٤) شَمِطَ: شاب.

وعن أبي رَمَثَةَ أنه وصف رسول الله ﷺ فقال: ذُو وَفَرَةٍ وبِهَا رَذَعٌ^(١) مِنْ حِثَاءٍ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُمَا يُصَفِّرُ لِحِيَّتَهُ بِالْخَلُوقِ^(٢)، وَيَحْدُثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَفِّرُ، وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثُّمَالِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغَيِّرُ لِحِيَّتَهُ بِمَاءِ السُّدْرِ، وَيَأْمُرُ بِتَغْيِيرِ الشَّعْرِ مَخَالَفَةً لِلْأَعَاجِمِ.

هذا ما أمكن إيراد من صفاته الذاتية، وسنذكر إن شاء الله بعد ذكر صفاته المعنوية، حديث هُند بن أبي هَالَةَ؛ لجمعه بين صفاته الذاتية والمعنوية.

ذكر صفات رسول الله ﷺ المعنوية

وما ورد في أكله وشربه، ونومه وضحكته وعبادته ونكاحه، وخُلُقُه وحِلْمُه وأَحْتِمَالُه، وعَفْوُه وصَبْرُه على ما يكره، وجُودُه وكرمه، وسخائه وسماحته، وشجاعته ونجدته، وحيائه وإغضائه، وحسن عشرته وأدبه، وبسط خُلُقِه، وشفقته ورأفته ورحمته، ووفائه وحسن عهده، وصلته للرحم، وتواضعه وعدله وأمانته وعِفَّتِه، وصدق لَهْجَتِه، ووَاقَارُه وصَمْتُه وتؤدته^(٣)، ومروءته، وحسن هَذِيه وزهده وخوفه ربه تعالى، وطاعته له وشدة عبادته ﷺ تسليماً كثيراً.

فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكته وعبادته

فكان رسول الله ﷺ قد أخذ من الأكل والشرب بالأقل، وأَعْتَمَدَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا يُنْسَكُ الرَّمَقُ وَيُسَدُّ الْحَلَّةُ^(٤)، وقد جاءت الأخبار الصحيحة بذلك، ولم تزل العرب والحكماء تتماذج بقلتهما وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليل على التَّهَمُّ والجِرْصُ والشَّرُّ، وقلة ذلك دليل على القناعة وملك النفس وقَمْعُ الشهوة. وقد روينَا بِإِسْنَادٍ مُتَّصِلٍ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٍ يُقْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مُحَالَةَ فَثَلْثَ لَطْعَامَهُ وَثَلْثَ لَشْرَابَهُ وَثَلْثَ لِنَفْسِهِ». ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب. وقد

(١) رَذَعٌ: لَطَخَ لَمْ يَعْمَهُ كُلَّهُ.

(٢) الخلق: طيبٌ معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة، وقد ورد تارة بإباحته، وأخرى بالنهي عنه، والنهي أكثر وأثبت، لأنه من طيب النساء، وهن أكثر استعمالاً له.

(٤) الخلّة: الحاجة والفقر.

(٣) التؤدة: التاني والتمهل والزناة.

روي عنه عليه السلام أنه كان أحب الطعام إليه ما كان على ضَفَف^(١)؛ أي كثرة الأيدي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعًا قط، وإنه كان في أهله ولا يسألهم طعامًا ولا يتشهاه، إن أطعموه أكل، وما أطعموه قَبِل، وما سَقَوْه شرب. قال أهل العلم: ولا يُعترض على هذا بحديث بَرِيرَةَ، وقوله ﷺ: «ألم أرَ البُرْزَمَةَ فيها لحم؟» إذ لعل سبب سؤاله ظنه أعتقادهم أنه لا يحل له، فأراد بيان سننه، إذ رآهم لم يقدموا إليه مع علمه أنهم لا يستأثرون به عليه، فصدق عليهم ظنه، وبين لهم ما جهلوه من أمره، بقوله: «هو لها صدقة ولنا هدية». وكان جلوسه ﷺ للأكل جلوس المستوفز، مُقْعِيًا^(٢)، ويقول: «إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وفي حديث صحيح قوله ﷺ: «أما أنا فلا أكل متكًا» وليس معنى الاتكاء عند المحققين الميل على شِقٍّ، وإنما الاتكاء هو التمكن للأكل، والتقعد في الجلوس له، كالمترَّب وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه، وكان ﷺ بخلاف ذلك. وكان ﷺ إذا رُفِعَ الطعام من بين يديه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين». وفي رواية يقول: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه غير مُودَعٍ^(٣) ولا مستغنى عنه ربنا». وكان لا يأكل على خِوَانٍ، ولا يمتنع من مباح، ولا يتأنق في مأكَل، يأكل ما وجد، إن وجد تمرًا أكله، أو خبزًا أكله أو شِواءً أكله، وإن وجد لبنًا أكتفى به، ولم يأكل خبزًا مرققًا^(٤)، وأكل ﷺ الخبز بالخل وقال: «نعم الإدام الخل» وأكل لحم الدجاج ولحم الحُبَارَى^(٥). وكان يحب الدُّبَاءَ^(٦) ويأكله، ويعجبه الذُّرَاعُ من الشاة، وقال: «إن أطيب اللحم لحم الظهر» وقال: «كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه من شجرة مباركة» وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل ﷺ خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا أذم هذا» وأكل البطيخ بالرُّطْب والقُثَاء بالرُّطْب والتَّمْر بالزُّبْد، وكان يحب الحلواء والعسل، وكان يشرب قاعدًا، وربما شرب قائمًا، ويتنفس ثلاثًا وإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب ﷺ لبنًا،

(١) الضفف: الأكل دون الشبع.

(٢) مقعياً: أي أنه كان يجلس على وركيه مستوفزاً غير متمكن.

(٣) غير مودع: أي غير متروك الطاعة. (٤) الخبز المرقق: الأرغفة الواسعة الرقيقة.

(٥) الحبارى: طائر طويل العنق رمادي اللون على شكل الأوزة، في منقاره طول، الذكر والأنثى والجمع فيه سواء.

(٦) الدباء: القرع.

وقال: «من أطعمه الله طعامًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه، ومن سقاه الله لبنًا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه» وقال: «ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن».

وأما نومه ﷺ

فكان قليلًا، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، وقال ﷺ: «إن عيني تنامان ولا ينام قلبي» وكان نومه على جانبه الأيمن أستظهارًا على قلة النوم لأن النوم على الجانب الأيسر أهنأ؛ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة؛ لميلها إلى الجانب الأيسر، فيستدعي ذلك الأستثقال فيه والطول، وإذا نام النائم على الجانب الأيمن تعلق القلب وقلق، فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق. وكان ﷺ ينام أول الليل ثم يقوم من السحر، ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الأذان وثب، وكان إذا نام نفخ، ولا يغط غطيطًا، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله لا شريك له» وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده، وقال: «رَبِّ قِنِي عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ» وكان يقول: «اللهم بأسمك أموت وأحيا» وإذا أสติقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور».

وأما ضحكك ﷺ

فكان جُلّه التَّبَسُّم، وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة ﷺ، وأما عبارته ﷺ فكان أفصح الناس، يخاطب كل أمة بلسانها، ويحاورها بلغتها، يباريها في منزع بلاغتها، وقد تقدم من كلامه في كتبه إلى ملوك اليمن وغيرها ما يدل على ذلك، وإن كان ذلك لا يحتاج فيه إلى إقامة دليل بعد أن أنزل القرآن بلغته. وكان ﷺ إذا تكلم بين كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثًا لتعقل عنه، ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة، ويتكلم بجوامع الكلم، فضل لا فضول ولا تقصير، وكان يتمثل بشيء من الشعر ويتمثل بقوله^(١):

* ويأتيك بالأخبار من لم تزود *

وبغير ذلك، ﷺ.

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد، وأوله:
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

وأما النكاح وما يتعلق به

فهو مما يكثر التمدح بكثرته وذلك لأنه دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية وسنة مأثورة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل هذه الأمة أكثرها نساءً. مشيرًا إلى رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «تناكحوا فإنني مباء بكم الأمم» وكان رسول الله ﷺ ممن أقدره الله تعالى على ذلك وحببه له، فكان ﷺ يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة، رواه أنس، قال: وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين، خرجه النسائي. وعن طاوس: أعطي رسول الله ﷺ قوة أربعين رجلًا في الجماع، ومثله عن صفوان بن سليم. وقالت سلمى مولاته: طاف النبي ﷺ ليلة على نسائه التسع، ويظهر من كل واحدة قبل أن يأتي الأخرى. وقال: «هذا أطهر وأطيب».

وأما خلقه ﷺ

فقد قال الله عز وجل فيه مخاطبًا له ﷺ: ﴿وَلَا تَكْ لَعَلَّ خُلِقَ عَظِيمٌ ۝﴾ [القلم: ٤] قالت عائشة رضي الله عنها: كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه، وقال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» قال علي وأنس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا. وكان ﷺ - فيما ذكره المحققون - مجبولاً على ذلك في أصل خلقته وأول فطرته، لم يحصل ذلك له بأكتساب ولا رياضة، إلا بوجود إلهي وخصوصية ربانية، ومن طالع سيرته منذ صباه وإلى آخر عمره، حقق ذلك وكذلك سائر الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.

وأما حلمه وأحتماله وعفوه

مع القدرة والصبر على ما يكره، فقد جعلوا بين هذه الألقاب فرقًا، فقالوا: الحلم حالة توقيف وثبات عند الأسباب المُحرِّكات، والأحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ومثله الصبر، ومعانيها متقاربة، وأما العفو فهو ترك المؤاخذه، وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه ﷺ فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ۝﴾ [الأعراف: ١٩٩] روي أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له: حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: «يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك». وقال تعالى مخاطبًا له ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [القمان: ١٧] وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

أُولُوا الْعَزْرِ مِنَ الرُّسُلِ» [الأحقاف: ٣٥]. وقد روي في حلمه وأحتماله وعفوه وصبره أحاديث كثيرة وقصص مشهورة، قد تقدم منها في أخباره، في أثناء هذه السيرة جملة كافية، ونحن نشير الآن في هذا الموضع إليها، وننبه في هذه الترجمة عليها، منها قصة أُحُد حين ناله من أذى كفار قريش ما ناله مما قدمنا ذكره، فشق ذلك على أصحابه، وقالوا: يا رسول الله، لو دعوت عليهم، فقال: «إني لم أبعث لَعَنًا ولكني بعثت داعيًا ورحمةً اللهم أهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون» روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَبَابًا﴾ [نوح: ٢٦] ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا، فلقد وُطِئَ ظهرك وأذمي وجهك وكسرت رباعيتك، فأبيت أن تقول إلا خيرًا، فقلت: «اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». ومنها قصتا غُورث بن الحارث، ودُعْثُور بن الحارث حين أرادا أن يفتكا به، وأظفره الله بهما، وأمكنه منهما فعفا عنهما، كما تقدم ذكر ذلك في غزوتي غطفان وذات الرقاع، ومنها عفوه عن الذين هبطوا عليه في غمرة الحديبية، وأرادوا قتله فأخذوا فأعتقهم ﷺ، ومنها صفحه عن قريش حين أمكنه الله منهم يوم الفتح، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرانهم؛ لما تقدم من أذاهم له، فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: «ما تقولون إني فاعل بكم» قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «أقول كما قال أخي يوسف ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾» [يوسف: ٩٢]. ومما لم نذكره فيما أتينا عليه من سيرته ﷺ، ما ورد في الحديث الصحيح من قول الرجل له: أعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. فلم يزد ﷺ في جوابه إلا أن بيّن له ما جهله، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له، فقال: «ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل» ونهى من أراد قتله من أصحابه. ومنه ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه بُرد غليظ الحاشية، فجبّده أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه. ثم قال: يا محمد، أحمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فسكت النبي ﷺ ثم قال: «المال مال الله وأنا عبده» ثم قال: «ويقاد^(١) منك يا أعرابي ما فعلت بي؟» قال: لا، قال «لم؟» قال: لأنك لا تكافىء بالسّيئة السيئة، فضحك النبي ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر.

ومنه خبر زيد بن سَعْنَةَ حين أتى رسول الله ﷺ قبل إسلامه، وكان من أحبار يهود، فجاءه يتقاضاه دينًا عليه، فجبذ^(١) ثوبه عن منكبه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مُطَلُّ فانتهره عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشَدَّد له في القول، والنبي ﷺ يتَبَسَّم، فقال رسول الله ﷺ: «أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر، تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي» ثم قال: «لقد بقي من أجله ثلاث» وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعًا لِمَا رَوَّعَهُ، فكان سبب إسلامه؛ وذلك أنه كان يقول: ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا اثنتين؟ لَمْ أخبرهما؛ يسبق حِلْمُهُ جهلَهُ^(٢)، ولا يزيده شدة الجهل إلا حِلْمًا؛ فأخبرته بهذا فوجدته كما وُصِف. والحديث عن حلمه وصبره وعفوه كثير؛ روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مُنتَصِرًا من مَظْلَمَةٍ ظَلَمَهَا قَطُّ ما لم تكن حُرْمَةً من محارم الله، وما ضرب بيده شيئًا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادمًا ولا امرأة. وجيء إليه برجل فقيل: هذا أراد أن يقتلك، فقال له رسول الله ﷺ: «لن تُرَاعَ^(٣) لن تُرَاعَ ولو أردت ذلك لم تُسَلِّط عليّ ﷺ».

وأما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته ﷺ

ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه - وسموه أيضًا حُرِّيَّة - وهو ضدُّ النَّدَالَةِ. والسَّماحة: التَّجَافِي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس، وهو ضدُّ النُّكَاسَةِ. والسَّخَاء: سهولة الإنفاق وتجنبُّ أكتساب ما لا يُحْمَد، وهو الجُودُ، وهو ضدُّ التَّقْتِير؛ فكان رسول الله ﷺ من ذلك بالمحل الأرفع، بهذا جاءت الأحاديث الصحيحة، منها ما رويناه في صحيح البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: ما سئل النبي ﷺ شيئًا فقال لا. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير؛ وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليهما السلام أجودَ بالخير من الرِّيح المُرْسَلَةِ. وعن أنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فأعطاه غَنَمًا بين جبَلَيْن، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا فإن محمدًا يُعْطِي عطاءً من لا يخشى فاقة. وقد ذكرنا ما أعطاه ﷺ من غنائم هَوازِن. وأخباره ﷺ في ذلك كثيرة، وعطاياه فاشية، لو استقصيناها لطال بها التأليف، وكان لا يبيت في بيته دينار ولا

(١) جبذ الشيء: جذبه.

(٢) المراد بالجهل: الغضب.

(٣) لن ترَاع: أي لا خوف ولا فزع.

درهم. فإن فَضْل ولم يجد مَنْ يعطيه وَفَجِئَهُ اللَّيْلُ لم يَأْوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قُوت أهله عامًا فقط، من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله، ثم يُؤْثِر^(١) من قُوت أهله حتى يحتاج قبل أنقضاء العام؛ صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا إلى يوم الدين.

وأما شجاعته ونَجْدته ﷺ

فقد قالوا: الشجاعة فضيلة قوة الغضب، وأنقيادها للعقل، والتجدة: ثقة النفس عند أسترسالها إلى الموت حيث يُخمد فعلها دون خَوْف؛ فكان النبي ﷺ منهُما بالمكان الذي لا يُجْهَل، قد شهد المواقف الصَّعبة، وفَرَّ الكُماة^(٢) والأبطال عنه، وهو ثابت لا يَبْرَح، ومُقبِل لا يُدْبِر، وقد قَدَمنا من أخباره وثباته وحملاته في يومي أُحُد وحُنين ما تقف عليه هناك. وقد روينا بإسناد مُتصل عن البراء، وقد سأله رجل: أفررتُم يوم حُنين عن رسول الله ﷺ؟ قال: لكن رسول الله ﷺ لم يَفِرْ، ثم قال: لقد رأيته على بَغْلته البَيضاء وأبو سُفْيَان آخذ بِلِجَامِها، والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي لا كَذِب» وزاد غيره «أنا ابن عبد المطلب» قيل: فما رأيي يومئذٍ أحدٌ كان أشد منه. وقال غيره: نزل النبي ﷺ عن بَغْلته. وذكر مسلم عن العباس قال: فلما ألتقى المسلمون والكفار وَلَّى المسلمون مُدْبِرِينَ فَطَفِقَ رسول الله ﷺ يَرْكُضُ بَغْلته نحو الكفار وأنا آخذ بِلِجَامِها أَكْفُها إِرَادَةً أَلَّا تُسْرِعَ وأبو سُفْيَان آخذ بركابه، ثم نادى يا للمسلمين. الحديث. وقال ابن عمر: ما رأيْتُ أَشْجَعَ ولا أَتَجَدَ ولا أَجودَ ولا أَرْضَى من رسول الله ﷺ. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنا كنا إذا حَمِيَ البأس - ويروى أَشْتَدَّ البأس - وأَحْمَرَتِ الحَدَق، أَتَقَيْنَا برسول الله ﷺ فما يكون أحدٌ أَقْرَبَ إلى العدوِّ منه، ولقد رأيْتُني يوم بَدْر، ونحن نَلُوذُ بالنبي ﷺ، وهو أَقْرَبُنا إلى العدوِّ، وكان من أَشدَّ الناس يومئذٍ بَأْسًا. وقيل: كان الشجاع الذي يقرب منه ﷺ إذا دَنَا العدوُّ لقربه منه. وعن أنس قال: كان النبي ﷺ أَحْسَنَ الناس وأَجودَ الناس وأشجعَ الناس؛ لقد فَزَعَ أهل المدينة لَيْلَةً فَأَنْطَلَقَ ناسٌ قَبْلَ الصَّوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا قد سبقهم إلى الصَّوت وأَسْتَبْرَأَ^(٣) الخبر، على فرس لأبي طَلْحَةَ عُزَي، والسيف في عُنقه، وهو يقول: «لن تُرَاعُوا». وقال عمران بن حُصَيْن: ما لَقِيَ رسول الله ﷺ كَتِيبَةً إِلَّا كان أول من يضرب.

(١) يؤثر: يعطي.

(٢) الكُماة: واحدها الكمي، وهو الفارس الشجاع المقدام الجريء.

(٣) استبرأ الخبر: كشفه والوقوف عليه.

وأما حياؤه وإغضاؤه ﷺ

والحياء: رقة تغتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله. والإغضاء: التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته، وكان النبي ﷺ أشد الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاءً، وقد أخبر الله تعالى بحيائه فقال: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وعن أبي سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه. وكان ﷺ لا يُشَافِهُ أحداً بما يكره حياءً وكرم نفس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا، ولكن يقول: «ما بال أقوام يصنعون - أو يقولون - كذا» ينهى عنه ولا يسمي فاعله. وروى أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثر صُفرة، فلم يقل له شيئاً - وكان لا يُواجه أحداً بما يكره - فلما خرج قال: «لو قلت له يغسل هذا» وروى «ينزعها». وروي عنه ﷺ أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكتفي عما أضطره الكلام إليه مما يكره، ﷺ.

وأما حُسن عِشرته وأدبه وبَسْط خُلُقهِ ﷺ

فكان رسول الله ﷺ أكرم الناس عِشْرَةً، وأكثرهم أدباً، وأبسطهم خُلُقًا مع أصناف الخلق، أنتشرت بذلك الأخبار الصحيحة، منها ما رويناه بسند متصل عن قيس بن سعد قال: زارنا رسول الله ﷺ وذكر قصة في آخرها، فلما أراد الانصراف قرب له سَعْدٌ حِمَارًا ووطأ عليه بقطيفة^(١)، فركب رسول الله ﷺ، ثم قال سعد: يا قيس، أصحب رسول الله ﷺ، قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ «أركب» فأبَيْتُ، فقال: «إما أن تركب وإما أن تنصرف» فأنصرفت، وفي رواية أخرى: «أركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها». وكان ﷺ لا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله، فإن أبي قال: «تقدمني إلى المكان الذي تريد» وركب ﷺ حِمَارًا عُرِيًا إلى قُبَاء، وأبو هريرة معه، فقال: «يا أبا هريرة أحملك؟» فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: «أركب» وكان في أبي هريرة ثِقْلٌ، فوثب ليركب فلم يقدر، فأستمسك برسول الله ﷺ فوقعا جميعاً، ثم ركب ﷺ فقال: «يا أبا هريرة أحملك؟» فقال: ما شئت يا رسول الله، فقال: «أركب» فلم يقدر على ذلك، فتعلق برسول الله ﷺ فوقعا جميعاً، ثم قال: «يا أبا هريرة أحملك؟» فقال: لا، والذي بعثك بالحق لا صرغتك

(١) القطيفة: كساء له أهداب. أو نسيج من الحرير أو القطن صفيق أوبر، تتخذ منه ثياب وفرش.

ثالثًا. وكان لا يدع أحدًا يمشي خلفه ويقول: «خلوا ظهري للملائكة». وكان رسول الله ﷺ يُؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه، يتفقد أصحابه، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جلساه أن أحدًا أكرم عليه منه، من جالس أو قارب له حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقهم فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، هكذا وصفه ابن أبي هالة، قال: وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب^(١) ولا فحاش، ولا عتاب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤنس منه. وكان ﷺ يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت كراعا^(٢)، ويكافئ عليها، قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعت، ولا لشيء تركته لم تركته، ومن رواية أخرى عنه قال: خدمته نحوًا من عشر سنين فوالله ما صحبتته في سفر ولا حضر لأخدمه إلا وكانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، وما قال لي أف قط، ولا قال لشيء فعلته لم فعلت كذا، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا؟ وكان ﷺ في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل: يا رسول الله، علي ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال رسول الله ﷺ: «وعلي جتمع الحطب» قالوا: يا رسول الله، نحن نكفيك، فقال: «علمت أنكم تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه مميزًا بين أصحابه» وقام فجمع الحطب. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «لبيك» وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحدثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمساكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، قال أنس: ما التقم^(٣) أحد أذن رسول الله ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، ولم ير مقدمًا ركبتيه بين يدي جليس له، وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، لم ير قط ماذا رجليه بين أصحابه حتى يضيّق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكفي أصحابه،

(١) السخب: الصياح.

(٢) الكراع: مستدق الساق العاري من اللحم.

(٣) المراد بقوله: التقم: جعل فمه يحاذي أذن رسول الله ﷺ.

ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهي أو قيام، ويروى: بانتهاء أو قيام، ويروى: أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد، إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً، ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب.

وأما شفقتة ورأفته ورحمته ﷺ لجميع الخلق

فقد أخبر الله تعالى بذلك ووصفه بهذه الأوصاف؛ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فكان من شفقتة على أمته ﷺ تخفيفه وتسهيله عليهم، وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم؛ كقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك»^(١) مع كل وضوء وخبر صلاة الليل، ونهيهم عن الوصال^(٢)، وكراهيته دخول الكعبة ثلاثاً يغتسل أمته، ورغبته لربه أن يجعل سببه ولعنه لهم رحمة، وأنه كان يسمع بكاء الصبي فيتجاوز^(٣) في صلاته. ومن شفقتة ﷺ أن دعا ربه وعاهده فقال: «أيما رجل سببته أو لعنته فأجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة»^(٤) وطهوراً وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة. ومن ذلك أنه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه، فقال: مرني بما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين^(٥)، قال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً». وروى ابن المنكدر: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك، فقال: «أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم». ومن ذلك ما روي أنه ﷺ قال: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر». وقال ابن مسعود: كان رسول الله ﷺ يتخولنا^(٦) بالموعظة مخافة السامة علينا، ﷺ تسليماً كثيراً.

(١) السواك: ذلك الأسنان بالسواك لتنظيفها، والسواك: عود يتخذ من شجر الأراك يستاك به.

(٢) الوصال: أي الوصال في الصوم: ألا يفطر يومين أو أياماً.

(٣) يتجاوز: يخفف.

(٤) الصلاة: الدعاء.

(٥) الأخشبان: جبلان مطبقان بمكة، وهما أبو قيس والأحمر.

(٦) يتخولنا: يتعهدنا.

وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته للرحم ﷺ

فكان ﷺ قد بلغ من ذلك الغاية التي لا يُدرك شأوها، ولا يُبلغ مداها، ولا يطمع طامع سواء بالأتصاف بها، جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة والأخبار الصريحة، من ذلك ما روينه بإسناد متصل عن عبد الله بن أبي الحُمسَاء قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية فوعده أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى لقد شققت عليّ أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك». وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أتني بهدية قال: «أذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة». وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: ما غرث على امرأة ما غرث على خديجة؛ لما كنتُ أسمع يذكرونها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلّائها^(١)، وأستأذنت عليه أختها فارتاح إليها، ودخلت عليه امرأة فهش لها، وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإنّ حُسن العهد من الإيمان». وقال رسول الله ﷺ: «إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحمًا سأبُلُّها بِلَالها»^(٢). وعن أبي قتادة قال: وَقَدْ وَقَدَ لِلنَّجَاشِيِّ، فقام النبي ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم لأصحابنا مُكرِّمين وإنّي أحب أن أكافئهم». ولما جيء بالشِّيمَاء أخته من الرضاعة في سبایا هَوَازَن وتعرفت له، بسط لها رداءه، وقال لها: «إن أحببت أقمت عندي مكرمة مُحبة أو متعتك ورجعت إلى قومك» فأختارت قومها فمتعها. وقال أبو الطفيل: رأيت النبي ﷺ وأنا غلامٌ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه، فبسط لها رداءه فجلست عليه، فقلت من هذه؟ قالوا: أمه التي أرضعته. وعن عمرو بن السائب أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شقَّ ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه. وكان يبعث إلى ثوبية مولاة أبي لهب مُرضعته بصلة وكُسوة، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل: لا أحد. وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ في ابتداء النبوة: أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمّل الكل^(٣)، وتُكسِب المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِين على نوائب الحق.

(١) خلّائها: صواحباتها.

(٢) البلال: كل ما بل الحلق من ماء أو لبن أو غيره.

(٣) الكل: العيال.

وأما تواضعه ﷺ مع علو منصبه ورفعة مرتبته

فكان ﷺ أشد الناس تواضعًا، وأقلهم كِبَرًا، وقد جاء أنه خير بين أن يكون نبيًا ملكًا، أو نبيًا عبدًا، فأختار أن يكون نبيًا عبدًا، فقال له إسرائيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه، وأول شافع. ومما رويناه بسند متصل عن أبي أمامة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا له فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضها بعضًا». وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وكان يركب الحمار، ويُزِدُ خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا بهم، حيث ما أنتهى به المجلس جلس. وعن أنس: أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: «أجلسي يا أم فلان في أي طُرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك» قال: فجلست فجلس النبي ﷺ إليها حتى فرغت من حاجتها. قال أنس: حَجَّ رسول الله ﷺ على رَحْلٍ (١) رَثٌ وعليه قُطيفة ما تساوي أربعة دراهم، فقال: «اللهم أجعله حَجًّا لا رِيَاءَ فيه ولا سُمْعَةً». هذا وقد أهدى في حجه ذلك مائة بَدَنَةٍ (٢)، ولما فتحت مكة دخلها وقد طَاطَأَ رأسه على رَحْلِهِ حتى كاد يمس قَادِمَتَهُ تواضعًا لله تعالى.

ومن تواضعه ﷺ أنه لما دخل مكة جاءه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بأبيه لِيُسَلِّمَ فقال: «لِمَ عَنَيْتَ (٣) الشيخ يا أبا بكر ألا تركته حتى أكون أنا آتية في منزله» وقد تقدّم ذكر ذلك في الفتح. وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم، في صفته ﷺ، وبعضهم يزيد على بعض، أنه كان ﷺ في بيته في مَهْنَةٍ (٤) أهله، يَقْلِي ثوبه، ويحلب شأنه، ويرقع ثوبه، وَيَخْصِفُ (٥) نعله، ويخدم نفسه، وَيَقْمُ (٦) البيت، وَيَعْقِلُ البعير، وَيَغْلِفُ ناضِجَهُ (٧)، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها ويحمل بِضَاعَتَهُ من السُّوق. وعن أنس: أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنتلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها. ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال له: «هَوْنٌ عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد». وعن

(١) الرحل: ما يوضع على ظهر البعير للركوب.

(٢) البدنة: الناقة أو البقرة، تنحر بمكة قربانًا، وكانوا يسمونها لذلك.

(٣) عنيته: كلفته ما يشق عليه.

(٤) المهنة: الخدمة.

(٥) يخصف: يرقع النعل.

(٦) يقم: يكنس.

(٧) الناضج: الجمل.

أبي هريرة قال: دخلت السوق مع النبي ﷺ فأشترى سَراويل، وقال للوزان «زَنُّ وأزجَح» وذكر القصّة، قال: فوثب إلى يد النبي ﷺ يقبلها فجذب يده، وقال: «هذا يفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم» ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال: «صاحب الشيء أحق بشئنه أن يحمله». وقد ذكر الأمين العاصمي بعض ذلك في قصيدة له فقال: [من مجزوء الكامل]

يا جاعلاً سنن النبي	شِعَارَه وَدِثَارَهُ ^(١)
مُتَمَسِّكاً بحديثه	مَتَتَبِّعاً أَخْبَارَهُ
سُننَ الشريعة خُذ بها	مَتَوَسِّمًا آثَارَهُ
وكذا الطريقة فأقتبس	فِي سُبُلِهَا أَنْوَارَهُ
قد كان يَقرِي ضيفه	كَرَمًا وَيَحْفَظ جَارَهُ
ويجالس المسكين يؤ	ثِرُ قَرَبِهِ وَجِوَارَهُ
الفَقْرَ كان رِداءه	وَالْجُوعَ كان شِعَارَهُ
يَلْقَى بَغْرة ضاحك	مَسْتَبِشراً زَوَارَهُ
بَسَطَ الرِّدَاءَ كَرَامَةً	لِكَرِيمٍ قَوْمَ زَارَهُ
ما كان مُخْتالاً ولا	مَرِحاً يَجْرُ إِزَارَهُ ^(٢)
قد كان يركب بالرِّدي	يَفِ مِنَ الْخُضُوعِ جِمَارَهُ
في مِهْنَةٍ هو أو صَلا	لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ
فتراه يَخْلِبُ شاة من	زِلْهُ وَيُوقِدُ نَارَهُ
ما زال كَهْفُ مُهاجِرٍ	هُ وَمُكْرِمًا أَنْصَارَهُ
بَرًّا بِمُحْسِنِهِمْ مُقِي	لَا لِلْمُسِيءِ عِثَارَهُ
يَهَبُ الَّذِي تَخْوي يَدَا	هُ لَطَالِبِ إِثَارَهُ
زَكَّى عن الدنيا الدَّنْ	يَّةَ رُؤْيِهِ مِقْدَارَهُ
جعل الإله صلاته	أَبَدًا عَلَيْهِ نُثَارَهُ ^(٣)
فأَخْتَرُ مِنَ الأخلاق ما	كان الرِّسُولُ أَخْتَارَهُ
لِتُعَدَّ سُنًى وَثُور	شِكْ أَنْ تَبْوَ دَارَهُ

(١) الدثار: الثوب فوق الشعار.

(٢) المرح: الأشر والبطر والتبختر والاختيال.

(٣) النثار: ما يلقى متفرقاً.

وأما عدله وأمانته وعِفِّته وصِدْقُ لَهْجَتِهِ ﷺ

فكان ﷺ أعدل الناس، وآمن الناس، وأعف الناس، وأصدق الناس لهجة منذ كان، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، وقد قال ﷺ: «والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض» وقد صدقه عداه في مواطن كثيرة تقدّم ذكرها، وقد قدّمنا قوله ﷺ للرجل: «ويحك إن لم أعدل فمن يعدل خبث وخسرت إن لم أعدل». وقال ابن خالويه: جزأ رسول الله ﷺ نهاره ثلاثة أجزاء: جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمّنه الله يوم القزع الأكبر». وعن الحسن قال: كان رسول الله ﷺ «لا يأخذ أحداً بقرف»^(١) أحد ولا يصدق أحداً على أحد ﷺ، ولم تمس يده امرأة قط لا يملك رِقها أو نكاحها أو تكون ذات محرم.

وأما وقاره وصَمْتُهُ وتَوَدُّتُهُ ومُرُوءَتُهُ

وحسَنُ هَدْيِهِ ﷺ

فقد روينا بإسناد مُتَّصِل عن خارجة بن زيد قال: كان رسول الله ﷺ أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يُخرج شيئاً من أطرافه. وروى أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس أحتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه مُحْتَبِيًا^(٢). وعن جابر بن سَمُرَةَ: أنه تَرَبَّع، وربما جلس القُرُفُصَاء، وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يُعرض عن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تَبَسُّماً وكلامه فَضْلاً لا فُضُول ولا تَقْصِير، وكان ضحك أصحابه عنده التَّبَسُّم توقيراً له وأقتداء به، مجلسه مجلس حِلْم وحياء وخير وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تُؤَبَّن^(٣) فيه الحَرَم، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وفي صفته: يَخْطُو تَكْفُؤًا^(٤) ويمشي هَوْنًا كأنما يَنْحَطُّ من صَبَب^(٥). وفي الحديث الآخر: «إذا مشى مشى مجتمعاً، يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل»؛ أي غير ضَجِر ولا

(١) القرف: التهمة.

(٢) محتبياً: أي معتمداً على ساقيه ويديه.

(٣) تؤبن: أي يسان مجلسه من رفث القول ولا تذكر فيه الحرم بقبیح.

(٤) تكفأ: تمايل إلى قدام.

(٥) الصبب: الموضع المنحدر.

كسلان. وقال عبد الله بن مسعود: إِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ. وعن جابر بن عبد الله: كان في كلام رسول الله ﷺ تَرْتِيلٌ^(١) أو تَرْسِيلٌ، قال ابن أبي هالة: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكير. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثًا لو عَدَّ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ. وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويحض عليها ويقول: «حُبُّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءِ، وَالطِّيبِ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». ومن مُرْوَعِهِ ﷺ نَهْيُهُ عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْأَمْرُ بِالْأَكْلِ مِمَّا يَلِي، وَالْأَمْرُ بِالسَّوَاكِ، وَإِنْقَاءُ الْبَرَاجِمِ^(٢) وَالرَّوَاجِبِ^(٣)، وَأَسْتِعْمَالُ خِصَالِ الْفِطْرَةِ^(٤). صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَبَدًا دَائِمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، آمِينَ.

وَأَمَّا زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا ﷺ

فحسبك من ذلك أنه ﷺ تُوْفِيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي نَفَقَةِ عِيَالِهِ، بَعْدَ أَنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْفَتْوحَاتِ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَآتَاهُ مِنَ الْأَخْمَاسِ وَالصَّفَايَا مَا قَدَمْنَاهُ، فَآثَرَ^(٥) بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَكَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْتًا» وَنَذَرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَحْوَالِهِ مَا نَالَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَيْشِ وَالْجُوعِ مَا تَقَفَ عَلَيْهِ هُنَاكَ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبَدٍ إِلَّا شَطْرَ شَعِيرٍ فِي رَفِّ لِي، وَقَالَ لِي: «إِنِّي عَرِضُ عَلَيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِي بَطْحَاءُ مَكَّةَ ذَهَبًا، فَقُلْتُ لَا يَا رَبِّ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ وَأَدْعُوكَ، وَأَمَّا الْيَوْمَ الَّذِي أَشْبَعُ فَأُحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ». وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنْ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَقْرُئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ: أَتُحِبُّ أَنْ أَجْعَلَ هَذِهِ الْجِبَالَ ذَهَبًا، وَتَكُونَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتُ؟» فَأَطْرَقَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا جَبْرِيلُ، إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مِنْ لَا دَارَ لَهُ وَمَالٌ مِنْ لَا مَالَ لَهُ قَدْ يَجْمَعُهَا مِنْ لَا عَقْلَ لَهُ» فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: ثُبَّتَكَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ. ﷺ.

(١) الترتيل: التأنى والتمهل.

(٢) البراجم: رؤوس السلاميات من ظاهر الكف إذا قبض القابض كفه نشزت.

(٣) الرواجب: بطون السلاميات.

(٤) المراد بالفطرة هنا: سنة الأنبياء عليهم السلام.

(٥) آثر بذلك: فضل وقدم.

وأما خوفه رَبَّهُ، وطاعته له، وشدة عبادته ﷺ

فكان ذلك على قدر علمه بربه تبارك وتعالى؛ ولذلك قال فيما روينا بسند متصل عن سعيد بن المسيّب: إن أبا هريرة كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً». ومن رواية عن أبي عيسى الترمذي عن أبي ذرٍّ: «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطم^(١) السماء وحق لها أن تئطم ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيها ملك ساجد لله واضع جبهته، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفراش، ولخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ تجأرون^(٢) إلى الله، لوددت أني شجرة تُعَضَّد^(٣)». روي هذا الكلام: «وددت أني شجرة تُعَضَّد» من قول أبي ذر نفسه وهو أصح. وفي حديث آخر: صلى رسول الله ﷺ حتى أنتفخت قدماه. وفي رواية: كان يصلي حتى ترم قدماه، فقليل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة^(٤)، وأيكم يطيق ما كان يطيق. وقالت: كان يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم. وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، وقل ما كان يفطر يوم الجمعة، وأكثر صيامه في شعبان. وقال عوف بن مالك: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة فأسْتَاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقامت معه، فبدأ فأسْتفتح البقرة، فلا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركَع فمكث بقدر قيامه يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة» ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك. وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدين نحواً منه، وقال: حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشَّخِير قال: أتيت رسول الله ﷺ ولجؤفه أزيز^(٥) كأزيز المِرْجَل. قال ابن أبي هالة: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحران، دائم الفكرة، ليست له راحة. وقال ﷺ: إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة، وروي سبعين مرة. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن

(١) الأطمط: صوت الأقتاب.

(٢) تجأرون: ترفعون.

(٣) تعضد: تقطع.

(٤) الديمة: المطر الدائم في سكون.

(٥) الأزيز: صوت الغليان.

سنته فقال: «المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر زادي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حُرْفَتِي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حَسْبِي»^(١)، والجهد خُلُقِي، وقُرَّة عَيْنِي في الصلاة». وفي حديث آخر: «وثمره فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي». ولنصل هذه الفصول التي شرحناها في صفاته المعنوية ﷺ بما ورد من طيب ريحه، وعرقه، وما يجري هذا المجرى.

ذكر نبذة مما ورد في نظافة جسمه، وطيب ريحه، وعرقه ونزاهته عن الأقدار وعورات الجسد ﷺ

كان رسول الله ﷺ قد خَصَّه الله عز وجل من ذلك بخصائص لم توجد في غيره، وَمَنَحَهُ مَنَحًا لم تكن في سِوَاهُ؛ من ذلك ما روينا عن مسلم بن الحجاج بإسناده، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما شَمَمْتُ عَنَبًا قط ولا مِسْكَ ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ. وعن جابر بن سَمُرة أنه ﷺ مسح خَدَه، قال: فوجدت لِيَدِهِ بَرْدًا وريحًا كأنما أخرجها من جُودَةٍ^(٢) عَطَّار. قال غيره: مَسَّهَا بطيب أو لم يمَسَّهَا، يصفاح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها. وروي أن رسول الله ﷺ نام في دار أنس فعرق، فجاءت أم أنس بقارورة تجمع فيها عرقه، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك فقالت: نجعله في طِينًا وهو من أطيب الطيب. وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه. وذكر إسحاق بن راهويه: أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ. وروى المُرْزِي عن جابر قال: أردفني النبي ﷺ فالتقمت خاتم النبوة بِقَمِي وكان يَنِم عليّ مِسْكَ. ونقل القاضي عياض بن موسى قال: حكى بعض المعتننين بأخباره وشمائله ﷺ أنه كان إذا أراد أن يتغَوَّط أنشقت الأرض فأبتلعت غائطه وبَوْلَه، وفاحت لذلك رائحة طيبة. وأسند محمد بن سعد في هذا خبرًا عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: إنك تأتي الحَلَاء ولا يرى منك شيء من الأذى. فقال: «يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء فلا يرى منه شيء» قال القاضي عياض: وهذا الخبر وإن لم يكن

(١) الطاعة حسبي: أي تكفيني.

(٢) الجودة: التي يعد فيها الطيب ويحرز.

مشهورًا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحَدَّثَيْنِ منه ﷺ. ومن ذلك حديث عليّ بن أبي طالب في الوفاة وسنذكره إن شاء الله تعالى. وقد جاء عن أمه آمنة أنها قالت: ولدته نظيفًا ما به قَدَرٌ. ﷺ. ولنختم هذه الفصول بحديث هند بن أبي هالة لجمعه بين صفاته ﷺ الذاتية والمعنوية. والله أعلم.

ذكر حديث هند بن أبي هالة

وما تضمن من أوصاف رسول الله ﷺ الذاتية والمعنوية

حدَّثنا الشيخان المحدثان شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحلبي، وزين الدين أبو محمد عبد الحق بن قينان بن عبد المجيد القرشي - رحمهما الله - قراءة عليهما وأنا أسمع في شهر رجب عام ثمانية وسبعمئة، قالوا: حدَّثنا الشيخ أبو الحسن محمد بن أبي عليّ الحسين بن عتيق بن رُشَيْق الرُّبَيْعي المالكي سماعًا في شوال سنة ثمان وستين وستمائة بمصر، وبقراءة الشيخ زين الدين الثاني على الشيخ نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسن بن الخليلي، وبإجازتهما من الحافظ أبي الحسين يحيى بن علي بن عبد الله القرشي، وتاج الدين علي بن أحمد بن القسطلاني، قالوا أخبرنا أبو الحسين محمد بن أبي جعفر أحمد بن جبير الكناني، قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي إجازة، قال أخبرنا القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليخسبي رحمه الله تعالى، قال أبْن القسطلاني: وأخبرنا أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء إجازة، قال أخبرنا أبو الفضل عياض إجازة، قال القاضي أبو الفضل حدَّثنا القاضي أبو عليّ الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسماية، قال حدَّثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي، قال قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي، والقاضي أبو عليّ الحسن بن علي بن جعفر الوُخْشي، قالوا: حدَّثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي، قال أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، قال أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الحافظ؛ قال حدَّثنا سفيان بن وكيع، قال حدَّثنا جُمَيْع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاء من كتابه، قال حدَّثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، يكنى أبا عبد الله عن أبْن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال سألت خالي هند بن أبي هالة. قال القاضي أبو عليّ

رحمه الله: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن خذاداذ الكرخي الباقلاني، قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيْرُون، قالاً أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي، قراءة عليه، فأقر به، قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أخيه موسى بن جعفر بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي - واللفظ لهذا السند -: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حِلْيَةِ^(١) رسول الله ﷺ، وكان وَصَافًا، وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، قال: كان رسول الله ﷺ فَخْمًا^(٢) مُفَخَّمًا يَتَلَأُّ وجهه تَلَأُّ القمر ليلة البدر، أطول من المَرْبُوع، وأقصر من المشدَّب^(٣)، عظيم الهامة، رَجُل الشعر، إن آنفَرَقَتْ عَقِيْقَتُهُ فَرَقَ، وإلا فلا يجاوز شعره شُخْمَةٌ أُذُنُهُ إذا هو وَقَرَّ، أَزْهَرُ^(٤) اللَّوْنِ، واسع الجبين، أَرْجَ الحواجب، سَوَابِغُ^(٥) من غير قَرْنٍ، بينهما عِرْقٌ يُدْرِي الغضب، أقنى العِزْنَيْنِ، له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أَشَمٌ، كَثُ اللحية، أَدْعَجٌ، سهل الحَدَيْنِ، ضَلِيعُ الفم، أَشْنَبُ مُفْلَجِ الأَسْنَانِ، دقيق المِشْرَبَةِ، كَأَنَّ عنقه جِدٌّ دُمِيَّةٌ في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادِنًا متماسكًا، سواء البطن والصدر، مُشِيخُ^(٦) الصُّدْرِ، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللَّبَّةِ والشُّرَّةِ بشعر يجري كالخط، عاري الثديين، ما سوى ذلك، أشعرُ الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر، طويل الزندين، رَحْبُ الراحة، شُنُّ الكَفَيْنِ والقدمين، سَائِلُ^(٧) الأطراف، أو قال سائِنُ الأطراف، سَبَطُ القَصَبِ، خُمْصَانُ الأَخْمَصِينَ، مَسِيحُ القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال^(٨) زال تَقْلَعًا، ويخطو تَكْفُؤًا، ويمشي هَوْنًا، ذَرِيعُ المِشْيَةِ، إذا مشى

(١) الحلية: الزينة، أو الصفة.

(٢) الفخم المفخم: العظيم المعظم في الصدور والعيون.

(٣) المشدب: الطويل البائن الطول مع نقص في لحمه.

(٤) أزهر اللون: نيره.

(٥) السوابغ: التامة الطويلة.

(٦) مشيخ الصدر: عريضه.

(٧) سائل الأطراف: أي ممتدها.

(٨) المراد بقوله: إذا زال زال تَقْلَعًا: أي يرفع رجله من الأرض رفعًا قويًا لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه لأن ذلك من مشي النساء.

كأنما ينحطّ من صَبَب، وإذا التفت ألّفت جميعاً، خافض الطَّرْف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة^(١)، يَسُوق أصحابه، ويبدأ من لقيه بالسلام. قلت: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، وليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتح الكلام ويختتمه بأشداقه^(٢)، ويتكلم بجوامع الكلم، فضلاً لا فُضُول فيه ولا تقصير، دميماً ليس بالجافي ولا المُهين، يعظم النعمة وإن دَقَّت، لا يذمّ شيئاً لم يكن يُذمّ ذَوْاقاً ولا يمدحه، ولا يُقام لغضبه إذا تُعْرَضَ للحقّ بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدّث أتصل^(٣) بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غَضَّ طرفه، جُلُّ ضحكته التبسم، ويَفْتَرّ عن مثل حَبّ الغمام. قال الحسن: فكتمتها الحسين بن علي زماناً، ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مَدْخَل رسول الله ﷺ ومُخْرَجِه ومجلسه وشكله، فلم يدع منه شيئاً، قال الحسين: سألت أبي - عليه السلام - عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مَأْذُوناً له في ذلك، فكان إذا آوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله تعالى، وجزء لأهله، وجزء لنفسه. ثم جزأ جزئه بينه وبين الناس، فبرّد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدّخر عنهم شيئاً، فكان من سيرته في جزء الأمة إثارة أهل الفضل بإذنه، قِسْمته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاكل بهم، ويُسْغَلهم فيما أضلّحهم والأمة من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغني حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة» لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وكيع: «يدخلون رُوَاداً»^(٤)، ولا يتفرّقون إلا عن ذَوْاق^(٥)، ويخرجون أدلة^(٦)، يعني فقهاء، قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان

(١) الملاحظة: النظر بشق العين الذي يلي الصدغ.

(٢) الأشداق: جوانب الفم. (٣) اتصل: أي وصل إحدى يديه بالأخرى.

(٤) رواداً: أي محتاجين وطلابين لما عنده من النفع لدينهم ودنياهم.

(٥) المراد بقوله: ولا يتفرّقون إلا عن ذواق: أي يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسامهم.

(٦) أدلة: جمع دليل وهو معروف.

يصنع فيه، قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعينهم، ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويخذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويؤهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملؤا؛ لكل حال عنده عتاد^(١)، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره، الذين يلونه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة.

فسأله عن مجلسه عما كان يصنع فيه، فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا أنتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا، وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى. وفي الرواية الأخرى: صاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تُثنى^(٢) فلتاته - وهذه الكلمة من غير الروايتين - يتعاطفون، بالتقوى متواضعين، يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير، ويرفدون^(٣) ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

فسأله عن سيرته ﷺ في جلسائه، فقال: كان رسول الله ﷺ دائماً البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب ولا فحاش، ولا عتاب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه، قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: «إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه» ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام. هنا أنتهى حديث سفيان بن وكيع.

(١) العتاد: ما يصلح لكل ما ينفع من الأمور.

(٢) لا تثنى: أي لا تشاع ولا تذايع.

(٣) يرفدون: يعينون.

وزاد الآخر؛ قلت: كيف كان سكوته ﷺ؟ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكير، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكيره ففيما يبقى ويفنى، وجمع له الحلم ﷺ في الصبر، فكان لا يغضبه شيء يستفزّه. وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحسن، ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، وأجتهاد الرأي بما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. ﷺ. فهذه جملة كافية من أوصافه ﷺ، فلنذكر أحواله.

ذكر أحوال رسول الله ﷺ

في دنياه، وما ناله من شدة العيش فيها، وما روي من أحواله في تطيبه ولباسه وفراشه، ووسادته، وتختمه وتنعله، وخفيه. وسواكه، ومشطه، ومكحله ومرآته وقدحه، وما ورد في حجامته، وما ملكه من السلاح والدواب وغير ذلك. ﷺ.

أما ما ناله ﷺ من شدة العيش في دنياه

فقد تقدّم من صفاته المعنوية زهده في الدنيا وتقلّله منها، وأحلنا هناك على ما نوره في هذا الموضع. وسنورد منه ما تقف عليه إن شاء الله.

فمن ذلك ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاء، وكان عامة خبزهم الشعير. وعن أنس بن مالك أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة؟» قالت: قُرْصُ خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة. فقال: «أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام». وعن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ كان يشدّ صُلبه بالحجر من الغرث»^(١). وعن مسروق قال: بينما عائشة تحدّثني ذات يوم إذ بكت؛ فقلت: ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ قالت: ما ملأت بطني من طعام فشئت أن أبكي إلا بكيت؛ أذكرُ رسولَ الله ﷺ وما كان فيه من الجُهد»^(٢). وعنه قال: دخلتُ على عائشة أم المؤمنين وهي تبكي، فقلت: يا أم المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيت؛ وذلك أن رسول الله ﷺ كان يأتي عليه أربعة أشهر ما يشبع من خبز بُرّ. وعنهما رضي الله عنهما قالت: ما شبع آل محمد غداءً وعشاءً من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لَحِقَ

(٢) الجهد: المشقة.

(١) الغرث: الجوع.

بالله. ومن رواية عنها: ما رفع عن مائدته كسرة فضلاً حتى قبض. وعن أبي هريرة قال: كان يمرّ بآل رسول الله ﷺ هلالاً، ثم هلال، ثم هلال، لا يؤقّد في شيء من بيوته ناراً، لا لخبز ولا لطبخ، قالوا: بأي شيء كانوا يعيشون يا أبا هريرة؟ قال: بالأسودين التمر والماء. قال: وكان له جيران من الأنصار - جزاهم الله خيراً - لهم منائح^(١) يرسلون إليه بشيء من لبن. وعن الحسن قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «والله ما أسمى في آل محمد صاع من طعام وإنها لتسعة أبيات» والله ما قالها استقلالاً لرزق الله، ولكن أراد أن تأسى به أمته. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى لحق بالله، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله، إلا أن نرفعه لغائب. فقيل لها: ما كانت معيشتكم؟ قالت: الأسودان الماء والتمر. قالت: وكان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب^(٢) يسقونا من لبنها؛ جزاهم الله خيراً. وعن ابن شهاب: أن أبا هريرة كان يمرّ بالمغيرة بن الأحنس وهو يطعم الطعام، فقال: ما هذا الطعام؟ قال: خبز النقي واللحم السمين، قال: وما النقي؟ قال: الدقيق. فتعجب أبو هريرة ثم قال: عجباً لك يا مغيرة! رسول الله ﷺ قبضه الله عز وجل، وما شبع من الخبز والزيت في يوم مرتين، وأنت وأصحابك تهذرون^(٣) هاهنا الدنيا بينكم. وعن قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك وخبّازه قائم، فقال يوماً: كلوا فما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيماً مرققاً حتى لحق بربه، ولا شاة سميطاً^(٤) قط. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما اجتمع في بطن النبي ﷺ طعامان في يوم قط، إن أكل لحماً لم يزد عليه، وإن أكل تمرًا لم يزد عليه، وإن أكل خبزاً لم يزد عليه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل أبو بكر رضي الله عنه قائمة شاة ليلاً فقطعت، وأمسك عليّ رسول الله ﷺ، أو قطع رسول الله ﷺ وأمسك عليه، فقيل لها: على غير مصباح؟ قالت عائشة: لو كان عندنا مصباح لأتدمننا به، كان يأتي على آل محمد شهر ما يختبزون خبزاً ولا يطبخون قدراً. وعن عمران بن زيد المديني قال: حدثني والدي، قال: دخلنا على عائشة، فقلنا: سلام عليك يا أمّاه، قالت: وعليك، ثم بكت، فقلنا: ما بكاؤك يا أمّاه؟ قالت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمس لذلك دواء، فذكرت نبيكم ﷺ، فذلك الذي أبكاني، خرج من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع

(١) المنائح: واحدها المنحة، وهي الناقة أو الشاة ينتفع بلبنها زماناً ثم يردها.

(٢) الربائب: جمع مربوبة، وهي الغنم التي تكون في البيت وليست بسائمة.

(٣) تهذرون: أي تتوسعون فيها.

(٤) سميطاً: مشوية.

من التمر لم يشبع من الخبز، وإن شبع من الخبز لم يشبع من التمر، فذلك الذي أبكاني. وعن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ تُوفي يوم تُوفي، وذرعه مرهونة عند رجل من اليهود بوسق^(١) من شعير. وسُئِلَ سهل بن سعد: أكانت المناخل على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: ما رأيت مُنْخَلًا في ذلك الزمان، وما أكل رسول الله ﷺ الشعير منخولاً حتى فارق الدنيا. فقل له: كيف كنتم تصنعون؟ قال: كنا نطحنها ثم ننْفُخ قشرها، فيطير ما طار ويستمسك ما استمسك. وعن الأعرج، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يجوع، قال قلت لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع؟ قال: لكثرة من يغشاه وأضيافه، وقوم يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعاماً أبداً إلا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد، فلما فتح الله تعالى خيبر اتسع الناس بعض الاتساع، وفي الأمر بعدُ ضيقٌ، والمعاش شديد في بلاد ظَلَفٍ^(٢)، لا زرع فيها، إنما طعام أهلها التمر وعلى ذلك أقاموا. قال مَخْرَمَةُ بن سليمان: وكانت جَفْنَةُ سَعْدٍ تدور على رسول الله ﷺ منذ يوم نزل المدينة في الهجرة إلى يوم تُوفي. وغير سعد بن عبادة من الأنصار يفعلون ذلك. وكان أصحاب رسول الله ﷺ كثيراً يواسون، ولكن الحقوق تكثر والعُدَام يكثر، والبلاد ضيقة ليس فيها معاش، إنما تخرج ثمرتهم من ماء ثَمَدٍ^(٣) يحملها الرجال على أكتافهم، أو على الإبل، والإبل أقل ذلك، وربما أصاب نَحْلُهُم القُشَام فتذهب ثمرتهم تلك السنة، والقُشَام: شيء يصيب البلح مثل الجذري فينتشر؛ فهذه كانت حاله ﷺ في عيشه في غالب أوقاته، وهي سُنَّةُ الأنبياء صلوات الله عليهم.

وأما تطيبه ﷺ

فكان رسول الله ﷺ يحب الطيب، وكان يتطيب بالغالية^(٤) وبالمسك، حتى يرى وبيضه^(٥) في مفارقه، ويتبخّر بالعود^(٦) ويَطْرَح معه الكافور، وكان يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه ﷺ.

(١) الوسق: مكيلة معلومة، وهي ستون صاعاً، والصاع خمسة أرطال وثلاث.

(٢) الظلف: الغليظ الصلب من الأرض، والمراد التي لا زرع فيها.

(٣) الثمد: الماء القليل الذي يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف.

(٤) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعود وعنبر ودهن.

(٥) الوبيص: البريق.

(٦) العود: ضرب من الطيب يتبخر به.

وأما لباسه ﷺ

وما روي من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه

فقد روي أنه ﷺ كان يتجمل لأصحابه، فضلاً عن تجمله لأهله، ويقول: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهياً لهم ويتجمل» ولبس ﷺ من الثياب البياض والحمرة والصفرة والخضرة والسواد.

أما البياض وما جاء فيه: فقد روي عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم» وفي رواية عنه «ألبسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم». وعن أبي قلابة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أحب ثيابكم إلى الله البياض، فصلوا فيها وكفنوا فيها موتاكم».

وأما الثياب الحمراء: فروي عن البراء قال: ما رأيت أحداً كان أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. وعنه: ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ. وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ بالأبطح، وهو في قبة حمراء، فخرج وعليه جبة له حمراء وحلة عليه حمراء. وعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يلبس بُزده^(١) الأحمر في العيدين والجمعة. وعن أبي جعفر محمد بن علي أن رسول الله ﷺ كان يلبس يوم الجمعة برده الأحمر؛ ويعتَم يوم العيدين، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وأما الثياب الصفرة: فقد روي عن قيس بن سعد بن عبادة قال: أتانا رسول الله ﷺ فوضعنا له غسلًا فاغتسل، ثم أتينا بمَلْحَفَةٍ وَرْسِيَّةٍ^(٢) فاشتعل بها، فكأنني أنظر إلى أثر الوزس على عُكْنِهِ. وعن بكر بن عبد الله المزني قال: كانت لرسول الله ﷺ مَلْحَفَةٌ مُورَّسَةٌ، فإذا دار على نسائه رشها بالماء. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: ربما صُبِغَ لرسول الله ﷺ قميصه وِرْدَاؤُهُ وإزاره بزعفران ووزس، ثم يخرج فيها. وعن عبد الله بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه بالزعفران: قميصه وِرْدَاءَهُ وِعِمَامَتَهُ. وعن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ عليه رداءٌ وِعِمَامَةٌ مصبوغين بالعير^(٣)، والعير عندهم الزعفران. وعن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة.

(١) البرد الأحمر: برد يمانى مخطط بحمرة وسواد.

(٢) الورسية: نسبة إلى الورد، وهو نبت أصفر يصبغ به، والورسية المصبوغة به.

(٣) العير: أخلاط من الطيب.

وأما الثياب الخُضر: فقد رُوي أنَّ رسول الله ﷺ كان يعجبه الثياب الخضر. وعن أبي رُمثة قال: رأيت رسول الله ﷺ وعليه بُردان أخضران. والله المنعم.

وأما السَّود وما ورد فيه: فقد روي عن جابر أن رسول الله ﷺ دخل مكة، وعليه عمامة سَوداء. وعن حُرَيْث عن أبيه أن النبي ﷺ خطب الناس، وعليه عمامة سوداء. هذا ما وقفنا عليه من ألوان لباسه ﷺ.

فأما أصناف لباسه ﷺ وطولها وعرضها، فإنه عليه الصلاة والسلام لبس الصوف والحِجْرَة^(١) والقطن، ولبس السُّنْدُس^(٢) والحرير، ثم تركه، وورد في ذلك أخبار نذكر منها ما أمكن.

أما الصوف وما ورد فيه: فقد روي عن أبي بُرْدَة قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فأخرجت إلينا إزارًا غليظًا مما يُصنَع باليمن، وكِسَاء من هذه المَلْبَدَة^(٣)، فأقسمت أن رسول الله ﷺ قُبِضَ فيهما. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جعل للنبي ﷺ بُرْدَة سَوداء من صوف فلبسها. وعن سهل بن سعد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة، فيها حاشيتها. قال سهل: وتدرُونَ ما البردة؟ قالوا: الشَّمْلَة، قال: نعم، هي الشَّمْلَة، فقالت: يا رسول الله، نسجتُ هذه البردة بيدي فجئت بها أكسوكها، قال: فأخذها رسول الله ﷺ محتاجًا إليها، فخرج علينا وإنها لإزاره، فحسّنها فلان - لرجل من القوم سمّاه - فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه البُرْدَة! اكسنيها، فقال: «نعم» فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع، فلما دخل رسول الله ﷺ طواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، كُسيها رسولُ الله ﷺ محتاجًا إليها ثم سألتها إياها، وقد علمت أنه لا يرد سائلًا! فقال الرجل: والله ما سألتها إياها لألبسها، ولكن لتكون كَفَنِي يوم أموت، قال سهل: فكانت كَفَنَهُ.

وأما الحِجْرَة وهي من بُرود اليمَن فيها حُمرة وبياض فكانت من أحبّ اللباس إلى رسول الله ﷺ. ورُوي عن قَتَادَة قال: قلت لأنس بن مالك: أيّ اللباس كان أحبّ وأعجب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: الحِجْرَة. وعن محمد بن هلال قال: رأيت على هشام بن عبد الملك بُرد النبي ﷺ من حِجْرَة له حاشيتان.

(١) الحِجْرَة: من برود اليمن فيها حمرة وبياض.

(٢) السُّنْدُس: ضرب من رقيق الديباج.

(٣) المَلْبَدَة: ما تداخل ولزق بعضه في بعض.

وأما السُّنْدُس والحريير: فإن رسول الله ﷺ لبس ذلك ثم تركه. رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أهدى ملك الروم إلى رسول الله ﷺ مُسْتَقَّةً^(١) من سُنْدُس فلبسها، فكأنِّي أنظر إلى يديها تَذْبَذْبَان من طولها. فجعل القوم يقولون: يا رسول الله، أنزلت عليك من السماء؟ فقال: «وما تعجبون منها، فوالذي نفسي بيده إن منديلاً من مناديل سعد بن مُعَاذ في الجنة خير منها» ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب فلبسها، فقال النبي ﷺ: «إني لم أعطكها لتلبسها» قال: فما أصنع بها؟ قال: «أبعث بها إلى أخيك النجاشي». وعن عقبة بن عامر قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ فَرُوجٌ - يعني قَبَاء حريير - فلبسه، ثم صلى فيه، ثم أنصرف فَتَزَعَهُ نَزْعًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ له، ثم قال: «لا ينبغي هذا للمتقين».

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ صلى في خَمِيصَةٍ^(٢) لها أعلام، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما سلم قال: «أذهبوا بخَمِيصَتِي هذه إلى أبي جهم فإنها أَلْهَتْنِي آنفًا عن صلاتي وأتوني بَأَنْبِجَانِي»^(٣) أبي جهم.

وأما القطن وما ورد في أطوال ثياب رسول الله ﷺ وعرضها فروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت يوماً أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُزْدٌ بَحْرَانِي^(٤) غليظ الحاشية. وعنه: كان قميص رسول الله ﷺ قُطْنِيًّا قصير الطول قصير الكُمَيْن. وعن بُذَيْل قال: كان كُمُ رسول الله ﷺ إلى الرُشْغ. وعن عُرْوَةَ بن الزبير رضي الله عنهما: أن طول رداء النبي ﷺ أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر. وعنه: أن ثوب رسول الله ﷺ الذي كان يخرج فيه إلى الوفد - ورداؤه حَضْرَمِي - طوله أربع أذرع، وعرضه ذراعان وشبر، فهو عند الخلفاء قد خَلَقَ^(٥)، فطَوَّاه بثوب يلبسونه يوم الأضحى والفطر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يلبس قميصاً قصير اليدين والطول. وعن عبد الرحمن بن أبي لَيْلَى قال: كنت مع عمر، في حديث رواه عنه قال فقال: رأيت أبا القاسم وعليه جُبَّة شَامِيَّة ضيقة الكُمَيْن.

(١) المستقة: فرو طويل الكمين.

(٢) الخميصة: ثوب أسود أو أحمر له أعلام.

(٣) الأنبيجاني: نسبة إلى موضع يقال له أنبيجان.

(٤) البحراني: نسبة إلى البحرين.

(٥) خلق: بلي.

ذكر صفة إزرة رسول الله ﷺ وما كان يقوله إذا لبس ثوباً جديداً

روي عن يزيد بن أبي حبيب أن رسول الله ﷺ كان يرخي الإزار من بين يديه، ويرفعه من ورائه. وعن عكرمة مولى ابن عباس، قال: رأيت ابن عباس إذا أتزر أرخى مقدّم إزاره، حتى تقع حاشيته على ظهر قدميه؛ ويرفع الإزار مما وراءه، فقلت له: لِمَ تأتزر هكذا؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ يأتزر هذه الإزرة. وعن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أَسْتَجَدَّ ثوباً سَمَاهُ بِأَسْمِهِ؛ قَمِيصاً أو إِزَاراً أو عِمَامَةً، ويقول: «اللهم لك الحمد أنت كسوتني، أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له». وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان رسول الله ﷺ «إذا لبس ثوباً - أو قال - إذا لبس أحدكم ثوباً فليقل الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي، وأَتَجَمَّلَ به في حياتي». وكان ﷺ يلبس الكساء الصوف وحده فيصلي فيه، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه يصلي فيه. وكان يلبس القلائس تحت العمام، ويلبسها دونها ويلبس العمام دونها ويلبس القلائس ذات الأذان في الحرب، وربما نزع قَلَنْسُوتَهُ، وجعلها سترة بين يديه وصلي إليها، وربما مشى بلا قَلَنْسُوتَةٍ ولا عمامة ولا رداء، راجلاً يعود المرضى كذلك في أقصى المدينة. وكان يَغْتَمُّ وَيُسَدِّلُ طَرَفَ عِمَامَتِهِ بين كتفيه. وعن عليّ أنه قال: عَمَّمَنِي رسول الله ﷺ بعمامة، وسدل طرفها على منكبي، وقال: «إِنَّ العِمَامَةَ حَاجَزٌ بين المسلمين والمشركين».

ذكر فراش رسول الله ﷺ ووسادته

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: دخلت امرأة من الأنصار عليّ فرأت فراش رسول الله ﷺ عَبَاءَةً مَثْنِيَةً، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه صوف، فدخل رسول الله ﷺ عليّ فقال: «ما هذا؟» قلت: يا رسول الله؛ فلانة الأنصارية، دخلت عليّ فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا. فقال: «رُدِّيهِ» فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «والله يا عائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة». وعنهما: أنها كانت تفرش لرسول الله ﷺ عباءة بآثنتين فجاء ليلة وقد رَبَّعْتَهَا فنام عليها، فقال: «يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس كما كان يكون؟» قالت قلت: يا رسول الله، رَبَّعْتَهَا، قال: «فأعيديه كما كان». وعنهما قالت: كان لرسول الله ﷺ وسادة من آدم محشوة ليفاً، ودخل عمر بن الخطاب

رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو على سرير مَرْمُول^(١) بشريط، وتحت رأسه مِرْفَقَةٌ^(٢) من أدم مَحْشُوءَةٌ بليف، وقد أثار الشَّريطُ بجنبه، فبكى عمر، فقال: «ما يبكيك؟» قال: يا رسول الله، ذكرتُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ يجلسون على سُرُرِ الذَّهَبِ وَيَلْبَسُونَ السُّنْدُسَ وَالْإِسْتَبْرَقَ^(٣)، فقال: «أما تَرْضَوْنَ أن تكون لكم الآخرة ولهم الدنيا». وعن عبد الله بن مسعود قال: أَضْطَجَعَ رسول الله ﷺ على حصير فأثر الحَصِيرُ بجلده، فلما أَسْتَيْقِظَ جعلت أُمْسَحُ عنه وأقول: يا رسول الله، أَلَا أَذْنَتُنَا نَبْطُطُ لك على هذا الحَصِيرِ شَيْئًا يَقيك منه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما لي وللدنيا، وما أنا والدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»، وعن المغيرة بن شعبة قال: كان لرسول الله ﷺ فَرْوَةٌ، وكان يستحب أن تكون له فَرْوَةٌ مَدْبُوعَةٌ يَصْلِي عليها، وكان رسول الله ﷺ يَصْلِي على الحَصِيرِ والخُمْرَةِ^(٤)، كما روي في الصحيحين.

ذكر ما لبسه رسول الله ﷺ من الخواتم، ومن قال لم يَتَخَتَمْ

قد قَدَّمْنَا أن رسول الله ﷺ أَتَخَذَ الخَاتَمَ في سنة سبع من الهجرة عندما بعث رُسُلَهُ إلى الملوك، وختم به الكتب التي سَيَّرَهَا إِلَيْهِمْ؛ فلنذكر هنا ما لبسه من الخواتم. وقد روي أنه تختم بالذهب والفضة والحديد الملوّى عليه الفضة، على ما نذكر ذلك من أقوالهم.

روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أَتَخَذَ رسول الله ﷺ خَاتَمًا من ذهب، فكان يجعل فَضَّهُ في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى؛ فصنع الناس خواتم من ذهب، فجلس رسول الله ﷺ على المنبر فنزعه، وقال: «إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فَضَّهُ من باطن كفي» فرمى به، وقال: «والله لا ألبسه أبدًا» ونبذ النبي ﷺ الخاتم، فنبذ الناس خواتيمهم.

ثم أَتَخَذَ خَاتَمًا من فَضَّةٍ فَضُّهُ منه، ونقش عليه «محمد رسول الله» ثلاثة أسطر، كان يختم به الكتب إلى الملوك. وقد روي أن خاتمه كان من حديد، ملوّى عليه فضة، وقيل: إنه رآه في يد عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة فقال:

(١) مرمول بشريط: أي منسوج بما ينسج به الحَصِير.

(٢) المرفقة: كالوسادة. (٣) الإِستبرق: الديباج الغليظ.

(٤) الخمرة: حصير صغير قدر ما يسجد عليه.

«ما هذا الخاتم في يدك يا عمرو؟» قال: هذه حلقة يا رسول الله، قال: «فما نقشها؟» قال: محمد رسول الله، فأخذه رسول الله ﷺ منه فتختمه، فكان في يده حتى قُبِضَ، ثم في يد أبي بكر حتى قُبِضَ، ثم في يد عمر حتى قُبِضَ، ثم في يد عثمان ست سنين، وفي السابعة وقع في بئر أريس^(١). قال أنس بن مالك: فطلبناه مع عثمان ثلاثة أيام فلم نقدر عليه. وروي عن ابن سيرين: أن نقشه كان «بسم الله، محمد رسول الله». وقد روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرق، قال حدثنا عطاء بن خالد، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فرزة، عن سعيد بن المسيب، قال: ما تختم رسول الله ﷺ حتى لقي الله، ولا أبو بكر حتى لقي الله، ولا عمر حتى لقي الله، ولا عثمان حتى لقي الله، هكذا روي. والصحيح أنه تختم ﷺ، وتختموا رضوان الله عليهم أجمعين كما ذكرنا.

ذكر نعل رسول الله ﷺ وخفيه

روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان لنعله قبالان^(٢). وعن عبد الله بن الحارث قال: كان نعل رسول الله ﷺ لها رمالان^(٣) شراكهما مثنى في العقدة. وعن سلمة عن هشام بن عروة قال: رأيت نعل رسول الله ﷺ مخصرة^(٤) معقبة^(٥) ملسنة^(٦) لها قبالان. وعن عبيد بن جريح قال قلت لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، أراك تستحب هذه النعال السبئية^(٧)، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ يلبسهما ويتوضأ فيهما. وعن عبد الله بن بريذة عن أبيه: أن صاحب الحبشة أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين ساذجين^(٨) فمسح عليهما، وفي رواية: أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ خفين أسودين ساذجين فلبسهما ومسح عليهما.

(١) بئر أريس: بفتح الهمزة وكسر الراء، وسكون الياء آخر الحروف، وسين مهملة: بئر بالمدينة ثم بقبا مقابل مسجدها... (معجم البلدان).

(٢) القبال: زمام النعل، وهو السير الذي يكون بين الإصبعين.

(٣) رمالان: ثنية رمال: وهو سير من الجلد كالقبال.

(٤) المخصرة: التي لها خصر رقيق.

(٥) المعقبة: التي لها عقب من صبور يضم به الرجل.

(٦) الملسنة: التي فيها طول ولطافة على هيئة اللسان.

(٧) السبئية: التي أنسبت شعرها بالدباغ.

(٨) الساذج: الذي لا شعر عليه.

ذكر سِوَاك رسول الله ﷺ، ومشطه، ومُكْحَلته، ومِرَّاته، وقَدَحِه، وغير ذلك من أثاثه

روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان لا يَزُقْد لِيلاً ولا نهاراً فيستيقظ إلا تَسَوَّك قبل أن يتوضأ. وعن قَتَادَةَ عن أنس، قال: استاك رسول الله ﷺ بجريد رطب وهو صائم، فقيل لقتادة: إن أناساً يكرهونه، فقال: استاك واللَّهِ رسولُ الله ﷺ بجريد رَطْب وهو صائم. وعن ابن جريج قال: كان لرسول الله ﷺ مشط عاج يَمْتَشِطُ به. وعن ثور عن خالد بن مَعْدَان قال: كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمِرَّة والدُّهْن والمِكْحَل والسَّوَاك. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه، ويسرِّح لحيته بالماء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لرسول الله ﷺ مِكْحَلَة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكتحل في عينه اليمنى ثلاث مرات، واليسرى مرتين. وعن أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ يكتحل بالإثمد وهو صائم. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر، وإنه من خير أكلالكم». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود قال: أهدى الْمُقَوِّقْس إلى رسول الله ﷺ قَدَح زُجَاج، كان يشرب فيه. وعن عطاء قال: كان لرسول الله ﷺ قَدَح زُجَاج، فكان يشرب فيه. وعن حُمَيْد قال: رأيت قَدَح النَّبِيِّ ﷺ عند أنس فيه فضة، أو شُدُّ بفضة. وقد جاء أنه ﷺ كان له رُبْعَةٌ^(١) فيها مرآة ومشط عاج ومُكْحَلَة ومِقْرَاض وسِوَاك. وكان له قَدَح مُضَبَّب^(٢) بثلاث ضَبَّات من فضة - وقيل من حديد - وفيه حلقة. يُعَلَّقُ بها، وهو أكبر من نصف المِذِّ وأصغر من المِذِّ، وكان له قَدَح آخر يُدْعَى الرِّيَّان، وتُور^(٣) من حجارة يدعى المِخْضَب. ومِخْضَب^(٤) من شَبِّه^(٥) يكون فيه الحِجَاء والكَتَم توضع عند رأسه إذا وجد فيه حرّاً، ومِغْسَل من صُفْر، وقَضْعَة، وصاع يخرج به فِطْرته، ومِذِّ، وكان له سرير، وقَطِيفَة، وكان له كِسَاء أسود كساه في حياته، وكان له ثوبان للجمعة، غير سائر ثيابه التي يلبسها في سائر الأيام، وكان له مِثْدِيل يمسح به وجهه من الوضوء، وربما مسح بطرف رداءه ﷺ.

(١) الربعة: إناء مربع كجونة العطار.

(٢) المضرب: إناء من صفر أو حجارة.

(٣) التور: إناء من صفر أو حجارة.

(٤) المخبض: إناء يحضر فيه الخضاب.

(٥) الشبه: النحاس الشبيه بالذهب.

(٢) مضرب: مشعب.

(٤) المخبض: إناء يحضر فيه الخضاب.

ذكر ما ورد في حجامه رسول الله ﷺ وحجامه

روي عن أنس بن مالك قال: أحتجم رسول الله ﷺ، وحجمه أبو طيبة، وأمر له بصاعين؛ وأمرهم أن يخففوا عنه من ضربيته. وأختلف في اسم أبي طيبة، فقيل: دينار، وقيل: نافع، وقيل: ميسرة، وهو مولى بني حارثة. وعن جابر بن عبد الله قال: أخرج إلينا أبو طيبة المحاجم لثمان عشرة من شهر رمضان نهارًا، فقلت: أين كنت؟ قال: كنت عند رسول الله ﷺ أحجمه. وعن أنس قال: أحتجم رسول الله ﷺ، حجمه أبو طيبة مولى كان لبعض الأنصار، فأعطاه صاعين من طعام، وكلم أهله أن يخففوا عنه من ضربيته، وقال: «الحجامة من أفضل دوائكم». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أحتجم رسول الله ﷺ وهو صائم، فغشي عليه يومئذ، فلذلك: كرهت الحجامة للصائم. وعن سمرة بن جندب قال: كنت عند رسول الله ﷺ فدعا حجامه فحجمه بمحاجم من قرون، وجعل يشرطه بطرف شفرة، فدخل أعرابي فراه ولم يكن يدري الحجامة، ففزع وقال: يا رسول الله، علام تعطي هذا يقطع جلدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «هذا الحجم» قال: يا رسول الله، وما الحجم؟ قال: «هو خير ما تداوى به الناس. وعن عطاء وأبن عباس رضي الله عنهما قال: أحتجم رسول الله ﷺ وهو مُحْرَمٌ من وَجَع. وعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يحتجم ثلاثًا، على الأُخْدَعَيْنِ^(١) ثُتَيْنِ، وعلى الكاهِلِ^(٢) واحدة. وعن سعد بن أبي وقاص: أنه وضع يده على المكان النائيء من الرأس فوق اليافوخ، فقال: هذا موضع مَحْجَمِ رسول الله ﷺ الذي كان يحتجم، وجاء أن رسول الله ﷺ كان يسميها المغيثة. وكان خالد بن الوليد يحتجم على هامته وبين كتفيه، فقيل له: ما هذه الحجامة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ كان يحتجمها، وقال: «من أهرق منه هذه الدماء فلا يضره ألا يتداوى بشيء لشيء». وروي: أن الأقرع بن حابس دخل على النبي ﷺ وهو يحتجم في القَمَحْدَوَةِ: وهي آخر الرأس، فقال: لِمَ أحتجمت وسط رأسك؟ قال: «يا بن حابس إن فيها شفاء من وجع الرأس والأضراس والنعاس والمرض» وشك الراوي في الجنون. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجامة في الرأس هي المغيثة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية». وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلة أسري بي ما مررت بملا من الملائكة إلا قالوا يا محمد مُرْ أمتك بالحجامة». وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة في الشهر دواء لداء السنة». وقد

(١) الأُخْدَعَانِ: عرقان في جانبي العنق. (٢) الكاهِل: ما بين الكتفين.

كان ﷺ يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين. وعن الأوزاعي، عن هارون بن رثاب: أن رسول الله ﷺ أحتجم، ثم قال لرجل: «أدفنه لا يبحث عنه كلب».

ذكر ما ملكه رسول الله ﷺ من السلاح

كان لرسول الله ﷺ تسعة أسياف: ذو الفقار تَنَقَّلَهُ^(١) يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا في غزوة أحد، وكان قبل رسول الله ﷺ لِمُنَبِّه بن الحجاج السهمي، وثلاثة أسياف، أصابها من سلاح بني قَيْنُقَاع، سيف قَلْعِي^(٢)، وسيف يُدْعَى البَتَّار، وسيف يُدْعَى الْحَتَف، وسيفان أصابهما من الفُلُس^(٣)، سيف يُدْعَى المِخْذَم^(٤)، وآخر يُدْعَى الرُّسُوب^(٥)، وسيف ورثه من أبيه، وسيف يقال له العَضْب^(٦)، أعطاه إياه سعد بن عُبَادَة، وآخر يُدْعَى الْقَضِيب^(٧)، وهو: أول سيف تَقَلَّدَ به رسول الله ﷺ، قال أنس: كان نَعْل^(٨) سيف رسول الله ﷺ فِضَّة، وَقَبِيعَتُهُ^(٩) فِضَّة، وما بين ذلك حَلَقُ الفِضَّة.

وكان له ﷺ أربعة أرماح، ثلاثة أصابها من سلاح بني قَيْنُقَاع، وواحد يقال لها الْمُثْنِي. وكان له عَنَزَة: وهي حَرْبَة دون الرَّمْح يمشي بها في يده، وتحمل بين يديه في العيدين، حتى تُرَكِّز أمامه فيتخذها سترة يصلي إليها. وكان له أربعة قِسي: قَوْس من شَوْحَط^(١٠) تدعى الرُّوْحَاء، وأخرى من شَوْحَط تدعى البَيْضَاء، وأخرى من نَبْع^(١١) تُدْعَى الصَّفْرَاء، وقوس تُدْعَى الكَتُوم^(١٢) كُسِرَتْ يوم بدر. وكان له جَعْبَة تدعى الكافور، وكان له مِخْصَرَة^(١٣) تسمى العُرْجُون، وكان له مِخْجَن^(١٤) قدر الذراع

(١) التنفلة: من النفل وهو الغنيمة.

(٢) القلعي: نسبت إلى القلع، وهي قلعة بالبادية بالقرب من حلوان بطريق همدان.

(٣) الفلُس: صنم لطيء.

(٤) المِخْذَم: المقطع.

(٥) الرسوب: من الرسب، وهو الذهاب إلى أسفل لأن ضربته تغوص في المضروب به.

(٦) العَضْب: القاطع.

(٧) القَضِيب: يراد به اللطيف من السيوف.

(٨) نعل السيف: حديدة في أسفل جفنه.

(٩) قبعة السيف: هي التي تكون على رأس قائم السيف.

(١٠) شَوْحَط: شجر جبلي تتخذ منه القسي.

(١١) النبع: شجر يتخذ منه الرماح والسهام.

(١٢) الكتوم: سميت بذلك لانخفاض صوتها إذا رمي عنها.

(١٣) المِخْصَرَة: ما يختصره بيده، فيمسكه من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب، قد يتوكأ عليه.

(١٤) المِخْجَن: عصا معوجة.

أو نحوه يتناول به الشيء، وهو الذي أستلم به الركن في حجة الوداع، وكان له دِرْعَان أصابهما من سلاح بني قَيْنُقَاع: دِرْع يقال لها السَّغْدِيَّة^(١)، وأخرى يقال لها فِضَّة. وعن محمد بن مَسْلَمَةَ قال: رأيت على رسول الله ﷺ يوم أحد درعين، درعه ذات الفضول، ودرعه فِضَّة، ورأيت عليه يوم حُتَيْن دِرْعَيْن، ذات الفضول والسَّغْدِيَّة، ويقال: كانت عنده دِرْع داود عليه السلام التي لبسها لما قتل جَالُوتَ، وكان له مِغْفَر يقال له السَّبُوغ^(٢)، وكان له ﷺ تُرْس؛ روى محمد بن سعد في طبقاته قال: أخبرنا عَتَاب بن زياد، قال حَدَّثَنَا عبد الله بن المبارك، قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال سمعت مَكْحُولاً يقول: كان لرسول الله ﷺ تُرْسٌ فيه تِمثال رأس كَبْشٍ، فكره رسول الله ﷺ مكانه، فأصبح وقد أذهب الله تعالى. وفي رواية أخرى: كان له ﷺ تُرْسٌ عليه تِمثال عُقَابٍ، أَهْدِي له فوضع يده عليه فأذهب الله، وكان له مِنْطَقَةٌ^(٣) من أديم مَبْشُور^(٤) فيها ثلاث حِلَق من فِضَّة، والإِبْرِيم^(٥) من فِضَّة، والطَّرْف من فِضَّة، وكان له راية سوداء مُخَمَلَةٌ، يقال لها العُقَاب، ولواء أبيض وربما جعل الألوية من خُمُر نسائه ﷺ، ورضي عنهن.

ذكر دَوَابِّ رسول الله ﷺ

من الخيل والبغال والحمير

أما خيله ﷺ، فقد ذكرنا في الباب الأول من القسم الثالث من القرن الثالث من كتابنا هذا، وهو في السفر التاسع من هذه النسخة، أن خيل رسول الله ﷺ التي ملكها، على ما ظهر من مجموع الروايات التي أوردناها هناك تسعة عشر فرساً: وهي السَّكَب^(٦)، والمُرْتَجِز^(٧)، والبحر^(٨)، وسَبْحَة^(٩)، وذو اللِّمَّة^(١٠)، وذو العقال^(١١)،

(١) السعدية: نسبة إلى جبال سعد.

(٢) السبوغ: أي السابغ، وهو الطويل.

(٣) المنطقة: ما يشد به الوسط.

(٤) المَبْشُور: المقشور.

(٥) الإبريم: الذي في رأس المنطقة وما أشبهه.

(٦) السكب: الصب، سمي بذلك لسرعته في الجري.

(٧) المرتجز: سمي بذلك لحسن صهيله.

(٨) البحر: سمي بذلك لقوله ﷺ له: «ما أنت إلا بحر»، لسرعته.

(٩) السبحة: أي السابح، وهو الفرس إذا كان حسن مد اليدين في الجري.

(١٠) ذو اللمة: سمي بذلك لوفرة شعره.

(١١) ذو العقال: سمي بذلك لظلع في قوائمه. والظلع: العرج اليسير.

وَاللَّخِيفُ^(١)، ويقال فيه: اللَّخِيفُ بالخاء المعجمة، وقيل: اللَّخِيفُ بالنون، وَاللِّزَازُ^(٢)، وَالظَّرِبُ^(٣)، وَالْوَزْدُ^(٤)، وَالسَّجَلُ^(٥)، وَالشَّحَا^(٦)، وَالسَّرْحَانُ^(٧)، وَالْمُرْتَجِلُ^(٨)، وَالْأَذْهَمُ^(٩)، وَمُلَاوِحُ^(١٠)، وَالْعَيْسُوبُ، وَالْيَغْبُوبُ^(١١)، وَالْمِرْوَاحُ^(١٢)، وقد يكون الْأَذْهَمُ هو السَّكْبُ أو الْبَحْرُ، فتكون ثمانية عشر فرسًا.

وذكرنا هناك أخبار هذه الخيل ومن ذكرها. وذهب بعضهم إلى أن خيله ﷺ كانت عشرة أفراس: السَّكْبُ، وَالْمُرْتَجِزُ، وَلِزَازُ، وَاللَّخِيفُ، وَالظَّرِبُ، وَالْوَزْدُ، وَالضَّرِسُ، وَمُلَاوِحُ، وَسَبْحَةُ، وَالْبَحْرُ، ولم يذكر ما عداها، والله عز وجل أعلم.

وأما بغلات رسول الله ﷺ وحُمُرُه فقد ذكرنا أيضًا في الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في السفر التاسع من كتابنا هذا، أن بغلات رسول الله ﷺ اللاتي ملكهن كُنَّ سبعة، على ما ظهر من مجموع الروايات التي ذكرناها هناك، وهنَّ دُلْدُلُ التي أهداها له الْمُقَوْقِسُ، وَفِضَّةُ التي أهداها له فَرْوَةُ بن عمرو، وبغلة أهداها له كِسْرَى، وبغلته الْأَيْلِيَّةُ التي أهداها له أَبْنُ الْعَلَمَاءِ صاحب أَيْلَةَ، وبغلة بعثها له صاحب دُومَةِ الْجَنْدَلِ، وبغلة أهداها له يُوحَنَّا بن روزيه، وبغلة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة، وفي الْبَغْلَةِ التي ذكر أن كِسْرَى أهداها له ﷺ نظر، لما قدمناه من أنه مَزَقَ كتاب رسول الله ﷺ ولم يجبه. ومن أهل العلم من ذهب إلا أنهنَّ كنَّ ثلاثة: دُلْدُلُ التي أهداها له المقوقس، وفضة وهبها لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبغلة أهداها له صاحب أَيْلَةَ. وكان له ﷺ من الْحُمُرِ: يَغْفُورُ، وَعُفَيْرُ، وقد ذكرناهما في الباب المقدم ذكره في السفر التاسع.

(١) اللخيف: سمي بذلك لسمنه وكبره. (٢) اللزاز: المجتمع الخلق.

(٣) الظرب: سمي بذلك لقوته وصلابة حافره.

(٤) الورد: لون بين الكميث والأشقر.

(٥) السجل: مأخوذ من سجلت الماء إذا صببته.

(٦) الشحا: البعيد الخطوة. (٧) السرحان: الذئب.

(٨) المرتجل: الذي يخلط بين تباعد خطاه وتوسع جريه، وبين تقاربها وسرعته.

(٩) الأذهم: الأسود.

(١٠) الملاوح: العظيم الألواح، أو السريع العطش.

(١١) اليعبوب: الفرس الجواد.

(١٢) المرواح: مشتق من الرواح لتوسعه في الجري.

ذكر نعم رسول الله ﷺ

كان لرسول الله ﷺ عشرون لَفْحَةً^(١) بالغابة، يراح له منها كل ليلة بقرْبَتَيْنِ عظيمتين من اللّبن، وكانت له لقحة تُدعى بُرْدَةً، أهداها له الضحّاكُ بن سفيان، كانت تُحْلَبُ كما تُحْلَبُ لقحتان غَزِيرَتان، وكانت له مَهْرِيَّةُ أرسلها إليه سعد بن عُبَادَةَ من نَعَمِ بني عُقَيْل، وكانت له الْقَصْوَاءُ^(٢)، وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الْوَحْيُ غيرها، وهي الْعَضْبَاءُ^(٣)، والجَدْعَاءُ^(٤)، وقيل: الْعَضْبَاءُ غير الْقَصْوَاءُ، وقد ذكرنا في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثالث نَعْمَهُ بأبسط من هذا.

وكان له ﷺ مائة من النِّعَم. وكانت له سِنْعُ مَنَائِحٍ^(٥): عَجْرَةٌ، وَزَمْزَمٌ، وَسُقْيَا، وَبَرَكَةٌ، وَوَرِشَةٌ، وَأَطْلَالٌ، وَأَطْرَافٌ، وكانت أُمُّ أَيْمَنَ ترعاهنَّ، وكانت له شاةٌ يَخْتَصُّ بِشَرَبِ لَبْنِهَا، تدعى غَيْثَةً، وكان له دِيكٌ أبيض، هذا ما أمكن إيرادَه في هذه الفصول، وهو بحسب الاختصار.

وقد آن أن نأخذ في ذكر مُعْجَزَاتِهِ ﷺ، وإنما أخرجنا ذكر المعجزات إلى هذه الغاية لأُمُور: منها أن معجزاته ﷺ كانت في مدة حياته، تقع خلال غزواته، وغالب أوقاته، فلو ذكرناها قبل نهاية ذكر أحواله ﷺ، لكنّا قد قدّمنا منها شيئاً قبل وقته الذي وقع فيه. ومنها أنّنا لما ذكرنا صفاته ﷺ فيما تقدّم، استلزم إيراد أحواله يتلو صفاته، وصار الكلام يتلو بعضه بعضاً، ولو ذكرنا المعجزات في خلال ذلك لأنقطع الكلام وأنفَرط النظام، وأهمّ الأسباب في تأخير ذكر المعجزات إلى هذه الغاية، أنّنا أردنا أن تكون معجزاته ﷺ خاتمةً لهذه السيرة الشريفة، وتالية لهذه المناقب المنيقة لا يجعل بعدها من أخباره ﷺ إلا أخبار وفاته عليه السلام.

ذكر معجزات رسول الله ﷺ

ومعنى المعجزة أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها، ولا تكون معجزة إلا مع وجود التّحدي بالنبوة، وأما مع عدم التّحدي فهي كرامة، كأحوال الأولياء.

(١) اللقحة: الناقة القريبة العهد بالتّاج. (٢) القصواء: التي قطع طرف أذنّها.

(٣) العضباء: المشقوقة الأذنين أو مقطوعتهما.

(٤) الجدعاء: المقطوعة الأنف أو الأذن أو الشفة.

(٥) المنائح: واحدها منيحة، وهي الشاة التي تعار للبنها.

والمعجزة على ضربين: ضَرْبٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عن الإتيان بمثله؛ كالقرآن على رأي من رأى أن من قدرة البشر أن يأتوا بمثله، ولكن الله تعالى صَرَفَهُم عن ذلك، فعجزوا عنه، وكصرف يَهُود عن تمثلي الموت، ونحو ذلك. وضَرْب هو خارج عن قدرة البشر كإحياء الموتى، وتسبيح الحصى، وأنشقاق القمر، وتبع الماء من بين الأصابع، وتكثير الطعام، وحبس الشمس، وردها بعد غروبها.

وها نحن نورد في هذا الفصل من مشاهير معجزاته، وباهر آياته، ما تقف إن شاء الله تعالى عليه، وقد تقدم من معجزاته ﷺ في أثناء هذه السيرة ما تقدم، مما ننبه عليه في هذا الفصل، ونحيل عليه في مواضعه، ونشرح ونبين ما أذمجنه قبل إن شاء الله تعالى.

ومعجزاته ﷺ كثيرة: منها القرآن العظيم، وهو أكبرها آية، وأعظمها دلالة على صدق نبوته ﷺ، ومنها أنشقاق القمر، وحبس الشمس، وردها، وتفجير الماء وأنبعائه وتبعه من بين أصابعه وتكثير الطعام، وكلام الشجر، وسغيها إليه، وحنين الجذع، وتسبيح الطعام والحصى، وكلام الجمادات، وشهادة الحيوانات له ﷺ بالنبوة، وكلام الموتى، وإبراء المرضى، وإجابة الدعاء، وأنقلاب الأعيان، وما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيوب، والإخبار بما كان ويكون، وما جمع له من المعارف والعلوم ومصالح الدنيا والدين، وسياسة العالم، والعظمة من الناس، وغير ذلك مما نشرحه ونبيته إن شاء الله تعالى.

فأما القرآن العظيم وما أنطوى عليه من المعجزات، فمعجزاته كثيرة نحصرها في عشرة أوجه:

الوجه الأول: حُسن تأليفه والتيتام كليمه وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم خُصّوا من البلاغة والحكم ما لم يُخصّ به غيرهم من الأمم، وحسبك أن القرآن أنزل بلغتهم، ومع ذلك فقد قرعهم رسول الله ﷺ به، ووبّخهم وسقّه أحلامهم، وسبّ آلهتهم، وذمّ آبائهم، وشتت نظامهم، وفرّق جماعتهم، وأنزل الله تعالى فيهم ما أنزل من قوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٧٨] [يونس: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٢٣] [البقرة: ٢٣ و٢٤] وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [٨٨] [الإسراء: ٨٨] وغير ذلك، فنكصوا عن معارضته،

وأخجموا عن مماثلته، ورَضُوا بقولهم: ﴿قُلُونَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨] و﴿فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ فِيءِ آذَانِنَا وَقُرْ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ جِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] و﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. وأُعترف فصحاؤهم عند سماعه أنه ليس من كلام البشر؛ كالوليد بن المُغيرة وعُتْبة بن ربيعة، على ما قدّمنا ذكر ذلك.

الوجه الثاني من إعجازه: صورة نظمه العجيب، المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها، وسنجمها ورجزها وهزجها وقريضها، ومبسوطها^(١) ومقبوضها^(٢)، كما قال الوليد بن المغيرة لقريش عند اجتماعهم كما قدمناه، ومن ذلك جمعه بين الدليل والمدلول، وذلك أنه احتج بنظم القرآن، وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعدته ووعدته، فالتالي له يفهم موضع الحجّة والتكليف معاً من كلام واحد.

الوجه الثالث من إعجازه: ما أنطوى عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوجد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقوله في الروم: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]. وقوله: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُفَرُوا﴾ [التوبة: ٣٣]. وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] الآية. وقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] السورة، فكان جميع ذلك: فتح الله مكة، وغلبت الروم فارس، وأظهر الله رسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكن دينهم وملّكهم أقصى المشارق والمغارب، وما فيه من الإخبار بحال المنافقين واليهود، وكشف أسرارهم، وغير ذلك.

الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة والشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا من مارس العلوم من أهل الكتاب، وأطلع على الكتب المنزلة القديمة، كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر وذو القرنين ولقمان وأبنيه وبدء الخلق، وغير ذلك مما في كتبهم القديمة مما أُعترف بصحته العلماء من أحبار يهود، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدّ عنه مع عدم إنكارهم لصحته، قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥].

(١) مبسوطها: مطولات قصائدها.

(٢) مقبوضها: مختصر أوزانها.

الوجه الخامس: الرزعة التي تلحق قلوب سامعيه، وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التي تعتر بهم عند تلاوته؛ قال الله عز وجل: ﴿نَفْسَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] هذا في حق المؤمنين به، وأما من كذب به فكانوا يستثقلون سماعه، ويودون أنقطاعه؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: «القرآن صعب مُستصعب على من كرهه، وهو الحَكَم» وقد تقدم أن عتبة بن ربيعة لما سمع القرآن من رسول الله ﷺ وبلغ قوله: ﴿صَبَقَةً مِّثْلَ صَبَقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] أمسك على في النبي ﷺ وناشده الرِّجَم أن يكف.

الوجه السادس: كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا، وقد تكفل الله تعالى بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] وسائر معجزات الأنبياء أنقضت بانقضاء أوقاتها، فلم يبق إلا خبرها، والقرآن العزيز باق منذ أنزله الله تعالى وإلى وقتنا هذا، وما بعده إن شاء الله إلى آخر الدهر، حجته قاهرة، ومعارضته ممتنعة.

الوجه السابع: أن قارئه لا يملُ قراءته، وسامعه لا تمُجُه مسامعه، بل الإكباب على تلاوته وتزديده يزيده حلاوة ومحبة، لا يزال غصًا طريًا، وغيره من الكلام ولو بلغ ما عساه أن يبلغ من البلاغة والفصاحة يملُ مع التردد، ويسأم إذا أعيد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك، وقد وصف رسول الله ﷺ القرآن «أنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه، هو الفصل ليس بالهزل».

الوجه الثامن: أن الله تعالى يسر حفظه لمتعلميه، وقربه على متحفظيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] فلذلك إن سائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منها، وإن لازم قراءتها، وداوم مدارسها، لم يسمع بذلك عن أحد منهم، والقرآن قد يسر الله تعالى حفظه على الغلمان في المدة القريبة والنسوان، وقد رأينا من حفظه على كبر سنه، وهذا من معجزاته.

الوجه التاسع: مشاكلة بعض أجزائه بعضًا، وحسن ائتلاف أنواعها، واليتام أقسامها، وحسن التخلص من قصة إلى أخرى، والخروج من باب إلى غيره على اختلاف معانيه، وأنقسام السورة الواحدة على أمر ونهي، وخبر وأستخبار ووعد ووعيد، وإثبات نبوة وتوحيد، وتقدير وترغيب وترهيب، إلى غير ذلك، دون خلل

يتخلل فصوله، والكلام الفصيح إذا أعتوره مثل هذا ضعفت قوته، ولأنث جزأته، وقُلْ رَوْنَقُهُ، وَتَقَلَّقَتْ^(١) ألفاظه، وهذا من الأمور الظاهرة التي لا يحتاج عليها إقامة دليل، ولا تقرير حجة، ولا بسط مقال.

الوجه العاشر: وجمعه لعلوم ومعارف لم تعهدها العرب، ولا علماء أهل الكتاب، ولا أشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع، والتنبيه على طرق الحجج العقلية، والرد على فرق الأمم بالبراهين الواضحة، والأدلة البينة السهلة الألفاظ، الموجزة المقاصد؛ لقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] إلى غير ذلك مما أشتمل عليه من المواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة، ومحاسن الآداب، وغير ذلك مما لا يحصيه واصف، ولا يعده عاد، قال الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الزمر: ٢٧] وقال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل علي القرآن أمراً وزاجراً، وستة خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلج^(٢) ومن قسم به أقسط^(٣)، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله، هو الذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاء النافع، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ أَتَبَعَهُ، لَا يَفْجُجُ فَيَقُومَ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ». وفي الحديث: «قال الله تعالى لمحمد ﷺ: إني منزل عليك توراة حديثة تفتح بها أغنيا غمياً وأذاña صُمًا، وقلوباً غُلْفًا، وفيها ينابيع العلم، وفهم الحكمة، وربيع القلوب». وقد عدوا في إعجازه وجوها كثيرة غير ما ذكرناه فلا نطول بسردها.

وأما أنشقاق القمر، وحبس الشمس ورجوعها، فكان ذلك من معجزات رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ وَأَشَقَّ الْقَمَرَ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر: ١ و ٢]. وقد رويت قصة أنشقاق القمر عن ابن

(١) تقلقت: تحركت.

(٢) فلج: غلب من خاصمه.

(٣) أقسط: عدل.

مسعود، وأنس بن مالك، وأبن عباس، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وحذيفة، وجبير بن مطعم رضي الله عنهم، قال ابن مسعود: أنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «أشهدوا» قال ابن مسعود: حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر، وفي بعض طرقه: ومن رواية مسروق عنه أنه كان بمكة، وزاد: فقال كفار قريش سخركم ابن أبي كبشة، فقال رجل منهم: إن محمداً إن كان قد سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرض كلها، فأسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا؟ فأتوا فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك. وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه. وقال: فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى ينظروا رأوا ذلك أم لا؟ فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه منشقاً، فقالوا - يعني الكفار -: هذا سحر مستمر. وقال علي رضي الله عنه، من رواية أبي حذيفة الأرحبي: أنشق القمر، ونحن مع النبي ﷺ. وعن أنس: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم أنشقاق القمر مرتين، حتى رأوا جِراءَ بينهما، وفي رواية مَعْمَر، وغيره عن قتادة عنه: أراهم القمر مرتين أنشقاقه، فنزلت الآية: ﴿أَفَرَأَيْتِ السَّاعَةَ أَنشَقَّ الْقَمَرُ ۖ﴾. وحكى الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الحليمي الجرجاني^(١) في منهاجه قال: رأيت ببخارى الهلال وهو ابن ليلتين منشقاً بنصفين، عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس، وما زلت أنظر إليهما حتى أتصلا، ثم لم يعودا كما كانا، ولكنهما صارا في شكل أترجة^(٢)، ولم أمل طرفي عنهما إلى أن غاب، قال: وكان معي ليلتئذ جماعة كشيعة، من بين شريف وفقه وكاتب وغيرهم من طبقات الناس، وكل رأى ما رأيت. قال: وأخبرني من وثقت به، وكان خبره عندي كمياني أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقاً بنصفين، قال: وإذا كان هكذا، ظهر أن قول الله عز وجل: ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] إنما هو على الأنشقاق الذي هو من أشراط الساعة، دون الأنشقاق الذي جعله الله تعالى آية لرسوله ﷺ، وحجة على أهل مكة. وبالله التوفيق.

(١) الجرجاني هذا شافعي المذهب، رحل إلى بخارى وكتب الحديث عن أبي سهل محمد بن أحمد بن يوسف وغيره، وتفقه على أبي بكر الأودي وأبي بكر القفال، ثم صار إماماً معظمًا وحدث بنيسابور. كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٤٠٣ هجرية.

(٢) الأترجة: ثمرة الأترج، وهو شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء.

وأما رجوع الشمس: فقد روي عن أسماء بنت عميس أن النبي ﷺ كان يُوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصليت يا علي؟» قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصفهاء في خيبر. خرجه الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء من طريقين، قال وكان أحمد بن صالح يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء؛ لأنه من علامات النبوة.

وأما حبسها: فقد روى يونس بن بكير في زيادة المغازي عن ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما أسري به، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متى تجيء؟ قال: «يوم الأربعاء» فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون، وقد ولى النهار ولم يجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس ﷺ.

وأما نَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ

فقد روي عن أنس بن مالك، وجابر، وعبد الله بن مسعود؛ قال أنس من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: رأيت رسول الله ﷺ، وقد حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء^(١) فلم يجدوه، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء^(٢)، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم. ورواه أيضاً عن أنس قَتَادَةُ، وقال: بإناء فيه ماء ما يغمر أصابعه، ولا يكاد يغمر، قال: كم كنتم؟ قال: زهاء ثلثمائة، وفي رواية عنه: وهم بالزُّوراء عند السوق. وأما ابن مسعود، ففي الصحيح عنه من رواية عَلْقَمَةَ: بينما نحن مع رسول الله ﷺ، وليس معنا ماء، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أطلبوا من معه فضل ماء» فأتي بإناء فصبه في إناء، ثم وضع كفه فيه، فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ. وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: «عطش الناس يوم الحُدَيْبِيَّة، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ^(٣) فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء، إلا ما في رَكْوَتِكَ، فوضع النبي ﷺ يده في الرَكْوَةِ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، وفيه:

(١) الوضوء: الماء الذي يتوضأ به. (٢) بوضوء: أي بإناء وضوء.

(٣) الرَكْوَةُ: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

فقلت كم كنتم؟ قالوا: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة. وفي صحيح مسلم في ذكر غزوة بواط^(١)، قال جابر قال لي رسول الله ﷺ: «يا جابر ناد الوضوء» وذكر الحديث بطوله: وأنه لم يحد إلا قطرة في عزلاء^(٢) شخب^(٣)، فأتي به النبي ﷺ فغمزه، وتكلم بشيء لا أدري ما هو، وقال: «نادِ بِجَفْنَةٍ^(٤) الركب» فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة، وفرق أصابعه، وصب جابر عليه، وقال: «بسم الله» قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة، وأستدارت حتى أمتلأت، وأمر الناس بالأسقاء فاستقوا حتى رؤوا، فقلت: هل بقي أحد له حاجة؛ فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي مملوءة. هذا مختصر ما روي من تفجير الماء من بين أصابعه ﷺ.

وأما تفجيرهُ وأنبعائه وتكثيره ببركته ودعائه ﷺ

فمن ذلك ما رواه مالك بن أنس رحمه الله في الموطأ، عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك، وأنهم وردوا العين^(٥)، وهي تبض^(٦) بشيء من ماء مثل الشراك^(٧)، فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شيء، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه، وأعادته فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس. وفي حديث ابن إسحاق: «فأنخرق^(٨) من الماء ما له حسٌ كحسِّ الصواعق، ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً». ومنه قصة الحُدَيْبِيَّة، وقد تقدّم ذكرها في الغزوات. ومن ذلك خبر صاحبة المزداتين، وهو مما روي عن عمران بن حصين، قال: أصاب النبي ﷺ وأصحابه عطشٌ في بعض أسفارهم، فوجّه رجلين من أصحابه، وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا، معها بعير عليه مزادتان، الحديث. فوجداها وأتيا بها النبي ﷺ، فجعل في إناء من مزادتها، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزداتين، ثم فتحت عزاليهما^(٩)، وأمر الناس فملاؤا أسقيتهم حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملأوه، قال عمران: ويخيل لي أنهما لم تزدادا إلا

(١) بواط: جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة.

(٢) العزلاء: فم المزايدة.

(٣) الشخب: السقاء الذي قد أخلق وبلي وصار شتاً.

(٤) جفنة: يراد بها على سبيل المجاز الذي يطعمهم ويشبعهم.

(٥) العين: المراد عين بتبوك. (٦) تبض: أي تقطر وتسيل.

(٧) الشراك: سير النعل. (٨) انخرق: انفجر.

(٩) عزاليهما: مثنى عزلاء، وقد تقدم تفسيرها.

أمتلاء، ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد حتى ملأ ثوبها، وقال: «أذهبي فإننا لم نأخذ من مائك شيئاً ولكن الله سقانا». وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال للنبي ﷺ وهو رديفه بذِي المَجَاز: عطشت وليس عندي ماء، فنزل النبي ﷺ وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال: «أشرب». وعن سلمة بن الأكوع؛ قال نبي الله ﷺ: «هل من وضوء؟» فجاء رجل بإداوة^(١) فيها نُطْفَةٌ^(٢) فأفرغها في قدح فتوضأنا كلنا، ندغفقه^(٣) دَغْفَقَةً أربع عشرة مائة. وفي حديث غزوة تبوك، وما أصاب الناس من العطش، ودعا رسول الله ﷺ، وأن الله تعالى أرسل سحابة فأمطرت حتى أرتوى الناس، وأختملوا حاجتهم من الماء، وقد تقدّم ذكره. ومن طريق آخر في هذه القصة عن عمر: وذكر ما أصابهم من العطش في جيش العُسرة، حتى إن الرجل لينحر بغيره فيعصر فرثه فيشربه، فرغب أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت^(٤) السماء، فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية، ولم يجاوز العسكر. والحديث في هذا الباب كثير.

وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ

فقد رَوَيْنَا من ذلك أحاديث كثيرة بأسانيد صحيحة متصلة، رأينا حذفها هاهنا اختصاراً لأشتهارها وانتشارها، منها ما رويناه عن جابر رضي الله عنه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شَطْرَ وَسْقٍ شعير، فما زال يأكل منه وأمرأته وضيفه حتى كآله^(٥)، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه وقام بكم». ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعام رسول الله ﷺ ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده - أي إِنْطَه - فأمر بها ففُتَّتْ، وقال فيها ما شاء الله أن يقول. وحديث جابر رضي الله عنه في إطعام رسول الله ﷺ يوم الحَنْدَق ألف رجل من صاع شعير، وعَنَاقٍ^(٦)، قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وأنحرفوا، وإن بُرْمَتْنَا^(٧) لَتَغُطَّ^(٨) كما هي، وإن عجبتنا لِيُخْبِرَ، وكان رسول الله ﷺ بصق في العجين والبرمة وبارك. ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري: أنه صنع لرسول الله ﷺ

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالمزادة ونحوها.

(٢) النطفة: القليل من الماء. (٣) الدغفقة: الصب الشديد.

(٤) قالت السماء: غيمت وظهر فيها سحب. (٥) كآله: قاسه.

(٦) عناق: أنثى المعز لم يتم لها سنة. (٧) البرمة: القدر من الحجارة.

(٨) تغط: تغلي.

ولأبي بكر رضي الله عنه من الطعام زهاء ما يكفيهما، فقال له النبي ﷺ: «أدع ثلاثين من أشراف الأنصار» فدعاهم فأكلوا حتى تركوه، ثم قال: «أدع ستين» فكان مثل ذلك، ثم قال: «أدع سبعين» فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وباب، قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً. وعن سُمرة بن جندب قال: أتى النبي ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقبوا من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون. ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وذكر في الحديث: عُجِن صَاعٌ من طعام، وصُنِعت شاة فَشُوي سَوَادٌ^(١) بطنها، قال: وأيُّمُ الله ما من الثلاثين والمائة إلا وقد حُزَّ له حَزَّةٌ من سواد بطنها، ثم جُعِلَ منها قَصْعَتَانِ فأكلنا أجمعون، وفضل في القصعتين فحملته على البعير. ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب، وأبي هريرة وسَلَمَةُ بن الأكوع رضي الله عنهم، فذكروا مَخْمَصَةً^(٢) أصابت الناس مع النبي ﷺ في بعض مغازيه، فدعا ببقية الأزواد، فجاء الرجل بالحِثْيَةِ من الطعام وفوق ذلك، وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر، فجمعه على نِطْعٍ، قال سَلَمَةُ: فحزرتَه كِرْبُضَةُ البعير، ثم دعا الناس بأوعيتهم، فما بقي في الجيش وعاءٌ إلا ملأوه وبقي منه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أدعو له أهل الصُّفَّة فتبعتهم حتى جمعتهم، فوُضِعَتْ بين أيدينا صَحْفَةٌ فأكلنا ما شئنا وفرغنا، وهي مثلها حين وُضِعَتْ، إلا أن فيها أثر الأصابع. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين، منهم قوم يأكلون الجَذْعَةَ^(٣) ويشربون الفَرْقَ^(٤) فصنع لهم مُدًّا من طعام، فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو، ثم دعا بَعْسُ^(٥) فشربوا حتى رَوُوا وبقي كأنه لم يشرب. وقال أنس بن مالك: إن النبي ﷺ لما أبتنى بزينب أمره أن يدعو له قومًا سَمَاهُم، وكل من لقيت حتى أمتلأ البيت والحُجْرَةُ، وقَدِمَ إليهم تَوْرًا فيه قدر مَدٍّ من تمر جُعِلَ حَيْسًا^(٦)، فوضعه قَدَامَهُ وَغَمَسَ ثلاثَ أصابعه، وجعل القوم يتغذون ويخرجون، وبقي التور نحوًا مما كان، وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين. وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها: أن القوم كانوا زهاء ثلثمائة، وأنهم أكلوا

(١) سواد بطنها: أي الكبد.

(٢) المخمصة: اسم بمعنى المجاعة.

(٣) الجذعة من الخيل والدواب: ما استكمل ستين ودخل في الثالثة.

(٤) الفرق: مكيال يتسع ستة عشر رطلاً.

(٥) العس: القدح الكبير يروي الثلاثة والأربعة.

(٦) الحيس: خليط من تمر وسمن وأقط.

حتى شبعوا، وقال لي: «ارفع» فلا أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ. وفي حديث جعفر بن محمد عن آلِه، عن علي رضي الله عنهم أن فاطمة رضي الله عنها طبختَ قَدْرًا لَعْدَائِهَا، ووجهتَ عليًّا إلى النبي ﷺ ليتغذى معها، فأمرها فَعَرَفَتْ منها لجميع نسائه صَحْفَةً صَحْفَةً، ثم له عليه السلام ولعلي، ثم لها، ثم رفعتَ القدر، وإنها لتفيض، قالت: فأكلنا منها ما شاء الله. ومن ذلك أن رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزودَ أربعمئة راكب من أحمس، فقال: يا رسول الله، ما هي إلا أضوع، قال: «أذهب» فذهب فزودهم منه، وكان قدر الفَصِيل الزابض من التمر وبقي بحاله. ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه في دين أبيه، وقد كان بذلَ لِعُرْمَاءِ أبيه أصل ماله فلم يقبلوه، ولم يكن في ثمرها سنين كَفَافُ دينهم، فأمره النبي ﷺ بِجَذِّهَا وجعلها بَيَادِرَ^(١) في أصولها، ثم جاءه فمشى فيها ودعا، فأوفى جابر عُرْمَاءَ أبيه من ذلك، وفضل مثل ما كانوا يَجْدُونَ كل سنة. وفي رواية: مثل ما أعطاهم. قال: وكان الغرماء يهودًا فعجبوا من ذلك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أصاب الناس مَخْمَصَةٌ فقال لي رسول الله ﷺ «هل من شيء؟» قلت: نعم، شيء من التمر في المِزْوَد، قال: «فأتني به» فأتيته به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها، ودعا بالبركة، ثم قال: «أدع لي عشرة» فأكلوا حتى شبعوا، ثم عشرة كذلك، حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا، قال: «خذ ما جئت به وأدخل يدك وأقبض منه ولا تكبّه» فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمتُ منه حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، إلى أن قتل عثمان فأنْتَهَبَ مني فذهب. وفي رواية: فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله. وذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تَبُوكَ، وأن التمر كان بضع عشرة تمرة. ومنه أيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين أصابه الجوع، فاستتبعه النبي ﷺ فوجد لبنًا في قَدَحٍ قد أهدي إليه، وأمره أن يدعو أهل الصُّفَّة، قال فقلت: ما هذا اللبن فيهم! كنت أحق أن أصيب منه شَرْبَةً أَتَقَوَّى بها، فدعوتهم، وذكر أمر النبي ﷺ له أن يسقيهم، قال: فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يَزُوى، ثم يأخذ الآخر حتى رَوِيَ جميعهم، فأخذ النبي ﷺ القَدَحَ وقال: «بقيتُ أنا وأنتَ أقعد فاشرب» فشربت ثم قال: «أشرب» وما زال يقولها وأشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مَسْلَكًا، فأخذ القَدَحَ فحمِدَ الله وسمَّى وشرب الفَضْلَةَ، ﷺ.

(١) البيادر: مفردا بيدر، وهو موضع تجفيف البر ونحوه ليخلص من تبه.

وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

وأنقيادها إليه وإجابتها دعوته ﷺ

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فدنا منه أعرابي، فقال: «يا أعرابي أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» قال: من يشهد لك على ما تقول؟ قال: «هذه الشجرة السَّمرَة»^(١) وهي بشاطيء الوادي، فأقبلت تَحْدُ^(٢) الأرض حتى قامت بين يديه، فأستشهدا ثلاثاً فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها. وعن بُرَيْدة قال: سأل أعرابي النبي ﷺ آية فقال له: «قل لتلك الشجرة رسول الله ﷺ يدعوك» قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها، ثم جاءت تَحْدُ الأرض، تَجُرُّ عروقها مُغَيَّرَةً^(٣) حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ، فقالت: السَّلام عليك يا رسول الله، قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى مُنْبَتها فأسْتوت، فقال الأعرابي: إيدن لي أسجد لك، قال: «لو أمرتُ أحداً أن يسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها» قال: فأذن لي أقبل يدك ورجلك، فأذن له.

ومن ذلك ما روي في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله قال: ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين بشاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «أنقادي عليّ بإذن الله» فأنقادت معه كالبعير المخشوش^(٤) الذي يصانع قائده. وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك، حتى إذا كان بالمنصف^(٥) بينهما قال: «التثما عليّ بإذن الله» فالتأمتا. وفي رواية أخرى؛ فقال: «يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله ﷺ الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفكما» ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها، فجلس خلفهما، فخرجت أحضر^(٦)، وجلست أحدث نفسي، فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مُقْبِل والشجرتان قد أفترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، فوقف رسول الله ﷺ وقفة فقال^(٧) برأسه - هكذا - يميناً وشمالاً.

(١) السمرة: شجرة عظيمة ذات شوك من الطلح.

(٢) تَحْدُ الأرض: تشقها. (٣) مغيرة: مسرعة في مشيها.

(٤) المخشوش: الذي وضع في أنفه خشاش، وهو العود.

(٥) المنصف: وسط المكان. (٦) أحضر: أسرع في العدو.

(٧) المراد هنا أشار برأسه.

وروى أسامة بن زيد نحوه، قال: قال لي رسول الله ﷺ في بعض مغازيه: «هل؟» يعني مكاناً لحاجة رسول الله ﷺ فقلت: إن الوادي ما فيه موضع بالناس^(١)، فقال: «هل ترى من نخل أو حجارة؟» قلت: أرى نخلات متقاربات، فقال: «أنطلق وقل لهن إن رسول الله ﷺ يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله ﷺ وقل للحجارة مثل ذلك» فقلت ذلك لهن، فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صرن رُكامًا خلفهن، فلما قضى حاجته قال لي: «قل لهن يفترقن» فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عُذُن إلى مواضعهن. وعن ابن مسعود مثله في غزاة حُنين. وعن يَغْلَى بن مَرَّة - وهو ابن سَيَّابة - وذكر أشياء رآها من رسول الله ﷺ فذكر أن طُلْحَةَ - أو سَمُرَةَ - جاءت فأطافت به، ثم رجعت إلى مَنبَتِها، فقال رسول الله ﷺ: «إنها أستاذنت أن تسلم عليّ». وفي حديث ابن مسعود: أذنت النبي ﷺ بالجن ليلة أستمعوا له شجرة. وذكر أبو بكر بن فُورَك أن رسول الله ﷺ سار في غزوة الطائف ليلاً وهو وَسِينٌ، فأعترضته سَدْرَةٌ^(٢) فأنفرجت له نصفين، حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهي هناك معروفة. وقد روي في مثل ذلك أحاديث كثيرة.

ومن ذلك قِصَّةُ حَنِينِ الْجِدْعِ، والخبر بذلك مشهورٌ منتشرٌ خرَّجه أهل الصحيح، ورواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، قال جابر بن عبد الله: كان المسجد مَسْقُوفًا على جُدُوعِ نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم على جِدْعٍ منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتًا كصوت العِشَارِ^(٣)، وفي رواية أنس: حتى أُرْتَجَّ المسجد بِخَوَّاره. وفي رواية سَهْل بن سَعْد: وكثر بكاء الناس لما رأوا به. وفي رواية المطلب بن أبي وداعة: حتى تَصَدَّعَ وَأَنشَقَّ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت. وزاد غيره: فقال النبي ﷺ «إن هذا بكى لما فَقَدَ من الذُّكْرِ». وزاد غيره: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه^(٤) لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تَحْزُنًا على رسول الله ﷺ»، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن تحت المنبر. وفي حديث أبي بن كعب: فكان إذا صَلَّى النبي ﷺ صلى إليه، فلما هُدم المسجد أخذه أبي فكان عنده إلى أن أكلته الأرض وعاد رُفَاتًا. وذكر الإسفرايني: أن النبي ﷺ دعاه إلى نفسه فجاءه

(١) المراد بقوله: بالناس، أي بسبب الناس.

(٢) السدرة: جمع السدر، وهي شجر النبق.

(٣) العشار: النوق الحوامل التي بلغت عشرة أشهر لحملها، واحدتها عشراء.

(٤) التزمه: اعتنقه.

يخرق الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه. وفي حديث بُرَيْدَةَ فقال النبي ﷺ: «إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه، تنبت لك عُروُقُك، ويكتمل خَلْقُك ويُجَدِّد لك خُوص وثمره، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك»، ثم أصغى له النبي ﷺ يستمع ما يقول فقال: بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه. فسمعه من يليه، فقال النبي ﷺ: «قد فعلت - ثم قال - أختار دار البقاء على دار الفناء».

ومن معجزاته ﷺ نطق الجمادات

كتسبيح الطعام في جوفه، وتسبيح الحصى في كفه وكف من صبه في كفه من أصحابه، وسلام الجبال والأحجار والأشجار عليه، وسجودها له، وغير ذلك مما يلتحق به على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما روينا بإسناد متصل عن البخاري بسنده، عن عَلْقَمَةَ عن عبد الله قال: لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل، وفي غير هذه الرواية عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام، ونحن نسمع تسبيحه. وقال أنس بن مالك: أخذ النبي ﷺ كفاً من حصى فسبَّحَنَ في يد رسول الله ﷺ حتى سمعنا التسبيح، ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم في أيدينا فما سبحن. وروى أبو ذر مثله، وذكر أنهم سبحن في كف عمر وعثمان. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنا بمكة مع رسول الله ﷺ فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن سَمُرَةَ عنه ﷺ أنه قال: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ» قيل: إنه الحجر الأسود. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عنه ﷺ أنه قال: «لما أستقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله». وعن جابر بن عبد الله قال: لم يكن ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس بن عبد المطلب إذ أشتمل^(١) عليه النبي ﷺ وعلى بنه بملاءته فأَمَّتَتْ أُسْكُفَةً^(٢) الباب وحوائط البيت آمين آمين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رُمان وعِنَب، فأكل منه ﷺ فسبح. وعن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم فقال: «أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق

(١) اشتمل عليه: أي ضمه.

(٢) الأسكفة: عتبة الباب التي يوطأ عليها.

وشهيدان»، ومثله عن أبي هريرة في جرّاء، وزاد فيه: ومعه عليّ وطلحة والزبير، وقال: «إنما عليك نبيّ أو صديق أو شهيد»، والخبر في جرّاء أيضًا عن عثمان قال: ومعه عشرة من أصحابه أنا فيهم، وزاد عبد الرحمن وسعداء، قال: ونسيت الاثنين. وقد روي أنه ﷺ حين طلبته قريش قال له ثبير^(١): أهبط يا رسول الله، فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني الله، فقال حراء: إليّ يا رسول الله. وقد تقدّم ذكر خبر الأصنام، وسقوطها عندما أشار إليها بالقضيب، حين فتح الله تعالى مكة عليه، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا أبدًا دائمًا.

ومن معجزاته ﷺ

كلام الحيوانات وسكونها وثباتها إذا رآته؛ كقصة الداجن، وكلام الضبّ والذئب، والطائر والظئبة، وسجود الغنم والبعير، وخبر سفيّنة مولاه مع الأسد، وخبر العنز، وغير ذلك مما نوره إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك ما رويناه بسند متصل عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عندنا داجنٌ، فإذا كان عندنا رسول الله ﷺ قرّ وثبت مكانه، فلم يجيء ولم يذهب، فإذا خرج رسول الله ﷺ جاء وذهب.

ومنه ما روي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في مخفّل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبًّا فقال: من هذا؟ قالوا: نبيّ الله، فقال: واللّات والعزى لا آمنك بك أو يؤمن هذا الضبّ. وطرحه بين يدي النبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «يا ضبّ» فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعًا: لبيّك وسعديك يا زين من وافي القيامة، قال: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه، قال: «فمن أنا؟» قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين؛ وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم الأعرابي.

ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد الخدريّ قال: بينا راع يرعى غنمًا له، عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه، فأقعى الذئب وقال للراعي: ألا نتقي الله، حُلّت بيني وبين رزقي! قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؛ رسول الله بين الحرّتين

(١) ثبير: جبل على يمين الذهاب من منى إلى مكة.

يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فأتى الراعي النبي ﷺ فأخبره، فقال النبي ﷺ: «قم فحدثهم»؛ ثم قال: «صَدَق». وروى حديث الذئب عن أبي هريرة. وفي بعض الطرق عنه قال الذئب: أنت أعجب! واقفاً على غنمك، وتركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه عنده قَدَرًا، قد فُتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشَّعب فتصير في جنود الله، قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرهاها حتى ترجع، فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يقاتل، فقال له النبي ﷺ: «عد إلى غنمك تجدها بوفرها»^(١) فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها.

وروي أن أهبان بن أوس هو صاحب القصة ومكَلَّم الذئب. وروي أيضًا أن صاحب القصة سلمة بن عمرو بن الأكوع، وأنها سبب إسلامه. وحكى أبو عمر بن عبد البر في ترجمة رافع بن عُميرة الطائي أنه كلمه الذئب، وهو في ضأن له يرعاها، فدعاه إلى رسول الله ﷺ واللاحق به. قال: وزعموا أن رافع بن عميرة قال في كلام الذئب إياه: [من الوافر]

رَعَيْتُ الضَّأْنَ أَحْمِيهَا بِكَلْبِي	من الضَّبْعِ الحَفِيّ وكل ذِيبٍ ^(٢)
فَلَمَّا أَنْ سَمِعْتُ الذَّئْبَ نَادَى	يَبْشُرْنِي بِأَحْمَدَ مِنْ قَرِيبٍ
سَعَيْتُ إِلَيْهِ قَدْ شَمَّرْتُ نُؤْيِي	على السَّاقَيْنِ قاصِدةَ الرِّكِبِ ^(٣)
فَأَلْفَيْتُ النَّبِيَّ يَقُولُ قَوْلًا	صَدُوقًا لَيْسَ بِالْقَوْلِ الكَذُوبِ
يُبْشِرُنِي بِدِينِ الحَقِّ حَتَّى	تَبَيَّنَتِ الشَّرِيعَةُ لِلْمُنِيبِ ^(٤)
وَأَبْصَرْتُ الضُّيَاءَ يُضِيءُ حَوْلِي	أَمَامِي إِنْ سَعَيْتُ وَمِنْ جَنُوبِي

في أبيات آخر.

وروي ابن وهب: أن مثل هذه القصة وقع لأبي سفيان بن حرب، وصَفْوَان بن أمية مع ذئب وجداه قد أخذ ظبيًا، فدخل الظبي الحَرَمَ فأنصرف الذئب فعجبًا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان: واللآت والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنا خُلُوقًا^(٥). وقد روي أيضًا مثل هذا الخبر، وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه.

(٢) الحَفِيّ: المبالغ في الطلب.

(٤) المنيب: الراجع إلى الله.

(١) الوفر: التمام والكمال.

(٣) الركب: من يكثر الركوب ويحسنه.

(٥) المراد تركها خالية من أهلها.

وعن عباس بن مِرْدَاس السُّلَمِيّ أَنَّهُ لَمَّا تَعَجَّبَ مِنْ كَلَامِ صِنْمِهِ ضِمَارَ، وَإِنْشَادِهِ الشَّعْرَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، فَإِذَا طَائِرٌ سَقَطَ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ، أَتَعْجَبُ مِنْ كَلَامِ ضِمَارَ، وَلَا تَعْجَبُ مِنْ نَفْسِكَ؟ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ جَالِسٌ!

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَائِطٌ^(١) أَنْصَارِيٍّ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ، فَسَجَدَتْ لَهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْهَا... الْحَدِيثُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَائِطًا فَجَاءَ بَعِيرٌ فَسَجَدَ لَهُ، وَذَكَرَ مِثْلَهُ. وَمِثْلُهُ فِي الْجَمَلِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَالِكٍ، وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَيَعْلَى بْنِ مُرَّةٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: وَكَانَ لَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْحَائِطَ إِلَّا شَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ دَعَاهُ، فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ فِي الْأَرْضِ وَبَرَكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَخَطَمَهُ؛ وَقَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا عَاصِيَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ». وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ أَرَادُوا ذَبْحَهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ لَا شَتَّى كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلْفِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنْ أَسْتَعْمَلْتُمُوهُ فِي شَأْنِ الْعَمَلِ مِنْ صَغَرِهِ» فَقَالُوا: نَعَمْ. وَقَدْ رَوَى فِي قِصَّةِ الْعَضْبَاءِ وَكَلَامِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَتَعْرِيفِهَا لَهُ بِنَفْسِهَا، وَمُبَادَرَةِ الْعُشْبِ إِلَيْهَا فِي الرِّعْيِ، وَتَجَنُّبِ الْوَحُوشِ عَنْهَا، وَنَدَائِهِمْ لَهَا أَنَّكَ لِمُحَمَّدٍ، وَأَنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ بَعْدَ مَوْتِهِ حَتَّى مَاتَتْ. ذَكَرَهُ الْإِسْفَرَائِينِي. وَرَوَى أَبُو وَهْبٍ: أَنَّ حَمَامَ مَكَّةَ أَظَلَّتِ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ فَتْحِهَا، فَدَعَا لَهَا بِالْبَرَكَةِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا قِصَّةَ الْغَارِ وَخَبَرَ الْحَمَامَتَيْنِ وَالْعَنْكَبُوتِ.

وعن عبد الله بن قُرْطُ قَالَ: قُرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَدَنَاتٌ خَمْسٌ أَوْ سِتٌّ أَوْ سَبْعٌ لِيَنْخَرَهَا يَوْمَ عِيدٍ، فَأَزْدَلْفَنَ^(٢) إِلَيْهِ بِأَيْتِهِنَّ يَبْدَأُ. وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَحْرَاءٍ فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا حَاجَتُكَ؟» قَالَتْ: صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ وَلِي خِشْفَانٌ^(٣) فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَأَطْلُقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ، قَالَ: «وَتَفْعَلِينَ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَطْلُقْهَا فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ فَأَوْثَقَهَا، فَأَنْتَبَهَ الْأَعْرَابِيُّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: «تَطْلُقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ» فَأَطْلُقَهَا، فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

(١) المراد بالحائط: البستان.

(٢) ازدلفن: تقرب منه.

(٣) الخشف: ولد الظبية.

ومنه ما روي من تسخير الأسد لسفينة

مولى رسول الله ﷺ

إذ وجهه إلى مُعَاذَ الْيَمَنِ، فلقي الأسدَ فعَرَفَهُ أنه مولى رسول الله ﷺ ومعه كتابه، فَهَمَّهُمْ وَتَنَحَّى عن الطريق، وذكر في منصرفه مثل ذلك. وفي رواية أخرى عنه: أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد؛ قال فقلت: أنا مولى رسول الله ﷺ فجعل يَغْمِزُنِي^(١) بِمَنْكِبِهِ حتى أقامني على الطريق. وروي أنه ﷺ أخذ بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إضبعينه ثم خلاها، فصار لها ميسمًا، وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها. وقد روي عن إبراهيم بن حماد بسنده كلام الحمار الذي أصابه بخير، وقال له: ما أسمك قال: أسمى يزيد بن شهاب، فسماه النبي ﷺ يَعْفُورًا وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم، وأن النبي ﷺ لما مات، تَرَدَّى في بئر جَزَعًا وَحُزْنًا فمات. وخبر الناقة التي شهدت عند النبي ﷺ لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه. وخبر العنز التي أتت رسول الله ﷺ في عسكره، وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زُهَاءٌ ثَلْثُمِائَةٍ، فحلبها رسول الله ﷺ فَأَرَوَى الْجُنْدَ، ثم قال لرافع: «أملكها»^(٢) وما أراك^(٣) فربطها فوجدتها قد أنطلقت. رواه ابن قانع وغيره، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها». وقال عليه السلام لفرسه، وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره: «لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا» وجعله قِبْلَتَهُ فما حركَ غُضُوءًا حتى فرغ من صلاته ﷺ. ومن معجزاته ﷺ ما روي من كلام الأموات والأطفال وشهادتهم له بالنبوة.

فمن ذلك ما روي عن فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةٍ: أن النبي ﷺ أُتِيَ بِصَبِيٍّ قد شَبَّ لم يتكلم قط، فقال له: «من أنا؟» فقال: رسول الله. وعن مُعْرِضِ بْنِ مُعَيْقِبٍ قال: رأيت من النبي ﷺ عَجَبًا، جيء بِصَبِيٍّ يوم وُلِدَ، فذكر مثله، وهو حديث مُبَارَكِ الْيَمَامَةِ، ويعرف بحديث شاصونه أَسْمَ رَاوِيهِ، وفيه؛ فقال له النبي ﷺ: «صدقت بارك الله فيك» ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شَبَّ، فكان يسمى مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع.

وعن الحسن رضي الله عنه: أتى رجل النبي ﷺ فذكر له أنه طَرَحَ بُنْيَةً له في وادي كذا، فأنطلق معه إلى الوادي وناداهَا بِأَسْمِهَا «يا فلانة أحيي بإذن الله» فخرجت وهي تقول: لَبَّيْكَ وَسَعْدِيكَ، فقال لها: «إن أبويك قد أسلما فإن أحببت أن أردك عليهما» قالت: لا حاجة لي فيهما، وجدت الله خيرًا لي منهما.

(١) غمزه: ضغط عليه.

(٢) أملكها: أي اتخذها ملكًا لك.

(٣) وما أراك: أي لا أظنك تملكها أو تحفظها.

وعن أنس رضي الله عنه أن شاباً من الأنصار/توفي وله أم عجوز عمياء قال: فسجّيناه وعزّيناها فقالت: مات أبني؟ قلنا: نعم، قالت: اللهم إن كنت تعلم أنني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة، فلا تُحْمِلْنِي^(١) عليّ هذه المصيبة، قال: فما برحنا أن كشف الثوب عن وجهه فطعّم وطعّمنا. وروي عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس - وكان قتل باليمامة - فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، وعثمان البرّ الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميّت. وذكر عن النعمان بن بشير: أن زيد بن خارجة خرّ ميتاً في بعض أزقة المدينة، فرفع وسُجّي إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا أنصتوا، فحسّر عن وجهه، فقال: محمد رسول الله، النبيّ الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأوّل، ثم قال: صدق صدق، وذكر أبا بكر وعمر وعثمان ثم قال: السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، ثم عاد ميتاً. ومن ذلك قصة الذراع وقول رسول الله ﷺ لأصحابه: أرفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة. وقد تقدّم خبر الذراع. والله مُنْجِي المتقين ووليهم.

ومن معجزاته ﷺ إبراء المرضى وذوي العاهات، كردّ عَيْن قَتَادَةَ، وكشف بصر الضرير، وتقله ﷺ على جراحات فبرأت، وغير ذلك مما نشرحه إن شاء الله تعالى.

أما عَيْن قَتَادَةَ بن النعمان فقد روينا بإسناد متصل عن سعد بن أبي وقاص: أن قَتَادَةَ بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته، فردّها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه. وذكر الأصمعي عن أبي معشر المدني قال: أوفد أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، بديوان المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قَتَادَةَ بن النعمان، فلما قدم عليه قال له: ممن الرجل؟ قال: [من الطويل]

أنا ابن الذي سألت على الخدّ عينه فرُدّت بكفّ المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأوّل أمرها فيا حُسن ما عَيْنِيا حُسن ما رَدّ

فقال عمر بن عبد العزيز: [من البسيط]

تلك المكارم لا قُغبانٍ مِن لَبَنٍ شَيْباً بِماءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوالا^(٢)

(١) أي لا تكلفني حملها.

(٢) القعب: القدح الضخم، أو الصغير الذي يروي الرجل. شيبا: خلطا.

حكاه ابن عبد البر. وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال: يا رسول الله، أدع الله أن يكشف لي عن بصري. قال: «فأنطلق فتوضاً ثم صل ركعتين، ثم قال اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في» قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره.

وروي أن ابن ملاءب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي ﷺ، فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها، ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجباً - يرى أنه قد هزىء به - فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله. وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك - ويقال فؤيك - أن أباه أبيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً، فتفت رسول الله ﷺ في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين.

وأنته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء^(١) لا يتكلم، فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسّه به، فبرأ الغلام، وعقل عقلاً، يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاءت امرأة بآبن لها به جنون، فمسح رسول الله ﷺ صدره فتع^(٢) نعة فخرج من جوفه مثل الجزو الأسود فشفي. وكانت في كف شرجيل الجعفي سلعة^(٣)، تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة، فشكاها إلى النبي ﷺ، فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر. وسألته جارية طعاماً وهو يأكل، فناولها من بين يديه، وكانت قليلة الحياء، فقالت: إنما أريد من الذي في فيك، فناولها ما في فيه، ولم يكن يسأل شيئاً فيمنعه، فلما استقر في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها.

وأما الجراحات التي تفل عليها فبرأت فكثير

منها أنه ﷺ بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة، في يوم ذي قرد^(٤)، قال: فما ضرب^(٥) علي، ولا قاح. ومنها أن كلثوم بن الحصين رُمي يوم أحد في نحره، فبصق رسول الله ﷺ فيه فبرأ، وتفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تتمد^(٦). وتفل

(١) البلاء: عدم القدرة على الكلام. (٢) نع: قاء.

(٣) السلعة: ورم غليظ غير ملتزق باللحم يتحرك عند تحريكه، وله غلاف، ويقبل الزيادة لأنه خارج عن اللحم.

(٤) ذو قرد: موضع قرب المدينة. (٥) ما ضرب: أي ما ألمني الجرح.

(٦) لم تتمد: أي لم تصب بمدة وقبح.

في رجل زيد بن مُعَاذ حين أصابها السيف إلى الكعب حين قُتِلَ أبْنُ الْأَشْرَفِ فَبُرْتُ، وعلى ساق علي بن الْحَكَم يوم الْحَنْدَق، إذ أَنْكَسَرَتْ فَبَرِيءَ مَكَانَهُ وَمَا نَزَلَ عَنْ فَرسِهِ. وَقَطَعَ أَبُو جَهْلٌ يَدَ مَعُوذِ بْنِ عَفْرَاءَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، فَجَاءَ يَحْمِلُ يَدَهُ فَبَصَقَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَلْصَقَهَا فَلَصِقَتْ. رَوَاهُ أَبُو هُبَيْرٍ، وَمِنْ رَوَايَتِهِ: أَنَّ خُبَيْبَ بْنَ يَسَافٍ أَصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبَةٍ عَلَى عَاتِقِهِ حَتَّى مَالَ شِقُّهُ، فَردَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَفَثَ عَلَيْهِ حَتَّى صَحَّ. وَنَفَثَ عَلَى ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ يَوْمَ خَيْبَرٍ فَبُرْتُ. وَنَقَلَ فِي عَيْنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ خَيْبَرٍ وَكَانَ رَمِدًا فَأَصْبَحَ بَارِئًا. وَأَشْتَكَى عَلِيٌّ مَرَّةً فَجَعَلَ يَدْعُو، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْفِهِ أَوْ عَافِهِ» ثُمَّ ضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ فَمَا أَشْتَكَى ذَلِكَ الْوَجْعَ بَعْدَ ذَلِكَ.

ومن معجزاته ﷺ إجابة دعائه

وهذا فصل متسع جدًا، نذكر منه ما أشتهر وانتشر، وتواترت به الأخبار وتداولته الرواة، ونقله أصحاب السير، ولا شك ولا خلاف بين أحد من الأمة في إجابة دعائه ﷺ؛ وقد روي عن حذيفة أنه قال: كلن رسول الله ﷺ إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده. روي عن أنس بن مالك قال: قالت أمي يا رسول الله، خادمتك أنس أدع الله له؛ قال: «اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته» قال أنس: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة، وما أعلم أحدًا أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطًا ولا ولد ولد. ودعا ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجرًا لرجوت أن أصيب تحته ذهبًا، ولما مات حفر الذهب من تركته بالفؤس حتى مَجَلَّتْ^(١) فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفًا، وكنَّ أربعًا، وقيل: مائة ألف، وقيل: بل صولحت إحداهن - لأنه طلقها في مرضه - على نيف وثمانين ألفًا، وأوصى بخمسين ألفًا بعد صدقاته الفاشية في حياته. ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة. ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد إلا أستجيب له. ودعا أن يعز الله الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه؛ قال ابن مسعود: ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر. وقال لأبي قتادة: «أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره»^(٢) فمات وهو ابن سبعين سنة

(١) المجل: تغير يكون في اليد من كثرة العمل.

(٢) البشر: ظاهر الجلد واليد.

وكأنه ابن خمس عشرة. وقال للنابغة: «لا يَفْضُضُ»^(١) الله فاك» قال: فما سقطت له سِنَّ، وكان، أحسن الناس ثَغْرًا، إذا سقطت له سِنَّ نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل: أكثر. ودعا لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقَّهه في الدين وعلمه التأويل» فسمي بغد الجبر وتَرْجُمان القرآن. ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صَفْقَة^(٢) يمينه؛ فما اشترى شيئًا إلا ربح فيه. ودعا للمقداد بالبركة؛ فكان عنده غرائب من المال. ودعا كذلك لعروة بن أبي الجعد، قال: فلقد كنت أقوم بالكُنَاسَة^(٣) فما أرجع حتى أربح أربعين ألفًا. ودعا لعليّ أن يكفَى الحرّ والقرّ، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حرٌّ ولا برْدٌ. ودعا على مُضَرٍّ فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا. وتقدم خبره في دعائه في الاستسقاء والاستضحاء^(٤). ودعا على كِسْرَى أن يُمَزَّقَ ملكه فلم يبق له باقية، ولم تُعَدِّ لفارس مملكة. وقال لرجل رآه يأكل بشماله: «كُلْ بيمينك» قال: لا أستطيع، فقال: «لا أستطعت» فلم يرفعها إلى فيه بعد. وقال في عُتْبَة بن أبي لهب: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك» فأكله الأسد كما تقدم. ودعا على مُحَلِّم بن جثامة، فمات لسبب فلَقَطَته الأرض ثم وُورِي فلَفَظَته، فألقوه في صُدَيْن ورَضَمُوا^(٥) عليه بالحجارة، والصُّدَّ جانب الوادي. ودعواته ﷺ كثيرة عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومن معجزاته ﷺ أنقلاب الأغنيان

فيما لمسه أو باشره؛ كسيف عكاشة بن مَخْصِن، وعبد الله بن جَحْش، وغير ذلك، وكان من خبر عكاشة أن سيفه أنكسر يوم بدر فأعطاه رسول الله ﷺ جِذْلًا^(٦) حَطَبٍ، وقال: «أضرب به» فعاد في يده سيفًا صارمًا طويلًا أبيض شديد المتن، فقاتل به، ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة، وكان هذا السيف يسمى العَوْن. ودفع لعبد الله بن جَحْش - وقد ذهب سيفه يوم أُحُد - عسيب^(٧) نخل فرجع في يده سيفًا. ومن ذلك أنه ﷺ مرَّ على ماء فسأل عنه، فقيل له أسمه

(١) لا يفضض: أي لا يسقط الله أسنانك. (٢) أي في بيعه وشراؤه.

(٣) الكناسة: سوق مشهورة بالكوفة.

(٤) الاستضحاء: بروز الأرض للشمس، وظهورها بعدم النبات فيها.

(٥) الرضم: وضع الصخور بعضها فوق بعض كالبناء.

(٦) الجذل: عود غليظ أو أصل من أصول الشجرة.

(٧) العسيب: جريدة النخل لا خوص عليها.

بَيْسَانَ وماؤه ملح، فقال: «بل هو نَعْمَان وماؤه طيب» فكان كذلك. ومنه أنه ﷺ أعطى قتادة بن النعمان - وكان قد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة - عُرْجُونًا^(١)، وقال: «أطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً^(٢)»، ومن خلفك عشراً، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فأضربه به حتى يخرج فإنه الشيطان» فانطلق فأضأ له العُرْجون، ووجد السواد فضربه حتى خرج. ومن ذلك أنه ﷺ زود أصحابه سِقَاء من ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وفي فمه زبدة. رواه حماد بن سلمة.

ومما يلتحق بهذا الفصل

أنه ﷺ ركب فرساً لأبي طلحة، كان يقطف^(٣) - أو - به قطاف، فلما رجع قال: وجدنا فرسك بَحْرًا، فكان بعد لا يجارى. ونخس جمل جابر بن عبد الله، وكان قد أغيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه، وقد تقدم خبره. وخَفَقَ^(٤) فرس جُعَيْل الأشجعي بمِخْفَقِهِ^(٥) معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطاً، وباع من بطنها بأثني عشر ألفاً. وركب ﷺ حماراً قُطُوفًا لسعد بن عباد فرده هِمْلَاجًا^(٦) لا يُسَاير. ومن ذلك بركة يده ﷺ فيما لمس كقصبة سَلْمَانَ في كتابته، وما غرس له ﷺ من الْوَدِيِّ^(٧) فأطعمت كلها من عامها، والذَّهَب الذي أعطاه، وقد تقدم ذكر ذلك في إسلام سَلْمَانَ. ومنه أنه ﷺ مسح على رأس عُمَيْر بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة وما شاب. وكذلك السائب بن يزيد، ومَذْلُوك^(٨)، وكان يوجد لَعُتْبَةَ بن فَرْقَد طيب يغلب طيب نسائه، وذلك أن رسول الله ﷺ مسح بيده على بطنه وظهره. ومسح على رأس قيس بن زيد الجُدَامِي، ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة، ورأسه أبيض، وموضعُ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ وما مَرَّتْ يده عليه من شعره أسود، فكان يُدعى الْأَعْرَى. وروي مثل ذلك لعمر بن ثَغْلَبَةَ الْجُهَنِي. ومسح وجه آخر فما زال على وجهه نور. ومسح وجه قَتَادَةَ بن مِلْحَانَ، فكان لوجهه بريقٌ، حتى كان ينظر فيه كما ينظر في المرأة. ونضح في وجه زينب بنت أم سلمة نَضْحَةً من ماء، فما نعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها. ومسح على رأس صبي به عاهة فبرأ وأستوى شعره، وعلى غير واحد

(١) العرجون من النخل: كالعنقود من العنب. (٢) عشراً: يراد بها مقدار عشر أذرع.

(٣) يقطف: يبطئ في السير.

(٤) خفق الفرس: ضربها.

(٥) المخفقة: الدرة؛ أو العصا.

(٦) الهملجة: حسن سير الدابة في سرعة.

(٨) مدلوك: هو أبو سفيان الفزاري.

(٧) الودي: صغار النخل.

من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤوا. وأتاه رجل به أذرة^(١) فأمره أن ينضحها بماء من عَيْن مَجٍّ^(٢) فيها ففعل فبرأ. وعن طاوس: لم يؤت النبي ﷺ بأحد به مَسٌّ فَصَكَّ^(٣) في صدره إلا ذهب. والمس: الجنون. وَمَجٌّ في ذَلْوٍ من بئر ثم صُبَّ فيها ففاح منها ريح المسك. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يبسط ثوبه، وغرف بيده فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئاً بعد. ومن ذلك دُرُور الشياه الحَوَائِلُ^(٤) باللبن الكثير؛ كقصّة شاة أم مَعْبَد، وأَعْنَز معاوية بن ثور، وشاة أنس، وَعَنَم حَلِيمَة، وشارفها^(٥)، وشاة عبد الله بن مسعود، وشاة المِقْدَاد، والله أعلم.

ومن معجزاته ﷺ ما أخبر به من الغيوب، وما يكون قبل وقوعه، فكان كما أخبر به ﷺ؛ روي عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه، ثم قال حذيفة: ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا، يُلْغُ من معه ثلثمائة فصاعدًا إلا قد سَمَّاهُ لنا باسمه وأسم أبيه وقبيلته. وقال أبو ذرٍّ: لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه عِلْمًا. ومما أخبر به ﷺ مما يكون فكان، ما أخرجه أهل الصحيح والأئمة، مما وعد به رسول الله ﷺ أصحابه من الظُّهُور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تَظْلَعَنَّ^(٦) المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله، وأن المدينة سَتُغْزَى، وتُفتح خير على يدي عليٍّ في غد يومه، وما يفتح الله على أمته من الدنيا، وما يؤتون من زَهْرَتِهَا، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر، وما يحدث بينهم من الفُتُون والأختلاف والأهواء، وسلوك سبيل مَنْ قَبْلَهُمْ وأفتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، وأنه ستكون لهم أُنْمَاطٌ^(٧)، ويغدو أحدهم في حُلَّة ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صُحُفَةٌ وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تُسْتَر الكعبة، ثم قال آخر الحديث: «وأنتم اليوم خير منكم يومئذ» وأنهم إذا مشوا المُطَيِّطَاء^(٨)، وخَدَمَتهم بناتُ

(١) الأذرة: انتفاخ في الخصيتين معروف. (٢) مَجٌّ فيها: تفل ريقه فيها.

(٣) صَكَّ: دفع بقوة. (٤) الحوائل: التي لم تحمل مطلقًا.

(٥) الشارف: الناقة المسنة. (٦) تظلعن: تسافر، ترحل.

(٧) أنمات: واحدها نمط، وهو ضرب من البسط له خمل رقيق.

(٨) المطيطاء: مشية المتبختر ومد اليدين.

فارس والروم، ردّ الله بأسهم بينهم، وسلّط شرارهم على خيارهم، وما أخبر به ﷺ من قتالهم التُّرك والخَزَر والروم، وذهاب كِسرى وفارس، حتى لا كسرى ولا فارس بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده، وأن الروم ذات قرون إلى آخر الدهر، وأخبر بذهاب الأُمثَل فالأُمثَل من الناس، وتَقَارُب الزمان، وقَبْض العلم، وظهور الفِتْن والهَزَج^(١)، وقوله ﷺ: «زُويت^(٢) لي الأرض فَأُريتُ مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها» فكان كذلك؛ أمتدت في المشارق والمغارب، ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه، ولم تمتد في الجنوب والشمال مثل ذلك. وقوله ﷺ: «ويل للعرب من شرٍ قد أقترَب». وقوله: «لا يزال أهل الغُرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة» ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب؛ لأنهم المختصون بالسَّقي بالغُرب وهو الدُّلو، وقيل: بل هم أهل المغرب، ومن رواية أبي أَمّامة: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قيل: يا رسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس». وأخبر ﷺ بملك بني أُمية، وولاية معاوية، ووصاه، وأتخاذ بني أُمية مال الله دُولاً^(٣).

وأخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود، وملكهم أضعاف ما ملكوا، وأخبر بقتل عليّ رضي الله عنه، وأن أشقاها الذي يَخْضِب هذه من هذه؛ أي لحيته من رأسه. وقال: يُقتل عثمان وهو يقرأ المصحف، وأن الله عسى أن يلبسه قميصاً، وأنهم يريدون خلعه، وأنه سيقطر دمه على قوله تعالى: ﴿نَسِيفُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]. وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيّاً، وأخبر بمحاربة الزبير لعليّ، ونُبّاح كِلاب الحَوَاب^(٤) على بعض أزواجه، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت، وأن عَمَارًا تقتله الفئة الباغية، وقال لعبد الله بن الزبير: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس» وقال في قُزْمَان^(٥) وقد أبلى بلاءً حسناً مع المسلمين: «إنه من أهل النار» فقتل نفسه. وقال ﷺ: «يكون في ثقيف كذاب ومُبير^(٦)» فكان الكذاب المختار بن أبي عبيد، والمُبير الحجاج بن يوسف. وأخبر بالردّة، وأن الخلافة بعده ثلاثون، ثم مُلكاً، وقال: «إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة، ثم يكون مُلكاً

(١) الهزج: الفتنة والاختلاط.

(٢) زويت: أي جمعت.

(٣) دُولاً: هو ما يتداول من المال، فيكون لقوم دون قوم.

(٤) الحوَاب: ماء في طريق البصرة.

(٥) قزمان: هو ابن الحارث العبسي المناق.

(٦) المبير: المهلك الذي يسرف في القتل بغير حق.

عَضُوضًا^(١)، ثم يكون عُثُوثًا وَجَبْرُوتًا وفسادًا في الأئمة» فكان كل ذلك كما أخبر. وأخبر أن سيكون في أمته ثلاثون كذابًا فيهم أربع نسوة، وفي حديث آخر: «ثلاثون دجالًا كذابًا آخرهم الدَّجَالُ الكَذَّابُ كلهم يكذب على الله ورسوله». وقال ﷺ: «يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون فيئكم، ويضربون رقابكم» فكان كذلك. وقال: «لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قُحطَان». وقال: «هلاك أمتي على يدي أُعْجِلِمَة من قريش» قال أبو هريرة راوي الحديث: لو شئت سميتهم لكم، بنو فلان وبنو فلان. وأخبر بظهور القَدَرِيَّة والرافضة، وسبَّ آخر هذه الأمة أولها. وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم، والمُخَدَّج^(٢) الذي فيهم، وأن سِيَمَاهُم^(٣) التَّحْلِيْقُ^(٤). وقال: «خيركم قُرَني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يُسْتَشْهَدُونَ ويخونون ولا يؤتمنون ويُنْذِرُونَ ولا يَقُونَ». قال: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه». وأخبر ﷺ بالمُوتَانِ^(٥) الذي يكون بعد فتح المقدس. وما وعد من سكنى البصرة، وأن أمته يغزون في البحر كالملوك على الأسرة؛ فكان في زمن يزيد بن معاوية. وقال: «إن الدين لو كان مَثُوطًا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس». وقال ﷺ في الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إن أبنِي هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين». وأخبر بقتل الحسين بالطَّف^(٦)، وأخرج بيده تربة، وقال: فيها مَضْجَعُهُ. وقال في زيد بن صُوحان: يسبقه عُضُو مِنْهُ إلى الجنة، فَقَطِعت يَدُهُ في الجهاد. وقال لسراقة: «كيف بك إذا لبست سُوَارِي كِسْرَى» فلما أتى بهما لعمر ألبسهما إياه، وقال: الحمد لله الذي سلبهما كِسْرَى وألبسهما سُراقة. وقال: «تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل وقَطْرِبُلُ^(٧) والصَّرَاة^(٨) تجبى إليها خزائن الأرض يُخَسَفُ بها». فبنيت بغداد. وقال: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل طائفتان دعواهما واحدة». وقال لعمر في سُهَيْل بن عمرو: «عسى أن يقوم مقامًا يسرك يا عمر» فقام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي ﷺ، وخطب بنحو خطبته، وثبت الناس وقوى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه إلى أُكَيْدِر: «إنك بحده يصيد البقر» فكان كذلك. وقد تقدّم خبره. وأخبر ﷺ بوقائع نحن نترقب وقوعها؛ كقوله: «عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب

(١) العضوض: الذي يصيب الرعية فيه عسف وظلم.

(٢) المخدج: الناقص الخلق.

(٣) سيماهم: علامتهم.

(٤) التحليق: أي حلق الرؤوس.

(٥) الموتان: الموت الكثير.

(٦) الطف: موضع قرب الكوفة.

(٧) قطربل: قرية بالعراق.

(٨) الصراة: نهر بالعراق.

يثرّب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القُسْطَنْطِينِيَّة. وأخبر بغير ذلك من الأمور التي وقعت في حياته في أماكن بعيدة، وأخبر بها حال وقوعها كموت النجاشي، وقتل أمراء مُؤْتة، وغير ذلك ﷺ.

ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم واجتماعهم على أذاه

قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]. وقال: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦]. وقال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥ و٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]. روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يأيها الناس أنصرفوا فقد عصمني الله ربي عز وجل». وقيل: كان النبي ﷺ يخاف قريشاً، فلما نزلت هذه الآية أستلقى، ثم قال: «من شاء فليخذلني». وقد تقدم من عصمة الله له وكفايته قصتا دُعُورٍ وَغُورَثٍ، وخبر حَمَالَةَ الحطَب، وأخذ الله تعالى على بصرها حين أرادته بالفهر^(١)، وخبر أبي جهل حين أرادته بالحجر، وغير ذلك.

وها نحن نورد في هذا الموضع من ذلك خلاف ما قدّمناه؛ فمن ذلك ما روي عن الحكم بن العاص أنه قال: تواعدنا على النبي ﷺ، حتى إذا رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة أحد، فوقعنا مغشياً علينا، فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله، ثم تواعدنا ليلة أخرى، فخرجنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تواعدنا أنا وأبو جهم بن حُذَيْفَةَ لَيْلَةَ قَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فجئنا منزله فسمعنا له، فأفتتح وقال: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١، ٢] إلى: ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٨] فضرب أبو جهم على عَضُدِ عَمْرِو بْنِ الْعَدِيِّ وقال: أُنْجِ، وفرّا هاربين، فكانت من مقدّمات إسلام عمر. ومن ذلك خروجه ﷺ على قريش حين اجتمعوا لقتله، فأخذ الله على أبصارهم حتى

(١) الفهر: الحجر قدر ما يملأ الكف.

دَرَا التَّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَخَلَصَ مِنْهُمْ. وقصة الغار، وأخذُ الله على أبصارهم، وخبر سُراقَةَ بن مالك بن جُعْشَم، وقد تقدّم ذكر ذلك. وفي خبر آخر أنّ راعيًا عرف خبر رسول الله ﷺ وأبي بكر حين هاجرا، فخرج يَشْتَدُّ^(٢) ليعلم قريشًا بشأنهما، فلما دخل مكة ضُرب على قلبه فما يدري ما يصنع، وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه. وذكر السَّمَرْقَنْدِيُّ: أن رجلاً من بني المغيرة أتى النبي ﷺ ليقْتله، فطمس الله بصره فلم ير النبي ﷺ وسمع قوله، فرجع إلى أصحابه ولم يرهم حتى نادوه، وذكر أنّ فيه وفي أبي جهل نزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [يس: ٨ و٩]. وقد روي عن أبي هريرة أن أبا جهل وعد قريشًا: لئن رأى محمدًا ﷺ يُصَلِّي لِيَطَّأَنَّ رَقَبَتَهُ، فلما صَلَّى النبي ﷺ أعلموه فأقبل، فلما قرب منه ولّى هاربًا ناكصًا على عقبيه متفيًا بيديه، فسئل فقال: لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوي فيه، وأبصرت هولًا عظيمًا، وخَفَقَ أجنحة قد ملأت الأرض. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عُضُوءًا عُضُوءًا» ثم أنزل على رسول الله ﷺ: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿١﴾﴾ [العلق: ٦] إلى آخر السورة. وقد ذكرنا أيضًا قصة شَيْبَةَ بن عثمان بن أبي طلحة في غزوة حُنين. وعن قُضَالَةَ بن عمرو قال: أردت قتل النبي ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه قال: «أفضالة؟» قلت: نعم، قال: «ما كنت تُحَدِّثُ به نفسك؟» قلت: لا شيء، فضحك وأستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي، فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئًا أحب إليّ منه. ومنه خبر عامر بن الطُّفَيْل، وأزبد بن قيس، وقد تقدم ذكر قصتهما.

ومن معجزاته ﷺ

ما جمعه الله تعالى له من المعارف والعلوم، وخصه به من الأطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين، ومعرفته بأمور الشرائع وغير ذلك، كاطلاعه ﷺ على أخبار من سلف من الأمم، وقصص الأنبياء والرسل، وأخبار الجبابرة والقرون الماضية، وحفظ شرائعهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، ومعارضة كل فرقة من أهل الكتاب بما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومها، وإخبارهم بما كتموه من ذلك وغيره، وأحتوائه ﷺ على لغات العرب وغريب ألفاظها، والحفظ لأيامها وأمثالها وحكمها، ومعاني أشعارها، وما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم، وما علمه من ضروب

(١) يشتد: يسرع في مشيه.

العلوم وفنون المعارف؛ كالطبّ والعبارة^(١) والفرائض والحساب والأنساب وغير ذلك، مما جعل أهل هذه العلوم كلامه ﷺ فيها قدوة وحجة وأصلاً يرجعون إليها في علومهم؛ كقوله عليه السلام: «الرؤيا لأوّل عابر وهي على رجل طائر» وقوله: «الرؤيا ثلاث: رؤيا حق، ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان». وقوله: «إذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب». وقوله: «أصل كل داء البردة»^(٢) وقوله: «المعدة حوض البدن، والعروق إليها واردة» وقوله: «خير ما تداويتم به السعوط، واللّدود»^(٣)، والحجامة، والمشيّ^(٤)، وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين، وفي العود^(٥) الهندي سبعة أشفية» وقوله: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه». وقوله لكاتبه: «ضع القلم على أذنك فإنه أذكر للمملي». وقد وردت آثار بمعرفته حروف الخطّ، وحسن تصويرها؛ كقوله: «لا تمّدوا بسم الله الرحمن الرحيم» رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس، وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية أنه كان يكتب بين يديه - ﷺ - فقال له: «ألقي^(٦) الدّواة، وحرف القلم، وأقم الباء، وفرّق السين، ولا تُعور^(٧) الميم، وحسن الله، ومُدّ الرحمن، وجوّد الرحيم» وإن لم تصح الرواية أنه ﷺ كتب، فلا يبعد أن يكون قد رزق علم الخطّ، ومُنِع الكتابة والقراءة. وكذلك حفظه ﷺ لكثير من لغات الأمم؛ كقوله ﷺ: «سَنَة سَنَة» وهي حسنة بالحشية، وقوله: «يكثر الهرج» وهو القتل بها، وقوله في حديث أبي هريرة: «اشْكَب دَرَدَم» أي وجع البطن بالفارسية، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا من دارس العلوم، ومارس الكتب، وداوم المطالعة، وعكف على الاشتغال. وكان ﷺ بخلاف ذلك لا يقرأ ولا يكتب؛ كما أخبر الله تعالى عنه بقوله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّوْا بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [٤٨] العنكبوت: وفي هذا أكبر آية، وأعظم دلالة، وأبين حجة، وأبهر معجزة له ﷺ.

(١) العبارة: تعبير الرؤيا.

(٢) البردة: التخمة وثقل الطعام على المعدة.

(٣) اللدود: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

(٤) المشي: الدواء المسهل.

(٥) العود الهندي: ضرب من الطيب يتبخر به.

(٦) ألق الدواة: اجعل لها ليقة، وهي صوفة تجعل في الدواة.

(٧) تعور: تطمس.

وقد رأينا أن نختم هذه الفصول بذكر

القصيدة التي أبتسمت تُغورها بوصف معجزاته، وتَحَلَّتْ نُحُورُهَا بجواهر صفاته، ورَفَلَتْ في حُلُلِ الفَخَارِ من باهر آياته، وسحبت ذُيُولَ الأَفْتَخَارِ بإشارات إلى غزواته، وفاح أَرْجُهَا فأخجل المِسْكَ الدَّارِيَّ^(١)، وأشرقت أنوارها على النيرين فما ظنك بالدراريّ، وهي قصيدة الشيخ الإمام العلامة أبي محمد عبد الله بن زكريا الشقراطيّ^(٢) رحمه الله تعالى، وإنما أقتصرنا عليها وصرفنا الرغبة دون غيرها إليها لأشتمالها على جمل من أخباره السنية، ونكت من آثاره التي هي بكل خير مَلِيَّة، وهي: [من البسيط]

الحمد لله مِنَّا باعِثِ الرسلِ	هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحْمَدَ السُّبُلِ ^(٣)
خير البرية من بَذُوٍ وَمِنْ خَضِرِ	وأكرم الخلق من حافٍ ومنتَعِلِ
توراة موسى أتت عنه فصَدَّقَهَا	إنجيلُ عيسى بحقٍ غيرِ مُفْتَعِلِ
أخبار أحبارِ أهلِ الكتبِ قد وردت	عما رأوا ورَوَوْا في الأعصرِ الأوَّلِ
ضاءت لمولده الآفاق وأنصَلت	بشرى الهوائِفِ في الإِشراقِ والطفَلِ ^(٤)
وصرح كسرى تداعى من قواعده	وأنقاضَ منكسِرِ الأرجاءِ ذا مَيَلِ ^(٥)
ونار فارسٍ لم تُوقَدَ وما خَمِدَت	مُذْ أَلِفَ عامٍ ونَهَرَ القومُ لم يَسِلِ
خَرَّتْ لمبعثِهِ الأوثانُ وأنبعثت	ثواقبُ الشهبِ ترمي الجَنِّ بالشُعَلِ
ومنطقُ الذئبِ بالتصديقِ معجِزةٌ	مع الذراعِ ونطقِ العَيرِ والجَمَلِ
وفي دعائك بالأشجارِ حينَ أتت	تسعى بأمرِكَ في أغصانِها الدُّلِلِ
وقلتَ عودِي فعادت في منابِئِها	تلك العروقُ بإذنِ الله لم تَمِلِ
والسَّرحِ بالشامِ لما جئتها سجدت	شَمَ الذوائِبِ في أغصانِها الخَضَلِ ^(٦)
والجِذعِ حَنَ لأنْ فارقتَه أسفًا	حَنِينَ ثُكَلَى شَجَّتْهَا لَوَعَةُ الثُّكَلِ ^(٧)
ما صَبِرُ مَنْ صارَ من عَيْنٍ على أثرِ	وحالُ مَنْ حالَ مِنْ حالٍ إلى عَطَلِ
حَيٍّ فماتَ سُكُونًا ثم ماتَ لَدُنْ	حَيٍّ حَنِينًا فأضحى غايةَ المَثَلِ

(١) الداري: نسبة إلى دارين، وهي فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك.

(٢) الشقراطي: نسبة إلى شقراطية من بلاد الجريد بتونس.

(٣) أحمد السبل: الإسلام. والمن: التفضل والإحسان.

(٤) الطفل: العشي. (٥) أنقاض: أنهار.

(٦) السرح: الشجر العظيم. الخضل: الناعمة. (٧) الثكلى: التي فقدت ولدها.

والشاة لما مسحت الكف منك على
سحت ودرت بشكر الضرع حافلة
وآية الغار إذ وقيت في حجب
وقال صاحبك الصديق كيف بنا
فقلت لا تحزن إن الله ثالثنا
حمت لديك حمام الوحش جائمة
والعنكبوت أجادت حوك حلتها
قالوا: وجاءت إليه سرحة سترت
وفي سراقه آيات مبينة
عرجت تخترق السبع الطباق إلى
عن قاب قوسين أو أدنى هبطت ولم
دعوت للخلق عام المخل مبتهلا
صعدت كفئك إذ كف الغمام فما
أزاق بالأرض ثجا صوب ريقه
زهر من الثور حلت روض أرضهم
من كل غصن نضير مورق خضر
تحية أحييت الأحياء من مضر
دامت على الأرض سبعا غير مقلعة
ويوم زورك بالزوراء إذ صدروا

جهد الهزال بأوصال لها فحل^(١)
فروت الركب بعد النهل بالعلل^(٢)
عن كل رجس لرجس الكفر منتحل
ونحن منهم بمنزلة الناظر العجل
وكننت في حجب ستر منه منسدل
كيدا لكل غوي القلب مختبل^(٣)
فما يخال خلال النسيج من خلل
وجه النبي بأغصان لها هذل^(٤)
إذ ساخت الحجر في وخل بلا وحل^(٥)
مقام زلفى كريم قمت فيه عل^(٦)
تستكمل الليل بين المر والقفل
أفديك بالخلق من داع ومبتهل
صوتت إلا بصوب الواكف الهطل^(٧)
فحل بالأرض نسجا رائق الحلل^(٨)
زهرا من النور ضافي النبت مكتهل
وكل نور نضيد موني خضل^(٩)
بعد المضرة تزوي السبل بالسبل^(١٠)
لولا دعاؤك بالإقلاع لم تزل
من يمين كفك عن أعجوبة مثل^(١١)

- (١) قحل: يابسة.
(٢) سحت: صبت صبًا متتابعًا. النهل: الشرب الأول. العلل: الشرب الثاني.
(٣) حمت: قدرت وأحضرت. المختبل: مختل العقل.
(٤) هذل: أي متدلية.
(٥) سراقه: هو ابن مالك الذي كان دليل المشركين في اقتصاص أثر رسول الله حين هاجر.
ساخت: دخلت وغابت قوائمها. الحجر: أنثى الخيل.
(٦) الطباق: السموات. (٧) الصوب: النازل.
(٨) النج: الاندفاق. الريق من كل شيء أفضله. والمراد برائق الحلل: النبات المختلف الألوان.
(٩) النضيد: المتراكب. الخضل: الندى المبطل؛ أو الناعم.
(١٠) السبل: الطرق. والسبل: المطر.
(١١) الزور: الزائر. الزوراء: موضع بالمدينة.

والماء ينبع جَوْدًا من أناملها
حتى توضع منه القوم وأغترفوا
أشبعَت بالصاع ألفًا مُزْمِلِينَ كما
وعاد ما شَبِعَ الألفُ الجِياغُ به
أعجزت بالوحي أصحاب البلاغة في
سألتهم سُورَة في مِثْلِ حِكْمَتِهِ
ورام رَجَسَ كَذُوبٍ أن يعارضه
مُثَبِّجٍ بِرَكِيكَ الإِفْكِ مَلْتَبِسٍ
يَمِجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْهُ سَامِعُهُ
كَأَنَّهُ مَنْطِقُ الْوَزْهَاءِ شَذْبَهُ
أَمَرَّتِ الْبِئْرُ وَأَغْوَرَتْ لِمَجَّتِهِ
وَأَيْبَسَ الضَّرْعَ مِنْهُ شَوْمُ رَاحَتِهِ
بَرِئَتْ مِنْ دِينِ قَوْمٍ لَا قِوَامَ لَهُمْ
يَسْتَخْبِرُونَ خَفِيَّ الْغَيْبِ مِنْ حَجَرٍ
نَالُوا أَدَى مِنْكَ - لَوْلَا جَلْمُ خَالِقِهِمْ
وَأَسْتَضَعِفُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ فَاصْطَبَرُوا
لَا قَى بِلَالٍ بَلَاءٌ مِنْ أُمِّيَّةٍ قَدْ
إِذْ أَجْهَدُوهُ بَضْنِكَ الضَّنْكِ وَهُوَ عَلَى

وسط الإناء بلا نَحْرِ وَلَا وَشَلٍ^(١)
وهم ثلاث مِثِينَ جَمْعُ مُحْتَفِلٍ
رَوَيْتُ أَلْفًا وَنِصْفَ أَلْفٍ مِنْ سَمَلٍ^(٢)
كما بَدَوْا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلْ
عَصِرَ الْبَيَانِ فَضَلْتُ أَوْجُهُ الْحَيْلِ
فَتَلَّهْمُ عَنْهُ حَيْنُ الْعَجْزِ حِينَ ثَلِي^(٣)
بِعِيٍّ غَيٍّ فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يَطْلِ^(٤)
مُلْجَلَجٍ بِزَرِيٍّ الزُّورِ وَالْخَطْلِ^(٥)
وَيَغْتَرِيهِ كَلَالُ الْعَجْزِ وَالْمَلِّ
لَبَسَ مِنَ الْخَبْلِ أَوْ مَسَّ مِنَ الْخَبْلِ^(٦)
فِيهَا وَأَعْمَى بِصِيرِ الْعَيْنِ بِالثَّقْلِ^(٧)
مِنْ بَعْدِ إِرسَالِهِ بِالرُّسْلِ مِنْهُمْ لِمِ^(٨)
عَقُولُهُمْ مِنْ وَثَاقِ الْغَيِّ فِي غُلَلٍ^(٩)
صَلْدٍ وَيَرْجُونَ غَوْثَ النَّصْرِ مِنْ هَبْلٍ^(١٠)
وَحِجَّةُ اللَّهِ بِالْإِنْذَارِ لَمْ تُنَلِّ
لِكُلِّ مُغْضِلٍ خَطْبٍ فَادِحٍ جَلَلٍ
أَحَلَّهُ الصَّبْرُ فِيهِ أَكْرَمَ النُّزُلِ
شَدَائِدِ الْأَزْلِ ثَبْتُ الْأَزْرِ لَمْ يَزَلِ^(١١)

- (١) الوشل: القليل الماء.
(٢) السمل: القليل من الماء يبقى في أسفل الإناء.
(٣) تلهم: صرهم. الحين: الهلاك.
(٤) يطل: من طال امتد؛ أو يطل من يطال: أتى بباطل.
(٥) المثبج: المضطرب الفاسد. الملجلج: المتردد في الكلام. الخطل: المنطق الفاحش المضطرب.
(٦) الورهاء: المرأة الحمقاء تتكلم بما لا يفهم. الخبل: الفساد. الخبل: الجنون.
(٧) أمرت: صارت ذات مرارة.
(٨) الرسل: اللبن. المنهمل: الفائض.
(٩) الغلل: جمع غلة، وهي خرقة يشد بها فم الإبريق.
(١٠) هبل: أعظم أصنام قريش.
(١١) الضنك: الضيق. الأزل: الحبس والتضييق. الأزر: القوة. الثبت: ثابت القلب.

- أَلْقَوْهُ بَطْحًا بِرَمْضَاءِ الْبِطَاحِ وَقَدْ
فَوَّحَدَ اللَّهَ إِخْلَاصًا وَقَدْ ظَهَرَتْ
إِنْ قَدْ ظَهَرَ وَلِيَّ اللَّهِ مِنْ دُبُرٍ
نَفَرَتْ فِي نَفَرٍ لَمْ تَرْضَ أَنْفُسُهُمْ
بِأَنْفُسٍ بُدِّلَتْ فِي الْخُلْدِ إِذْ بَدَّلَتْ
قَالُوا: مُحَمَّدٌ قَدْ حَلَّتْ كِتَابُهُ
فَوَيْلَ مَكَّةَ مِنْ آثَارِ وَطْأَتِهِ
فَجَذَتْ عَفْوًا بِفَضْلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ
أُضْرِبَتْ بِالصَّفْحِ صَفْحًا عَنْ طَوَائِلِهِمْ
رَحِمْتَ وَاشِجَّ أَرْحَامَ أَتِيحَ لَهَا
عَاذُوا بِظِلِّ كَرِيمِ الْعَفْوِ ذِي لَطْفٍ
أُحِبُّ بِخَيْلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ
أَغْمَيْتَ جَيْشًا بِكَفٍّ مِنْ حَصَى فَجَثُّوا
وَدَعَاةَ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ صَادِقَةً
غَادَرَتْ جَهْلَ أَبِي جَهْلٍ بِمَجْهَلَةٍ
وَعُتِبَتْ الشَّرُّ لَمْ يُغْتَبِ فَتَعَطَّفَهُ
وَعُقِبَتْهُ الْعُمْرَ عَقْبَاهُ لِشِقْوَتِهِ
وَكُلُّ أَشْوَسَ عَاتِي الْقَلْبِ مُنْقَلِبٍ
- عَالُوا عَلَيْهِ صُخُورًا جَمَّةَ الثَّقَلِ (١)
بِظَهْرِهِ كُنُودِ الْبَطْلِ فِي الْبَطْلِ (٢)
قَدْ قَدْ قَلْبُ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْ قُبُلٍ
إِذَا نَافَرُوا الرَّجْسَ إِلَّا الْقُدْسَ مِنْ نَقْلِ (٣)
عَنْ صِدْقٍ بَدَلٍ بِبَذْرِ أَكْرَمِ الْبَدَلِ
كَالْأَسَدِ تَزَارُ فِي أَنْيَابِهَا الْعُصْلِ (٤)
وَوَيْلَ أُمِّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى الْهَبْلِ (٥)
تُلِمُّمْ وَلَا بِأَلِيمِ اللَّوْمِ وَالْعَذْلِ
طَوَلًا أَطَالَ مَقِيلِ الْقَوْمِ فِي الْمَقِيلِ (٦)
تَحْتَ الْوَشِيحِ نَشِيحِ الرَّوْعِ وَالْوَجَلِ (٧)
مُبَارِكِ الْوَجْهِ بِالتَّوْفِيقِ مُشْتَمِلِ
لِجَانِبٍ عَنْ جَنَابِ الْحَقِّ مُعْتَزِلِ (٨)
وَعُطِّلُوا عَنْ حَرَكَ الثَّقَلِ بِالثَّقَلِ (٩)
غَدَا أُمِّيَّةٌ مِنْهَا شَرٌّ مُنْخَزِلِ (١٠)
وَشَابَ شَيْبَةً قَبْلَ الْمَوْتِ مِنْ وَجَلِ
مِنْكَ الْعَوَاطِفِ قَبْلَ الْقَوْتِ فِي مَهَلِ (١١)
قَدْ ظَلَّ مِنْ عَمَرَاتِ الْغَيِّ فِي ظُلَلِ (١٢)
جَعَلْتَهُ بِقَلْبِ الْبِثْرِ كَالْجُعَلِ (١٣)

- (١) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة بالشمس. البطاح: الأودية.
(٢) الطلل: المطر الخفيف. الطلل: ما شخص من آثار الديار.
(٣) نافروا الرجس: جانبوا الأوثان والشرك. القدس: الجنة. النفل: الغنيمة.
(٤) العصل: الشديدة. (٥) الهبل: الشكل.
(٦) طوائلهم: جمع طائلة، وهي العداوة. طولاً: مثلاً وتفضلاً. المقييل: النوم في القائلة، وهي وقت الهاجرة.
(٧) الوشيح: اشتباك القراية. النشيح: الغصة بالبكاء في الحلق من غير انتخاب.
(٨) الجناب: الفناء. (٩) النقل: الحجارة.
(١٠) انخزل: انقطع. (١١) مهل: رفق.
(١٢) الغمر: الجاهل الذي لم يجرب الأمور. ظلل: جمع ظلة.
(١٣) الشوس: النظر بمؤخر العين. المنقلب: المنصرف. البثر: الجعل: دوية سوداء تكون في المواضع الندية.

وجائهم بِمُثَارِ النَّقْعِ مُشْتَغِلِ
 عَقَدَتْ بِالْخِزْيِ فِي عِظْفِي مُقْلَدِهِمْ
 أَمْسَى خَلِيلَ صَغَارٍ بَعْدَ نَخْوَتِهِ
 دَامَ يُدِيمُ زَفِيرًا فِي جَوَانِحِهِ
 يُقَادُ فِي الْقِدِّ خَنْقًا مُشْرَبًا حَنْقًا
 أَوْصَالُهُ مِنْ صَلِيلِ الْغُلِّ فِي عِلَلِ
 يَظَلُّ يَخْجُلُ سَاجِي الطَّرْفِ خَافِضُهُ
 أَرْحَتْ بِالسَّيْفِ ظَهْرَ الْأَرْضِ مِنْ نَفْرِ
 تَرَكْتَ بِالْكَفْرِ صَدْعًا غَيْرَ مُلْتَمِّمِ
 وَأَفْلَتَ السَّيْفُ مِنْهُمْ كُلَّ ذِي أَسْفِ
 قَدْ أَعْتَقْتَهُ عِتَاقَ الْخَيْلِ وَهُوَ يَرَى
 فَكَمْ بِمَكَّةَ مِنْ بَاكِ وَبَاكِئَةٍ
 وَكَاسِفِ الْبَالِ بِأَلِي الصَّبْرِ جُذْتُ لَهُ
 فَوَادِهِ مِنْ سَعِيرِ الْغَيْظِ فِي غُلَلِ
 قَدْ أَسْعَرَتْ مِنْهُ صَدْرًا غَيْرَ مُضْطَبِّرِ
 وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمَمِ

بجاحم من أَوَارِ النَّارِ مُشْتَغِلِ^(١)
 طَوَّقَ الْحَمَامَةَ بَاقٍ غَيْرَ مُنْتَقِلِ^(٢)
 بِالْأَمْسِ فِي خُيَلَاءِ الْخَيْلِ وَالْخَوْلِ^(٣)
 جُنَحٌ مِنَ الشَّكِّ لَمْ يَجْنَحْ وَلَمْ يَمِلِ^(٤)
 يَمْشِي بِهِ الدُّغْرُ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٥)
 وَقَلْبُهُ مِنْ غَلِيلِ الْغُلِّ فِي غُلَلِ^(٦)
 بِمَسْكَةِ الْحَجَلِ لَا مِنْ مَسْكَةِ الْحَجَلِ^(٧)
 أَزْحَتْ بِالصَّدَقِ مِنْهُمْ كِاذِبِ الْعَلَلِ^(٨)
 وَأَبَ مِنْكَ بِقُزْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
 عَلَى الْجِمَامِ حَمَاهُ أَجَلُ الْأَجَلِ^(٩)
 بِهِ إِلَى رِقِّ مَوْتِ رِقَّةِ الْغَزَلِ
 بِقَيْضِ سَجَلٍ مِنَ الْأَمَاقِ مُنْسَجَلِ^(١٠)
 بِوَابِلٍ مِنَ وَبَالِ الْخِزْيِ مُتَّصِلِ^(١١)
 وَعَيْنُهُ مِنْ غَزِيرِ الدَّمْعِ فِي غُلَلِ^(١٢)
 وَحَمَلْتُ مِنْهُ قَلْبًا غَيْرَ مُخْتَمِلِ
 يَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجُ الْوَعْرِ وَالسَّهْلِ

- (١) النقع: الغبار. الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال. الأوار: اللهب.
 (٢) عطفًا الإنسان: جانباه من لدن رأسه إلى وركه.
 (٣) الصغار: الذل والهوان. الخول: الخدم والحشم.
 (٤) داميا: أي جريحا يسيل دمه. الجوانح: الأضلاع. الجنح: الظلمة.
 (٥) القد: السير. الثمل: السكران.
 (٦) الغل: القيد. غليله: حرارته والتهابه.
 (٧) يحجل: يقفز في الحجل، وهو القيد. ساجي: ساكن. الحجل: القباب العروس تزين بالستور.
 (٨) أزحت: أزلت وأذهبت.
 (٩) أفلت السيف: حملهم السيف على الهرب. الأجل: أمد العمر.
 (١٠) السجل: الدلو العظيمة المملوءة ماء. منسجل: منصّب.
 (١١) الوابل: الشديد الانصباب.
 (١٢) السعير: الاشتعال. الغلل: الماء الذي ليس له جري.

خَوَافِقُ ضَاقَ دَزْعُ الْخَافِقَيْنِ بِهَا
وَجَحْفَلُ قَذَفُ الْأَرْجَاءِ ذِي لَجَبٍ
وَأَنْتَ - صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ - تَقْدُمُهُمْ
يُنِيرُ فَوْقَ أَغْرُ الْوَجْهِ مُنْتَجِبٍ
تَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ اللَّهِ مُرْتَدِيًا
خَشَعَتْ تَحْتَ لِوَاءِ الْعِزِّ حِينَ سَمَتْ
وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ بِمَا
وَالْأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرْقٍ
وَالْخَيْلُ تَخْتَالُ مَيْلًا فِي أَعْنَتِهَا
لَوْلَا الَّذِي خَطَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَدَرٍ
أَهْلٌ تُهْلَانُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبٍ
الْمَلِكُ لِلَّهِ هَذَا عِزٌّ مِنْ عُقْدَتِ
شَعَبَتْ صَدْعُ قَرِيشٍ بَعْدَمَا قَذَفَتْ
مِنْ كُلِّ مُهْتَصِرٍ اللَّهُ مُنْتَصِرٍ
يَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ عَالِي الْكَعْبِ مَعْتَقِلًا
قَدْ قَاتَلُوا دُونَكَ الْأَقْيَالُ عَنْ جَلْدٍ
وَصَلَّتْهُمْ وَقَطَعْتَ الْأَقْرَبِينَ مَعًا
وَجَاءَ جَبْرِيلُ فِي جُنْدٍ لَهُمْ عُدَدُ

فِي قَاتَمٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ^(١)
عَرْمَرَمَ كَزْهَاءِ اللَّيْلِ مُنْسَدِلِ^(٢)
فِي بَهْوٍ إِشْرَاقٍ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ
مَتَوَجِّعٍ بِعَزِيزِ النَّصْرِ مُقْتَسِلِ^(٣)
ثُوبِ الْوَقَارِ لِأَمْرِ اللَّهِ مِمْتَسِلِ
بِكَ الْمَهَابَةِ فَعَلَ الْخَاضِعِ الْوَجَلِ
مُلْكَتَ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَالْجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقًا مِنَ الْجَدَلِ^(٤)
وَالْعَيْسُ تَنْثَالُ رَهْوًا مِنْ ثُنَى الْجُدَلِ^(٥)
وَسَابِقٍ مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِي حَوْلِ
وَذَابٍ يَذْبُلُ تَكْبِيرًا مِنَ الذُّبُلِ^(٦)
لَهُ النَّبَوَّةُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي الْأَزَلِ
بِهِمْ شُعُوبُ شِعَابِ السَّهْلِ وَالْقُلُلِ^(٧)
بِالسَّيْفِ مُخْتَصِرٍ بِالرُّمَحِ مَعْتَقِلِ^(٨)
أَظْمَى الْكُعُوبِ كَمْشِي الْكَاعِبِ الْفُضْلِ^(٩)
وَجَالِدُوا بِجِلَاءِ الْبَيْضِ وَالْجَدَلِ^(١٠)
فِي اللَّهِ لَوْلَاهُ لَمْ تَقْطَعْ وَلَمْ تَصِلِ
لَمْ يَبْتَذِلْهَا أَكْفَ الْخَلْقِ بِالْعَمَلِ

- (١) الخوافق: الألوية والبنود. والخافقان: أفقا المشرق والمغرب.
- (٢) اللجب: اشتباك الأصوات. عرمرم: كثير.
- (٣) الأغر: الأبيض المنير. المنتجب: المتخير.
- (٤) الزهو: خفة الطرب. الفرق: الفرع. الجدل: الفرح والسرور.
- (٥) تختال: تتبختر. العيس: الإبل. الرهو: ضرب من السير. الجدل: جمع جديل: الزمام.
- (٦) تهلان ويذبل: جيلان. الذبل: الرماح.
- (٧) شعبت: جمعت. الصدع: الشق. شعوب: من أسماء الموت. القلل: أعالي الجبال.
- (٨) مهتصر: أي كاسر للأقربان. المعتقل: الذي جعل رمحه بين ساقه وركابه.
- (٩) الكعوب: الرماح. الكاعب: الفتاة التي نهت نديها. الفضل: المتفضلة في ثوب واحد من غير قناع.
- (١٠) الأقيال: الملوك. الجلال: المضاربة.

بِيضٌ مِنَ الْعَوْنِ لَمْ تُسْتَلْ مِنْ غُمْدٍ خَيْلٌ مِنَ الْكَوْنِ لَمْ تُسْتَنْ فِي طِيلٍ^(١)
 أَزْكَى الْبَرِيَّةِ أَخْلَاقًا وَأَطْهَرَهَا وَأَكْثَرَ النَّاسِ صَفْحًا عَنْ ذَوِي الزَّلِيلِ
 زَانَ الْخَشَوَعِ وَقَارٌ مِنْهُ فِي خَفَرٍ أَرَقٌ مِنْ خَفَرِ الْعِذْرَاءِ فِي الْكِلَلِ^(٢)
 وَطُفَتْ فِي الْبَيْتِ مُحْبُورًا وَطَافَ بِهِ مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلُ الْفَتْحِ فِي شُغْلٍ
 وَالْكَفَرِ فِي ظِلْمَاتِ الرَّجْسِ مُرْتَكِسٍ ثَاوٍ بِمَنْزِلَةِ الْبَهْمُوتِ مِنْ زُحَلٍ^(٣)
 حَجَزَتْ بِالْأَمْنِ أَقْطَارَ الْحِجَازِ مَعًا وَمِلَتْ بِالْخَوْفِ عَنْ خَيْفٍ وَعَنْ مَلَلٍ^(٤)
 وَحَلَّ أَمْنٌ وَيُؤْمِنُ مِنْكَ فِي يَمَنِ لَمَّا أَجَابَتْ إِلَى الْإِيمَانِ فِي عَجَلٍ
 وَأَصْبَحَ الدِّينُ قَدْ حُقَّتْ جَوَانِبُهُ بِعِزَّةِ النَّصْرِ وَاسْتَعْلَى عَلَى الْمَلَلِ
 قَدْ طَاعَ مُنْخَرِفٌ مِنْهُمْ لِمُعْتَرِفٍ وَأَنْقَادَ مَنْعِدِلٍ مِنْهُمْ لِمُعْتَدِلٍ
 أَحَبُّ بِخَلَّةِ أَهْلِ الْحَقِّ فِي الْخُلَلِ وَعِزَّ دَوْلَتِهِ الْغُرَاءَ فِي الدُّوَلِ
 أَمَّ الْيَمَامَةَ يَوْمَ مِنْهُ مُضْطَلِمٌ وَحَلَّ بِالشَّامِ سُؤْمٌ غَيْرَ مَرْتَحِلٍ^(٥)
 تَعَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْرَاقُ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَتْرَكَ مِنَ الثُّرَى عَظْمًا غَيْرَ مُنْتَثِلٍ^(٦)
 لَمْ يَبْقَ لِلْفَرَسِ لَيْثٌ غَيْرَ مَفْتَرَسٍ وَلَا مِنَ الْخُبُشِ جَيْشٌ غَيْرَ مُنْجَفِلٍ^(٧)
 وَلَا مِنَ الصُّيْنِ صَوْنٌ غَيْرَ مَبْتَدَلٍ وَلَا مِنَ الرُّومِ مَرْمَى غَيْرَ مُنْتَضِلٍ^(٨)
 وَلَا مِنَ الثُّوبِ جِذْمٌ غَيْرَ مُنْجَذِمٍ وَلَا مِنَ الزُّنْجِ جِذْلٌ غَيْرَ مُنْجَذِلٍ^(٩)
 وَنِيلٌ بِالسَّيْفِ سَيْفِ الثَّيْلِ وَاتَّصَلَتْ دَعَايُ الْجُنُودِ فَكُلُّ بِالْجِلَادِ صَلِيٍّ^(١٠)
 وَسُلٌّ بِالْغَرْبِ غَرْبُ السَّيْفِ إِذْ شَرِقَتْ بِالشَّرْقِ قَبْلُ صَدُورِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(١١)
 وَعَادَ كُلُّ عَدُوٍّ عَزَّ جَانِبُهُ قَدْ عَاذَ مِنْكَ بِبَذَلٍ مِنْهُ مُبْتَذِلٌ

(١) البيض: السيوف. في طيل: أي في جبل.

(٢) الكلل: جمع كلة، وهو الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض.

(٣) البهموت: الحوت الذي يزعمون أنه يحمل الثور الحامل للأرض.

(٤) الخيف: منى (اسم موضع). ملل: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) المضطلم: المستأصل بالهلاك.

(٦) تعرقت: أخذ ما عليها من اللحم. الأعراق: العظام. منتثل: مستخرج.

(٧) المنجفل: المنهزم.

(٨) المنتضل: المرتمي.

(٩) الجذم: الأصل. والمنجذم: المنقطع. منجذل: منقطع.

(١٠) سيف: شاطئ. الجلاذ: المضاربة.

(١١) غرب السيف: حده. البيض: السيوف. الأسل: الرماح.

بِذِمَّةِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ مُتَّصِلٌ
يا صفوة الله قد صافيتُ فيك صفًا
أَلَسْتُ أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
وَأَزْلَفَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً
قُمْ يَا مُحَمَّدَ فَاشْفَعْ فِي الْعِبَادِ وَقُلْ
وَالْكُوْثَرِ الْحَوْضِ يَزِيهِ النَّاسُ مِنْ ظُمًا
أَصْفَى مِنَ الثَّلَجِ إِشْرَاقًا مَذَاقَتُهُ
نَحَلْتُكَ الْوُدَّ عَلَيَّ إِذْ نَحَلْتَكِهِ
فَمَا لَجِلْدِي بِنَضْجِ النَّارِ مِنْ جَلْدٍ
يَا خَالِقَ الْخَلْقِ لَا تُخْلِقْ بَمَا أَجْتَرَمْتُ
وَاصْحَبْ وَصَلْ وَوَاصِلْ كُلَّ صَالِحَةٍ
ﷺ

أَوْ مِنْ شَبَا النَّصْلِ بِالْأَمْوَالِ مُتَّصِلٍ^(١)
صَفَوِ الْوِدَادِ بِلَا شَوْبٍ وَلَا دَخَلٍ^(٢)
مِنَ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ
إِذْ قِيلَ فِي مَشْهَدِ الْأَشْهَادِ وَالرَّسْلِ
تُسْمَعُ وَسَلٌ تُغَطُّ وَأَشْفَعُ عَائِدًا وَسَلٌ
بَرْحٍ وَيُنْقَعُ مِنْهُ لَاعِجُ الْغُلْلِ^(٣)
أَحْلَى مِنَ اللَّبَنِ الْمَضْرُوبِ بِالْعَسَلِ
أُخْبِي بِفَضْلِكَ مِنْهُ أَفْضَلَ التَّحَلِّ^(٤)
وَلَا لِقَلْبِي بِهِوْلِ الْحَشْرِ مِنْ قَبْلِ
يَدَايِ وَجْهِي مِنْ حُوبٍ وَمِنْ زَلَلٍ^(٥)
عَلَى صَفِيكَ فِي الْإِصْبَاحِ وَالْأَصْلِ

وقد آن أن نأخذ في ذكر أخبار وفاة رسول الله ﷺ، ونبدأ من ذلك بما أنزل عليه عند اقتراب أجله، ثم نذكر ابتداء وجعه والحوادث التي أتفتت في أثناء مرضه إلى حين وفاته ﷺ.

ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ عند اقتراب أجله، وما كان يقوله مما استدل به على اقترابه

كان مما استدل به على اقتراب أجل رسول الله ﷺ، نزول سورة الفتح، وتتابع الوحي، وتكرار عرض القرآن على جبريل، وأستغفار رسول الله ﷺ لأهل البقيع والشهداء. روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل عن قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ [النصر: ١ و ٢] فقال بعض أصحاب رسول الله ﷺ: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا الله وفتح علينا. وقال بعضهم:

- (١) شبا النصل: حذّه وطرفه. النصل: السيف.
- (٢) المراد بقوله: صافيت فيك: صافيتك. الشوب: الخلط. الدخل: الدغل والفساد.
- (٣) البرح: الشديد. ينقع: يسكن. اللاعج: الشديدة الحرارة. الغلة: شدة العطش.
- (٤) نحل: أعطى. حباه: أعطاه.
- (٥) خلق: بلى. الحوب: الذئب.

فتح المدائن والقصور. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، قال عمر: كذاك تقول يابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له؛ قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ [النصر: ١] وذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣] فقال عمر رضي الله عنه: ما أعلم منها إلا ما تقول. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك اللهم أغفر لي». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ داع من الله ووداع من الدنيا. وعنه رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة فقال: «إنه نُعِيتَ إِلَيَّ نفسي» قالت: فبكيت، فقال: «لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً» فضحك. وروى محمد بن سعد بسنده إلى أنس بن مالك: أن الله تبارك وتعالى تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفي، وأكثر ما كان الوحي في يوم توفي رسول الله ﷺ. وروى ابن سعد أيضاً بسنده إلى عكرمة قال قال العباس: لأعلمن بقاء رسول الله ﷺ فينا، فقال له: يا رسول الله، لو آتخذت عرشاً فإن الناس قد آذك، قال: «والله لا أزال بين ظهرانهم ينزعوني ردائي ويصيبني غبارهم حتى يكون الله يريحني منهم» قال العباس: فعرفنا أن بقاء رسول الله ﷺ فينا قليل. وعن واثلة بن الأسقع قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «أترعمون أني من آخركم وفاة، ألا وإني من أولكم وفاة، وتتبعوني أفناداً»^(١) يهلك بعضكم بعضاً». وعن أبي صالح قال: كان جبريل يعرض القرآن كل سنة مرة على رسول الله ﷺ، فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه عرضه عليه مرتين. وكان رسول الله ﷺ يعتكف في شهر رمضان العشر الأواخر، فلما كانت السنة التي قبض فيها أعتكف عشرين يوماً. وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم نحوه.

ذكر استغفار رسول الله ﷺ

لأهل بَقِيعِ^(٢) الْغَرْقَدِ^(٣) والشُّهَدَاءِ، وما روي من تخييره بين البقاء

ولقاء الله تعالى، وأختياره لقاء ربه عز وجل

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله ﷺ ذات ليلة فلبس ثيابه ثم خرج، فأمرت جاريتي بَرِيرَةَ فتبعته، حتى إذا جاء البقيع وقف في أدناه ما شاء الله

(١) أفناداً: أي جماعات متفرقين قوماً بعد قوم.

(٢) البقيع: المكان المتسع الذي فيه شجر.

(٣) الغرقد: شجر عظيم كان ينبت في المدينة المنورة فزال فسمي المكان باسمه «بقيع الغرقد».

أن يقف، ثم أنصرف فسبقته بَرِيرَة فأخبرتني فلم أذكر له شيئاً حتى أصبح، ثم ذكرت ذلك له فقال: «إني بُعثت لأهل البقيع لأصلي عليهم». وعنها رضي الله عنها قالت: افتقدت النبي ﷺ من الليل فتبعته فإذا هو بالبقيع فقال: «السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم لنا فَرَطٌ»^(١)، وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمننا أجرهم ولا تفتننا بعدهم» قالت: ثم التفت إليّ فقال: «وَيَحْصِلُ ما فَعَلْتُ». وعنها رضي الله عنها قالت: وَثَب رسول الله ﷺ من مضجعه من جوف الليل، فقلت: إلى أين بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: «أمرت أن أستغفر لأهل البقيع» قالت: فخرج وخرج معه مولاه أبو رافع، وكان أبو رافع يحدث قال: أستغفر رسول الله ﷺ لهم طويلاً ثم انصرف، وجعل يقول: «يا أبا رافع إني خُيرت بين خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة، وبين لقاء ربي والجنة فأخترت لقاء ربي». وعن أبي مُؤَيْهبة مولى رسول الله ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ من جوف الليل: «يا أبا مُؤَيْهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأنطلق معي» فخرج وخرجت معه حتى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً، ثم قال: «ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يُتَّبَع بعضها بعضاً، يُتَّبَع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى» ثم أقبل عليّ فقال: «يا أبا مُؤَيْهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخبرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة» فقلت: بأبي أنت وأمي، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال: «لا والله يا أبا مُؤَيْهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة» ثم أستغفر لأهل البقيع وأنصرف. والجمع بين هذه الأحاديث كلها غير مناف؛ لأن رسول الله ﷺ ربما استغفر لأهل البقيع ليالي، ويؤيد هذا وَيَغْضُده ما رواه عطاء بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتها منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين، أتانا وإياكم ما توعدون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، اللهم أغفر لأهل بَقِيعِ الْغَرْقَدِ». وعن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ أتى ف قيل له: أذهب فصل على أهل البقيع، ففعل ذلك ثم رجع فَرَقَدَ، ف قيل له اذهب فصل على الشهداء، فذهب إلى أخذ فصل على قتلى أُحُدَ، فرجع معصوب الرأس، فكان بُدُو الوجع الذي مات فيه ﷺ.

وعن عُقْبَة بن عامر الجُهَنِيّ: أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أُحُدَ بعد ثمان سنين كالمودّع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: «إني بين أيديكم فَرَطٌ وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها».

(١) الفرط: مقدم القوم ليهيئ لهم وسائل الماء.

ذكر ابتداء وجع رسول الله ﷺ

وأستئذنه نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها

كان ابتداء وجع رسول الله ﷺ في يوم الأربعاء، قيل: لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة. وقيل: لليلة بقيت من صفر.

روي عن ابن شهاب، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود - دخل حديث أحدهما في حديث الآخر - عن عائشة رضي الله عنها قالت: بدا برسول الله ﷺ شكوه الذي تُوفِّي فيه وهو في بيت ميمونة، فخرج في يومه ذلك حتى دخل علي، قال ابن مسعود عنها: رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه، فقال: «بل أنا يا عائشة وارأساه» قالت ثم قال: «وما ضرك لو مت قبلي فقمْتُ عليك وكفنتك وصليْتُ عليك ودفنتك» قالت قلت: والله لكأنني بك لو قد فعلت ذلك لرجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتنام^(١) به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعز^(٢) به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهن أن يمرض في بيتي فأذن له، قالت: فخرج يمشي بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر، عاصب رأسه تحط قدماه حتى دخل بيتي، قال عبيد الله: فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن عباس فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قال قلت: لا، قال: علي بن أبي طالب قالت عائشة: ثم غمر^(٣) رسول الله ﷺ، واشتد به وجعه، فقال: «هريقوا»^(٤) علي من سبع قرب من آبار شتى وفي رواية: «لم تُخلَّل أوكيتهن»^(٥) لعلي أعهد إلى الناس» قالت: فأجلسناه في مخضب^(٦) لحفصة بنت عمر، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى جعل يشير إلينا بيده أن قد فعلت، ثم خرج إلى الناس وصلى بهم وخطبهم ﷺ.

ذكر خطبة رسول الله ﷺ

وما أمر به من سد الأبواب التي تشرع إلى مسجده

إلا باب أبي بكر الصديق ووصيته بالأنصار

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطب رسول الله ﷺ فقال:

(١) تمام به: تتابع.

(٢) استعز به: اشتد به المرض وأشرف على الموت.

(٣) غمر: أغمر عليه. (٤) هريقوا: صبوا.

(٥) الأوكية: واحدها وكاء، وهي رباط فم القربة.

(٦) المخضب: إناء تغسل فيه الثياب.

«إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» فبكى أبو بكر فقلت في نفسي: ما يُبكي هذا الشيخ أن يكون رسول الله ﷺ يخبرنا عن عبدٍ خَيْرٍ فاختار؟ قال: وكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا به، قال فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لا تبك، أيها الناس، إنَّ أَمَّنَّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً كان أبو بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ إلا باب أبي بكر». وعن قُتَيْبَةَ بن سعيد عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد؛ أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم الناس عليّ مئاً في صحبته وذات يده أبو بكر، فأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر» قال قُتَيْبَةَ: قال الليث بن سعد، قال معاوية بن صالح، فقال ناس: أغلق أبوابنا وترك باب خليله، فقال رسول الله ﷺ: «قد بلغني الذي قلت في باب أبي بكر، وإنني أرى على باب أبي بكر نوراً، وأرى على أبوابكم ظلمة» رواه محمد بن سعد في طبقاته الكبرى. وروي بسنده إلى عكرمة عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه في خرقة، فقعده على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنه ليس أحد أَمَّنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من الناس خليلاً لَأَتَّخِذْتُ أبا بكر خليلاً، ولكن خُلة الإسلام أفضل، سُدُّوا عني كُلَّ خَوْخَةٍ^(١) في هذا المسجد غير خَوْخَةِ أبي بكر» وعن أبي الحويرث قال: لما أمر رسول الله ﷺ بالأبواب تُسَدُّ إلا باب أبي بكر، قال عمر: يا رسول الله، دعني أفتح كُوة أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «لا». وعن أبي البَدَّاح بن عاصم بن عدي، قال قال العباس بن عبد المطلب: يا رسول الله، ما بالك فتحت أبواب رجال إلى المسجد، وما لك سدّدت أبواب رجال؟ فقال: «يا عباس، ما فتحتُ عن أمري ولا سدّدتُ عن أمري» قالت عائشة رضي الله عنها في حديثها: وأوصى رسول الله ﷺ بالأنصار، فقال: «يا معشر المهاجرين، إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، هم عَيْبَتِي^(٢) التي أويت إليها، أكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم». ومن رواية: «أحفظوني فيهم؛ اقبلوا من مُحسنهم وتجاوزوا عن مُسيئهم».

(١) الخوخة: كوة في البيت تؤدي إليها الضوء.

(٢) عييتي: أي خاصتي وأهل سري.

ذكر ما قاله رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه

رُوي عن أبي أمامة، عن كعب بن مالك قال: إن أحدث عهدي بنبيتكم ﷺ قبل وفاته بخمس، فسمعتة يقول ويحرك كفه «إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كان له من أمته خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر، إن الله اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا». وعن أبي مُلَيْكَةَ قال قال النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «أدعوا إليّ أبا بكر» فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل يغلبه البكاء، ولكن إن شئت دعونا لك أبن الخطاب، قال: «أدعوا إليّ أبا بكر» قالت: إن أبا بكر يرق، ولكن إن شئت دعونا لك أبن الخطاب. فقال: «إنكن صواحب يوسف، ادعوا إليّ أبا بكر وأبنة، فليكتب أن يطمع في أمر أبي بكر طامع أو يتمنى متمن» ثم قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون، يأبى الله ذلك والمؤمنون» قالت عائشة: فأبى الله ذلك والمؤمنون، فأبى الله ذلك والمؤمنون. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عروة، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد، كلهم يحدث عن عائشة رضي الله عنها - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - قالت: بدى برسول الله ﷺ في بيت ميمونة فدخل عليّ وأنا أقول: وارأساه، فقال: «لو كان ذلك وأنا حيّ فاستغفر لك وأدعو لك وأكفّنك وأدفنك» فقلت: واثكلاه، فوالله إنك لتحبّ موتي، ولو كان ذلك لظللت يومك مُعَرَّسًا ببعض أزواجك. فقال النبي ﷺ: «بل أنا وارأساه لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبيك وإلى أخيك فأفضي أمري، وأعهد عهدي، فلا يطمع في الأمر، طامع ولا يقول القائلون: أو يتمنى المتمنون». وقال بعضهم في حديثه: «ويأبى الله إلا أبا بكر». وعن محمد بن جُبَيْر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يذّكره في الشيء، فقال: إن جئت فلم أجذك؟ قال: «فأت أبا بكر». وعن عاصم بن عمرو بن قتادة، قال: أتباع النبي ﷺ بغيراً من رجل إلى أجل فقال: يا رسول الله، إن جئت فلم أجذك؟ يعني بعد الموت، قال: «فأت أبا بكر»، قال: فإن جئت فلم أجد أبا بكر، بعد الموت؟ قال: «فأت عمر»، قال: فإن جئت فلم أجد عمر؟ قال: «إن أستطعت أن تموت إذا مات عمر فمت».

ذكر أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي
بالناس في مرضه، وخروج رسول الله ﷺ وما كلم به الناس
وكم صلى أبو بكر بالناس صلاة، وما روي من أن
رسول الله ﷺ أتم بأبي بكر رضي الله عنه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: «مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس» فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف^(١)، وأنه متى ما يقوم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس» فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وأنه متى يقوم مقامك لا يُسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس» فلما دخل أبو بكر في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة فقام يهادى^(٢) بين رجلين، ورجلاه تخطآن في الأرض حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب أبو بكر يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ، فجاء النبي ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائمًا، وكان رسول الله ﷺ يصلي قاعدًا؛ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يقتدون بصلاة أبي بكر. رواه البخاري في صحيحه. وروى محمد بن سعد بسنده عن عُبَيْد بن عُمَيْر الليثي نحوه. وقال: فلما فرغا من الصلاة قال أبو بكر: أي رسول الله، أراك أصبحت بحمد الله صالحًا، وهذا يوم أبنه خارجة - امرأة لأبي بكر من الأنصار - فأذن له رسول الله ﷺ، وجلس رسول الله ﷺ في مُصَلَّاهُ أو إلى جنب المنبر، فحذر الناس الفتن، ثم نادى بأعلى صوته، حتى إن صوته ليخرج من باب المسجد، فقال: «إني والله لا يمسك الناس عليّ بشيء؛ لا أحلّ إلا ما أحلّ الله في كتابه، ولا أحرم إلا ما حرم الله في كتابه» ثم قال: «يا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة رسول الله ﷺ أعملا لما عند الله فإنني لا أغني عنكما من الله شيئًا» ثم قام من مجلسه ذلك، فما أنتصف النهار حتى قبضه الله تعالى. وعن سعيد بن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد مَنَاف لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا، سلوني ما شئتم». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت على عائشة فقلت لها حدثيني عن مرض

(١) الأسيف: الرقيق القلب، البكاء.

(٢) يهادى بين رجلين: أي يمشي بينهما معتمدًا عليهما من ضعفه وتمايله.

رسول الله ﷺ، قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ فقال: «أصلي الناس؟» فقلت: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضعوا لي ماء في المِخَضَب» قالت: ففعلنا فأغتسل ثم ذهب لينوء^(١) فأغمي عليه ثم أفاق، فقال: «أصلي الناس؟» فقلت: لا، هم ينتظرونك، فقال: «ضعوا لي ماء في المِخَضَب» قالت: ففعلنا فذهب فأغتسل فقال: «أصلي الناس؟» قلت: لا، هم ينتظرونك، والناس عُكُوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فاتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً -: يا عمر، صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلي أبو بكر تلك الأيام. ثم إن النبي ﷺ وجد في نفسه خِفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس، فصلي الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، قالت: فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي ﷺ ألا يتأخر، وقال لهما: «أجلساني إلى جنبه» فأجلساه إلى جنب أبي بكر فجعل أبو بكر يصلي، وهو قائم بصلاة النبي ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد، قال عُبَيْد الله: فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني به عائشة عن مرض رسول الله ﷺ؟ قال: هات، فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: سَمَت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب.

وروى محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، وعبد العزيز بن محمد عن عمارة بن غَزِيَّة عن محمد بن إبراهيم قال: قال رسول الله ﷺ وهو مريض لأبي بكر: «صل بالناس» فوجد رسول الله ﷺ خِفة فخرج وأبو بكر يصلي بالناس، فلم يشعر حتى وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفيه، فنكص أبو بكر، وجلس النبي ﷺ عن يمينه، فصلي أبو بكر وصلي رسول الله ﷺ بصلاته، فلما أنصرف قال: «لم يُقْبَض نبي قط حتى يؤمّه رجل من أمته». وروي نحوه عن أبي معشر، عن محمد بن قيس. وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان في وجعه إذا خف عنه ما يجد خرج فصلي بالناس، وإذا وجد ثقله قال: «مروا الناس فليصلوا» فصلي بهم ابن أبي قحافة يوماً الصبح فصلي ركعة، ثم خرج رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه فأتّم بأبي بكر، فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله ﷺ ما فاتته. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى في مرضه بصلاة

(١) ينوء: ينهض.

أبي بكر ركعة من الصبح ثم قضى الركعة الباقية. قال الواقدي: ورأيت هذا الثبوت عند أصحابنا؛ أن رسول الله ﷺ صلى خلف أبي بكر. وروى محمد بن سعد بسنده إلى عبد الله بن زُمعة بن الأسود قال: عُدْتُ رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوفي فيه، فجاءه بلال يُؤذنه بالصلاة، فقال لي رسول الله ﷺ: «مُرِ النَّاسَ فليصلُوا» قال عبد الله: فخرجت فلقيت ناسًا لا أكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبغِ مَنْ وَرَاءَهُ، وكان أبو بكر غائبًا فقلت له: صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان عمر رجلًا مُجَهَّرًا، فلما كَبُرَ سمع رسول الله ﷺ صوته، فأخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته، فقال: «لا، لا، لا، ليصل بهم ابن أبي قحافة» قال: يقول ذلك رسول الله ﷺ مُغْضَبًا، قال: فأنصرف عمر فقال لعبد الله بن زُمعة: يابن أخي أمرك رسول الله ﷺ أن تأمرني؟ قال فقلت: لا، ولكني لما رأيته لم أبغِ مَنْ وَرَاءَهُ، فقال عمر: ما كنت أظن حين أمرتني إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، فقال عبد الله: لَمَّا لم أرَ أبا بكر رأيته أحقُّ من حضر بالصلاة. وعن عبد الله بن عباس قال: حَضَرَت الصلاة فقال النبي ﷺ: «مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس» فلما قام أبو بكر مقام النبي ﷺ أَشْتَدَّ بكاءه وَأَفْتَتَنَ، وَأَشْتَدَّ بكاء من خَلْفَهُ، لَفَقَد نبيهم ﷺ، فلما حَضَرَت الصلاة جاء المؤذن إلى النبي ﷺ فقال: قولوا للنبي ﷺ يأمر رجلًا يصلي بالناس، فإن أبا بكر قد أَفْتَتَنَ من البكاء والناس خلفه، فقالت حفصة زوج النبي ﷺ: مروا عمر يصلي بالناس حتى يرفع الله رسوله، قال: فذهب إلى عمر فصلى بالناس، فلما سمع النبي ﷺ تكبيره قال: «من هذا الذي أسمع تكبيره؟» فقال له أزواجه: عمر بن الخطاب، وذكروا له ما قاله المؤذن، وما قالت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «إنكن لصواحبُ يوسف، قولوا لأبي بكر فليصل بالناس» قال: فلو لم يستخلفه ما أطاع له الناس. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لم يزل رسول الله ﷺ في وجعه إذا وجد خِفَةَ خُرْجٍ، وإذا ثَقُلَ وجاءه المؤذن قال: «مروا أبا بكر يصلي بالناس» فخرج من عنده يومًا الأمر يأمر الناس يصلون وابن أبي قحافة غائب، فصلى عمر بن الخطاب بالناس فلما كَبُرَ قال رسول الله ﷺ: «لا، لا، أين ابن أبي قحافة؟» قال: فانتقضت الصفوف وأنصرف عمر، قال: فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة وكان بالسُّنْحِ^(١) فتقدم فصلى بالناس. وعن أنس بن مالك: أن أبا بكر

(١) السُّنْحُ: موضع قرب المدينة.

رضي الله عنهما كان يصلي بهم في وجع رسول الله ﷺ الذي تُوفِّي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ينظر إلينا، وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكًا ونحن في الصلاة من الفرح. قال: ونكص أبو بكر على عقبيه، فأشار إليهم رسول الله ﷺ «أن أتموا صلاتكم» قال: ثم دخل وأرخى الستر، فتوفي من يومه ﷺ. وقال محمد بن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: كم صلى أبو بكر بالناس؟ قال: صلى بهم سبع عشرة صلاة، قلت: من حدثك ذلك؟ قال قال: حدثني أيوب بن عبد الرحمن بن صغصعة، عن عباد بن تميم، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: صلى بهم أبو بكر ذلك.

ذكر ما أُنْفِقَ في مرض رسول الله ﷺ

خلاف ما ذكرناه، من اللدود^(١) الذي لُدَّ به، والكتاب الذي أراد أن يكتبه، والوصية التي أمر بها، والدنانير التي قسمها، والسواك الذي أَسْتَنَّ به ﷺ.

فأما اللدود الذي لُدَّ به ﷺ وما قال فيه

رُوي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: تخوفنا على رسول الله ﷺ ذات^(٢) الجنب وثقل فلَدَدُناه، فوجد خشونة اللد فافاق، فقال: «ما صنعتُم بي؟» قالوا: لَدَدُناكَ، قال: «بماذا؟» قلنا: بالعود الهندي، وشيء من ورس وقطرات زيت، فقال: «من أمركم بهذا؟» قالوا: أسماء بنت عميس، قال: «هذا طِبُّ أصابته بأرض الحبشة، لا يبقى أحد في البيت إلا التُدُّ إلا ما كان من عم رسول الله ﷺ يعني العباس، ثم قال: «ما الذي كنتم تخافون علي؟» قالوا: ذات الجنب، قال: «ما كان الله ليسلطها علي». وفي رواية عن أم بشر بن البراء؛ قال: «ما كان الله ليسلطها على رسوله، إنها همزة من الشيطان، ولكنها من الأكلة التي أكلتها أنا وأبنك، هذا أوانٌ قَطَعَتْ أبهرِي»^(٣). ومن حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فجعل بعضهم يَلُدُّ بعضًا. وعن هشام قال: كانت أم سلمة وأسماء بنت عميس هما لَدَتاه، قال: فالتدت يومئذ ميمونة وهي صائمة؛ لِقَسَمِ النبي ﷺ، قال: وكان منه عقوبة لهم.

(١) اللدود: ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم.

(٢) ذات الجنب: هي ورم حار يعرض للحجاب المستبطن للأضلاع.

(٣) الأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه.

وأما الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع

فقد اختلفت الروايات في هذا الحديث عن عبد الله بن عباس وغيره، فمن رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أشتكى النبي ﷺ يوم الخميس فجعل - يعني ابن عباس - يبكي ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، أشتد بالنبي ﷺ وجعه فقال: «أيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابًا لا تضلّوا بعده أبدًا» قال فقال بعض من كان عنده: إن نبي الله هجر^(١)، قال ف قيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال: «أو بعد ماذا؟» فلم يدع به. ومن طريق آخر عن سليمان بن أبي مسلم عن سعيد بن جبير قال: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع. فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يعيدون عليه. فقال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه». قال: وأوصى بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، فلا أدري قالها فنسيتها، أو سكت عنها عمدًا؟ ومن رواية طلحة بن مضر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أيتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتابًا لا تضلّوا بعده أبدًا». قال فقالوا: إنما يهجر رسول الله ﷺ. هذه الروايات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله ﷺ: «هلم أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده» فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت وأختصموا، فمنهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر؛ فلما كثر اللغط والاختلاف وغمر رسول الله ﷺ قال: «قوموا عني». قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كلّ الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم. وعن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال في مرضه: «أيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من لفلاة وفلاة - من مدائن الروم - إن رسول الله ﷺ لن يموت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرناه كما أنتظرت بنو إسرائيل موسى؛ فقالت زينب زوج النبي ﷺ: ألا تسمعون للنبي ﷺ يعهد إليكم؟ فلغظوا

فقال: «قوموا» فلما قاموا قبض النبي ﷺ مكانه. وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما كان في مرض رسول الله ﷺ الذي توفي فيه، دعا بصحيفة ليكتب فيها لأمتة كتابًا لا يضلون ولا يضلّون، فكان في البيت لَغَط وكلام، وتكلم عمر بن الخطاب، قال: فرفضه النبي ﷺ.

وعن محمد بن عمر الواقدي عن هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ، وبيننا وبين النساء حجاب، فقال رسول الله ﷺ: «أغسلوني بسبع قرب وأتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابًا لن تضلّوا بعده أبدًا» فقال النسوة: آيتوا رسول الله ﷺ بحاجته. قال عمر فقلت: أسكتن فإنكن صواحبه إذا مرض عَصْرُتُنْ أعينكن، وإذا صح أخذتن بعنقه. فقال رسول الله ﷺ: «هُنَّ خير منكم».

هذا ما وقفنا عليه من الروايات المسندة في هذا الحديث، وقد تذرّعت به طائفة من الروافض، وتكلموا فيه وطعنوا على من لَغَط عند رسول الله ﷺ حتى أمتنع من الكتابة.

وقد تكلم القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض رحمه الله على هذا الحديث، وذكر أقوال العلماء وما أبدّوه من الاعتذار عن عمر رضي الله عنه فيما قال، فقال رحمه الله تعالى، قال أئمتنا في هذا الحديث: النبي ﷺ غير معصوم من الأمراض، وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه، مما يطرأ على جسمه، معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته، ويؤدي إلى فساد في شريعته، من هذيان أو اختلال في كلام، وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث «هَجَرَ» إذ معناه هذى يقال: هَجَرَ هُجْرًا إذا أفحش، وأهجر تعديّة هجر، وإنما الأصح والأولى «أَهَجَرَ»؟ على طريق الإنكار على من قال لا نكتب، قال: وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث الزهري ومحمد بن سلام عن ابن عُيَيْنَةَ، قال: وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق، وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره، قال: وقد تُحْمَل عليه رواية من رَوَاه هجر على حذف ألف الاستفهام، والتقدير: أهجر؟ أو أن يُحْمَلَ قول القائل: «هَجَرَ» أو أهَجَرَ دهشة من قائل ذلك وحيرة؛ لعظيم ما شاهد من حال الرسول ﷺ وشدة وجعه، وهول المقام الذي اختلف فيه عليه، والأمر الذي هم بالكتاب فيه، حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع؛ لأنه أعتقد أنه يجوز عليه الهجر، كما حملهم الإشفاق على حراسته، والله تعالى يقول:

﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] ونحو هذا. وأما على رواية: «أُهْجَرًا»، وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح، في حديث ابن جبير، عن ابن عباس من رواية قُتَيْبَةَ، فقد يكون هذا راجعًا إلى المختلفين عنده ﷺ، ومخاطبة لهم من بعضهم، أي جئتم باختلافكم على رسول الله ﷺ وبين يديه هُجَرًا ومنكرًا من القول! والهَجْر بضم الهاء الفحش في المنطق.

وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام أن يأتوه بالكتاب، فقال بعضهم: أوامر النبي ﷺ يفهم إيجابها من نديها من إباحتها بقرائن، فلعل قد ظهر من قرائن قوله ﷺ لبعضهم ما فهموا أنه لم يكن منه عَزْمَةٌ، بل أمر رده إلى اختيارهم، وبعضهم لم يفهم ذلك، فقال: أستفهموه، فلما اختلفوا كَفَّ عنه إذ لم تكن عَزْمَةٌ^(١)، ولما رآوه من صواب رأي عمر رضي الله عنه. ثم هؤلاء قالوا: ويكون أمتناع عمر إما إشفاقًا على النبي ﷺ من تكليفه في تلك الحال، وإما إملاء الكتاب، وأن يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال: إِنَّ النبيَّ اشْتَدَّ به الوجع. وقيل: خشي عمر أن يكتب أمورًا يعجزون عنها فيحصلون^(٢) في الحَرَج بالمخالفة، ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد، وحكم النظر، وطلب الصواب، فيكون المصيبُ والمخطيء مأجورًا، وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة، وأن الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وقوله ﷺ: «أوصيكم بكتاب الله وعِثرتي». وقول عمر: حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ، ردُّ على من نازعه، لا على أمر النبي ﷺ. وقد قيل: إن عمر خشي تطرُق المنافقين، ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة، وأن يقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك. وقيل: إنه كان من النبي ﷺ على طريق المشورة والاختبار، هل يتفقون على ذلك أم يختلفون، فلما اختلفوا تركه. وقالت طائفة أخرى: إن معنى الحديث أن النبي ﷺ كان مجيبًا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به، بل اقتضاه منه بعض أصحابه، فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها، وأستدل في مثل هذه القضية بقول العباس لعلي: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإذا كان الأمر فينا علمناه، وكرهه عليّ هذا وقوله: «والله لا أفعل» الحديث. واستدل بقوله: «دعوني فإن الذي أنا فيه خير» أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم، وكتاب الله. وأن تدعوني مما طلبتم. وذكر أن الذي طُلب كتابه في أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. هذا ما أورده في معنى هذا الحديث. والله تعالى أعلم.

(١) عزمة الرجل: أسرته وقبيلته. وعزمة من عزمات الله: أي حق من حقوقه.

(٢) يحصلون: يقعون.

وَأَمَّا مَا وَصَّى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ

فقد رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، حتى جعل رسول الله ﷺ يُغْرِغُ بها في صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه. وعن أم سلمة نحوه. وعن كعب بن مالك قال: أغمي على رسول الله ﷺ ساعة ثم أفاق، فقال: «اللَّهُ اللَّهُ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، أَلْبَسُوا ظُهُورَهُمْ، وَأَشْبَعُوا بَطُونَهُمْ، وَأَلْبِنُوا لَهُمُ الْقَوْلَ». وعن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن رسول الله ﷺ آخر عهده أوصى ألا يُتْرَكَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ دِينَانٌ. وعن مالك بن أنس عن إسماعيل بن أبي حكيم، عن عمر بن عبد العزيز قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يَبْقِيَنَّ دِينَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ». وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه كان آخر ما عهد رسول الله ﷺ أوصى بِالرَّهَاقِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّهَاءِ^(١)، قال: وأعطاهم من خَيْبَرٍ وجعل يقول: «لئن بقيتُ لا أدعُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانَ». وعن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أنه قال: أوصى رسول الله ﷺ بِالْأَرَاوِيِّينَ وَبِالْأَرَاوِيِّينَ وَبِالْأَرَاوِيِّينَ خَيْرًا. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاث وهو يقول: «أَلَا لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسُنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ». وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نَعَى لَنَا نَبِيْنَا وَحَبِيبُنَا نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي لَهُ الْفَدَاءُ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعْنَا فِي بَيْتِ أُمِّنَا عَائِشَةَ وَتَشَدَّدَ لَنَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِكُمْ، حَيَّاكُمْ اللَّهُ بِالسَّلَامِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، حَفِظَكُمُ اللَّهُ، جَبَّرَكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، نَفَعَكُمُ اللَّهُ، آدَاكُمْ^(٢) اللَّهُ، وَقَاكُمْ اللَّهُ، أَوْصِيَكُمُ اللَّهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَأَوْصِي اللَّهُ بِكُمْ؛ وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، وَأَحْذَرَكُمُ اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. وقال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ

(١) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذي استحدثها، وهو الرها بن البلندي بن مالك بن دعر. والنسبة إليها الرهاوي... (معجم البلدان لياقوت).

(٢) آداكم الله: قواكم وأعانكم على عدوكم.

مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» [الزمر: ٦٠] قلنا: يا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق، والمنقلب إلى الله، وإلى جنة المأوى، وإلى سِدْرَةِ المنتهى، وإلى الرفيق الأعلى والكأس الأوفى والحظ والعيش المَهْنَى» قلنا: يا رسول الله من يَغْسِلُكَ؟ قال: «رجال من أهلي الأدنى فالأدنى» قلنا: يا رسول الله ففيم نُكْفَنُكَ؟ قال: «في ثيابي هذه إن شئتُم أو في ثياب مصر أو في حُلَّة يمانية» قال قلنا: يا رسول الله، من يصلي عليك؟ وبكينا وبكى، فقال: «مهلاً رحمكم الله وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسلتموني وكفتموني فضعوني على سريري هذا على شَفَةِ قَبْرِي في بيتي هذا، ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت معه جنوده من الملائكة بأجمعهم، ثم أدخلوا عليّ فَوْجًا فَوْجًا، فصلوا عليّ وسلموا تسليمًا، ولا تؤذوني بتزكية ولا برّنة، وليبدأ بالصلاة عليّ رجال من أهلي ثم نساؤهم ثم أنتم بعد، وأقرئوا السلام على من غاب من أصحابي، وأقرئوا السلام على من يتبعني على ديني من قومي إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله، فمن يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مَعَ ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم».

وأما الدنانير التي قسمها رسول الله ﷺ

في مرضه الذي مات فيه

فقد روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ دنانير فقسمها إلا ستة، فدفعت الستة إلى بعض نسائه، فلم يأخذه النوم حتى قال: «ما فعلت الستة؟» قالوا: دفعناها إلى فلانة، قال: «أيتوني بها» فقسم منها خمسة في خمسة أبيات من الأنصار، ثم قال: «أستنفقوا هذا الباقي» وقال: «الآن أسترح» فرقد. وعن المطلب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لعائشة، وهي مُسْنِدَتُهُ إلى صدرها: «يا عائشة ما فعلت تلك الذهب»^(١) قالت: هي عندي، قال: «فأنفقيها» ثم غشي على رسول الله ﷺ وهو على صدرها، فلما أفاق قال: «هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة؟» قالت: لا والله يا رسول الله، قالت: فدعا بها فوضعها في كفّه، فعدها فإذا هي ستة دنانير، فقال: «ما ظنُّ محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده!» فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم.

(١) المراد بقوله: تلك الذهب: أي تلك الدنانير الذهب.

وأما السَّوَاكُ الَّذِي اسْتَنَّْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ

فقد روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ في شكواه، وأنا مسندته إلى صدري، وفي يد عبد الرحمن سِوَاكُ فأمرها أن تقضمه، فقضمته ثم أعطته رسول الله ﷺ. ومن حديث آخر عنها قالت: فنظر رسول الله ﷺ إليه وهو في يده نظراً عرفت أنه يريد، فقلت: يا رسول الله، تريد أن أعطيك هذا السَّوَاكُ؟ فقال: «نعم» فأخذته فمضغته حتى لَيَّنْتَهُ ثم أعطيته إياه، فاستَنَّْ به كأشد ما رأيته استَنَّْ بسِوَاكٍ قبله ثم وضعه، فكانت عائشة تقول: كان من نعمة الله عليّ وحسن بلائه عندي، أن رسول الله ﷺ مات في بيتي، وفي يومي وبين سَخْرِي^(١) ونَخْرِي، وجمع بين ريقِي وريقه عند الموت. فقال لها القاسم بن محمد: قد عرفنا كل الذي تقولين، فكيف جمع بين ريقك وريقه؟ قالت: دخل عبد الرحمن ابن أم رومان أخي على رسول الله ﷺ يعوده، وفي يده سِوَاكُ رطب، وكان رسول الله ﷺ مولعاً بالسَّوَاكِ، فرأيت رسول الله ﷺ يشخص بصره إليه، فقلت: يا عبد الرحمن، أقضم السَّوَاكُ فناولنيه، فمضغته ثم أدخلته في في رسول الله ﷺ فتسَوَّكُ به، فجمع بين ريقِي وريقه.

ذكر تخيير رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة عند الموت

رُوي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت سمعت أنه لا يموت نبي حتى يُخَيَّرَ بين الدنيا والآخرة، فأصاب رسول الله ﷺ بُحَّةٌ شديدة في مرضه، فسمعتة يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] فظننت أنه خَيْرٌ. وعن المطلب بن عبد الله، قال قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول «ما من نبي إلا تُقبض نفسه ثم تُردُّ إليه فيخير بين أن تُردَّ إليه إلى أن يلحق» قالت: فكنت قد حفظت ذلك منه، فإني لَمُسْنِدَتُهُ إلى صدري فنظرت إليه حتى مالت عنقه، فقلت قد قضى وعرفت الذي قال، فنظرت إليه حتى أرتفع ونظر، قالت: قلت إذا والله لا تختارنا، فقال: «مع الرفيق الأعلى في الجنة» ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. وعن سعيد بن المسيب وغيره أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان

رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يُقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخبر» قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة، ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف سقف البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» قالت: فقلت الآن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ. وعن أبي بريدة بن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ قد أسندته عائشة إلى صدرها فأفاق، وهي تدعو له بالشفاء فقال: «لا، بل أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد مع جبريل وميكائيل وإسرافيل».

ذكر ما قاله رسول الله ﷺ عند

نزول الموت به

روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما نزل بالنبي ﷺ الموت دعا بقدر من ماء فجعل يمسح به وجهه، ويقول: «اللهم أعني على سكرات الموت» وجعل يقول: «أذن مني يا جبريل، أذن مني يا جبريل، أذن مني يا جبريل». وعن عبد الله بن عباس وعائشة رضي الله عنهما قالا: لما نزل بالنبي ﷺ طفق يلقي خميصته^(١) على وجهه، فإذا أغتم بها ألقاها عن وجهه ويقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

ذكر وفاة رسول الله ﷺ

روى عن محمد بن جعفر عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجددك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً» فلما كان في اليوم الثاني هبط إليه جبريل فقال له مثل ذلك، وأجابه رسول الله ﷺ بمثل ما أجابه به بالأمس، فلما كان اليوم الثالث نزل إليه جبريل، وهبط معه ملك الموت، ونزل معه ملك يقال له إسماعيل، يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض منذ يوم كانت الأرض على سبعين ألف ملك، ليس منهم ملك إلا على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبريل، فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك، وتفضيلاً لك، وخاصة لك، يسألك عما هو أعلم به منك، يقول لك: كيف تجددك؟ قال: «أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً» ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل: يا أحمد،

(١) الخميصة: ثوب خز أو صوف معلم.

هذا ملك الموت يستأذن عليك، ولم يستأذن على آدمي كان قبلك، ولا يستأذن على آدمي بعدك، قال: «أئذن له» فدخل ملك الموت فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله، يا أحمد، إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمرني به، إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها، قال: «وتفعل يا ملك الموت؟» قال: بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني، فقال جبريل: يا أحمد، إن الله قد أشتاقت إليك، قال: «فأمض يا ملك الموت لما أمرت به» قال جبريل: السلام عليك يا رسول الله، هذا آخر موطني الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا، فتوفي رسول الله ﷺ، وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس، ولا يرون الشخص: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُوزَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فأرجوا، إنما المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكانت وفاة رسول الله ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة في حجر عائشة وبين سخرها ونخرها. وقد قيل: إنه توفي في حجر علي، والصحيح الأول. وذلك في يوم الاثنين حين أشتد الضحى، لأثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه. ولما مات ﷺ سجي بثوب جبيرة، كما روي عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما، ودخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وقال: بأبي وأمي ما أطيب مخياك ومماتك. وفي لفظ: طبت حيا وميتا. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر فدخل عليه فرفعت الحجاب، فكشف الثوب عن وجهه، فاسترجع فقال: مات والله رسول الله، ثم تحول من قبل رأسه فقال: وانبياه، ثم حذر فمه فقبل وجهه ثم رفع رأسه، فقال: واخليلاه، ثم حذر فمه فقبل جبهته ثم رفع رأسه، فقال: واصفياه، ثم حذر فمه فقبل جبهته، ثم سجاه بالثوب ثم خرج. وعن عبد الرحمن بن عوف: أن عائشة أخبرته أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح^(١) حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيّم^(٢) رسول الله ﷺ وهو مسجي بئرد جبيرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت، والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مئتها.

(١) السنح: موضع بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج.

(٢) تيمم: قصد.

ذكر ما تكلم به الناس حين شكوا في وفاة رسول الله ﷺ وخطبة أبي بكر رضي الله عنه

رُوي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ بكى الناس فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المسجد خطيباً فقال: لا أسمعن أحداً يقول إن محمداً قد مات، ولكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران، فلبث عن قومه أربعين ليلة، وإنني والله لأرجو أن تُقطع أيدي رجالٍ وأرجلهم يزعمون أنه مات. وعن عكرمة قال: لما تُوفي رسول الله ﷺ فقالوا: إنما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى، قال: وقام عمر خطيباً فوعد المنافقين، وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، ولكن إنما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى، لا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي أقوام وألستهم، قال: فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدقه، فقال العباس: إن رسول الله ﷺ يأسن^(١) كما يأسن البشر، وإن رسول الله ﷺ قد مات فأدفنوا صاحبكم، أيّمت أحدكم إمامة ويُميته إمامتين؟ هو أكرم على الله من ذلك، فإن كان كما تقولون فليس على الله بعزيز أن يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله، ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، أحلّ الحلال، وحرّم الحرام، ونكح وطلق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال، يخطب عليها العِصاة^(٢) بمخبطه ويمدّر حوضها بيده، بأنصب ولا أزاب^(٣) من رسول الله ﷺ كان فيكم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما تُوفي رسول الله ﷺ استأذن عمر والمغيرة بن شعبة فدخلا عليه فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر: أغشياً؟ ما أشدّ غشي رسول الله ﷺ! ثم قاما فلما أنتهيا إلى الباب، قال المغيرة: يا عمر، مات والله رسول الله ﷺ، فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله ﷺ، ولكنك رجل تحوسك^(٤) فتنة، ولن يموت رسول الله ﷺ حتى يُفني المنافقين، ثم جاء أبو بكر وعمر يخطب الناس فقال له أبو بكر: اسكت؛ فسكت، فصعد أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قرأ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَئِيتٌ ۖ ﴿٣٠﴾ [الزمر: ٣٠] ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِتْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۖ ﴿١٤﴾ [آل عمران: ١٤] ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنْ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت. فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم، قال: أيها الناس، هذا أبو بكر وذو شبيبة المسلمين فبايعوه فبايعه

(٢) العِصاة: كل شجر له شوك صغر أو كبير.

(١) يأسن: يتغير.

(٣) رأب: أصلح.

(٤) تحوسك: بمعنى تخالطك وتحثك على ركوبها.

الناس. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر المسجد وعمر بن الخطاب يكلم الناس، فمضى حتى دخل بيت النبي ﷺ الذي توفي فيه، وهو بيت عائشة، وكشف عن وجه النبي ﷺ بُزْدَ حَبْرَةٍ، كان مسجى به فنظر إلى وجهه ثم أكب عليه فقَبَلَهُ، فقال: بأبي أنت؛ واللَّهِ لا يجمع الله عليك موتتين، لقد متَّ الموتة التي لا تموت بعدها، ثم خرج أبو بكر إلى الناس، وعمر يكلمهم فقال: أجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فكلمه أبو بكر مرتين أو ثلاثاً، فلما أبى عمر أن يجلس قام أبو بكر فتشهد، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فلما قضى أبو بكر تشهده قال: أما بعد؛ فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال: فلما تلاها أبو بكر أيقن الناس بموت النبي ﷺ، وتلقاها الناس من أبي بكر حين تلاها أو كثير منهم، حتى قال قائل من الناس: والله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر. فزعم سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعَقِرْتُ^(١) وأنا قائم حتى خررت إلى الأرض، وأيقنت أن النبي ﷺ قد مات. وعن الحسن قال: لما قبض رسول الله ﷺ أثمر أصحابه فقالوا: تربصوا بنبيكم ﷺ لعله عُرج به، قال: فتربصوا به حتى ربأ بطنه، فقال أبو بكر: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما شك في موت النبي ﷺ قال بعضهم: قد مات، وقال بعضهم: لم يمت، وضعت أسماء بنت عُمَيْسٍ يدها بين كتفيه، وقالت: قد توفي رسول الله ﷺ، قد رُفِعَ الخاتم من بين كتفيه. وكان من أصحاب رسول الله ﷺ من أخرس عن الكلام لما رآه من موت رسول الله ﷺ، فما تكلم إلا بعد الغد، وأُقيِدَ آخرون، منهم علي بن أبي طالب، ولم يكن فيهم أثبت من أبي بكر والعباس رضي الله عنهما، قالوا: وعزَّى الناس بعضهم بعضاً برسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد ذكر ذلك للناس قبل موته، كما روي عن سهل بن سعد؛ قال قال رسول الله ﷺ: «سيعزِّي الناس بعضهم بعضاً من بعدي التَّغْزِيَةَ بِي» فكان الناس يقولون ما هذا؟ فلما قبض رسول الله ﷺ لقي الناس بعضهم بعضاً يعزِّي بعضهم بعضاً برسول الله ﷺ.

(١) العقر: أن تسلم الرجل قوائمه إلى الخوف فلا يقدر أن يمشي من الفرق والدهش.

ذكر غسل رسول الله ﷺ ومن غسله، وتكفيته وحنوطه

رُوي أن أصحاب رسول الله ﷺ لما ذكروا غسله سمعوا من باب الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر، ثم سمعوا صوتاً بعده: أغسلوه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر، وعزاهم فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودرَكاً من كل فائت، فبالله فيثقوا وإياه فأرجوا، فإن المصاب من حرم الثواب. وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله ﷺ اختلف الذين يغسلونه، فسمعوا قائلاً لا يدرون من هو، يقول: أغسلوا نبيكم وعليه قميصه، فغسل رسول الله ﷺ في قميصه. وعن عباد بن عبد الله عن عائشة قالت: لو أستقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه، إن رسول الله ﷺ لما قبض اختلف أصحابه في غسله، فقال بعضهم: أغسلوه وعليه ثيابه، فبينما هم كذلك إذ أخذتهم نغسة، فوقع لخي كل إنسان منهم على صدره، فقال قائل منهم لا يذرى من هو: أغسلوه وعليه ثيابه، قالوا: وكان الذي تولى غسل رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأسامة بن زيد، وكان علي يغسله ويقول: بأبي أنت أُمي، طُبت ميتاً وحياً. وقيل: كان علي يغسل النبي ﷺ والفضل وأسامة يحجبانه، وقيل: غسل والعباس قاعد والفضل مُختَضِئُهُ، وعلي يغسله، وأسامة يختلف، وقيل: ولي غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، والفضل بن العباس وصالح مولى رسول الله ﷺ. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوصى رسول الله ﷺ ألا يغسله أحد غيري، فإنه «لا يرى أحد عورتي إلا طُمست عيناه». قال علي: فكان الفضل وأسامة يناولاني الماء من وراء الستر، وهما معصوبتا العين. قال علي: فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله. وقيل: كان معهم شُقران مولى رسول الله ﷺ. وعن سعيد بن المسيب قال: غسل النبي ﷺ، وكفنه أربعة: علي والعباس والفضل وشُقران، وقيل: لم يحضره العباس، بل كان بالباب، وقال: لم يمنعني أن أحضر غسله إلا أنني كنت أراه يستحي أن أراه حاسراً. وقيل: حضره عَقِيل بن أبي طالب، وأوس بن خُولَيٍّ، وذلك أن أوس بن خُولَيٍّ قال: يا علي، أنشدك الله في حظنا من رسول الله ﷺ، فقال له علي: أدخل، فدخل فجلس، وقيل: إنما دخل لأن الأنصار قالت: نناشدكم الله في نصيبنا من رسول الله ﷺ، فأدخلوا رجلاً منهم يقال له أوس بن خُولَيٍّ يحمل جرة بإحدى يديه. والذي أثبته الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله في مختصر

السيرة قال: تولى غسله عليّ والعبّاسُ والفضلُ وقثمُ أبنا العباس وأسامه بن زيد وشقران موليا رسول الله ﷺ، قال: وحضره أوس بن خوليّ الأنصاريّ. وعن عليّ رضي الله عنه قال: لما أخذنا في جهاز رسول الله ﷺ أغلقنا الباب دون الناس جميعاً، فنادت الأنصار نحن أخواله، ومكاننا من الإسلام مكاننا، ونادت قريش نحن عصبته، فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين، كل قوم أحقّ بجنائزهم من غيرهم، فتشدتكم الله فإنكم إن دخلتم أخرجتموهم عنه، والله لا يدخل عليه أحد إلا من دُعي. وعن أبي جعفر محمد بن عليّ قال: غسل النبي ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر، وغسل في قميص، وغسل من بثر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء، وكان يشرب منها وولي غسل سفلته عليّ، والعباس يصب الماء، والفضل مُحْتَضِنُه يقول: أرخني أرخني، قطعت وتيني^(١)! إني أجد شيئاً ينزل عليّ مرتين. وعن عبد الله بن الحارث: أن عليّاً غسله، يدخل يده تحت القميص، والفضل يمسك الثوب عليه، والأنصاريّ ينقل الماء وعلى يد عليّ خرقة تدخل يده وعليه القميص. وعن عبد الله بن جعفر الزهري عن عبد الواحد بن أبي عون، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ في مرضه الذي توفي فيه: «أغسلني يا عليّ إذا مت» فقال: يا رسول الله، ما غسلت ميتاً قط، فقال رسول الله ﷺ: «إنك ستُهيأ، أو تُيسر» قال عليّ: فغسلته فما أخذ عضواً إلا تبعني، والفضل أخذ بِحُضْنِه يقول: أعجل يا عليّ أنقطع ظهري. وعن سعيد بن المسيّب قال: التمس عليّ من النبي ﷺ عند غسله ما يُلْتَمَس من الميت فلم يجد شيئاً، فقال: بأبي أنت وأمي؛ طُبت حياً وميتاً. هذا ما لخصناه في غسله ﷺ مما أورده محمد بن سعد في طبقاته على سبيل الاختصار وحذف الأسانيد. والله أعلم.

وأما تكفينه ﷺ

فقد اختلف فيه؛ فقليل: كُفّن في ثلاثة أثواب بيض كُرْسُف^(٢)، وقيل: في ثلاثة أثواب أحدها جبرة، وقيل: في رِبَطَتَيْنِ^(٣) وبُزْد نَجْرَانِيّ. وقيل: في ثلاثة أثواب بُرُود يمانية غلاظ إزار وِرْدَاء وِلْفَافَة. وقيل: في حُلّة حمراء وقبضية^(٤). وقيل: في حُلّة يمانية وقميص. وقيل: في حُلّة جبرة وقميص. وقيل: في سبعة أثواب. والذي ورد

(١) الوتين: الشريان الرئيسي الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.

(٢) الكرشف: القطن.

(٣) الربطة: كل ملاء ليست بلفقتين؛ أو كل ثوب رقيق لين.

(٤) قبضية: ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض.

في الصحيح أنه ﷺ كُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ من ثياب سَحُول - بلدة باليمن - ليس فيها قميص ولا عمامة، بل لفائف من غير خياطة. وَخُطَّ رسول الله ﷺ، وكان في حَنُوطه المِسْك، وأبقى منه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه شيئًا أدَّخَره لحَنُوطه إذا مات.

ذكر الصلاة على رسول الله ﷺ

رُوي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صَلَّى على رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب، وبنو هاشم، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس رَفَقًا^(١) رَفَقًا، فلما أُنْقَضِيَ الناس دخل عليه الصبيان صفوفًا، ثم النساء، وقيل: النساء والصبيان. وذكر البيهقي عن الواقدي عن موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: وجدت هذا في صحيفة بخط أبي، فيها: لما كُفِّن رسول الله ﷺ ووُضِعَ على سريره، دخل أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومعهما نفرٌ من المهاجرين والأنصار قَدَر ما يسع البيت، فسَلَمُوا كما سَلَّمَ أبو بكر وعمر وَصَفُوا صُفُوفًا لا يُؤْتَمُّ عليهم أحد، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حِيَال رسول الله ﷺ: اللهم إنا نشهد أن قد بَلَغ ما أنزل إليه، ونصح لأُمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعزَّ الله به دينه، وتَمَّت كَلِمَاتُه، فأوَمِن به وحده لا شريك له، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتَّبِع القول الذي أنزل معه، وأجمع بيننا وبينه حتى نعرفنا ونعرفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رؤُوفًا رَحِيمًا، لا نبتغي بالإيمان بدلًا، ولا نشترى به ثمنًا أبدًا. فيقول الناس آمين آمين، ثم يخرجون ويدخل آخرون حتى صَلُّوا عليه: الرجال والنساء ثم الصبيان. وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنهم قال: لما وُضِعَ رسول الله ﷺ على السرير قال علي: لا يؤمُّ أحدٌ؛ هو إمامكم حيًّا وميتًا، فكان يدخل الناس رَسَلًا^(٢) رَسَلًا، فيصلُّون عليه صَفًا صَفًا، ليس لهم إمام ويكْبُرُونَ، وعليّ قائم بِحِيَال رسول الله ﷺ يقول: سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، اللهم إنا نشهد أنه قد بَلَغ ما أنزل إليه ونصح لأُمته، وجاهد في سبيل الله حتى أعزَّ الله دينه وتَمَّت كلمته، اللهم فاجعلنا ممن يتَّبِع ما أنزل إليه، وثبتنا بعده وأجمع بيننا وبينه. فيقول الناس: آمين، آمين. وقد قيل في سبب صلاة الناس عليه أَفْذَاذًا: إنما فعلوا ذلك ليكون كل منهم في الصلاة أصلًا لا تابعًا لأحد. وقيل: ليطول وقت الصلاة فيلحق من يأتي من حول المدينة.

(١) رَفَقًا رَفَقًا: أي جماعات جماعات.

(٢) الرسل: الرفق والتؤدة، ورسلًا: أي فرقًا.

ذكر قبر رسول الله ﷺ ولحده

وما فرش تحته ومن فرشه، ومن دخل قبره، ووقت دفنه ومدة حياته ﷺ

رُوي أن أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته اختلفوا في مكان دفنه؛ فقال بعضهم: ندفنه في مُصَلَّاه. وقال بعضهم: عند المنبر. وقال بعضهم: أدفنوه مع أصحابه بالبقيع. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما دُفن نبي قط إلا في المكان الذي توفي فيه». وقيل: «قال» ما مات نبي إلا دفن حيث يُقبَض» فرفع فراش النبي ﷺ الذي توفي عليه وحفر له تحته، وذلك في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها. ثم اختلفوا أيلحد له أم لا؟ وكان في المدينة حَفَّاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة، والآخر لا يلحد وهو أبو عبيدة. فاتفقوا على أن من جاء منهما أولاً عَمِلَ عَمَلَهُ، فجاء الذي يلحد فلحد لرسول الله ﷺ. وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، كان بالمدينة رجلان: أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ حُفْرَ أهل مكة، وأبو طلحة الأنصاري هو الذي يحفر لأهل المدينة، وكان يُلحد. فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما: أذهب إلى أبي عبيدة، وقال للآخر: أذهب إلى أبي طلحة، وقال: اللهم خِرْ لرسولك، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد له. وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللحد لنا والشق لغيرنا». وقيل قال: «والشق لأهل الكتاب». قيل: وكان ﷺ يرى اللحد فيعجبه فألحد له، وأطبق له تسع لَبَنَات وفُرش تحته في قبره قَطِيفَةً حمراء كان يُغَطِّي بها ﷺ نزل بها سُفْران. وأما من نزل قبره ﷺ فالعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل وقُثم أبنا العباس، وسُفْران مولاه، وقيل: أدخلوا معهم عبد الرحمن بن عوف، قيل: وعَقِيل وأسامة بن زيد، وصالح، وأوس بن خَوْلِي. والذي صححه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف رحمه الله: العباس وعلي والفضل وقُثم وسُفْران. وزعم المغيرة بن شعبة أنه نزل قبر النبي ﷺ، وأنه آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ في قبره. روي عن الشعبي قال: كان المغيرة يحدثنا هاهنا، يعني بالكوفة قال: أنا آخر الناس عهداً بالنبي ﷺ لما دُفن وخرج علي من القبر ألقيت خاتمي فقلت: يا أبا الحسن خاتمي، قال: أنزل فخذ خاتمك، فنزلت فأخذت خاتمي، ووضعت يدي على اللبَنِ ثم خرجت. وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: لما وُضع رسول الله ﷺ في لحده، ألقى المغيرة بن شعبة خاتمه في القبر، ثم قال: خاتمي، خاتمي! فقالوا: أدخل فخذ، فدخل ثم قال:

أهيلوا عليّ التراب، فأهالوا عليه التراب حتى بلغ أنصاف ساقيه فخرج، فلما سُوي على رسول الله ﷺ قال: أخرجوا عني حتى أغلق الباب، فإنّي أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ، فقالوا: لعمرى لئن كنت أردتها لقد أصبتها. وأنكر علي بن عبد الله بن عباس هذا، وقال: كان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قُثم بن العباس، كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد. والله أعلم.

وأما وقت دفنه ﷺ ومدة مرضه

ف قيل: دفن رسول الله ﷺ ليلة الأربعاء، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس. والله أعلم. وسُمِّ (١) قبره ورُش عليه الماء. وكانت مدة مرضه اثني عشر يوماً. وقيل: أربعة عشر يوماً. وكان مرضه بالصداع ﷺ.

وأما سنُّه ﷺ

ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته ﷺ

فقد روي أن رسول الله ﷺ توفي، وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة، وقيل: خمساً وستين، وقيل: ستين. وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا هشام بن القاسم، قال: حدّثنا أبو معشر عن يزيد بن زياد قال: قال رسول الله ﷺ لعائشة في السنة التي قبض فيها: «إن جبريل كان يَغْرِض عليّ القرآن في كل سنة مرة، فقد عَرَض عليّ العام مرتين، وأنه لم يكن نبياً إلا عاش نصف عمر أخيه الذي كان قبله، عاش عيسى ابن مريم مائة وخمسة وعشرين سنة، وهذه اثنتان وستون سنة» ومات في نصف السنة. والذي نقلناه أولاً هو الذي صححه العلماء. والله أعلم.

وكان مقامه بالمدينة من لدن الهجرة إلى أن توفي ﷺ عشر سنين.

ذكر ميراث رسول الله ﷺ

وما روي فيه

رُوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا لا نُورَث، ما تركناه صدقة». وروى محمد بن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر بن واقد، قال حدّثنا مَعْمَر ومالك وأسامة بن زيد عن الزهري عن عروة عن عائشة؛ قال

(١) سُمِّ: أي جعل له سنام، أي رفع عن الأرض.

محمد بن عمر: وحَدَّثني مَعْمَرُ وَأُسَامَةُ بن زَيْد وَعَبْد الرَّحْمَنِ بن عَبْد الْعَزِيز عَنْ الزَّهْرِيِّ عَنْ مَالِكِ بن أَوْسِ بن الْحَدَّثَانِ عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ وَعِثْمَانَ بن عَفَّانَ وَعَلِي بن أَبِي طَالِبٍ وَالزَّيْبِرِ بن الْعَوَامِ وَسَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبَّاسِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا نُورُثُ مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ» يَرِيدُ بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقْتَسِمُ وَرَثَتِي دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسَائِي وَمَوْئِنَ عَامِلِي فَإِنَّهُ صَدَقَةٌ». وَعَنْ عَائِشَةَ: إِنْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضِيَ عَنْهُمَا أُرْسِلَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَفَاطِمَةُ حِينَئِذٍ تَطْلُبُ صَدَقَةَ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ وَقَدْكَ، وَمَا بَقِيَ مِنْ خُمْسِ خَيْبَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً» إِنَّمَا يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ فِي هَذَا الْمَالِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمِلَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا، فَوَجَدْتُ^(١) فَاطِمَةَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، فَهَجَرْتَهُ وَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى تَوَفَّيْتُ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. وَعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَطْلُبُ مِيرَاثَهَا، وَجَاءَ الْعَبَّاسُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَطْلُبُ مِيرَاثَهُ، وَجَاءَ مَعَهُمَا عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً» وَمَا كَانَ النَّبِيُّ يَعُولُ فَعَلِي، فَقَالَ عَلِيٌّ: ﴿وَوَرِثَ مُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] وَقَالَ زَكَرِيَّا: ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾ [مريم: ٥] قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ هَذَا، وَاللَّهِ تَعْلَمُ مِثْلَ مَا أَعْلَمُ. فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَنْطِقُ، فَسَكْتُوا وَأَنْصَرَفُوا. وَعَنْ زَيْدِ بن أَسْلَمٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ سَمِعْتُ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بُوِيَ لَأَبِي بَكْرٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَتْ فَاطِمَةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَعَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: مِيرَاثِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ أَبِي، ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِنَ الرِّثَّةُ^(٢) أَوْ مِنَ الْعُقْدِ^(٣)؟ قَالَتْ: قَدْكَ وَخَيْبَرَ وَصَدَقَاتِهِ بِالْمَدِينَةِ أَرْتَهَا كَمَا تَرِثُكَ بَنَاتُكَ إِذَا مِتَّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَبُوكَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنِّي، وَأَنْتَ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْ بَنَاتِي، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا نُورُثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً» يَعْنِي هَذِهِ الْأَمْوَالُ الْقَائِمَةُ، فَتَعْلَمِينَ أَنْ أَبَاكَ أَعْطَاكَهَا؟ فَوَاللَّهِ لئن قُلْتُ نَعَمْ لَأَقْبِلَنَّ قَوْلَكَ وَلَا صَدَقَتِكَ. قَالَتْ: جَاءَتْنِي أَمْ أَيْمَنُ فَأَخْبَرْتَنِي أَنَّهُ أَعْطَانِي قَدْكَ. قَالَ: فَسَمِعْتَهُ يَقُولُ

(١) وجدت: غضبت، أو حقدت. (٢) الرثة: الرديء من متاع البيت.

(٣) العقد، جمع عقدة: الأرض الكثيرة النخل.

هي لك؟ فإذا قلت قد سمعته فهي لك، فأنا أصدقك وأقبل قولك. قالت: قد أخبرتك ما عندي. وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي ميمونة قال: والله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهما ولا ديناراً، ولا عبداً ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضاً تركها صدقة. وعن زر بن حبيش: أن إنساناً سأل عائشة رضي الله عنها عن ميراث رسول الله ﷺ فقالت: عن ميراث رسول الله ﷺ تسألني؟ لا أبا لك! توفي رسول الله ﷺ ولم يدع ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمة ولا شاة ولا بعيراً. وعن ابن عباس نحوه، قال: وترك درعه زهناً عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير. وقد روي أنه ﷺ ترك يوم مات ثوبي جبرة وإزاراً عُمانيّاً، وثوبين صُحاريين^(١)، وقميصاً صُحاريّاً، وجبة يمنية، وخميصة وكساء أبيض، وقلانس صغاراً لاطئة^(٢) ثلاثاً أو أربعاً، وإزاراً طوله خمسة أشبار، وملحفة مؤرسة. ﷺ. هذا الذي أورده الشيخ محب الدين الطبري في مختصر السيرة.

ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ

وآله من الحزن على فقده، ونبذة مما رثوه به ﷺ

روى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة: واكزب أبتاه، فقال لها ﷺ: «ليس على أبك كرب بعد اليوم». فلما مات ﷺ قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ينعه، يا أبتاه من ربه ما أدناه! قال: فلما دفن قالت فاطمة: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثو على رسول الله ﷺ التراب؟ وعن عكرمة قال: لما توفي رسول الله ﷺ بكى أم أيمن، فقيل لها أتبكين على رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما والله ما أبكي عليه ألا أكون أعلم أنه ذهب إلى ما هو خير له من الدنيا، ولكن أبكي على خبر السماء أنقطع. وعن عبد الرحمن بن سعد بن يربوع قال: جاء علي بن أبي طالب يوماً متقنعاً متحازناً، فقال أبو بكر: أراك متحازناً، فقال علي: إنه عَناني ما لم يَغْنِك، قال يقول أبو بكر: أسمعوا ما يقول! أنشدكم الله أترون أحداً كان أحزن على رسول الله ﷺ مني؟ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: توفي رسول الله ﷺ فحزن عليه رجال من أصحابه حتى كاد بعضهم يُوسِس.

(١) صحاريان: نسبة إلى صحار: وهي قسبة عمان، بلد عامر أهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه... (معجم البلدان).

(٢) اللاطئة: اللاصقة.

وعن القاسم بن محمد: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما إلى رسول الله ﷺ، فأما إذ قبض الله نبيه فما يسرنني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة^(١). وأما عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فإنها لازمت قبره ﷺ.

ورثي رسول الله ﷺ جماعة من أصحابه وعماته رضي الله عنهم فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: [من المتقارب]

أيا عين فأكبي ولا تسامي	وحق البكاء على السيد
على خير خندف عند البلا	ء أمسى يغيب في الملحد ^(٢)
فصلى المليك ولي العباد	ورب البلاد على أحمد
فكيف الحياة لفقد الحبيب	وزين المعاشر في المشهد
فليت الممات لنا كلنا	وكنا جميعاً مع المهتدي

وقال أيضاً رضوان الله عليه: [من الكامل]

لما رأيت نبينا متجداً	ضاقت عليّ بعرضهن الدور
وأزتغت روعة مستهام وإله	والعظم مني واهن مكسور ^(٣)
أعتيق ونحك إن حبك قد ثوى	وبقيت منفرداً وأنت حسير ^(٤)
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي	غيبت في جدث عليّ صخور ^(٥)
فلتخذن بدائع من بعده	تغيا بهن جوائح وضور

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: [من الوافر]

أرقت فبات ليلى لا يزول	وليل أخي المصيبة فيه طول
وأشعدني البكاء وذاك فيما	أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت	عشيّة قيل قد قبض الرسول
وأضحّ أرضنا مما عراها	تكاذبنا جوائبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا	يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سألت عليه	نفوس الناس أو كربت تسيل

(١) تبالة: موضع باليمن خصب. (٢) خندف: ولد إلياس بن مضر.

(٣) الروعة: الفزعة. المستهام: الذي أسقمه الهم. الوهن: الضعف.

(٤) الحسير: المتلهف. (٥) الجدث: القبر.

نبيُّ كان يجلُّو الشكَّ عنها بما يُوحى إليه وما يقولُ
ويَهْدِينَا فلا نَخْشَى ضلَالاً علينا والرسولُ لنا دَلِيلُ
أفَاطِمُ إن جَزَعْتَ فذاك عُذْرُ وإن لم تَجْزَعِي ذاك السَّبِيلُ
فَقَبْرِ أَبِيكَ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرِ وفيه سَيِّدُ النَّاسِ الرسولُ

وقال عبد الله بن أنيس^(١): [من الطويل]

تَطَاوَلَ لَيْلِي وأَعترتني القَوَارِعُ وَخَطَبُ جَلِيلٍ لِلْبَلِيَّةِ جَامِعُ
غَدَاةَ نَعَى النَاعِي إلينا محمداً وتلك التي تَسْتَكُّ منها المَسَامِعُ^(٢)
فلو رَدَّ مَيِّتًا قَتْلُ نَفْسِي قَتْلُهَا ولكنَّه لا يَدْفَعُ الموتُ دافعُ
فَالَيْتُ لَا آسَى عَلَى هُلْكَ هَالِكٍ من الناسِ ما أَوْفَى ثَبِيرُ وفارغُ
ولَكِنِّي بَاكِ عَلَيْهِ ومُتَّبِعُ مُصِيبَتُهُ إِنِّي إِلَى اللَّهِ راجِعُ
وقد قَبَضَ اللَّهُ النَّبِيَّينَ قَبْلَهُ وَعَادَ أَصِيبَتِ بالرُّزَى والتَّبَاعِ^(٣)
فيا لَيْتَ شِغْرِي من يقومُ بأمرنا وهل في قريشٍ من إمامٍ يُنَارِعُ
ثَلَاثَةُ رَهْطٍ من قريشٍ هُمُ هُمُ أَرِمَّةُ هذا الأمرِ واللَّهَ صَانِعُ^(٤)
عَلِيٍّ أَوِ الصُّدَيْقِ أَوْ عُمَرَ لَهَا وليس لها بعد الثلاثة رابعُ
فإن قال مِنَّا قَائِلٌ غَيْرَ هذه أَبِينَا وقلنا اللَّهُ راءٍ وسامِعُ
فيا لَقْرِيشٍ قَلَّدُوا الأمرَ بَعْضَهُم فإنَّ صَحِيحَ القولِ للناسِ نافعُ
ولا تُبْطِئُوا عنها فَوَاقًا فَإِنَّهَا إذا قُطِعَتْ لم تُنَمِّنَ فيها المطامِعُ^(٥)

وقال حسان بن ثابت الأنصاري: [من البسيط]

أَلَيْتُ حِلْفَةً بَرٌّ غَيْرَ ذِي دَخَلٍ مِنِّي أَلِيَّةٌ حَقٌّ غَيْرَ إِفْنَادٍ^(٦)
تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَثْمِي وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ النَّبِيِّ نَبِيَّ الرَّحْمَةِ الْهَادِي
وَلَا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ أَوْفَى بِذِمَّةِ جَارٍ أَوْ بِمِيعَادِ
مِنْ الَّذِي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ مُبَارَكِ الْأَمْرِ ذَا حَزْمٍ وَإِزْشَادِ

(١) عبد الله بن أنيس: هو من رجال برك بن وبرة أخي كلب بن وبرة من قبائل قضاة؛ ورجال برك كانوا حلفاء لبطن من جهينة، فحالف ذلك البطن بني سلمة من الأنصار. وكان عبد الله يلقب بذئ المخرصة. والتخصر: أن يأخذ بيده عصا يتكىء عليها. (الاشتقاق).

(٢) تستكك منه المسامع: تصمت.

(٣) التابع: ملوك اليمن جمع تبع.

(٤) أزيمة: جمع زمام.

(٥) الفواق من الزمن: مقدار ما بين الحلبتين.

(٦) الدخل: الخديعة والمكر. الإفناد: الكذب.

مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ إِنِّي كُنْتُ فِي نَهْرٍ
أَمْسَى نِساؤُكَ عَطَّلْنَ الْبُيُوتَ فَمَا
مِثْلَ الرُّوَاهِبِ يَلْبَسْنَ الْمُسُوحَ وَقَدْ

وقال أيضًا: [من الكامل]

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ
جَنْبِي يَقِيكَ الثُّرْبُ لَهْفِي لِيَتَنِي
يَا بِكْرَ أَمْنَةِ الْمُبَارَكِ ذِكْرُهُ
ثُورًا أَضَاءَ عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
أَقِيمْ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ
بَأَبِي وَأُمِّي مِنْ شَهِدَتْ وَفَاتِهِ
وظَلِلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَبَلِّدًا
أَوْ حَلَّ أَمْرُ اللَّهِ فِينَا عَاجِلًا
فَتَقُومُ سَاعَتُنَا فَتُلْقَى سَيِّدًا
يَا رَبِّ فَأَجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ فَأَكْتُبْهَا لَنَا
وَاللَّهِ أَسْمَعُ مَا حَيِّثُ بِهِالِكَ
ضَاقَتْ بِالْأَنْصَارِ الْبِلَادُ فَأَصْبَحُوا
وَلَقَدْ وَلَدْنَاهُ وَفِينَا قَبْرُهُ

وَأَبْذَلَ النَّاسَ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَادِي^(١)
جَارٍ فَأَصْبَحْتُ مِثْلَ الْمُفْرَدِ الصَّادِي^(٢)
يَضْرِبُنْ خَلْفَ قَفَا سِثْرِ بَأْوَتَادٍ
أَيَقُنْ بِالْبُؤْسِ بَعْدَ النُّعْمَةِ الْبَادِي^(٣)

كُحِلْتُ مَا قِيَهَا بِكُخْلِ الْأَزْمَدِ
يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
بَعْدَ الْمَغْيِبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ
غُيِبْتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ
وَلَدْتَهُ مُخَصَّنَةً بِسَعْدِ الْأَسْعَدِ^(٤)
مَنْ يُهْدِ لِلثُّورِ الْمُبَارَكِ يَهْتَدِي
يَا لَهْفَ نَفْسِي لِيَتَنِي لَمْ أُولَدِ
فِي يَوْمِ الْأَثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمَهْتَدِي
يَا لِيَتَنِي صُبْحْتُ سُمِّ الْأَسْوَدِ^(٥)
فِي رَوْحَةٍ مِنْ يَوْمِنَا أَوْ فِي عَدِ
مَخْضًا مَضَارِيَهُ كَرِيمَ الْمَخْتَدِ^(٦)
فِي جَنَّةِ تَفْقِي عُيُونِ الْحُسَدِ^(٧)
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالشُّؤْدِدِ
إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
سُودًا وَجُوهَهُمْ كَلَوْنَ الْإِثْمَدِ
وَفُضُولُ نِعْمَتِهِ بِنَا لَمْ يُجْحَدِ

(١) الجادي: طالب الجدوى، وهي العطية.

(٢) الصادي: من الصدى، وهو العطش الشديد.

(٣) البادي: أي الظاهر.

(٤) المحصنة: العفيفة. سعد السعود: منزلة من منازل القمر، والمراد اليمن والبركة.

(٥) المتبلد: المتحير المتلهف. الأسود: الحية العظيمة.

(٦) مضاربه: أصله وقومه وأبوه وشرفه. المحتد: الأصل.

(٧) تفقي: تغلغ.

والله أهدها لنا وهدي به أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

ووقفت فاطمة الزهراء رضي الله عنها على قبره ﷺ فقالت:

ما ضرر من قد شتم تربة أحمد ألا يشتم مدى الزمان غواليا^(١)
صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

وقالت رضي الله عنها: [من الكامل]

أغبر آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بغد النبي كئيبه أسفا عليه كثيرة الرجفان
فلتبكبه شرق البلاد وغربها ولتبكبه مضر وكل يماني
وليبيكه الطود المعظم جوه والبيت ذو الأستار والأركان^(٢)
يا خاتم الرسل المبارك صنوه صلى عليك منزل الفرقان^(٣)
نفسي فداؤك ما لرأسك مائلا ما وسدوك وسادة الوسنان

وقالت صفية بنت عبد المطلب: [من المتقارب]

أفاطم بكى ولا تسأمي بضبحك ما طلع الكوكب
هو المرء يبكى وحق البكا على الماجد السيد الطيب^(٤)
فاوَحشت الأرض من فقده وأي البرية لا يُنكب
فما لي بغدك حتى المما ت إلا الجوى الداخل المنصب^(٥)
فبكى الرسول وحقت له شهود المدينة والغيب
لتبكيك شمطاء مضرورة إذا حجب الناس لا تُحجب^(٦)
ليبكىك شيخ أبو ولدة يطوف بعقوته أشهب^(٧)
ويبكىك ركب إذا أزمأوا فلم يلف ما طلب الطلب^(٨)

(١) الغواليا: جمع غالية، وهي أخلاط من الطيب.

(٢) الطود: الجبل. والمراد بالجوى: الأودية.

(٣) الصنو: المثل.

(٤) الماجد: الشريف الخير.

(٥) المنصب: المتعب.

(٦) المضرورة: التي أصيبت بالضرر.

(٧) العقوة: الساحة. الأشهب: الجذب والفقر.

(٨) أرمأوا: نفد زادهم.

وَتَبْكِي الْأَبَاطِيحُ مِنْ فَقْدِهِ وَتَبْكِيهِ مَكَّةُ وَالْأَخْشَبُ^(١)
فَعَيْنِي مَا لَكَ لَا تَذْمَعِينَ وَحُقَّ لَدَمْعِكَ يُسْتَسْكَبُ

وقالت صفية أيضًا: [من الخفيف]

عَيْنِ جُودِي بِدَمْعَةٍ تَسْكَابُ لِلنَّبِيِّ الْمَطْهَرِ الْأَوَابِ
عَيْنَ مَنْ تَنْذُبِينَ بَعْدَ نَبِيِّ خَصَّه اللَّهُ رَيْنًا بِالْكِتَابِ
فَاتِحُ خَاتِمِ رُؤُوفٍ رَحِيمٍ صَادِقُ الْقِيلِ طَيْبِ الْأَثْوَابِ
مُشْفِقُ نَاصِحِ شَفِيقِ عَلَيْنَا رَحْمَةً مِنْ إِلَهِنَا الْوَهَّابِ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَجَزَاهُ الْمَلِكُ حَسَنَ الثَّوَابِ

وقالت أزوى بنت عبد المطلب: [من الوافر]

أَلَا يَا عَيْنَ وَيْحَكَ أَسْعِدِينِي بِدَمْعِكَ مَا بَقِيَتْ وَطَاوِعِينِي
أَلَا يَا عَيْنَ وَيْحَكَ وَأَسْهَلِي عَلَى نُورِ الْبِلَادِ وَأُسْعِدِينِي
فَإِنْ عَذَلْتُكَ عَاذِلَةٌ فَقُولِي عِلَامَ وَفِيمَ وَيْحَكَ تَغْذِلِينِي^(٢)
عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مَعًا جَمِيعًا رَسُولِ اللَّهِ أَحْمَدَ فَاتْرُكِينِي
فَالْأَثَرُ قَصْرِي بِالْعَذْلِ عَنِّي فَلُومِي مَا بَدَا لَكَ أَوْ دَعِينِي
لِأَمْرِ هَدْنِي وَأَذَلْ رُكْنِي وَشَيْبَ بَعْدَ جِدَّتْهَا قُرُونِي

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب: [من الكامل]

يَا عَيْنَ جُودِي مَا بَقِيَتْ بَعْبَرَةٌ سَحَا عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ
يَا عَيْنَ فَاحْتَفِلِي وَسُحِّي وَأَسْمَحِي فَابْكِي عَلَى نُورِ الْبِلَادِ مُحَمَّدُ^(٣)
أَتَى لَكَ الْوَيْلَاتُ مِثْلُ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَنْوُبُ وَمَشْهَدُ
فَابْكِي الْمَبَارَكِ وَالْمَوْفِقَ ذَا الثَّقَى حَامِي الْحَقِيقَةِ ذَا الرِّشَادِ الْمُرْشِدِ
مَنْ ذَا يَفُكُ عَنِ الْمُغْلَلِ غُلَّهُ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحَدِ
أَمْ مَنْ لِكُلِّ مُدْفَعٍ ذِي حَاجَةٍ وَمُسْلَسَلٍ يَشْكُو الْحَدِيدَ مُقَيَّدُ^(٤)
أَمْ مَنْ لِيُوحِيَ اللَّهُ يَنْزِلُ بَيْنَنَا فِي كُلِّ مُنْسَى لَيْلَةٍ أَوْ فِي غَدِ
فَعَلَيْكَ رَحْمَةُ رَبِّنَا وَسَلَامُهُ يَا ذَا الْفَوَاضِلِ وَالنَّدَى وَالسُّودَدِ

(١) الأخشب: جبل مشرف على مكة.

(٢) العاذلة: اللائمة.

(٣) أسمعني: جودي.

(٤) المدفع: الفقير الذليل.

وقالت هند بنت أناة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف أخت مسطح:
[من الوافر]

أشَابَ ذَوَائِبِي وَأَذَابَ رُكْنِي	بُكَاءُكِ فَاطِمَةُ الْمَيْتِ الْفَقِيدَا ^(١)
فَاعْطَيْتِ الْعَطَاءَ فَلَمْ تُكْذَرْ	وَأَخْدُمْتَ الْوَلَايِدَ وَالْعَبِيدَا ^(٢)
وَكُنْتَ مَلَاذِنًا فِي كُلِّ لِزْبٍ	إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ بِرُودَا ^(٣)
وَإِنَّكَ خَيْرُ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا	وَأَكْرَمُهُمْ إِذَا نُسِبُوا جُدُودَا
رَسُولُ اللَّهِ فَارَقْنَا وَكُنَّا	نُرْجِي أَنْ يَكُونَ لَنَا خُلُودَا
أَفَاطِمُ فَاضِرِي فَلَقَدْ أَصَابَتْ	رَزِيَّتُكَ التَّهَائِمَ وَالنُّجُودَا ^(٤)
وَأَهْلَ الْبَرِّ وَالْأَبْحَارِ طُرًّا	فَلَمْ تُخْطِئْ مُصِيبَتَهُ وَحِيدَا
وَكَانَ الْخَيْرُ يُضْبِحُ فِي ذُرَاهُ	سَعِيدَ الْجَدِّ قَدْ وَلَدَ السُّعُودَا ^(٥)

ورثاه ﷺ غير هؤلاء مما لو استقصينا ذلك لطال، واتسع فيه المجال،
ومراثيه ﷺ ومدائحه كثيرة تزداد في كل عصر، وتتضاعف في كل دهر، صلى الله
عليه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا.

تم الجزء الثامن عشر، ويليه الجزء التاسع عشر،
وأوله: الباب الثاني من القسم الخامس في أخبار الخلفاء الراشدين

(١) الركن: الجانب الأقوى.

(٢) الولائد: الجواري.

(٣) اللزب: الطريق الضيق.

(٤) التهائم: المنخفضات من الأرض. والنجود: المرتفعات.

(٥) الجد: الحظ.

فهرس المحتويات

٣	ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ وما يتصل بذلك
٣	ذكر من وفد على رسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة
٤	ذكر وفد غفار وقصة أبي ذر الغفاري في سبب إسلامه
٧	ذكر وفد أزد شنوءة وكيف كان إسلام ضماد
٨	ذكر وفد همدان
١١	ذكر وفادة الطفيل بن عمرو الدوسي وإسلامه
١٢	ذكر وفد نصارى الحبشة على رسول الله ﷺ وإسلامهم
١٣	ذكر من وفد على رسول الله ﷺ بعد الهجرة وقبل الفتح
١٣	ذكر وفد عبس
١٤	ذكر وفد سعد العشيرة
١٤	ذكر وفد جهينة
١٥	ذكر وفد مزينة
١٦	ذكر وفد سعد بن بكر
١٧	ذكر وفد أشجع
١٧	ذكر وفد خثين
١٨	ذكر وفد الأشعرين
١٨	ذكر وفد سليم
٢٠	ذكر وفد دوس

- ٢٠ ذكر وفد أسلم
- ٢١ ذكر وفد جذام
- ٢٢ ذكر من وفد على رسول الله ﷺ بعد فتح مكة شرفها الله تعالى وعظمها
- ٢٢ ذكر وفد ثعلبة
- ٢٢ ذكر وفد أسد
- ٢٣ ذكر وفد تميم
- ٢٩ ذكر وفد فزارة وأستسقاء رسول الله ﷺ لهم
- ٣٠ ذكر وفد مرة
- ٣٠ ذكر وفد محارب
- ٣١ ذكر وفد كلاب
- ٣١ ذكر وفد رؤاس بن كلاب
- ٣٢ ذكر وفد عقيل بن كعب
- ٣٣ ذكر وفد جعدة
- ٣٣ ذكر وفد قشير بن كعب
- ٣٣ ذكر وفد بني البكاء
- ٣٤ ذكر وفد كنانة وبني عبد بن عدي
- ٣٥ ذكر وفد باهلة
- ٣٥ ذكر وفد هلال بن عامر
- ٣٦ ذكر وفد عامر بن صعصعة وخبر عامر بن الطفيل وأزبد بن قيس
- ٤١ ذكر وفد ثقيف وإسلامها وهدم اللات
- ٤٥ ذكر وفد عبد القيس
- ٤٦ ذكر وفد بكر بن وائل
- ٤٦ ذكر خبر أعشى بني قيس وأمداحه رسول الله ﷺ ورجوعه قبل لقائه ..
- ٤٨ ذكر وفد تغلب

٤٨ ذكر وفد حنيفة
٤٩ ذكر وفد شيبان
٥٠ ذكر وفادات أهل اليمن
٥٠ ذكر وفد طييء وخبر زيد الخيل وعدي بن حاتم
٥٣ ذكر وفد ثجيب
٥٤ ذكر وفد خولان
٥٤ ذكر وفد جعفي
٥٥ ذكر وفد مُراد
٥٦ ذكر وفد زُبيد
٥٧ ذكر وفد كِنْدَة
٥٨ ذكر وفد الصَّدِف
٥٨ ذكر وفد سعد هُذَيم
٥٨ ذكر وفد بَلِي
٥٩ ذكر وفد بَهْرَاء
٥٩ ذكر وفد عُدْرَة
٦٠ ذكر وفد سَلَامَان
٦٠ ذكر وفد كَلْب
٦١ ذكر وفد جَرَم
٦٢ ذكر وفد الأزْد وأهل جُرَش
٦٣ ذكر وفد غَسَّان
٦٣ ذكر وفد الحارث بن كعب وما كتب به رسول الله ﷺ إليهم
٦٦ ذكر وفد عَنَس
 ذكر وفد الدارين وما كتب لهم به رسول الله ﷺ وما اختَص به تميم
٦٧ الداري وإخوته

٦٩ ذكر وفد الرهاويين
٦٩ ذكر وفد غامد
٦٩ ذكر وفد النخع
٧١ ذكر وفد بجيلة
٧٢ ذكر وفد خثعم
٧٢ ذكر وفد حضر موت
٧٤ ذكر وفد أزد عمان
٧٤ ذكر وفد غافق
٧٤ ذكر وفد بارق
٧٥ ذكر وفد ثماله والحدان
٧٥ ذكر وفد مهرة
٧٦ ذكر وفد حمير
٧٧ ذكر وفد جيشان
٧٨ ذكر وفد سلول
	ذكر وفد نجران وسؤالهم رسول الله ﷺ، وما أنزل الله عز وجل فيهم
٧٨ من القرآن
٩٠	ذكر خبر إسلام الجن ودعائهم قومهم إلى الإيمان عند سماعهم القرآن
٩٣	ذكر إخبار الجن أصحابهم بأمر رسول الله ﷺ وإسلامهم بسبب ذلك
٩٣ ذكر خبر سواد بن قارب
٩٥ ذكر خبر خفاف بن نضلة الثقفي
	ذكر رسل رسول الله ﷺ الذين بعثهم إلى الملوك وغيرهم، وما كتب
١٠٢ به إليهم، وما أجابوا به
١٠٤	ذكر إرسال عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة وإسلامه
١٠٤ ذكر إرسال دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم

- ١٠٧ ذكر إرسال عبد الله بن حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ الْفُزَس
 ذكر إرسال حَاطِب بن أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوِّسِ صَاحِبِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ
 ١٠٧ عَظِيمِ الْقِبْطِ، وَأَسْمَهُ جُرَيْجِ بْنِ مِينَا
 ١٠٨ ذكر إرسال شُجَاعِ بْنِ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْر
 ١٠٩ ذكر إرسال سَلِيطِ بْنِ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ إِلَى هُوَذَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ
 ١١٢ ذكر أزواج رسول الله ﷺ
 ١١٢ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد
 ١١٤ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْس
 ١١٤ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا
 ١١٦ حَفْصَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
 ١١٧ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ
 ١١٨ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّة
 ١١٨ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ بْنِ رِثَاب
 ١٢٠ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ
 ١٢١ رَيْحَانَةُ بِنْتُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خُنَافَةَ بْنِ شَمْعُون
 ١٢١ أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ
 ١٢٢ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبِ بْنِ أَخْطَب
 ١٢٤ مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ
 ذكر من تزوجهن رسول الله ﷺ من النساء ولم يدخل بهنّ ومن دخل
 ١٢٥ بهنّ وطلّقهنّ ومن وهبّ نفسها له ﷺ
 ١٢٥ فَاطِمَةُ بِنْتُ الضَّحَّاك
 ١٢٦ عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدِ بْنِ الْجَوْنِ الْكَلَابِيَّةِ
 ١٢٦ الْعَالِيَّةُ بِنْتُ ظُبَيَّانِ بْنِ الْجَوْنِ
 ١٢٧ أَسْمَاءُ بِنْتُ التُّعْمَانِ بْنِ أَبِي الْجَوْنِ

١٢٨	أُمَيَمَةَ بنت شَرَّاحِيل
١٢٨	قُتَيْلَةَ بنت قَيْس
١٢٩	عَمْرَةَ بنت معاوية الكِنْدِيَّة
١٢٩	أَسْمَاءُ بنت الصَّلْت
١٣٠	مُلَيْكَةَ بنت كَعْب اللِّيْثِي
١٣٠	أَبْنَةُ جُنْدَب بن ضَمْرَةَ الجُنْدُعِي
١٣١	الْغِفَارِيَّة
١٣١	خَوَلَةَ بنت الهُدَيْل بن هُبَيْرَة
١٣١	شَرَّافُ بنت خَلِيفَة بن فَرْوَة الكلْبِيَّة، أخت دِحْيَة بن خَلِيفَة الكلْبِي
١٣١	خَوَلَةَ بنت حَكِيم
١٣٢	لَيْلَى بنت الْخَطِيم بن عَدِي
١٣٣	لَيْلَى بنت حَكِيم الْأَنْصَارِيَّة
١٣٣	أُم شَرِيك وَأَسْمَاهَا غُزَيَّة
١٣٤	الشُّبَّاء
١٣٥	ذِكْر من خَطَبَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ من النساء ولم يَتَّفِق تَرْوِيْجُهُنَّ
١٣٥	أُم هَانِيَاء بنت أَبِي طَالِب
١٣٥	ضُبَاعَةَ بنت عَامِر بن قُرْط
١٣٦	صَفِيَّة بنت بَشَّامَة بن نَضْلَة الْعَنْبَرِي
١٣٦	جَمْرَةَ بنت الْحَارِث بن عَوْفِ الْمُزَنِّي
١٣٦	سَوْدَةُ الْقُرَشِيَّة
١٣٦	أُمَامَةَ بنت عَمَّه حَمْزَة
١٣٧	ذِكْر سَرَارِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
١٣٧	مَارِيَةَ بنت شَمْعُون الْقِبْطِيَّة

١٣٨ ذكر أولاد رسول الله ﷺ
١٣٨ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ
١٤٠ زينب بنت رسول الله ﷺ
١٤٠ ورقية بنت رسول الله ﷺ
١٤١ وفاطمة بنت رسول الله ﷺ
١٤٢ وأم كلثوم بنت رسول الله ﷺ
١٤٣ ذكر أعمام رسول الله ﷺ
١٤٣ الحارث
١٤٣ قثم بن عبد المطلب
١٤٣ الزبير بن عبد المطلب
١٤٣ حمزة بن عبد المطلب
١٤٤ العباس بن عبد المطلب
١٤٦ أبو طالب
١٤٧ أبو لهب
١٤٧ عبد الكعبة
١٤٧ حنبل
١٤٧ ضرار
١٤٧ الغيداق
١٤٧ ذكر عمات رسول الله ﷺ
١٤٧ صفية بنت عبد المطلب
١٤٨ وعاتكة بنت عبد المطلب
١٤٨ وأزوى بنت عبد المطلب
١٤٨ وأميمة بنت عبد المطلب

١٤٨ وبرة بنت عبد المطلب
١٤٨ وأُم حَكِيم البَيْضَاء بنت عبد المطلب
١٤٩ ذكر خدام رسول الله ﷺ الأحرار .
١٤٩ أَنَسُ بن مالك بن النَّضَر
١٤٩ هِنْد وأسماءُ أبنا حارثة
١٤٩ ربيعة بن كعب الأسلمي
١٥٠ عبد الله بن مسعود
١٥٠ عُقبة بن عامر بن عَبَس
١٥٠ بلال بن رباح المؤذن
١٥١ سَعْد مَوْلَى أَبِي بكر الصديق
١٥١ ذو مِخْمَر ابن أخي النَّجَاشي
١٥١ بُكَيْر بن شَدَاخ اللَّيْثي
١٥١ أبو ذَرَّ الغِفَارِي
١٥٢ ذكر موالِي رسول الله ﷺ
١٥٢ زيد بن حارثة بن شَراحيل الكلبي
١٥٢ أَسَامَة بن زيد بن حارثة
١٥٣ ثُوْبَان بن بُجْدُد
١٥٣ أبو كَبْشَة سُلَيْم
١٥٣ أَنَسَة
١٥٣ شُفْرَان
١٥٤ رِبَاحُ
١٥٤ يَسَارُ
١٥٤ أبو رافع

١٥٤	أبو مُؤَيَّهَة
١٥٤	رافع
١٥٥	فُضَالَة
١٥٥	مِذْعَم
١٥٥	كَزْكَرَة
١٥٥	زيد
١٥٥	عُبَيْد وَطْهَمَان
١٥٥	مَابُور
١٥٥	وَاقِد، وَأبو وَاقِد، وَهْشَام
١٥٦	أبو ضُمَيْرَة
١٥٦	حُنَيْن
١٥٦	أبو عَسِيب
١٥٦	أبو عُبَيْدَة سَفِينَة
١٥٦	أبو هِنْد
١٥٧	أَنْجَشَة
١٥٧	أُنَيْسَة
١٥٧	أبو لُبَابَة
١٥٧	رُوفِع
١٥٧	سَعْد
١٥٨	ذِكْر حُرَّاس رَسول الله ﷺ
١٥٨	ذِكْر كُتَاب رَسول الله ﷺ
١٥٩	ذِكْر رُفَقَاءِ رَسول الله ﷺ
١٥٩	ذِكْر صِفَة رَسول الله ﷺ الذَاتِيَة

١٦٢ ذكر صفة خاتم النبوة الذي كان بين كتفي النبي ﷺ
١٦٢ ذكر صفة شعر رسول الله ﷺ وطوله
١٦٣ ذكر عدد شَيْبِ رسول الله ﷺ ومن قال إنه خَضَبَ
١٦٣ وأما من قال إنه خضب ﷺ
١٦٤ ذكر صفات رسول الله ﷺ المعنوية
١٦٤ فأما ما ورد في أكله وشربه ونومه وضحكه وعبادته
١٦٦ وأما نومه ﷺ
١٦٦ وأما ضحكته ﷺ
١٦٧ وأما النكاح وما يتعلق به
١٦٧ وأما خلقه ﷺ
١٦٧ وأما حلمه وأحتماله وعفوه
١٦٩ وأما جوده وكرمه وسخاؤه وسماحته ﷺ
١٧٠ وأما شجاعته ونَجْدته ﷺ
١٧١ وأما حياؤه وإغضاؤه ﷺ
١٧١ وأما حُسْنُ عِشْرَتِهِ وأَدَبِهِ وَبَسْطُ خُلُقِهِ ﷺ
١٧٣ وأما شفقته ورأفته ورحمته ﷺ لجميع الخلق
١٧٤ وأما وفاؤه وحسن عهده وصلته الرحم ﷺ
١٧٥ وأما تَوَاضَعُهُ ﷺ مع علو منصبه ورفعة مرتبته
١٧٧ وأما عدله وأمانته وعِفَّتُهُ وَصِدْقُ لَهْجَتِهِ ﷺ
١٧٧ وأما وَقَارُهُ وَصَمْتُهُ وَتَوَدُّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ وَحَسَنُ هَذِيهِ ﷺ
١٧٨ وأما زُهْدُهُ فِي الدُّنْيَا ﷺ
١٧٩ وأما خوفه رَبَّهُ، وطاعته له، وشدة عبادته ﷺ
	ذكر نبذة مما ورد في نظافة جسمه، وطيب ريحه، وعرقه ونزاهته عن
١٨٠ الأقدار وعَوْرَاتِ الْجَسَدِ ﷺ
	ذكر حديث هند بن أبي هالة وما تضمن من أوصاف رسول الله ﷺ
١٨١ الذاتية والمعنوية

- ١٨٥ ذكر أحوال رسول الله ﷺ
- ١٨٥ أما ما ناله ﷺ من شدة العيش في دنياه
- ١٨٧ وأما تطيبه ﷺ
- ١٨٨ وأما لباسه ﷺ وما روي من ألوانه وأصنافه وطوله وعرضه
- ١٩١ ذكر صفة إزرة رسول الله ﷺ وما كان يقوله إذا لبس ثوبًا جديدًا
- ١٩١ ذكر فراش رسول الله ﷺ ووسادته
- ١٩٢ ذكر ما لبسه رسول الله ﷺ من الخواتم، ومن قال لم يَتَخَتَّمْ
- ١٩٣ ذكر نعل رسول الله ﷺ وحُفْنِه
- ذكر سِوَاك رسول الله ﷺ، ومشطه، ومُكْحَلْتِه، ومِرْآتِه، وَقَدَحِه، وغير ذلك
- ١٩٤ من أثاثه
- ١٩٥ ذكر ما ورد في حجامه رسول الله ﷺ وحِجَامِه
- ١٩٦ ذكر ما ملكه رسول الله ﷺ من السلاح
- ١٩٧ ذكر دَوَاب رسول الله ﷺ من الخيل والبغال والحمير
- ١٩٩ ذكر نَعَم رسول الله ﷺ
- ١٩٩ ذكر معجزات رسول الله ﷺ
- ٢٠٥ وأما تَبْعُ الماء من بين أصابعه ﷺ
- ٢٠٦ وأما تَفْجِيرِه وَأَتْبَعَاثُه وتكثيره ببركته ودعائه ﷺ
- ٢٠٧ وأما تكثير الطعام ببركته ودعائه ﷺ
- ٢١٠ وأما كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وأنقيادها إليه وإجابتها دعوته ﷺ
- ٢١٢ ومن معجزاته ﷺ نطق الجمادات
- ٢١٣ ومن معجزاته ﷺ
- ٢١٦ ومنه ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله ﷺ
- ٢١٨ وأما الجراحات التي تَقَلَّ عليها فَبَرَأَتْ فكثير
- ٢١٩ ومن معجزاته ﷺ إجابة دعائه

- ٢٢٠ ومن معجزاته ﷺ أنقلاب الأغنيان
- ٢٢١ ومما يلتحق بهذا الفصل
- ٢٢٥ ومن معجزاته عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته إياه مع كثرة أعدائه وتحزبهم واجتماعهم على أذاه
- ٢٢٦ ومن معجزاته ﷺ
- ٢٢٨ وقد رأينا أن نختم هذه الفصول بذكر قصيدة للشيخ الشقراطي سي
- ٢٣٥ ذكر ما أنزل على رسول الله ﷺ عند اقتراب أجله، وما كان يقوله مما أستدل به على اقترابه
- ٢٣٦ ذكر استغفار رسول الله ﷺ لأهل بقيع الغرقد والشهداء، وما روي من تخيره بين البقاء ولقاء الله تعالى، واختياره لقاء ربه عز وجل
- ٢٣٨ ذكر ابتداء وجع رسول الله ﷺ وأستئذانه نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها
- ٢٣٨ ذكر خطبة رسول الله ﷺ وما أمر به من سد الأبواب التي تشرع إلى مسجده إلا باب أبي بكر الصديق ووصيته بالأنصار
- ٢٤٠ ذكر ما قاله رسول الله ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيه
- ٢٤١ ذكر أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس في مرضه، وخروج رسول الله ﷺ وما كلم به الناس وكم صلى أبو بكر بالناس صلاة، وما روي من أن رسول الله ﷺ أتم بأبي بكر رضي الله عنه
- ٢٤٤ ذكر ما أتفق في مرض رسول الله ﷺ
- ٢٤٤ فأما اللدود الذي لُد به ﷺ وما قال فيه
- ٢٤٥ وأما الكتاب الذي أراد رسول الله ﷺ أن يكتبه ثم تركه لما وقع عنده من التنازع
- ٢٤٨ وأما ما وصى به رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه
- ٢٤٩ وأما الدنانير التي قسمها رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه
- ٢٥٠ وأما السواك الذي أَسْتَنَ به رسول الله ﷺ عند موته

- ٢٥٠ ذكر تخيير رسول الله ﷺ بين الدنيا والآخرة عند الموت
- ٢٥١ ذكر ما قاله رسول الله ﷺ عند نزول الموت به
- ٢٥١ ذكر وفاة رسول الله ﷺ
- ذكر ما تكلم به الناس حين شكوا في وفاة رسول الله ﷺ وخطبة أبي بكر رضي الله عنه
- ٢٥٣ ذكر غسل رسول الله ﷺ ومن غسّله، وتكفينه وحنوطه
- ٢٥٥ وأما تكفينه ﷺ
- ٢٥٦ ذكر الصلاة على رسول الله ﷺ
- ٢٥٧ ذكر قبر رسول الله ﷺ ولحده وما فرش تحته ومن فرشاه، ومن دخل قبره، ووقت دفنه ومدة حياته ﷺ
- ٢٥٨ وأما وقت دفنه ﷺ ومدة مرضه
- ٢٥٩ وأما سبته ﷺ ومدة مقامه بالمدينة من حين هجرته إلى يوم وفاته ﷺ ..
- ٢٥٩ ذكر ميراث رسول الله ﷺ وما روي فيه
- ذكر ما نال أصحاب رسول الله ﷺ وآله من الحزن على فقده، ونبذة مما رثوه به ﷺ
- ٢٦١ فهرس المحتويات
- ٢٦٩